ISSN 0970 - 3713

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

ثقافة الهند

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهي

الهند

إن المجلس الهندى للعلاقات الثقافية منظمة حرة تحت وزارة الشئون الخارجية للحكومة الهندية، أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و كجزء من برنامج مطبوعاته الموجه لتحقيق هذا الحوار الثقافي بين الهند و البلدان الأخرى، ينشر، بين ما ينشر، عدة مجلات ففى الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و فى الفرنسية "Rencontre Avec l' Inde" و فى الاسبانية "Papeles de la India" و فى الهندية "Gagananchal" كلها تصدر أربع مرات فى السنة. وبدل الاشتراك السنوى للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية مطبوع فى العمود المقابل *إلا أن مجلات المجلس فى اللغات العربية و الفرنسية و الاسبانية توزع مجاناً* و المراسلات المتعلقة ببدل الاشتراك و دفع الثمن و بشئون الطباعة و النشر توجه إلى :

The Programme Director (Pub)
Indian Council for Cultural Relation,
Azad Bhavan,
Indraprastha Estate
New Delhi - 110002

بدل الاشتراك

(للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية فقط)

عدد واحد - ٥ روبيات، £1.00 - $2.50
سنويا - ٢٠ روبية، £4.00 - $10.00
٣ سنوات - ٥٠ روبية، £10.00 - $25.00

نشرها و طبعها، سكرتير المجلس الهندى للعلاقات الثقافية، آزاد بوان، نيو دلهى - الهند. طبعت فى مطبعة فاب انتربرانسيز جرين بارك ، نيو دلهى.

توزع مجاناً

رئيس التحرير: البروفسور نثار أحمد الفاروقى

مجلــة **ثقافة الهند** فصليــة

المجلـــد ٤٢ العـــدد ١

١٩٩١م

محتويات هذا العـــدد :

الحلقة الثانية : (مكتوبات)

الشيخ الشاه غلام علي المجدّي الدهلوي

فى مرآة رسائله

بقلم: فضيلة الشيخ المفتي نسيم أحمد الفريدي
شيخ الحديث بالمدرسة الإسلامية
ببلدة امروها سابقاً

[ليكن ملحوظا أن مدون هذه الرسائل هو الشيخ شاه رؤوف أحمد رأفت المجدّى الرامبورى الذى دون و رتب كتاب " *دُر المعارف* " (مجموعة أقوال الشيخ غلام علي المجدى). و قبل كل شيء نورد فيما يلى نبذة من سيرة الشيخ غلام على المجدّى، مقتبسا من المجلد السابع لكتاب "*نزهة الخواطر*" لمؤلفه الشيخ السيد عبدالحي الحسني الرائبريلوى رحمه الله بتصرف و اختصار.]

نبذة من حياة الشيخ غلام علي المجدّي :

هو الشيخ الإمام العالم الزاهد غلام على بن عبداللطيف العلوى النقشبندى البتالوى ثم الدهلوى. ولد فى مدينة "بتاله" بالبنجاب سنة ١١٥٦هـ و تلقى العلوم الدينية هناك، ثم قدم دلهى العاصمة و انضم إلى حلقة تلاميذ الشيخ شاه عبدالعزيز الدهلوى (نجل الإمام ولى الله الدهلوى) و تلقى منه دروس صحيح البخارى و نال الإجازة فى الحديث.

و لما بلغ الثانية و العشرين من عمره بايع الشيخ الكبير الميرزا مظهر جان جان الشهيد و أتم مدارج الطريقة النقشبندية المجددية و حصل على الخلافة و الإجازة. لازم شيخه إلى حين استشهاده ثم خلفه فى الإرشاد و الهداية و أدى حق الخلافة كل الأداء. و هبه الله تعالى محبوبية واسعة، فكانْ يحضر مجلسه العلماء و المشائخ و عامة الناس من العرب و العجم و يفوزون بثروة الإيمان

و اليقين. كان يداوم على تلاوة ١٠ اجزاء من القرآن الكريم كل يوم و يكثر من أوراد " النفى و الاثبات " و اسم الذات " و الاستغفار و الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم و يعنى بالمحافظة على الأوقات و المواعيد و اتباع الشريعة المطهرة فى الأعمال و الأخلاق، و كان إلى جانب ذلك يراقب من لديه من المريدين و المسترشدين فى أعمالهم و أخلاقهم و أورادهم و وظائفهم مراقبة شديدة.

يقول السير سيد أحمد خان فى كتابه *"آثار الصناديد"* و هو يذكر ميزات الشيخ غلام على المجددى و عاداته: " إنه كان فريد عصره فى الزهد و القناعة، و التسليم و الرضاء، و التوكل و الإيثار، و الترك، و التجرد، عاش حياة خشنة و اجتنب الملابس الثمينة و الأطعمة الشهية، و كان ينفق كل ما يأتيه من الهدايا على الفقراء و المعوزين.

" كان يصلى الفجر فى أول وقتها ثم يتلو القرآن الكريم، ثم يعمد إلى أصحابه يرشدهم و يوجههم حتى صلاة الإشراق، و بعد أداء صلاة الإشراق كان يلقى درسا من الحديث و التفسير، ثم يتناول القليل من الغداء و يقيل. و كان يصلى الظهر فى أول وقتها ثم يلقى درسا من الفقه و الحديث و التصوف حتى صلاة العصر. و بعد صلاة العصر كان يلتفت إلى أصحابه و مريديه يعلمهم و يلقنهم، و كان يقضى الجزء الأكبر من الليل فى العبادة و ينام قليلا جدا، و كان منامه يكون فى سجادته، و كانت زاويته يقيم فيها مئات من الزهاد و طالبى التصوف الذين كانوا يجدون طعامهم من مطبخه".

و يقول عنه الشيخ مراد بن عبدالله فى " *ذيل الرشحات* ": " كان قليل المنام و قليل الطعام، إذا رأى أحدا من مريديه نائما فى وقت التهجد أيقظه بنفسه. و كان الأثرياء يرسلون إليه أطعمة لذيذة فلا يأكلها هو ولا يطعمها أصحابه، و إنما يوزعها على الفقراء من جيرانه. كان يقضى معظم ساعات الليل فى الذكر و المراقبة، و لا ينام ليلا إلا جالسا فى أغلب الأحيان، و قد فاضت روحه و هو جالس محتبيا. إن أخذ ذو حاجة شيئا من ماله بدون إذنه تغاضى عنه، و قد حدث أن رجلا استعار منه كتابا، ثم جاءه بعد مدة يبيع منه نفس الكتاب فاشتراه، و لما ذكّره أحد أصحابه بأن الكتاب ملك له و أن العلامة موجودة عليه، منعه من التدخل فى عنف و قال إن الناسخ ينسخ كتبا عديدة، فقد يمكن أن يكون هذا الكتاب مثل كتابى و لا يكون كتابى عينه.

كان يلبس ثيابا خشنة، و لو أهدى إليه رجل ثوبا فاخرا أو شيئا ثمينا باعه و اشترى لقاءه أشياء كثيرة رخيصة من جنسه و تصدق بها على من يستحقها و قال: أن ينتفع به كثيرون خير من أن ينتفع به رجل واحد.

و لم يكن لذكر الدنيا و نعيمه مكان فى مجلسه، و كان مجلسه مثل مجلس سفيان الثورى، إذا اغتاب فيه أحد رجلا قال له: إذا ذكرتَ أحدا بالسوء فأنا أحق به.

و كان مجبولا على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا يخاف فى الله لومة لائم و لا يصده عن الحق شيء.

أخذ عنه الطريقة النقشبندية المجددية جمع كبير من العلماء و المشائخ و نالوا الخلافة و الإجازة، منهم السيد اسماعيل المدنى.، و الشيخ أحمد، و الشيخ خالد الكردى، و الشيخ جان محمد الباجورى، و الشيخ أبو سعيد المجددى الدهلوى، و الشيخ أحمد سعيد، و الشيخ رؤوف أحمد الرامبورى، و الشيخ بشارة الله البهرائشى، و السيد أبوالقاسم بن مهدى الحسينى الواسطى، و الشيخ عبدالغفور الغورجوى، و المقرىء امام الدين النخشبى الامروهى، و الحافظ عبدالحى الامروهى و من إليهم.

الف رسائل كثيرة منها *"المقامات المظهرية"* و *"إيضاح الطريقة"* اللتان تحملان أهمية خاصة. توفى إلى رحمة الله تعالى فى ٢٢ صفر المظفر سنة ١٢٤٠هـ(١٥ـاكتوبر ١٨٢٤م) فى دلهى، و ضريحه فى زاويته يزار.

نخبة من رسائله:

يقول فى إحدى رسائله : " إننا لا نستطيع أن نشكر النعم الكثيرة التى أنعم بها علينا المنعم الحقيقى جل مجده، حيث أنه جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم و هدانا إلى عقائد أهل السنّة و الجماعة، و ميّزنا بعقيدة تفضيل الشيخين (أبى بكر الصديق و عمر الفاروق) على سائر الأمة، و حب ختنى الرسول (عثمان و علي) و تعظيم أهل بيته الأطهار و صحابته الكرام. و أن هذا الحب و هذا التعظيم ركنان من أركان الإيمان و النجاة"

و كتب إلى الشيخ شاه أحمد سعيد المجددى الفاروقى (١) يقول :

" من الفقير غلام على عفا الله عنه إلى الحافظ أحمد سعيد المقبول عند الله، سلمه الله تعالى. و بعد:

فقد وصلنى رسالتك و سرتنى. لا تتصنع فى ديباجة الرسائل، و اكتب رسالتك فى بساطة من دون ألقاب واسعة، و اصرف أوقاتك فى الأوراد و الأعمال الحسنة، و مراقبة النسبة الباطنية، و تحصيل العلم، و مطالعة رسائل الشيوخ و كتب الصوفية المتقدمين مثل *"عوارف المعارف"* و *"التعرف"* و *"آداب المريدين"*، و طلب مرضاة الله و شوق لقائه. واذكرنى أنا فى دعوات الخير. و هبك الله حظا وافرا من فضائل آبائك. و لازم صحبة أبيك الكريم (شاه أبى سعيد المجددى)".

و كتب إلى الشيخ شاه رؤوف أحمد رأفت المجددى الفاروقى الرامبورى(٢) (مدون هذه الرسائل):

" السلام عليكم ورحمة الله و بركاته. لقد مضت مدة من الزمان و لم تكتب إلى رسالة، و لا أدرى ما السبب. اصبر على الطريقة التى علّمت،

و اكتب إليّ ما يمر بباطنك أنت و منسوبيك من أحوال و كيفيات. سر على طريق آبائك هادئا مطمئنا و اترك الأماني و كل ما سوى الله. و ائت " دهلي " لمدة اذا استطعت، و إلاّ فاصبر و داوم على القدر الذى عُلّمتَ فهو كاف.

أجل ! لقد بلغني أنك دونت مزخرفاتي (أى أقوالي) في كتاب، و إن صح ذلك فقد أسأت كثيرا؛ و أسوأ من ذلك أنك تفتؤ تذكرها. اغسلها و مزقها تمزيقا، فإن النفحات و الرشحات و رسائل مجدد الألف الثاني (الشيخ أحمد السرهندى) و مؤلفات الصوفية المتقدمين مثل "*عوارف المعارف*" و "*التعرف*" و "*إحياء العلوم*" و "*كيمياء سعادت*" كافية للعبرة و العمل. و دارس الحديث و التفسير فإن ذلك ضرورى للغاية. و إذا قصدت دهلي فاقصدها بعد ترك الزهـــو و الخيـــلاء و التزام التواضع و المسكنة و هجر الأنانية و النفسانية ". و السلام.

و يقول فى رسالته إلى الشيخ قمرالدين البشاورى :

" عزيزى قمرالدين ! السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. و بعد:

فقد مضت مدة و لم تكتب إليّ أحوال وطنك. إن قلبي قلق و مائل إليك، و أرجو أنك ستكتب عن أحوالك و عن كيفيات الذكر و المراقبة و كذلك أحوال من يأتي إليك لطلب التصوف، فإني منتظر جـــدا. و اصرف أوقاتك فـــى ذكر " اسم الذات " حينا و ذكر التهليل مع استحضار المعنى حينا آخر. و فى تلاوة القرآن الكريم مع غاية الالتفات إلى المقصود طورا، و ذكر الكلمات الطيبـــات و الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم طورا آخر، فإن هذه الأذكار و الأعمال من أسباب التقرب إلى الله تعالى. و اذكرني فى دعواتك الصالحة. أما أنا فقد كنت منذ شهرين فصاعدا مريضا لحد أن الناس كانوا قـــد يئسوا من حياتـــى، و لكن خف المرض بعض الشيء منذ يومين. و قد كان مرض البواسير هو الآخر اشتد كثيرا، لكن خفت وطأته الآن بفضل الله تعالى، إلا أنني أشعر بنقاهة بالغة. هذا و قد استدعيت الحافظ أبا سعيد من لكناؤ (ليخلفني فى وظيفتي) لأن الله تعالى قد وهبه كل ما يتطلبه طريق التصوف. و إن كلا من المولوى بشارة الله و المولوى رؤوف احمد و المولوى محمد عظيم و المولوى محمد جان و المولوى شير محمد ينفع الناس بعلمه و رشده، و لكن الحافظ أبا سعيد يفوق هؤلاء كلهم فيما أرى، و العلم عند الله سبحانه و تعالى.

إن صحبة أبى سعيد و المولوى بشارة الله ستنفع الناس بإذن الله تعالى، و من كان يحبني فليرجع إليهمـــا، هـــذا و إن مجالســـة پير محمـــد و گُل محمد مفيدة كذلك بإذن الله ".

و يكتب فى رسالة إلى شاه گُل محمد الغزنوى :

" نحن مع الخيـــر و السلامـــة بفضل الله تعالـــى و نرجو لك العافيـــة و الصحة. كنت مريضا منذ ثلاثة أشهر، بيد أني شفيت الآن بحمد الله تعالى،

وأدعوالله أن يوفقنى لقضاء ما بقى من حياتى فى ذكره و عبادته و اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

رسائلك تصلنى بانتظام، و قلبى يفرح و يبتهج كثيرا بالاطلاع على أحوالك. و أرجوالله أن يهبك الحب و المعرفة فى الظاهر و الباطن و تقدما زائدا فى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم و أن يختم لك بالخير و السعادة و العاقبة الحسنى. و لتكن مشتغلا بما أمرتَ به، و يجب أن تذهب إلى بخارا إن دعاك أهلها إليها، و لك الخيار أن لا تتوجه إليها إلا بعد أن تستخير الله و يرضى بذلك قلبك و تتأكد من إخلاص أهل بخارا فى رغبتهم و تلهفهم، و لتقرأ عليهم السلام منى إذا وصلت إليهم. و أما الذين بعثوا إلىّ الرسائل (بواسطتك) فردىّ عليهم أن يذكروا الله دائما و يواظبوا على الذكر و المداومة لكى تنشأ فى قلوبهم ملكة الحضور و الإنابة، و ذلك هو المطلوب و كفى.

و مما يجدر بالذكر أن حضرة السيد أحمد (الذى هو من سلالة الشيخ عبدالقادر الجيلانى رحمة الله عليه) و حضرة السيد اسماعيل المدنى (الذى هو من سادات المدينة المنورة و محامده أكبر من أن توصف) قد وردا زاويتنا بعد استفادتهما من الشيخ خالد الكردى بعض الشىء من أجل الحصول على النسبة المجددية ليس إلاّ. و فيما أعتقد فإن السيد المدنى يحمل مواهب أكثر و العلم عند الله. و يسرك أن السادة رؤوف أحمد و عبدالرحمن و أحمد سعيد من أنجال الشيوخ قد حصلوا على النسبة العالية. و لتكتب إلىّ أحوال زملائك إلى أى درجة وصلوا".

و كتب فى رسالة موجهة إلى حضرة الشاه أبى سعيد المجددى الفاروقى: (٢)

" سيدى ! أمد الله فى عمركم.

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و بعد:

اليوم و فى الليلة الثانية عشرة خفت وطأة المرض بعض الشىء، إلاّ أن القعود و القيام يصعبان علىّ بعدُ، و أرجوكم أن تدعوا الله لى دوماً بحسن العاقبة بواسطة المشائخ العظام و أن تستغفروا لى عن طريق ختمة القرآن الكريم و الكلمة الطيبة. رجال الزاوية يشتاقون إلى الاستفادة من فيوضكم و بركاتكم. أودعكم الله المزيد من أنوار الطريقة و بارك فى أحمد سعيد أيضا. و أنتم أينما أقمتم فهو خير، لكن عيادة المريض لها أجر جزيل (لذا فالأفضل أن تأتوا إلىّ فى دهلى) علما بأن الزاوية يقيم فيها الآن أكثر من مائة زاهد، و هى مكتظة تماما.

إن أيًّا منا لا يعلم الغيب، و لا ندرى ما هو قضاء الله تعالى، و إن الناس هنا يعتقدون – نظراً لظاهر الأمر – أنكم جديرون بأن تقيموا فى الزاوية و تقوموا بنشر طريقة المشائخ، و طريقة أولياء الله تتلخص فيما يلى:

تفويض أمور الدين و الدنيا و الظاهر و الباطن إلى الله تعالى بواسطة

أوليائه، و تفسير الأحداث كلها بمشيئة الخالق جل مجده و قضائه، و الرضاء بالقدر عن قناعة تامة، و عدم مجادلة الناس، و التغاضي عن أخطاء الآخرين، و إيصال ما تيسّر إلى الفقراء و تعيين نصيب العيال مثل نصيب الفقراء، و قطع الرجاء عن النفس و كل ما سوى الله، و الإيمان بوعد الله الصادق، و عدم التأثر بالوساوس، و التزام الصبر و القناعة و التسليم و الفقر و العجز و التواضع.

و يجب كذلك دراسة كتب الصوفية و رسائل الإمام الرباني. و أفوض نفسي أنا و إياكم و الجميع إلى الله تعالى. عامل الله تعالى هذا الفقير و سائر الأحياء معاملة اللطف و الكرم. حسبنا الله و نعم الوكيل."

و كتب إلى الأمير المغولي الميرزا جهانكير يقول :

" بعد رفع التحية المسنونة و الدعاء بالنجاح يقول الفقير غلام علي عفا الله عنه : وردت رسالتكم الخاصة التي سألتم فيها عن تأويل رؤيا رأيتموها. و أدعوالله لكم بدوام السلامة مع كريم الأخلاق التي تحملونها.

عالم الرؤيا عجيب و غريب، و فيه دخل كبير للوهم و الخيال، و قديرى المرء في المنام أحوال الماضي و المستقبل، و أحيانا يرى أحوال غيره و يحسبها أحوال نفسه، و كل ذلك من نسج الخيال. كما أن الرؤيا قد تكون من تصرف الشيطان لا غير، فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم و قال : يا رسول الله رأيت في المنام أن رأسي قد قطع. فقال له: لقد لعب بك الشيطان.

و قد يحدث أن الرجل يُرى رؤيا موحشة ليستيقظ للصلاة و العبادة، فقد روى أن البراء بن عازب رضي الله عنه رأى في المنام أن بقرة تصول عليه بقرنيها، و كان مرد ذلك أنه كان قد أجّل تلك الليلة في قراءة سورة البقرة التي اعتاد قراءتها في صلاة التهجد، فاستيقظ بفضل هذه الرؤيا و بدأ من ساعته يقرأ البقرة في صلاة التهجد. و أحيانا يحدث أن الرجل يرى الأحلام طبقا للخلط الذي يغلبه من الأخلاط الأربعة (السوداء و الصفراء و البلغم و الدم) فيرى أشياء صفراء عند غلبة الصفراء و أشياء حمراء عند غلبة الدم. أضف إلى ذلك أن الأغذية الباردة و الحارة تفعل فعلها أيضا في هذا الخصوص.

إن الأضغاث من الأحلام لا يحسب لها حساب. و إذا كنتَ قد رأيت نفسك في قصر موتي محل فذلك أمر مبارك جدا، و الله قادر مطلق و مجيب للدعوات، و هو الذي سيوصلكم إلى شاهجهان آباد و يدخلكم في قصر موتي محل منتصرين مظفرين. و بالجملة فليس هناك ما يدعو للقلق في الظاهر. و بالنسبة للجزء الثاني من الرؤيا (و الذي هو مرعب فيما يبدو) فهو يرجع إلى الأغذية الحارة و غلبة بعض الأخلاط. و الحق أن هذه الرؤيا التي بعض أجزائها موحش تضاهي الرؤيا التي يُراها الرجل لإيقاظه للصلاة؛ و فيها تنبيه و إشعار بفعل الخيرات، فلتكن مطمئن القلب و لا تتوجس خيفة. و لتتصدق على الفقراء بنية دفع البلايا و تتضرع إلى الله تعالى بقولك: إلهي لقد جاء في

الحديث أن الصدقة تردّ البلاء ، فتقبل منّى هذه الصدقة و ادفع عنى كل بلية بواسطة حديث الرسول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

و بما أن الفصل فصل الشتاء فلتوزع على الفقراء ما تيسر من الأردية و البطانيات بنية دفع البلايا. بارك الله فيك و أمد فى عمرك.

هذا و أقرأ " أية الكرسى " مرة مرة و سور القرأن الثلاث الأخيرة ثلاثا ثلاثا فى كل صباح و عند النوم تكن مأمونا بإذن الله تعالى. و السلام ".

و يقول فى جزء من رسالة طويلة:

" من واجبات طريق الحب ذكر الله دائما و التبتل إليه، و العيش عيشة عادية، و شكر الله باللسان على نعمه و آلائه و الرجوع إليه عند الحاجات بواسطة أولياء الله الكبار. و من المحرمات الاغتياب و النميمة و الكذب و التصدى لعيوب الناس و تحقير الرجال.

و من آداب طريق أولياء الله أن تعامل الجميع معاملة الإكرام و تعتقد نفسك حقيرا و ضيعا، و تحسب الله عليما و بصيرا يراقب كل حين أعمالك و تصرفاتك، و تشفق من خشية الله و عذابه و تظن ذنوبك كأنها جبل فوق رأسك و تخشى كل لحظة ما سيحدث غدا، و تتواضع مع خلق الله و تؤدى حقوق غيرك و تصفح عن حقوق نفسك.

و يجب كذلك أن لا تغفل لحظة و تعيش مع الاعتراف بالضعف و العجز و مع لواعج الحب و الهوى و تلتزم التوكل و الاستسلام و الرضاء بقضاء الله و قدره. و أخيرا أدعوالله أن يوفق هذا الشيخ الضعيف و سائر الأحبة بما كتبت".

و كتب إلى الشيخ شاه سيف الرحمن المجددى (٤) و الشيخ شاه عبد الرحمن المجددى الجالندرى (٥) يقول :

السيد سيف الرحمن و السيد عبدالرحمن من أولاد الذوات و سلالة الأولياء ! تحية طيبة و بعد:

لم أطلع على أحوالكما منذ مدة فلتكتبا إلىّ أوضاعكما دون تأخير، و ينبغى أن يحضر السيد عبد الرحمن لدىّ هنا فى دهلى. و ليكن ملحوظا أن الطالب الذى لا يحظى بدوام الحضور و الاطلاع يخرج عن الطريقة، فيجب أن تكونا خائفين كل حين من الحرمان من الطريقة". و السلام.

و كتب فى رسالة إلى الخواجا حسن المودودى (٦) :

" تحية و احتراما. و بعد:

فأنا متمتع بالصحة و الشفاء بفضل الله تعالى، و أرجو أن تكونو مع الخير و السلامة. لقد بين مؤلف " *آداب المريدين* " فى كتابه جميع تلك الأمور التى التزامها ضرورى للصوفية بطريق أفضل. و أدعو الله أن يوفق هذا الضعيف أيضا للعمل.

و فى هذا العصر الذى تقاصرت فيه الهمم و تفشت البدع و الأمور

المتنافية مع الشريعة، لا بد من الارتباط بشيخ و مرشد يحمل المواصفات التالية.

أن يكون عالما بالعقائد على قدر الحاجة، مطلعا على علم الفقه و علم الأخلاق للصوفية، يعمر أوقاته بالصالحات و يعتاد الزهد و الانزواء. و أن يكون لصحبته تاثير خاص، فيلهب القلوب و يهز أوتارها إن كان جشتيا، و يعكس على القلوب نسبة المحبوبية إن كان قادريا، و ينور النفوس بالحضور و الإنابة و العواطف و الواردات إن كان نقشبنديا، و يمكنّ المريد من قطع مراحل " عالم الأمر " و " عالم الخلق " إن كان مجدديا.

أما المريد فهو يحتاج إلى التوفيق الإلهى أولا، ثم يجب عليه أن يترك النقاش و الجدال و المحاجة، كما يجب عليه – بعد الحصول على قدر كاف من علم الإيمانيات و الأعمال – أن يتبع شيخه (شريطة أن يكون الشيخ فائزا بالقدر اللازم من العلم و العمل و زاهدا فى الدنيا و ملذّاتها، و إلاّ لكان كل مسنّ شيخا) فى أمور الطريقة و الأعمال الظاهرية و الباطنية مادام كان متقيدا بالشريعة، و يجب كذلك الاجتناب من أصحاب اللهو و الغفلة، و توزيع الأوقات على الأعمال الصالحة، و المداومة على الذكر و الإنابة، و إحياء الليل، و الاستيقاظ من النوم وقت السحر مبكرا، و ذرف الدموع من عين الحب. و من الأمور اللازمة أيضا التقليل من الكلام و المنام و الطعام، و الانقطاع عن الدنيا و الزهد فيها، و التزام الصبر و القناعة، و التوكل على الله، و الرضاء بالقدر.

وا حسرتا على من أوشك عمره على الانتهاء و لم يفعل ما كان يجب عليه فعله و أضاع حياته فى العطالة و البطالة. (رَبِّ إنى مَسَّنى الضُرّ وَ أنْتَ أرْحَمُ الرّاحِمِينْ.)

و أرجو من الشيوخ أن يبدلوا حزنى سرورا و راحة عن طريق الدعاء و الاستغفار لى. جزاكم الله خير الجزاء."

و فى رسالة أخرى إلى الخواجا حسن المودودى يقول:

" إن الله تعالى يهب البعض موهبة إدراك الكشف، و البعض الآخر إدراك الأحوال. أما أنا فلا أتمتع بالكشف بسبب ظلمة الاستعداد، غير أننى قد أكرمت بالوجدان و الذوق. و إن النعم المتواصلة المتكاثرة التى أنعم بها علىّ المنعم الحقيقى لتفوق الشكر و الحمد و المدح و الثناء. و أرجوكم أن تنصرونى بالدعاء لى بدوام العافية و حسن العاقبة.

و أوصى أنجالكم – بعد التحية المسنونة – أن يراقبوا أحوالهم و يواصلوا الاشتغال بكسب العلوم، و يعمروا أوقاتهم بالأذكار على غرار آبائهم، و أن يسعدونى بالدعاء بالخير و الاستقامة.

يجب عليكم أن تؤكدوا على أبنائكم بصرف الأوقات فى كسب العلوم و القيام بالأذكار و الوظائف، و أن لا تستسيغوا أى ترخيص أو مجاملة فى هذا الخصوص. لقد كان الشيخ مودود الجشتى – قطب الأقطاب – حفظ القرآن

و عمره سبع سنوات، فاتباع الآباء لازم. و السلام.

و كتب إلى الشيخ شاه رؤوف أحمد المجددي مدون هذه الرسائل يقول :

تحية مسنونة. و بعد:

فقد وصلني خطاباك مع كتاب "*مراتب الوصول*"(٧) فجزاك الله خير الجزاء. إن محتويات الكتاب بعثت في نفسي سرورا كبيرا، و أدعو الله أن يجعله مباركا نافعاً و وسيلة إلى نشر الطريقة المجددية.

يجب أن تكون منقطعا عن الجميع، منصرفا إلى الله، مشغوفا بحبه مع الصبر و الاستقامة. أنا راض عنك غاية الرضا، و أرجو الله أن يسعدك في الدارين و يسعدبك أرواح المشائخ الكرام. كما أدعو لطالبي الحق اللذين لديك بأن يصفي الله قلوبهم و يزكي نفوسهم. و يجب أن لا تنسني في دعواتك، كما يجب أن تضع نصيبا للفقراء من الهدايا التي تصلك، و أن يكون الفقراء - الذين هم جلساء الله - جلساءك. و أرجو أنك تكون تهتم بإلقاء دروس التفسير و الحديث و الفقه و الرسائل الشريفة و كتاب "*عوارف المعارف*" و "*التعرف*" و "*النفحات*" في حلقتك، و بأداء سجدات الحب و التعظيم و الخشوع لحضرة الباري، جل مجده في بعض الأحيان. و اذكر هذا الفقير الحقير في الخلوات الخاصة. و أكرر أن مطالعة رسالة "*مراتب الوصول*" قد أثلجت صدري. أظهر الله محتويات الرسالة فيك أنت و مريديك و سائر الطالبين، و وهبك كل ماوهب آبائك. و السلام عليكم و على من لديكم".

و جاء في رسالة له إلى الشيخ شاه أبي سعيد المجددي و الشيخ شاه أحمد سعيد المجددي:

" سلام الله عليكما. و بعد: تسلمت رسالتين منكما و اطلعت على محتواهما الذي كان يتعلق بالأعمال التي تعمران بها أوقاتكما. وفقكما الله للمزيد و أكرمكما باتباع المشائخ في الأعمال. يجب أن تمعنا النظر في إدراك أحوال منسوبيكما، و أن تشددا مراقبتهم.

إن أنوار النسبة تتحقق بعد مدة طويلة، و نتيجة لهذا التحقق يتحسن خلق المرء و يتاح له أن يعيش لله و يرضى برضاه من غير تعليل و تأويل، و تحصل له النية الصالحة و القلب الحزين و الصدر الخالي من الحقد و الحسد. يجب على الطالب أن يحزن لأعماله السابقة التي قام بها من غير نية صالحة و خلق حسن، و أن يهمه أمر المستقبل الذي يكنّ له مالا يدريه. و الصدر الخالي من الحقد و الحسد لا يحصل بدون الإيمان بالقدر". (ثم بين الشيخ دقيقة بليغة من دقائق التصوف و أردف يقول):

" معاذالله ! لماذا كتبت هذه الدقيقة التي لا تليق إلا بالشيوخ و كبار الزهاد؟ مالي و للمعارف و الدقائق؟ لقد ضيعت الوقت فاصفح عني.

" قال شيخي و مرشدي (الميرزا مظهر جانجانان): من كانت سرعة سيره متوسطة، تحصل له مقامات مجدد الألف الثاني في ١٠ سنوات، و كان

المولوى غلام يحيى البيهارى (٨) قد قطع نصف مراحل السلوك فى خمس سنوات. و غرضى من ذكر ذلك هو أن أخذ الحيطة لازم فى هذا السبيل، و لا ينبغى أن تعطى الإجازة لطالب لم يتمّ مراحل السلوك بعد، فيميل إلى الانحراف و الزيغ، و يكون زيغه هذا حجة لمنكرى الطريقة. و السلام".

و يقول فى رسالة له إلى الخواجا حسن المودودى اللكنوى عن الشيخ شاه أبى سعيد :

" إن حضرة الحافظ أبى سعيد المجدى نزيل بمدينة " لكناؤ " هـــذه الأيام، و قد كتبت إليه أن يمثل بين يديكم. إنه كان قد تلقى لوناً من النسبة الجشتية من الشيخ شاه درجاهى (٩) أولاً ، و كان يتحدث و يكتب حول التوحيد المتداول (أى التوحيد الوجودى) ثم جاء إلى هذا الفقير من أجل اكتساب النسبة المجددية. آه، آه ! أين أنا من هذه النسبة العالية؟ إننى أُعطيت البلل فحسبُ من الأنهار، و للأسف أن بختى لم يحظ إلا بالبلل. و كيف يمكن لمن أعطى بللا من الأنهار فحسب أن يسقى و يروى الآخرين.

و خلاصة القول إن الشيخ أبا سعيد الذى نال نصيبا وافرا من أنوار النسبة المجددية سوف يتشرف بلقائك. و صحبة أهل الباطن تكون مع السكوت و انعكاس أنوار الباطن، بينما مجلس العلماء يدور فيه المحادثات العلمية. إن الشيخ أبا سعيد ملىء بمعارف مجدد الألف الثانى بناء على وجدانى و كشفى، و باطنه مشرق بنور نسبة حضرة المجدد. أما أحوال الفقير فهى ستبلغك على لسانه. و السلام."

و يقول فى رسالة بعثها إلى ميان محمد حسن.

" منذ أربعين عاما أو أكثر و أنا أقضى حياتى فى الخلوة صابرا قانعا كابحا جماح النفس و معتزلا عن الخلق، و تمر الأيام مع العافية و الرخاء بدون تعيين منحة من قبل أحد، فالحمدلله على ذلك. يجب أن لا تذكر لـ نواب أمير الدّولة والى " تونك " شيئا فى خصوص إعانة الزاوية، لأنى لست راضيا بقبول معونته، خشية أن يخل ذلك بما اعتدنـــــاه طوال الحيـــاة من الفقـــر و القناعـة و الصبر و التوكل. إن عرض الحاجة فى نهاية العمر أمام من هو محتاج بنفسه يتنافى مع غنى الفقراء و الصوفية. و السلام".

و كتب إلى غلام محمد خان عن الشيخ شاه رؤوف أحمد المجدى (مدون هذه الرسائل):

" أنا لم أسعد بتسلم رسالة منكم منذ مدة طويلة، فأرجو أنكم ستكتبون إلىّ أحوالكم، لقد حصل الشيخ رؤوف أحمد الذى يحمل مواهب شتى على الخلافة و الإجازة بعد أن تلقى الطريقة على الفقير بعون الله تعالى، و رؤى من المناسب أن يعمل الشيخ رؤوف أحمد فى منطقتكم و يقوم بترويج الطريقة هناك، فعليكم أن تتلقوا منه الطريقة إذا سمح لكم الوقت بذلك. و أدعوالله أن يجعل قدومه إلى المنطقة مبعثا للخير و البركة. و السلام."

و يقول في رسالة أخرى إلى " غلام علي محمد خان " المذكور:

" وصلتني رسالتكم الكريمة السارة و اطلعت على محتوياتها. و كنتم قد طلبتم مني الدعاء و الابتهال إلى مجيب الدعوات فلبيت طلبكم، و سأقوم في المستقبل أيضا بالابتهال إلى ذلك الوهاب الذي يعطي من غير منّ و أذى. إنه تعالى جواد كريم. و ليس تحقيق الغايات في الدارين إلا قطرة من بحر عطائه و زهرة من حديقة آلائه. أرجو الله تعالى أن يمتعكم بالنجاح و الطمأنينة".

و كتب إلى منورخان حاكم " سرونج " يوصيه بالاستفادة من الشيخ شاه رؤوف أحمد المجددي قائلا:

" لقد مضت سنوات و لم تخبرني بأحوالك، مع أن الصداقة تقتضي أن تكتب إليّ أحوالك باستمرار. إن الشيخ " رؤوف أحمد " الذي له صلة و علاقة معك، قد نال الإجازة بعد أخذ الطريقة و تلقي السلوك من هذا الفقير، و هو سيصل إليكم عما قريب. فمن أخذ عنه الطريقة يعتبر سعيدا. و عليك أن تحضر لديه بانتظام من أجل الاستفادة. و اقرء مني السلام على سائر الأصدقاء".

كما كتب إلى شاه عبداللطيف فيما يتعلق بالشيخ شاه رؤوف أحمد يقول :

" تحية مسنونة و بعد:

فقد وصلتني رسالتك و سرتني. أبقاك الله مع أعطافك و مكرماتك. و أرجو منك الدعاء لي بحسن العاقبة و دوام العافية و سلامة الإيمان و المغفرة. إن الشيخ ميان رؤوف أحمد – سلمه الله تعالى – قد تلقى الطريقة مني و نال الإجازة و الخلافة، و قد وضع الله في صحبته أثرا كبيرا. و نحن قد أرسلناه إليكم لكي يستفيد منه الطالبون. راجيا من الله أن يصدق ظني فيه. و السلام".

و يقول في رسالة بعثها إلى شاه أبي سعيد المجددي :

" بالأمس تسلمت خطابك الذي رفع الانتظار. و قد سبق أن بعثت إليك مظروفا يحتوي على ثلاث رسائل، إحداها رسالة تعزية إلى أنجال الشيخ سراج أحمد(١٠) في وفاة و الدهم، و الثانية موجهة إلى الشيخ فضل إمام (١١) (الخيرآبادي)، و الثالثة إلى المولوي بشارة الله (١٢). و أرجو أن ذلك المظروف يكون قد وصل إليك. إن أحدا قد كتب إليك خطأ أنني ساخط عليك فاعلم أني لست ساخطا عليك. معاذالله ! لماذا أغضب عليك و ليس هناك ما يدعو إلى ذلك؟ و بالنسبة لسؤالك عن المجيء إلى دهلي أو عدمه و عن الاقامة في رامبور أو دهلي أو لكناؤ فاعمل بما يطمأن به قلبك، فإن الهدف الحقيقي هو ذكر الله و كفى. و السلام."

و جاء في رسالة أخرى بعثها إلى الشيخ شاه أبي سعيد المجددي :

" لقد سرني وصول رسالتك التي أودعتها أحوال باطنك و كيفيات قلوب

الطالبين. فالحمدلله على ذلك، و أدعوالله أن يبلغك إلى أقصى مدارج هذه الطريقة مع كمال الاستقامة و ينشر بواسطتك أنوار النسبة الشريفة، و أن يجعلك - على غرار آبائك - ذريعة إلى هداية الأمة. إننى أرد على رسالتك كل مرة بدون تأجيل، و لا أدرى لماذا لا تصل رسائلى إليك فى لكناؤ .

قبل أيام وردتنى رسالة من الشيخ خالد - سلمه الله تعالى - تبشر بإحرازه تقدما ملموسا فى النسبة الباطنية. و قد علمت من خــلال رسالتـه - و كذلك بواسطة الحاج حسن الذى ورد من منطقته - أنه قد قام بنشر الطريقة على نطاق موسع، و أن له تأثيرا قويا فى بلاد الروم و بغداد، و أن خمس مائة عالم متبحر يتلقون عنه الطريقة، كما اطلعت على كثرة خلفائه و مدى ورعـه و تقواه و إخلاصه، و كل ذلك قد أثلج فؤادى، و يجب أن تفرح أنت أيضا بهذه النعـم التى أنعـم اللّـه بها علينـــا. و لتبعـث إلىّ تفسيـــر البيضـــاوى و " تنزيل المدارك " و " الخير الجارى " و جزءا من كتاب " النهاية " بعد نسخها، و كذلك الكتب المتاحة الأخرى. و أرجو منك الدعاء لهذا الفقير بسلامة الإيمـــان و سعادة الدارين.

لقد مضى جزء من رمضان المبارك مع غايـة من الضعف فــى القلــب و الدماغ، و الباقى فى طريقه إلى الانقضاء. أصلح الله عاقبتى. و اقرأ منى السلام على المشائخ. و أرجو أن أحمد سعيد - أسعده الله سبحانه - يكون ظافرا بكمالات الظاهر و الباطن".

و يقول فى رسالة إلى الشيخ شاه أبى سعيد المجددى :

" تسلمت خطابك المؤرخ ١٩/ محرم الحرام (والذى كتبته من لكناؤ) فى ١٩/ صفر المظفر، و اطلعت على محتوياته. و قد ذكرت انتشار الوباء فى منطقتك، فأدعو الله أن يحفظ سائر المسلمين من هذا البلاء. و ليداوم الناس على ترداد " آية الكرسى " و السور الثلاثة الأخيرة ثلاثا ثلاثا فــى كل صبـــاح و مساء و عند المنام، فسوف يأمنون بإذن الله تعالى. و تذكروا أن الحياة جدّ غنيمة لكسب الحسنات.

قبل ٢٣ يوما توجه المولوى بشارة الله إلى لكناؤ . أوصله الله مع الخيـــر و السلامة. كان مقيما لدينا منذ سنة واحدة، و خلال ذلك ظل مريضا مرة لشهر واحد و أخرى لشهرين، و قد غادر إلى لكناؤ و هو ضعيف هزيل على طلب شديد من أقربائه. صانه الله من جميع الآفات. و لتبلغ منى السلام إلى سائر الأحباء: الشيخ أحمد سعيد، و أمين أحمد، و المولوى مرادالله (١٣).

و قد غادر الأخ قمرالدين (١٤) قبل شهر واحد و ثلاثة أيام إلى بشاور بعد الحصول على الخلافة و الإجازة ابقاه الله مع الخير و العافية و جعله للمتقين إماما.

و كتب فى رسالة إلى شاه رؤوف أحمد المجددى مـــدون هذه الرسائل يقول :

" من الفقير غلام على - عفى عنه - إلى صاحب المكانة العاليـــة الأخ رؤوف أحمد سلمه الله تعالى.

تحية مسنونة و بعد:

فقد سبق أن أرسلت الرّد على خطابك، و أرجو أنـــه يكون قد وصل إليك. و بالنسبة للكتب فنحن لا نستطيع شراءها. و إن كنت تنوى القدوم إلينا فلتستحضـر الله بالطريقة المسنونـــة قبل الخروج، و لتكن ذاكـرا لله معرضا عما سواه. و يجب أن تذكر فى رسائلك أحوال باطنك و مدى تاثيرها فى الطالبين. و السلام".

و يقول فى رسالة موجهة إلى الشيخ شاه أبى سعيد المجدى :

" من الفقير غلام على - عفى عنه - إلى الأخ الكريم العريق فى المجد الحافظ أبى سعيد سلمه الله تعالى.

بعد التحية المسنونة، فقد وردتنى منك ثلاث رسائل و اطلعت على محتوياتها، و أرسلت جواب إحداها بواسطة السيد عمر الذى يقيم فى شاهجهانبور، و أرجو أن الجواب قد وصل إليك بفضل الله تعالى. و ينبغى أن تقيم لدينا فترة من الزمان، فإن أحدا لا يدرى ما هو قضاءالله. لقد قدم إلينا الشيخ سيف الرحمن أحمد من مدينة جالندهـــار رغم ضعفـه و شيخوختـــه، و لا هدف له إلاّ تعلم الطريقة. متّعه الله بفيض الباطن فى أسرع وقت. و قد ارتحل المولوى بشارة الله جيو من هنا، كما غادر الأخ جليل الرحمن (١٥) إلى سرهند، و هكذا غادر ١٢ شخصـــا إلى مناطقهـــم خلال يومـين. حرسهـم الله و شملهم برعايته. و سلّم منا على أبنائك و والدك الكريم(١٦).

و فى رسالة يوصى الشيخ شاه أبا سعيد المجدى بتجنب صحبة الأغنياء قائلا:

تحية مسنونة و بعد:

" فقد اطلعت من خلال خطابك على أحوالك. و العجيب أنك غادرت وطنك رامبورو اشتغلت بوظيفة لدى حاشية الأمير نصر الله خان. إن ذلك لا يليق بشأنك و مكانتك، و فيه خزى و فضيحة من غير فائدة. و بالنسبة لمراعاة خاطر الوالدة الكريمة فينبغى أن يكون ذلك يوما أو يومين لا أياما طوالا. لقد كان فى رامبور عدد كبير من مريديك فلتبق هناك، و إلاّ فاقصد دهلى التى هى موطن الشيوخ. و إذا كنت تريد الإبقاء على حرارة باطنك و حرارة قلوب الآخرين فلامكان أفضل من دهلى. إن الله تعالى هو الرزاق فى كل مكان، و هذا العبد الضعيف لم يمت هنا جوعا و فاقة رغم كثرة المنكرين و الجاحدين، و فى ذلك صدق لما وعد به الله. و السلام".

و للبحث صلة ....

تعريب : أسعد الأعظمي

الهوامش :

١ - هو من أنجال الشيخ - شاه أبى سعيد المجددى ". اكتسب الفيوض من الشيخ شاه غلام علي و نال الخلافة و الإجازة من أبيه. هاجر إلى المدينة المنورة إبان ثورة عام ١٨٥٧م، و توفى سنة ١٢٧٧هـ و دفن فى جنة البقيع

٢ - هو الشيخ شاه رؤوف أحمد بن شاه شعور أحمد المجددى ولد فى رامبور سنة ١٢٠١هـ و تلقى التعليم من المفتى شرف الدين و الأساتذة الآخرين فى رامبور، و أخذ الحديث عن الشيخ شاه عبدالعزيز و من عمه الشيخ شاه سراج أحمد كان من خلفاء الشيخ شاه غلام على، الذين كان المرشد يثق فيهم ثقة زائدة و يعتزّ بهم اعتزازا يشوبه الحب. نال الإجازة و الخلافة فى سنة ١٢٣١هـ و تاقت نفسه إلى زيارة الحرمين الشريفين فى بداية سنة ١٢٥٢هـ فلبس الإحرام من " بوفال " و لما وصلت باخرته إلي ميناء " الليث " فى السابع و العشرين من ذى القعدة سنة ١٢٥٢ هـ انتقل إلى رحمة الله فى حالة الاحرام فدفن هناك . كان - رحمه الله - أديبا و شاعرا كبيرا فى اللغة الأردية و مؤلفا لعدة من الكتب أشهرها تفسيره للقرآن الكريم المعروف بـ " تفسير رؤوفى "، و الجواهر العلوية، و مراتب الوصول، و در المعارف و هو الذى دون رسائل الشيخ " شاه غلام على أيضا.

٣ - كان ممن نال الإجازة و الخلافة من الشيخ - شاه غلام على، و قد خلف شيخه بعد وفاته. توفى فى يوم عيدالفطر سنة ١٢٥٠هـ و ضريحه بجوار شيخه فى دهلى

٤ - يتصل نسبه بمجدد الألف الثانى (الشيخ أحمد السرهندى) بواسطة الشيخ سيف الدين، و كان من مريدى الميرزا مظهر جانجانان الشهيد (من ضميمة كتاب " مقامات مظهرى " لمؤلفه الشيخ المحدث " شاه عبدالغنى المجددى الفاروقى المهاجر إلى المدينة المنورة ط المطبعة المجتبائية بدهلى).

٥ - كان الشيخ شاه عبد الرحمن المجددى الجالندرى من أنجال الشيخ " شاه سيف الرحمن المجددى " و من خلفاء الشيخ شاه غلام على، و كان منقطع النظير فى حسن الخلق، فكان أهالى البنجاب مولعين بخلقه النبيل، و كان مريدوه فى عدد كبير. قام بأداء الحج و عاد إلى وطنه جالندرفى المرة الأولى، ثم غلبه الشوق إلى الحرمين الشريفين فحجّ مرة ثانية، و توفى إبان عودته من الحج سنة ١٢٥٨هـ فى قرية من بلاد السند

٦ - كان الخواجا حسن بن ابراهيم اللكنوى من سلالة الشيخ مودود الجشتى و شيخا كبيرا من شيوخ السلسلة الجشتية ولد فى مدينة " فيض آباد " و نشأ فيها، ثم اقتطن فى لكناؤ ونال خلعة الخلافة من عمه الشيخ على أكبر كان من البارعين فى فلسفة التوحيد الوجودى، و كان يلقى دروس " فصوص الحكم " و " الفتوحات المكية ". له مؤلفات كثيرة منها " لطائف أكبرى " الذى دون فيها أقوال شيخه. توفى فى " لكناؤ " سنة ١٢٤١هـ (نزهة الخواطر. ج ٧)

٧ - يعتبر كتاب " مراتب الوصول " من الكتب القيمة الجليلة فى التصوف و السلوك النقشبندى، و قد كنت رأيت مخطوطا له فى المكتبة الآصفية بحيدر آباد لأول مرة بصورة خاطفة، و لا أدرى هل طبع أم لا

٨ - كان العلامة غلام يحيى البيهارى بن نجم الدين من أجلة علماء المنطق و الفلسفة. ولد فى قرية من قرى ولاية " بيهار " تسمى " بارا ". و لما بلغ رشده قدم إلى " سنديله " بغرض التعليم و قرأ على الشيخ باب الله الجونبورى فى المدرسة المنصورية، و بايع الشيخ بدر عالم

السادامودي. ثم قدم إلى لكناء للتدريس، و علّق على " رسالة مير زاهد "، ثم سافر إلى دهلي و بايع الشيخ الميرزا مظهر جانجانان، و مكث لديه خمس سنوات و نال الخلافة و الإجازة. و قد كتب الحاشية على كتاب " حمدالله " شرح " سلم العلوم " أيضا. و له تاليف باسم " كلمة الحق " الذي رد عليه الشيخ شاه رفيع الدين دهلوي بكتاب اسمه " دمغ الباطل " توفي العلامة غلام يحيى في لكناؤ سنة ١١٨٠هـ و دُفن بزاوية الشيخ شاه بير محمد اللكنوي (نزهة الخواطر ج ٦ ، نقلا عن كتاب البحر الزخار)

٩ - ولد الشيخ " شاه درجاهي النقشبندي الرامبوري، في بلدة " تخت هزاره " بولاية البنجاب سنة ١١٦٢هـ و تاريخ ولادته هو " معدن فيض حق ". كان قد خرج من بيته في أيام الطفولة إلى الصحاري يجوبها و يتجول فيها، و في صحراء " بدايون " بايع الحافظ جمال الله الرامبوري على ضريح " سلطان التاركين "، و منه نال الخلافة. و يتصل " شاه درجاهي " بالخواجا محمد زبير المجددي بواسطتين. و كانت تغلبه كيفية " الاستغراق " و كان لا يلتقي بالأغنياء. توفي سنة ١٢٢٦هـ و ضريحه في " رامبور " (نزهة الخواطر و ضميمة " مقامات مظهري") و يذكر أن الشيخ شاه أبا سعيد المجددي كان قد بايع والده الشيخ شاه صفي القدر أولا، ثم بايع الشيخ " شاه درجاهي " بإذن والده. و قد عني " شاه درجاهي " بالمريد عناية خاصة و أكرمه بالإجازة و الخلافة. و كان الشيخ شاه أبو سعيد قد تولد في مزاجه الحماس و الاضطراب لحد الكمال حتى ذلك الوقت، فبدأ الناس يبايعونه في عدد كثير، و كان يقيم حلقات تنشأ فيها كيفيات الإغماء و الوجد ثم قدم دهلي طلبا لله، و كانت دهلي آنذاك مركزاً لأهل العلم و أهل التقوى، و كان القاضي ثناءالله الباني بتي على قيد الحياة آنذاك، فكتب الشيخ شاه أبو سعيد المجددي إلى القاضي المذكور يستشيره في انتخاب المرشد الثاني، فأشار عليه القاضي بأنه ليس أحد خيرا لك من الشيخ غلام علي في هذا الوقت، فدخل على الشيخ غلام علي و حظي بالقربى و الزلفى لديه، و قد ظل يحترم مرشده الأول (شاه درجاهي) دائما، و كان يقول. كان المرشد الأول متعضا مني بعض الشيء في البداية، لكن هذا الامتعاض كان قد زال فيما بعد (ضميمة)

١٠ - هو الشيخ العالم المحدث سراج أحمد بن مرشد بن أرشد العمري السرهندي. كان من سلالة مجدد الألف الثاني. ولد في " سرهند " و تعلم على والده، ثم قدم " رامبور " مع والده، ثم غادر إلى لكناؤ، و هناك توفي سنة ١٢٣٠هـ و دفن في " رامبور " بجوار والده. له تأليفات جمة، بما فيها شروح صحيح مسلم و جامع الترمذي و سنن ابن ماجة باللغة الفارسية (نزهة الخواطر ج ٧) و كان رحمه الله خالا للشيخ شاه أبي سعيد (ضميمة " مقامات مظهري ")

١١ - هو العلامة فضل امام بن محمد ارشد العمري الحنفي الهرجامي ثم الخيرابادي، و هو من أشهر البارعين في المعقولات.. له رسائل عديدة منها رسالة " المرقاة " في المنطق، التي هي مدرجة في مقررات المدارس العربية. كان يقوم بالتدريس في دهلي، و كان ابنه العلامة فضل حق الخيرابادي عالما جليلا ذا مواهب كثيرة. و قد علم من هذه الرسالة (المذكورة في المتن) أنه قد أقام في لكناؤ أيضا. و توفي في مدينة خيراباد سنة ١٢٤٣هـ (نزهة الخواطر ج ٧)

١٢ - هو الشيخ بشارة الله البهرانشي ابن أمانة الله. ولد في مدينة " بهرانش "، و كان من ذرية الشيخ " بدهان البهرانشي ". تعلم على عمه و شيخه الأول الشيخ نعيم الله البهرانشي، ثم ذهب إلى دهلي و أتم دراسة العلوم العقلية لدى الشيخ فضل إمام الخيرابادي، و قرأ الحديث على الشيخ شاه عبدالقادر، و كان يشارك في دروس الشيخ شاه عبدالعزيز أيضا. بايع الشيخ

شاه غلام علي و قطع لديه مدارج الطريقة النقشبندية و عُدّ من خلفائه الذين يُفتخر بهم. توفي في "بهرائش" سنة ١٢٥٤هـ (ضميمة نزهة الخواطر ج ٧)

١٣ - هو الشيخ مرادالله العمري التهانيسري. كان قد قدم دهلي مع والده، و صاحب الشيخ الميــرزا مظهــر جانجانان. و بعد استشهاد الشيــخ جانجانان و دمار بلدة "تهانيســر" إبان "فتنة السيخ" قدم لكناؤ و هو شاب، و بايع الشيخ شاه نعيم الله البهرائشي و أتم الطريقة النقشبندية. و أخيرا خلف شيخه و مرشده بعد وفاته و نفع مدينة لكناؤ و ضواحيها نفعا دينيا ملحوظا. و كان الشيخ أبوالحسن النصيرا بادي و الشيــخ غــلام رســـول الكانبــوري و غيرهما قد تلقوا منه الفيوض الباطنية. توفي سنة ١٢٤٨هـ و ضريحه فــي لكناؤ (نزهة الخواطر ج ٧، و ديباجه ترجمة "معمولات مظهري" لمؤلفه "رحيم الدين طرب دهلوي")

١٤ - كان الشيخ قمرالدين البشاوري من شيوخ الطريقة القادرية و منكري الطريقـــة المجددية، و لكنه قدم دهلي في نهاية الأمر و بايع الشيخ شاه غلام علي و نال منه الإجازة بعد قطع مدارج الطريقة النقشبندية.

١٥ - كان "ميان جليل الرحمن" من خلفاء الشيخ غلام علي و حاشيته الخاصة، و كان يتمتع بعناية خاصة من مرشده، و قد كان جالسا في حلقة الذكر متوجها إلى مرشده المصاب بمرض الوفاة، إذ حمل عليه شقي ليغتاله، فوقع على قدمي مرشده و نال الشهادة، و ضريحه بجوار ضريح مرشده الميرزا جانجانان الشهيد (ضميمة "مقامات مظهري")

١٦ - هو الشيخ شاه صفي القدر بن شاه عزيز القدر. كان من ذرية مجدد الألف الثاني، و كان محدثا و فاضلا متعمقا في العلوم، موهوبا من الناحية الباطنية، ولم يكن له هم سوى مطالعة الحديث و التفسير و القيام بالأوراد و الوظائف. و قد أراد الأمير نصر الله خان الرامبوري أن يعهد إليه بمنصب فلم يقبل . و كان قد غادر من رامبور إلى دهلي، و هناك توفي سنة ١٢٣٦هـ و كان الشيخ السيد أحمد الشهيد و الشيخ اسماعيل الشهيد من المشاركين في جنازته و دفنه مع أقربائه. (ضميمة "مقامات مظهري") يذكر أن ماجاء في كتاب "تذكرة العلماء للناروي - و منه في نزهة الخواطر - من أن الشيخ شاه صفي القدر توفي سنة ١٢٢٦هـ هو خطأ، و أن سنة وفاته هي ١٢٣٦هـ.

الحلقة الثالثة :

ندوة العلماء عبر التاريخ

بقلم : آفتاب عالم الندوى
دار العلوم ندوة العلماء - لكناؤ

النظام التعليمى لدارالعلوم ندوة العلماء :

إن النظام التعليمى العام الذى تحتضنه ندوة العلماء و تدير طبقا له دفتها هو نفس النظام التعليمى السائد فى المعاهد و الجامعات الحديثة المعاصرة ، يبتدأ من الابتدائية بل من روضة الأطفال و ينتهى إلى السنة الأخيرة من الدراسات العليابقسميها الماجستير و الدكتوراة ، و لكن الحكومة لكونها أجنبية و علمانية لم تعترف بهذا النظام كنظام يعادل النظام التعليمى المدنى الرسمى فى البلاد ، و إن كانت دارالعلوم تمثل أحسن منهج و أتمه و أفضله ، و تقوم بتدريس العلوم الدينية بسائر أقسامها و تهتم فى نفس الوقت بتعليم اللغات و معارف الثقافة العامة ، فكان نظامها يوافق نظام التعليم الدينى السائد فى البلاد فى تدريس المواد الدينية فى معاهد التعليم الدينية الإسلامية الأهلية فى جانب ، و يوافق النظام التعليمى العصرى فى المستوى و فى تضمن العلوم الإنسانية الضرورية و اللغات السائدة بقدر الكفاية فى جانب أخر ، و قد كانت دارالعلوم ندوة العلماء بإدخال اللغة الإنجليزية فى مقررها الدراسى أول مدرسة دينية عنيت بتعليم هذه اللغة الإنجليزية فى شبه القارة كلها.

و عنيت دارالعلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم و تدريسه ككتاب كل عصر و جيل و الرسالة الخالدة ، فقررت درس متنه الشريف حرفا حرفا ، لغة نحوا و أدبا و اجتماعا و فقها و كلاما ، هذا ماعدا التفاسير المقررة فى الصفوف العالية ، و قد كان تدريس نصوص كتاب الله تعالى بصورة مباشرة غير سائد فى المدارس الدينية المعاصرة.

ثم إنها أعارت عنايتها الخاصة و اهتمامها البالغ تعليم اللغة العربية قبل تعليم آدابها ، إذ هى مفتاح كنوز الكتاب و السنة ، و مفتاح المكتبة الإسلامية الزاخرة و الرابطة الأدبية فى الشعوب الإسلامية ، و وجهت عنايتها إلى تعليمها كلغة حيّة مـــن لغـــات البشـــر يكتب بهـــا و يتكلم ، لا كلغـــة أثرية دارسة لا تتجاوز الأحجار و الأسفار كما كان الشأن فى الهند ، و عنيت كذلك بتدريس آدابها و موادها بصورة كافية ، و ذلك أيضا مما تميزت به دارالعلوم ندوة العلماء من بين شقيقاتها ، حيث أن المدارس الدينية الأخـــرى لا تعتنى بتدريس آداب اللغة العربية إلا بعض الأساليب الأدبيـــة العربية الخاصة وحدها ، و دعت ندوة العلمـــاء إلى تعليـــم كل مادة دينيـــة مـــن حديث و فقـــه و غيرهما بالطريقة المباشرة بخلاف ما كان سائدا فى النظام التعليمى الدينى المعاصر من مزج المواد بعضها ببعض قد ينافى طبيعة المادة و روحهـــا و مميزاتها ، و ذلك بالنسبـــة إلى علم الحديـــث و علم الفقـــه و العلوم العقلية خاصة ، و لكن النظام التعليمى الذى تزعمته ندوة العلماء تميز بإضافة المواد اللازمة للحياة المتطورة المعاصرة ، و العناية بتدريس اللغات كمادة حية نابضة بالإضافة إلى تدريس نصوص القرآن الكريم بصورة مباشرة مع تدريس المواد الدينية المقررة فى مراكز التعليم الدينى الإسلامية الأهلية الكبرى بصورة طبيعية أصيلة بدون المزج بينها.

و ينقسم التعليم فى دارالعلوم ندوة العلماء إلى الابتدائية و الثانوية ، ثم إلى كليتى الشريعة و أصول الدين ، و اللغة العربية و آدابها ، و إلى معهد عال للدعوة و الفكر الإسلامى.

أما الكليتـــان فالتعليم فى كل واحدة منهمـــا يتم بقسميـــه العالـــى و الدراسات العليا ، و أما فى المعهد العالى للدعوة و الفكر الإسلامى فخاص بالدراسات العليا وحدها ، و قد أنشىء معهد لتربية المعلمين يختص بالمتخرجين من الجامعات الإسلاميـة.

و لغة المقررات الدراسية فى المراحل العالية و الثانوية الأخيرة هى اللغة العربية ، أما لغة التدريس فهى اللغة العربية و الأردية ، و قد يتم استخدام اللغة الإنجليزية فى صفوف الطلبة المغتربين الوافدين من أقطار مختلفة ، مثل الماليزيا ، و الإندونيسيا ، و البورما ، و التبت ، و سرى لنكا ، و فلسطين ، و سوريا ، و أقطار من قارة أفريقيا.

الابتدائية و الثانوية :

مراحل الابتدائية و المتوسطة و الثانوية تحتل أهمية أساسية بما أنها مراحل الدراسة التمهيدية للمرحلة العالية ، فالتزمت دارالعلوم ندوة العلماء فى هذه المراحل الأساسية بأن تعود الطالب على مواظبة الدراسة و الحضور،

و أن لا تثقل عليه بكثرة المواد ، بل نهجت فى ذلك منهجا يتفق مع روح التعليم و طبيعة الطالب الحرة ، فمواد الدراسة فى معاهد الابتدائية و المتوسطة و الثانوية لدارالعلوم ندوة العلماء و فى المعاهد الأخرى التابعة لها من المدارس و المعاهد المنتشرة فى أنحاء الهند كما يلى:

(الف)المرحلة الابتدائية، مدة الدراسة سنتان :	التوحيد ، تحفيظ القرآن الكريم ، أحكام عامة من الدين ، مبادئ اللغة الأردية ، مبادئ الدين الإسلامى و العقيدة ، قراءة الألفاظ العربية ، الخط و الحساب.
(ب)المرحلة الابتدائية ،مدة الدراسة أربع سنوات :	تعليم القرآن ، تجويد القرآن ، اللغة الأردية ، و مبادئ اللغة الهندية ، الخط و الإملاء ، الحساب ، العقيدة ، الأخلاق و الأعمال و العبادات ، معلومات عامة عن التاريخ و الجغرافيا و صحة البدن و الزراعة ، و اللغة الإنجليزية.
التعليم المتوسط و الثانوى ، مدة الدراسة خمس سنوات :	تتلخص هذه المرحلة من أهم مواد الثانوية العامة مما تؤهل الطالب الفائز شهادة المدارس الأجنبية للانضمام فى عالمية دارالعلوم ندوة العلماء ، فيضاف إلى المواد السابقة اللغة الإنجليزية و اللغة العربية و قواعد اللغة العربية و الفارسية ، و مبادئ العلوم الكونية و الكيمياوية و العلوم الإنسانية مع حذف بعض المواد السابقة مثل اللغة الهندية الوطنية و غيرها فهى كما يلى : النحو و الصرف ، اللغة العربية ، قواعد اللغة العربية ، الإنشاء و الترجمة ، الخطابة ، النصوص الأدبية ، الحديث ، السيرة النبوية ، الفقه ، تجويد القرآن الكريم، ترجمة القرآن الكريم ، التاريخ الإسلامى ، الجغرافية العامة جغرافية البلاد الإسلامية، اللغة الفارسية، اللغة الإنجليزية ، الحساب و المعارف المدنية.

و تلتزم ندوة العلماء بأن لا تثقل على الطالب فى شأن اللغات ، فلا تزيد على لغتين فى وقت واحد ، و تمتد دراسة اللغة العربية إلى أطول مدة من بين اللغات الأخرى فى المنهاج الدراسى ثم اللغة الإنجليزية ، و ذلك بالإضافة إلى الاهتمام باللغة الأردية التى تعد بمثابة اللغة الأم للملتحقين بدارالعلوم ندوة العلماء.

التعليم العالى :

التعليم العالى و هو مرحلة العالمية التى تعادل درجة الليسانس فى الجامعات العصرية ، و مدة التعليم فيها أربع سنوات و ينال المتخرج منها شهادة العالمية ، و يلتحق فى السنة الأولى منها من يحمل شهادة الثانوية للمدارس المعروفة لدى ندوة العلماء أو بعد النجاح فى اختبار يؤديه الطالب قبل الالتحاق.

و قد جمعت دارالعلوم ندوة العلماء فى مناهجها للتعليم العالى بين مواد الشريعة الإسلامية و بين مواد اللغة العربية مع شىء ضرورى من المواد الثقافية و المدنية أيضا، فكثرت بذلك المواد على الطالب و لكن ندوة العلماء لم تر من ذلك مناصا لأمرين :

١- إن المثقف الدينى المسلم الذى يعيش فى بيئة الحيـاة المعاصـرة ذات ألوان متعددة من الثقافات لا يستطيع أن يبنى حياته على مستوى علمى و ثقافى مرموق إلا إذا تحلى بالاكتفاء العلمى فى مجالات الحياة المختلفة.

٢- لا يقرر المجتمع المسلم بالفضل و التقدير لطالب ليست له معرفة جيدة بعلوم الشريعة و لا يحتل مثل هذا الطالب مكانة لائقة فى المجالات الشعبية الإسلامية التى هى مفتوحة للشباب المسلم الذى تخرج فى الجامعات و المدارس الإسلامية الشعبية غير الرسمية ، كما أن التغلب على مشكلة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يتطلب العناية الهامة بمواد العلوم العربية كذلك يتطلب فهم المواد الشرعية و تذوقها أن تكون لدى الطالب معرفة جيدة بالعربية و الشعر الجاهلى و الأدب الإسلامى الملتزم.

فتحتم ـ نظرا إلى ذلك كله ـ على المعنيين بدارالعلوم ندوة العلماء أن

يضعوا للتعليم العالى منهجا دراسيا يتمكن به الطالب تحقيق حاجته إلى مواد الشريعة و أصول الدين و الأخذ بحظ وافر من معارف القرآن و السنة و الفقة الإسلامى و المعرفة بالمواد اللغوية و الأدبية و البراعة فى تفهم النصوص و إساغتها حتى يتسنى له الالتحاق بعد ذلك فى أى تخصص من التخصصات فى التفسير أو الحديث أو الفقه أو اللغة العربية و آدابها ، و بذلك تمت معالجة هذه المشكلة و ظهرت لها نتائج مبشرة ، و قد سميت الكلية التى تدرس فيها هذه المواد المشتركة "كلية الشريعة و أصول الدين".

أما ما يسمى بكلية اللغة العربية و آدابها فهى تتضمن نوعين من المواد:

١- نوع مشترك ، و المواد المقررة فيه كمواد السنتين الأولى و الثانية فى الشريعة ، و هى خاصة بالوافدين الذين لا يتقنون اللغة الأردية ، و تكون وسيلة تدريسهم و إفهامهم هى العربية.

٢- و نوع خاص بالطلاب المتخرجين فى الجامعات الإسلامية الأخرى ، و هو يشتمل على سنتين: الثالثة و الرابعة من المرحلة العالية ، و لا يقبل فيها إلا من تخرج فى إحدى الجامعات الإسلامية المعروفة لدى ندوة العلماء بشهادة الفضيلة ، و يريد التخصص فى اللغة العربية و آدابها ، فيتم قبوله بعد تأدية الاختبار فى السنة الثالثة أو الرابعة ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى التخصص (الماجستير) فى اللغة و آدابها.

و قامت ندوة العلماء بمعالجة المشكلة لكثرة المواد بتمديد وقت التعليم إلى خمس ساعات و ربع ساعة كل يوم ، و هى تتوزع إلى سبع حصص لتستوعب الدروس.

و من طريقة التعليم فى مؤسسات المرحلة العالية فى ربوع الهند أنه يطالب من الدارس فيها فهم النص الكتابى أيضا مع فهم المادة التعليمية التى يدرسها ليستهل له الرجوع إلى نصوص المادة عندما احتاج إلى ذلك ، و يستقل بنفسه فى استنباط الأحكام و المعانى منها.

و المواد الدراسية فى " العالمية " تبلغ إلى أكثر من عشرين مادة و هى ما بين أساسية و فرعية ، غير أن الأهم منها خمس أو أكثر ، و هى التفسير و الحديث و الفقه ، و فنون اللغة العربية ، و لذلك وضعت من دارالعلوم إرشادات و رسمت خطوط فيها اعتناء بالغ بتدريس هذه المواد بصورة خاصة، و فيما يلى جدول المواد الدراسية :

جدول المواد الدراسية "في المرحلة العالية"

العدد	المادة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
١	التفسير	-	-	-	-
٢	الحديث	-	-	-	-
٣	اصول التفسير	X	X	-	X
٤	علوم الحديث	X	-	-	X
٥	الفقه	-	-	-	-
٦	اصول الفقه	X	-	-	X
٧	التاريخ الإسلامى	-	-	-	X
٨	العقيدة	-	X	-	X
٩	السيرة النبوية	X	X	-	X
١٠	الفرائض	X	X	-	X
١١	الأدب العربى	-	-	-	-
١٢	النحو العربى	-	X	X	X

جدول المواد الدراسية "فى المرحلة العالية"

العدد	المـــــــادة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
١٣	تاريخ الأدب العربى	X	X	-	X
١٤	النقد العربى	X	X	X	-
١٥	الإنشاء و الخطابة	-	-	-	-
١٦	مبادئ المنطق	X	-	X	X
١٧	علم الاجتماع	X	X	X	-
١٨	الجغرافية الإسلامية	-	X	X	X
١٩	المعارف المدنية	-	-	X	X
٢٠	المعارف العلمية	X	X	-	X
٢١	البلاغة	X	-	X	X
٢٢	المذاهب و الفرق	X	X	X	-
٢٣	مبادئ الفلسفة	X	X	-	X
٢٤	اللغة الإنجليزية	-	-	-	-

و يلاحظ فى هذا الجدول استمرار مادة التفسير و الحديث و الفقه من السنة الأولى إلى السنة الرابعة ، كما أن مواد التاريخ الإسلامى و الأدب العربى و النحو العربى و الإنشاء و الخطابة أيضا تستمر مع الطالب من بداية العالية إلى نهايتها ، و ذلك مراعاة لحاجة الطلاب و الدارسين الذين ليست اللغة العربية لغتهم الأم ، كما تمّ تقرير اللغة الإنجليزية أيضا فى جميع السنوات الأربع.

الدراسات العليا (التخصص أو الماجستير)

تنقسم الدراسات العليا (التخصص أو الماجستير) إلى الأنواع التالية :

(الف) التخصص فى الشريعة و أصول الدين
(ب) التخصص فى العلوم اللغوية و الأدبية
(ج) التخصص فى الدعوة و الفكر الإسلامى
(د) التكميل : و هو يعادل درجة الدكتوراة ، و مدته سنتان فى أى فن من الفنون و ينال الطالب بعد نجاحه فى العمل المقرر لـــه شهادة التكميل (الدكتوراة).

ثم إن التخصص فى العلوم الشرعية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- التخصص فى تفسير القرآن و علومه
٢- التخصص فى الحديث الشريف و علومه
٣- التخصص فى الفقه و أصوله

و يختلف نظام الدراسات العليا فى دارالعلوم عن نظامها فى جامعات مصر و السعودية ، حيث تخصص سنة واحدة للدراسة الفصلية و السنة الثانية لرسالة الماجستير، أو تخصص سنتان للدراسة و سنة ثالثة للرسالة، كما أنه يختلف أيضا قليلا عن نظام الدراسات العليا فى الجامعات الإسلامية و العصرية فى الهند ، حيث لا يطلب من الدارس فيها تقديم بحث و لا رسالة ، إنما الرسالة فى مرحلة الدكتوراة ، أما دارالعـلوم ندوة العلمــاء فانها جمعت - إلى حد ما - فى دراساتها العليا بين النظامين ، فقررت الدراسة فى السنتين مع المطالبة بالبحث فى السنة الثانية و قد أعطيت له حصة واحدة يوميا ، يتفرغ الطالب فيها لمراجعة ما يتعلق ببحثه ، و ليس هو كرسالة الماجستير فى الحجم و لا فى الشروط ، و بذلك تتسنى للطالب دراسة أمهات الكتب المتعلقة باختصاصه ، الأمر الذى لا يتوفر له فى جامعات أخرى، كما

يتمكن الطالب بذلك من تعلم طريقة التحقيق و الدراسة و أيدولوجية البحث و العلاج و جمع المواد العلمية و صياغتها بأحسن طراز ممكن. (١)

أما المواد المقررة فى التخصص فى العلوم الإسلامية بجميع أقسامه الثلاثة فهى كما يلى :

التفسير و علومه ، الحديث و علومه ، الفقه الحنفى ، الفقه على المذاهب الأربعة ، السيرة النبوية ، أسرار الشريعة الإسلامية ، أسرار التشريع الإسلامى فى العبادات ، تاريخ التشريع الإسلامى ، دراسة الديانات السماوية ، تاريخ العلوم و الحضارة الإسلامية ، الأدب العربى و الإنشاء ، إعداد بحث فى موضوع.

و المواد المقررة فى التخصص فى آداب اللغة العربية و علومها كما يلى :

أساليب النثر العربى القديم ، الشعر العربى قديمه و حديثه ، تاريخ الآداب العربية ، البلاغة ، الأدب الإسلامى ، النقد الأدبى مصادر الأدب العربى ، أعلام الأدب العربى ، إعداد بحث فى موضوع أدبى.

التخصص فى الدعوة و الفكر الإسلامى :

وزّع القائمون على دارالعلوم ندوة العلماء كإجراء موقت إلى كليتين و معهد: كلية الشريعة و أصول الدين ، و كلية اللغة العربية و آدابها ، و المعهد العالى للدعوة و الفكر الإسلامى ، و هى كليات مستقلة منفصلة تابعة لدارالعلوم ندوة العلماء.

فالتخصص فى الدعوة و الفكر الإسلامى يختص بالمعهد العالى للدعوة و الفكر الإسلامى ، و مدة الدراسة فى هذا المعهد تبلغ سنتين ، و يشترط للالتحاق به أن يكون الطالب حائزا على شهادة العالمية (المرحلة العالية) فى الشريعة أو اللغة العربية و آدابها ، أو بما يكون على مستوى هذه الشهادة ، و ينقسم هذا المعهد العالى إلى الأقسام الآتية :

١- قسم الدعوة فى العالم العربى و الإسلامى : و يعتنى هذا القسم بالدعوة الإيمانية و الدينية من الناحية العلمية و الفكرية فى البلاد العربية و الشرق العربى ، و بتعبير أوضح "الدعوة إلى الإسلام من جديد" و مكافحة الغزو الفكرى و الثقافى فى العالم العربى و الإسلامى على السواء.

٢- قسم الدراسات المقارنة للأديان

٣- قسم مدرسة الشيخ ولى الله الدهلوى الفكرية

٤- قسم تاريخ الحركات الإصلاحية و الآداب و الفنون الإسلامية فى الهند.

و الخطوط العريضة لمواد هذه الأقسام كما يلى :

١- المذاهب الإسلامية ، المفاهيم الدينية و العقائد الإسلامية، الفرق الضالة، المذاهب المنحرفة ، الروعة البيانية و أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم . فقه السيرة ، حياة الصحابة و التابعين ، تاريخ الدعوة و الفكر الإسلامى ، الفكر الإسلامى الحديث ، الغـزو الفكرى و أساليبه ، واقع العالم الإسلامى المعاصر، طرق التدريس ، علم النفس و الاجتماع ، البحث.

٢- المفاهيم الدينية ، حياة الدعاة و الصالحين ، تاريخ ما قبل المسيح ، العهد العتيق حياة المسيح ـ عليه السلام ـ ، تاريخ المسيحية المعاصرة ، المسلمون و المسيحيون ، البحث و المصادر.

٣- عهد الشيخ الدهلوى و خلفياته ، العلوم الدينية و مؤلفات الشيخ الدهلوى فيهما ، العروض و التلخيص.

٤- التاريخ العام ، التاريخ العلمى و الثقافى ، التاريخ الدينى ، التاريخ السياسى و الإسلامى.

و مما لاشك فيه أن الاختصاص فى أى موضوع أمر مهم للغاية ، و أن عمل إحياء العلوم و إحياء الأمم المنهارة فى كل عصر، و فى كل دين و مدنية ، لم يتم إلا بأيدى أولئك الذين كانوا يفوقون أقرانهم و بنى جلدتهم فى مواهبهم و قدراتهم العقلية ، فالاختصاص فى العلوم الإسلامية و التبريز فيها أمر ذو أهمية بالغة جدا، غير أن ذلك لا يتحقق إلا بعمل جـاد طويـل ، و يقتضى ظروف تدريس و تثقيف عالية و بيئة مهياة يقدر فيها الطلبة على التكريس و التقدم فى جو هادئ ، مغر بالمطالعة ، حافز على الدراسة ، يقتنع فيه الطلبة.

و لذلك يـرى (٢) القائمـون على دارالعلـوم و المعنيـون بشئونهـا بل و يعزمون على أن يرفعوا دارالعلوم ندوة العلماء فى أقرب وقت ممكن إلى مستوى الاكتفاء الذاتى، لتحرز مكانتها اللائقـة، و شخصيتهـا المتميـزة، و تصبح جامعة عالية مؤثرة ، يعترف بتفوقها فى علوم اختصاصها على الجامعات الأخرى ، حتى جامعات البلاد الأخرى ، فيقصد إليها طلبة الجامعات العربية للدراسات العليا ، و يفتخرون على الانتساب إليها ، و تصبح ندوة العلماء قاعدة متزنة شاملة للزود عن الفكر الإسلامـى و المفاهيم الدينيـة ، و إن هنـاك مبـررات و شواهد تبشر بأنهم سيوفقون للوصول إلى هذا الهدف النبيل ببذل جهود متواضعة ، فانهم لا يزالون يتلقون طلبات من طلبة

البلاد العربية فيها عن رغبتهم فى الالتحاق بندوة العلماء رغم توافر معاهد العلم و التربية الشهيرة فى العالم العربى.

التكميل : •

و هو يعادل درجة الدكتوراة ، و مدته سنتتان فى أى فن من الفنون ، و ينال الطالب بعد نجاحه فى العمل الذى اختاره شهادة التكميل (الدكتوراة).

معهد "خصوصى" :

و يوجد معهد خاص بتعليم المتخرجين فى الجامعات العصرية ، يعرف بـ (خصوصى) ، و يشتمل على خمس سنوات ، ينال المتخرج فيه شهادة المرحلة العالية (الليسانس) فى الشريعة و اللغة العربية ، و يتم فيه أيضا تدريس المواد المقررة فى المرحلتين الثانوية و العالية ، ماعدا مواد المعارف العامة و اللغة الإنجليزية.

قسم تحفيظ القرآن و تجويده :

و فى دارالعلوم ندوة العلماء قسم لتحفيظ القرآن الكريم و تجويده ، يتعلم فيه نحو مائتى طالب ، و مدة الدراسة فى هذا القسم ثلاث سنوات إلى أربع ، يتمكن الطالب فيها مع إكمال تحفيظ القرآن من دراسة عدد من المواد الأخرى أيضا ، مما يؤهله للانضمام إلى صف متلائم مع مستوى دراسته الدينية.

المعاهد التابعة لندوة العلماء :

قد انبثقت من دارالعلوم ندوة العلماء مؤسسات و معاهد تعليمية و تربوية مختلفة ، سواء أسسها خريجو ندوة العلماء أو ألحقت نفسها بندوة العلماء ، و هى منتشرة فى أنحاء الهند المختلفة ، مثل دارالعلوم تاج المساجد فى بهوبال عاصمة الولاية الوسطى للهند ، التى أنشأها فضيلة الشيخ محمّدعمران خان الندوى على غرار دارالعلوم ندوة العلماء ، و هو ابن بار من أبناء الندوة البارزين فى الهند و من كبار رجال الدعوة و الإرشاد ، و مما يميز هذه الدار أنها تتمتع بموقع جغرافى هام حيث أن مدينة بهوبال تقع بين شطرى الهند ، فأصبحت هذه الدار على نقطة اعتدال بين أكثر الولايات الهندية و جاءت همزة وصل بين مدارس الشمال

الدينية و مسلمى الجنوب ، و مثل الجامعة الإسلامية " فى مدينة بهاتكل فى غربى الهند، و منها "كاشف العلوم" فى مدينة أورنك آباد ، بقرب مدينة حيدرآباد فى جنوبى الهند ، و عدد منها فى شمالى الهند ، مثل مدرستى "فلاح المسلمين" و "ضيــاء العلوم" فـــى راى بريلـــى، و معهــد "دارالتعليم و الصنعة" فى مدينة كانفور ، عدا مدارس متوسطة و ابتدائية كثيرة منتشرة فى أرجاء الهند قريبا و بعيدا.

الإحصاء الحالى :

١- الطلاب الدارسون فى دارالعلوم ندوة العلماء بما فيهم الإبتدائية إلى الدراسات العليا سنة (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) : ١٩١٢

٢- الطلاب الدارسون فى قسم تحفيظ القرآن : ٢٠٠

٣- الطلاب الدارسون فى المعاهد التابعة لندوة العلماء : ٢١٣٨

٤- الأساتذة بما فيهم مدرسو الابتدائية و المعاهد المنبثة من دارالعلوم ندوة العلماء : ١٦٠

٥- الموظفون و عمال الدرجة السفلى : ١٠٢

منهج دراسية :

تتكفل ندوة العلماء لغالبية طلابها مصاريف طعامهم و سكناهم فى القسم الداخلى من دارالعلوم ، و ذلك بحسب إمكانيات ندوة العلماء المالية فان لجنة المنح تنظر فى طلبات الراغبين فى نهاية كل عام دراسى و تعلن بقبولها على أساس المؤهلات و إمكانيات الدار ، و تقوم مكتبة ندوة العلماء بتوفير كتب المقررات التى يقل وجودها أو يصعب تحصيلها لإعارتها للطلاب.

بعثات إلى الخارج :

و قد تقوم ندوة العلماء بإرسال متخرجيها إلى جامعات خارج الهند للدراسات العليا و التوسع فى الدراسات و الأبحاث الخاصة ، فقد زارت مثل هذه البعثات فى الفترات السابقة عددا من الجامعات خارج الهند. و نال عدد من متخرجى ندوة العلماء منحا من جامعات أخرى أيضا لمواصلة الدراسات فيها ، فمنهم من لا يزالون يدرسون فيها فى بلدان من الخارج مثل السعودية

و ليبيا و سوريا ، و مصر ، و المغرب و فى انجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية أيضا.

الطلبة المغتربون :

يقصد إلى دارالعلوم ندوة العلماء بصورة دائمة طلبة من أقطار شرق أسيا و غربها ، و لا يزال مئات من الطلاب الوافدين فى دارالعلوم ندوة العلماء على منح خصصتها لهم ندوة العلماء لهذا الغرض ، و قد تجاوز عدد الطلاب الوافدين حاليا المائتين.

أما الأقطار التى تفد منها الطلبة إلى ندوة العلماء بصورة عامة فهى بنغال و التبت ، و الهند الصينية ، و شرقى آسيا ، و أفريقيا الشرقية و الجنوبية ، و عدد من بلدان الشرق الأوسط بما فيها البلدان العربية أيضا ، و لقد أصبح بناء على ذلك عدد من المتخرجين فى ندوة العلماء من أهل البلدان المذكورة و مواطنيها ، و قد أشار إلى ذلك فضيلة الشيخ رشيد فارسى (مكة المكرمة) لدى زيارته لندوة العلماء :

> *" و خلال إقامتى بدارالعلوم ندوة العلماء كنت أصلى فى المسجد الذى أقيم فى أحد جوانب فناء المدرسة ، و كان يكتظ فى كل الصلوات بطلاب المدرسة المذكورة ، و ما أجملهم و هم يسعون إليه منتظمون فى الصفوف بأزياء و مظاهر إسلامية على اختلاف أجناسهم من يابانى و تركى و مدغسقرى و تبتى و مدراسى و بنغالى و أفريقى و كشميرى و بورمى و أسامى و هندى و غير ذلك ، و ما أروع صلاتهم و هم يقفون خاشعين خاضعين رغم وجود كثير من صغار السن بينهم." (٣)*

نشاطات الطلبة العلمية و الثقافية

نادى جمعية الإصلاح :

إن النشاطات العلمية و الثقافية التى يمارسها الطلاب فى محيط دارالعلوم من خلال برامج نادى جمعية الإصلاح و النادى العربى تحتل أهمية كبيرة فى تغذية عقولهم و تثقيفهم بالثقافات الهادفة المثمرة ، و تأهيلهم للمسايرة لركب الحياة العلمية العملية و المساهمة فى مسيرة العلم و الفقه و الأدب.

و المجالات التي يباشر فيها الطلاب نشاطاتهم هذه يجدر بالذكر منها ناديهم الثقافي الذي يسمى بـ "جمعية الإصلاح" يجرى انتخاب أعضائها في مستهل العام الدراسي من كل سنة، و لها مكتبة قيمة خاصة بالقسم الداخلي، فيها كمية محترمة من الكتب المختارة في مختلـف فـروع العلـم و الأدب ، و لهذه المكتبة مساهمة ملموسة في تنشئة عقول الطلبة و تزويدهم بالثقافات البناءة المثمرة ، و يقوم أمين بإدارة هذه المكتبة . و للجمعية قسمان هامان . قسم الخطابة و قسم الأبحاث ، و تعقد حفلات كل واحد منهما مرتين في الشهر ، و يساهم طلبة الدار في نشاطاتها ، و يسمـى قسم الأبحاث بـ "مجلس سليماني" نسبة إلى ابن ندوة العلماء النابغ العلامة السيد سليمان الندوي ـ رحمه الله ـ .

و يعقد القسمان مسابقات عامة سنوية ، يتم فيها توزيع الجوائز على الفائزين ، و تعتني الجمعية بدعوة رجالات الفكر الإسلامي لإلقاء المحاضرات الموسعة أمام الطلبة في قاعة الجمعية ، كما تعقد حفلات علمية للاستفادة من الشخصيات البارزة التي تتكرم بزيارة هذه الدار .

و يشرف على الجمعية و نشاطاتها المتنوعة عميد دارالعلوم بمساعدة أحد كبار أساتذة دارالعلوم ، و للجمعية قاعة للمحاضرات و أماكن للمكتبة و دار للصحف و المجلات ، و يجدر بالذكر أن أنقل لكم انطباع فضيلة الشيخ رشيد فارسي المكي عن هذه الجمعية لدى زيارته لندوة العلماء في بعض المناسبات :

> *"و في ثالث يوم دعيت لزيارة نادي جمعية الإصلاح بدارالعلوم ندوة العلماء ، و قد شاعت الغبطة في جوانحي لما شهدته في النادي المومى إليه من مكتبة منظمة حوت كتبا دينية و لغوية و أدبية، يعتني طلابها بمطالعتها وقت الفراغ ، كما شهدت به مؤلفات الندويين الذين تخرجوا من دارالعلـوم ، و اطلعت على مجـلات خطيـــة و جرائد كتبت بأقلام الطلاب أنفسهم، و لفت نظري وجود لوحات معلقة بجدار النادي ، و بتدقيق النظر فيها وجدت إحدى هذه اللوحات تشتمل على بيان بأسماء نوابغ رجال الهند، و التي لم يؤلف مثلها حتـى الآن، و لوحة كتب فيها مجملا عن بيان العلوم الدينية و الفنون الأخرى التي كانت العناية بها بالغة في القرون الماضية في الهند و مدى تأخرها و تقدمها و ما لوحظ بشأنها في حقل الملاحظات باللوحة المذكورة ، كما رأيت خريطة تحتوي على أسماء الرجال الذين تفوقوا في الشعر العربـــي بالهنـــد ، و خريطة تبين المدن التي اشتهرت بالتفوق العلمي ، و المدن التي اشتهرت بالتفوق الروحي".* (٤)

و يقول فى ذلك الشيخ عبدالعزيز الثعالبى زعيم تونس لدى زيارته لندوة العلماء سنة ١٣٥٤هـ :

" زرت نادى اتحاد الطلبة لمدرسة ندوة العلماء ، رأيت الطلبة مصطفين فى القاعة و هم على مقاعدهم كأنما على رؤسهم الطير ، يمثلون الوقار و الكمال ، و هذا مظهر من مظاهر الكمال فى النفس الذى استفادوه فى هذه المدرسة القيمة من الآداب و التعاليم ، و الطلبة المختلفى الأسنـان و التحصيل الذين تمثلت فى نفوسهم هذه الثقافة الممهدة لأول دليل على وجود النضج و الرشد فى هذه المدرسة الخالدة ، و أنا من شراشر قلبى أدعو لها و أحييها إدارة و أساتـذة و طـلابا.(٥)

النادى العربى :

و لطلاب دار العلوم ندوة العلماء نادٍ عربى ذو نشاطات ثقافية و أدبية ، يتألف من الأعضاء الذين يتم اختيارهم من الطلبة المبرزين فى دراسة اللغة العربية و آدابها و المتفوقـين فى المواهب و الكفاءات العلميـة و الخطابيـة و الكتابية ، و هم الذين يباشرون نشاطاته المختلفة ، و له لجان عديدة تعمل تحت إشراف أساتذة الأدب العربى فى ندوة العلماء و لاسيما رئيس كلية اللغة العربية و آدابها، و من هذه اللجـان ما تهتم بايجاد الوعـى العلمـى و الفكرى ، و منها ما تعتنى بالنشاطات الخطابية و منها ما تساهم فى نشاطات الصحافة العربية و أعمالها ، و منها ما تقوم بإدارة مكتبة عربية للطلاب الناهضين فى العربية.

و النادى العربى هو أيضا يعقد كشقيقته "نادى جمعية الإصلاح" مسابقات عامة سنوية توزع فيها الجـوائز علـى الفائـزين ، و يعتنى النادى العربى بدعوة رجالات الفكر الإسلامى لإلقاء المحاضرات أمام الطلبة فى قاعتـه ، كما أنه يعقد حفلات علمية للاستفادة من الشخصيات البارزة التى تشرف هذه الدار بزياراتها الميمونة المتكررة.

و النادى العربى يتمتع بمكتبة مستقلة تحتوى على كمية لا يستهان بها من الكتب المختارة فى صنوف المواضيع و الفنون ، كما أن له دارا للصحف خاصة ، جعله كل ذلك عنصرا هاما فى ترقية مواهب الطلبة و تنشئتهم تنشئة علمية ملموسة ، فعاد النادى العربى يلعب دورا رائعا فى تحقيق أحلام و أهداف ندوة العلمية النبيلة السامية ، مما أشاد به كثير من الباحثين العرب لدى زيارتهم لندوة العلماء بين فينة و أخرى ، و كأنهم لم يشعروا بأى غربة أو عزلة بالقدوم فى هذه الدار ، و قد أشار بعضهم إلى هذه الناحية فى

كلمات انطباعاتهم سجلوها أثناء زياراتهم لنـدوة العلمـاء و قـالوا : إن ندوة العلماء بمثابة واحة للعربية فى هذه البلاد ، و يحلو لى أن أقدم هنا كلمة فضيلة الشيخ رشيد فارسى المكى التى تلقى بعض الضوء على الدور الذى يلعب النادى العربى :

" و فى خامس يوم دعيت لزيارة النادى العربى التابع لندوة العلماء و الذى يعقد مساء كل خميس و فى هذا النادى سمعت ما أنتجته قرائح الطلاب من مواضيع قيمة ، يلقونها فى أسلوب خطابى رائع ، و قد غمرتنى موجة من السرور لعنايتهم باللغة العربية تحدثا و كتابة و خطابة ، و إن إقبال إخواننا مسلمى الهند على تعلمها لاشك أنه دليل على حبهم للدين و غيرتهم عليه ، فهى وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن و فهم بلاغة الأحاديث النبوية و مفتاح لكنوز المعارف الدينية كما هى وسيلة لتوثيق روابطهم و نشر المحبة و الألفة فيما بينهم بها ......

..... و استقبلنى بعض الطلاب و رحبوا بى بكلام عربى جزل ، فأحسست تجديـدا فى نشاطـى و انتعاشا فـى روحـى ، و شعـرت كأنى فـى موطـن عربـى ، ثم أحاطـوا بـى و أمطرونى وابلا من أسئلتهم فكنت أجيبهم عليها ، و أنا مبتهج بحديثهم معى بهذه اللغة الحية التى تطرب القلب بايقاع موسيقها الجميل." (٦)

الألعاب الرياضية :

و تحرص دارالعلوم على صحة الطلبة و تسليتـهم و تنشيـط طبائعهم و إنعاشها فتبذل عنايتها بالألعاب الرياضية المسموحة فى المدنية الجامعيـة و توفر الآلات و الأسباب اللازمة لذلك بصورة دائمة ، فندوة العلماء إن كانت تعير اهتمامها البالغ بالنبوغ العلمى و التدين و التقى ، فهى لا تعتبر النبوغ العلمى و التدين فحسب كافيا بل تؤكد على ضرورة الصحة البدنيـة و ما تستتبعه من طرق و وسائل، يشهد بذلك بعض ما ورد فى رسالة فضيلة الشيخ مولانا محمدً على المونكيرى إلى العلامة عبدالحئ الحسنى ـ رحمه الله ـ :

" أبذل عنايتك البالغة بالرياضة البدنية للطلاب أيضا ، فـان لم تكن لهم قوة و صحة كيف أمكن لهم مواصلة الدراسة و بذل الجهد فيها ، و لا يعتريك الخجل فى ذلك إطلاقا ، فاجراى رياضة بالتشاور." (٧)

تتوفر فى رحاب دارالعلوم ثلاثة ملاعب للطلاب ، و تعقد مباريات رياضية بين دارالعلوم و الجامعات الأخرى فى لكناؤ و غيرها من مدن أخرى فى الهند ، و قد حاز فريق ندوة العلماء الفوز فى عدد من المباريات التى لعبها مع فرق المنطقة الممتازة.

و من النشاطات الرياضية التى يباشرها طلبة دارالعلوم ألعاب كرة القدم ، و كرة اليد ، و الهوكى ، و الكريكت ، و ألعاب أخرى من هذا النوع.

تسهيلات السكن و الإقامة :

توفر دارالعلوم جميع التسهيلات اللازمة للسكن و الأكل للطلبة القادمين من خارج البلاد و أنحاء أخرى ، و للأساتذة المقيمين فى دارالعلوم ، و قد تم إنشاء مبان خاصة لسكن الطلبة و الأساتذة مزودة بجميع التسهيلات اللازمة.

و قد تم عمل تشييد عدد من مساكن الأساتذة و دور للقسم الداخلى تتكون معظمها من ثلاثة طوابق و توجد قاعتان للمحاضرات و الاجتماعات و مكتبة فرعية خاصة للطلبة ، و صالون للطعام ، و مطبخان تابعان و بنايتان للمقهى ، و بما أن عدد الطلبة يتزايد كل عام يحتاج المعهد إلى بناء مساكن أخرى للطلبة و الأساتذة.

و يوجد بجوار الجامع الواسع " دارالضيافة " للضيوف ، و تم أخيرا إنشاء مخزن عيادة لتوفير التسهيلات الطبية.

اقتباس لأهم مواد اللائحة الدراسية:

بما أن مواد اللائحة الدراسية تسلط كثيرا من الضوء على مستوى المعهد و الدراسة يحلو لى أن أنقل هنا اقتباسا لأهم مواد اللائحة الدراسية فى دارالعلوم ندوة العلماء:

١- السنة الدراسية فى دارالعلوم ندوة العلماء تسعة أشهر. تتخللها عطلة الصيف و تعقبها عطلة شهر رمضان المبارك و عيد الفطر ، و تستغرق كل واحدة منهما شهرا واحدا على الأقل.

٢- تبدأ السنة الدراسية فى كل عام من الأسبوع الثانى و تنتهى فى آخر شهر رجب.

٣- و يتوزع شهر شعبان على الاختبار السنوى و على مسامحة للتحضير و الإعداد.

٤- يعقد فى دارالعلوم اختباران خلال السنة الدراسية ، بالإضافة إلى الاختبار السنوى الذى يعقب السنة الدراسية ، و يكون فصل التعليم بين كل اختبارين نحو ثلاثة أشهر.

٥- ينظر فى طلبات الالتحاق بدارالعلوم فى شهرى شعبان و رمضان بوجه عام ، و يرسل الجواب على الطلبات فى آخر شهر رمضان.

٦- على الراغب للالتحاق أن يطلب استمارة الالتحاق من مكتب دارالعلوم أو يخطها بنفسه على غرار الموجودة فى مكتب دارالعلوم ، و يرسلها إلى العميد فى آخر السنة الدراسية أو فى بداية عطلة شهر رمضان ، و يجب ذلك بصورة خاصة على الطالب الذى يريد الغذاء و السكنى فى دارالعلوم مجانا.

٧- و لا تمنح المصاريف فى دارالعلوم للطالب المنتسب فى الصفوف البدائية ، باستثناء درجة تحفيظ القرآن ، فان طلبتها يستحقون المصاريف إذا وقعت طلباتهم موافقة للشروط.

٨- يلزم على الطالب المنتسب فى دارالعلوم أن يكون على مستوى حسن فى أخلاقه و سيرته و عنايته بالدراسة ، بالإضافة إلى صحة العقيدة و الاستقامة الدينية ، و إلا يرفض طلبه ، و إذا ظهر شىء مريب من طالب منتسب بعد ما يتم قبول انتسابه يشطب اسمه و يفصل عن دارالعلوم.

٩- يجب أن لا تقل سن الطالب عند الانتساب عن خمس سنوات للسنة الأولى من الابتدائية و إحدى عشرة سنة للسنة الأولى من الثانوية و من خمس عشرة سنة للسنة الأولى من العالمية.

١٠- الطالب الذى لا تتوفر لديه شروط الاستحقاق للمنحة يحصل وجبات طعامه بالثمن ، و هو يدفع مائة روبية إلى قسم الغذاء فى دارالعلوم.

١١- أما السكنى و استعارة الكتب من مكتبة ندوة العلماء العامة فمجانيان لكل منتسب راغب إلى ذلك.

١٢- أما الفطور فهو من مسئولية الطالب نفسه غير أن مطعمين للفطور و الشاى قد تم إعدادهما لراحة الطلاب فى ساحة دارالعلوم يستفيد منه الطلبة على حسب رضاهم.

١٣- يقيد حضور الطالب فى كل حصة دراسية و يعاقب الطالب على الغياب ، و إذا تجاوز غيابه أسبوعين متواليين يعاقب بالفصل.

١٤- يجب على كل طالب منتسب أن يتقيد بالآداب الإسلامية فى مظهره و أخلاقه جميعاً، و يجب عليه الحضور فى الصلوات مع الجماعة ، و الذى يتخلف عن ذلك تباعا يعاقب بطريقة يراها ناظر القسم الداخلى مناسبا.

١٥- الطالب الذى يخل لنظام أو ياتى بأعمال لا تسمح بها دارالعلوم يفصل

من الدراسة ، و يشطب إسمه من سجل الانتساب.

١٦- يتحتم على كل طالب يقيم فى القسم الداخلى الامتثال لتوجيهات ناظر القسم الداخلى ، و توجيهات من ينوب عنه ، كما يلزم عليه أن لا يغادر حى دارالعلوم لشان من شئونه الخاصة إلا بإذنه.

١٧- اتصالات الطالب المقيم فى القسم الداخلى بالآخرين من خارج القسم مرهونة بقوانين السكنى فى دارالعلوم ، أو باذن خاص من ناظر القسم الداخلى ، و ليس مسموحا للطالب أن يأذن لغيره من الخارج بالاتصال به فى غرفته إلا بإذن ناظره ، و خاصة إذا كان غيره غير متقيد بالآداب الإسلامية النزيهة.

١٨- و إذا زار طالبا فى القسم الداخلى ذووه و أهل قرابته سمح لهم بزيارته فى القسم الداخلى ، أما إقامتهم إذا رغبوا إليها فتكون محدودة بفترة قصيرة ، بإذن خاص من مسئولى دارالعلوم.

١٩- لا يسمح للطلبة فى القسم الداخلى أن يعقدوا حفلة سياسية أو حزبية، أما حفلة الأدبية و العلمية فيسمح لهم بها بموافقة ناظر القسم الداخلى.

٢٠- يكون للطلبة جميعا اتحاد عام ، و اتحاد عربى أدبى ، يكون الطلبة الأعضاء فيهما ملزمين بأداء مسئوليتهم نحو برامجهما.

٢١- مدة التعليم كل يوم نحو خمس ساعات زمنية و هى تنقسم إلى ست أو سبع حصص ، و كل حصة خمسون دقيقة تقريبا.

٢٢- الدراسة كل يوم تكون فى أيام الصيف صباحا بصورة متتابعة ، أما فى الشتاء و البرد فتكون بين الضحى و العصر ، و تتخللها فسحة للغذاء و صلاة الظهر.

٢٣- و فى كل يوم الخميس تخصص من أوقات الدراسة ساعتان للنشاط الثقافى.

٢٤- أما أيام العطلة فى كل سنة دراسية عدا يوم الجمعة من كل أسبوع ، و عطلتين كبيرتين بمناسبة أيام الحرّ الشديد فى الصيف و مناسبة شهر رمضان ، فهى كما يلى :

عيدالأضحى - ٥ أيام

فى شهر محرّم - يومان

فى شهر ربيع الأول - يوم

و بمناسبة الامتحان لنصف السنة ثمانية أيام و مناسبة الاستقلال الوطنى يوم فى أغسطس و يوم فى شهر يناير.

٢٥- يسمح لكل طالب استعارة كتب المقررات الدراسية و كتب للمطالعة و الاستفادة العامة من مكتبة ندوة العلماء العامة بتصديق من ناظر القسم الداخلى إذا كان الطالب مقيما فى القسم الداخلى ، و إلا فيجب عليه تقديم ضمان من مال أو تعهد من أستاذ من أساتذة الدار.

٢٦- و يجب على كل طالب ممن يستعير الكتب من مكتبة ندوة العلماء العامة أن يردها عند بدأ عطلة رمضان المبارك الكبيرة.

مكتبة ندوة العلماء العامة :

المعاهد العلمية لابد لها من المكتبة ، لذا كانت جمعية ندوة العلماء تنوى قدما إنشاء مكتبة بجانب تأسيس دارعلوم لها ، و بدايتها أن ندوة العلماء عندما كانت فى كانفور كان لها فرع لدارالافتاء كذلك ، و كان لهذا الفرع كتب متوفرة فى المكتب ، و لما انعقد الاحتفال السنوى العام لدارالعلوم ندوة العلماء سنة ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٩م فى بلدة شاهجانبور وهب لندوة العلماء مولانا عبدالرافع خان أحد علماء شاهجهانبور و أثريائها كتبه الخاصة ، ثم وهب عبدالغنى الوارثى مساعد الرئيس المعاسب لحكومة حيدرآباد كتبه لندوة العلماء بمناسبة احتفال ندوة العلماء السنوى المنعقد فى بتنا سنة ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م. و كان معظمها تتصل بموضوع التاريخ و المحاضرات.

و لما قدم العلامة شبلى النعمانى دارالعلوم ندوة العلماء سنة ١٩٠٥م أعار مكتبة ندوة العلماء بجانب أقسامها الأخرى عنايته الخاصة لشغفه الزائد و هيامه الشديد بالكتب ، و وقف مكتبته الشخصية القيمة لندوة العلماء سنة ١٩٠٧م ، و كانت تحتوى على ثروة قيمة للتاريخ و الأدب و مطبوعات الشام و قسطنطينية علاوة على بعض المطبوعات الأوربية النادرة.

و بفضل جهود العلامة شبلى النعمانى المتواصلة و اعتنائه الزائد التفت بعض أصدقائه و زملائه أيضا إلى مكتبة ندوة العلماء حيث وهب الأمير الحافظ رضاخان القاضى فى محكمة حيدرآباد سابقاً كتبه لندوة العلماء سنة ١٩٠٧م ، و فى نفس السنة وهب شمس العلماء الأمير عزيز ، و حكيم علي أحمد كتبهما لندوة العلماء ، كما أرسل مولانا شرف الدين القاضى فى محكمة كلكتا كتبه إلى ندوة العلماء سنة ١٩٠٨م ، و فى نفس السنة منح السيد مرتضى حفيد الأمير العلامة صديق حسن خان كتبه ندوة العلماء ، و كذلك انتقلت فى نفس السنة مكتبة الأمير عماد الملك إلى ندوة العلماء و كانت تحتوى على ذخيرة قيمة للمطبوعات الأوربية ، و انضمت مكتبة مولانا يوسف علي إلى مكتبة ندوة العلماء سنة ١٩١٠م ، و قد كانت تضم عددا من النوادر الخطية ، و فى نفس السنة وهب الأمير علي حسن خان خلف الأمير العلامة صديق حسن خان كتبه الخاصة لندوة العلماء. و كانت كتب اخته صفية قد انضمت إلى مكتبة ندوة العلماء قبل ذلك بعام أو عامين ، كما أن كتب الأمير أحمد سعيد خلف الأمير ضياء الدين أحمد خان الدهلوى وصلت إلى ندوة العلماء ، و هى نفس المكتبة التى ألف

" اليوت " بمساعدتها كتابه المعروف " تاريخ الهند " و وهب الأمير عماد الملك السيد حسين البلغرامى مكتبته لندوة العلماء فى مارتش سنة ١٩١١م ، و قد كانت تتضمن ذخيرة قيمة للكتب العربية منها و الإنجليزية.

و إضافة إلى ذلك فقد أقام العلامة شبلى النعمانى نظاما خاصا باشتراء الكتب الحديثة ، فكان يخصص للمكتبة و شئونها مبلغا من مختلف الأقسام ، و إذا بلغه نشر تاليف جديد أمرنى بتحصيله ، (٨) و عندما انفصل العلامة شبلى النعمانى من دارالعلوم ندوة العلماء سنة ١٩١٣م ، كانت مكتبة ندوة العلماء تضم حوالى ١٣٠٠٠ كتاب (٩).

و نظراً إلى دور العلامة شبلى النعمانى الممتاز فى تاريخ المكتبة و النهوض فان مسئولى ندوة العلماء قرروا فى الاحتفال الرابع المنعقد فى لكناؤ سنة ١٣٣٣هـ أن يضعوا له تذكاراً فى محيط دارالعلوم ، و استحسنوا لذلك تشييد مبنى خاص للمكتبة ينسب إلى العلامة شبلى النعمانى ، و حظيى القرار بالموافقة التامة ، و أعرب العلامة السيد سليمان الندوى عن تاييده للقرار بكلمات تجدر بالذكر ، فقال :

" *إنه أشعل مجامر قلوبنا بانتاجاته القيمة ، فأين نقيم ذكراه ؟ فى القلوب ، و أين سكن قلبه ؟ فى الكتب ، و أين منازل الكتب ؟ المكتبة ، فتقوم بتشييد بناء المكتبة إذ هى ملاذ روحه ، و إن المساجد بيوت الله ، فهل تقيم فيها روح الله، كلا ، إنما تستغرق فيها محبته ، فمكتبتنا إذن ستكون مقر حبه و رضاه.*" (١٠)

و لم تزل مكتبة ندوة العلماء تتمتع برعاية و عناية الأثرياء و الأوساط العلمية و الأدبية ، فتقدمت بطبيعة الحال يوما فيوما و بكل خطوة إلى أن أصبحت من أرقى المكتبات و أثراها و هى تحتوى الآن على مائة ألف كتاب ما بين خطى و مطبوع ، و فى هذه الذخيرة العلمية الثمينة عدد محترم من نفائس الكتب و النوادر و مما له أهمية تاريخية أو فنية خاصة ، كما أنه يتوفر فيها ما يندر وجودها فى جميع مكتبات العالم.

و أغلب كتب هذه المكتبة هى فى اللغة العربية ثم فى الأردية ثم فى الفارسية و الإنجليزية ، و هى تتضمن حوالى ثلاثين موضوعا أدبيا و فكريا و علميا ، و تعتبر هذه المكتبة من أهم مكتبات العلوم الشرقية فى الهند ، يفد إليها الباحثون و الدارسون من أنحاء البلاد للاستفادة منها فى دراساتهم العديدة ، كما يستفيد بهذه المكتبة أساتذة دارالعلوم و طلبتها و الوافدون من جامعات و معاهد أخرى و للطلبة ركن خاص يستعيرون منه كتبا تخص مناهج دراساتهم فى دارالعلوم.

و قد مضى على تأسيس هذه المكتبة أكثر من نصف قرن و هى تتقدم بخطى حثيثة باحثة إلى الزيادة فى القيمة و العدد.

المكتبات الفرعية :

توجد عدة مكتبات أخرى للدوائر العلمية فى ندوة العلماء ، مثل مكتبـــة المجمـــع الإسلامى العلمـــى ، و مكتبـــة المعـــهد العالى للدعـــوة و الفكر الإسلامـــى و مكتبة النادى العربـــى و مكتبـــة جمعيـــة الطلبـــة و مكتبة كلية الشريعـــة و أصـــول الدين و مكتبة كلية اللغة العربية و أدابها و مكتبات أخرى.

و للبحث صلة ... ...

الهوامش :

١ ـ و تجرى دراسة حول إدخال التعديلات فى هذا النظام الطارئ ، ليكون أكثر مطابقة لنظام الدراسات العليا فى الجامعات العربية الاسلامية.

٢ ـ رسالة " المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى " لسماحة الشيخ أبى الحسن علي الحسنى الندوى ص/٩

٣ ـ مجلة البعث الاسلامى عدد ممتاز عن المهرجان التعليمى لاعداد محرم، صفر و ربيع الأول ١٣٩٦ هـ/١٩٣

٤ ـ نفس المصدر ص/١٩٤

٥ ـ المصدر السابق ص / ٢٥٢

٦ ـ المصدر السابق ص/ ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

٧ ـ سيرة العلامة السيد محمد علي المونكيرى لمؤلفه محمد الحسنى ص / ٢٤١

٨ ـ " رسائل سليمان " ص / ٣٦

٩ ـ حياة شبلى ص / ٤٣٤

١٠ ـ حياة سليمان ص / ٣٣٢ ، ٤٣٠

الحلقة الرابعة :

حـــــلّ التضـــــاد
فى توقيت سيرة خيرالعباد

بقلم : الفقيد اسحاق النبى علوى
(رامفور)

[إن هذا المقال جزء ثان من كتابى المسمـــى بـ "حل التضاد"، و النظرية التى تم تقديمها فى المقالات الماضية كان متحتما أن تطبق على وقائع السيرة، فقمت بامتحان تواريخ زهاء سبعين واقعة بهذا الخصوص، و العجب أن جميعها عادت صحيحة ماعدا بضعة تواريخ.

إنها مأثرة عديمة المثال للمسلمين السالفين التى تدعو إلى الإعجاب بها، و تنطلق الألسنة بالثناء عليها علوا. فإن الزمن الذى كانت تكتب فيه هذه الوقائع كان العالم حينذاك فى خلو من الوعى التاريخى و أنى به أن يقوم بتوقيت الوقائع الصغيرة.

ثم إن هذه التواريخ ظلت على حالها منذ أربعـة عشر قرنا، و كانت معظمها مما لا تصح طبقا للأصل المتداولة، و كانت تنفى و توجه إليها الاعتراضات. و لكن أمانة العلماء المسلمين كانت تقتضى بأن تبقى هى نفسها بدون أدنى تصرف فيها، كما هى محفوظة حتى يومنا هذا.

و كان هذا البحث ليمتد إلى عشرة أقساط على الأقل، و لكن لم أكن أطيق ذلك، فرأيت من المناسب أن أنشر واقعة بذاتها فى كل سنة على الأقـل، و أقدم ملخص الوقائع الأخرى أو أشير إليها حتى تتهيأ للمتابعين لهذا البحث فرص جمة لامتحان هذه النظرية، و أودّ أن تتضح هذه القضية إلى الحد الأقصى قبل أن يكون هذا البحث كتابا فى أيدى القراء.]

قد وصلنا بالبحوث الماضية إلى أن وثيقتين قد أثرت فى وقائع السيرة، بكل ما فى الكلمة من معنى، و الذى تأثر بها توقيت الوقائع و نسقها بصورة خاصة، و انقطعت معظم سلاسل العلة و المعلول التى كانت شيئا أكيدا جدا لفهم

الوقائع التاريخية، و من هنا كانت الحاجة إلى أن تقدم هذه الوقائع منسقا من جديد.

فكانت هناك طريقة لتحقيق هذا الهدف هى أن تعاد كتابة السيرة برمتها على أساس توقيت الوقائع، التى هى فيما أرى موضوع على حدة و مبحث مستقل، فإن أساليب كتابة التاريخ قد تغيرت فى العصر الراهن، و ما يعتقد فيه اليوم أكيدا للغاية هو أن يتم امتحان كل واقعة على تلك الأسس التى قدقررناها للعلوم الطبيعية. فكما يستنتج فى الطبيعيات و الكيمياء بمعونة خواص الأشياء و فعلها و رد فعلها، فينبغى أن تمارس نفس هذه الطرق وقت تقديم الوقائع التاريخية فى قليل أو كثير، و لابد أن تراعى علتها و معلولها و تاثيرها و ردّ تاثيرها.

لاشك أن واقعة مهما كانت متواضعة و وجيزة تكون نتيجة سلسلة ممتدة جدا للوقائع التى سبقت منها، و التى لا يمكن إحاطتها إحاطة كاملة بأية طريقة ممكنة، مع ذلك إنه يتحتم لفهم حدث تاريخى بأن تكون خلفيتها الصحيحة و محيطها على الأقل بين أيدينا إلى ما استطعنا إليه سبيلا. و تكون علتها الأصلية معلومة لدينا. و بخاصة إنه ألزم شيء لسيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فإن تلك الحركة العظيمة التى تعرف "بالإسلام" ترتبط بشخصيته بحيث أنه دون فهم هذه الحركة تتلاشى شخصيته ذاتها، فلذا إنه واجب على مؤرخ السيرة أن يمعن النظر أولا فى عوامل هذه الحركة الطبيعية و بواعثها، و يرى فى أية ظروف أنشأت مشية الله هذه الحركة من صحراء العرب، و إضافة إلى الأوضاع السياسية و الاقتصادية و المعيشية و الدينية و الخلقية و التعليمية على الأقل للعصر الجاهلى، ليستعرض المتطلبات الجغرافية لمولد الإسلام و الطبيعة العرقية للشعوب العربية بقدر المستطاع، لكى يتمكن من تقدير الميولات الذهنية و التنازع على البقاء لذلك العصر و يكوّن رأيا عن الكفاءات الشخصية لحاملى لواء الإسلام، و يتم إكتشاف المقتضيات الفطرية و البدائية جدا لهذه "الحركة الإلهية" التى سبّبت إزدهارها السريع و استجابتها العامة بسرعة منقطعة النظير.

إذ أن التاريخ الإنسانى تبحث عن "توجيه مادى" لكل واقعة، فمن الواضح أنه لايحق لنا أن نخوض فى أحوال حياة الرسول صلى الله عليه و سلم حتى لا يكون توجيهها المادى بين أيدينا. و نمتحن فى ضوءها كل حكم و فعل لهذا "الإنسان العظيم العملاق".

و من البديهى أنه لا يمكن إنجاز هذا العمل دون فراغ مستقل و مقدمات جديدة أخرى.

و الطريقة الثانية التى يمكن أن تتبع هى أن تقدم أحوال حياته صلى الله عليه و سلم منذ ولد إلى أن استاثرت به رحمة الله بالترتيب التوقيتى (CHRONOLOGICAL ORDER) بحيث يتمكن القراء أنفسهم من التوصل إلى

نتائج تاريخية بالنظر فى كتب السيرة. لكن هذا العمل فى مجمله صعب جدا، بل مستحيل من ناحية، لأن كتب السيرة و التاريخ لايوجد فيها توقيت واضح للأحداث التى وقعت قبل الهجرة، و لم تعد تواريخ أحوال بعد البعثة محفوظة فضلا عن زمن ما قبل البعثة. و لا نقضى العجب أن الجزء المكى من رسالته الذى خطير جدا من بعض الجوانب يبدو مبهما و محتاجا إلى البحث، مع أن هذه هى الفترة التى كل لمحة و دقيقة منها كانت بذلت فى نشوء الحركة الإسلامية التدريجى القويم، إضافة إلى الحرب النظرية و الصراع الذهنى و الجدال الفكرى، فلا نعلم فى أى تاريخ شرع رسول الله صلى الله عليه و سلم التبليغ إلى الإسلام للمرة الأولى ؟ و متى أسلم أبوبكر و صحابته الآخرون ؟ و فى أى تاريخ تم شراء و إعتاق بلال - رضى الله عنه - و الموالى الآخرين مثله الذى شجع الطبقة المتخلفة المعدمة فعلا ؟ كذلك لا نعلم فى أى شهر هاجر المسلمون إلى حبشة ؟ و فى أى تاريخ كانت كتبت أو تمت الموافقة على القرار الداعى إلى المقاطعة العامة للحركة الإسلامية و هلم جرا؟ إن كافة الوقائع تقريبا تبقى محتاجة إلى التوقيت.

إن هذا الفقدان التوقيتى للعهد المكى يقدم زاوية فكر جديدة أمام نقدة التاريخ، فإنه ينشأ هنا طبعا سوال ما هو السبب الأساسى لهذا الفقدان ؟ و إذ تم توقيت كل حادث صغير من وقائع العهد المدنى فى التاريخ الإسلامى فلم لا يوجد تاريخ كبار الوقائع و مهامها فى العهد المكى ؟ إن هذا السوال فى الواقع يستحق اعتناء زائدا، و خاصة للعالمين "المتطرفين" لتاريخ الإسلام الذين لا يقران بالبيانات المكتوبة للروايات الإسلامية على الإطلاق.

إن الجماعة الأولى منهم يشتمل على نقدة التاريخ الذين يرون أن هذه البيانات جميعا لا تزيد أكثر من تزوير الزمن اللاحق. و فى المقابل هناك جماعة من العلماء المسلمين المعجبين الذين يرون أن هذه الروايات التوقيتية بأسرها إنما كانت نتيجة ذاكرة العرب الغير عادية و التى كان أخذ مدونو السيرة بكتابتها للمرة الأولى بعد زهاء قرن و الربع.

إن الفقدان السالف الذكر يدعو الجماعتين كلتيها فى وقت واحد إلى إعمال الفكر، و يستعلم منهما:

(أ) إن كانت هذه التصريحات التوقيتية من تزوير المؤرخين المسلمين فى الحقيقة، فلم لا يتراءى هذا التزوير بخصوص وقائع العهد المكى؟ و من الواضح أن الذين كانوا يتمكنون من ارتكاب هذه الشنيعة بخصوص العهد المدنى، كيف أهملوا العهد المكى ناقصا؟.

(ب) كذلك يمكن أن يوجه السوال إلى العلماء المسلمين أنه إذا كانت هذه التصريحات التوقيتية نتيجة للروايات الشفوية و ذاكرة

الصحابة و التابعين المثيرة للإعجاب، فلم أخفقت هذه المعجزة بخصوص الوقائع المكية ؟ و لم لا توجد فيها هذه التصريحات ؟ الصحابة هم و الذاكرة العربية، و الكلف بالأوامر و الوقائع هي هي، لكن توقيت هذه الأحداث و الوقائع منعدم و مفقود.

و من الواضح أن هذا الفقدان التوقيتي للعهد المكي يدل على تغيير "مادي" خاص، و يعلم منه أن التنظيم الإسلامي حصل له "تطور مبدئي" من نوع ما بعد الهجرة تواً، تطور لم يكن يوجد في العهد المكي و حدث بعد الهجرة إلى المدينة فحسب.

و أرى أن هذا التطور بدا لأول مرة في صورة سلطة الإسلام السياسية على الدولة المدينية (City State) للمدينة المنورة، التي سرعان ما تحولت إلى مملكة أصولية أو دولة نظامية، و أخذ موظفوها و المعنيون بها يسجلون هذه الوقائع للاحتياجات الرسمية و شبه الرسمية و الشخصية و أوضح دليل على ذلك هو أن كتب التاريخ تحتوي في الغالب على تاريخ الوقائع التي كانت تتعلق بالمهمات السياسية.

إن السلطة السياسية تكون "صانعة التاريخ" بمعنى الكلمة، إنها لا تصنع تاريخ الأمم فقط بل تحدث في حياتهم تلك الحسنات التي تحتاج إليها تلك الأمة، و خاصة إذا كان هدف أخذ في التقدم و تاريخ دافع إلى الأمام يعملان وراء هذه السلطة.

هذا هو السبب فيما يبدو أن العهد المدني مثلما غني من الناحية التوقيتية، يتراءى العهد المكي مثله معدما من هذا الاعتبار، من هنا إنه من الواضح أنه لا يمكننا أن نرى أحوال رسول الله صلى الله عليه و سلم الإبتدائية التي تمتد على ٥٣ سنة، بالتفاصيل التوقيتية على نحو بين، و كل ما يمكن هي أن نقدر وقائع هذه الفترة تقديرا.

و بأن هذا الكتاب لا يبحث عن سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم بل يقدم حلا لما تبدو فيها من تعارضات و تناقضات، فلذا بحثت عن تلك الوقائع فحسب التي تتعين تواريخها بجلاء، و التي كان يرتاب فيها بسبب نسيان التقويم المكي، تبتدأ هذه التواريخ من الهجرة و تستمر إلى النهاية، فبدأت هذا الجزء من الكتاب من هجرة النبي صلى الله عليه و سلم بالذات.

و قد قدمت في هذا الجزء جميع الوقائع (إلاّ التي تتعلق إحداها بالأخرى) تحت عناوين مستقلة و تركت جميع التفاصيل جانبا التي لم تكن تتعلق بالتوقيت مباشرة أو غير مباشرة، و لكن أبقيت على التفاصيل التي لو تم حذفها لانعدمت النوعية التاريخية لتلك الوقائع.

و راعيت في ذكر الوقائع أن أقوم بتعريفها تعريفا موجزا في كلمات وجيزة، و أينما اضطررت أخذت بشيء من التفصيل أيضا بهدف إقرار تسلسل الوقائع، و قد سعيت بقدر ما أمكن أن تتضح العلاقة التاريخية لواقعة

بالأخرى، حتى لا يشكل على المتابعين لهذا البحث فهم ترتيب الوقائع و الأحداث.

و فى كتب السيرة تبدو بعض الوقائع مختلفة التوقيت لدرجة يلمس فيها تباين سنة أو سنتين، و أراء المؤرخين عنها أيضا تبدو متضاربة، فأولا إن وجهة نظر التقويمين الإثنين ذاتها تحدث اتزانا فى غالب هذه الوقائع و لكن إن احتيج إلى تشريح مزيد فى موضع فقمت به أيضا.

و من خلال زهاء مائة و ربع واقعة صغيرة و كبيرة توجد موقتة فى كتب السيرة المختلفة أقدم هنا نحو سبعين واقعة ، لكى يتم امتحان هذه "النظرية الجديدة" و لم أغض النظر عن سائر الوقائع لأنها تشهد ضد هذه النظرية بل إنما تركتها فقط لأنه لم يعلم تأثير التقويميين الإثنين عليها أو لم يتم تحديد التقويم الذى كانت سجلت بموجبه.

و ستقدم جميع الوقائع مرتبة على السنة، و يقدم جدول على حدة لكل سنة أيضا، الذى يشتمل على التقويمين المكى و المدنى كليهما، و أنشئ هذا الجدول بحيث وضعت فيه التقاويم " المكية و المدنية" جنبا إلى جنب و فى وسطهما التقويم اليوليويسى (Julian Calender) لكى يتضح التفاوت الذى يقع بينهما، و ليعلم أى شهر "مكى" يطابق أى شهر "مدنى" ؟ و فى أى تاريخ ميلادى كان استهل هذان الشهران. إضافة إلى ذلك، كتبت عناوين الوقائع إلى جانب هذه الشهور لكى يتيسر للمتابعين الامتحان التوقيتى لكل واقعة إلى الحد الأقصى، و إن كان تم تسجيل واقعة ما بموجب كلا التقويمين المكى و المدنى، فأشرت إلى ذلك أيضا فى جانبى الجدول.

و قد عثرت على وقائع لا تصح على كلا التقويمين و لا أزال أبحث عنها لكى يقدر ما هى معدلها و لِمَ أصبحت خاطئة.

و بالجملة قدبذلت غاية ما فى وسعى أن أقدم جميع جوانب هذا البحث الذى يمكن أن يرتب بها تاريخ مقبول.

إن سنة عدة وقائع صغيرة تبدو خاطئة عند الواقدى و ابن سعد التى تحتاج إلى مزيد من البحث و الدراسة. فتركت هذه الوقائع الآن.

ـــــ ١ ـــــ

السنة الأولى و الثانية من الهجرة :

(يوجد التقويم المكى بالجانب الأيمن من هذه الجداول و الشهور الهجرية الراهنة للسنة الأولى و الثانية بالجانب الأيسر، و تترسط التواريخ اليوليوسية لكى يعلم أى شهر كان يستهل فى أى تاريخ و يوم ؟).

تقويم السنة الأولى و الثانية

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية وستنفيلد	التقويم المدنى الهجرى
	المحرم	١٣/ سبتمبر ٦٢٢م يوم الإثنين	ربيع الأول
	صفر	١٣/ اكتوبر يوم الأربعاء	ربيع الآخر
١٢/ربيع الأول ، يوم الإثنين، هجرة النّبى	ربيع الأول	١١/نوفمبر يوم الخميس	جمادى الأولى
	ربيع الآخر	١١/ديسمبر يوم السبت	جمادى الآخرة
	جمادى الأولى	٩/يناير ٦٢٣م يوم الأحد	رجب
	جمادى الآخرة	٨/فبراير يوم الثلاثاء	شعبان
	رجب	٩/مارس يوم الأربعاء	رمضان
	شعبان	٨/ابريل يوم الجمعة	شوال
	رمضان	٧/ مايو يوم السبت	ذو القعدة
	شوال	٦/يونيو يوم الإثنين	ذو الحجة
	ذو القعدة	٥/يوليو يوم الثلاثاء	المحرم سنة ٢
	ذو الحجّة	٤/أغسطس يوم الخميس	صفر
	ذو الحجّة نسى	٢/سبتمبر يوم الجمعة	ربيع الأول

الهجرة ـ ربيع الأول من السنة الأولى :

لعله كان يوم الخميس غرة ربيع الأول من السنة الأولى أن طلب رؤساء قريش اجتماعا لوجهاء مكة و شرفاءهم جميعهم فى دار الندوة (SENATE HOUSE) بمكة ، لكى يتمكنوا من البحث فى قرار نهائى حاسم بالنسبة إلى الإسلام و رسوله صلى الله عليه و سلم.

لقد كان ساهم فى هذا الإجتماع رئيس كل أسرة تقريبا من أمثال أبى سفيان و أبى جهل و نضر بن حارث و أمية بن خلف و غيرهم، و كان موضوع البحث بينهم ما هى الطرق التى ينبغى أن تتخذ بالنظر إلى الأوضاع الراهنة قد تدحض هذه الفتنة الحديثة (فتنة الإسلام).

فاقترح بعضهم أن يصفد محمد بالسلاسل و يلقى فى السجن المؤبد (١) و فى مقابل ذلك قال بعض المساهمين فى الاجتماع أن النفى و التشريد كاف له، و كان هناك رأى ثالث يقول أن يقتل محمّد (٢) و كان أبوجهل هو الذى قدم هذا الاقتراح و كان يملك نفوذا بالغا فى قريش فوافق المساهمون على رأيه.

إن حياة فرد ما فى الحياة القبلية لم تكن له بل كانت أمانة مقدسة لقبيلته التى يعيش فيها ، فكان يخاف أنه حينذاك يتوحد بنو هاشم و بنو عبد مناف و تشتعل نيران الحروب الأهلية بمكة، فبعد نقاش و جدال زائدين أجمع المساهمون على أن ينتخب رجل من كل أسرة، و تقوم تلك الجمعية المكونة من هؤلاء الرجال الذين تم اختيارهم بتحمل مسئولية ذلك القتل (٣).

لما اطلع رسول الله صلى الله عليه و سلم على ما وافق عليه ذلك الإجتماع الذى تم انعقاده فى دار الندوة (٤) أخلى بيته من الظهيرة بالذات، تقول عائشة رضى الله عنها:

> *" فبينما نحن جلوس فى بيت أبى بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها " (٥)*

و ما أن لبث رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد وصوله إلى بيت أبى بكر أن تحدث معه فى خلوة، و أبدا نيته فى الهجرة فاستعد أبوبكر توأ لمصاحبته أثناء السفر (٦).

و طبقا لرواية ابن اسحاق خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبوبكر من الباب الخلفى فى تلك الأونة بالذات (فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته) و لجا إلى غارثور (٧) الواقع بجنوب مكة المكرمة (٨).

و هنا حاصرت قريش بيته صلى الله عليه و سلم ليلا و أطلو إلى داخلها

للتاكد من تواجده فيها فلم يكن فراشة خاليا، و فى الصباح انكشف عليهم أن عليا ـ كرّم الله وجهه ـ كان نائما بدلا من رسول الله صلى الله عليه و سلم فى فراشه (٩) فاسرعوا إلى بيت أبى بكر رضى الله عنه و لم يجدوه هنا أيضا، فايقنوا انهما قد هاجرا، و إذ أن الوقت لم يكن مضى إلا قليلا، و كانوا يظنون أنه سيقبض عليهما فى ضواحى مكة، فاعلنوا عن جائزة قيمتها مائة بعير (١٠) و انطلق الناس بالفور للبحث عنهما.

لبث رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبوبكر "ثلاث ليال" فى "غارثور" (١١) و كان عبدالله بن أبى بكر يزورهما كل يوم و يبلغهما أخبار مكة، حتى كان يؤتى لهمابالطعام من بيت ابى بكر رضى الله عنه و يبدو أنهما أقاما بغارثور ثلاث ليال :

أولا : لأن تتضاءل ظلمة الليل لكى يتمكنوا من السفر بيسر و من قطع المسافة إلى الحد الأقصى.

ثانيا: لأن لا يبقى خطر المطاردة الممكنة من قريش.

و يقول مورخو السيرة إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان قصد المدينة ليلة يوم الإثنين.

فيقول الطبرى :

" و كان خروجه من مكة إليها يوم الإثنين، و قدومه المدينة يوم الإثنين لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول." (١٢)

و من هنا يقع أول يوم الإثنين فى ٥ من شهر ربيع الأول، فقد صرح ابن سعد :

" و كان خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة الإثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول." (١٣)

إن جميع المتقدمين يجمعون غلى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نزل بـ "قُبا" يوم الإثنين فى ١٢ من ربيع الأول فى السنة الأولى فيقول ابن اسحاق :

" ثم قدم لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء و كانت الشمس تعتدل." (١٤)

و يقول الواقدى :

" قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة يوم الإثنين لإثنتى عشرة مضت من شهر ربيع الأول "(١٥)

و هذا التاريخ مجمع عليه عند ابن سعد :

> " و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة حين هاجر من مكة يوم الإثنين لإثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول و هو المجتمع عليه." (١٦)

و اختار ذلك المسعودى (١٧) و المقدسى (١٨) و الطبرى (١٩) و غيرهم من كبار المؤلفين ، بأجمعهم ، حتى إن معظم المستشرقين و علماء أوربا (٢٠) لم يتمكنوا من نفيه، و كبار الشيعة أيضا يسلمون بذلك (٢١).

إلاّ أن البيرونى و بعض مؤلفى السيرة الجدد بعده مثلا مارغوليوث (MARGOLIOUTH) (٢٢) و ايج. جى. ويلز (H. G. WELLS) (٢٣) و العلامة شبلى النعمانى (٢٤) و غيرهم يعتقدون أنه كان ٨ ربيع الأول المصادف لـ ٢٠ سبتمبر عام ٦٢٢م. و سبب اعتقادهم هذا فيما يبدو أنه لا يمكن أن يكون ١٢ من شهر ربيع الأول تبعا للحساب القمرى العام يوم الاثنين، بل وفقا لجداول التقويم القمرى البحت لا يقع يوم الاثنين، إلاّ فى ٨ من شهر ربيع الأول، فلذلك ينال هذا التاريخ قبولا و رواجا فى الوقت الحاضر.

و لكن بموجب نظرتى إلى التقويم كان ١٢ من شهر ربيع الأول من السنة الأولى يوم الإثنين بالذات، فإن تلك السنة كانت غرة شهر ربيع الأول المكى مصادفة ليوم الخميس و ١١/ من نوفمبر عام ٦٢٢م، و بناء على ذلك ينبغى أن يكون ١٢ من شهر ربيع الأول يوم الإثنين، و مصادفا لـ ٢٢ نوفمبر عام ٦٢٢ م حسب التاريخ اليوليوسى (JULIAN)، الذى يطابق الروايات مطابقة مطلقة.

هنا أريد أن أقول شيئا عن وجهة نظر برسيفال (PERCEVAL) أيضا، التى بناء عليها ألف السير وليام موير كتابه القيم، فإنه بموجب هذه النظرية أيضا يقع ١٢ من شهر ربيع الأول يوم الإثنين و نظن أن وجهة النظر هذه صحيحة، لكن كما قلت سابقا، أن أكبر نقيصة فيها هى أنها تجعل مواسم وقائع السيرة رأسا على عقب تماما. خذ هذه الواقعة بالذات، فهى عند موير كانت فى ٢٨ من يونيو عام ٦٢٢م (٢٥) أعنى حين كان الصيف على أشده، لكن جميع كتب السيرة تتضمن الرواية التى مفادها أن عليّاً كان نائما على فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بردته ليلة هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم، و موير أيضا قد حكى هذه الرواية بكل ثقة و طمانينة، مع أن طقس مكة فى شهر يونيو لا يدع أحدا أن يلبس الملابس الصوفية العادية أو أن ينام فى رداء من صوف. و تفيد الروايات أيضا أنه حينما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة كان يخترف بها، كأن الفصل حسب اطلاعى كان على وشك الانقضاء (٢٧).

نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم بقبا فى ١٢ من شهر ربيع الأول التى هى قرية صغيرة فى ضواحى المدينة و كانت تسكنها عدة أسر من

الانصار، و كانت تمتاز فيهم أسرة عمرو بن عوف فى الغالب، و كان رئيسها كلثوم بن هدم الذى كان يضيف المهاجرين من ذى قبل، فأقام بها رسول الله صلى الله عليه و سلم أيضا (٢٨).

و إن أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بقبا أسبوعين تقريبا (أربع عشرة ليلة) (٢٩) كما تنص عليه رواية أنس رضى الله عنه، (أعنى إلى ٢٥ / ٢٦ ربيع الأول تقريباً) لكنه يبدو أنه كان يختلف إلى المدينة فى هذه الفترة فأدّى صلاة الجمعة فى المدينة ذاتها فى ١٦ من شهر ربيع الأول (٣٠) و ألقى أول خطبة فى حيّ بنى سالم.

و لما تمت ترتيبات بناء المسجد بالمدينة فانتقل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بيت أبى أيوّب الانصارى - رضى الله عنه - حيث أقام زهاء سبعة شهور.

أعيدوا النظر فى تواريخ هذه الوقائع التالية :

١- اللجوء إلى غارثور: يوم الجمعة ٢/ ربيع الأول المصادف لـ ١٢/ نوفمبر سنة ٦٢٢م.
٢- القيام فى الغار إلى ثلاث ليال : من يوم الجمعة إلى يوم الإثنين من ٢ إلى ٥ ربيع الأول المصادف لـ ١٢ إلى ١٥ نوفمبر ٦٢٢م.
٣- النزول بقبا: يوم الإثنين ١٢/ ربيع الأول المصادف لـ ٢٢ نوفمبر ٦٢٢م.
٤- صلاة الجمعة بالمدينة: يوم الجمعة ١٦/ ربيع الأول المصادف لـ ٢٦ نوفمبر ٦٢٢م.
٥- الإقامة الدائمة بالمدينة: يوم السبت أو يوم الإثنين، ٢٥/٢٧ ربيع الأول المصادف لـ ٥/ ديسمبر ٦٢٢م.

يقول العلامة شبلى النعمانى :

" *إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قدم المدينة يوم الجمعة بعد أربعة عشر يوما* " (٣١)

لكن الروايات الصحيحة تنص على أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نزل بقبا يوم الإثنين، فيكون اليوم الخامس عشر بعد أربعة عشر يوما أيضا يوم الإثنين لا يوم الجمعة، و إضافة إلى ذلك نقل العلامة شبلى النعمانى خريطة للبروج أخذ عن اليعقوبى التى ليست بصحيحة بأية طريقة و لو افترضنا أن التاريخ الصحيح لوصوله صلى الله عليه و سلم هو ٢٠ من سبتمبر الذى ذهب إليه، مع ذلك لا تصح هذه الخريطة، فإنه فى ٢٠ من سبتمبر تكون الشمس بالقرب من برج الميزان لا برج السرطان، كما أظهر فى هذه الخريطة.

٢

السنة الثانية و الثالثة من الهجرة :

قد بحثت فى أصل الكتاب مفصلا عن وقائع هذه السنة المذكور أدناه أما هنا فأبحث عن غزوة ذات العشيرة و غزوة أبواء و تفاصيلهما و سأقدم توقيت سائر الوقائع بالإجمال.

١- صوم عاشوراء :

قد جاء فيما سبق أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان أمر بصوم عاشوراء بعد وصوله إلى المدينة المنورة، و كان ذلك فى السنة الثانية بالبداهة لا فى السنة الأولى، فإنه صلى الله عليه و سلم إنما هاجر إليها فى ربيع الأول من السنة الأولى، و بعد وصوله إليها جاء أول يوم عاشوراء فى المحرم من السنة الثانية .

(راجع للتفاصيل الكاملة مجلة "البرهان" يوليو سنة ١٩٦٤م)

٢ - غزوة طلب كرز بن جابر الفهرى :

إنه يعلم من رواية إبن اسحاق أن هذه الغزوة كانت فى جمادى الآخرة سنة ٢ ، فابن حبيب حكى تاريخها ١٢ من شهر جمادى الآخرة سنة ٢، بالذات. و خلاف ذلك كانت هذه الغزوة عند الواقدى و ابن سعد فى شهر ربيع الأول سنة ٢. و طبقا لجدول التقويمين الإثنين يعادل هذا الشهران فلا يبقى أى تعارض بين هذه الروايات . قال ابن حبيب و هو يذكر تاريخ هذه الغزوة إن ١٢ جمادى الآخرة كان يوم الإثنين، الذى و إن يقع من الوجهة الحسابية فى ١٣ من الشهر المذكور، لكن تفاوت يوم واحد ليس مما يُعاب به.

٣ - غزوة بواط :

إن تاريخ الخروج لهذه الغزوة هو ٣ من شهر ربيع الآخر يوم الإثنين كما توجد فى النسخ المتواجدة لابن حبيب، و كان القفول منها يوم الإثنين فى ٢٠ من شهر ربيع الآخر. إن هذين التاريخين لا يتطابقان فيما بينهما، و يبدو أن تاريخ الخروج كان ١٣ بدلا من ٣ فإنه إذا كان ٢٠ يوم الإثنين فلا يمكن أن يقع قبله يوم الإثنين إلاّ فى ٦ و ١٣، (انظر مجلة "البرهان" سبتمبر ١٩٦٤م) و هنا يلمس تباين يوم واحد فقط فى هذا التاريخ. و حسب التقويم المكى يقع ١٢ من هذا الشهر يوم الإثنين.

٤ - تحويل القبلة :

ذكر الإمام الزهرى أن التحويل كان فى جمادى الأخرة لكن عامة الروايات تذكر شعبان، فهنا أيضا يلمس تاثير التقويمين الإثنين، فقد كانت جمادى المكية سنة ٢، مصادفة لشعبان المدنى.

٥ - سرية عبدالله بن جحش :

يبد ـ أن هذه السرية كانت بعثت فى رجب المكى فالروايات تفيد بأن هذا الشهركان حراما لدى قريش، فكانوا احتجوا على انتهاكه احتجاجا بالغا.

٦- غزوة ينبع :

ذكر ابن حبيب تاريخها ٢ من شهر شعبان سنة ٣، الذى يظل صحيحــا، و يمكن أن يقال عــن يقين أن هذه الغزوة كان تم تسجيلها بموجب التقديم المكى.
(أنظرمجلة "البرهان" مايو/ ٢٨٦)

٧- توقيع الاتفاقيات مع قبيلتى بنى غفار و أسلم :

ذكر إبن حبيب أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان خرج لتوقيع هذه الاتفاقيات يوم الثلاثاء فى ١٤ من شهر شعبان. و بموجب التقديم المكى يقع ١٤ من شعبان سنة ٢، يوم الثلاثاء بالذات، فهـــذه الرواية مكيـــة لا محالـــة.
(أنظر مجلة "البرهان" مايو / ٢٨٦).

٨ - غزوة بدر :

إن تاريخ هذه الغزوة المعروف هو يوم الجمعة ١٧ من شهر رمضان المبارك، لكن أكبر سند للسيرة عروة بن الزبير قد ذكر تاريخه ١٦ من رمضان أيضا. (الدر المنثور ١٨/٣). و مع أن غرة رمضان كانت يوم الجمعة من الوجهة الحسابية، لكنه يبدو أن الرواة كانوا سلموا بغرة رمضان يوم الخميس. من هذا الاعتبار يقع يوم الجمعة فى ١٦ من رمضان. إن الروايات تنص على الطقوس الحارة لهذه الغزوة، و لأن شهر رمضان سنة ٢، بموجب التقويم المكى كان مصادفا ليونيو عام سنة ٦٢٧ م فيبدو أن هذه الأخرى أيضا مكية.

(أنظر مجلة "البرهان" مايو/ ٢٦٩).

تقويم السنة الثانية و الثالثة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
١٠/المحرم سنة ٢. يوم عاشوراء	المحرم سنة ٢	٢/أكتوبر ٦٢٣م يوم الأحد	ربيع الثانى	
غزوة أبواء أولى الغزوات من رواية ابن اسحاق و الواقدى و غيرهما	صفـــر	٣١/أكتوبر يوم الإثنين	جمادى الأولى	غزوة ذات العشيرة أولى الغزوات من رواية البخارى (زيدبن أرقم)
غزوة طلب كرز بن جابر الفهرى عن رواية الواقدى و ابن سعد	ربيع الأول	٣٠/نوفمبر يوم الأربعاء	جمادى الآخرة	غزوة طلب كرزبن جابر (ابن اسحاق)، و عن رواية ابن حبيب ١٢/جمادى الأخرى ٢
غزوة بواط، و رجع يوم الإثنين في ٢٠ ربيع الثانى ابن حبيب	ربيع الثانى	٢٩/ديسمبر يوم الخميس	رجب	
تحويل القبلة عن رواية الزهرى رحمه الله	جمادى الأولى	٢٨/يناير ٦٢٤م يوم السبت	شعبان	تحويل القبلة (عامة الروايات)
	جمادى الآخرة	٢٦/فبراير يوم الأحد	رمضان	
سرية عبد الله بن جحش	رجب	٢٧/مارس يوم الثلاثاء	شوال	
غزوة ينبع يوم الخميس ٢/شعبـــان سنـــة ٢. (ابن حبيب) و الاتفاقيات مع بنى غفار و أسلم يوم الثلاثاء ١٤/شعبان ٢.	شعبان	٢٥/ابريل يوم الأربعاء	ذوالقعدة	
غزوة بدر الكبرى، يوم الجمعة ١٦/رمضان ٢ عن رواية عامر بن ربيعة و عروة بن الزبير	رمضان	٢٥/مايو يوم الجمعة	ذوالحجة	
١- غزوة بنى سليم (ابن اسحاق) ٢ - قتل أبى عفك (الواقدى) ٣-سرية غالب بن عبد الله (ابـــن حبيب) ٤ - غزوة بنى قينقاع (الواقدى) ١٤/شوال، يوم السبت	شوال	٢٤/يونيو يوم الأحد	المحرم سنة ٣	غزوة بنى سليم (الواقدى و ابن سعد)
+	ذوالقعدة	٢٤/يوليو يوم الثلاثاء	صفر	١-غزوة بنى قينقاع (ابن حبيب) يوم الأحد ١/صفر، ٢-زواج فاطمة (الطبرى)
١ - زواج فاطمة، ٢ - غزوة السويق ٥/ ذى الحجة يوم الأحد (ابن اسحاق و الواقدى)، ٣- غزوة ذى أمر (ابن اسحاق)	ذوالحجـــة	٢٢/أغسطس يوم الأربعاء	ربيع الأول	١-مقتل كعب بن الأشرف ١٤/ ربيع الأول (الواقدى) ٢-غـزوة ذى أمر (الواقدى)

٩ - غزوة بنى سليم :

إنه يعلم من رواية ابن اسحاق أن هذه المهمة كانت بعثت فى شوال سنة ٢ لكن الواقدى ذكر تاريخها المحرم سنة ٣ ، و بمعونة نظرية التقويمين الإثنين يرتفع هذا التعارض أيضا على الإطلاق.

١٠- قتل أبى عفك :

إنه يثبت من تفاصيل هذه الواقعة أنها حدثت حين كان الحر على أشده، و من وجهة جدول التقويم المكى يصادف شوال سنة ٢. لشهر يونيو، فهذا البيان أيضا يبدو مكيا.

(أنظر مجلة "البرهان" مايو ٢٧٤)

١١- سرية غالب بن عبد الله :

قد بحثت عن تاريخ هذه السرية مع غزوة بنى سليم فى أصل الكتاب بحثا كاملا.

١٢- غزوة بنى قينقاع :

ذكر الواقدى تاريخ هذه الغزوة يوم السبت المنتصف من شوال، و بموجب التقويم المكى إن ١٤ - ١٥ من شهر شوال يقع يوم السبت بالذات، الذى يثبت منه أن هذه الرواية كانت مكية. و ابن حبيب ذكر تاريخها يوم الأحد ٧ من شهر صفر سنة ٣. الذى هو تاريخ نفى اليهود من المدينة فى الغالب، و هذا التاريخ يبدو مدنيا، و يلمس تأثير التقويمين الإثنين على هذه الغزوة أيضا.

١٣- زواج فاطمة رضى الله عنها :

ذكر الطبرى تاريخه نهاية صفر، الذى فى الغالب رواية مدنية، و علماء الشيعة يجمعون على غرّة ذى الحجة التى تبدو رواية مكية (٣٣) و يعلم بالنظر فى جدول التقويمين الإثنين أن مستهل ذى الحجة المكى كان متصلا بنهاية صفر المدنى.

١٤- غزوة السويق :

إن ابن اسحاق و الواقدي يجمعان على شهر هذه الغزوة، لكن الواقدي ذكر تاريخها يوم الأحد ٥ من شهر ذي الحجة، الذي يصدق حتما في ضوء الحسابات المكية.

١٥- قتل كعب بن أشرف :

هذه الرواية تبدو مدنية، فإن ربيع الأول سنة ٣. كان في فصل الشتاء.

١٦- غزوة ذي أمر :

إن تاثير التقويمين الإثنين يلمس على نحو بين على توقيت هذه الغزوة فإنه وفقا لتصريح ابن اسحاق كانت هذه الغزوة في أخر ذي الحجة سنة ٢. و أما عند الواقدي فكانت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة ٣. ، و يعلم من الجدول أن ذا الحجة و ربيع الأول كانا مصادفين في سنة ٢..

ملحوظة : إنه يوم الأربعاء في ٦ من يونيو عام سنة ٦٢٤م كان خسف القمر، أعني أنه يوم الثلاثاء كان اليوم الرابع عشر من الشهر الهندي و يوم الأربعاء كان الليلة الرابعة عشر من الشهر القمري.

١٧ - غزوة ذات العشيرة وغزوة أبواء / ودان :
جمادى الأولى و صفر سنة ٢٠ المصادف لـ اكتوبر ٦٢٣م

إن جميع علماء السيرة تقريبا يجمعون على أن أول غزوة ساهم فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم شخصيا كانت غزوة أبواء (٣٤) التي تعرف بـ "غزوة ودّان" أيضا، فابن اسحاق و الواقدي و ابن هشام و ابن سعد و ابن حبيب و الطبري و غيرهم من المتقدمين و كافة المتاخرين بعدُ - رحمهم الله - بدأوا سلسلة الغزوات من هذه الغزوة بالذات.

و هم يجمعون أيضا على أن غزوة أبواء وقعت في شهر صفر سنة ٢. (٣٥) بل قد جاء في شرح المواهب أن الله تعالى أذن للمسلمين بالجهاد في شهر صفر هذا بعينه (٣٦).

و لو قورنت هذه الفكرة المتفقة عليها لعلماء السيرة بكتاب المغازي للجامع الصحيح للإمام البخاري ليتراءى تناقض بينهما، فإن الإمام البخاري

بدأ سلسلـة الغـزوات من غـزوة ذات العشيـرة، و قـدم حديث زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ كدليل له.

" قيل له (أي زيد بن أرقم) : كم غزا النبي صلى الله عليه و سلم من غزوة ؟ قال : تسع عشرة، قيل : كم غزوات أنت ؟ قال : سبــع عشــرة، قلت أية كانت أول ؟ قال : عشيــرة أو عسيرة" (٣٧)

إنه لو صح أنه أذن لرسول الله صلى الله عليه و سلم بالجهاد في شهر صفر بالذات و خرج في هذا الشهر بعينه لسد الطريق العام في وجه قوافل قريش، و توقيع إتفاقيات صداقة و إخاء مع القبائل المجاورة له، (الذي كان يتحتم للاحتياجات الاقتصادية للمدينة المنورة) فينبغي أن تكون غزوة ذات العشيرة في شهر صفر سنة ٢،٠ فإن شهادة زيد بن أرقم شهادة رجل اصطحب رسول الله صلى الله عليه و سلم و شهد معه ١٧ غزوة من ١٩ غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه و سلم (٣٨).

و في مقابل ذلك يتفق ابن اسحاق و الواقدي و غيرهما على أن هذه الغزوة لم تكن في شهر صفر سنة ٢،٠ بل في شهـر جمادى الأولى سنة ٢. (٣٩) و هكذا يسلّم بصورة عامة بأن هذه الغـزوة كانت بعد غزوة "أبـواء" بشهريـن و نصف شهر تقريبا.

إن هذا الاختلاف بين المحدثين و مؤرخي السيرة يسفر عن أن كلتا الروايتين تعود مشكوكة فيها و مرة نجرح الإمام البخـاري و زيـد بـن أرقـم و الأخرى مؤلفـي السيــرة، و لكن لو تم امتحانـه امتحانا واقعيا لثبت أنـه لا يعدو أكثر من خداع تقويمي، الذي وقع فيه مؤلفو السيرة و المؤرخون منذ زمن طويل.

لو ألقينا نظرة على جدول التقويمين الإثنين لسنة ٢. ليتراءى صفر المكي في مقابل جمادى الأولى المدنية، و يعني ذلك أن كلا الشهرين كانا مصادفين في سنة ٢،٠ و كان هذا الشهر وفقا للتقويم المكي يدعى صفر، و وفق التقويم القمري العام كان يعرف بجمادى الأولى. من هنا إن كلتا الغزوتين تتعلقان بشهر واحد.

و قد قدم مؤلفو السيرة "غزوة أبواء" بمحض أنها وقعت في شهر يدعى "صفر" بموجب الروايات، و الذي يحل قبل جمادى الأولى، و بالمقابل جعلوا غزوة ذات العشيرة غزوة ثالثة بمحض أنها وقعت طبقا للروايات في شهر جمادى الأولى.

إنه يبدو أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حينما خـرج إلى القـرى و الأرياف الواقعة في ضواحي المدينة، لإجراء الاتفاقيات معهم فوصل أولا إلى

ذات العشيرة حيث فاوض، مع "بنى ضمرة" و "بنى سليم" و تمت الموافقة على شروط الاتفاقية. لكن منازل "بنى ضمرة" الأصلية كانت بـ "أبواء" أو "ودّان" فقصدها أيضا، و هنا فى الغالب تم إعطاء الاتفاقية مع "بنى ضمرة" شكلا نهائيا، و كان مخشى بن عمرو رئيس بنى ضمرة حينذاك (٤٠). و الإتفاقية التى تمت بخصوص ذات العشيرة جاء بصددها فى الطبرى :

" *و وادع فيها بنى مدلج و حلفاءهم من بنى ضمرة* (٤١)."

كأن الاتفاقية البدائية كانت مع "بنى مدلج" و ضمن ذلك تمت الاتفاقية مع بنى ضمرة حلفاء بنى مدلج أيضا، لكن الإتفاقية التى جاء ذكرها ضمن "غزوة أبواء" ذكر فيها بنو ضمرة فحسب لا بنو مدلج :

" *فوادعته فيها بنو ضمرة، و كان الذى وادعه منهم عليهم مخشى بن عمرو الضميرى، و كان سيدهم فى زمانه ذلك.* (٤٢)"

و إبن حبيب أيضا ذكر "بنى ضمرة " فقط و لم يشر إلى بنى مدلج أيما إشارة :

"*فوادع بنى ضمرة، و كتب لهم كتابا، و بلغ ودّان و الأبواء* " (٤٣)

و يعنى هذا بجلاء أنه-صلى اللّه عليه و سلم بعد غزوة ذات العشيرة بالفور قدم إلى "أبواء". فإنه لو قصد "أبواء" أولا و كان أبرم الاتفاقية مع بنى ضمرة، فلم تكن الحاجة إلى إعادتها فى غزوة ذات العشيرة، و ليراع هنا خاصة أنه فى هاتين الغزوتين كان حمزة بن عبدالمطلب (٤٤) حامل لواء الجيش عند مؤرخى السيرة كلهم، الذى يترتب عليه أن جيشا واحدا وصل إلى هذين الموضعين الذى سار أولا إلى "عشيرة" و إلى "أبواء" ثانيا.

إن موقع ذات العشيرة قريب من "ينبع" بل إن مؤلفى السيرة يجعلونها "بطن ينبع" بالذات، و يعنى ذلك أن هذا الجيش مر بـ "ينبع" فى طريقه إلى "أبواء".

و طبقا لرواية ابن اسحاق إن تاريخ رجوعه عن "عشيرة" هو مستهل جمادى الآخرة سنة ٢. "فأقام بها جمادى الأولى و ليالى من جمادى الآخرة ... ثم رجع إلى المدينة. (٤٥)"

لكن هذا يبدو تاريخ وصوله إلى المدينة المنورة من غزوة العشيرة فإنه بعد أيام قليلة منها وقعت غزوة كرز بن جابر الفهرى فى ١٢ من شهر جمادى الآخرة، فيقول ابن اسحاق :

" و لم يقم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة " (٤٦)

و يقول ابن حبيب أن كرز أغار على المدينة فى ١٢ من شهر جمادى الآخرة، (٤٧) فينبغى أن يصل رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة من "عشيرة" فى الأسبوع الأول من جمادى الآخرة.

و تبعا لتصريح إبن سعد إن غزوة "ذات العشيرة" كانت تستهدف شن غارة على القافلة التجارية لأبى سفيان التى كانت تتجه إلى الشام بالبضائع التجارية، و كانت هذه ذات القافلة التى وقعت على أثر رجوعها غزوة بدر الشهيرة فى شهر رمضان سنة ٢. (٤٨) لكن تصريح عروة بن الزبير أكبر سند للسيرة يشهد خلاف ذلك (٤٩). فقد غادرت قافلة أبي سفيان - كما قال عروة - حين كان قتل ابن الحضرمي فى مواجهة سرية عبد الله بن جحش ، و كان المسلمون قد قطعوا الطريق على قافلة قريش.

و كان ذلك فى شهر رجب سنة ٢. فيعلم منه أن غزوة ذات الغشيرة لم تكن تتعلق بخفارة قافلة أبى سفيان .

و للبحث صلة ......

تعريب : ولى اختر الندوى

الهوامش و المراجع :

١ - ابن هشام ١٢٤/٢ و ابن سعد ١٥٣/١

٢ - ابن هشام ١٢٥/٢ و ابن سعد ١٥٣/١ و الطبرى ٢٤٣/٢

٣ - ابن سعد ١٥٣/١ و ابن هشام ١٢٦/٢ الطبرى ٢٤٥/٢

٤ - ابن سعد ١٥٣/١ و ابن هشام ١٢٦/٢

٥ - الصحيح البخارى باب هجرة النبى صلى الله عليه و سلم

٦ - و انظر نفس هذه الرواية فى ابن هشام ١٢٩/٢

٧ - ابن هشام ١٣٠/٢ و المقدسى ١٧١/٤ و الطبرى ٢٤٧/٢

٨ - Margoliouth Rise of Islam P. 208

٩ - ابن سعد ١٥٣/١، ١٥٤

١٠ - ابن هشام ١٢٦/٢

١١ - ابن هشام ١٢٠/٢ و ابن سعد ١٦٠/١

١٢ - الطبرى ٢٥٤/٢ و ابن هشام ٢/

١٣ - ابن سعد ٢/٢ و انظر أيضا ابن سعد ١٥٧/١

١٤ - ابن هشام ٢/

١٥ - الواقدى ١ /٢

١٦ - ابن سعد ٢/٢

١٧ - التنبيه و الاشراف /٢٣٣

١٨ - بدء التاريخ ١٧٧/٤

١٩ - الطبرى ٢٥٤/٢

٢٠ - S.W.MUIR: LIFE OF MOHAMMED
ANDRAIS : THE MAN AND HIS FAITH P.5
MOHAMMED THE PROPHET OF ALLAH P.61

٢١ - ابواب التاريخ لكليني
٢٢ - Margoliouth: Rise of Islam P. 471
٢٣ - H. G. Wells: The Outline of History (1920 Revised 1931)
٢٤ - سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني ٢٧٧/١
٢٥ - "It was Monday June 28, 622 A.D." S.W. Muir: Life of Mohammed P. 168
٢٦ - ابن هشام ١٣٦/٢ و ابن سعد ١٥٤/١ و الطبري ٢٤٣/٢، ٢٤٤
٢٧ - و جاء في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ المدينة، كان عبد الله بن سلام يخترف في نخل " و هو في النخل لأهله يخترف لهم " باب هجرة النبي ، و راجع أيضا ابن سعد ١٦٠/١.
٢٨ - ابن هشام ٢ - و الطبري ٢ -
٢٩ - الصحيح البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه.
٣٠ - ابن هشام /٢
٣١ - سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني ١/ ٢٧٧
٣٢ - قد كتب المؤلف فيما مضى أنه التفت ذهنه صلى الله عليه وسلم إلى صوم عاشوراء، بما رأى اليهود يصومونه، و إلاّ كانت قريش أيضا تصومه، و تنحل به هذه العقدة بنفسها أن المسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة كانوا يواجهون تقويما جديدا. إن شهر رمضان بادئ ذي بدء كان يعد تبعا للتقويم المكي و كان دائما يحل في فصل الصيف.
٣٣ - و تتأكد بها الرواية الشيعية، و تزول بها اختلافات الروايات أيضا.
٣٤ - انظر ابن هشام ٢٤١/٢ و الواقدي ٧/٢ و ابن سعد ٣/٢ و الطبري ٣٦١/٢ و المقدسي ١٨٢/٤ و التنبيه و الإشراف للمسعودي /٢٣٥
٣٥ - الواقدي ٢/١ و ابن سعد ٣/٢ و ابن هشام ٢٤٠/٢ و القسطلاني /٩٨
٣٦ - شرح الزرقاني للمواهب ٤٦٦/١
٣٧ - الصحيح البخاري كتاب المغازي - و قد نقل هذه الرواية الواقدي و الطبري و غيرهما أيضا انظر الواقدي ٢/١ و الطبري ضمن وقائع سنة ١٠ هـ
٣٨ - قد اختلف المؤلفون في عدد غزوات النبي صلى الله عليه و سلم، و سببه أن بعضهم أدخل السرايا و البعوث في غزواته، و بعضهم لم يفعلوا ذلك.
٣٩ - انظر ابن هشام ٢٤٩/٢ و الواقدي ٢/١ و ابن سعد ٤/٢ و الطبري ٢٦٠/٢ و ابن حبيب ص ١١١ و البداية و النهاية ٢٤٦/٣ و عيون الآثار /٢٢٦
٤٠ - ابن هشام ٢٤١/٢ و ابن سعد ٣/٢ و الطبري ٢٥٩/٢ و ما إليها.
٤١ - ابن هشام ٢٤٩/٢ و ابن سعد ٥/٢ و الطبري ٢٦٠/٢.
٤٢ - ابن هشام ٢٤١/٢ و انظر أيضا ابن سعد ٣/٢ و الطبري ٢٥٩/٢ و ما إليها.
٤٣ - ابن حبيب ص : ١١٠.
٤٤ - الطبري ٣٦١/٢
٤٥ - ابن هشام ٢٤٩/٢
٤٦ - ابن هشام ٢٥١/٢
٤٧ - ابن حبيب ص ١١١
٤٨ - ابن سعد /٢

٤٩ - الطبري ٣٦٧/٢

الحلقة الثانية :

مساهمة أوده
فى خدمة اللغة العربية و آدابها
(١٧٢١-١٨٥٦م)
دراسة تاريخية و نقدية

بقلم : د/ مسعود أنور العلوي الكاكوروي
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية و آدابها
جامعة عليجره الإسلامية ، الهند

ا-التفسير:

قبل أن نستعرض مساهمة علماء أوده فى التفسير باللغة العربية ينبغى أن نذكر المفهوم من التفسير، و تطوره فى التاريخ مؤجزاً.

التفسير مصدرالفعل "فسّر" و معناه الفتح و الإيضاح ، و لأداء هذا المعنى نجد فى العربية "فسّر" و "سفر" و الفرق بينهما أن الأول يختص بإيضاح الظواهر المادية ، بينما الثانى يتصل بإيضاح المعانى ، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يفسرّ ما أجمل الكلام ، و يشير إلى الناسخ و المنسوخ.

و اتسعت الفتوحات و الانتصارات الإسلامية بدءاً من الخلافة الراشدة و بذلك حدثت ثورة فكرية و عقلية و اجتماعية ، و بدأت الملل و النحل تعتنق الإسلام أفواجاً ، و أدى ذلك نشؤ المشكلات التى لم توجد قبل، و شعر الناس بالحاجة إلى التفكير و التفقه ، و بالحاجة إلى استنباط الأحكام الشرعية للمشكلات التى خلقتها الحياة الجديدة فى المجتمع الحديث ، و ذلك فى ضوء الكتاب و السنة ، و الأدلة العقلية ، و بدأ الناس يفسرون القرآن لفهم المعانى و الأحكام ، كما بدأوا يؤلفون كتب التفسير و فن التفسير نجد تباشيره فى فجر الإسلام ، و كان عبد الله بن عباس رضى الله عنه و العديد من الصحابة ذوى مكانة مرموقة فى علم التفسير.

و ظهرت مدارس مختلفة و وجهات أنظار متعددة بصدد التفسير، فرجل يفسر القرآن بمنظوره الخاص حسبما يدرك مغزى الآية ، و كما قيل إن التفسير يفسّر صاحبه أكثر مما يفسّر الآية ، كما تختلف جوانب الاهتمام في التفسير، فزيد يهتم بإيضاح جوانب اللغة و البيان في القرآن ، و عمرو يفرغ جهوده في جمع الأقوال و الروايات التفسيرية ، و ثالث يؤضح نقاط التصوف و هكذا دواليك ...

و لأجل أن الهند لا يوجد فيها تاريخ قديم مسجل للمعارف الإسلامية و تطوراتها ، فإن الباحث يواجه صعوبات في تلميح نقطة الانطلاق للتفسير في الهند ، و تقول رواية بأن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز صاحب "المنصورة" طلب من عالم سندى عراقي الأصل الذى نشأ و ترعرع في الهند و الذى كان يعرف عدة لغات ، أن يؤلف تفسيرا باللغة الهندية ، فألف ذلك الرجل التفسير إلى سورة يسين ، و ذلك بإشارة من ملك هندى يدعى بإسم "مهروك بن رائق" ملك " الرا ". (١)

و قد أعد الدكتور محمّد سالم قدوائى ـ الأستاذ المساعد بمعهد المعارف الإسلامية بجامعة على كره الإسلامية ، الهند ـ أطروحة حول التفسير و المفسرين في الهند ، و بالفعل تم طبعها ، و عرفتها الأوساط العلمية و الجامعية في الهند.

و الأسماء كثيرة بصدد التفسير و المفسرين في الهند ، و خدماتهم جليلة و مساهمتهم هائلة ، و فيما يلي بعض الأسماء الهندية لخدمة التفسير باللغة العربية.

١- "*كاشف الحقائق و قاموس الدقائق*" للشيخ محمّد بن أحمد الفجراتي (٨٢٠هـ / ١٤١٧م)
٢- "*الدرر الملتقط*" للشيخ السيد محمّد كيسو دراز (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م)
٣- "*تبصير الرحمن و تيسير المنان*" للعلامة علي المهائمي (٨٣٥هـ / ١٤٣١م)
٤- "*التفسير المحمّدى*" للشيخ محمّد بن أحمد ميانجيو (٩٨٢هـ / ١٥٧٤م)
٥- "*منبع عيون المعانى و مطلع شموس المثانى*" للشيخ مبارك الناجورى (١٠٠١هـ / ٣-١٥٩٢م)
٦- "*سواطع الإلهام*" للشيخ فيضى الفياضى (١٠٠٤هـ / ٦-١٥٩٥م)
٧- "*أنوار الأسرار*" للشيخ عيسى بن قاسم السندى (١٠٣١هـ/١٦٢٢م)
٨- "*التفسير المظهرى*" للقاضى ثناءالله البانى بتى (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م)
٩- "*التفسيرات الاحمدية*" للشيخ أحمد بن أبى سعيد صالح الاميتهوى (١١٣٠هـ / ١٨١٨م)

• من تفسير الأجزاء من القرآن :

١- "*تفسير سورة الفاتحة*" للشيخ عبدالله بن عبدالحكيم (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)
٢- "*أنوار الفرقان*" للشيخ غلام نقش بند اللكنوى (١١٣٦هـ / ١٨١٤م)
٣- "*شئون المنزلات*" للشيخ علي متقي البرهان بورى (٩٧٥هـ/٨-١٥٦٧هـ)
٤- "*ينابيع الأنوار*" للسيد محمد تقي اللكنوى (١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م)

أما العلماء فى أودهـ فتركز جل اهتمامهم حول اللغة الفارسية ، لأجل ذلك نجد أنشطتهم فى التفسير باللغة الفارسية ، و مع ذلك فمساهمتهم فى التفسير باللغة العربية لا بأس بها ، و فيما يلى أسماءهم و أسماء التفاسير التي ألفّوها باللغة العربية:

١- "*ثواقب التنزيل فى إثارة التأويل*" للشيخ علي أصغر بن عبدالصمد القنوجى (١١٤٠هـ/١٧٢٧م). و توجد نسخة خطية له فى مكتبة رامبور.
٢- "*التفسير الصغير*" للشيخ رستم علي بن علي أصغر القنوجى (١١٧٨هـ/١٧٦٤م). و توجد نسخة خطية فى مكتبة مولانا آزاد ، بجامعة عليكره الإسلامية ، الهند. تحت رقم: العربية (١) ٧٧، و نسخة أخرى فى مكتبة كاكورى.
٣- "*برهان التأويل فى شرح الإكليل*" للشيخ سراج أحمد بن محمّد مرشد الرامفورى (١٢٣٠هـ / ١٨١٥م). و توجد نسخة خطية فى علي كره.
٤- "*السبع المثانى*" للسيد محمّد بن دلدار علي النصيرآبادى (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م). و توجد نسخة خطية فى رامبور.
٥- "*تعداد الأسماء فى القران*" للشيخ غلام حسين الإله آبادى، و توجد نسخة فى المكتبة الناصرية ، لكناؤ.
٦- "*الأمالى فى التفسير و المواعظ*" للسيد حسين بن دلدار علي (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م). و توجد نسخة فى مكتبة السيد تقي ، لكناؤ.
٧- "*الحاشية على أنوار التنزيل*" للملا حامد بن عبد الرحيم الجونفورى (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م). و توجد نسخة فى مكتبة خدا بخش ، بتنه ، بيهار، و أخرى فى مكتبة كلكتا.
٨- "*الهلالين شرح جلالين*" للشيخ تراب علي بن شجاعت علي اللكنوى (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م). و هذا التفسير يوجد مطبوعاً فى الهند.
٩- "تفسير سورة يسين" للسيد مرتضى الزبيدى البلجرامى (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م).
١٠- "*رسالة عجيب البيان فى علوم تفسير القرآن*" للسيد عبد الباسط القنوجى بن رستم علي (١٢٢٣هـ / ١٨٢٨م)

١١- "*تفسيرالقرآن*" للسيد محمّــد أشرف بن نعمت الله اللكنوى (١٢٤٤هـ الموافق ١٨٥٦م)
١٢- "*الرسالة في تحقيق معنى إن شـــاء اللّه*" للسيد حسين بن دلدار علي (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م)
١٣- "*حاشية البيضاوى*" للمفتى جارالله الإله آبادى ، و توجد نسخة خطية في على كره ، قسم فرنجى محلى ٢١/٢٠.
١٤- "*منح الفيوضات الوافية في ما في سورة الرحمن من الأسرار الإلهية*" للسيد مرتضى الزبيدى ، المتقدم ذكره.
١٥- "*حاشية البيضاوى*" للسيد عبدالحكيم الأنصارى (١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م). ذكرها الرائي بريلوى في نزهة الخواطر ٢٤٦/٧
١٦- "*كتاب الغواص في بعض السور و الآيات*" للسيد محمّد بن أبى طالب الملقب بحزين (١١٨٣هـ / ١٧٦٩م)
١٧- "*كتاب شجرات النور في شرح آية النور*"
١٨- "*كتاب تجويد القرآن*" و كلاهما للسيد محمد بن أبى طالب حزين.

و أول إسم في التفسير في مملكة أودهـ هو الشيخ علي أصغر بن عبدالصمد القنّوجى (١١٤٠هـ / ١٧٢٧م) و أكمل تفسير نجده من أقلام العلماء في أودهـ هو تفسير الشيخ رستم علي بن علي أصغر القنوجى (١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م) المعروف باسم "*التفسير الصغير*" و قد استطاع الدكتور سالم قدوائى بعد بذل جهد جهيد للبحث عن هذا التفسير أن يقف على نسخة له في المكتبة الأنورية الكاظمية، و هي نسخة فيها تفسير خمسة أجزاء من القرآن.

و وقف كاتب هذه السطور على نسخة أخرى بخط واضح في مكتبة مولانا آزاد بجامعة على كره الإسلامية ، الهند ، بقسم الجامعة: العربية ، المذهب (١) ٧٧. و نذكر في الثاني شخصيات كان لها دور كبير في تطوير التفسير في منطقة أودهـ ، إضافة استعراض سريع لروائعهم فيه.

ا - الشيخ علي أصغر القنّوجى:

كان الشيخ علي أصغر بن عبد الصمد من كبار علماء قنوج ، يرتقى نسبه إلى سيدنا أبى بكر الصديق بواسطة الشيخ عمادالدين الكرمانى صاحب "*الفصول العمادية*" ، و لد في ١٠١٥هـ / ١٦٤١م في قنوج و نشأ هناك، و قرأ على الملا محمّد حسني القنوجى ، و الملاّ عصمت اللّه السهــارنفورى (١١٣٣هـ/١٧٢٠هـ) و الملا محمّد زمــان الكاكـوروى بن الملاّ محمّــد رضـــا،

و الشيخ ديانت علي خان ، و قرأ فاتحة الفراغ على الملاّ لطف الله الكاكوروى ، و ظل فى آخر عمــره يشار إليـــه بالبنان فــىَ العلوم العقليـــة و النقليـة و التصوف ، و توجـــه إلى لكناؤ و بايـع الشيخ محمّد بن أولياء الجشتـى و منحه الشيخ الخلافة ، ثم رجع إلى قنوج ، و أكب على التدريس و الإفـادة ، و لم يزل يواصل هذه العملية إلى أن نيف على الستين ، و استفاد منه عدد كبير من العلماء ، و مات فى قنوج فى سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م. و دفن فيها.

و أرخ العلامة غلام علي آزاد البلجرامى وفاته فى هذا البيت:

مولوى زمان على أصفـــر أز وفاتش كمال شد معـدوم
سال تاريخ او نوشت خرد شد نهاں آفتاب صبح علوم
١١٤٠ هـ

(مات الكمال بموت عالم الدهر علي أصفر ، و تاريخ موتـه يتضح من "شد نهاں آفتاب صبح علوم" أى غربت شمس صبح المعارف)

و مما ألفّـه من الكتب . *القصيدة الميميـــة فى النفحـــات المحمّديـــة،* و *اللطائف العلية فى المعارف الالهية* ، و *تبصرة المـــدارج* ، و *رياض المعارف* (شعر بالفارسية)، و *تفسير شواقب التنزيل فى إشارات التأويل* ، و هذا الأخير يوازى تفسير الجلالين فى إيجازه و تركيزه ، و قد أثنى عليه مؤرخو تاريخ الثقافة الإسلامية الهندية (٢).

و نجد نسخة خطية لتفسير *شواقب التنزيل* فى مكتبة رامبور تحت رقم ٥٣٦ ، و هى تشتمل على تسعين ورقة ، أولها.

" *الحمدلله العليم الحكيم الذى أنزل على عبده كتابا فاتحته السبع المثانى و القرآن العظيم* .... "

و نجـــد تفسير الفاتحـــة فـــى خمس عشــر ورقة أوضح فيه المعانى و المفاهيم، مؤكداً الحاجة إلى فهم أسرار الفاتحة و أهميتها ، ثم بحث فى إعجاز القرآن و سبع قضايا تتصل به.

المسألـة الأولى تتصل بنزول القرآن ، و الثانيـة بكم آية كان جبريل يأتى النبى صلى الله عليه و سلم، و الثالثـة كيفية الوحى المحمّدى ، و الرابعة حول الآيات المكية و المدنية ، و الخامسة حول ترتيب النزول ، و السادسة تتصل بجمع القرآن بين الدفتين ، و السابعة تتعلق بقول النبى صلى الله عليه و سلم " أنزل القرآن على سبعة أحرف " ثم فسّر الحروف المقطعات مثل *الٓمٓ* ، و فى ذلك قال :

" و ليعلم أن المقطعـــات فـــي أوائل الســـور من المتشابهـات لا يعلم تأويله إلاّ الله كما قيل إن لكل كتابٍ سراً و سر القرآن فواتح السور."

و كان يريد تفسير سورة البقرة و آل عمـــران في الثاقبـة الثانيـة ، و لكنه إما لم يستطع تكميله أو ذهبت به الأيام ، و هذه النسخة تنتهي على هذه العبارة :

" و ذلك إشارة إلى *الٓمٓ* المذكور قبله .... بالمؤلف من هذه الحروف."

٢- الشيخ رستم علي القنّوجي:

كان الشيخ رستم علي من أعلام عصره ، ولد في ١١١٥هـ / ٤-١٧٠٣م في قنوج ، و قرأ على أبيه المختصرات و المتوسطات ، و لما مات أبوه في سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م قدم رستم علي لكناؤ و تلمذ على الملاّ نظـــام الدين اللكنوى (١١٦١هـ/١٧٤٨م) و أنهى دراسته هنا في سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م ، ثم رجع إلى قنوج ، و اشتغل بالتدريس مكان أبيه، و أجازه الشيخ محمّد كامل القنوجي (١١٤٦هـ / ١٧٣٤م) في السلسلة النقشبنْدية ، و لما استولى المرهتة على قنوج في أواخر عمره ، قدم فرخ آباد ، ثم رحل إلى رائے بريلي حيث استقبله الشيخ الحافظ رحمت علي بحفـــاوة بالغـة ، و انتقل هناك إلى جوار رحمة الله في سنـة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م و دفن في قنّوج.

و من أشهر ما ألفه الشيخ رستم علي من الكتب : *منتخب نورالأنـوار*، و شرح *منارالأنـوار*، و *التفسير الصغير* الذي يوازى تفسير *الجلالين* في إيجازه. (٣)

و توجد لتفسيره نسخة خطية في مكتبة جامعة على كره الإسلامية قسم الجامعة : العربية ، المذهب (١): ٧٧ ، و تشتمل هذه النسخة الخطية على أربعمأة و ثلاثين صفحة ، كل صفحة تحتوى على واحد و عشرين سطراً ، بخط واضح ، و الآيات القرآنية معلمة بالخطوط ، و أسماء السور مكتوبة بالحبر الأحمر ، و تتخللها الحواشي باللغة الفارسيـة ، و فيه فهـرس بخط النسـخ و البداية هكذا:

" بسم الله الرحمن الرحيم ، سورة الفاتحة ، الجزء الأول: الٓمٓ سورة البقرة ، الجزء الثاني: سيقول ، الجزء الثالث: تلك الرسل ، سورة آل عمران ، الجزء الرابع: لن تنالوا البرّ ، سورة النساء ، الجزء الخامس: و المحصنات ، الجـزء السادس: لا يحب الله ، سورة المائدة ، الجزء السابع: و إذا سمعوا ،

سورة الأنعام ، الجزء الثامن: و لو أننا ، سورة الأعراف ، الجزء التاسع: قال الملا ، سورة الأنفـــال ، الجـــزء العاشـر: و اعلموا الخ ...."

و فيها:

" الحمدلله الذى أنزل على عبده الكتاب شفاءاً و رحمة بشيراً و نذيراً ، و صلى الله على سيدنا و مولانا محمّــد و على آله و صحبه و سلم تسليماً كثيراً كثيرا. و بعد ! فيقول العبد الضعيف المفتقر إلى رحمة ربّه أبو عبد الله محمّد بن علي أصغر القنوجى صانه عما شانه لما كان علم التفسير الذى عرفوه بأنه علم العرف بكتاب الله المنزل على نبيه صلى اللـه عليه و سلــم و أشرف العلوم لشرف موضوعه الذى هو العروة الوثقى و غايته التى هى السعادة القصوى فالاشتغال به أفضل الاشتغال للآخرة و الأولى ، فأنا مع قلة بضاعتى و عدم طاعتى أيضا أردت تفسيرا صغيـــرا يتمّم حاجتـــى عنـــد قرأتـــى و تلاوتى ليكون وسيلة إلى رضوانه فى دنيـاى و آخــرتى ، رب اشـــرح لى صـــدرى و يسّرلـــى أمـــرى و اهدنـــى إلى طريق الحــق و الصراط المستقيم و زدنى علما نافعا فى السبع المثانى و القرآن العظيم ، و منك الإعانة و الهــداية فى البدايــــة و النهاية ، إنك أنت حسبى ، و نعم الوكيل نعم المولى نعم النصير، و لا حول و لا قوة إلا بك.

" إعلم أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم نزل منجما فى ثلث و عشرين سنة ، و هو ماة و أربع عشر سورة و سبعة آلاف و ستماة و ست و ستون آية ، فمقدار خمس ماة آية أحكام ، و الباقى قصص و دعاء و ثنـاء . و الترتيب بين الآيات توقيفي ، تولاه النبى صلى الله عليـه و سلم كما أخبره جبرئيل ، و بين السور اجتهادي ، و لهذا اختلف الصحابة فى ترتيب الســور ، المكى مـــا نزل قبل الهجــرة و المدنى ما نزل بعدها ، و الله تعالى أعلم بالصواب"

و فى تفسير الفاتحة يقول :

" هى السبع المثانى ، لأنه سبع آيات تثنى فى كــل صـــلاة ، و يقـــدر فـــى أولها قولوا ليكون مناسبا لإيـاك نعبـــد ، و بسم الله الرحمن الرحيم ليس جزأ من الفاتحة و غيرها ، بل اية أنزلت للفصل بين السور ، الحمدلله رب العالمين ، العالم هو

الخلق ، لأنه علامة على موجده ، وجهه بالياء و النون بتغليب العقلاء على غيرهم ليشمل أجناسه قيل هي ألف عالم ستماة في البحر و اربعماة في البر ، و قيل ثمانية عشر ألف ، الدنيا عالم منها ، و الحق أنه لم يحصر عدده أحد من العالمين ، و لا يعلم جنود ربك إلا هو الرحمن الرحيم."

و قد اهتم الشيخ بخصوص بشرح الآيات طبقا لمذهب الحنابلة و الشافعية، و يوضح آراء هذين المذهبين دائما. و تجنب الإطالة في التفسير، ليدرك القارئ معنى الآيات، و إذا شاء رجع إلى التفسيرات المطولة، فلم يذكر التفاصيل يحتاج إليها القارئ لمعرفة القصص القرآنية ، و اكتفى بإحالات سريعة ، و مثال ذلك قوله في قصة مريم عليها السلام:

" روى أنها لما ولدتها أمها حملتها إلى المسجد عند الأحبار و قالت : خذوا هذه النذيرة ، فرغبوا فيها جميعا ، لأنها كانت بنت إمام لهم ، فقال زكريا : أنا أحق بها ، عندي خالتها ، فأبوا إلاّ بالقرعة ، و كانوا سبعة و عشرين ، فانطلقوا إلى النهر ، فالقوا فيه أقلامهم ، فطفى قلم زكريا ، فتكفلها ، و بنى لها غرفة بسلم لا يصعد إليها غيره."

و يقول عن مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ :

" الحجر الذى قام عليه إبراهيم عند بناء الكعبة ليتمكّن من رفع الحجارة ، فغاصت فيه قدماه."

و يشرح الآية الأولى من سورة النساء قائلا:

" سورة النساء مدنية و هي ماة و خمس و سبعون آية. بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الناس اتقوا ربكم عقابه بان تطيعوه ، الذى خلقكم من نفس واحدة : آدم ، و خلق منها زوجها : حواء من ضلعه اليسرى و بث: نشر ، منهما رجالا كثيرا و نساء : كثيرة ، و اتقوا الله الذى تساءلون به : ليسال بعضكم بعضا يا سالك بالله و انشدك بالله ، أصله تتساءلون ، و اتقوا الأرحام أن تقطعوا ، إن الله كان عليكم رقيبا: حافظا و ناظراً."

و الصفحة الأخيرة من المخطوط تنتهي عبارتها هكذا:

" قد فرغ العبد الضعيف عبدالرشيد ولد مولوى دين محمّد غفرالله له من كتابة هذا التفسير الذى صنفه الفاضل الكامل مولوى رستم علي صاحب القنوجى تغمده الله بغفرانه فى تاريخ السابعة من شهر ذى الحجة فى سن ألف و ماتين و ثلاثة عشر من هجرة النبى العربى صلى الله عليه و سلم ، اللّهم نور عيناه بحق محمّد و الحسن و الحسين عليهما الصلاة السلام."

٢- الشيخ سراج أحمد بن محمّد مرشد:

ولد الشيخ سراج أحمد بن محمّد مرشد بن محمّد راشد فى ١٧ خلون من شعبان عام ١١٧٦هـ / ١٧٦٣م فى سرهند ، و هاجر مع أبيه إلى رامبور فى نعومته ، و قرأ على أبيه ، و كان عالماً بالحديث ، قرأ عليه جملة أصناف المعارف الدينية ، و لا نجد تفاصيل إقامته فى رامبور ، و نعرف من نزهة الخواطر أنه توفى فى ١٣/خلون من ذى الحجة سنة ١٢٣٠/ ١٨١٥م فى لكناؤ ، و دفن فى رامبور (٤).

و من أعماله العلمية أنه حقق شروح الصحيح لمسلم ، و الجامع للترمذى و السنن لإبن ماجة بالفارسية، و له كتب ألفها هو نفسه مثل : *سير المرشدين فى أنساب المجددين* ، و *كحل العينين فى رؤية النيرين*، و *برهان التاويل* ، و الرسالة فى حرمة *الغناء* ، و كتابه "*برهان التأويل فى شرح الإكليل*" يستحق كبير اعتناء من الباحث و يوجد مخطوطة فى مكتب جامعة على كره الإسلامية (بقسم العربية ١/ ٤٣):

" *الإكليل فى استنباط التنزيل* " من تاليف العلامة جلال الدين السيوطى ، فسّر فيه الآيات التى تعالج مسالة أو قانونها ، و الشيخ سراج أحمد ألف شرحاً و وافياً ليجعله يستفيد منه العامة إضافة مساهمة قيمة فى تطوير التفسير و فنه ، و يشعر الباحث بمطالعة هذا الشرح أنه على منوال " *التفسير الكبير* " و قد عمل الشيخ سراج أحمد لشرح الآيات التى لم يشرحها العلامة السيوطى ، و اهتم ببيان الأدلة العقلية فى جنب الاستدلال بالآيات القرانية."

و نسخة "*برهان التاويل*" تشتمل على ثلاث و ثمانين و أربعماة صفحة، كل صفحة تحمل خمسة و عشرين سطراً ، و بعض الأوراق البدائية متآكلة ، و لكن النسخة فى جملتها لا باس بها ، يمكن منها الاستفادة ، و قد اهتم المؤلف بكتابه "قوله تعالى" بالحبر الأحمر.

و البداية هكذا:

" الحمدلله الذى أنزل على عبده آيات بينـــات منها محكمــات و أخر متشابهات ، و أودع فيها لطائف أسرار و آيات واضحات ، و ألقى علـــى قلوب المؤمنين اجتهـــادا و تأويلات ، و استنبطوا منها العلـــوم الشرعيـــة و أنـــواع الفنـــون و الصناعات ، و الصلاة و السلام على رسوله محمّد المبعوث إلى سائر الكائنات ، و على آله و أصحابه الذين هم مستخرجو الناس من الضـــلالات ، و نور الله الأئمة المجتهدين ببركتهم سبيل الرشدات ... و بعد فيقول العبد المفتقــر إلى رحمة خالق الأرضين و السموات سراج أحمد بن محمّد مرشد بن محمّد أرشد ... بن مجـدد ألف ثانـي الشيخ أحمد السرهندي. مولـداً و الفاروقي نسبـاً و الحنفي مذهباً ، قدسنا الله تعالى أسرارهم ، لما كان كتاب " الإكليل فى استنباط التنزيل " للشيخ الإمام خاتم الحفاظ جلال الدين السيوطى أنار الله مرقده ، كافياً وافياً فى استنـباط أحكام الشرائع مع اختصاره و إيجـازه ، أردت أن ...... مستنبطا من كتب التفاسير و الأحاديث خصوصاً التفسيـــر الكبيـر .... و زدت فيها مـن بعض الآيات التى لم يتعـرض إليها شيخ الإنس و الجنات ، كما ذهـب إليها فى الكتاب مـن الإشـارات ، و سميته بـ "برهان التاويل فى شرح الإكليل " الخ ......

و نجد فى آخر الكتاب :

" قد تم الكتاب المدعو ببرهان التاويل فى شرح الإكليل يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الأخـــرى سنـة ألف و مائـــان و ثلاث و عشرون من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات و أكمل التحيات و البركات التامات."

" كتبه حافظ كريم الله "

٤- الشيخ تراب علي اللكنوى :

ولد الشيخ تراب علي بن شجاعت علي فى لكناؤ فى سنة ١٢١٣هـ/١٨٩٨م و يعرف بلقب ركن الدين ، و يكنى بأبى البركات ، كان بيته بيت علم و ثقافة ، فورث ذوق العلم : الفقه و التفسير و الحديث و أصوله من أسرته ، و قــرأ على أعلام عصـــره فى المعارف و العلوم ، فقـــرأ التصريف و النحو على مولانا مخدوم حسين اللكنوى ، و المنطق و الفلسفـــة ، و الكلام

و الأدب على مولانا مظهر علي التاجــر، و بقية المقررات المنهجية على المفتي إسماعيل ابن وجيه الدين المرادآبادى اللندنـــى ، و أنهى دراساته على المفتي ظهور الله الأنصارى ، ثم ذهب للحج ، و درس هناك الحديث من المفتي عبدالله سراج ، ثم رجع إلى الوطن ، و اشتغل بالتدريس ، و قرأ عليه أعلام مثل السيد غنى نقي الزيدبورى ، و السيد أولاد أحمد السهسوانى ، و الحافظ شوكت علي السنديلوى ، و المولانا أمير حسن السهسواني وغيرهم.

و قد ألف الشيخ كتباً مختلفة ، و له حواشي و شروح و من بينها : شمس الضحى لإزالة الدجى ، و *شوكة الحواشى لإزالة الغواشى* ، و *الحاشية على شرح السلم* لملا حمدالله السنديلوى ، و *البيان الوافى فى شرح القاضى* ، و *الهلالين* شرح *الجلالين* ، و توفى عام ١٨٦٤م / ١٢ خلون من صفر المظفر سنة ١٢٨١ للهجرة.

و كتابه *"الهلالين فى شرح الجلالين"* كتاب معروف رحبت به الأوساط العلمية فى الهند و طبع مراراً ، لا نطيل الكلام فيه ، فهو مطبوع يمكن الرجوع إليه إذا دعت الحاجة.

و يمتاز هذا الشرح باعتبارات مختلفة ، فعامة الشرّاح لا يتقيدون بذكر الآيات القرآنية ، و لا نجد فى تفاسيرهم إحالات ، و لكـن الشيـخ تراب علي اهتم بدرج الآيات القرآنية، و نقل عبارات الجلالين، ثم شرح العبارة من نفسه و هو يحيل كثيراً إلى التفسير الكبير، و تفسير الكشاف، و تفسير البيضاوى ، و لم يكمل عمله ، فلم يشمل جملة القرآن ، بل إنما اقتصر على الجزء الأخير من سورة النباء إلى سورة الناس. و لو كان الشيخ قد ألف الشرح كاملا، لكان ذلك عملا جليلا. و السرّ فى بدء الشرح بالجزء الأخير هو أن الشيخ أراد الكشف عن المعانى الكثيرة و المحتويات الضخمة لهذه السور الصغيرة ، و بمطالعة هذا الشرح يعترف الباحث بمكانة الشيـــخ فـى العلم و التحقيق و التفكيـــر و الذكاء فى استنباط المسائل و معالجتها.

٥- السيد محمّد بن دلدار علي النصيرآبادى :

كان السيد محمّد من أعلام عصره ، ولد فى ١٧ خلون من صفر عام ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م فى لكناؤ ، و حصل المعارف الدينية و العقلية من أبيه و هو ابن تسعة عشــــر عاماً ، و استفاد منه أخواه السيد حسين و السيـــد علـــي و الأخرون ، و كانت له طول باع فى علم الكلام و الأصول ، و لقبه السلطان أمجـد علـي شـــاه (١٨٤٢- ١٨٤٧م) بسلطان العلماء ، و فوض إليه الإفتاء. و للسيـــد محمّد كتب مختلفــــة ألفها مثل : "رد تحفه" *اثنا عشريـــــه*" و " *أصل الأصول* " و " *الصمصام القاطع* " فى الرد على مذهب أهـــل السنـة

و الجماعة ، و عداء أهل البيت ، و " *العجالة النافعة* " و " *البرق الخاطف* " و " *السبع المثاني* " و غيرها و مات في لكناؤ في ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م. (٥)

و رسالته " *السبع المثاني* " تتصل بتجويد القرآن الكريم ، و توجد نسخة خطية لها مشتملة على خمس و عشرين ورقة في مكتبة رامبور تحت رقم ٣٤٠ ، و في هذه الرسالة إشارات خاطفة مهمة عن التجويد و الترتيل. و البداية هكذا:

> " *افصح كلام يرتله البلغاء ترتيلاً ، و أبلغ مقال يكون على سبيل النجاة دليلاً ...... و رتبت تلك الرسالة المنيفة و العلامة الشريفة على سبع فوائد و سميتها بالسبع المثاني* "

و تتصل هذه "*الفوائد*" بالأحاديث و الأقوال التي تدل على مكانة التجويد و الترتيل في الإسلام ، و تنتهي الرسالة على هذه العبارة:

> " *و قد حررته بالاستعجال ، و تشتت البال في شهر الله الأعظم شهر رمضان العظيم ، سنة الثامنة عشر و مائتين بعد الألف من الهجرة المقدسة النبوية ، على هاجرها آلاف من التحيات و الصلاة ، و أما العبد الفقير إلى الله الأحد السيد محمّد تجاوز الله عن سيأته.* "

٢- الحديث الشريف :

عرف علم الحديث في الهند منذ الغزو العربي لها في مناطق السند، و نجد شخصيات بارزة في علم الحديث في كتب التاريخ و السير ، أمثال محمَد بن محمَد بن عبدالله الديبلي (٣٤٦هـ/٩٥٧م) و أحمد بن محمّد بن هارون الديبلي (٣٧٠هـ/٩٨١م) و الشيخ محمّد اسماعيل اللاهوري (١٠٥٦هـ/١٦٤٦م) و الشيخ علي متقي البرهان بوري (٩٧٥هـ / ٨-١٥٦٧م) و المقرئ نظام الدين شيخ بهكاري الكاكوروي (٩٨١هـ / ١٥٧٤م) و المقرئ ضياء الدين المدني أستاذ الشيخ بهكاري وغيرهم.

و كانت مدينة لاهور مركز علوم الحديث أيام السلطان محمود الغزنوي (٣٨٨هـ / ٩٩٨-٤٢١هـ / ١٠٣٠م) و قد بذل العلماء جهودهم في تدوين الحديث الشريف لأنه أس الأحكام الشرعية. و الإمام حسن الصغاني (٦٥٠هـ/١٥٥٢م) كان من أعلام الحديث و محقّقيه في عصره ، و معظم تصانيفه في الحديث ، و اللغة ، و كتابه " *مشارق الأنوار* " من أهم ما ألفه في الحديث ، و له شروح و حواشي و تم نقله إلى لغات عديدة.

و لما أكب العلماء على نشر المعارف العقلية في الهند ، قل اعتناء الهند بالحديث ، ثم بذلت الجهود لنشر الحديث منذ أواخر القرن التاسع و أوائل القرن العاشر. في حين توطدت الاتصالات بين الهند و الأقطـــار العربيـــة ، و قدم الهند عدد من الشخصيات العلمية و المحدثين من الحجاز و مصر ، فاكب المحدثون في الهند على نشر الحديث و كرّسوا الجهود للمساهمة في تطوير علومـــه ، من أصـــول الحديث و أسمـــاء الرجال و السيـــر و الجرح و التعديل. و كان للصوفية كبير فضل في نشر الحديث و علومه ، خاصة سلطان المشائخ نظام الدين الأولياء الدهلوى ، و الشيخ شرف الدين يحيى المنيرى، و الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني و الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى و غيرهم كثير. و هذا الأخير كان له كبير فضل في نشر الحديث ، فقد اتخذ دلهي مركزاً له ، و نظراً إلى جهوده التي بذلها في نشر الحديث في الهند يمكن أن نسميه المجدد في الهند.

و كان لعلماء أودهـ مساهمة فعالة في خدمة علوم الحديث ، فقد ألفوا الحواشي و الشروح لكتب الحديث الشهيرة مثل الصحيح البخاري و صحيح لمســلم و الجامع للترمذي ، و ثلاثيات البخاري (و هي الأحاديث التي ترفع إلى النبي صلى الله عليه و سلم بثلاث وسائط فقط) ، فالشيخ يحيى بن أمين العباسي الإله آبادي (١١٤٤هـ / ١٧٣١م) ألف شرحـــا للبخـــاري باســم " *إعانة القاري في ثلاثيات البخاري* " باللغة العربية ، أما في الأسناد فنجد القاضي ارتضى خان خوشنود يؤلف " *مدارج الأسناد* " (مات الشيخ خوشنود في ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م)، و منهم من ألف كتب الأربعين في الحديث، و منهم من شرحها، مثل السيـــد أبو أحمـــد أولاد حســـن القنّوجـــي (١٢٥٢هـ/١٨٣٧م) و أربعينه يتصل بالأحاديث التي تستنكر البدع و الشرك. و منهم من شرح الأربعين، مثل السيد عبد الباسط بن رستم علي القنوجي (١٢٢٥هـ/١٨١٠م) الذي شرح أربعينه بإسم "*الحبل المتين*" بالفارسية.

و لعلماء أودهـ مساهمة فعالة في تمييز موضوع الحديث من صحيحه ، مثل "*تذكرة الأصفياء بتصفية الأحياء*" للسيد عبد الحق بن فضل اللّـــه النيوتنـوى (١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م) و خلاصة " *المقاصد الحسنة* " للإمام السخاوى ، بقلم السيد النيوتنوى نفسه ، و له كتاب " تمييز *الطيب من الخبيث مما تدور على السنة الناس من الحديث* " . و قد ألّف العلامـــة مرتضى الزبيـــدي كتاب "*بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب*" (مات العلامة الزبيدي في سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) .

و في تخريج الحديث نجد "*تبصرة الأبصار في تخريج أحاديث الآثار*" للشيخ إلهي بخش الفيض آبادي.

و أعمال أودهـ في خدمة الحديث كثيرة هائلة ، و فيمايلي أسماء الكتب التي ألفوها ، بذكر المكتبات التي فيها مخطوطها:

١- "*إعانة القارى في شرح ثلاثيات البخاري*" للشيخ يحيى بن أمين العباسي الإله آبادي (١١٤٤هـ / ١٧٣١م). و يوجد مخطوطه في مكتبة ندوة العلماء ، لكناؤ تحت رقم : ٢٥٦
٢- " *الاربعين* "
٣ - " *تذكرة الأصحاب* "
٤- "*ماخذ الاعتقاد في شان الصحابة و أهل البيت*"
٥- "شرح حديث صلاة *التسبيح*" و كلها للشيخ العباسي ، ذكرها العلامة الحسني الرائي بريلوي في نزهة الخواطر في المجلد السادس ، ص: ٤٢١
٦- "*شمامة العنبر في ما ورد في الهند من سيد البشر*" لمير غلام علي آزاد البلجرامي (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م). و يوجد هذا الكتاب مطبوعاً.
٧- "*ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري*" لمير غلام علي آزاد البلجرامي. و يوجد مخطوطاً في مكتبة ندوة العلماء ، لكناؤ تحت رقم: ٣٦٤
٨- "*الرسالة في أحاديث يوم العاشوراء*" للسيد مرتضى الزبيدي البلجرامي (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م)
٩- "*الأمالي الشيخونية*" للسيد الزبيدي ، و يوجد مخطوطاً في برلين تحت رقم: ١٠٢٥٥
١٠- "*مجمع المشائخ*" للسيد الزبيدي
١١- "*الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة*".
١٢- " *در الضرع في حديث أم زرع* "
١٣- تخريج حديث " *شيّبتني سورة هود* "
١٤- " *المذاهب الجلية فيما يتعلق بحديث الأولية* "
١٥- " *المرقاة العلية في شرح الحديث المسلسل بالأولية* "
١٦- تخريج حديث " *نعم الأدام الخل* "
١٧- " *العروس المجلية في طرق حديث الأدلية* "
١٨- " *بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب* "
١٩- "*القول الصحيح في مراتب التعديل و التجريح*"
٢٠- " *عقد الجمان في شعب الإيمان* "
٢١- " *التحبير في الحديث المعلل بالتكبير* "

كل هذه الكتب للسيد الزبيدي ، و ماعدا " *بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب* " توجد في صورة المخطوطات ، أما "*بلغة الغريب*" فيوجد مطبوعاً. و غيره ذكره العلماء في مؤلفاتهم مثل نزهة الخواطر ، و أبجد العلوم ، و اتحاف النبلاء.

٢٢- "*الاربعين*" للسيد عبدالباسط القنوجي (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م):
٢٣- "*شرح دلائل الخيرات*" للسيد عبد الباسط القنوجي.
٢٤- "*درر الفضائل فى شرح الشمائل*" للسيد عليم الدين بن فصيح الدين القنوجي (القرن الثالث عشر للهجرة)
٢٥- "*الرسالة فى تقسيم الحديث*" للسيد عبدالعلى بحر العلوم الفرنجى محلى (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م). و توجد نسخة خطية فى رامبور ، رقم ١٢٦
٢٦- "*مدارج الأسناد*" للقاضى ارتضى علي خان الجوباموى (١٢٥١هـ/١٨٣٥م). و يوجد مخطوطا فى مكتبة فرنجى محل تحت رقم ٧٥/٥٥٣
٢٧- "*وسيلة الشفاعة فى اخبار الصحابة*" للسيد خادم أحمد اللكنوى. ذكره صاحب نزهة الخواطر ١٥٥/٧
٢٨- "*الأربعين*" للسيد أحمد أولاد حسن القنوجي (١٢٥٣هـ / ١٨٥٩م). اتحاف النبلاء ، ص: ٣٣٥
٢٩- "*تذكرة الأصفياء بتصفية الإحياء*" للسيد عبدالحق بن فضل الله النيوتنوى (١٢٧٦هـ/١٨٥٩م). و يوجد مخطوطها فى مكتبة ندوة العلماء لكناؤ ، تحت رقم ٢٧٩
٣٠- "*تمييز الطيب من الخبيث مما تدور على ألسنة الناس من الحديث*" للسيد النيوتنوى ، ذكره العلامة الحسني فى "*الثقافة الإسلامية فى الهند*" ، ص: ١٥٨
٣١- "زبدة المقاصد فى تجريد الزوائد" للسيد النيوتنوى. و يوجد مخطوطة فى مكتبة ندوة العلماء ، لكناؤ ، تحت رقم ٢٨٠

١- الشيخ يحيىٰ بن أمين العباسى الإله آبادى :

ولدالشيخ العباسى فى ١٧/خلون من محرم الحرام عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م فى إله آباد، وقرأ جملة المعارف على عمه الشيخ محمّد أفضل بن عبدالرحمن العباسى (١١٢٤هـ / ١٧١٢م) و بايع الشيخ فأجازه ، و له كتب و مجموعة من الرسائل باللغة العربية و الفارسية ، و قد أثنى عليه المؤرخون ، نظراً إلى مكانته المرموقة فى المعارف و الفنون ، و قال عنه صاحب "نزهة الخواطر" :

> " *أحد فحول العلماء ، لم يكن فى مصره و مصره مثله فى سعة العلم و كثرة الإفادة* "

مات الشيخ فى إله آباد، فى ١١/ من جمادى الأولى سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١م. (٦)

و يوجد مخطوط كتابه " *إعانة القارئ* " في مكتبة ندوة العلماء ، لكناؤ تحت رقم: الحديث ، ٢٥٦ ، و فيه إثنتان و عشرون ورقة ، كل ورقة تشتمل على تسعة عشر سطراً ، و بخط الشارح ، في سنة ١١٤٠هـ ، و فيه شرح إثنين و عشرين حديثا يرفعها البخاري إلى النبي صلى الله عليه و سلم بوسائط لا تزيد على الثلاث ، و الأحاديث معلمة أرقامها بالحبر الأحمر.

و في الصفحة الأولى من النسخة الخطية نجد هاتين العبارتين من السيد علي كبير محمّد ميرن جان.

١-: *لله الحمد و المنة و على رسوله و أصحابه الصلواة و التحية، و قد أعطاني الله تعالى هذا الشرح الشريف الوجيز الموسومة (هكذا في العبارة) باعانة القارئ في شرح ثلاثيات البخاري ، لشيخ المتورعين قطب الأقطاب محبوب رب الأرباب واقف أسرار الله جدي و مولائي الشيخ محمّد يحيى المعروف بخوب الله الإله ابادي " الخ*

و هذه العبارة أرخت في رجب سنة ١٢٤٠هـ

٢- . *ثم إني صرت قاصدا إلى معمورة لكناء لتقبيل أنامل الواجد الماجد الذي تقدم ذكره أعني السيد علي جعفر مدّظلهم العالي ، فصرت أرتب الكتب في العناوين ، فوجدت هذا الشرح الموصوف بأنواع الصفات ، فحملت معي لأهدي إلى ذلك الجناب ، و هذا من عجيب الاتفاقات العجاب ، و الحمد لله على ذلك حمداً كثيراً "* و هذه العبارة أرخت عام ١٢٤١هـ

و بداية المخطوط هكذا:

" الحمدلله الذي إنعامه صحيح ، و إكرامه صريح ، من تصدى للشكر على ... نعمائه صار من بين الأمثال مرفوعاً من اهتدى من مناولة صحيفة الآية جعل متروكاً و موضوعا ...... و بعد ! فان راجي شفاعة الشفيع ...... صاحب الدرجة الرفيعة عليه الصلاة والسلام .... محمّد يحيى المدعو بخوب الله ، رزقه الله تعالى سعادة الدارين ...... الخ "

ثم ذكر السبب في تأليف هذا الكتاب ، إضافة المزايا و المحامد التي اختص بها الصحيح البخاري.

٢- العلامة غلام علي آزاد البلجرامي :

كان العلامة البلجرامي من أقطاب العلماء و المؤرخين و الأدباء

و الشعراء فى الهند ، ولد لخمس بقين من صفر عام ١١١٠هـ / ١٦٩٨م فى بلجرام ، مديرية هردوئى ، فى أسرة السادة الواسطين (٧). و نشأ فى بيت علم و أدب و ثقافة ، قرأ الكتب المنهجية على السيد طفيل محمّد الأترولوى (١١٥١هـ/٩- ١٧٣٨م) و كتب العربية و الفارسية و الحديث، و السير على جده السيد عبدالجليل البلجرامى (١١٣٨هـ / ١٧٢٦م) ، و العروض و القوافى و الفنون الأدبية على خاله السيد محمّد بن عبد الجليل البلجرامى (١١٨٥هـ / ٢ - ١٧٧١م) و بايع الشيخ لطف الله الحسينى البلجرامى، فأجازه، و حجّ بيت الله عام ١١٥١هـ/١٧٣٩م، و أجازه الشيخ محمّد حيات السندى (١١٦٣هـ /١٧٥٠م) لتدريس الصحاح فى المدينة المنورة، و اكتسب من الشيخ عبدالوهاب الطنطاوى المصرى (١١٥٧هـ / ١٧٥٠م) فى الحجاز، و رجع إلى الهند عام ١١٥٢هـ / ١٧٣٩م و اتصل ببلاط نظام الدولة أصف جاه ناصر جنگ ابن نظام الملك ، و مات هناك فى ١٢٠٠هـ / ٦-١٧٨٥م ، و أرخت وفاته فى " *آه غلام علي آزاد* " (٨)

كان العلامة البلجرامى من أقطاب العلماء فى الهند ، و كان أديباً و شاعراً بالعربية ، و له كثير من التأليف بالعربية و الفارسية ، و شعره بالعربية فى سبعة دواوين باسم " *السبعة السيارة* " و نجد ما نيف على سبعمأة شعر فى *سبحة المرجان* ، و هذا الكتاب يشتمل على أربعة أبواب، الباب الأول فى مكانة الهند بين الدول الإسلامية، و الباب الثانى يتصل بتراجم العلماء الهنود، و الباب الثالث يتعلق بالفصاحة و البلاغة ، و البديع، و الباب الرابع يعالج الحب بوجهة نظر هندية و عربية ، و هذا الكتاب يوجد مخطوطاً و مطبوعاً، و قد حققه الدكتور فضل الرحمن الندوى ، الأستاذ المساعد لمعهد الدراسات الإسلامية ، جامعة على كره الإسلامية.

و نذكر فى التالى رسالة من رسائل العلامة غلام علي آزاد البلجرامى ، "*ضوء الدرارى فى شرح البخارى*" و هى شرح باب الزكاة من البخارى ، و يوجد مخطوط لها فى مكتبة ندوة العلماء لكناؤ تحت رقم ٣٦٤ ، و فيها خمس و سبعون ورقة ، كل ورقة تحمل ثلاثة و عشرين سطراً ، بخط واضح ، و بخط الشارح ، و نجد هذه العبارة عن سبب تاليف الكتاب:

" الحمد لمن تواترت آلاءه ، و تسلسلت نعماءه ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمّد ما أعلى شأنه و ما أحسن بيانه ، و على آله المتكين على سرر مرفوعة و صحبه المتجرعين من أكواب موضوعة ، ثم يقول المعتصم بعروة النبى التهامى ، الفقير أزاد الحسنى الواسطى البلكرامى أتم الله بأنواع النهاية عزائمه و أضحك بنسائم العناية ، ...... إننى لما وصلت إلى المدينة ...... فى أوائل سنة إحدى و خمسين و ماة و ألف من الهجرة المقدسة ، و اتفق بعون تعالى قراءتى الصحيح البخارى و مطالعة شرحه المسمى بإرشاد السارى للتحرير المؤيد بتائيد الربانى أحمد بن محمّد بن الخطيب القسطلانى ،

همست أن التقط منه ما يتعلق لمتن الحديث من حل المباني و تحقيق المعاني مقتصرا عليه عن أسماء الرجال ثانياً عنان القلم عن طول المقال ، و انتخب منه ما أقرأ كل يوم و إن كان كثيراً ، و أزيد عليه من الفوائد شيئا يسيراً ، و ما بعثني على أخذ القليل إلا حمل الثقيل ، السّفر في السفر الطويل ، فإن هي إلا عدة معان، و ما تلك إلا عدة عجلان ، و سميته "*ضوء الدراري شرح الصحيح البخاري*"، نستعين بالمولى الكريم و نهتدي به إلى الصراط المستقيم ، قال الإمام الحافظ أبوعبدالله بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى : كيف كان يأتي الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لما كان هذا الكتاب .... الخ

و الصفحة الثانية و السبعون تحمل هذه العبارة و نصفها بدون شيء :

> "*و هذا آخر كتاب الزكاة ، و لما بلغت هذا المكان سكن القلم عن الجريان ، و قد تكاثرت العوالي عن الكتابة ، لكنها كفتني عن القراءة ، فالحمدلله نعمه الوافرة ، و له الحمد في الأولى و الآخرة.*"

و الخاتمة في الصفحة الخامسة و السبعين هكذا :

> "*اللّهم وفقنا لأحسن النيات في الأعمال .... و في جميع الأحوال ، و إنما نحن بك و لك و إليك ، لا إله لنا غيرك ، هذا ما أملاه فهمي على قلمي مع قلة علمي ، فما كان فيه من صواب فمن ذي الفضل ، و ما كان فيه من خطأ فمن ذي الخلل الراجي من الكريم العفو عن الزلل.*"

٣- الفقـــه

ظهر الفقه أو التشريع الإسلامي منذ بداية الإسلام و فجر الوحي المحمّدي ، لأن العمل على الإسلام لا يمكن إلاّ بمعرفة الأحكام ، و هذه المعرفة المنهجية هي الفقه أو علم التشريع ، و الفقه يعالج الأحكام الشرعية التي يتقيد بها المسلم في حياته اليومية ، و الفقه أساسه الكتاب و السنة و إجماع الأمة ، و المكان متسع للخلافات المذهبية في استنباط الأحكام من مصادر الشريعة ، و يظهر هذا الخلاف في صفوف الصحابة ، و كثير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ كانوا إخصائيين في التشريع ، و استنباط الأحكام من المصادر الشرعية ، من الكتاب و السنة و الإجماع و القياس.

و راجت أربعة مذاهب فقهيـــة بين جماهير الأمـــة ، و هي: الحنفيـــة ، و الشافعية ، و المالكية و الحنبلية ، أما الفقه في الهند فقد ساد فيها مذهب الأحناف في فجر التاريخ ، و انتشرت الشافعية في جنوب الهند و مناطقها المجاورة للبحر بفضل قدوم أهل اليمن و الحجاز إليها ، و ظهرت طبقة السلفيين (أهل الحديث) غير المقلدين في القرن الثالث عشر للهجرة ، و هذه الطبقة تخالف تقليد الأئمة الأربعة ، و تركز على استنباط الأحكام الفقهية مباشرة من الكتاب و السنة.

و الفقه و أصول الفقه قد أكثر علماء الهند و علماء منطقة أودهـ بصفة عامة فيهما من التأليف و شرح تراث السلف فيهما ، إضافة نقل التراث الفقهي إلى اللغات المحلية من الفارسية و الأردوية ، و لهم مساهمات في علم الفرائض (المواريث) و الفتاوى.

أما أصول الفقه فيعالج الأدلة و المنهجية في الاستدلال و استنباط الأحكام الشرعية من مصادر الدين ، و الغاية منه تكوين الذوق و المهارة العلمية لاستنباط الأحكام من الكتاب و السنة و الإجماع و القياس ، و هذه الأصول نجد كتبها في كل من المذاهب الأربعة الشهيرة.

و من أشهر ما ألف في أصول الفقه: " *منتهى الوصول في الأمل في علمي الأصول و الجدل*" لابن الحاجـب ، و "*كتاب القواعـــد*" لإبن الساعاتـي ، و " *الكتاب البديع* " له ، و " *المحصول* " لفخرالدين الرازي ، و " *منهاج الأصول*" للقاضي البيضاوي، و "*منار الأصول*" للنسفي، و " *التنقيح* " لصدر الشريعة، و شرحه "*التوضيح*" و "*التلويح*" لسعدالدين التفتازاني، و "*تحرير الأصول*" لإبن الهمام ، و غيرها كثير.

و مساهمة أودهـ في إثراء مكتبة الفقه و أصوله جبارة هائلة ، و فيها مساهمة علماء الشيعة للفقه الجعفري. و فيما يلي أعمـــال أودهـ في الفقـــه و أصوله، ثم نذكر شخصية الملاّ نظام الدين السهالوي (١١٦١هـ/١٧٤٨م) و الملاّ عبدالعلي بحر العلوم (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م) و السيد دلدار علي النصيـرآبادي (١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م) و أعمالهم فيهما:

١- *الفاضل في الفقه* للسيد حبيب الله القنوجي (١١٤٠هـ / ١٧٢٧م).
٢- *مختصر الفرائض* للسيد حبيب الله القنوجي.
٣- *القول الصحيح في صلاة التسبيـــح* للشاه خُـــوب اللّـه الإلـه آبادي (١١٤٤هـ / ١٧٣١م) .
٤- شرح *زبدة الأصول* لملاّحمدالله بن شكرالله السنديلوي (١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م) و يوجد مخطوطه في مكتبة خدا بخش ، بتنه ، بيهار ، تحت رقم ٧٢٥.
٥- شرح مسلم الثبوت لملاّ محبّ الله البيهاري لملاّ نظام الدين (١١٦١هـ / ١٧٤٨م). و يوجد مخطوطه في مكتبة فرنجي محل ، لكناؤ ، تحت رقم ٣ / ٤٥٨

٦- *الصبح الصادق شرح المنار* لملاّ نظام الدين ، و مخطوطه في المكتبة الأنورية ، كاكوري.
٧- *شرح التحرير في أصول الدين* لملاّ نظام الدين ، و مخطوطه في مكتبة الجمعية الأسوية الملكية لمملكة بنجالة تحت رقم : ٥٣٦/١.
٨- *الجواهر النفيسة* للشيخ محمّد ناصر بن محمّد يحيى الإلـه آبادى (١١٦٣هـ / ١٧٥٠م). ذكره صاحب نزهة الخواطر (٦٠/ ٣٥٨).
٩- *قرة العينين في إثبات رفع اليدين* للشيخ محمّد فاخر (١١٦٤هـ / ١٧٥١م).
١٠- *الرسالة النجاتية* للشيخ محمّد فاخر، و ذكر كليهما صاحب نزهة الخواطر (٦ / ٣٤١).
١١- *الحاشية على شرح الوقاية* للشيخ محمّد وارث البنارسى (١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م).
١٢- شرح *الوجيز في الفرائض* للسيد أحمد بن مسعود الهرجامى (١١٧٥هـ / ١٧٦١م) و يوجد مطبوعاً.
١٣- شرح *المنار* (ملخّص نورالأنوار) للسيد رستم علي بن علّي أصغر القنوجى (١١٧٨هـ/١٧٦٤م) و يوجد مخطوطه في مكتبة ندوة العلماء ، لكناؤ. تحت رقم . أصول الفقه: ٧٦١
١٤- *المثل السائر* للسيد محمّد أعلم السنديلوى (١١٩٨هـ / ١٧٨٤م).
١٥- الرسالة في الفرائض الحنفية للقاضى أحمد علي بن فتح اللّه السنديلوى (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م).
١٦- *الرسالة في الفرائض* (شعراً) للشيخ عبدالقادر العمادى الجونبورى (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م).
١٧- منهج *الفرائض* شرح عقد الفرائض للشيخ العمادى نفسه. ذكرهما الرائےبريلوى في النزهة ٧ / ٢٩١
١٨- نشوة *الإرتياح* في بيان حقيقة الميسر و القداح للسيد مرتضى الزبيدى (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م). و مخطوطه في المتحف البريطاني.
١٩- عقود *الجواهر المنيفة في أدلة أبى حنيفة* للسيد الزبيدى ، و يوجد مطبوعاً.
٢٠- *القول المسموع في الفرق بين الكرع و المكروع* للسيد الزبيدى ، و يوجد مخطوطه في ندوة العلماء. تحت رقم : ١١
٢١- كشف *الغطاء* عن الصلاة الوسطى للسيّد الزبيدى.
٢٢- *الإحتفال بالصوم الستة من شوال* للسيّد الزبيدى.
٢٣- *أمالى أبى حنيفة* للسيد الزبيدى.
٢٤- شرح *مسلم الثبوت* لملاّ حسن بن غلام مصطفى اللكنوى (١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م). و يوجد مخطوطه في رامبور ، تحت رقم ٢٧٥

٢٥- شرح *مختصر الفرائض* للسيد عبد الباسط بن رستم علي القنوجى (١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م).
٢٦- شرح *مسلم الثبوت* لملاّ مبين بن محبّ الله اللكنوى (١٢٢٥هـ/١٨١٠م) و يوجد مخطوطه فى مكتبة خدا بخش تحت رقم ٧٣٦
٢٧- *فواتح الرحموت* شرح مسلّم الثبوت للعلاّمة عبدالعلى بحرالعلوم (١٢٢٥هـ ١٨١٠م) ، و يوجد مطبوعاً.
٢٨- *الأركان الأربعة* للعلامة عبد العلى بحرالعلوم ، و يوجد مطبوعاً.
٢٩- *الحاشية على رسالة عذرا المتعلقة بمسائل المشائيين* للعلامة عبد العلي بحر العلوم. و يوجد مخطوطه فى مكتبة أزاد ، جامعة على كره الإسلامية ، قسم حبيب گنج ، تحت رقم ٦١/٣٩
٣٠- تنوير *المنار شرح المنار* للعلامة بحرالعلوم نفسه.
٣١- زبدة *الفرائض* للشيخ عمادالدين العثماني اللبكنى (١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م) و يوجد مطبوعاً.
٣٢- *أساس الأصول* للسيد دلدار علي غفران مآب (١٢٣٥/ ١٨٢٠م) و يوجد مطبوعاً .
٣٣- منتهى *الأفكار* للسيد غفران مآب نفسه ، و يوجد مطبوعاً كذلك.
٣٤- *الرسالة فى أرضين* للسيد غفران مآب ، و مخطوطه فى مكتبة المكتب الهندى فى لندن تحت رقم ١٨٦٨.
٣٥- *السيف الماسح* ، للسيد غفران مآب ، و مخطوطه فى المكتبة الناصرية ، تحت رقم الفقه: ١٠٦
٣٦- *الحاشية على التوضيح و التلويح* للسيّد أمين الله بن المفتى محمّد أكبر (١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م).
٣٧- *الحاشية على شرح مسلم الثبوت* لملاّ محب الله البهارى للسيد أمين الله نفسه.
٣٨- *تحفة المشتاق فى النكاح و الصداق* للسيد ميرزا حسن علي صغير الشافعى اللكنوى (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م).
٣٩- *الفتاوى* للسيد ميرزا نفسه.
٤٠- حرز *الأمان* للسيد حسين بخش العلوى الكاكوروى (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)
٤١- نفائس *الملكوت* شرح مسلم الثبوت للسيد ولى الله اللكنوى (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م).
٤٢- *الحاشية على الهداية* للسيد ولي الله نفسه.
٤٣- *الوجيز الرائق* للسيد حسين بن دلدارعلي اللكنوى (١٢٧١هـ/١٨٥٤م) و مخطوطه فى مكتبة المكتب الهندى بلندن. تحت رقم ١٨٥٠
٤٤- مناهج *التدقيق* و مدارج التحقيق للسيد حسين نفسه ، و مخطوطه فى لندن تحت رقم ١٨٥١

٤٥- *روضة الأحكام* للسيد حسين نفسه.
٤٦- الرسالة في أنه هل يجوز للمتبحرين في الاجتهاد أن يعملوا على رأيهم.
٤٧- *السعادة الأبدية* في تحقيق الدائرة الهندية للسيد خادم أحمد بن ملاّ حيدر (١٢٧١هـ / ١٨٥٤م).
٤٨- *التعليقات* على شرح الهداية للسيد خادم نفسه ،
٤٩- الرسالة في مبحث الرضاع الكبير للسيد باقر بن محمد بن دلدار علي (١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م).
٥٠- *الرسالة في نكاح بنت الزانية* للسيد باقر نفسه ، ذكرهما الرائي بريلوي في نزهة الخواطر ٩١/٧
٥١- *الدرالفريد في المنع عن التقليد*للسيد عبدالحق بن فضل الله النيوتنوي (١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م).
٥٢- شرح *زبدة الأصول* للسيد أبوالحسن الكشميري اللكنوي (١٢٨٢هـ / ١٨٦٦م).
٥٣- *السقاية لعطشان الهداية*للسيد عبدالحليم بن أمين الله الفرنجي محلي (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م). و مخطوطه في فرنجي محل تحت رقم ٨٦/٣٧٦
٥٤- *التعليق الفاضل* في مسالة الطهر المتخلل للسيد عبدالحليم نفسه ، و يوجد مطبوعاً.
٥٥- *قمر الأقمار*لنور الأنوار للسيد عبدالحليم نفسه ، و يوجد مطبوعاً.
٥٦- *السراج المنير* للمفتي محمّد تابع اللكنوي ، و يوجد مخطوطه في ندوة العلماء ، لكناؤ تحت رقم: الفقه ٥٨٠.
٥٧- *إحياء الاجتهاد* لإرشاد العباد للسيد محمّد بن دلدار علي (١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م). و يوجد مخطوطه في مكتبة خدا بخش ، بتنه ، بيهار ، تحت رقم ٦٨١
٥٨- *كشف المبهم* شرح مسلم الثبوت للقاضي بشيرالدين القنوجي (١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م).
٥٩- تفهيم *المسائل* للقاضي القنوجي نفسه ، و ذكرهما الرائي بريلوي في النزهة ١٠١/٧
٦٠- شرح *مسلم الثبوت* للسيد عبدالحق الخيرآبادي ، (١٣١٨هـ / ١٩٠١م)
٦١- *مسائل العشرة في خصائل الفطرة* للشاه تقي علي قلندر الكاكوروي (١٢٩٠ / ١٨٧٣م). و يوجد مطبوعاً.
٦٢- *التعليقات الأنيقة* للمفتي محمّد عباس التستري اللكنوي (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) و يوجد مطبوعاً .
٦٣- *الدرر الفاخرة* للسيد باقر بن محمد النصيرآبادي (١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م) و يوجد مطبوعاً.

٦٤- نظم *الدرر* فى سلك شق القمر للسيـد عبد العليم الفرنجـي محـلي (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م). و يوجد مخطوطه فى مكتبة فرنجى محل ، تحت رقم ٤٥/٣٣٧.

١- ملاّ نظام الدين الفرنجي محلي:

ولـد نظام الدين فـى سنة ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م فى سهالى بمديريـة باره بنكى ، و استشهد أبوه و هو ابن أربعة عشر عاماً ، و انتقلت أسرته إلى فرنجى محل، لكناؤ ، بأمر من السلطان اورنگ زيب عالمگير، و أكب على حصول العلم حينما نيف على ستة عشر عاماً. و سافر إلـى جائس و ديـوه و بنارس ابتغاء العلم ، و قرأ "*شرح المواقف*" و الكتب الأخرى المنهجية على تلميذ أبيه ملاّ أمان الله البنارسى و قدم لكناؤ عام ١٣-١١١٢هـ / ٢-١٧٠١م) و قرأ "القوشجية" على ملاّ غلام نقشبند ، ثم اشتغل بالتدريس ، و مات عام ١١٦١هـ / ١٧٤٨م ، و هو ابن اثنين و سبعين عاماً (٩ / جمادى الأولى ١١٦١للهجرة) (٩).

و أرّخ وفاته السيد عبدالباسط الأميتهوى فى قوله:

نظام الدين محمّد واصـل حق   چو از روئے زمين سوئے فلك شد
وصال سال تاريخش فلك گفت   "ملك بود و بيك حركت ملك شد"
٢ ٦ ١ ١ هـ

(رحل محمّد نظام الدين إلى جوار ربه حينما رحل من الأرض إلى السماء، و نودى من السماء فى تاريخ إرتحاله: كان ملِكا، و بغينة أصبح ملَكا)

و له تلامذة أعلام مثل إبنه عبدالعلى بحرالعلوم، و ميران كمال الدين، و ملا كمـال الدين السهالـوى ، و ملا أحمـد حسين ، و ملا محمّـد حسن ، و الآخرون.

و قال فيه صاحب "*عمدة الوسائل للنجاة*" :

> *" كان براً شريفاً كريماً حليماً زاهداً ورعاً متبعاً لسنـة رسول الله فى إعلاء كلمة الحق ، و كان لا يتكلم إلاّ ليّناً من القـول و لا يلبس إلا خشناً من الثياب ، عضـداً للضعفـاء ، و للمساكين، و هادياً للمضلين" (١٠)*

و قال عنه صاحب النزهة :

> *" الإمام الكبير ، العلامة الشهير ، صاحب العلوم و الفنون ،*

غيث الإفادة الهتون، العالم بالربع المسكون ، أستاذ الأساتذة ، إمام الجهابذة الذى تفرد بعلومه ، و أخذ لواءها بيده ، لم يكن له نظير فى زمانــــه فى الأصـــول و المنطق و الكلام " (١١)

كان العلامة محبّ الله البهارى (١١١٩هـ / ١٧٠٨م) قد ألف كتاباً فريداً فى أصول الفقه بإسم "*مسلم الثبوت*" و شرحه عدد من العلماء كما تتضح من الفهرس السابق ، و ملاّ نظام الدين أول من ألف شرحه ، و تقول رواية أنه ألف هذا الشرح فى حياة الملاّ البيهارى ، و كان قد أرسله إليه.
و نجـــد هذا الشرح فى مكتبات على كره و رامبور و كلكتا ، و لملاّ نظام الدين ثلاثة مؤلفات فى الكلام، إضافــــة الحواشـــى على " شرح *هداية الحكمة* " و " *الشمس البازغة* " و هى مطبوعة.
و من أهم تاليفات الملاّ نظام الدين كتابه "*الصبح الصادق شرح المنار*" و كتاب "*المنار*" متن شهير فى أصول الفقه ، ألفــه الشيخ أبوالبـــركات حافظ الدين النسفى ، (من القرن الثامن للهجرة) و قد شرحه النسفى نفسه بإسم "كشف *الأسرار*" و شرحه الملاّ أحمد جيون الأميتهوى (١١٣٠هـ/ ١٧١٨م) باسم "شرح *نورالأنوار* " و هذا الشرح داخل فى المقررات الدراسية النظامية فى الهند ، و شرحه ملاّ نظام الدين.
و لا نجد نسخة خطية لـ "*الصبح الصادق*" فى مكتبة فرنجـــى محـــل ، و يوجد مخطوطه فى المكتبة الأنورية ، الزاوية الكاظمية بكاكوري.
و هذا المخطوط يشتمل على خمس و ثلاثين و خمسمائة صفحة ، كل صفحة إحدى و عشرون سطراً ، و فيه عبارة مصورة من خط ملاّ نظام الدين ، و الصفحة الأولى تحمل عبارة من الشاه حبيب حيدر قلندر (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م).
و بداية المخطوط هكذا:

" *الحمدلله الذى غدقّ أصول حدائق قلوب العارفين ، لسحائب بعثة سيد الموجودات يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما ، اللّهم صل عليه صلـــوات طيبـــات و أثن عليه ثناءاً عظيماً ، ثم الصلاة و السلام على من أتبعه بصدق العزيمة ، فاثمر حائط أفئدتهم و أزهر نجوم ... و بعد فلا ريبة لمن مسّ جلدته الأرض فى أن كتـاب "المنار" قد رزق حظا وافرا من الإشتهاء ، و أوتى خيرا كثيرا من صغر العجم ، و كبـــر العـــلم ، الشفـــــاء ، و لقد شرحه جماعة منهم المصنف ، فبعضها فى غايـــة الإيجـــاز ، و آخر منها فى نهاية الإطناب*."

و يقول بعد الحمد و الصلاة :

" فاردت أن أشرحه عبدالله بن عبدالله تراب الأقدام القادرية ، كثرهما الله تعالى يوم التناد ، محمّد نظام الدين ابن القطب السهالوى ، مولداً ، و الأنصارى محتداً ...... الخ "

و بداية المقال بعد المقدمة :

" بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذى هدانا إلى الصراط المستقيم ، الظاهر أن البسملة و الحمدلة مع لاحقها من الكتاب و أما عدم إدخال ...... الخ "

و نهاية المطاف :

" لكن يتغير كقولنا فى النتيجة أنه يلى نكاحها عين الأب و الجد ... فلا يلى عليها أخوها فى النكاح كالمال."

٢- ملاّ عبدالعلي بحرالعلوم الفرنجي محلي :

ولد عبد العلى بحرالعلوم ابن ملاّ نظام الدين السهالوى فى فرنجى محل فى ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م (١٢) ، و كنيته أبوالعياش ، و لقبه بحرالعلوم ، قرأ على أبيه صغيراً ، و حصل جملة المعارف العقلية و النقلية و هو ابن سبعة عشر عاماً .

اشتغل ملاّ عبدالعلى بحرالعلوم بالتدريس فى لكناؤ ، و لكنه اضطر لمغادرة لكناؤ و الذهاب إلى بلاط حافظ الملك رحمت علي خان روهيلة في شاهجهان بور ، و ذلك لما أثير من خلاف بين أهل السنة و الشيعة فى المدينة ، و أقام هناك عشرين عاماً ، و لما استشهد رحمت خان روهيله فى سنة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م ، توجه ملاّ عبدالعلى إلى رامبور لدعوة من الأمير ، و اشتغل هناك ، بالتدريس فى المدرسة العالية كرئيس الأساتذة ، بين فترة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م - ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م (١٤) ثم ذهب إلى بوهار بدعوة الأمير صدرالدين البوهارى، و إلى مدراس عام ١٢٠٥هـ/١٧٩١م بدعوة من الأمير محمّد على خان (١٢١٠هـ / ١٧٩٠م) (١٥) و أقام فى مدراس إلى أن وافته المنية فى ١٢ خلون من رجب سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م ، و أرّخ وفاته القاضى إرتضى خان خوشنود (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م) بقوله (١٦) :

بزير زميں رفت گنج علوم

٥ ٢ ٢ ١ هـ

(دفن كنز العلوم)

و خلف ثلاثة بنين : عبدالأعلى (١٢٠٧هـ / ١٧٩٣م) و عبدالنافع (١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م) و عبدالرب (١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م) و ثلاث بنات.

و من تلاميذه الأعلام : الشيخ محمّد غوث شرف الملك بهادر (١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م) و الشيخ علاء الدين ابن أنوارالحق (١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م) و الشيخ عمادالدين اللبكنى ، و الحاج أمين الدين المحدث الكاكوروي (١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م).

كان بحرالعلوم من أعلام الهند فى المعارف ، و قد ترك ثروة لا بأس بها من الكتب و الرسائل و الحواشى ، و كان يكثر من مطالعة كتب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربى ، و يؤول المتشابهات بأسلوب حسن ، و فى أعماله من دقائق العلوم و أسرار التحقيق ما ليس له نظير فى الآخرين من العلماء و المؤلفين. (١٧)

و من أهم ما ألفه بحر العلوم كتابه "*الأركان الأربعة* "و لما قرأ الشاه عبدالعزيز المحدّث الدهلوى هذا الكتاب ، لقب مؤلفه ببحرالعلوم ، و أرسل خطاباً له إليه بصدده (١٨).

و هذا الكتاب مطبوع فى سنة ١٣٠٩هـ ، بالمطبعة العلوية بلكناؤ ، و فيه ثمان و ثمانون و مئتان من الصفحات بالقطع الكبير ، و المحتويات كالتالى:

١- الرسالة الأولى فى الصلاة
٢- الرسالة الثانية فى الزكاة
٣- الرسالة الثالثة فى الصوم
٤- الرسالة الرابعة فى الحج

و فى معالجته لهذه الأركان يتضح للقارى ما له من مكانة فى العلم و التحقيق و معرفة أسرار الشريعة ، و إطلاع واسع على المعارف و العلوم.

و هذه العبارة تعرف القارئ بأسلوب المؤلف فى الكتابة:

" الحمدلله الذى خلق الإنسان من أطوار مختلفة و جعله مظهر العجائب مؤتلفة ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، و فضله على العالمين ، بجعله مخاطباً لكلامه المبين ، فبعث إليهم الأنبياء و المرسلين ، ليبينوا ما فيه سعادة الحياة الدنيوية و الأخروية ، و خصنا بإرسال من هو رحمة للعالمين ، سيد ولد أدم الذى كان نبياً ، و أدم أبوالبشر بين الماء و الطين ، و بالبقاء خلفاءه لإقامة الدين المتين ، من أولياء الله المجتهدين ، ليظهر أحكامه المتعلقة بالأفعال المتجددة للمكلفين بآراءهم المتنورة بنورالله الذى لا ينطفى بإطفاء المطفين ، فجعل ما

رأوا شرعا مقرراً إلى يوم الدين .... فيقول العبد الضعيف المفتقر إلى رحمة رب العالمين عبدالعلى محمّد بن نظام الدين محمّد الأنصارى غفرالله لهما يوم الدين ، إن سعادة الإنسان بتكميل القوة النظريــة و العملية ليهتدى بـــه إلى سبيل العرفـــان ، و معاملة الرحمن .... الخ "

٣- السيد دلدار علي النصيرآبادى غفران مآب اللكنوى :

ولد السيد دلدار علي فى نصيرآباد ليلة الجمعة عام ١١٦٦هـ/٣-١٧٥٢م، و يرتقى نسبه إلى الإمام علي نقي بثلاثين واسطة، و تعلم فى بيته، ثم تلمذ على السيد غلام حسين الدكني الإله آبادي (تلميذ الشيخ محمّـــد أعلم بن شكر الله السنديلوى) لمواصلـــة الدراسات العليـــا (١٩) و لما مات السيـــد غلام حسين، ذهب السيد دلدارحسين إلـى ملاّ حيدرالسنديلوى (١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) خلف ملاّ حمـــدالله (.١١٦هـ / ١٧٤٧م) ليقرأ عليه *"شـرح السلـم"* لملاّ حمدالله و هو شرح *"سلم العلوم"* للقاضى محبّ الله البهارى (١١١٩هـ / ١٧.٧م) (٢٠)

و أوفده الأمير حسن رضا خان (من الشيعة) إلى العراق عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م) ابتغاء الدراسات العليا و شهادة الاجتهاد (٢١).

كان للسيد دلدار علي كبير فضل فى تنظيم الشيعة فى الهند ، و أداء الفرائض من الصلاة جماعة ، و ألف رسالة فى الموضوع (٢٢) و بذل جهوداً فى مواصلة أنشطة التدريس و التعليم و الإصلاح الاجتماعى ، و توفى فى ١٩ خلون من رجب سنة ١٢٣٥هـ / .١٨٢م ، و يؤرخ لوفاته فى هذا البيت :

سروش غيب همان وقت ناگهان فرمود
ستون دين به زمين او فتـــاد واويلاه
١٢٣٥ هـ

(قالت القوة الملهمة فجاة لمدته : هيهات ، سقط ركن من أركان الدين)

و خلف بنين و تلامذة و مؤلفات (٢٣)

و من أشهر مؤلفاته فى أوساط الشيعة *"أساس الأصول"* و قد طبع فى ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م من المطبعة المحمّدية لكناؤ، و يشتمل علـى ثمان و عشرين و مأتين من الصفحات بالقطع الكبير، و يذكر سبب التاليف فيقول :

" إن أعظم العلوم الدينية قدراً و أرجحها شرفاً بعد علم التوحيد هو علم الأصول و الأحـــكام محـــل معاقـــد الحـــلال

و الحرام، فإنه رئيس العلوم الدينية ، و رأسها مبنى القواعد الشرعية ، و يعلم بالضرورة من الدين أن ما كان شأنه هذا فهو من أهم الواجبات ، و الإعراض عنه من الموبقات يوقع صاحبه في جوف الهلكات."

و يذكر سبب التسمية فيقول :

" *و سميتها بأساس الأصول ليطابق الإسم المسمىٰ عند الفحول ، و ألتمس من الناظرين في هذا الكتاب أن ينظروا فيه بعين الإنصاف ، معرضين عن الجدل و الإعتساف، و يستمعوا بصميم القلب لما يقول ، و لا يشرعوا قبل التأويل بالرد و عدم القبول.*"

و هذا الكتاب يشتمل على مقدمة و أربعة مقاصد و خاتمة ، و يعدّ ـ بلا نزاع ـ من أفضل الكتب في أصول الفقه الشيعي.

و له كتاب آخر باسم "منتهى *الأفكار*"، و هذا في الحقيقة ردّ على "كتاب *القوانين*" لأبي القاسم القمي، و طبع بعد موته من مطبعة تصوير عالم، لكناؤ في عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، و فيه أربعمائة صفحة بالقطع الكبير.

يقول المؤلف :

" *و لقد كان بعض الأفاضل المعاصرين (أعني أباالقاسم القمي) أجال جواد فكره في هذا المضمار ، فأجاد و حرر فأقام من بناء هذا العلم ما أشرف على الفساد ، غير أنه سلك في أكثر المسائل مسلكاً يخالف أكثر مدارك المحققين ، و قد بقيت بعد خبايا الرموز و خفايا الكنوز مخفية عن بصائر الناقدين ، فحداني هذا و ذلك على رسم بعض الرسائل المحتوى على درر المسائل ، و كنوز الفوائد التي خلت عنها زبر السافلين (هكذا في المتن) و صحف الناقدين من المعاصرين* ".

و للسيد دلدار علي كتب في الفلسفة و المنطق و الكلام ، و سوف يمر بها القارئ في الحلقات القادمة.

الهوامش :

١- دائرة المعارف الإسلامية (بالأردوية) طبعة لاهور ، ٥٣٠/٤
٢- راجع: نواب صديق حسن خان القنوجي: تذكره علماء هند ١٤١-١٤٢
غلام علي آزاد بلجرامي · مآثر الكرام ص: ٢٥
عبدالحي الحسني الرائي بريلوي: نزهة الخواطر ١٨٧/٦
نواب صديق حسن خان القنوجي: أبجد العلوم· ٩٣٠-٩٣١
نواب صديق حسن خان القنوجي تقصار جيود الأحرار من تذكار جنود الأبرار ص· ١٨٩
مولانا ولي الله الحسني ،فرخ آبادي: تاريخ فرخ آباد ، نسخة خطية في مكتبة ندوة العلماء ، لكناؤ تحت رقم· تاريخ ٢٤٨٥/١٠٥
٣- أنظر نزهة الخواطر ٨٦/٦
المولوى رحمن علي · تذكره علماء هند (بالفارسية) ص: ٦٣
٤- أنظر نزهة الخواطر ١٩٤/٧
٥- نزهة الخواطر ٤١٥/٧-٤١٦
٦- نزهة الخواطر ٤٢/٦-٤٢١ ، و تذكره علماء هند ص· ٥٨-٥٩
٧- هذه رواية نزهة الخواطر (٢٠١/٦) و يذكر صاحب "تذكره علماء هند" أنه ولد عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤ ، أنظر . ص· ١٥٤
٨- أنظر لمزيد من الاطلاع ·
سبحة المرجان ١١٨-١٢٣ ، مآثر الكرام ١٦١/١-١٦٤ ، ٣٠٣/٢-٣١١
أبجد العلوم ٩٢٠-٩٢٢ ، حدائق الحنفية : ٤٥-٤٦
اتحاف النبلاء · ٣٣٠-٣٣١ و غيرها من كتب التراجم و السير.
٩- أنظر: تذكره ٢٤١-٢٤٢ ، نزهة الخواطر ٣٨٣/٦-٣٨٤
محمّد رضا الأنصاري . باني درس نظامي ص: ٦١-٦٢ و ٢٠٤
١٠- مولانا ولي الله الفرنجي محلي · عمدة الوسائل ، مخطوط في مكتبة مولانا آزاد ، على كره
١١- عبدالحي الحسني : نزهة الخواطر ٢٨٣/٦
١٢- مولانا عنايت الله الفرنجي محلي: تذكره علماء فرنگى محل ص ١٢٧
١٣- أنظر· باني درس نظامي ص. ١٥٠-١٥٢
١٤- أبوالحسنات الندوي · هندوستان كى قديم اسلامى درس گاهيں ص. ٣٦
١٥- أنظر. الأغصان الأربعة . ١٢٣-١٢٤ ، و نزهة الخواطر. ٢٨٥/٧
١٦- عبدالباري الفرنجي محلي: آثارالأول من علماء فرنجي محل ص: ٢٥ ،
تذكره علماء فرنجي محل ص: ١٤١
١٧- تذكره علماء فرنجي محل ص: ١٤٠
١٨- المصدر نفسه ص: ١٤٠-١٤١
١٩- السيد محسن الأمين أعيان الشيعة ٣١/٣١ ، نزهة الخواطر: ١٦٦/٧ ، مرزا محمّد علي : نجوم السماء · ص: ٣٤٦
٢٠- السيد أحمد · ورثة الأنبياء ٣١/١ ، و أعيان الشيعة : ٣١/٣١
٢١- أشينه حق نما ، (مخطوط في مكتبة آزاد، جامعة على كره الإسلامية) ص. ٦٦-٦٨
٢٢- أعيان الشيعة ٣١/٣١ ، نجوم السماء : ٣٤٨/١
٢٣- أنظر. ورثة الأنبياء: ٢٠/١-٢٢ ، ٣٩-٤٠ ، ٣٢٥-٣٢٦
نزهة الخواطر : ٤٩٥/٧ ، ٣٣٢-٣٣٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠
تذكره بي بها : ١٢٢-١٢٤

نص محقّق :

الردّ المستقيم على بعض الأعاجم
فى تحريك الميم
لابن النجار الدمشقى ٧٨٨ـ ٨٧٠ هـ

عنى بالنص و قدم له و علق عليه
الأستاذ عبدالاله نبهان
جامعة البعث ـ حمص ـ سورية

مقدمة :

هذه رسالة لطيفة من عشرات الرسائل التى تصور اهتمام العرب و المسلمين بسلامة نطق العربية، و حرصهم على دقة أداء كل حرف من حروفها ، و خاصة فيما تعلّق بمحكم التنزيل. كما تصوّر أيضا اهتمامهم برصد الظواهر اللغوية الطارئة، و تعلن عن تنبهّهم لها مهما كانت خفيّة. و قد كان أمرا طبيعياً بروز مثل تلك الظواهر و نباتها فى مجتمع كبير اختلط فيه الحابل بالنابل ، و التقت فيه لغات شتىً دان أصحابها بالإسلام ، و أخذوا يتعبدون بتلاوة أيات الذكر الحكيم ... فزل لسان هنا ، و اعوجّ نطق هناك ... و تعذر على بعض الناس نطق بعض الحروف، و التبس على ألسنة بعضهم نطق حروف آخر بحروف مقاربة ... و ما أشبه ذلك كثر و شاع، فانبرى العلماء يؤلفون فى الضاد و الظاء ، و فى السين و الشين، و فى غير ذلك من الحروف، و كانت هذه الرسالة الفريدة ـ ربما ـ فى حرف الميم.

المؤلف [١]

هو محمّد بن أحمد بن داوّد ، الشمس أبوعبدالله الدمشقى الشافعى المقرئ المعروف بابن النجار. ولد فى دمشق ـ فيما يبدو ـ فى أيام المماليك عام ٧٨٨ هـ ، و عاصر حوالى تسعة عشر والياً من ولاة المماليك على دمشق بدءاً من ولاته أيام الولاية الثالثة لسيف الدين عشيقتمر المارداني، و مروراً بتمر بغا

المنجكي و غيره ، إلى وفاته أيام مجماز الإسحاقي (٢). و هاهنا يجب أن نذكّر أن تيمورلنك استولى على دمشق في هذه الفترة ، و بالضبط في جمادى الأولى، سنة ٨٠٣ هـ و أن أول اسم لوالٍ يظهر بعد تيمورلنك هو اسم الوالي سيف الدين شيخ ٨٠٦ هـ (٣). في هذا العصر المضطرب كان علماء أمتنا يبذلون الجهد للحفاظ ـ بقدر الإمكان ـ على العلم و على اللغة ، و كان حرصهم على التراث و تمسكهم به يمثّل محاولة جادّة للحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية أمام عوامل الفناء و الذوّبان.

تلقى المؤلف ابن النجار علومه على نفر من علماء عصره ، و قد ذكر منهم صدقة الضرير شيخه في القراءات. و ذُكر عن المؤلف أنه كان ماهراً في الحساب. و كان واعظاً ، له مجلس يعظ فيه الناس بجامع يلبغا في دمشق.

و من مؤلفاته كتاب في الأوجه الواقعة من أخر البقرة و أول آل عمران. توفي حوالي سنة ٨٧٠ هـ

الرسالة :

و قد سمّاها *الردّ المستقيم على بعض الأعاجم في تحريك الميم*. و هي من محفوظات دارالكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقمه ٥٩٨٧ ، و تشغل وجه الورقة ٨٩ ، و وجه الورقة ٩٠ و ظهرها. و هي نسخة من القرن العاشر الهجري ، كتبت بخط معتاد ، كتبها محمّد بن أحمد الناصري سنة ٩٧٤ (٤).

و يشتمل المجموع نفسه على كتاب آخر للمؤلف نفسه و هو: *الإفهام في شرح باب وقف حمزة و هشام*. و قد نسخت الرسالة و علقت عليها بعض التعليقات المقتصدة التي تستهدف التوضيح أو توثيق بعض ما ذكره مصنف الرسالة.

و لاشك في أن اللحن الذي رصده ابن النجار و تصدّى لإنكاره هو لحن طريف في بابه ، و ربما كان من النادر أن نسمعه في أيامنا ، و قد يعلل ظهوره آنذاك بأن يكون قد ظهر على ألسنة أناس يتكلمون في الأصل غير العربية ، فالتوى لسانهم بما لا تسيغه أذان القراء ، و لا تسمح به قواعد التجويد. فكانت هذه الرسالة و كانت تلك الكتب و الرسائل الكثيرة التي ألفت آنذاك. و الله الموفق للصواب.

نص الرسالة

الردّ المستقيم على بعض الأعاجم فى تحريك الميم

قال شيخنا الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق أبوعبدالله محمّد بن أحمد الشافعى المقرئ الشهير بابن النجار عفاالله عنه:

مسألة: اعلم أن الميم تخرج من المخرج الثانى عشر من مخارج الفم (٥)، و هى ذات غنّة ، فاذا وقعت ساكنة قبل أحد حروف "ب و ف" فقد قال الشيخ الإمام العلامة أبومحمّد مكّى (٦) فى كتبه الموضوعة فى التجويد: إذا سكنت الميم وجب أن يتحفظ باظهارها ساكنة عند لقائها باءً أو واواً أو فاءً نحو "هم فيها"، "عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضَّآلِيْنَ [الفاتحة: ٦ ، ٧]" "وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ [البقرة: ٨]" و ما أشبه ذلك، و هو كثير فى القرآن. فلابدّ من بيان الميم الساكنة فى هذا كلّه ساكنة من غير أن يحدث فيها شىء من حركة (٧).

و قال المحققون من القراء كالجعبرى (٨) و أبى شامة (٩): إذا سكنت الميم قبل الباء و الواو و الفاء ، فلابدّ من إظهارها عندهنّ ساكنة من غير تحريك، و إليه الإشارة بقول ولى الله أبى القاسم الشاطبى (١٠) رحمه الله و رضى عنه: "و أسكنها الباقون" (١١). و قال الأستاذ علاّمة هذا الفن و محققه أبوعمرو الدانى (١٢) رحمه الله تعالى. قال لى أبوالحسن بن شريح: لابدّ من الإظهار و السكون ، و لفظ لى به ، فأطبق شفتيه على الحرفين إطباقا واحداً. و هذا هو الصحيح المنقول المقبول الذى لايجوز غيره. و أما ما يفعله بعض الأعاجم من تحريكها و إزعاجها فى حال الإظهار فلا يجوز ذلك و لا القراءة به. و إنما حملهم على ذلك جريان الطباع عليه، و هو مخالف لما عليه المحققون. و إلى النهى عن هذا أشار بعض المحققين فى منظومته فى تجويد الفاتحة بقوله:

و للميمِ عند الواو أظهرْ و لا تكنْ   له مزعجاً بل مظهراً بترفّق (١٣).

فنهى عن الإزعاج و هو تحريكها.

و قال الشيخ الإمام العلامة أبوالحسن السّخاوى رحمه الله (١٤): فأما الميم الساكنة نحو قوله تعالى: "نَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ [الانعام: ١١٠]" ، " أنتُمْ وَ أزْوَاجُكُمْ [الزخرف: ٧٠]" و شبه ذلك، فيجب إظهار الميم و بيانها و بيان سكونها ، ثم قال: و كثير من الناس لا يحسن ذلك فيحرك الميم، و هو خطأ يجب التحفظ منه.

قلت: و إذا كان الأمر كذلك فلا التفات إلى ما تفعله الأعاجم من تحريكها فانه ليس بصواب و هو خطأ. و كذلك يحركون أداة التعريف نحو:

"*الأرض و الأنهار*" و ما أشبه ذلك. و يحركونها (١٥) أيضا عند النون فى نحو "قلنا ، و جعلنا ، و أرسلنا و سلنا" و شبهه ، و هو خطأ أيضا ، فان اللام فى نحو "*الأرض*" و شبهه ساكنة لشدة امتزاجها بالاسم الداخلة عليه، و حلولها بمنزلة جزء منه (١٦). و إلى عدم تحريكها و غيرها من الحروف السواكن أشار الإمام العلاّمة أبوعمرو الدانى رحمه الله تعالى بقوله: و أمّا المسكّن من الحروف فحقّه أن يخلىَ من الحركات الثلاث و من بعضهن من غير وقف شديد و لا قطع مسرف سوى احتباس اللسان فى موضعه قليلا فى حال الوصل. قلت: و حبس اللسان فى موضعه ينافى التحريك، فقد ظهر بهذا فساد مَن عدل عنه إلى غيره.

ثم إعلم أن للميم الساكنة الواقعة قبل أحد حروف "ب و ف" أحكاماً أخر، نقلها القرّاء من إخفاء و إدغام (١٧)، لكن لسنا بصدده لأن التحقيق و العمل على ما نقلناه ، فلهذا أهملنا ذكره لأن المراد بما قلناه ردّ ما تستعمله الأعاجم و من ضاهاهم من تحريك السواكن. و الله أعلم.

الهوامش:

١- انظر ترجمة المؤلف فى الضوء اللامع للسخاوى ٦ ٣٠٨ مصورة فى بيروت. و عنه نقل المرحوم عمر رضا كحالة فى معجم المؤلفين ٨ ٢٥٩

٢- انظر معجم الانساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى للمستشرق زامباور ١ ٤٧ ، ٤٨

٣- انظر المرجع السابق ١ ٤٨ ، و انظر حول استيلاء تيمور على دمشق كتاب عجائب المقدور فى أخبار تيمور ص: ١٠٠ و ما بعدها طبعة المطبعة العامرة العثمانية بمصر سنة ١٣٠٥هـ و انظر نزهة النفوس و الابدان ٢ ٧٧ حوادث سنة ٨٠٣ [الكتاب للخطيب الجوهرى على بن داؤد الصيرفى. تحقيق الدكتور حسن حبشى. دار الكتب بمصر ١٩٧١م].

٤- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية علوم القران الكريم ١ ١٧٠ [وضعه صلاح محمّد الخيمى و نشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣]

٥- قال مكى فى كتابه الرعاية لتجويد القراءة ص ٢١٧ : اعلم أن سيبويه و أكثر النحويين يقولون إن للحروف ستة عشر مخرجاً ، للحلق منها ثلاثة مخارج ، و للفم ثلاثة عشر مخرجا. [انظر الرعاية بتحقيق د أحمد حسن فرحات. دمشق ١٩٧٢م و انظر ايضا كتاب التحديد فى الإتقان و التجويد للدانى ص ١٠٤ تحقيق د. غانم قدورى حمد ط جامعة بغداد ١٩٨٨م].

٦- مكى بن أبى طالب القيسى أبومحمّد ت ٤٣٧ ولد بالقيروان ٣٥٥. و حجّ فسمع بمكّة. كان من أهل التبحر فى علوم القران و العربية .. سافر إلى الأندلس سنة ٣٩٣ و جلس للإقراء بجامع قرطبة. أنظر غاية النهاية فى طبقات القراء لإبن الجزرى ٢: ٣٠٩ بتحقيق برجستراسر و انظر مقدمة كتاب الرعاية المشار إليه فى الحاشية السابقة، و إنباه الرواة للقفطى ٣. ٣١٥ و مقدمة كتاب إعراب مشكل القران لمكى تحقيق الأستاذ ياسين السواسى ، و قد نشره مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٤، و كتاب الدراسات الصوتية للدكتور غانم قدورى حمد ص. ٣٦

٧- انظر كتاب الرعاية ص: ٢٠٦، ٢٠٧

٨ - الجعبرى ابراهيم بن عمر أبوبكر بن محمّد، محقق حاذق كبير، ولد بربض قلعة جعبر - قرب مدينة الرقة فى سورية و هى الآن فى وسط بحيرة سدالفرات - سنة ٦٤٠ هـ و توفى سنة ٧٣٢ انظر غاية النهاية ١: ٢١ برقم ٨٤. شرح الشاطبية و له غيرها من المؤلفات.

٩- أبوشامة: عبدالرحمن بن إسماعيل أبوالقاسم المقدسى ثم الدمشقى الشافعى ولد سنة ٥٩٩ و توفى بدمشق سنة ٦٦٥ هـ له شرح الشاطبيـة و غيره. غاية النهاية ١ ٣٦٦ برقم ١٥٥٨ و سيرد فى الحاشية (١١) كلام ابى شامة

١٠- الشاطبى القاسم بن فيّرة الضرير، ولد بشاطبة فى الأندلس ٥٣٨ هـ و توفى بالقاهرة سنة ٥٩٠هـ و هو صاحب المنظومة المعروفة باسمه *"الشاطبية"* و يحفظها القرّاء حتى يومنا هذا ، و هو صاحب *كتاب الموافقات*. غاية النهاية ٢. ٢٠ برقم ٢٥٩٩

١١- الإشارة هـهنا إلى قول الشاطبى فى منظومته حرز الأمانى المشهورة بالشاطبية:

وصِلْ ضمَّ ميــم الجمــع قبـل محرّك
دراكـــاً و قالـــونٌ بتخييـــره جــلا
و من قبل همز القطع صِلها لورشهم
و أسكنهـــا البـــاقون بعدُ لتكمـــلا

و انظر شرح هذا النظم فى *إبراز المعانى* لابى شامة ص ٥٨ ، ٥٩ ط مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٤٩هـ و قد علق أبوشامة على قوله "و أسكنها الباقون" بقوله: و إسكان ميم الجمع هو اللغة الفصيحة الفاشية و الباقون هنا هم سائر القراء السبعة باستثناء ورش. قال أبوشامة: كان يلزمه أن يذكر مع ورش ابن كثير و قالون . [و أبيات الشاطبى تجدها فى كتاب اتحاف البررة بالمتون العشرة ص ٩ جمع و ترتيب الشيخ على محمّد الضباع. ط مصطفى البابى بمصر ١٣٥٤هـ].

١٢- أبوعمرو الدانى عثمان بن سعيد القرطبى ٣٧١ - ٤٤٤ غاية النهاية ١ ٥٠٣ برقم ٢٠٩١ و انظر مقدمة الدكتور غانم قدورى حمد لكتاب التحديد فى الإتقان و التجويد للدانى و قد سبقت الإشارة إليه فى الحاشية رقم (٥).

١٣- لعله يريد الجعبرى الذى ألف منظومة فى تجويد الفاتحة سماها: القيود الواضحة فى تجويد الفاتحة شرحها ابن أم قاسم المرادى ت ٧٤٩ هـ و أحمد بن على المعروف بالمقينى ، كما اختصرها آخرون مثل فضل بن سلمة. انظر كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدورى حمد ص. ٣٢ و كشف الظنون ٢. ١٩٩٦.

١٤- أبوالحسن السخاوى على بن محمّد المقرئ المفسر النحوى اللغوى الشافعى، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق.

ولد بـ(سخا) من أعمال مصر سنة ٥٥٨ أو ٥٥٩ هـ قرأ بمصر على الشاطبى و غيره. أقرأ الناس نيفاً و أربعين سنة بجامع بنى أمية بدمشق. توفى سنة ٦٤٣ هـ

انظر غاية النهاية ١: ٥٦٨ برقم ٢٣١٨. و انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٩

١٥- أى يحركون اللام

١٦- انظر فى هذا الأمر كلاماً مفصلاً فى سر صناعة الإعراب لابن جنى ١: ٣٣٥ و ما بعدها. تح : د/ حسن هنداوى. دارالقلم - دمشق ١٩٨٥م.

١٧- انظر الرعاية ٢٠٦ و التحديد ١٦٧.

مستدركات

د/ابراهيم السامرائي
كلية الآداب، جامعة صنعاء
ص-ب ١٢٠٠٢ صنعاء
(الجمهورية اليمنية)

مقدمة:

اجتمعت لدى "مستدركات" كثيرة وجدتها فى ثنايا كتب اللغة و الأدب و التاريخ و غيرها. و هى من أصول كتب مشهورة عرفها الدارسون من مصادرهم. و لو كان لنا أن نسير فى هذا السبيل لوجدنا الشيء الكثير مما لم ينشر فى هذه المصادر و هى من هنا "مستدركات" مفيدة للدارسين و لمن يتصدى لنشر جديد من هذه الكتب المشهورة.
و قد رأيت من المفيد أن ابسط شيئا مما تهيّأ لدي فكان منه ما أبسطه فى هذا "الموجز" آمل أن يتاح لى نشر أشياء أخرى.

و الله أسأل أن ينفع بعملى هذا إنه نعم المولىٰ و نعم النصير.

المنتخب من كنايات الأدباء و إشارات البلغاء
للقاضى أبى العباس احمد بن محمّد بن احمد الجرجانى
المتوفى سنة ٤٨٢ هـ

نشر فى حيدر آباد الدكن ١٩٨٣م

و قد وجدت فى هذا الكتاب نصوصاً هى:
من كتاب "الملاحن" لابن دريد
و من كتاب "الكامل" للمبرد
و من كتاب "الامثال" لمؤرّج السدوسى
و من كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة
و من كتاب "البصائر و الذخائر" لأبى حيّان التوحيدى
و جملة هذه النصوص مما أخلت به هذه الكتب المطبوعة. و من هنا تعدّ مما ضاع من مواد هذه المصادر القديمة.

و فى كتاب "الملاحن" عن أبى القاسم التنوخى عن ابن دريد فى أسير (١) بكر بن وائل سألهم رسولاً إلى قومه: فقالوا له: لا ترسل إلاّ بحضرتنا اشفاقاً من أن ينذرهم، فجيء بعبدٍ أسود، فقال له: أ تعقل؟ قال: إنى لعاقل، قال: ما أراك عاقلاً، ثم ملأ كفيه من الرمل فقال: كم هذا؟ قال: لا أدرى إنه لكثير، قال. أيما أكثر النجوم أم التراب؟ قال: كلّ كثير. قال: أبلغ قومى التحية و قل لهم: أكرموا فلاناً - يعنى أسيراً فى أيديهم، فانهم لى مكرمون، و قل لهم إن العَرفَجْ قد أدبى و قد شكت النساء، و أمرهم أن يعروا ناقتى الحمراء فقد طال ركوبها، و أن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً، و سلوا الحارث عن خبري".

فلما أدّى العبد الرسالة إليهم قالوا: لقد جُنّ الأعور، و الله ما نعرف له ناقة و لا جملاً أصهب، ثم سرّحوا العبد و دعوا الحارث و قصّوا عليه القصة، قال: قد أنذركم، أمّا قوله: "قد أدبى العرفج" أى أن الرجال قد استلأموا و لبسوا السلاح، و قوله: "شكت النساء" أى اتخذن الشكّاء للسفر - و الشكوة: القربة الصغيرة، و قوله: "الحمراء" أى ارتحلوا عن الدهناء، و اركبوا الصمّان و هو الجمل الاصهب، و قوله: " أكلت معكم حيساً " يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم، لان الحَيس يجمع السمن و التمر و الأقطْ. فامتثلوا ذلك و عرفوا ما قال. فأخذ هذا المعنى رجل كان أسيراً فى تميم فكَتب به إلى قومه ينذرهم:

حلّوا عن الناقة الحمراء و اقتعدوا
العَودَ الذى قد حمى فى ظهره و قَعِ

إن الذئاب قد اخضرّت براثنها
و الناس كلّهم بَكر إذا شَبعوا

و هذان من أبيات المعاني.

قال ابوعثمان: أراد "بالناقة الحمراء" الدهناء ، و هي أرض لبني تميم، تشبيهاً بالناقة لسهولة ركوبها لأنها أرض فضاء سهلة، و "اقتعدوا العود" أي اسكنوا الصمّان - و هي بلد لبني تميم أرض غليظة صلبة ، و "العود" المسن من الإبل، و "جعل في ظهر وقعا" و هو آثار الدبر في ظهر البعير، تشبيهاً للصمّان بما قد وطئ و كثرت آثار الناس فيه، يقول : " امتنعوا بركوب الصمّان " لأنه وعر صلب ، يشقّ على الخيل أن تطأه ، و أراد "بالذئاب" القوم الذين يغزون، شبّههم بالذئاب لخفتهم و حرصهم على الغارة ؛ و قوله: "قد أخضرّت براثنها" أي قد أخصبت الأرض، و كثر الماء و العشب، و أمكن الغزو و الإقدام، مخضرّة من الكلا، فجعل للإقدام براثن ؛ و قوله: "و الناس كلهم بكر" يريد أن بكراً اشدّ الناس عداوة لبني تميم، يقول : " إذا أربعوا و أخصبوا فعدواتهم كعداوة بكر".

المنتخب من كنايات الأدباء
للقاضي ابي العباس أحمد بن محمّد
الجرجاني ص ص ١٩٤-١٩٦

و حكى المبرّد في "الكامل" : أن رجلاً من تميم قال لشريك النميري (٢): ما في هذه الجوارح أحبّ اليك في البازي؟ فقال: نعمْ ! إذا كان يصيد القطا ، أراد قول جرير القائل:

أنا البازي المطلّ على نُمَير   أتيح من السماء له انصبابا

و أراد شريك قول الطرمّاح.

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا   و لو سلكت طرق الهداية ضلّت

المنتخب من كنايات الأدباء ص ص ٢١٥-٢١٦

و من الرموز بالفعل دون القول ما قرأت في كتاب "الأمثال" عن مؤرّج بن عمرو السدوسي (٣) قال: حدّث أبوخالد الكلابي أن الأحوص بن جعفر (٤) أتى ، فقيل له: أتانا رجل لا نعرفه، فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته، فعلّق وطباً من لبن و وضع في بعض أغصانها (٥) حنظلة ، و وضع صرّة من تراب و صرّة شوك في بعضها، ثم استوى على راحلته، فنظر القوم و الأحوص من أمره ، فقال الأحوص: أرسلوا إلى قيس بن زهير، فأتوا قيساً

فجاءوا به إليه ، فقال له الأحوص أ لم تخبرني أنه لا يرد عليك أمر إلاّ عرفت مأتاه ما لم ترمِ بنواصي الخيل؟ فقال ما الخبر؟ فأعلموه، فقال "قد تبيّن الصبح لذي عينين" فصار يضرب لوضوح الشيء.

قال: أما "صرّة التراب" فانه يزعم أنه قد أتاكم عدد كثير، و أما "الحنظلة"، فان حنظلة أتاكم قد أدركتكم (٦) ـ و أما الشـوك ، فإنّ لهم شوكـة ، و أما اللبن ، فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم، فإن كان حلوا حليباً فقد أتتكم الخيل، و إن كان لا حلواً و لا حامضاً فعلى قدر ذلك و لكم الرأى، و إنما ترك الكلام لأنه أخذت عليه العهود ، و قال: أنذرتكم.

المنتخب من الكنايات ص ص ٣٤٣-٤٥

و فى "عيون الأخبار" عن القتيبى (٧) أن مسلم بن قتيبة قال للشعبى: ما تشتهى؟ قال : أعزّ مفقود و أهون موجود ، قال : يا غلام اسقه ماءً.

المنتخب من الكنايات ص ٢٨٩

و حكى أبوحيان فى "الذخائر" (٨) عن الرياشى (٩) قال ركب الأصمعى حماراً دميماً ، فقيل له: أبعدَ براذين الخلفاء تركب هذا؟ فقال متمثلاً (١٠)

و لمـــا أبت إلاّ اطّراقـــاً بودّهـــا و تكديرها شرب الـذى كان صافيا
شربنـــا بـرنقٍ من هواها مكدّر و ليس يعاف الرنق من كان صاديا

و مثل هذين البيتين قول ابن المعتز:

من يمنـــع الماءَ الـــزلال و يمتنـــع من الشرب من سؤر الحمار تغضّبا
خليق إذا لـم يستطع شـربَ غيره و خافَ المنايـــا أن يذلّ و يشـربا
إذا المـرء لـم يُقدر لـــه مـــا يريده تحمّلَ ما يُقضـــى له شـــاءَ أو أبى

المنتخب من الكنايات ص ص ٢٩٣-٢٩٤

و حكى أبوحيان التوحيدى فى "كتاب النظائر" (١١) عن موسى بن قيس المازنى، قال: قلت لأبى فراس (١٢): أنت النهار ماش، ليسكن بدنك بالليل، فقال :

إذا الليــل ألبسنى ثوبه تقلّب فيـــه فتـــىً مؤجع

فقلت له: يا أحمق ! أ سألك عن حالك و تنشدنى الشعر، قال: قد أجبتك يا ابن الرطبة، فقلت: أ تقول لى هذا و أنا سيد من سادات الأنصار؟ فقال:

و إن بقـــوم، سوّدوك لفاقـــة إلى سيّد لو يظفرون بسيّدِ

و ضرط فى يده و لطم بها عينــه، و قال: هكــذا يكون الجـواب المقشـر.

و ضارط مزيد (١٣) امرأته فجعلت تزوج و هو يفرد، فانقطعت على رأس المئة و مدّ مزيد إلى ثلاث مئة، ثم قال: كيف رأيت ما نحن فيه، ما هو إلاّ كما قال الشاعر:

قلل تُصلحه فيبقى   للريح في أثوابه دوىّ

فقيل: ويحك هذا ضراط كله.

المنتخب من الكنايات ص ص ١٤٠- ١٤١

ذيل تاريخ بغداد:
للحافظ محبّ الدين أبى عبدالله محمّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادى المتوفى سنة ٦٤٣

طبع فى حيدر آباد ـ الدكن
سنة ١٩٧٨م

و قد وجدت فيه نصوصاً هى:

نص من "تاريخ الصوفية" لأبى عبدالرحمن السلمى

نص من "تاريخ الطبرى"

نصوص من "كتاب الورقة" لمحمّد بن داود بن الجراح

نصوص من كتاب "نشوار المحاضرة" للتنوخى

و جملة هذه النصوص مما لم ينشر فى هذه الأصول المطبوعة.

فى ترجمة عبدالملك بن يزيد البغدادى

ذكره أبوعبدالرحمن السلمى النيسابورى (١٤) فى كتاب "تاريخ الصوفية" (١٥) فقال: و أبوه عبدالملك بن يزيد من مشايخ الحديث، حدث عنه حفص بن غياث و غيره

و الكلام على محمّد بن عبدالملك.

ذيل تاريخ بغداد ١/١٤٨-١٤٩

و جاء فى ترجمة عبيدالله بن سليمان بن وهب، أبوالقاسم

قرأت فى كتاب التاريخ لأبى جعفر محمّد بن جرير الطبرى قال:

و فيها يعنى سنة ثمان و ثمانين و مئتين فى يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر توفى عبيدالله بن سليمان الوزير و دفن فى داره و صلى عليه ابنه ابوالحسين فكانت مدة تقلّده الوزارة للمعتضد عشر سنين و شهرين و عشرة أيام.

ذيل تاريخ بغداد ٥٨/٢

و جاء فى ترجمة عبيدالله بن محمّد العنبرى البغدادى ...
ذكره أبوالعرب أحمـــد بن محمّـــد التيمـى القيروانى فى كتاب "تاريخ قيروان" من جمعه، و قال: قدم علينا، و له رجال منهم وكيع و يزيد بن هارون و غيرهما.

ذيل تاريخ بغداد ٢ / ١٤٥

فى ترجمة عبدالوهاب بن الصباح المدائينى ابوالقاسم الكاتب.
ذكره محمّد بن داود بن الجراح الكاتب فى كتاب "الورقة" فى أخبار شعراء المحدثين، من جمعه، و قال: له أشعار جياد،
أنشدنى عبدالله بن محمّد بن أبى محمّد البردانى قال: أنشدنى أخى الفضل لعبد الوهاب بن الصباح:

كانـوا بعيـداً فكنت آملـهم   حتى إذا مـا تقرّبـوا هجـروا
فالبعد منهـم علـى رجائـهم   أروح من هجرهم إذا حضـروا

ذيل تاريخ بغداد ٣٣٦/١

فى ترجمة عبيدالله بن اسحاق بن سلام المكاربى ابوالعباس الأخبارى.
ذكره محمّد بن داود بن الجراح فى كتاب "الورقة فى أخبار شعراء المحدثين" من جمعه فقال: صاحب الكتب شاعر مجيد، توفى فى سنـة إحـدى و سبعين و مئتين، و كان حسن العلم بالفقه و الغريب و الآثار و الشعر، صدوقاً، و دفن شعره لما مات لئلا يوصل إليه. و كان قال فى المتوكل قصيدة يهجوه بها فبلغ خبرهـا المتوكل فأمر بقتلـه. فعوجل المتوكل بالحادث عليـه و أفلت، و له القصيدة المشهورة يرثى بها أبا الحسين يحيى بن عمر الطالبى أنشد فيها محمّد بن الأزهر و عرضتها عليه:

أ لا فذ لنصل السيف هل أنت نادب
همامـاً تبكّيه القنـا و القـواضب

و فيها يقول :

فإن تك يا ابن المصطفى فتوسد (كذا)
يعقـــر خيـــل حـوله و نجـــانب
فغيـــرك أحـرى أن يعقـر حولـــه
رجال المعـالى و النسـاء الكـواعب

بني هـــاشم قد جرّب الناس و قعكم
و هل حازم من لم تعظه التجـارب
و إن حمل الــدهر الرزايا نفـوسكم
فلستم قروم الحـادثات المصـاعب

ذيل تاريخ بغداد ٢/٣٨-٣٩

و جاء في ترجمة عبيدالله بن عبدالله بن يعقوب بن داود بن طهمان ......
ذكره محمد بن داود الجراح في كتاب "الورقة" في أخبار شعراء المحدثين و قال · أنشد له أبو هفان:

سأصبر حرًا لم يضق عنه صبره
و إن كان قد ضاقت عليه مذاهبه
كأن الغمـام الغرّ يخلف حالها
و إن الحسام العضب تنبو مضاربه

ذيل تاريخ بغداد ٢/٧٠

و جاء في ترجمة العسنق الضبّي الشاعر ......
ذكره محمّد بن داود بن الجراح في كتاب "الورقة في أخبار شعراء المحدثين" فقال: بغدادي من أصحاب أبي يونس، و كان في عصره، و له أشعار جياد، و من قوله:

أ يا من لا يثيب على الوصال
و يا من لا يجيب على السؤال
و يا من قوله لي حين أشكو
إليه مُت بدائك لا أبالي
أ لست ترى الذي ألقى فترثي
لطول صبابتي و لسوء حالي
و قد أبدت لك العينـان أني
على طول اعتلالك غير قالي
و لست و إن بدأت بقطع حبلي
على حال لوصلكم بسالي
تعالى اللّه ما أسلاك عنّي
كذلك كل طلق القلب خالي

ذيل تاريخ بغداد ٢/٢٥٩-٢٦٠

جاء فی ترجمة علی بن ثابت أبوالحسن الأنصاری شاعر نزل بغداد و كان صديقاً لأبی العتاهية و كانا يتعارضان إذا قال هذا قصيـــدة قال هـــذا مثلها ، و كان يسلك مذهب أبی العتاهية، و قد حضر أبوالعتاهية دفنه و تولی الصلاة عليه و رثاه. ذكر هذا محمّد بن داوْد بن الجراح الكاتب فی كتاب "الورقة فی أخبار الشعراء المحدثين" من جمعه و قال: أنشدنی اسماعيل بن محمّد النوفلی لأبی العتاهية:

بعزّة اللّه استعفی من النـــار و اللّه جاری و عزّ اللّه من جـاری
يا نفس ما بين لفح النار منـزلة و بين روح جنان الخلد فاختـــاری

فقال علی بن ثابت:

يا نفس ما لك من صبر علی النار
قد حان أن تقبلی من بعـد إدبـار
يا نفس إنك قد خيـــرت فـی مهـل
بين الهدی و العمی يا نفس فاختاری

قرأت علی أبی القاسم علی بن عبدالرحمن بن علی عن أبی بكر محمّد بن عبيداللّه بن نصر، أنبأ أبومنصور محمّد بن أحمد إذناً عن محمّد بن عمران بن موسیٰ المرزبانی، أنشدنا علی بن سليمان الأخفش، أنشدنا ثعلب لأبی العتاهية يرثی علی بن ثابت.

أ لا مـــن لـــی بأنسك يا أخيـّا و من لـــی أن أبثك مـا لديـّا
طوتك خطوب دهرك بعد نشـر كذاك خطـــوبه نشراً وطيـّا
فلو سمحت بردّك لی الليـالی شكوت إليك ما اجترمت إليـّا
بكيتك يا علـیّ بدرّ عينـــی فلم يغن البكـاء عليـك شيـّا
كفـــی حـزناً بدفنك ثـم إنی نفضت تراب قبـرك من يديـّا
و كانت فی حياتك لی عظـات و أنت اليـوم أوعظ منك حيـّا

ذيل تاريخ بغداد ٣/٢٢٩-٢٣٠

فی ترجمة عبيداللّه بن أحمد بن الحسين بن السمسار بن عمر الداودی القاضی ... روی عنه القاضی أبو علی المحسّن بن علی التنوخی فی كتاب "نشوار المحاضرة" من جمعه.

ذيل تاريخ بغداد ٢/٧

فی ترجمة عبيداللّه بن احمد الاسكافی أبوالقاسم الكاتب
روی عن الشريف أبی الحسن محمّد بن علی بن عمر العلوی حكاية

عجيبة رَواها عنه القاضي ابوعلي المحسِّن بن علي بن محمد التنوخي في كتاب "نشوار المحاضرة" من جمعه

أنبأنا عبدالوهاب بن علي بن محمّد بن عبدالباقي، أنبأ أبوالقاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي إذناً عن أبيه، قال: حدثنا أبوالقاسم عبيدالله بن أحمد الإسكافي قال: سمعت الشريف محمّد بن عمر العلوى الكوفي يقول: إنه لما بنى داره و كان فيها حائط عظيم العلوم فبينا البنّاء قائم على أعلاه لاصلاحه حتى سقط الرجل إلى الأرض، فارتفع الضجيج استعظاماً للحال، لأن العادة لم تجر بسلامة من يسقط من ذلك الحائط، فقام الرجل سالما لا قلبة به ، و أراد العود إلى الحائط ليتم البناء ، فقال له ابوالحسن بن عمر: قد شاع سقوطك من أعلى هذا الحائط و أهلك لا يصدقون بسلامتك، و لست أحب أن يردوا إلى ما بى صوارخ فامض إليهم يشاهدوا سلامتك و عد إلى شغلك، فمضى مسرعاً فعثر بعتبة الباب التى للدار فسقط ميتاً.

ذيل تاريخ بغداد ٣٦/٢

في ترجمة عبيدالله بن سليمان بن وهب، ابوالقاسم.

أنبأ التنوخي عن أبيه قال: حدثني أبي قال: سمعت القاضي أبا عمر يقول: عرض اسماعيل القاضي ، و أنا معه ، على عبيدالله بن سليمان رقاعاً في حوائج الناس، فوقّع فيها فعرض أخرى فخشي أن يكون قد ثقل عليه، فقال له : إن جاز أن يتطوّل الوزير ـ أعزه الله ـ بهذا التوقيع فوقّع، و عرض أخرى و قال: إن أمكن الوزير أن يجيب إلى هذا فوقّع، ثم عرض أخرى و قال: إن سهل على الوزير أن يوقّع فوقّع، و عرض أخرى و قال شيئا من هذا الجنس، فقال له عبيدالله: يا أبا إسحاق! كم تقول إن أمكن و إن جاز و إن سهل، من قال لك إنه يجلس هذا المجلس، ثم يتعذّر عليه فعل شيء على وجه الأمور فقد كذبك، هات رقاعك كلها في موضع واحد، قال: فاخرجها اسماعيل من كمّه و طرحها لحضرته فوقّع فيها فكانت مع ما وقّع فيه قبل الكلام و بعده ستين رقعة.

ذيل تاريخ بغداد ٥٤/٢-٥٥

و جاء في ترجمة عبيدالله بن يحيى بن خاقان ...

أنبأنا ذاكر بن كامل أبا سعد بن الطيورى أخبره عن على بن المحسّن بن على التنوخي عن أبيه قال حدثني علي بن الحسين الأصبهاني حدثني الحسن بن علي، حدثني ابن مهروية حدثني أبوالشبل عصم بن وهب البرجمي، قال: حضرت مجلس عبيدالله بن يحيى بن خاقان و كان إليّ محسنا و عليّ مفضّلاً، فجرى ذكر البرامكة فوصفهم الناس بالجود و الكرم، و قالوا في كرمهم و جوائزهم و أكثروا، فقمت و قلت:

رأيت عبيداللـّـه أفضـــــل سـؤدداً　　و أحزم من فضل بن يحيى بن خالد
اولئك جـادوا و الزمان مســـاعد　　و قد جـاد ذا و الدهر غير مســاعد

ذيل تاريخ بغداد ١٦٥/٢

و جاء في الترجمة نفسها:

أنبأ يوسف بن المبارك الشافعي عن محمّد بن أبي طاهر الكاتب ان علي بن المحسّن ابن علي التنوخي أخبره عن أبيه قال: حدثني ابوالحسن علي بن هشام بن أبي قيراط، حدثني ابوالحسن بن بسطام المعروف بالفتي، حدثني أبي قال: كنت واقفاً على باب عبيداللّه بن يحيى بن خاقان انتظر الإذن و كان محتجباً، فاقبل أبوغانم سعيد بن حميد الكاتب، و كان خاصا به فحجب فخجل لما رآني، قد عرفت ذلك ، ثم أخذ دواة و كتب لنفسه و أنشد فيه ، و هو على ظهر دابته ، رقعةً ترجمها باسمه، و ليس فيها إلاّ هذه الأبيات:

حجبت و قد كنت و لا أحجب　　و أبعدت عنـــك فـــلا أقـــرب
و ما لـــي ذنب ســـوى أنني　　إذا أنـــا اعضبـــت لا أغضـــب
و أن ليس دونك لـــي مطلب　　و لا دون بابـك لـــي مـــرغـــب
فليتك تبقـى سلـيم المكـان　　و تأذن إن شئـــت أو تحجـــب

ذيل تاريخ بغداد ١٦٤/٢

و جاء في ترجمة عثمان بن محمّد بن سعيد أبوالقاسم السليمي المغني ... روى عنه القاضي أبوعلي التنوخي حكايات من كتاب "نشوار المحاضرة" من جمعه.

أنبأنا عبدالواحد بن علي الأمين عن محمّد بن عبدالباقي الأنصاري قال: أنبأنا أبوالقاسم علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي بن محمّد التنوخي إذناً عن أبيه، قال: حدثني عثمان بن محمّد بن سعيد السلمي البغدادي المغني و يعرف بأبي القاسم بن الأصفر غلام بن عبدالسلام الهاشمي قال: حدثني بلطون بن منجوا أحد قواد الحجرية، قال: حدثني غلام بن المسروق العدل البغدادي قال: كان مولاي مكرماً لي فاشترى جارية و زوّجنيها، فأحببتها حبًا شديدا و أبغضتني بغضا عظيما، و كانت تنافرني دائماً ، و احتملتها إلى أن أضجرتني يوماً ، فقلت لها : انت طالق ثلاثا بتاتاً لا خاطبتني بشيء إلا خاطبتك بمثله ، فقد أفسدك احتمالي لك، فقالت لي في الحال. أنت طالق ثلاثا بتاتاً ، قال : فابلت و لم أدر ما أجيبها خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت فتطلق، فسكتُ في الحال، و خرجت إلى مولاي، فقلت له ما جرى، فقال: قـد طلّقت منك، و أنا أزوجك غيرها، فطلّقها طلاقا صحيحاً ، فقلت : يا مولاي إن تمّ عليّ طلاقها قتلت نفسي غماً لها ، فالله الله فيّ ، فقال لي: فامض فاستفت الفقهاء ، قال : فطفقت على جماعة فافتوني بانها لابدّ أن تطلّق ، و أن عليّ أن أجيبها مثل ما قالت فتصير بذلك طالقاً منيّ ، قال: فارشدت إلى أبي جعفر الطبري بما جرى،

فقال : امض و لاتعادو الأيمان ، و أقم على زوجتك بعد أن تقول لها: أنتِ طالق ثلاثاً بتاتاً إن أنا طلقتك، فتكون قد خاطبتها بمثل ما خاطبتك به فوفيت يمينك و لم تطلّقها.

ذيل تاريخ بغداد ٢/٢٣٥ – ٢٣٦

و جاء فى ترجمة عدنان بن محمّد بن الحسين بن موسى بن أحمد الموسوى، و كان والده أبوالحسن يلقب بالرضى صاحب الشعر المليح ....

ذكر هلال بن المحسّن الكاتب و نقلته من خطه أن أبا أحمد عدنان بن الرضى أبى الحسن الموسوى ولد فى يوم الجمعة السادس من رجب سنة ٤٠٠هـ و قال أبوالفضل بن الحسن بن خيرون: مات الطاهر أبوأحمد عدنان بن الرضى نقيب العلوية ظهر يوم الاثنين و دفن يوم الثلاثا لعشر بقين من ذى الحجة سنة تسع و أربعين و أربعمائة فى داره بالبركة و صلى عليه نقيب الهاشميين أبوعلى بن الأفضل بن أبى تمام الهاشمى، و ذكر أبوالحسن بن الهمدانى: أن بناته لم يتزوجن قط، و إنهن فى الدار التى دفن فيها، و نقلنه إلى مشهد الحسين بن على بن أبى طالب إلى عند أهله.

ذيل تاريخ بغداد ٢/٢٤٦–٢٤٧

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار
انتقاء ابن الدمياطى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٩٧٩م

و قد وجدت فيه نصوصاً هى.

نصوص من كتاب "الخريدة" للكاتب العماد الاصبهانى. و هى غير منشورة فى الكتاب المطبوع.

محمد بن هماد بن المبارك بن محمد بن حيان الشيبانى المرزي ابونزار من أهل باب الأرج، ذكره أبوعبدالله محمّد بن محمّد الأصبهانى فى كتاب "الخريدة" الذى جمعه فى شعراء العصر و أجازنى (١٦) روايته عنه.

قال: محمّد بن حماد بن المرزي أديب فاضل من أهل العلم، متطرف (١٧) من كل فن، و كان شغوفا بالجمع و التصنيف، توفى سنة ستين و خمس مئة فمن شعره قوله (١٨):

فتنتنـــى فتانـــة الألحـــاظ   صعبة الطوع سهلة الألفـــاظ
خدلة عبلـــة كمـــوب لعـــوب   بعقـــول النسّـــاك و الـــوعّاظ

ريقهـا يبـرد الغليـل و يشفي   سقم القلب من لهيب الشــواظ
لست أسى عليك وصلاً و لكن   لذة الحب بعـد لـوك المظـاظ

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٩ـ١٠

أخمشاد بن عبدالسلام بن محمود الغزنوى (١٩)

الفقيه الحنفي. ذكره العماد الكاتب في "الخريدة" (٢٠) فقال كان من فحول العلماء و قروم الفضلاء، بحراً متموجاً و فجراً متبلجـاً و همـاماً فاتكا و حساما باتكاً ، إذا جادل جدل الأقران، و إذا ناظر بذّ النظراء، و الأعيان شاهدته بأصبهان في سنى ثلاث أو أربـع أو خمس و أربعـين و خمس مئــة، و جاورته فوجدته يحسن المنظر و المخبر، ذا رواء و رويّة ، و لمعان و ألمعية ، فصيح العبارة ، و كان عارفا بتفسير كتاب الله تعالى توفى في سنة إثنتين و خمسين و خمس مئة ، و قد بلغ سنّ الاكتهال، و اختلس عند الكمال

و من شعره ما أنشده لنفسه بأصبهان من قصيدة.

أمالِك رقـىّ ما لك اليوم رقــّة   على صبوتى و الخير من تبعاتها
سألت حيـاتى إذ سألتك قبــلة   لى الريح فيها خذ حياتى و هاتها

و له:

يا عاذلى أقصر و كن عـاذرى   فى حبّ ظبى أكحـل النــاظر
ما كحل النــاظر ذاك الـذى   قد قصد الأكحــل من ناظري
حلا مذاقاً و هــو مستملــح   و الحلو فى الملح من النــادر

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٨٢

الحسين بن على بن أحمد بن عبدالواحد .. بن شبيب الطيبى (٢١)·

أبوعبدالله الكاتب.

ذكره أبوعبدالله الأصبهانى فى "الخريدة" فقال الحسين بن شبيب حلو التشبيب، رقيق نسيم النسيب. و له أشعار تخجل الدر منظوماً ، و الوشى مرقوماً ، و الروض ناضر، و البدر زاهر، فمن مستحسن شعره قوله فى المستنجد:

أنت الإمام الذى يحكى بسيرتـه   من ناب بعد رسول الله أو خلفا
أصبحت لبّ بنى العباس كلهـم   إن عددت بحروف الجمّل الخلفـا

و المستنجد هو الثانى و الثلاثون من خلفاء بنى العباس، و "لبّ" إثنان و ثلاثون فى حساب الجمّل. مولده فى سنة خمس مئة، و توفى يوم الجمعة لتسع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ثمانين و خمس مئة ببغداد، و دفن بمقبرة معروف الكرخي.

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد
ص ص ١٠٩-١١٠

الحسين بن المبارك بن الحسين بن علي بن شقشق
أبوعبدالله ....
ذكره ابوعبدالله الأصبهاني في "الخريدة" فقال:
الحسين بن المبارك بن شقيق البغدادي، كانت لابن شقيق شقشقة في الشعر هادرة ، و بديعة من الأدب نادرة، أدركته في أول العهد القديم، في زمان السلطان مسعود، و أنشدني الفقيه الغزنوي مما نظمه مما مدح به برهان الدين الواعظ الغزنوي ببغداد من قصيدة أولها:

إن جُزت بالرمل و كثبانه | فاقرأ تحياتي على بانه
وسائل الربع الذي قد عفا | ما صنع البين لسكانه
قوم هم كانوا لنا جيرةً | فانصدع الشمل بجيرانه
فالربع منجوع بقُطّانه | و القلب موجوع باشجانه
و إن كتمتُ الحبَ يوم النوى | أظهره دمعي بهتّانه
أعاذليّ في الهوى فارحما | و خلّيا قلبي بوجدانه

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد
ص ص ١١٣-١١٤

عبدالغافر السروستاني (٢٢)
قال أبوعبدالله الكاتب في "الخريدة":
كان معنا في "النظامية" ببغداد، و هو عارف باللغة ، كثيرالفضل، و غلب عليه العشق حتى حمل إلى البيمارستان و قيّد، و كان عنيفاً مستوراً فاضلاً . و بُلي بهذا البلاء، فلما برئ من المرض لم يقم ببغداد خجلاً و رأيته بعد ذلك بأصبهان في سنة ستّ أو سبع و أربعين و خمس مئة، و قال: أنشدنا عبدالغافر لنفسه و هو مقيّد في البيمارستان في حال استهتاره و اشتهاره قصيدة أولها:

بأبي الوادي و صنوبره | و غزال الشعب و جؤذره
و مكان فيه يطلع لي | ظبي بحلي مستهتره (كذا)
قبح الدنيا محاسنه | فتعالى اللّه مصوّرهّ

و هي قصيدة طويلة ـ و قال و أنشدنا عبدالغافر لنفسه من قطعة:

ناحت ورقاء على فنن | نوح المشتاق على الدمن
ناحت و تغنّت هاتفة | بالشجو تبوح و بالشجن
إن كان رضاكم في سهري | فسلام اللّه على الوسن

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد
ص ص ١٦٦-١٦٧

علی بن المبارك بن أحمد .... أبوالحسن:
ذكره العماد الأصبهانی فی "الغريدة" و وصفه بالفضل و العلم. سمع الحديث من أبی علی محمّد بن محمّد بن المهدی، وهبة الله بن الحصين فی آخرين، و حدث. سمع منه ابوالمحاسن عمر القرشی، و من شعره قوله:

نظرت إلی جوار سـامرات حللن بروضة مثل البـدور
فقابلن الشقائق و الأقـاحی بتوريد الخدود و بالثغـور

و له فی سوداء

يا مَـن فـؤادیَ فيهـا تيّمـــا مـا يـــزال
إن كـان لليـــل بـــدر فـانت للصبــح خـــال

و قال و قد أهديت له تفاحة:

حيّی بتفاحــة فأحيـــانی بالوصل بعد طول هجران (كذا)
كانّمـــا ريحهـــا تنفسّـــــه و لونهـــا ورد خـدّه القـــانی

مولده سنة تسع و خمس مئة ، و توفی سنة إحدی و سبعين و خمس مئة ببغداد و دفن بباب حرب.

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد
ص ص ١٩٥-١٩٦

أبوعبدالله بن خليفة الدوری:
ذكره ابوعبدالله الكاتب فی كتاب "الغريدة" و قال:
أنشدت له بيتين يهجو بهما ابن كامل العوّاد أحلـی مـن نغمـة العود، و ألطف من نعمة الروّد، و أطيب من وجدان الحظ المنشود، و أحسن من الروض المعهود، و هما:

إن وفَت لابن كامل صنعة العو د فقـد خـانه غناء و حـلْق
هو للضرب مستـحق و لكـن هو بالضـرب للغنــاء أحق

قال: و له رباعيات فی حسن الربيع بالمعنی البديع و اللفظ الرصيع، فمنها:

يا من هــربی منـــه و فيـــه أربی ضدّان هما عذاب قلبی التعب (كذا)
أحيا و أموت و هــو لا يشعــر بی كم وا حزنی منه و كـم وا طـــربی

قال: و منها:

يا مــن أدعو فيستجيب الـدعـوی لا يحسن بی إلی سـواك الشكـوی
أنت المبلــی فكــن مزيل البلــوی لا مسعــد للضعيــف إلاّ الأقـــوی

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد
ص ص ٢٦٤-٢٦٥

بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة "العثمانية"
لأحمد بن موسى' بن جعفر بن طاووس

و مادة الكتاب ردّ على الجاحظ أقواله فى "العثمانية"
و المؤلف من الشيعة الإمامية من رجال القرن السابع الهجرى.
حققه و قدّم له و علّق عليه إبراهيم السامرائى

دار الفكر و النشر و التوزيع - عمّان ١٩٨٥م

و قد جاء فى الكتاب جملة نصوص أو إشارات لنصوص أخرى و ربما إيماءات لا نجدها فى كتاب "العثمانية" الذى تصدى له ابن طـاووس فى الـردّ و النقص فى كتابه المشار اليه.

قال المشار إليه (أى الجاحظ):
و إسلام أبى بكر أفضل من إسـلام زيد و خبّاب لأنهما كانا مغمـورين، و كان أبوبكر ظاهراً معروفاً، فإسلامه أجمل و أنبل، و الناس إلى قوله أميل.

بناء المقالة الفاطمية ص: ٣٢

و زعم (أى الجاحظ): أن أبابكر - رضوان اللّه عليه - كان داعية رسول اللّه - صلى اللّه عليه و آله - ، و ليس هذا مما نحن فيه من تقدم الإسلام أو شرف مقامات الإسلام فى شيء ، إذ للفضائل و التفاخر مقام غير هذا المقام، مع أن الإسكافى أجاب عن هذا الكلام بما هو معروف.

بناء المقالة الفاطمية ص. ٣٣

و ادّعى أن جماعة أسلموا على يده منهم خمسة من أصحـاب الشـورى، و كلهم يفي بالخلافة، و هم أكفاء علي و منازعوه الرياسة و الإمامة، فقد أسلم على يده أكثر ممن أسلم بالسيف، لأن هؤلاء أكثر من جميع الناس.

بناء المقالة الفاطمية ص: ٣٩

إن القرن قد ينزل النزال لمعان هى أشرف من ذلك الكلام.

بناء المقالة الفاطمية ص: ٥١

لو كان لقاء القرن دليل الرياسة لكان النبى مرؤوساً.

بناء المقالة الفاطمية ص: ٥١

و قول خاذل السنّة (اى الجاحظ):

إنه إذا ثبت أنه ليس مأخوذاً في شرف الرئيس القتل، ثبت أن قتال الأقران ليس دليلاً على الفضل و الرياسة، و إن الرئيس قطب أصحابه فحراسته حراستهم

بناء المقالة الفاطمية ص ٥٢

. ... ثم قال (أى الجاحظ):

إن الذى منع أميرالمؤمنين من المقامات تقديمه الشيوخ عليه، و قد كان ينبغي أن يكون نظم الكلام أنه تام الفضائل، و إنما رأى تقديم الأشياخ للشيخوخة عليه، و ذكر من مناقبه صدق ظنّه.

بناء المقالة الفاطمية ص ٨٦

إنه يقول (أى الجاحظ):

كلّ من كان الرسول أولى به فإنّ سعداً أولى به.

و قال (أى الرسول صلّى اللّه عليه و سلم): إن كل من نصرته فإن سعداً ناصره.

بناء المقالة الفاطمية ص ١٥٠

و إن قال (أى الجاحظ):

المعوّل على بعض من أعيان المسلمين فما برهانه، بل ما امارته؟

و لئن ثبت ذلك لتكثرن الأئمة ، و إن قال: بل هو إشارة إلى جماعة من أعيان الصحابة و لا يتعدى، أشكل لعدم البرهان عليه، و من كون باب الاستدلال بالإجماع يصير مسدوداً على الخصم بعد الصحابة، و هو لا يوافق عليه

بناء المقالة الفاطمية ص ١٨٦-١٨٧

و أما قوله (أى الجاحظ):

إن الذى وقع من "الفلتة" لا يجوز أن يحبو به اللّه إلا نبياً أو خليفة نبّى" فانه قول ....

بناء المقالة الفاطمية ص ١٩١-١٩٢

و تعلق بالصحيح من الحديث من طرق النوم (أى الجاحظ):

إن علياً و بني هاشم لم يبايعوا إلى أن ماتت فاطمة، و كان لها وجهة من الناس ، فضرع عليّ إلى مصالحة أبى بكر.

بناء المقالة الفاطمية: ص ٢١١

الهوامش :

١- هو بكر بن وائل بن قاسط من بني ربيعة من عدنان جد جاهلي، من نسله بنو يشكر و حنيفة و الدؤل و مرّة و بنو عجل و تيم اللّه و ذهل بن شيبان . أنظر الاعلام ٢/٤٦

٢- وَرد هذا الخبر في "المنتخب" ص ٥ و جاء فيه جاء في "الروضة" عن المبرد أنه حكى أن رجلاً من تميم قال لشريك النميري ما في هذه الجوارح أحب إليك من البازي ؟ . . .
٣- مؤرّج بن عمــرو بن الحارثــة من ســدوس من شيبــان عالم بالعربيــة و الأنساب، من أصحاب الخليل بن أحمد، مولده و وفاته في البصرة كان له اتصال بالخليفة المأمون أنظر الاعلام ٨/٢٦٦
٤- الاحوص بن جعفــر بن كلاب من سادات العــرب، هجاه الأعشى. أنظر حاشية في البيان و التبيين ٢/١٦٢
٥- أقول كان في النص كلاماً ساقطاً ، و قد يكون الأصل فعلق وطباً من لبن على شجرة
٦- لم يتجه لي شيء من النص و لعل شيئاً قد سقط
٧- القتيبي هو المؤلف عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبومحمّد المؤلف المشهور أنظر الاعلام ٤/٢٨٠
٨- يريد "البصائر و الذخائر"
٩- هو العباس بن الفرج الرياشي البصري ابوالفضل، من الموالي، و هو لغوي راوية عارف بأيام العرب، توفي سنة ٢٥٧ هـ أنظر الاعلام ٤/٣٧
١٠- الخبر و البيتان في شرح المقامات للشريشي ١/١٣١ ، و ابن خلكان في الوفيات (نشره محيي الدين عبدالحميد) ٢/٢٤٦ ، و البيتان منسوبان إلى أبي حيّة. فــي زهــر الاداب و تاريخ بغداد ١٠/٤١٧.
١١- لم أجد كتاب النظائر في جملة ما أثر عن أبي حيّان التوحيدي، فهل لي أن أقول إنه تصحيف "البصائر" أو أنه كتاب "المحاضرات و المناظرات" ؟
١٢- أبوفراس هو الحمداني الشاعر المشهور الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي المتوفى سنة ٣٥٧ انظر الاعلام ٢/١٥٦
١٣- هو مزيد بن مرثد بن الديان جد آل مزيد "أصحاب الحلة المريدية" من حواضر العراق المشهورة، و أول من اشتهر من هذه الأسرة علي بن مزيد صاحب الوقائع مع الدبيسيين، توفي في نحو سنة ٣٧٠ هـ أنظر الاعلام ٨/١٠٣
١٤- هو ابوعبدالرحمن محمّد بن حسين السلمــي المتوفى سنة ٤١٢ هـ انظر كشف الظنون ص ١١٠٤
١٥- نشر باسم "طبقات الصوفية"
١٦- يريد أن الأصبهاني أجازه (أي ابن النجار نفسه) برواية "الخريدة" عنه.
١٧- المتطرف البالغ الدرجة العالية في العلم و سائر الفنون
١٨- له ترجمة في "المعمدون من الشعراء" ١/٣٠٢
١٩- ترجم له ابن قطلوبغا في "الجواهر المضية" ١/١٣٥ و الترجمة من "الخريدة" أيضاً. و فيها زيادة لم ترد في "المستفاد" و هي

شاهدته بأصبهان في سنة ..... يعقد مجــلس الوعظ في كـل يوم أربعـاء ، و يتكلم على التوحيد باللفظ السديــد. و رحل مـــن أصبهــان إلى العسكـــر، و تولــى قضاء أراسـة و خيرة سنين قال العماد. و من شعره .. الأبيات
٢٠- أقول أكبر الظن أن المترجم من "الخريدة" قسم بلاد العجم التي لمّا تنشر، و كان قد علم أن الدكتور شكري فيصل يضطلع بتحقيقها منذ أكثر من سبع عشرة سنة.
٢١- ترجم له ابن شاكر في فوات الوفيات ١/٢٧٦-٢٧٨ ، و ياقوت في معجم الأدباء ١٠/١٢٦-١٣٠.
٢٢- ترجم له السبكي في طبقات الشافعية ٤/٢٥٥.

نظرة من الأدب الأورياوى

بقلم : سيتا كانت مهاباترا
الوكيل الملحق، بإدارة الثقافة
وزارة تنمية الموارد البشرية - نيو دلهى

بصدد الحديث عن وضعية الأدب الأورياوى يجوز أن يقال - بأخف التعبيرات - إنها محزنة ... و البيئة مازالت غير ملائمة لإزدهار و نمو هذا الأدب من متعدد الآداب الهندية رغم أن بصيص الأمل بات يظهر فى الأفق القاتم المظلم منذ فترة. هذا الرأى طبعا رأى انفعالي ، و مع ذلك فانه واقعى و ليس وليد خيال محض ، و فى هذا الانطباع (عن الآداب الأورياوية) يشارك معظم الكتاب و الغالبية الكبيرة من القراء الذين يعتبرون النقد الأدبى ، عملا ذاتيا من دون جدوى أو صلة بالأدب . لا ريب فى أن هنالك استثناءات ، إلاّ أن الإستثناءات نفسها تصنع القواعد و تثبتها.

النقد الأدبى الحديث، كما نعرفه فى زمننا، لم يمض أكثر من أربعين سنة على دخوله إلى ساحة الآداب الأورياوية. و فى القرن التاسع عشر لم تبذل جهود انتظامية من نوع ما لتقدير و تقويم الانتاجات الأدبية، و كان البروفسور أرتابالالاف موهانتى ، مؤسس هيئة النقد (PRACHI SAMITI)، أول من تولى نشر الآثار الأدبية الأورياوية مع مقدمات نقدية و ايضاحية ، و ذلك خلال العقدين الثالث و الرابع من القرن الحالى. إلاّ أن أعماله تلك اقتصرت فى الغالب على كتابات الأزمنة الوسطى كانت أقربها إلى زمننا بعض انتاجات القرن التاسع عشر للشاعر القبلى بهيما بهونى (BHIMA BHOI). و التعليقات النقدية المتضمنة فى تلك المنشورات كانت نماذج جيدة للنقد الواقعى المتعثر ، و احتوت هنا و هناك على ملاحظات فلسفية و اشارات صريحة إلى الشعر السانسكريتى. و لعل الناقد لم يكن فى غنى عن تلك الملاحظات و الاشارات لكون النصوص التى تناولها تندرج على قدر كبير من المفاهيم الدينية و الفلسفية. ثم ألّف الدكتور مايادار مانسينها (MAYADHAR MANSINHA) تاريخ الأدب الأورياوى باللغة الإنكليزية للأكاديمية الأدبية المركزية ، و أثير

نقاش ساخن فى أوساط الكتاب و النقاد عندما نشر ذلك المؤلف فى مستهل الستينات من القرن الحالي . لقد اتخذ مانسينها فى كتاباته أسلوبا شديد الذاتية و الأنانية ، و نادرا ما قبل نظرة غير نظرته الشخصية . العصر الجديد فى الأدب الأورياوى الذى ابتدأ بظهور فاكير موهان (FAKIR MOHAN) و راداناث ريه (RADHANATH RAY) على الساحة فى أواخر القرن التاسع عشر ، لم يحظ فى مؤلفه إلاّ بعناية جانبية خاصة اذا ما قورن مع عرض مطول و مسهب للكتابات الأدبية من القرون السابقة . و عن الكتاب و الأعمال الأدبية التى ظهرت منذ عام ١٩٤٧ م ، فانها جميعها تقريباً لم تذكر إلاّ لتكون مرفوضة . علاوة على هذا فان تاريخ الأدب الأرياوى انطوى على أخطاء خاصة فى عرضه للآداب الكلاسيكية من العصور القديمة و المتوسطة . و علّ ذلك لأن الدكتور مانسينها درس الآداب الانكليزية و لم يتحمل مشاق التدقيق فى تفاصيل النصوص القديمة التى تداولها فى مؤلفه. و الأمر لم يختلف عنه لدى معالجته للأدب الأرياوى الجديد ، و ملاحظاته اتسمت بالعمومية الشديدة، و فى الغالب برهنت على أنه لم يكن ملما بمنظوره العام . و عدد من اساتذة الجامعات الذين درسوا اللغات و الآداب و الأورياوية و الإنكليزية ، وجدوا كثيرا من جوانب الخطأ و القصور فى مؤلف مانسينها ، لكن لم يقم أحد منهم بتدوين تاريخ شامل أخر للآداب الأورياوية رغم كون الموضوع على جانب كبير من الأهمية . بجانب ذلك طلع فى السنين الأخيرة عدد من المؤلفات التى تناولت هذا الأدب فى اللغة الأورياوية ، و أهمها مؤلفات البانديت سوريا نارايان داس و البروفيسور بانسيدارا موهانتى و سرى سوريندرا موهانتى . و هناك أيضا مؤلفات أخرى علمية تتطرق إلى الأدب الأرياوى فى مختلف العصور ، و تتداول فى المدارس الفكرية للكتاب. و من كتاب أوريا البارزين الذين تناولهم بعض المؤلفين نقدا و تحليلا ، ساورولا داس ، كافيسوريا بالاديف راث ، فاكيرموهان ، رادا ناث ريه ، بهيما بوى ، جوبى ناث موهانتى ، سوريندرا موهانتى . و عدد من المؤلفات فى اللغة الأورياوية تناولت الأدب الأورياوى بحسب الموضوعات كالرومانسية و التخيل فى الشعر الحديث ، و الكتابات التقدمية ، و شعر الحب فى الأزمنة المتوسطة . و الملاحظات التى نسوقها فى هذه الورقة ، تتأسس على ما عثرنا عليه فى المؤلفات سابقة الذكر ، و على غيرها من المقالات و استعراضات الكتب و المناقشات المنشورة فى المجلات و التعليقات النقدية على الشعر الحديث .

لعل المشكلة الرئيسية التى تواجه النقد الأدبى فى اللغة الأورياوية كغيرها من آداب معظم اللغات المحلية الأخرى ، هي أن الأدوات و التقنيات المستخدمة فى النقد ، تكون فى غالب الأحوال ماخوذة من الأدب الغربى و أوساطه العديدة، و ذلك لدرجة أن الكلمات و التراكيب اللفظية المستعملة فى النقد، أيضا تنم عن طبيعتها المستعارة ، و قائمتها تتضمن ـ مثلا ـ الأدب

التقدمى و الكفاح الطبقى ، و دكتاتورية البرولتاريا ، و الجنس ، و العنف المكبوت ، و توحيد الحساسية ، و تيار الوعى ، و اليأس و الغضب و اجتثاث الجذور ، و عدم الإنتماء ، و النقد الأسطورى . بهذا تتسع الآفاق ، فتشمل ماركس و ايليوت و فرويد و نورثروب فراى و اتباع المذهب الوجودى من الفلاسفة و حكماء الغرب. ليس قصدى أن الرؤى و الاتجاهات و التصاميم النقدية التى تبناها هؤلاء الفلاسفة ازاء الحياة و الحقيقة ، لا علاقة لها بمعاييرنا الأدبية و الثقافية . إلاّ أننى متأكد من أن هذه النماذج رغم مشروعيتها، لاتجد المصداقية فى الواقع الأرياوى ، و تستمر كتقاسيم مجردة و كتقنيات و صور خاوية نادرا ما تصلح للنفاذ فى تحليل موجه إلى ربط الأدب بأساليب حياتنا و مجتمعاتنا. هنا يظهر سؤال هام : ما هو دور النقد؟ هل المطلوب من الناقد أن يقوم بتطبيق مقاييس مبدئية معينة ، أو يتخذ من مجموعة معينة من معايير التقويم الأدبى نبراسا لتقدير و تقييم مفاهيمها و صلاتها؟ و ما هى تلك المقاييس المبدئية؟ هل التقويم الأدبى يراد به الحكم على قيمة أدبية لقطعة ، أو يكون وراء الاعتبارات القيمية؟ و هل هذه المبادىء تتغاير بمرور العصور و القرون ، و كل مجتمع يصنع مبادىء ينسجم مع عصره و مع نمط حياته ؟ أعتقد أنه سوف يكون هناك إجماع على أن النقد الأدبى ليس وراء الاعتبارات القيمية، و قيمته الأساسية ترتبط بالإحساس و الجودة و الأهمية. النقد عندى وسيلة لبناء فكرة عن الكاتب كيف يجد معنى و مغزى فى الحياة و الموت ، فى الالام و الأفراح ، و فى الصراعات الأبدية بين الزمن السائر على عجلته و حقائقه المرة ، و بين أحلامه اللامتناهية لكسب الخلود. و فى هذا السياق تكتسب الأهمية و الجودة صلة بالأمر.

يقول ليفيس ان مثالية الناقد تنحصر فى مثاليته كقارئ دون أى شىء آخر. القارىء المثالى لن ينطلق فى قراءة قطعة أدبية من منطلق العداء أو عدم الاكتراث، و انما يكون همه الوحيد اتخاذ الكاتب وسيلة لمعرفة و اكتشاف العالم الجديد الذى خلقه الكاتب بخياله . القارئ من فئة القراء المثاليين يمكن أن يلقى أولى نظرة فى كتابة و هو يكن اجلالا و تقديرا لصاحبها ، و لكن يستحيل أن يتوجه إليها غير مبال بأمرها. هذا القارئ يدرى أن الكلمات فى الأدب ليست مجرد علامات للتوصيل أو طرائق للمحادثة ، و لا هى تجريدات فلسفية ، و لا مصابة بما تفرضه الاعتبارات المنطقية أو الأسطورية. إنها تكون كوائن كاملة هي هي ، و تتطلب نوعا من الاحساس ببواطنها، أو بكينونتها ، بدلا من المجاملات فى أطوارها البدائية. و شأن الناقد المثالى فى ذلك شأن القارئ المثالي ، بمعنى أنه يجب أن يكون متمتعا بمذاق و وجدان يمكنه من ادراك التجربة الإيحائية التى تجسدت فى بنية الكلمات. وصف الناقد هذا مناقض و غير متجاوب كليا مع الرؤية التى وصفها ليفيس " بالحكم على شىء فى اطار المبادئ و المعايير المعددة ".

يكون الناقد فى غنى عن مقراض و مشعل ، بل يحتاج إلى عينين و قلب يستجيب لمتطلبات الأدب ، و فى حالة انعدامه يصبح النقد مائلا إلى التلاشى فى زحام الاعتبارات المنطقية أو الأسطورية . و من بواعث الأسف أن النقد فى الأدب الأرياوى مصاب و متحكم فى أمره بنفس الاضطرارات المنبعثة من اعتبارات المنطق أو الأسطورة.

بما أن الوظيفة الأساسية للناقد الأدبى ، تتلخص فى إضاءة الساحة التى يتخذها موضوعا لعملية النقد، فإنه يتوجب عليه أن تكون القطعة الأدبية مركز الاشعاع بعيدا عن شخصية الناقد و ميوله و نزعاته ، فانه بوصفه ناقدا يبنى جسرا يوصل بين حساسية القارئ و الانتاج الأدبى إلى أبعد حد ممكن. و فى الجانب الاخر يلاحظ المرء أن بعض النقاد فى تقويمه للكتاب و انتاجاتهم الادبية و فى معالجته للموضوعات الأدبية أو الفترات الزمنية ، يحاول أن يجعل من شخصه مركز الاشعاع تاركا الموضوع الذى يتصدى له فى مجاهل الظلامية ، الأمر الذى يجعل القارئ حديث العهد بالقراءة مشمئزا مرهقا أو متقهقرا لحالة عدم النضج . و فى كثير من الأوقات ينتهى به و بحبه للأدب إلى خوفه منه. هذا النوع من النقد يخلق لدى القارئ شعورا بأن الأدب ليس وسيلة للتمتع بما تنتجه الطبائع المبدعة من أفراح و مسرات ، و لا هو أداة للتماس بقلب الإنسان و مغامراته ، بل إنه موجود مخيف و مرعب ، لا يمكن الاقتراب إليه إلاّ بعد التسلح بجميع المعدات و الأدوات التى تتضمنها وصفة الناقد الفاضل . (أن موقف عدم الاكتراث من الأدب الأرياوى الحديث و الشعر بوجه الخصوص ليس نتاج مثل هذا النقد). النقد من هذا القبيل كثيراما يعبر عن ما يعرفه الناقد عن الأدب على وجه العموم بدلا من كونه عونا للقارئ على تقدير القطعة الأدبية التى تكون بين يديه. و جملة ما تقع عليه نظرة القارئ وسط هذه الأضواء الصارخة، يكون حشوا متراكما للمعارف و النظريات التى جمعها الناقد بصعوبة و محنة. و معظم المعلومات المحشورة بذلك الطريق - إن لم يكن كلها - تبرز للتدليل على تثقف صاحبها بغض النظر عن صلتها و ارتباطها بالموضوع. و اللغة المستخدمة تكون فى كثير من الحالات مجردة غامضة و ممتلئة بالمصطلحات الفلسفية ، بدلا من كونها سلسة مركزة مخصصة و موضحة للمفهوم المراد.

و الالتباس يكون أخطر مواطن النقص فى هذا النوع من النقد، و يسفر عن تمجيد الكاتب أو تجريحه لأسباب لا أساس لها من الصحة. لدى النظر فى قطعة نقدية للشعر الحديث، يجد القارئ أن الكلمات و التراكيب المستعملة هنا و هناك هى : الورطة و الالام و اليأس و عدم الإنتماء و ملازمة الموت و الالتزامات الإجتماعية.

نفس الممارسة تجد تطبيقا على الشعراء جميعهم، و حتى من دون أية محاولة مخلصة لتناول الشاعر كفرد، و ابراز جوانب القوة أو الضعف فى

شخصه، أو تسليط الأضواء على ميزاته فى استعمال اللغـــة و الموضوعـــات و معالجته لها. و قليلا ما نجد الموضوعات مغربلة و الحبوب مفرزة من النخالة. كما تكون جهة التقدم لشاعر أو فترة ، غير محددة المعالم ، و منساقة بطريق غير مفهوم و أبعد ما يكون عن التماسك. و لو ألقينا نظرة فى استعراضات المجموعات الشعرية المتعددة ، لشعرنا بانه لا يختلف بعضها عن البعض اختلافا، و جميعها تتطرق إلى نفس الموضوعات و المفاهيم و تتخذ نفس الأسلوب و اللغة . و الشعر حسنا كان أم رديًا أو مقروضا بقليل من الاهتمام، يلقى تعاملا مماثلا ، و يصبح مغلوبا فى أمره بالرطانة و المكررات المملة . هذه الاتجاهات ليست صحية لأنها تجعل من ردئ الشعر و حتى الذى لا يجوز وصفه بالشعرية، يعدّ شعرا و ينال اعترافا و تشجيعا. و نادرا ما نجد الناقد يهتم بالأمر فيتساءل نفسه عما هو الحديث فى الشعر المعاصر، و ما اذا أريد به ـ أى بالشعر الحديث ـ كونه مثقلا بعدد من الكلمات المتداولة ، أو هو عبارة عن شعر يعالج موضوعات الاحساس و المذاق ؟ الواقع أن ما نعرفه بالعصرية ، ليس لثاما ، و إنما هو ثورة فى الفكر و المطلوب منا أن نبـذل جهودا مخلصـة و جادة لرسم حدود لها فى النفسية.

لنأخذ على سبيل المثال شاعرا يستعمل الأساطير و النماذج الأساسية لوصف الأوضاع الكونية أو العصرية ، و لنقل أن موضوعه المحـورى " يشودا " أو " كرشنا " تتذكر فى أواخر أيام حياتها أن ابنه فى طفولته ابتلع شيئا من التراب ، فأتت البنات يشتكين إليها ، و عندما نظرت فى فمه ، وجدت الحقيقة و ملامحها المعروفة كلها فيه. إلاّ أنه سرعان ما تلاشت الأشياء الممثلة فى المشهد، و لم تجد أحدا ليشهد بما رأته وحدها و لا أحد غيرها ، فاستمر الحدث دفينا فى أعماق قلبها يثير أوهاما و يخلق شعورا بالازدواجيه إلى أن يتبدى العالم كله غير حقيقى . هذا يصبح رمزا مركزا لمصير الفنان الذى يكافح طول حياته و يستخدم أدواته لبيان ما يدور فى خياله ، و فيه نجد مثالا لإستخدام الأسطورة لوصف وضع كوني. بيد أن النقاد يمكن أن يصبوا اهتمامهم فقط على إيجاد تسمية أسطورية لمثل هذا الشعر الأسطورى ، مع أن وقفة من ذلك النوع تؤدى إلى انتفاء التمييز الذى يجعل النقد الأدبى ذا قيمة و معنى.

لا يمكن أن يعدّ الكاتب عصريا لو اتخذ ـ على سبيل المثال ـ من الموت موضوعا لكتاباته ، و الزمن ، فالموت و الالام و الأفراح ، استمرت موضوعات للشعـر و الكتابات الأدبية منذ حاول الانسان أن يتخذ من الكلمات أدوات للتعبير عن نفسه . لدى تقييم مختلف العصور أو الكتاب مطلوب من المرء أن يمحص رؤية الشاعر ازاء الموت، و ينظر فى الوضعية النفسية التى تركزت فى داخله نتيجة لذلك ، اذ الواقع أن مجرد الإشـارة إلى شخوص أسطوريـة لا تكفى لوصف الشاعر بانه يستخدم الأنماط الأسطورية .

هذا كله ينبعث من اعـواز التفهـم المطلوب و الأساسـى لأنماط حياتنا

و تقاليدنا. بالرغم من التنمية التى حققناها فى مجال التعليم ، يستمر مجتمعنا محكوما بالتقليد الحكائى (ORAL TRADITION). و فى ظل هذا التقليد تكون مشكلة الإيصال فى الفنون أيسر نسبيا لكون المجتمع عارفا ـ على وجه العموم ـ بالموضوعات و الهموم المتصلة بالفنون . و من سوء حظنا اليوم أن العديد من الثقافات و أساليب الحياة و أنماطها المتعددة يتعايش بعضها مع البعض فى نقطه معينة من الزمان و المكان. و فى الوقت الذى تتروى جذور الحياة من أساطير و ثقافات تقليدية عريقة ، تظهر على الطرف الأخر من هذا المنظر ، الالكترونيات و الكمبيوترات لتفرض نفسها على المسار ، و بذا تتعرض الطبقة المثقفة من العوام لأساليب الفكر و العمل الغربيين . تصوراتنا عن الزمان و الموت تغاير التصورات الغربية و التصورات التى بات المثقفون الهنود يتبنوهـا فـى زمننا. إننا ننظـر إلى الزمـان كتاريخ و كخلود، و الموت عندنا ليس نهاية ، و إنما هو عبارة عن سفر أو بداية جديـدة، و مجتمعنا ليس موجودا ساكنا أو جامدا أو مجتمعا رعويا بسيط المشاعر، بل إنه يحتوى فى طياته جميع تعقيدات المجتمع البالغ فى القدم فى طور مروره بعمل تغيير سريع .

فى ظرف معقد و متشابك كهذا ، يتعين على الأدب و النقد الأدبى أن يتوليا مسئولية و مهمة خاصة ، و من بواعث الأسف أن النقد الأدبى لم ينتبه بعد إلى هذه الحقيقة . لا ريب فى أن بعض النقاد يحاول بين فينة و أخرى أن يتخذ من التصورات الأدبية التقليدية ، و منها خاصة المستفادة من الشعر السانسكرتى ، و يعرّفها فى تحاليله للشعر أو القصه . إلاّ أن النزعة السائدة تجد ـ على سبيل المثال ـ انعكاسا فى استعراض لمجموعة شعرية من انتاج شاعر شاب عصرى . لقد أعدّ هذا الاستعراض شاعر آخر أكبر منه سناً ، و ضمنه كلا من كارل ماركس و تى . آس . ايليوت ، و حاول الايحاء بأن المذكورين لهما أهمية و صلة بشعره و بشعر صاحب الديوان . الشاعر المسكين و شعره يجدان نفسهما مسحوقين بين ماركس و ايليوت (مع أن الشاعر يمكن ان لم يطلع على كثير من كتابات الحكيمين) و أفدح ما فى الأمر أن القارئ يبقى حائرا فى أمر هذا الاختيار كيف كان و لماذا ؟ هذا الوضع نتاج قطيعة شبه كاملة بين النقاد و كتاب اللغة الأرياويين . فى كثير من الحالات نجد معلمى اللغة الانكليزية يعرفون ما يخرج فى الغرب من انتاجات أدبية و دراسات نقدية، معرفة واسعة ، لكن معرفتهم بالتقليد الأدبى الأرياويين ناقصة ان لم تكـن عديمـة . و المامهم بتاريخ تطور الأدب الأرياويين و الأدباء الأرياويين أقل و أقصر من أن يمكنهم من تطبيق مجد للنظريات التى تعلموها ، و للأدوات و التقنينات التى يطلب منهم استخدامها. و على الطرف الآخر هنالك معلمون للغة و الأدب الأرياويين ، على إلمام واسع بتقاليد الشعر السانسكرتى و بتاريخ الأدب الأرياويين ، لكن اطلاعهم على أفكار و فلسفات النقد الحديث لا يتجاوز قراءة

كتاب أو اثنين من المواد المدرسية . الفراغ الناشىء عن هذا أثمر عن نتائج سلبية و غير مريحة ، و المطلوب العمل على ما يساعد فى التلافى

الوضع المحزن للنقد الأدبى فى اللغة الأورياوية و فى غيرها من اللغات الهندية ـ اذا جاز التعميم ـ يعيد إلى الذاكرة ما حدث خلال القرن التاسع عشر و فى مستهل القرن العالى فى مجالى اعادة اكتشاف الكلاسيكيات الهندية و الدراسات الانثرو بولوجية الاجتماعية . ميكس موللر عرّف المثقف الهندى على فيداس و أبانيشاد . و كان لبيمس (BEAMS) و استرلينج (STIRLING) و هونتر (HUNTER) السبق فى تدوين تاريخ أوريا بوجه منتظم. و الفضل فى اعداد دراسات رائدة حول المجتمعات البدائية و المجموعات العرقية بمنطقة أوريسا و غيرها من المناطق الهندية ، أيضا يعود إلى الأوروبيين لقد قضى أف . جى . بايليه (F.G. BAILEY) من جامعة لندن عدة أشهر فى قرية كوند (KONDH) من مديرية فولبانى (PHULBANI) يدرس التنقلات من قرية إلى أخرى ، و يبحث الظروف التى تم فيها مبادلة الأراضى. و فى القائمة الطويلة من أسماء هؤلاء الدارسين و الباحثين الأوروبيين ، نجد موكيم ماريوت (MOKIM MARRIOTT) و هايمندورف (HAIMENDORF) و ادمون دليش EDMOND LEACH) و نورمان زايد (NORMA ZIDE) و الآن تبدو الحاجة ماسة لدينا إلى عالم أمريكي أو بريطاني ، يزور منطقتنا ، و يعيش بيننا ليتعلم اللغة المحلية و لو بصعوبة ، و بعد اتقانه تلك اللغة يكتب حول شعرائنا و أدبائنا من أمثال شانكر كوروب و تارا شنكر و شيفارام كارانت و جوبيناث موهانتى . و رداً على ذلك الجميل ، فان العلماء و الأساتذة الهنود على أتم استعداد لكتابة المقال رقم ٥٠٠ حول موضوع الزمان كما يراه تى . أس . ايليوت أو البناء اللغوى فى شعر إى إى . كومينجس (E. E. CUMMINGS) لا أعنى بذلك أن ايليوت و كومينجس يقعان خارج اطار مهامنا الأدبية ، أو اننا فى غنى عن قراءة كتاباتهما، و انما القصد ان الأناس الذين يعرفون الثقافة المحلية بامتداداتها الفسيحة ، و يطلعون على تاريخ الأدب و تقاليده ، مرجو منهم أن يقوموا بتحليل الإنتاجات الأدبية العصرية تحليلا مجديا و مؤثرا أكثر من غيرهم. نادرا ما يكون أن المرء مرتاح من وضعه و هو مع ناقد بمكانة ايه ك رامانوجان الذى يتقن النقد الأدبي الغربي و لغته المحلية بوجه سواء، و يتناول الأدباء المحليين، و يناقش إنتاجاتهم مناقشة مفيدة فى أطر التقاليد المحلية و الاتجاهات النقدية العصرية سواء.

لقد حان الحين لنتفكر فى أمر طلاب اللغات و الآداب المحلية، هل ينبغى اعدادهم اعدادا لائقا عبر تعريفهم بالنظريات النقدية الغربية ، و تمكينهم من خلال الدراسات المقارنة من اكتشاف نقاط التوافق و التخالف. و على الطرف الآخر المرجو من طلاب الأدب الإنكليزى أن يكونوا على المام لائق بأدب لغتهم الأم، و بالشعر و الآداب الهندية التقليدية. الهدف الذى يمكن تحقيقه باعادة

تصميم المواد الدراسية ، و بالحفاظ على انتاجات المعروفين من كتاب الأدب الإنكليزى و حذف غيرها من القوائم ، و استبدالها بانتاجات الكتاب الهنود و الأوروبيين الذين يتناولون الأدب المحلى. لقد اتخذت بعض الجامعات الهندية مبادرات فى ذلك الإتجاه ، و الضرورى أن يتسع هذا العمل و يكون أكثر شمولا.

إليك كلمة عن المجلات الأدبية . ثمة مجلات يجوز اعتبارها أدبية بحق ، و انها تواصل نشر الانتاجات الأدبية و المقالات النقدية. غير أنه و حتى بين صفحات مثل هذه المجلات الأدبية يمكن أن يجد القارى مقالات حول الفن المعمارى ، و أخرى حول: الأفاعى و مآويها أو حول الموضوعات السياسية ـ الاقتصادية . و بالنظر فى عدد من المجلات غير المجلات أولى الذكر، يبدو أن مسئولية ادارة التحرير لا مكانة لها فى حساباتها، و من هنا فان منشوراتها لاتبلغ المستوى المطلوب من ناحية الموثوقية. و تدليلا على هذا نقول ـ على سبيل المثال ـ إن استعراضات الكتب التى تنشر من حين لآخر فى الصفحات الأدبية للجرائد اليومية أو فى المجلات الأدبية المزعومة ، عامة تنضوى على مكررات و مصطلحات ثقيلة إلى جانب بعض التعاميم التى تشمل ملاحظات من أمثال : لكان مـــن الأنسب أن يسعّـــر الكتاب بثمـــن أقـــل . قطع الكتاب و مظهره خلاب . لو كانت لغة القصائد مفهومة بسهولة ، لكان أفضل.

و نظرة فى الموضوعات الأدبية التى يتناولها النقاد، تكشف إنها تعوز الجدية و العمق التحليلى. هنالك أيضا استثناءات قيمة ، و بعض المقالات النقدية المنشورة فى المجلات الأورياوية :-PRAJNA , MULYAYANA, SAMA) BESH, ISTAHAR) ، قد فتحت آفاقا جديدة، و دلت على وجهات بكر. إلاّ أن النزعة السائدة فى النقد الأورياوى مازالت تنعكس فى تناول موضوعات مثل " الربيع فى الشعـــر الأورياوى " و " الطيـــور و الحيوانـــات فى الشعـــر الأورياوى " و " الزهرة فى الشعر الأرياوى ". و لدى التطرق إلى مثل هذه المواضيع ، يميل النقاد عامة إلى اعطاء نوع من فحوى تاريخـــــى ، و انتاج قائمـــة بالأشعـــار و أسماء اصحابها الذين اتخذوا من الربيـــع أو الأزهـــار أو الطيور موضوعا لشعرهم، غير مكترثين بابراز رؤية خاصـــة أو التركيـــز على جهـــة معينـــة. و المقالات النقدية من هذا القبيل تخلو من أية محاولة جادة للكشف عن تفردية الشاعر و خصوصيته فى أسلوب معالجة نفس الموضوع من بين مختلف الشعراء و أساليبهم المتنوعة الممثلة لحقبات طويلة من الزمن. بعبارة أخرى ، هذه الموضوعات تعـــرض عامة لمعالجات تاريخيـــة و بيانيـــة ، و لا تنطوى على أقل قليل من التحليل أو التقدير أو التقييم.

ما ينطبق على نقد الشعر ، ينطبق بحذافيره على النقد الأورياوى للقصـــة و الرواية أيضا، و هو الآخر يكون تاريخيا و بيانيا، و مائلا فى الغالب بالاقتناع بماهو بديهى و سطحي ، و يفوته ـ شأن النقد الشعرى ـ ماهو

مستور فى خبايا القطعة موضوع البحث من مفاهيم و مدلولات. ينظر النقاد عامة إلى الروايتين PARAJA و AMRUTAR SANTAN لكاتبهما جوبينات موهانتى، إما كوثيقتين لحياة قبيلتين فى الظروف البدائية ، أو باعتبارهما قصتين تحكيان حكايات الاستغلال الذى يتعرض له رجال القبائل السذج على يد العالم المتحضر الجشع . و يندر أن نطلع فى تلك الاستعراضات و المقالات النقدية على نظرة نافذة فى مضمون هاتين الدراستين الرائعتين عن الإنهيار الخلقى الذى أصيبت به المجتمعات العريقة فى طور مرورها بعمل تغيير سريع ... " باراجا " و " أمروتار سنتان " وثيقتان لحالة الانسان و نهايته الجائرة ، و تبرزان ارتباطه العميق بالحياة رغم الفقر و الشقاء و الاستغلال. القصص المروية فيهما عبارة عن التزام تجاه الحياة ، و ليست مجرد وثيقة للاستغلال الاجتماعى و الاقتصادى. هناك عدد كبير من الأمثلة التى يمكن اثارتها لإثبات أن النقد الأورياوى ظل متشبثا بما هو سطحى و هامشى و زبد يذهب جفاء ، و نادرا ما حاول أن يزيح الستار عن الخصائص و الأوجه التى لها أهمية و قيمة . و لا حاجة للقول ان مثل هذه الوقفة تخلق شعورا بضياع الجهة ، و يتسبب فى نوع من جمالية القسوة و اللامبالاة. و فى بعض الأحيان تجرى المقارنة بين كاتب أورى و أخر كاتب فى نفس اللغة أو فى غيرها من لغة محلية أو أوروبية أو أمريكية ، و تعرض مقتبسات من كتاباتهما الأدبية و لكن قلما نجد فيها نقاطا مماثلة أو متناقضة يجوز اعتبارها خصائص مميزة لأحدهما من الآخر

إن الأدب فى أساسه مسئلة الحساسية. قد يكون لقصة أو قصيدة موضوع، إلاّ أن الموضوع أو الخط القصصى ليسا فى الأهمية بمكان كبير. كما لا يجوز اعتبارهما مبررا معقولا أو أنسب للمفاضلة بين كاتبين أو معادلتهما. بل الأهم هو تصميم و بناية الوجدان ، و جو الكوائف و الإحساسات التى تبنيها القطعة الأدبية المنتجة . و النقد الأدبى ـ شأن الإنتاج الأدبى بمعناه الحقيقى ـ أيضا عبارة عن الحساسية ، و مهمته تقصر على الادراك المتعمق للتجربة الأدبية ، و الاستجابة الممعنة لذلك الإدراك . و إذا كان الناقد لم يستوعب الكاتب و لم يحسه ، و إذا لم يتمكن هو من كسب نوع من المشاركة مع الكاتب فى كينونته ، فانه من المتعذر أن يتناوله تناولا مجديا و موضوعيا. و مهمة الناقد هى الأخر ليست أخف من مهمة الكاتب .. و المطلوب منهما إيجاد نوع من التوازن فى العكوف الكامل على العاطفة و الموضوع الذى يتداولان فيه، و بين صلاحيتهما فى الابتعاد عنه و فى الحفاظ على المسافة بحسب مقتضى الجمالية . قبل البدء فى عمل الإبداع ينغمس الأديب المثالى فى موضوعه ، و يطوف بين آفاقه ، و يكون ملتزما به التزاما كاملا. بعدئذ انه يبتغى أن يكون على قليل من المسافة عنه لكى يتسنى له النظر إلى ذلك الموضوع و تلك العاطفة و كأنهما لأحد غيره. و ليس للكاتب مناص من

الإحساس بالبعد و الانفصال (عن موضوعه و عاطفته) لأن ذلك الإحساس وحده يجعل من العمل الإبداعي في إطار الممكنات .

و الوضع لا يختلف عنه بالنسبة للناقد الأدبي الأصيل ... فانه بدوره يكون مأخوذا بموضوعه و غارقا في أعماقه و أيضا منفصلا عنه شأن الكاتب. الناقد يقوم ببناء جسر بين الكاتب و القارئ ، و يطلع الأخير على ما شهده في رحلته بين امتدادات القطعة الابداعية المعنية . إلاّ أنه من الضروري التأكيد على أن هذا التورط أو الالتزام ليس جنونا أو هياما، و لا الانفصال هو عدم اكتراث أو تحجر. و إنما الكفاءة لتمييز الفروق بين هذا و ذاك ، و خلق توازن بينهما ، هي المقاييس لمعرفة الناجح من النقد الأدبي و فاشله. و نادرا ما نتلمس هذا التوازن في النقد الأرياوي الحديث.

نعود و نقول مرة أخرى إن النقد الأرياوي عامة يقف وقفة العداء ازاء كل ماهو عصري و إبداعي أصيل . و في مثل هـــذا الوضـــع يختلط الجيد بالردئ ، و يلقى تعاملا مماثلا ، و يعرض لنفس اللغة الرطينة. وجود شخوص أسطورية من أمثال دوريودنا أو راڤانا في قطعة ما ، يدفع الناقد لوصف الشاعر بالاقبال على الأسطورة و النماذج القديمة . و بمجرد إطلاعـــه على كلمات مثل " الألم " ، و " الموت " و " الاجتثاث " انه يميل إلى الاستنتاج بأن القصائد التي تتضمنها ، قصائد عصرية و حتى وجودية . فصاحة البيان و قوته تكفيان لوصف الشاعر أو الكاتب بالالتزام ، و تقدمية الشاعر تتعين بشـــدة اللهجـة و الصرخة. و المقالات النقدية من هذه الفئة تخلو من أية محاولة لإفراز العمل الإبداعي الأصيل و الجديد و المنعش من المتكلف و الراكد و المصطنع و الخلامي. قصيدة بسيطة في ظاهرها ، يمكن أن يتجاهلها الناقد بوجه كلي ، إلاّ أن قطعة كتابية غامضة و مكتنفة بالألغاز ، ستلقى في قلب الناقد رعبا و اجلالا. هذه الوقفة أحيانا تعيد إلى الذاكرة حكاية غير المرئي من لباس الملك . عندما يتناول الناقد قطعة أدبية لا يفهمها و هي لكاتب معروف ، انه يلفها بالغموض، و يقوم بحشو البحث بمقتبسات من كتابات ايليوت و فراي و التي تبدو رنانة و فخمة من دون أن تقول شيئا مفهوما و معقولا . كون النقـــد يعــوز التمييز و المذاق ، يزيد القراء شعورا باليأس ، و يدفعه للاستنتاج بأن كل كاتب و كل شيء مكتوب عسير على الفهم ، و القصيدة تكون أكثر صنوف الأدب تضررا من مثل هذا الموقف ، لأنها ـ على خلاف القصة أو الرواية ـ لا يكون لها خط قصصي أو موضوع معين . الناقد لا يدري أن عظيم الشعر و أرفعه ، يمكن أن يكون صعبا في وقت من الأوقات ، لكن الركيك منه و المقروض من دون براعة ، أيضا يجوز أن يتصف بالصعوبة . الفرق بين العظيم و غيره يقع في مدى تأثرية الشاعر و حساسيته للموضوع الذي يعالجه . الأمثلة كثيرة لتافه النقـــد و فضولـــه ، و لنا أن نطلـــع عليهـــا يوميـــا فـــي صفحات المجلات الأدبية ، و في استعراضات الكتب ، و في المقالات الموضوعية و التاريخية حول الكتاب،

و فـى المقالات التـى تعـرض فـى النـدوات و المناسبـات الأدبيـة.
كثيرا ما نجد الناقد الأدبى يحاول تخويف القارئ و يخلق لديه انطباعا بأن قطعة معينة من الكتابات العصرية ، سواء أ كانت قصيدة أم قصة أم رواية ، فهمها بوجه مناسب ، يتطلب معرفة كثير من الفلسفة و النظريات النقدية و حتى الانثرو بولوجية . الأمر الذى يجعل القارئ على حذر شديد من الاقتراب بتلك القطعة الملانه بمعارف منوعة و متكاثرة ، و مسه لها يكون من منطلق الرعب دون الحب. و بذا تنقلب ـ من سوء الحظ ـ وظيفة النقد، و التى كانت إثارة الحب للقراءة و لا خلق كراهية لها.
لاشك فى أننا توارثنا تقليدا نقديا مدمجا و محكما، و النقاد من أمثال آنندوردنا (ANAANDAVARDHANA) و كونتاكا (KUNTAKA) و ابيناڤا جوبتا (ABHINAYA GUPTA) و باماها (BHAMAHA) و ڤيسوانات كاڤيراجا (VISWANATH KAVIRAJA) قاموا بصياغة و تنمية لغة و أسلوب نقدى لا يمكن الاغماض عنه
و الأفكار الرئيسية فى هذا التقليد النقدى الوطنى كانت. راسا (RASA)، بهاڤا (BHAVA) ، ألنكارا (ALANKARA) ، دهڤانى (DHVANI)، و التصورات الجوهرية ـ راسا ، بهاڤا ـ طورت و أحكمت فى ناتيا شاسترا (NATYASHASTRA) و داڤان يالوكا (DHAVAN YALOKA) لصاحبهما بهارات و أنندافاردانا، و أريد بـ" راسا " كيفية وجدانية و عقلية تتسق معها مختلف أوجه متصورة للواقع النفس الأمرى . فاذا كانت " راسا " ـ على سبيل المثال ـ من نوعية " سرينجارا " (SRINGARA) فان الأشياء المجسدة التى ستدفع للإبداع و الخلق ، ستكون هبات النسيم الهادئة ، رائحة الزهور و أغانى الطيور، و البدر الكامل الخ ... أحيانا يقال إن " راسا " تركز على نقاء العاطفة و شدتها ، إلاّ أن كل ضرب من ضروبها المتعددة يكون ـ حسب الاعتقاد السائد ـ متمايزا و سائرا فى خط ىو غير قابل للانسياق مع الأوضاع العاطفية المتصارعة .
و هناك من يقول إن هذا مناقض لواقع التكوين النفسى الانسانى الذى يمكن أن يمر بتجارب عاطفية متباينة فى آن واحد. غير أن هذا الرأى ليس سديدا من جميع الجوانب . و إنما الواقع أن هناك أقل قليل من أوجه "راسا" يمكن أن توصف بالتباين. علاوة على ذلك فان الناقد الأوريسى جاكن ناث بانديت (JAGAN NATH PANDIT) من القرن السابع عشر ذهب يقول فى رسالته (RASA GANGADHARA) انه يمكن أن يكون ثمة KAVYA (الشعر) فى غاية الجمال حتى بدون راسا . تصور " راسا " هذا فى جملته كان مؤسسا على نظرية التلميح و تعقيد المعانى و الرموز و الإشارات. و هذه الأمور كلها تأتى منسجمة مع العقيدة النقدية العصرية . و فى الأهمية بنفس القدر أن هذا التصور ركز على ضرورة انغماس القارى (SAHRUDAYA) فى روح القطعة المنتجة على اعتبار أنه بدون ذلك لا يمكن ادراك الوضعية النفسية المتجسدة

فى القصيدة حق الإدراك. و أصرفيسواناث كافيراج (VISWANATH KAVIRAJ) فى مؤلفه " المرآة الأدبية " (SAHATYA DARPAN) ـ القرن الثالث عشر ـ على نفس الشيء . و " ألنكارا " ـ الزخرفة اللفظية ـ لم تكن مجرد فضيلة تقنية ، و إنما وقعت فى صميم الجمال نفسه . و التركيز على التلميع (VAKROKTI) أو الكلام غير المباشر الذى يعطى المعنى لونا من السخرية و التهكم ، أيضا فكرة عصرية من كل الوجوه .

و فى الشعر السانسكريتى توجه الاهتمامات خاصة إلى مختلف الأوضاع الفكرية و مختلف مدارج العرفان و الاستلهام. و الاشارة إلى الحالات الخمسة للكائن الموجود: (ANNAMAYA, PRANAMAYA, MANOMAYA, VIGYANA-MAYA, ANANDMAYA) و التى تكون كل حالة منها معترفة بها، و لكن الصعود فيها يكون من الأدنى إلى الأعلى بحسب الأفضلية و الشدة ، أيضا يستحق أن تدرج ضمن الأفكار العصرية. على هذا فان هناك مقاييس مختلفة لقياس هذه الحالات من ناحية الشدة و الامتداد و من الضرورى أن تحظى الأوجه الجمالية و النفسية للنقد الهندى التقليدى بعناية تستحقها ، و تضمن فى المواد الدراسية لأقسام اللغات ، و منها اللغة الانكليزية و آدابها. و المطلوب أيضا أن لا نغفل متعة و براعة التصورات المتجسدة فى هذا التقليد، و نسعى جاهدين فى سبيل تركيزها و إحكامها. و ذلك ما عسى أن يمدنا فى امعان انتاجنا الأدبى و التعمق فى أغواره و يكون أنفع من الأدوات النقدية التى تعودنا على تطبيقها رغم كونها أجنبية المنشأ و وليدة ظروف أدبية مغايرة تماما لظروفنا.

تعريب : راشد على

سيتا كانت مها باترا

ولـد عام ١٩٣٧م ، و درس فى جامعات اوتكال و الـه آباد و الكامبردج، و حصل على الدكتوراة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية. و بعد سنتين من التدريس الجامعى انخرط فى سلك الخدمات الإدارية الهندية فى فى عام ١٩٦١م ، و حاليا يعمل وكيلا إضافيا فى وزارة تنمية الموارد البشرية (قسم الثقافة) - الحكومة الهندية.

له مصنفّات كثيرة منها:

الشعر :

- " العنف الصامت " (١٩٧٠م)
- " الصمت الآخر " (١٩٧٣م)
- " العجوز فى الصيف " (١٩٧٥م)
- " المضحك و قصائد أخرى " (١٩٧٩م)
- " أغنية كوبجا و قصائد أخرى " (١٩٨٠م)
- " القصائد المختارة " (١٩٨٦م)

الشعر القبلى:

- " البعد الشاغر يحمل " (١٩٧٢م)
- " السيف الخشبى " (١٩٧٣) مع مقدمة بقلم ادموند آر. ليش
- " الاقامة فى لا مكان " (١٩٧٥م)
- " اصفح عن الكلمات " (١٩٧٦)

النقـــد :

- اعوجاج المعنى (١٩٧٤م)
- الخوض فى غمار الحقيقة (١٩٧٥)
- ايماءات المودة (١٩٧٦)
- بهيما بوى (١٩٨٣م).
- التقليد و الفنان الحديث .

الازدواجية فى اللغة العربية

بقلم: د. سمير شريف ستيتية
دائـــرة اللغـــة العربيـــة
جامعة اليرموك، اربد ـ الأردن

مفهوم الازدواجيـــة :

تبرز ظاهرة "تعدد المستويات اللغوية" فى المجتمعات البشرية، فى صورة متعددة. و قد يلتقى بعض هذه الصور مع بعض، أو تشتبك صورة مع أخرى، تشابكا يؤدى إلى عدم فهم احداهما على الأقل. و سنحدد فى هذا البحث، مفهوم كل صورة من صور هذه الظاهـــرة، و بخاصة مفهوم " الازدواجيـــة "، و تاريخها فى المجتمع العربى.

تعد ظاهرة "تعدد المستويات اللغوية" هذه، فى صورها المتعددة، من الظاهرات اللغوية الشائعة التى لها أبعاد مختلفة و جوانب كثيرة. و نظرا لترابط هذه الجوانب و تداخلها كما قلنا، فان بعض المصطلحات التى تستخدم لوصف صورة من صور هذه الظاهرة، أو طرف من أطرافها، قد تستخدم لوصف صورة أو طرف أخر، على ما بينهما من اختلاف. و قد يسمح بعض الباحثين لأنفسهم القيام بتوسيع حدود المصطلح، ليشمل غير وجه من وجوه الظاهرة. و قد يسمح أخرون لأنفسهم بجعل مصطلح ما، مرادفا لمصطلح أخر.

و تزداد حدة المشكلة أحيانا، عند ترجمة هذه المصطلحات أو بعضها، حتى ليبدو أن المصطلح، بعد ترجمته، قد بدأ يفقد شيئا مـــن سويّتـــه العلميـــة، و مضمونه العملى. فمن المصطلحات التى تعبّر عن تعدد المستويات اللغوية المصطلح الانكليزى diglossia و الذى يقابله فى الفرنسية diglossie. و منها أيضا المصطلح الانكليزى bilingualism و الذى يقابله فى الفرنسية bilingualisme. و قد اختار فريق من المعجميين العرب المحدثين لتعريب المصطلح الأول، ما اختاره فريق أخر لتعريب المصطلح الثانى. و الشىء ذاته قد حدث فى تعريبهم للمصطلح الثانى. فقد عرّب كل من معجم اللسانيات الصادر عن مكتب تنسيق

التعريب، و قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدّى المصطلح الانكليزى diglossia و / أو نظيره الفرنسى بالثنائية (اللغوية)، بينما عربّا bilingualism و / أو نظيره الفرنسى بالازدواجية. أما معجم علم اللغة النظرى لمحمد علي الخولي، و معجم اللسانيات لبسام بركة، و معجم مصطلحات علم *اللغة* الحديث الذى قام بوضعه مجموعة من اللغويين العرب فى عدد من الجامعات العربية، فقد عرّبت جميعها المصطلح diglossia بالازدواجية، بينما عرّبت bilingualism بالثنائية.

و نحن نميل إلى التعريب الذى ذهب إليه الفريق الثانى، و ذلك باستعمال " الازدواجية " نظيرا للمصطلح الانكليزى diglossia، و استعمال " الثنائية " نظيرا للمصطلح bilingualism. و يؤيد هذا الاختيار، اتفاق كلمة " الازدواجية " مع مضمون المصطلح الانكليزى diglossia و الذى يعنى استعمال مستويين مختلفين، أو أكثر، *من لغة واحدة* (مع كون أحد هذه المستويات نمطا راقيا، و مستوى رفيعا، يستعمل فى الاغراض الرسمية). فقد وضع المصطلح diglossia ليصف حالة من حالات التعدد اللغوى، *داخل اطار اللغة الواحدة*، لا ليصف استعمال لغتين مختلفتين فى مجتمع واحد. فهذا هو أصل المصطلح، و هذا ما استقر عليه مضمونه عند الكثيرين من اللغويين (١). فمضمون المصطلح يعنى اتفاق المستويات اللغوية فى انتمائها إلى لغة واحدة، و أن كل مستوى يتعلق بهذه اللغة تعلق الفرع بالأصل. و لهذا المضمون صلة قوية بالدلالة اللغوية و المعجمية للفعل (ازدوج) و أسرة مشتقاته. فقد جاء فى اللسان : " ازدوج الكلام و تزاوج أشبه بعضه بعضا فى السجع، أو الوزن، *أو كان لاحدى القضيتين تعلق بالاخرى*." فنحن نستأنس بالدلالة اللغوية لهذه الكلمة (ازدواجية) لجعلها نظيرا للمصطلح diglossia حين يستعمل على النحو الذى وضع عليه، و اتفق عليه الاكثرون.

عرّف Ferguson الازدواجية بأنها حالة لغوية مستقرة نسبيا، تتمثل فى وجود لهجات محكية إلى جانب مستوى رفيع، و نمط منطقى عال، تنحرف عنه بدرجات و مقادير، و تكون نسبة كثيرة من المكتوب فى تلك اللغة بالمستوى العالى (الفصيح)، و الذى يحتذى حذو مرحلة مبكرة من اللغة و أدبها، أو يحتذى حذو لغة مجتمع لهجى ما (فى تلك اللغة) تتعلمه فئات كبيرة من المجتمع، و تستعمله فى الاغراض الرسمية، بينما لا تستعمله الفئات المختلفة (العامة) لأغراض الحياة اليومية (٢).

و على هذا، فالازدواجية مقصورة على تعدد المستويات اللغوية، داخل اطار لغوى واحد، عندما يكون أحد هذه المستويات نمطا عاليا تتعلمه فئات كثيرة فى المجتمع، بينما تستعمل العامة مستوى آخر غيره، ينحرف عن بعض الاصول الكلية لهذا النمط العالى. و قد ذهب Joshua Fishman إلى توسيع مضمون المصطلح ليشمل كل اختلاف لهجى بين أبناء الجماعة اللغوية

الواحدة (٣). و قد رفض بعض اللغويين هذا التوسع، لأنه فى نظرهم يؤدى إلى أن تعدّ كل لغة ذات طبيعة ازدواجية (٤)، مشيرين بذلك إلى الحقيقة المعروفة، و هى أن التنوع اللهجى، و الاختلاف بين المستويات اللغوية أمر مسلّم بوجوده، لاختلاف المواقع و الأماكن على الخارطة الجغرافية (٥)، دون أن يؤدى هذا التنوع بالضرورة إلى الازدواجية، و إلى شىء من مشكلاتها الثقافية و الاجتماعية و التربوية. و رفض لغويون آخرون هذا التوسع، لأن Fishman قد فشل فى أن يحدد بهذا التوسع، بوضوح و دون غموض، المعايير التى بوساطتها نستطيع أن نحدد معالم واضحة للازدواجية (٦). و هذا يعنى أن التوسع فى مضمون المصطلح، على النحو الذى ذهب اليه Fishman قد يؤدى إلى غموض دلالته، كما قد يؤدى إلى إرباك عند استعمال هذا المصطلح فى الدراسات المتعلقة بهذا المجال.

و من الواضح أن التنوع اللهجى مرحلة من مراحل الازدواجية. و لكنه ليس معادلا موضوعياً لها، حتى يكون هناك ما يدعو الى استعمال أحد هذه المستويات اللهجية فى وظائف لغوية مشتركة، باعتباره مستوى أداء عال، أو حين يكون هناك مستوى لغوى مشترك، يستخلص من هذه المستويات اللهجية جميعا. و يؤدى هذا إلى أن يصبح المستوى المشترك فوق مستوى العامة، بمعنى أن العامة لا يصطنعونه فى خطابهم، و أنهم اذا سمعوا متكلما بها، رفعوه فوق مستوى ثقافتهم (٧). أما حين لا يكون هذا الاستعمال المشترك فى وظائف لغوية محددة، فان أحدا لا يستطيع أن يقطع بوجود الازدواجية، فى اطار تلك اللغة. فالناطقون باللهجة الشرقية من اللغة السريانية مثلا، يستعملون هذه اللهجة فى حياتهم اليومية الخاصة بهم، و فى طقوسهم الدينية، كما أنهم يتعلمون هذه اللهجة فى مدارسهم الخاصة بهم. و لا يوجد فى الظروف العادية ما يدعوهم إلى استعمال اللهجة الغربية. و الناطقون باللهجة الغربية لا يستعملون إلا هذه اللهجة فى حياتهم اليومية، و فى طقوسهم الدينية، و فى شؤونهم التقليدية الخاصة بهم، عندما يناقشونها فيما بينهم. و لا يوجد فى الظروف العادية ما يدعو إلى استعمال اللهجة الشرقية. فالسريان لا يستعملون لهجة مشتركة، فى الوظائف اللغوية المشتركة. و على ذلك، فالتنوع اللهجى فى اطار اللغة السريانية المعاصرة، لم يؤد إلى وجود الازدواجية فى حياة السريان. أما انقسام هذه اللغة إلى لهجتين شرقية و غربية، فانه لم يؤد إلى أن يستعمل الناطقون باحدى اللهجتين اللهجة الأخرى، أو لهجة ثالثة تعتبر مزيجا منها. فتسمية مثل هذا الانقسام تنوعا لهجيا، أفضل بكثير من تسميته ازدواجية.

أما الثنائية فيمكن تعريفها بأنها قدرة الفرد على استعمال لغتين، يمكن اعتبار كل واحدة منهما، بوجه أو أكثر، لغة أصلية بالنسبة له. و هذا التعريف قريب من تعريف بلومفيلد (٨). و مثلما ذهب بعض اللغويين إلى توسيع

مضمون الازدواجية، ذهب بعضهم إلى توسيع مضمون الثنائية، ليشمل القدرة على الحديث بلغتين مختلفتين، بغض النظر عما اذا كانت كل واحدة من اللغتين أصلا بالنسبة للمتكلم أم لا (٩). و هو توسع دون ضرورة و لا مسوّغ، كما أنه قد يؤدي إلى اختلاط في بحث المشكلات الناجمة عن ظواهر مختلفة، الأمر الذي يصعب معه تحديد تلك المشكلات و حلها. فالفرد الذي يتكلم لغتين، دون أن تكون كل واحد منهما لغة أصلية بالنسبة له، لا يعاني بالضرورة من مشكلات ثقافية انتهائية، بمجرد معرفته اللغتين. و لكن الفرد الذي يتكلم لغتين، مع كون كل واحدة منهما لغة أصلية بالنسبة له، قد يجد شيئا من الثنائية في الانتماء ، أو إتجاهات نفسيه متضادة ، تتمثل في تفضيل احدى اللغتين على الأخرى، أو أحد الانتمائين على الآخر. و قد وجدت هذه المشكلة في حالات كثيرة، في المجتمعات الغربية، قام بدراستها باحثون كثيرون، نذكر منهم Wallace Lambart الذي قام بدراسة تأثير الثنائية في الفرد من الجوانب العقلية و الثقافية الإجتماعية Socio-cultural (١٠). و ربما كانت الشعوبية في التاريخ العربي الاسلامي أصدق مثل على وجود هذه الثنائية، بسبب انتماء الشعوبيين و ولائهم لثقافاتهم و لغاتهم، أكثر من انتمائهم إلى المجتمع العربي الاسلامي، و اللغة العربية، لغة الوحي و العبادة. غير أنه علينا أن نؤكد حقيقة مهمة، و هي أن الثنائية اللغوية ليست سببا قاطعا لا يتخلف، في تعدد الولاءات، و تباين الانتماءات. اذ يكفي أن نعرف أن خلقاً لا يُحصون من جهابذة علماء العربية، و علماء التشريع الاسلامي، كانوا من أبناء الثقافات المختلفة، ممن دخلوا في الاسلام، و أصبحت العربية لغة أصلية بالنسبة لهم أيضا.

و مع أن مصطلح الازدواجية ليس مرادفا لمصطلح الثنائية، كما وضحنا، فان هاتين الظاهرتين قد توجدان في مجتمع واحد، في وقت واحد. و مثل هذا التعدد موجود في بعض المجتمعات العربية، و في مجتمعات أخرى. ففي بعض المجتمعات العربية، تستعمل أقليات عرقية أو دينية، لغات أخرى غير العربية في الممارسات اللغوية الخاصة، أو الطقوس الدينية. فهذه هي الثنائية اللغوية. و لكن هذه الجماعات تمارس الازدواجية عند ما (أ) تستعمل اللهجات العربية المحكية في الشؤون الحياتية اليومية في المجتمع الذي يعيشون فيه (ب) و لكنهم في مواقف أخرى يستعملون العربية الفصيحة عندما يتعلمون القرآن الكريم، و في بعض شؤونهم الدينية أو الرسمية التي تتطلب استعمال العربية الفصيحة.

و مثل هذا التعدد موجود في مجتمعات غربية كثيرة، فتظهر الثنائية اللغوية في لوكسمبرغ مثلا، في استعمال الألمانية الفصيحة لغة للكنيسة و الصحافة و التربية في مراحل ما قبل التعليم العالي. و تستعمل الفرنسية في مجالات أخرى، فهي لغة القانون، و المحكمة العليا، و التربية في مراحل

التعليم العالى. و لكن الازدواجية هناك تتمثل فى استعمال مستويين من اللغة الألمانية هما:

١- الألمانية الفصيحة Standard German

٢- اللهجة الألمانية المحكية فى لوكسمبرغ، والتى تختلف عن الألمانية الفصيحة. و تسمى تلك اللهجة بعامية لتزبرغر Letzburges Koine (١١).

و اذا كانت الازدواجية مختلفة عن الثنائية، و عن تعدد المستويات اللهجية، فان ثمة مفهومات قد تلتبس بالازدواجية أحيانا. و لذلك ينبغى أن تحدد هذه المفهومات، و تبين صلتها بالازدواجية. و قد تساعدنا هذه المفهومات أو بعضها، على فهم بعض الطرق التى تنشأ عنها الازدواجية. فهناك " اللغة الهجين " pidgin و هى صورة مطورة لنحو لغة ما و تراكيبها و مفرداتها. و هى نتيجة مبدئية للتفاعل بين الشعوب و الثقافات المختلفة. و اذ كان حالها كذلك، فان هذا المستوى من اللغة، لا يعدّ لغة أصلية لأى من الناطقين به (١٢). فاللهجة التى يتعامل بها الغزاة و الفاتحون مع أهل البلاد الأصليين، و تختلف عن اللغة الأصلية لكل من الطرفين، تسمى اللغة الهجين. و مثل ذلك، اللغة التى يتعامل بها التجار من مناطق لغوية مختلفة. فاذا استقرت هذه اللهجة الجديدة، و أصبحت اللغة اليومية للناطقين بها بعد مرور جيل أو نحوه، أصبحت هذه اللهجة " اللغة المولدة " creole (١٣). و أكثر ما تبرز هذه اللغة المولدة فى العاميات العربية المعاصرة، و التركية، و الفارسية. فقد تولّد كل منها، عن المستوى الذى أشرنا اليه، و هو " اللغة الهجين "، نتيجة احتكاك الناطقين بلغات مختلفة، بغيرهم من أبناء الشعوب و الثقافات الأخرى.

و فى مرحلة التهجين pidginization و التوليد creolization تنتج كلمات جديدة، ينجم بعضها عن استعارة كلمات من اللغة الأخرى، و اخضاعها للصيغة التى تقبلها اللغة المستعيرة. فمن ذلك مثلا كلمة automobile المكونة من autos اليونانية و mobilos اللاتينية، و مثل " تلفزة " الاجنبية أصلا، و التى أخضعت للوزن العربى. و سيفيدنا هذا فى فهم حقيقة الازدواجية و تاريخها، فى نطاق العربية. و الفارسية المعاصرة خير مثل للغة المولدة، لكثرة ما أخذت من العربية، حتى انهم ليأخذون الكلمة العربية كما هى، فاذا أرادوا أن يجمعوها، جمعوها باضافة احدى علامتى الجمع فى الفارسية، و هما اللاحقتان / ـان / و / ـها /، و ذلك مثل:

فلان ← فلانان	"جمع فلان"
قوم ← قومان	"أقوام"
خلق ـــــ خلقان	"خلائق"
طايفه ـــــ طايفه ها	"طوائف"

بل أنهم قد يجمعون كلمات فارسية أو عربية الأصل بجمع المؤنث السالم فى العربية، فيقولون:

اشتباه ـــــ اشتباهات "أخطاء"
فرمايش ـــــ فرمايشات "أوامر"
كوهستان ـــــ كوهستانات "أماكن جبلية"

و تسمى مثل هذه الكلمات فى علم اللغة الاجتماعى بالكلمات المولـــدة. و هى ظاهرة شائعة بين اللغات. و قد كان علماء العرب يسمون الكلمات الأجنبية التى يستعيرونها من لغات أخرى، مع بعض التعديل فـــى أصواتهـا أو صيغتها بالكلمات المعرّبة. و من الضرورى أن نشير هنا أيضا، إلى أن ثمة فرقا بين مدلول مصطلح " التوليد اللغوى " على النحو الذى عرضناه قبل قليل و مدلوله عند علماء العربية. ففى الوقت الذى حدّد فيه هؤلاء العلمـاء مدلول " الرجل المولد " على نحو مطابق لمدلوله فى علم اللغة الاجتماعى المعاصر، اذا هم يجعلون كل كلام مستحدث مولدا، فقد جاء فى اللسان " و رجل مولّد اذا كان عربيا غير محض ". فهو هنا يدرك حقيقة الرجل الذى لم يخلص عرقه، مشيرا إلى ذلك بقوله: "عربيا غير محض". و لكنه عندما عرّف الكلام المولد قال: "سمّى المولد من الكلام مولّدا، اذا استحدثوه، و لم يكن من كلامهم فيما مضى". و قد بيّنّا أن الاستحداث و حده لا يكفى لا يجاد الكلام المولد، حتى يكون نتيجة لاختلاط لغة بأخرى، تماما كما يكون الرجل المولّد نتيجة اختلاط عرقى.

و هناك مفهوم شائع فى الدراسات اللغوية، يسمّى "اللغة السائدة" kome و هو مفهوم يشير إلى اللغة التى تتجاوز حدودها الأصلية، إلى مناطق أخرى، كاللغة الانكليزية فى كل من الهند و الباكستان و استراليا، و جنوب أفريقية، و كندا و الولايات المتحدة، و كاللغـة الاسبانيـة فى أقطـار أمريكا اللاتينيـة، و كاللغة العربية بعد انتشارها فى الأقطار المفتوحة، و التى أصبحت عربية اللسان. و سيفيدنا هذا المفهوم فى معرفة احدى مراحل التطور اللغوى التى مرت بها العربية.

تاريخ الازدواجية في العربية:

ليست العربية بدعا من اللغات، من حيث انها كغيرها خـاضعة للتطور. و اذا كان تعدد اللهجات حقيقة واقعة فى اللغات التى يتوزع أبناؤها فى مناطق مختلفة، فان مثل هذا التعدد كان معروفا فى عربية مـا قبل الاســلام و برغم ذلك، فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن التعدد اللهجى فى الجاهلية، كان محصورا فى لهجتين كبيرتين هما: الحجازية و التميمية (١٤). و يكفى للرد على هذا أن المراجع العربية القديمة تذكر لهجات عربية كثيرة، مما يدل على أن التعدد اللهجى فى فترة ما قبل الاسلام، كان أكثر مما ظن هؤلاء المستشرقون.

و قد ذهب بعض العلماء و الباحثين المحدثين، إلى أن اللهجات العربية

القديمة كان نتيجة لإنعزال القبائل العربية بعضها عن بعض، و نتيجة للتطور المستقل لكلام كل قبيلة، و أنه لا بد من مرور زمن طويل قد يبلغ قرنا أو قرنين حتى تتشكل لهجة كل قبيلة من القبائل (١٥). و قد رفض باحثون آخرون القول بانعزال القبائل العربية بعضها عن بعض فى تلك الفترة، و ذهبوا إلى أن القبائل العربية كانت دائبة الحركة، دائمة التواصل (١٦). غير أنه من الحق أن نعرف أن قضية العزلة قضية نسبية، و أن العزلة هـذه كانت أمـرا محتما، أو شبه محتم، فى بيئة مترامية الأطراف، شاسعة المساحة، و فى طبيعة قاسية، يصبح التنقل فيها مخاطرة، و الحركة مشقة. و كيف لا نعزو كثرة اللهجات العربية إلى تباعد أماكن سكناهم، و قلة تواصلهم نسبيا، فى الوقت الذى تعد فيه هـذه العوامل من أهم الأسباب التى تساعد على تكوّن اللهجات (١٧).

و اذا أخذنا بنظرية وليام لابوف فى التباين و التطور اللغويين، فان العربية كسائر اللغات، تحمل بين طياتها بذور الانقسام إلى لهجات. و يسمى لابوف هذه الظاهرة بالتباين variation. فاذا حدث التغير، و ظهر الانقسام إلى حيز الوجود، برز التطور تحقيقا لبدأ التباين الكامن فى اللغة (١٨). و عليه، اذا كان التعدد اللهجى فى فترة ما قبل الاسلام أمرا واقعا، بل مفروغا من مناقشته، فاننا لا نستطيع أن ننكر وجود مستوى لغوى مشترك، كان أبناء العربية يتواصلون به، بحيث يتجاوز أبناء اللهجات المختلفة بعض خصائصهم اللهجية، عندما يخاطبون غيرهم من أبناء اللهجات الأخرى. و اذا رجعنا إلى مفهوم الازدواجية، كما وضحنا فى الصفحات السابقة، و تذكرنا أن الازدواجية لا تتم بدون وجود مستوى مشترك، علمنا أن ذلك كله كان أمرا واقعا فى اطار العربية، قبل الاسلام و بعده، برغم أننا سنخالف ما ذهب اليه الباحثون حول طبيعة ذلك المستوى و حقيقته.

لسنا نغالى اذا قلنا ان صورة ذلك المستوى ما زالت غائمة غير محددة، لتعدد الأقوال، و تباين الآراء. و لعل أهم سؤال يواجه الباحثين فى هذه القضية، هى هل كانت العربية المشتركة قبل الاسلام معربة أو غير معربة؟ سنبين فيما يلى مذاهب بعض الباحثين المحدثين حول هذه المسألة، و موقفهم منها:

المذهب الأول: و يرى أصحابه أن العربية كانت معربة فى مستوياتها كافة. و يمثل هذا المذهب عدد من الباحثين المحدثين، و فى مقدمتهم المستشرق الألمانى يوهان فك الذى ذهب إلى القول ان العـربيـة، قبل عصـر نموهـا و ازدهارها، قد احتفظت بظاهرة التصرف الاعرابى، سمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها اللغات السامية، باستثناء البابلية القديمة. فاشعار عرب البادية - قبل الاسلام و فى عصوره الأولى - تُرينا علامات الاعراب مطردة،

كاملة السلطان. كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين العرب كانوا - حتى القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى على الأقل - يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم، تدل على أن التصرف الاعرابى كان فى أوج ازدهــاره آنذاك. و قد شهد القرآن الكريم بذلك فقال: "و *هذا لسان عربى مبين* "، يقول فك معلقا على هذه الآية: " و صريح من هذا أنه لم يقم عند محمد و معشره، فرق هام بين لغة القرآن و لغة العرب، أى قبائل البدو. و لا يمنع ذلك أنه كانت هناك فروق بين لهجة مكة، و لهجة البادية، و بين هذه الأخيرة بعضها مع بعض." (١٩)

المذهب الثانى : و يرى أصحابه أن العربية لم تكن معربة يوما من الأيام. فلم يكن للاعراب وجود فى العربية المشتركة، فضلا عن لهجات الخطاب اليومى، و يمثل هذا المذهب عدد من المستشرقين منهم كارل فوللرز Karl Vollers الذى زعم أنّ النص الأصلى للقرآن الكريم، كان قد كتب باحدى اللهجات الشعبية التى كانت سائدة فى الحجاز، و التى لم يكن لظاهرة الاعراب فيها وجود، و لا فى غيرها، و أن الاعراب انتقل إلى هذا النص فيما بعد (٢٠).

المذهب الثالث : و يرى أصحابه أن لغة الأدب المشتركة هى التى كانت معربة. أما لهجات الحديث فكانت منذ أقدم عصورها غير معربة، أو على الأقل، لم يكن لقواعد الاعراب فيها ما كان لها فى لغة الآداب من شأن. فالعربية شفهية التعبير فى رأيهم منذ أقدم عصورها. و يميل إلى هذا الرأى عدد غير قليل من الباحثين و المستشرقين، نذكر منهم المستشرق الألمانى نولدكه الذى ذهب إلى القول انه من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها اعراب، فان العلماء فى عصر هارون الرشيد قد وجدوا الاعراب بكل دقائقه لدى البدو. و لكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيرا فى الحديث اليومى، قد عودّت الأذن على *سماع الصيغ الخالية من الاعراب*." (٢١)

و يعدّ الدكتور ابراهيم أنيس من أبرز القائلين بهذه الفكرة، و أشهر الاخذين بهذا المذهب، فهو يقول: "... إن ظاهرة الاعراب لم تكن ظاهرة سليقة فى متناول العرب جميعا كما يقول النحاة، بل كانت صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية، و لم تكن من معالم الكلام العربــى فــى أحــاديث النــاس و لهجات خطابهم." (٢٢) و يقول: "ان تلك القواعد الاعرابية رغم وجود أساس لها فى لغة العرب، قد نسقها النحاة تنسيقا جديدا، فيه من قياسهم و ابتكارهم قدر غير قليل ... و هكذا، أصبح الاعراب شعار العصر أيام الرشيد و المــأمــون، و فى تلك العصــور الاسلاميــة الزاهرة. و مرت الايام على تلك الاصول الاعرابية فازدادت رسوخا، و أصبحت تحل من نفوس المتعلمين مكان التقديس و العبادة." (٢٣)

و قد تصدى عدد من العلماء و الباحثين للرد على الدكتور ابراهيم أنيس

و المستشرقين القائلين بنفى الاعراب عن العربية، نذكر من هؤلاء العلماء الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه " *فقه اللغة* " (٢٤)، و الدكتور صبحى الصالح فى كتابه "*دراسات فى فقه اللغة* " (٢٥)، و الدكتور رمضان عبدالتواب فى كتابه "*فصول فى فقه العربية* " (٢٦)، وغيرهم. و مع احترامنا و تقديرنا للأدلة التى جاء بها الداحضون للمذهبين القائلين بنفى الاعراب عن لهجات الحديث فقط، أو عنها و عن العربية المشتركة، فاننا سنأتى بأدلة أخرى، نوظّف فيها، لهذا الغرض، مبادىء العلوم اللسانية المختلفة. و سنفيد من بعض ما أورده هؤلاء العلماء. فيما يلى بعض أدلة القائلين بنفى الاعراب عن العربية المشتركة أو لهجات الحديث و الخطاب، و نرد عليها:

الدليل الأول : خلو اللهجات العامية المعاصرة من الاعراب :

يقول بعضهم ان خلو اللهجات العربية العامية المعاصرة من الاعراب، دليل على عدم وجوده، على الأقل، فى لهجات الخطاب القديمة. و يجعل ابراهيم أنيس ذلك دليلا قاطعا على عدم وجود التصرف الاعرابى فى اللهجات القديمة، فهو يقول: "لو أن أمرا نزل من السماء ينهى الناس عن الاعراب، و ينذرهم بالجحيم و سوء المصير، ان استمسكوا به (الاعراب)، ما كان هذا فى رأيى كافيا للقضاء على كل ظواهر الاعراب من ألسنتهم جميعا كما نرى الآن." (٢٧)

نقض الدليل :

١- تطور عدد من اللغات المعربة المعروفة من الاعراب الى اسقاط الاعراب، فى اللغات التى تفرعت عنها، حتى انه لا يكاد يظهر أثر واحد للاعراب فيها. فالفرنسية و الايطالية و الاسبانية و البرتغالية، لغات متفرعة عن اللاتينية، و لا أثر للاعراب فى أى منها، مع كون اللاتينية معربة. و لو كان وجود الاعراب فى الأصل يستدعى أن يوجد فى الفرع، لكان من الضرورى أن يظهر فى هذه اللغات. و اللغات السامية كانت معربة، و لكنها فقدت الاعراب فى عصور متقدمة جدا. و لا يمكن أن ينهض عدم وجود الاعراب فيها حاليا، دليلا على عدم وجوده فيها، فى غابر عصورها. و كذلك الشأن بالنسبة للعربية: فعدم وجود هذه الظاهرة فى العاميات المعاصرة، لا ينهض دليلا على أنها لم تكن موجودة فى عربية الاسلام و ما قبله.

٢- ليس غريباً أن تتفق اللهجات العامية جميعا، فى التجرد من علامات الاعراب، فقد اعترى أصوات العربية و قواعدها، فى اللهجات المحكية، كثير من صنوف التغير و الانحراف، و خضعت لقانون من قوانين التطور الصوتى، المتمثل فى "كون الأصوات الأخيرة من الكلمة ضعيفة، و قابلة للسقوط ". و يتم تمثيل هذا القانون رياضيا بالمعادلة التالية:

ح ← ф / ——— #

و تقرأ المعادلة كما يلى: تسقط الحركة فى الموقع الأخير من الكلمة. و ليس اتفاق اللهجات المحكية فى سقوط الاعراب أمرا غريبا، ما دام هذا الاتفاق خاضعا لقانون من قوانين التطور و ما دام الأمر كذلك، فانه من الخطل الكبير أن يعد سقوط الحركة الاعرابية فى اللهجات المحكية دليلا على عدم وجوده فى العربية الأم.

٣- و مع ذلك، ففى بعض اللهجات المحكية، بل معظمها، آثار للاعراب، تتمثل فى الاعراب بالحروف، كما فى " أخوك " و " أبوك "، و " يمشون " ... و هلم جرا.

الدليل الثانى : دقة قواعد الاعراب و تشعبها لا تتكافأ مع كون العرب أميين:

يقولون ان قواعد الاعراب على درجة عالية من التشعب و الدقة، و صعوبة التطبيق، مما لا يعقل معه أنها كانت تراعى فى لهجات الحديث اليومى. و هذا ما انتهى اليه غير واحد من المستشرقين، و من أخذ عنهم من كتّاب العرب (٢٧).

نقض الدليل:

١- ان دقة قواعد الاعراب و تشعبها، لا تنهض دليلا على أنه يصعب على الناطقين باللغة أن يتكلموا لغتهم، لا من الناحية النفسية، و لا اللغوية، و لا التطبيقية. فقد رأينا أن اللغات السامية كلها كانت معربة، حتى على مستوى الخطاب اليومى، فسقط الاعراب من معظمها، و بقيت الحبشية و الأكادية معربتين. و لما كانت هذه اللغات كلها معربة فترة طويلة من تاريخها، فليس لنا أن نتصور أنه كان من العسير على أبنائها أن يتواصلوا بها، برغم كون الامية فى العصور القديمة، التى عاشت فيها تلك اللغات معربة، أمرا عاديا. و هناك لغات معربة، لم يسقط منها الاعراب إلا حديثا، و ذلك مثل اللغة الايسلندية Icelandic. و هذا يعنى أن الناطقين بها، قطعوا عهودا طويلة من حياة اللغة، و هم يتكلمون بها معربة، دون أن يجدوا صعوبة فى الحديث بها. بل ان ثمة لغات معربة حتى اليوم، و معظم الناطقين بها أميون. فالسندية لغة معربة بصورة شبه كاملة، و هى لغة يتكلمها بضعة ملايين، معظمهم أميون. و لك أن تتصور بعد ذلك، كيف أن الناطقين باللغة من أبنائها الأصليين، لا يعيشون هذه الدوامة التى يعيشها الباحثون فى لغتهم. فأبناء اللغات المعربة، لا يعنيهم تقنين الاعراب و استنتاج قواعده. و الخطأ الجسيم الذى يقع فيه الذين يقولون ان النظام الاعرابى معقد، و ليس من السهل أن يمارس فى لغة الخطاب اليومى، هو أنهم لا يفرقون بين الناطقين باللغة، و دارسيها، كما أنهم ينظرون الى ظاهرة الاعراب، كما ينظر اليها المتعلمون فى العصر الحاضر، مع ما يعانيه

هؤلاء المتعلمون من سوء تعليم اللغة، و سوء تعلمها، و عدم وجود الحوافز، و غير ذلك من المتغيرات.

إن هذه المسألة من الأمور التى انتهى فيها علم اللغة، و علم اللغة النفسى، إلى قول فصل، فليست اللغة درسا يحفظ، و لا قصيدة تستظهر، فتكون عرضة للخطأ و النسيان على شكلهما التقليدى. اللغة نظام ذو وجهين، فوجه منه ذهنى مختزن فى أذهان أبناء اللغة. و ما زالت حقيقة هذا الوجه غير معروفة، لكثرة مجاهل عالم العقل. و يسمى هذا الوجه *بالكفاية* competence، و وجه منه منطوق، يسمى الأداء performance. (٢٩) و الذين يغالون فى نفى الاعراب عن العربية، ينظرون إلى أداء المعاصرين، ممن اكتسبوا *الكفاية* بجهد مكافىء للجهد الذى يبذل فى تعلم لغة أجنبية، و لا ينظرون اليه على أنه *كفاية لغوية*، يتم اكتسابها بالطريقة التى يكتسب العامى بها لهجته العامية، عن طريق قرن اللفظ بالمعنى، و فهم العلاقة بين المعنية العميقة، و المعنية السطحية، دون أن يعرف تفسيرا لهذا النظام بالضرورة. و لكن النحوى هو الذى يفسر نظام اللغة هذا أو ذاك، و هى مهمة لا شك صعبة و معقدة (٣٠). و لو درس الاعراب فى هذا الاطار، لما كانت هذه الحملات القاسية.

٢- ثم ان الصعوبة مسألة نسبية، فاذا كان الاعراب مثلا، هو المشكلة الكبرى فى عربية ما قبل الاسلام، و ما بعده، فان ظاهرات لغوية متعددة، فى لغات كثيرة، تعدّ أصعب بكثير من ظاهرة التصرف الاعرابى فى العربية. ففى الأيسلندية مثلا، تأتى أداة التعريف مختلفة بين المذكر و المؤنث و المحايد، افرادا و جمعا، ثم تلحقها علامات الاعراب، فيخرج منها نظريا أربع و عشرون حالة. و لكن بما أن علامة الاعراب فى الأسماء المجموعة كلها، تأتى واحدة فى حالة الجر، و واحدة فى حالة الاضافة، فان الأشكال التى تأتى عليها أداة التعريف عمليا عشرون فقط (٣١). ثم أين هى اللغة التى تخلو من صعوبات؟ و لماذا لم تكن الصعوبة وحدها كافية لطرح الظاهرة التى تتمثل فيها، فى هذه اللغة أو تلك؟

إن فى اللغات الالتصاقية agglutinative languages كالتركية و الكورية، ما يصعب حصره من الظواهر اللغوية، التى اذا قيس بها الاعراب، كان أخف منها و طأة، و أيسر سبيلا. ففى تلك اللغات، يتم تركيب المعنى و التراكيب، بالصاق عدد من الصيغ الصرفية، بشكل يبدو معقداً للدارسين، و إن كان مثل هذا التعقيد أمراً يغيب عن بال الناطقين بتلك اللغات و فى استراليا نحو ٢٠٠ لغة، و معظم أهلها الناطقين بها، من القبائل البدائية المختلفة. و أنظمة تلك اللغات معقدة جدا (٣٢)، دون أن يجد أبناؤها صعوبة فى نطقها و الحديث بها. و هكذا، فان صعوبة النظام اللغوى ليس لها علاقة بكون الناطقين باللغة أميين، أو حتى متخلفين.

الدليل الثالث : سقوط الاعراب من شواهد فصيحة :

استدل بعض الباحثين المعاصرين، ممن يقولون ان الاعراب كان مقصورا على اللغة المشتركة، بعدد من الشواهد القرآنية و الشعرية، على أن لهجات الحديث و الخطاب اليومى لم تكن معربة، و أن هذه الشواهد من آثار تلك اللهجات فى العربية المشتركة. و قد شغلت هذه القضية أذهان بعض العلماء منذ القديم. و قبل أن أورد آراءهم فيها، أود أن أسرد بعض هذه الشواهد:

١- قرئت الآية ٥٤ من سورة البقرة: "فتوبوا إلى بارئكم" بتسكين الهمزة فى "بارئكم".
٢- قرئت الآية ٦٧ من سورة البقرة: " ان الله يأمركم "بتسكين الراء فى "يأمركم".
٣- قرئت الآية ١٢٩ من سورة البقرة. "و يعلمهم الكتاب" بتسكين الميم فى "يعلمهم".
٤- قرئت الآية ١٥٩ من سورة البقرة: " و يلعنهم اللاعنون " بتسكين النون فى "يلعنهم".
٥- قرئت الآية ٢٢٨ من سورة البقرة: "و بعولتهن أحق بردهن" بتسكين اللام فى "بعولتهن".
٦- قرئت الآية ١٢٠ من سورة النساء "و ما يعدهم" بتسكين الدال فى "يعدهم".
٧- قرئت الآية ٦٤ من سورة المائدة: "أطفأها الله" بتسكين الهمزة الثانية فى "أطفأها".
٨- قرئت الآية ٨٠ من سورة الزخرف: "بلى و رسلنا لديهم يكتبون" بتسكين اللام فى "رسلنا".
٩- قرئت الآية ١٣٠ من سورة طـه: " لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا" بتسكين الثاء فى "يحدث".
١٠- قرئت الآية ١٠٩ من سورة الأنعام: "و ما يشعركم" بتسكين الراء فى "يشعركم".
١١- قرئت الآية ١٢٧ من سورة الأعراف: "أتذر موسى و قومه ليفسدوا فى الأرض و يذرك و الهتك " بتسكين الراء فى "يذرك".
١٢- قرئت الآية ٢٨ من سورة هود: "أنلزمكموها و أنتم لها كارهون" بتسكين الميم الأولى فى "أنلزمكموها".
١٣- قرئت الآية ٧ من سورة الزمر: "و ان تشكروا يرضه لكم" بتسكين الهاء فى "يرضه".

١٤- قرئت الآية ٤٣ من سورة فاطر: "استكبارا فى الأرض و مكر السيء" بتسكين الهمزة فى "السيء".
١٥- قرئت الآية ١٩ من سورة الكهف: " فابعثوا أحدكم بورقكم " بتسكين الراء فى " بورقكم ".
١٦- قرئت الآية ٢٢ من سورة النمل: "... من سبأ" بتسكين الهمزة فى "سبأ ".
١٧- قرئت الآية ٧٧ من سورة الزخرف: "و نادوا يا مالك" بتسكين الكاف فى "مالك".
١٨- قرئت الآية ٣٦ من سورة المؤمنون: "هيهات هيهات لما توعدون" بتسكين التاء فى "هيهات".
١٩- قرئت الآية ١٩ من سورة ابراهيم: " الم تر أن الله " بتسكين الراء فى "تر".
٢٠- قرئت الآية ٢٠ من سورة الشورى: " و من يرد ثواب الدنيا نؤته منها " بتسكين الهاء فى " نؤته ".
٢١- قرئت الآية ٦ من سورة المدثر: " و لا تمنن تستكثر " بتسكين الراء فى " تستكثر ".
٢٢- روى قول امرىء القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب　　اثما من الله و لا واغل

بتسكين الباء فى "أشرب".
٢٣- و قال الأقيشر الأسدى:

رحت و فى رجليك ما فيهما　　و قد بدا هنك من المئزر

بتسكين النون فى "هنك".
٢٤- و قال جرير:

سيروا بنى العم، فالأهواز منزلكم
و نهر تيرى فلا تعرفكم بها العرب

بتسكين الفاء فى "تعرفكم".

و قد أورد السيوطى بعض هذه الشواهد قائلا: "اختلف فى جواز حذف الحركة الظاهرة من الأسماء و الأفعال الصحيحة على أقوال أحدها: الجواز مطلقا، و عليه ابن مالك، و قال (ابن مالك) "أن أبا عمرو حكاه عن لغة تميم." (٣٣)

و قد استشهد بعضهم بنص رأوا فيه دلالة واضحة على أن لهجات الخطاب و الحديث اليومى، فى العربية، لم تكن معربة. هذا النص هو: " قال أبوالعيناء: ما رأيت مثل الأصمعى قط، أنشد بيتا من الشعر، فاختلس الاعراب ثم قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كلام العرب الدرج. و حدثنى عبد الله بن سوار، أن أباه قال: العرب تجتاز بالاعراب اجتيازاً. و حدثنى عيسى بن

عمر أن ابن أبى اسحاق قال: العرب ترفرف على الاعراب و لا تتفيهق فيه. و سمعت يونس يقول: العرب تشام الاعراب و لا تحققه. و سمعت الخشخاش بن الحباب يقول: العرب تقع بالاعراب و كانها لم ترد. و سمعت أبا الخطاب يقول اعراب العرب الخطف و الحذف. قال: فتعجب كل من حضر منه." (٣٤)

نقض الدليل:

١- لا تصح نسبة اسقاط الحركة الاعرابية إلى تميم، فان أشعار القوم معربة، و قد قام بجمع الكثيرمن أشعارهم الدكتور عبد الحميد المعينى (٣٥)، و ما لم يجمعه منها، كان قد نشر فى دواوين مستقلة. و لو كان مذهب تميم اسقاط الحركة الاعرابية، لجاء الكثير من أشعارهم غيرمعرب. و اذا فرضنا أن تميما كانت لا تعرب الكلام فى أحاديثها اليومية، فهل معنى ذلك أن كل القبائل كانت كذلك؟ و أما القول بجواز اسقاط الحركة الاعرابية من العربية المشتركة، بدلالة اسقاط تميم لها، فمدفوع بأن العربية المشتركة هى غير لهجة تميم، فما يجوز فى هذه، لا يعنى أنه جائز فى تلك بالضرورة. هذا اذا سلمنا أن تميما كانت لا تعرب. غير أن هذا الفرض لا يستقيم، بدلالة أن تميما كانت تصرف كلمات صرفا اعرابيا تاما، بينما تمنع العربية المشتركة ذلك. فقد روى أن تميما كانت تصرف، كلمة (فُرادى)، فتجعلها (فُراداً) و (فرادٍ). و روى أنهم كانوا يصرفون كلمتى (عكاظ) و (كلاء)، مما يدل على أصالة الاعراب فى لهجتهم (٣٦).

و هناك ما يدل دلالة واضحة على أن تميما كانت تعرب كلامها كله، فهناك كلمات ترد فى العربية المشتركة باعراب، و ترد فى لهجة تميم باعراب آخر. ولو كانت تميم تسقط الاعراب، لجاءت هذه الكلمات ساكنة، لا معربة بحركة أخرى غير التى ترد فى العربية المشتركة، فكلمة (حيث) مبنية على الضم فى العربية المشتركة، بينما هى مبنية على الفتح فى لهجة تميم (٣٧)، و بينما يعمل الحجازيون (ما) عمل (ليس)، فان تميما لا تفعل ذلك، فيقولون: ما زيد منطلق، دون أن يسقطوا الاعراب. و روى مثل ذلك فى خبر (ليس). قال الأصمعى: جاء عيسى بن عمر الثقفى و نحن عند أبى عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، ما شىء بلغنى عنك تجيزه؟ قال : و ما هو؟ قال بلغنى أنك تجيز "ليس الطيبُ الا المسكُ " بالرفع. قال أبو عمرو: ذهب بك يا أبا عمرو (و كانت كنيته هو الآخر أبا عمرو) نمت و أدلج الناس، ليس فى الأرض حجازى الا و هو ينصب ، و لا فى الأرض تميمى الا و هو يرفع (٣٨). فلو كان الأمر كما يقول أصحاب الدليل الذى نحن بصدد مناقشته، لقال أبو عمروبن العلاء بنسبة التسكين إلى تميم، بدلا من الرفع.

٢- أما النص الذى يستشهد به بعضهم، و الذى وصف بأنه نص خطير، فليس

فيه دلالة على اسقاط الاعراب، بل انه يفسر تفسيرا جيدا مفهوم " اختلاس الاعراب ". فالنص، و كنا قد أوردناه من قريب، يورد عبارة " فاختلس الاعراب "، و كان من الممكن الادعاء بأن معنى الاختلاس هنا، الاسقاط، لولا ورود العبارات التالية في النص: " كلام العرب الدرج "، " العرب تجتاز بالاعراب اجتيازا "،" العرب ترفرف على الاعراب و لا تتفيهق فيه "،" العرب تشام الاعراب و لا تحققه "،" العرب تقع بالاعراب و كأنها لم ترد "،" اعراب العرب الخطف والحذف". فمجموع هذه العبارات يدل على أن الاعراب في لغة العرب يأتي سليقة، غير متكلف و لا مصنوع، و أنه يوظف في كلامهم، دون أن يقصد إلى تحقيقه بالجهد الذي يبذله المتعلمون أو بعض المتعلمين.

٢- ان سقوط الاعراب من الشواهد التي مرت، ليس بالأمر الذي يصعب تفسيره في ضوء معطيات علم النظم الصوتية phonology. فاستقراء الشواهد السابقة كلها يفضي إلى استنباط القواعد التالية:

(أ) تسقط الحركة الاعرابية اذا كانت مسبوقة أو متبوعة بصوت متأخر. و المقصود بكونه متأخرا، أن يكون اللسان في وضع خلفي، أو أن يكون موضع نطق هذا الصوت في نقطة متأخرة. و تنطبق هذه القاعدة على الشواهد السابقة كلها، باستثناء الشاهدين ٨ و ٩. دعنا نوضح انطباق هذه القاعدة على الشاهد الأول مثلا: " فتوبوا إلى بارئكم "، نقول: حذفت الحركة التي بعد الهمزة، بسبب كونها مسبوقة بالهمزة ذات الموضع المتأخر (فهي حنجرية كما هو معروف)، أو بسبب كونها متبوعة بالكاف ذات الموضع المتأخر (فهي حنكية متأخرة). و ما من شاهد من شواهد هذه القاعدة، الا و القاعدة تفسره. و يمكن التعبير عن هذه القاعدة بالمعادلة التالية:

[+ متاخر] ـــــــــــ

ح ← ϕ / ـــــ [+متاخر]

(ب) أما الشاهدان ٨ و ٩ فقد حذفت الحركة في كل منهما، بسبب كونها مسبوقة بصامت متقدم، و متبوعة بصامت متقدم كذلك. فالنون و اللام في (رسلنا) صامتان متقدمان، و الثاء و اللام في (يحدث لهم) صامتان متقدمان أيضا. و يمكن التعبير عن هذه القاعدة بالمعادلة التالية:

ح ← ϕ / ص [+ متقدم] ـــــــــ ص [+ متقدم]

أما الشاهد رقم ٢١ "و لا تمنُن تستكثر" ، فقد يقال انه لا يمكن تفسيره في ضوء القاعدتين السابقتين، لظنّ يساور القارىء في أن الحركة الاعرابية قد حذفت من آخر "تستكثر" مع كونها (أ) ليست مسبوقة و لا متبوعة بصوت متأخر (ب) ليست محصورة بين صامتين متقدمين. و الواقع أن حذف الضمة

هنا عند الوقف، أمر لا غرابة فيه، فالحركات الاعرابية تحذف عند الوقف كما هو معلوم. و لكن المشكلة تبرز عند وصل الكلمة بما بعدها " و لا تمنن تستكثـر. و لربك فاصبر "، اذ يبقى حذف الضمة قائما عند الوصل. غير أننا اذا تنبهنا إلى أن الضمة متبوعة بالواو مباشرة " تستكثر، و لربك ... "، و اذا عرفنا أن الضمـــة صوت متأخـــر، تبين لنا أن تفسير حذف الضمة هنا مطّرد مع القاعدة الأولى.

و نحب أن ننبه هنا، إلى حقيقة مهمة و هى أن حذف الحركة فى هذه الشواهد هو حذف اختيارى optional لا الزامى. و هذا من وجهة نظر علم النظم الصوتية، كاف وحده لاثبات بطلان الزعم القائل ان التسكين من خصائص اللهجات التى كان العرب يمارسونها فى حياتهم اليومية. إذ لو كان الأمر كما يقولون، لسقطت الحركة الاعرابية فى كل موقع، بحيث يصعب تفسير الظاهرة، على النحو الذى مرّ.

الدليل الرابع : وجود اللحن فى مرحلة مبكرة جدا :

يعتمد الكثيرون ممن ينفون الاعراب عن اللهجات المحكية، فى فترة الاسلام و ما قبله، على روايات جاءت فيها حركة اعرابية فى غير موضعها الصحيح. و يستشهدون لذلك بالحديث الشريف " أرشدوا أخاكم فانه قد ضل "، مشيرا إلى من كان قد وقع فـى لحن بحضور النبى صـــلى الله عليـه وســـلم. و يستشهدون بقول عمر بن الخطاب: " لحنكم أشد علي من سوء رميكم "، لمن قالوا له: " انّا قوم متعلمين يا أمير المؤمنين "، معتذرين عن خطئهم فى الرمى. و كان ذلك، و غيره أيضا، قبل اختلاط العرب بغيرهم.

نقض الدليل :

١- ان العلاقـــة بين وجـــود الاعراب، و الوقـــوع فى اللحن، ليست علاقـــة سبب و نتيجـة، الا اذا كان القـانون مثـلا، هـو السبب فى الخروج على القـانون. و هذا منطق لا تستقيم دعائمه، و لا تثبت أمام النقد أركانه. ثم ان اللحن كما يكون فى الاعراب، يكون فى غيره، فمن اللحن ابدال صامت بصامت، مثلا ابدال الصاد فى "صفح الجبل" سينا، لتصبح "سفح الجبل" (٣٩) فهذا لحن فى الأصوات. و من اللحن ما يكون فى الصرف، مثل الخطأ فى جمع كلمة "أرض" على "أراض" بدلا من "أرضين" (٤٠). و من اللحن ما يكون فى التركيب، كأن تقول: "هذه ملحفة جديدة، و هذه ملحفة خلقة" بدلا من "ملحفـة جديـــدة، و ملحفة خلق" (٤١). و من اللحن ما يكون فى الدلالة، كأن تقول: "بكرت اليك" و أنت تريد "غدوت" لا غيرها، ظنا منك أنه لا يجوز استعمالها فى غير ذلك. قال ابن دريد: "البكور: التعجيل فى جميع أوقات النهار، يقال: "أنا أبكر اليك العشية." (٤٢) فمن مجموع هذه الأمثلة يتبين

يستخدمون فى لقاءاتهم التى يتواصلون بها فى مواسم خاصة معروفة، كمواسم الحج و التجارة، و أسواق عكاظ، و ذى المجنة، و ذى المجاز لغة راقية، يقولون بها الشعر، و يخطبون، و ينافر بعضهم بعضا، و يستعملونها ليتفاهموا بها، حتى فى أحاديثهم العادية أثناء تلك اللقاءات، فاذا رجعوا إلى قبائلهم، استعملوا نمطا أقل رقيا، و أدنى مرتبة، مع كون النمطين معربين كما وضحنا. فاذا لم تكن هذه ازدواجية، فماذا اذن ؟

و تبرز قضية الاعجاز القرآنى، و ما ارتبط بها من تحدّى القرآن الكريم للعرب بأن ياتوا بمثله، دليلا على ما ذهبنا اليه. فقد تحدّى القرآن العرب كافّة، أفرادا و جماعات. و لا يوجد دليل واحد، يثبت أنه كان يتحدى الشعراء و الخطباء خاصة، بل كان يتحداهم جميعا، لانهم جميعا قادرون على أن يتحدثوا باللسان المشترك، الذى هو البلاغة الرفيعة، و الأسلوب العالى، و الأنماط الراقية من البيان، تتواصل بها قبائلهم بعضها مع بعض، و إن كانوا ينصرفون إلى الحديث بلهجاتهم، التى لا تصل إلى بلاغة العربية المشتركة، حين يعودون إلى مضاربهم، و أماكن سكناهم.

كانت هذه هى العربية المشتركة، و كانت تلك ملامحها. فلما اتسعت رقعة الاسلام، و امتدت حدود دولته، امتدت معها حدود العربية المشتركة التى أصبحت لغة العبادة، بالنسبة لأولئك الذين دخلوا فى الاسلام، ممن لم يكن فى مقدروهم أن يجاروا غيرهم فيها. و اذن، فقد كان هناك امتداد و انحسار، امتداد يتمثل فى خروج اللغة إلى مناطق جديدة، و انحسار يظهر فى انحراف الألسنة، عن مقاييس اللغة المشتركة، كما يظهر فى عدم قدرة الكثيرين، من أبناء المدن خاصة، على أن يجاروا من ظلوا يتمسكون بوشائج العربية المشتركة، كما عرفوها من قبل. و هذا هو مفهوم " اللغة السائدة " Koine، كما وضحنا من قبل. يؤكد هذا التطور الجديد، ما رواه الجاحظ من أن معاوية بن أبى سفيان، قال لصحار بن عياش العبدى: " ما هذه البلاغة التى فيكم؟ قال: " شىء يجيش فى صدورنا، فنقذفه على ألسنتنا "، قال له معاوية: " ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: " الايجاز " و يؤكد ذلك أيضا ما رواه الجاحظ كذلك، عن المفضل الضبى أنه قال: " قلت لأعرابى منا: ما البلاغة؟ قال لى: الايجاز فى غير عجز، و الاطناب فى غير خطل." (٤٩)

و يمكن ايجاز المراحل التى مرت بها العربية المشتركة، إلى أن أصبحت سائدة Koine، فيما هوآت:

١- مرحلة التهجين pidginization، و هى مرحلة اختلاط العرب بعضهم ببعض فى مواسم و اتصالات معينة، و اختلاطهم بغيرهم من الأمم على نطاق ضيق نسبيا. و لابد أن يكون الشعراء و الخطباء البلغاء هم رواد هذه المرحلة، فهى مرحلة ريادة اذن.

٢- مرحلة التوليد creolization، و فيها نشأ جيل البلغاء الذين يتواصلون فيما بينهم بالأساليب العالية، و الأنماط البليغة الراقية.

و إلى هاتين المرحلتين، يمكن ارجاع العديد من الظاهرات اللغوية التى دخلت فى العربية المشتركة، من لهجات متعددة. فتعدد الجموع مثلا، فى اطار العربية المشتركة، يمكن تفسيره على هذا الأساس، أى أنه لا بد أن يكون قد انتقل اليها فى احدى هاتين المرحلتين، أو فيهما معا. و فى هاتين المرحلتين، لم يكن فصحاء العرب و شعراؤها بمعزل عن التأثر بلغات الأمم المجاورة لهم، كما نص على ذلك غير واحد من العلماء (٥٠)، و بهذا نفسر ورود كلمات أعجمية، فى أشعار بعض الجاهليين و الاسلاميين، و ذلك مثل كلمة " بستان " الفارسية المعربة، و التى وردت فى قول الأعشى:

يهب الجلّةَ الجراجرَ كالبستان تحنو لِدَرْدَقٍ أطفالِ

و قال لبيد:

و تضىء فى وجه الظلام منيرة كجمانة البحرىّ سلّ نظامها

"الجمانة" كلمة فارسية معرّبة، و هى الخرزة من فضة.

و قال أبو داود الأيادى، و هو أيضا شاعر جاهلى:

و لقد كان ذا كتائب خضر و بلاط يشاد بالآجرون

"الآجرون" لغة فى "آجر"، و هى فارسية معربة كذلك.

و قال عدىّ بن زيد:

و دعا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها ابريق

"الابريق" كلمة فارسية معربة.

و قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

و هى زهراء مثل لؤلؤة الغوّا ص، ميزت من جوهر مكنون (٥١)

"الجوهر" كلمة فارسية معربة أيضا.

و يقتصر التأثير الأجنبى فى هاتين المرحلتين، على نقل كلمات من لغات أخرى، و اخضاعها لاحدى الصيغ العربية، بعد تعديل بعض أصواتها، بمايتفق و الأصوات العربية. قال الشاطبى فى معرض حديثه عن اللفظ الأعجمى، اذا انتقل إلى العربية: " ... فان العرب اذا تكلمتْ به صار من كلامها. ألا ترى أنها لا تدعه على لفظه الذى كان عليه عند العجم، الا اذا كانت حروفه فى المخارج والصفات كحروف العرب، و هذا يقل وجوده. و عند ذلك يكون منسوبا إلى العرب، فأما اذا لم تكن حروفه كحروف العرب، أو كان بعضها كذلك دون بعض، فلا بد له من أن تردها إلى حروفها، و لا تقبلها على مطابقة حروف العجم أصلا. و منها ما تتصرف فيه بالتغيير، كما تتصرف

فى كلامها، و اذا فعلت ذلك صارت تلك الكلم مضمومة إلى كلامها، كالألفاظ المرتجلة، و الأوزان المبتدأة لها. هذا معلوم عند أهل العربية، و لا نزاع فيه و لا إشكال." (٥٢)

٣- مرحلة استقرار العربية المشتركة. و قد نزل القرآن الكريم فى هذه المرحلة. و تنعكس على لغة هذه المرحلة معطيات المرحلتين السابقتين. و عليه، فليس من الغريب أن نجد فى القرآن الكريم، الكثير من الظاهرات اللغوية التى يمكن ردّها إلى تنوع لهجى، كان قد انتقل إلى العربية المشتركة فى المرحلتين السابقتين، سواء أكان ذلك من الناحية الصوتية، أم الصرفية، أم التركيبية، أم الدلالية.

٤- مرحلة سيادة العربية و انتشارها، على النحو الذى وضحناه سابقا.

الحواشى و التعليقات :

١ أنظر الدراسات التالية مثلا C Ferguson, "Diglossia," *Word*, # 15, 1959, PP. 325-40.

R A. Hudson· *Sociolinguistics* Cambridge U. Press, 1986, pp. 54-55.

P. Trudgill *Sociolinguistics* Penguin Books, 1979, pp. 117-118.

٢. أنظر Ferguson, Ibid, p 325.

٣ أنظر J. Fishman, "Bilingualism with and without Diglossia: Diglossia with and without Bilingualism, The Journal of Social Issues #23, pp 29-38.

٤. أنظر R. A. Hudson, Ibid, p. 55

٥. J. Chambers & P. Trudgill. *Dialectology* Cambridge University Press, 1986, p. 6.

٦. أنظر Lenora Timm, "Diglossia-Old and New, " *Anthropological Linguistics*, 23, # 8, 1981, p. 356.

٧ أنظر أحمد نصيف الجنابى ملامح من تاريخ اللغة العربية. بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، ص ٥٣

٨ أنظر L. Bloomfield. Language. N. Y. ,Holt, Rinehart & Winston, 1933.

٩ P. Hornby. Bilingualism. N. Y. ,Academic Press, Inc., 1977. p. 3

١٠. أنظر: W. Lambart, "The Effect of Bilingualism on the Individual Congnitive and Socio-cultural Consequences," in P. Hornby (ed.) Bilingualism. N. Y., Academic Press, 1977, pp. 15-27.

١١. أنظر R. E. Keller, "Diglossia in German-Speaking Switzerland," in Haas, W. (ed.) *Standard Languages*, Manchester U. Press, 1982, p. 73.

١٢. أنظر Robert Hall. Introducing Linguistics. Chilton Books, 1964, p. 376.

١٣. أنظر Derek Bickerton. Roots of Language. Ann Arbor, Karoma publishers, Inc., 1981, p. 2.

١٤. أحمد علم الدين الجندى. اللهجات العربية فى التراث، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٣٢.

١٥ ابراهيم أنيس *فــي اللهجــات العربيــة*، القاهــرة، الانجلو مصــرية، ط ٤، ١٩٧٣، ص ٢١ ـ ٢٠

١٦ أحمد الجندى، مرجع سابق، ص ١٦-٢٢

١٧ ابراهيم أنيس، مرجع سابق، ص ص ٢١ -٢٣

١٨ أنظر W. Labov, *Sociolinguistic Patterns*, University of Pennsylvania Press, 1972, pp 1-2

١٩ يوهان فك *العربية ـ دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب* ترجمة رمضان عبدالتواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠، ص ص ١٥ـ٦

٢٠ رمضان عبدالتواب *فصول فى فقه العربية*، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٧، ص ٣٣٣

٢١ المرجع السابق، ص ٣٣٧

٢٢ ابراهيم أنيس *من أسرار اللغة* ط ٥ ، القاهرة، الانجلو مصرية، ١٩٧٥، ص ٢٠٣

٢٣ المرجع السابق، ص ٢٠٩

٢٤ انظر الطبعة السابعة من الكتاب المشار اليه، الصفحات ٣١٠ ـ٣١٦

٢٥ الصفحات ١٢٢ـ١٤ من الطبعة الخامسة

٢٦ الصفحات ٢٢٩ـ٢٥

٢٧ ابراهيم أنيس من أسرار اللغة، ص ٢١٦

٢٨ أنظر مدلول هذا القول فى العبارات التالية " و معنى هذا أن العربية فى لهجاتها لم تكن متقيدة بهذه الضوابط الثقيلة " و " شيوع اللحن دليل ايضا على أن للقوم لغة يتحففون فيها من الضوابط الثقلية " و " شيوع اللحن فى مختلف الطبقات، دليل على أن هذا الاعراب ثقيل لا تحتمله سليقة العرب اللغوية " و " ما استطاعت لغة القران و الحديث أن تاتى على اللهجات الدارجة المحلية، أو قل على العربية المستعملة السهلة، و التى تتحفف من قيد الضوابط الثقيل " انظر ابراهيم السامرائى *فقه اللغة المقارن* بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨، ص ص ٢٩ـ١٣

٢٩ أنظر N. Chomsky *Aspects of the Theory of Syntax* The M. I. T., 1982 p. 10

٣٠ أنظر R. *Langacker Language and its Structure*, N. Y. Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1973, p. 32

٣١ عمر فروخ *القومية الفصحى* بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦١، ص ٤٩

٣٢ أنظر R. Dixon *The Languages of Australia* Cambridge University Press, 1980, p. 1

٣٣ جلال الدين السيوطى *همع الهوامع* ج ١، بيروت، دار المعرفة، ص ٥٤

٣٤ رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص ٦٥

٣٥ أنظر كتابه شعر بني تميم في *العصر الجاهلي*، منشورات نادى القصيم الأدبى، ١٩٨٢

٣٦ ضاحى عبد الباقى *لغة تميم* منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٥، ص ٥٠٢

٣٧. المرجع السابق، ص ٤٩٩

٣٨. المرجع السابق، ص ٥١٠

٣٩. ابن قتيبة . *أدب الكاتب* ط ٤، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة المكتبة التجارية، ١٩٦٣، ص ٢٩٩.

٤٠. على بن بالى القسطنطينى *خير الكلام فى التقصى عن أغلاط العوام*، بتحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، ص ١٨

٤١. ابن السكيت *اصلاح المنطق*، بتحقيق أحمد شاكر، و عبد السلام هارون، القاهرة دار المعارف، ١٩٤٩، ص ٢٤٣

٤٢ محمد عيد *المظاهر الطارئة على الفصحى* القاهرة عالم الكتب، ١٩٨٠، ص ١٥

٤٣ الجاحظ *البيان و التبيين*، ج ٢، بتحقيق عبد السلام هارون، ص ٢٢.

٤٤ أنظر J Richards (ed) *Error Analysis* Longman, 1974, p 19

٤٥ أنظر H Walsh (ed) *Phonology and Speech and Remediation* Houston, College-Hill Press 1977 p 122

٤٦ أنظر أمثلة ذلك في E Traugott and M Pratt Linguistics for Students of Literature N Y , Harcourt Brace Jovanovich, Inc , 1980, p 36

٤٧ شرح الأشموني، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة النهضة المصرية، ١٩٥٥، ص١٨٦

٤٨ أنظر Graham Hough *Style and Stylistics* London 1969, p 63

٤٩ الجاحظ، البيان و التبيين ج ١، ص ٩٦

٥٠ عفيف دمشقية *المنطلقات التأسيسية و الفنية إلى النحو العربي*، معهد الانماء العربي، ١٩٧٨، ص ٩٥

٥١ المرجع السابق، ص ص ٨٦ - ٩٢

٥٢ محمد أبو زهرة *الشافعي - حياته و عصره، آراؤه و فقهه* ط ٢ القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٨، ص ١٩٠.

المراجع

المراجع العربية :

١ أبو زهرة، محمد الشافعي ط ٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٨

٢ ابن خالويه مختصر في شواذ القران بتحقيق ج برجشتراسر

٣ ابن السكيت، يعقوب اصلاح المنطق، بتحقيق أحمد شاكر، و عبدالسلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٩

٤ ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم أدب الكاتب بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٦٣

٥ ابن منظور، محمّد بن مكرّم لسان العرب القاهرة، الدار المصرية للتأليف و الترجمة

٦ الأشموني شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥

٧ أنيس، ابراهيم في اللهجات العربية ط٤، القاهرة، الانجلو مصرية، ١٩٧٣

٨. أنيس، ابراهيم. من أسرار اللغة ط٥، القاهرة، الانجلو مصرية، ١٩٧٥.

٩ باكلاّ، محمد حسن، و أخرون معجم مصطلحات علم اللغة الحديث بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٣

١٠ بركة، بسام معجم اللسانية طرابلس، جروس - بيرس، ١٩٨٥.

١١ الجاحظ، عمروبن بحر البيان و التبيين، بتحقيق عبد السلام هارون، ط٤، بيروت المجمع العلمي العربي الاسلامي، ١٩٤٨

١٢ العنانى، أحمد نصيف ملامح من تاريخ اللغة العربية بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١
١٣ الجندى، أحمد علم الدين اللهجات العربية فى التراث القاهرة، ١٩٦٥
١٤ الخولى، محمد على معجم علم اللغة النظرى بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٢
١٥ دمشقية، عفيف المنطلقات التأسيسية و الفنية إلى النحو العربى معهد الانماء العربى، ١٩٧٨
١٦ السامرائى، ابراهيم فقه اللغة المقارن بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨
١٧ السيوطى، عبد الرحمن همع الهوامع بيروت، دار المعرفة
١٨ الصالح، صبحى دراسات فى فقه اللغة، ط٥ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣
١٩ عبد الباقى، ضاحى لغة تميم منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٥
٢٠ عبدالتواب، رمضان فصول فى فقه اللغة القاهرة، دار التراث، ١٩٧٧
٢١ عيد، محمد المظاهر الطارئة على الفصحى القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٠
٢٢ فروخ، عمر القومية الفصحى بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦١
٢٣ فك، يوهان العربية - دراسات فى اللغة و اللهجات و الأساليب ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٨٠
٢٤ القسطنطينى، على بن بالى خير الكلام فى التقصّى عن أغلاط العوام، بتحقيق حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣
٢٥ المسدّى، عبد السلام قاموس اللسانيات الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤
٢٦ المعينى، عبد الحميد شعر بنى تميم فى العصر الجاهلى منشورات نادى القصيم الأدبى، ١٩٨٢
٢٧ مكتب تعريب التنسيق معجم اللسانيات مطبوع على الآلة الكاتبة
٢٨ الموسى، نهاد فى تاريخ العربية عمان، ١٩٧٦
٢٩ الهمور، عبد الفتاح الحمل على الجوار فى القرآن الكريم الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٨٥
٣٠ وافى، على عبد الواحد فقه اللغة ط٧، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٢

المراجع الأجنبية :

1. Bickerton, Derek. Roots of Language Ann Arbor. Karoma Publishers, Inc., 1981, p 2.
2. Bloomfield, L. Language. N. Y., Holt, Rinehart & Winston, 1933.
3. Chambers, J. & P. Trudgill. Dialectology. Cambridge University press, 1986.
4. Chomsky, N Aspects of the Theory of Syntax. The M. I. T. Press, 1982.
5. Dixon, R. The Languages of Australia Cambridge University Press. 1980.
6. Ferguson, C. " Diaglossia," Word # 15, 1959.
7. Fishman, J "Bilingualism with and without Diglossia: Diglossia with and without Bilingualism," The Journal of Social Issues, # 23.
8. Hall, R. Introducing Linguistics. Chilton Books, 1964.

9. Hornby, P. Bilingualism. N. Y., Academic Press, Inc., 1977.

10. Hudson, R. A. Sociolinguistics. Cambridge University Press, 1986.

11. Keller, R. E. "Diglossia in German-Speaking Switzerland," in Haas, W. (ed.) Standard Languages. Manchester University Press, 1982.

12. Labov, W. Sociolinguistic Patterns. University of Pennsylvania Press, 1972.

13. Lambart, W. "The Effect of Bilingualism on the Individual Cognitive and Socio-cultural Consequences," in Hornby, P. (ed.) Bilingualism. N. Y., Academic Press, 1977.

14. Langacker, R. Language and its Structure. N Y., Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1973.

15 Richards, J. (ed.) Error Analysis. Longman, 1974.

16. Timm, L. "Diglossia - Old and New," Anthropological Linguistics, 23, # 8, 1981.

17. Traugott, E. and M. Pratt. Linguistics for Students of Literature. N. Y., Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 189.

18. Trudgill, P. Socio-linguistics. Penguin Books, 1979.

19. Walsh, H. (ed.) Phonology and Speech and Remediation. Houston, College - Hill press, 1977.

مؤسس ديانة السيخ

المُرشـــد نانك

(١٤٦٩-١٥٣٩م)

بقلم: ب. ك. ناراين

ولد نانك في عام ١٤٦٩م حينما كانت الهند تمر فترة بالغة الخطورة بسبب نزاعاتها الداخلية مما مهد الطريق لغزو المغول لها ، و سافر نانك إلى أقطار عديدة و كان في معظم أسفاره ، و كانت تستغرق عدة سنوات، يسير على قدمين ، و سافر مرة إلى الشمال إلى جبال هيمالايا المغطية بالثلوج و زار كلا من التبت و الصين و مرةً إلى كل من البنغال و بورما شرقاً و مـرةً إلى سـرى لنكا جنوباً و أخيراً إلى كل مـن بلوشستـان و أفغانستـان و ايـران و الجزيرة العربيـة و الأماكن المقدسـة فيها و إلى القدس و تركيـا و مصـر ، و استغرقت هذه الأسفار ثلاثين عاماً نظراً لقلة المواصلات و صعوبات السفر التي كانت تواجه المسافرين في القرن السادس عشر.

و لما سافر نانك إلى مدينة ملتان الشهيرة بأوليائها قدّم له سكانها كـوبا من الحليب ممتلئاً لحافته إشارة إلى أن لديهم عدد كبير من الزعمـاء الروحيين و أنهم ليسوا بحاجة لمرشد آخر فأدرك نانـك القصد وراء هذه الإشـارة و أعاد لهم الكوب بعد أن وضع وردة علـى سطح الحليب إشـارة إلى أنه يطـوف خفيفاً على السطح و يبث رائحة عطرة للجميع دون أن يكون عبئـاً على أحد.

لقد أبدى نانك مواهبه الروحية منذ نعومة أظفاره ، و عندما دخل المدرسة انقلبت الموازين رأساً على عقب إذ كان هـو الـذى بـدأ يعلّم أستـاذه و ليس العكس. و مرةً أعطى لأستاذه النصيحة التالية :

" أحرق كافـة الهموم الدنيويـة و من رمادها اجعل محبرةً و اكتب على ورقـة الإيمان أسماء اللّـه الحسنىٰ بالحـب و التفاني و اجعل القلب قلماً و العلم حبراً."

و كان نانك معاصراً للملك المغولى بابر و كان الملك معجباً بشخصيته و تعاليمه فصادف أن لقيه يوماًما فعرض عليه الملك أن يطلب منه أية منة أو هدية فأجاب نانك :

" إن اللّه سبحانه و تعالى وحده يملك ما بين السماوات و الأرض و يعطى من يشاء دون حساب فمن يحب اللّه يستغنى عن كل شىء و عن كل طلب و يعتبر نفسه وصياً على ما أعطاه اللّه من مال سواء كان قليلاً أو كثيراً و ليس مالكاً له."

و التمس منه الملك بابر النصيحة فقدّمها له و تشتهر هذه النصيحة باسم "*نصيحة نامه*" و مفادها أنه يجب على الملك أن يعبداللّه يومياً و يحكم بالعدل و المساواة. و أن الكلمة الربانية هى الحل الوحيد لكافة المشاكل و المصائب فى الحياة الدنيا و الآخرة و من طهّر قلبه يستطيع أن يستمع للصوت الربانى بوضوح. و من يحب اللّه قلباً و قالباً لن يضر أحداً من خلقه بأى مبرر من المبررات.

و كانت الأيام التى عاش فيها المرشد نانك تسودها الفوضى و الظلم و القسوة من غير حدود و وصفها نانك نفسه قائلاً :

إن الملوك هم الجزارون و يعاملون رعاياهم بقسوة صارمة و يتصرف أولياء الأمور دون أدنى مسئولية و تغطى غيوم الباطل كلمة الحق و الصدق."

و لا تمارس الأديان إلا فى المظاهر الخارجية و نسى الجميع روحها الطاهرة المؤدية إلى اللّه سبحانه و تعالى و مادام الإنسان ينسى الهدف الأساسى للأديان أى الاقتراب من اللّـه عزّ و جلّ فانه ينساق إلى التعصب و الطائفية و النفاق و من يصبّ إلى اللّه لا ينغمس فى الجدل و الخلاف و الرياء و النزاعات الهدامة مع خلق اللّه.

و كانت الأوضاع السياسية و الاجتماعية أنذاك قد وصلت إلى درجة التدهور و مارست السلطات أسوأ المظالم باسم الدين كما ارتكبت الشهوات و الفواحش دون حدود و كان المجتمع متسماً بفقد الثقة و ساد اليأس صفوف الحكام و عامة الناس على السواء. و ظهر نانك فى وسط هذه الأوضاع المظلمة و بدأ يصوغ نمطاً جديداً لحياة الملايين من الناس لينقذهم من الذل و الإهانة و الانحلال الفكرى و الخلقى و نجح إلى حدّ كبير فى التوفيق و المواءمة بين الأديان المختلفة معتمداً على القيم الروحية المشتركة بينها.

هب النسيم على الربى فتضاحكت — بشرى العميد عرارها و الجادى
و الأصدق الأمى أفصح لهجة — ممن تكلم باللسان الضادى
قد جاء و الدنيا على ظلماتها — و الجهل و البؤس على اعتاد
فأضاء كالبدر المنير و وجهه — نور مبين فى ظلام دادئ

و يقول الشيخ اعزاز علي فى وصف دار العلوم :

دار العلوم بفيضها المدرار — فاقت ضياء الشمس نصف النهار
باق على مرّ الزمان لأهله — من فيضها الهطّال بحر جار

و يرثى شاعر من الدار بوفاة الشيخ محمد قاسم النانوتوى .

رحلت عنا و لم يوجد بديلك فى — العلوم و الفضل من عرب إلى صين
يا عين جودى بدمع غير منقطع — على الذى جل من مدح و تأبين

و فى الباب الثالث قد ذكر المؤلف مساهمة علماء الدار فى اللغة و الصرف و النحو. نذكر منها على سبيل المثال قاموس "*مصباح اللغات*" (عربى ـ أردو) من إعداد عبد الحفيظ البلياوى على غرار المنجد.

و فى الباب الرابع ذكر الشروح و التعليقات على القصائد العربية القديمة مثل المعلقات السبع، و شرح الحماسة لأبى تمام و ديوان المتنبى و مقامات الحريرى وغيرها من العديد من الكتب القديمة. و قد سهل عملهم هذا على الطلبة فهم الأدب العربى القديم و بالتالى فهم القرآن و الحديث و متون الكتب العربية الأخرى. و فى الباب الخامس قد ذكر الكتب الدينية التى تعدّ ذخيرة علمية نادرة و تدل على تبحرهم فى الدين.

فبعد أن وقفنا على المؤلفات و الإنتاجات المختلفة فى العلوم و المعارف الدينية و خاصة بالأدب العربى و الذى يبلغ عددها عدة آلاف ، نستطيع أن نتبين منه ما قامته هذه الدار من المساهمة الجليلة فى خدمة العلوم الاسلامية و نشرها فى بلدان العالم.

إن الكتاب فى رأيى ينقصه بعض الصور التوضيحية للدار و الأماكن التاريخية فيها. على أى حال نخمن بعد هذا الكتاب القيم ، فى انتظار كتابه التالى فى مثل هذا الموضوع إن شاء الله .

د/ شميم الحسن أمانة الله
أستاذ مشارك بجامعة جواهرلال نهرو ، نيو دلهى

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٤٢ العدد ٢

١٩٩١م

المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهى

الهند

إن المجلس الهندى للعلاقات الثقافية منظمة حرة تحت وزارة الشئون الخارجية للحكومة الهندية، أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و كجزء من برنامج مطبوعاته الموجه لتحقيق هذا الحوار الثقافي بين الهند و البلدان الأخرى، ينشر، بين ما ينشر، عدة مجلات ففى الانكليزية "Indian Horizons" و " Africa Quarterly" و فى الفرنسية "Rencontre Avec l' Inde" و فى الاسبانية "Papeles de la India" و فى الهندية "Gagananchal" كلها تصدر أربع مرات فى السنة. وبدل الاشتراك السنوى للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية مطبوع فى العمود المقابل *إلاّ ان مجلاّت المجلس فى اللغات العربية و الفرنسية و الاسبانية توزع مجاناً*

و المراسلات المتعلقة ببدل الاشتراك و دفع الثمن و بشئون الطباعة و النشر توجه إلى :

The Programme Director (Pub)
Indian Council for Cultural Relation,
Azad Bhavan,
Indraprastha Estate
New Delhi - 110002

بدل الاشتراك

(للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية فقط)

عدد واحد - ٥ روبيات، £1.00 - $2.50
سنويا - ٢٠ روبية، £4.00 - $10.00
٣ سنوات - ٥٠ روبية، £10.00 - $25.00

نشرها و طبعها السيدة ڤينا سيكرى المديرة العامة المجلس الهندى للعلاقات الثقافية ، آزاد بوان ، نيو دلهي - الهند. طبعت فى مطبعة ڤاب انتربرائسيز جرين بارك ، نيو دلهي.

توزع مجاناً

رئيس التحرير: البروفسور نثار أحمد الفاروقى

مجلة ثقافة الهند فصلية

المجلد ٤٢ العدد ٢

١٩٩١م

محتويات هذا العدد :

الحلقة الثالثة :

الشيخ الشاه غلام علي المجدّدى الدهلوى

فى مرآة رسائله

بقلم: فضيلة الشيخ المفتى نسيم أحمد الفريدى
شيخ الحديث بالمدرسة الإسلامية
ببلدة امروها سابقاً

و ينصح الشيخ خالد الرومى فى رسالة قائلا:

" إن الانتقام من أحد لا يناسب لنا و لكم، فالصبر و العفو خلتان من خلال الصوفية. وفقنا الله للعمل بقوله *"إدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"* و يجب أن تنظر فى عاقبة كل أمر نظرا عميقا حتى لا تسوء سمعة طائفة الصوفيـة، و أن يكون الإيمان بمشيئة الله و إرادته و قضائه ملكة راسخة فى نفسك."

و كتب فى رسالة له إلى الشيخ شاه رؤف أحمد المجددي (مدون هذه الرسائل) يقول :

"تلقيت خطابك الكريم و اطلعت على محتواه. يجب أن لاتبالغ و لا تتصنع فى تحرير المراد و المطلب، و أن تكتب أحوالك و أحوال مسترشديك بعبارة واضحة، و أن لا تتريث فى أخذ البيعة ممن يرغب فيها. و قد جرت عادة الصوفية بالاستخارة فى مثل هذه المناسبة، و الشهادة القلبية وحدها كافية أيضا. اذكرنى فى دعواتك الصالحة. و السلام"

و فى رسالة إلى الشيخ شاه أبو سعيد المجددى يبدى رأيه حول أقواله التى دوّنها الشيخ رؤف أحمد قائلا:

"تحية مسنونة من الفقير غلام على عفى عنه. و بعد.

تسلمت خطابك و اطلعت على ما فيه. وفقك الله لأعمال الخير توفيقا زائدا. أما أقوالى و مزخرفاتى التى دوّنها الشيخ رؤف أحمد فذكرها غير مناسب، و لتمزّقها و اغسلها بالماء، و لتذاكروا كتب *"النفحات"* و *"الرشحات"*

و "*عوارف المعارف*" و كتب الإمام الغزالى، فإن ذلك أفضل و أنفع، حيث أن هذه الكتب تزودكم بالعبرة و الغيرة، و تزيل عنكم الكسل و التساهل فى الأعمــال، و تورث فيكم الزهد و المسكنة و الحضور و الجمعية. و بلّغ سلامى إلى أنجالك. أين ذهب الشيخ رؤف أحمد و لماذا عاد لا يذكرنى و لو بالســلام؟ و ختاما أنصحك بتجنب المبالغة و التكلف فى كتابة الرسائل. و السلام".

رسالة إلى حماة الشيخ بشارة الله البهرانشى :

يقول الفقير غلام علي عفى عنه بعد رفع التحية المسنونة و طلب الدعاء وصلتنى رسالتان منك و بعثتا السرور فى نفسى. لقد استدعيت المولوى بشارة الله من خلال هاتين الرسالتين، فأحيطك علماً بأنه سيصلك عما قريب. و رغم أن غيابه قد تركنى عاطلا بلا مساعد، و أن المولوى حسن علي جيو (١) هو الآخر قد لامنى و عاتبنى على سماحى له بالذهاب، إلا أننى آثرت مراعاة خاطرك على كل شىء. أسعده الله فى كل مكان و جعله ناشرا للعلوم الدينية. أرجو منك الدعاء له و لهذا الشيخ الذى أضاع عمره بالخير".

رسالة إلى المولوى هادى أحمد (٢)

تحية مسنونة. و بعد.

يقول الفقير غلام علي. لقد سرنى وصول خطابك السامى الذى أعربت فيه عن شوقك للقائى، و أؤكد لك أن زيارة المولوى بشارة الله - سلمه الله تعالى - أفضل من زيارتى أنا، فلتلازم صحبته و لتحصل على مرتبة *الإحسان* عن طريق التقيد بما يرشدك اليه من أذكار و أشغال، حتــى تعــود و كأن قلبك لم يبق فيه شىء سوى حب الله تعالى، و لترض بكل ما يحدث معتقدا إياه من قضاء الله و قدره. و السلام.

إلى القاضى شمشير خان :

تحية طيبة. و بعد.

وصلنى مكتوبك و سرّنى. يجب أن تصرف أوقاتك و أنفاسك فى ذكر الله سبحانه، و تتمسك بالتواضع و الإنابة إلى الله، و تعمر ساعاتك بالمراقبة و التلاوة. و بلّغ سلامى إلى الأحبّة و انصحهم مؤكّداً بالمواظبة علــى الصــلاة و الذكر و الاستغفار و الصلاة على النبى و تلاوة القرآن.

إلى الشيخ شاه أحمد سعيد المجددي :

" عزيزى ! أطال الله عمرك و أكرمك بما أكرم به آباءك و أبقاك مع العافية و السلامة. و بعد:

تسلمت خطابك و سررت به تجنّب المغالاة في الألقاب و اعمر أوقاتك بالأعمال الحسنة و تحصيل العلم و مطالعة رسائل المشائخ و كتب المتقدمين من الصوفية بما فيها *عوارف المعارف و آداب المريدين* ،و داوم على مراقبة النسبة الباطنية، لكي تحصل على رضوان الله تعالى. و اذكرني أنا في دعوات الخير".

و يقول في الرسالة السابعة و الأربعين بعد أن كتب لأحد من أصحابه نظاما شاملا لعمارة الأوقات.

"و يجب العمل بالأمور التالية بقدر الإمكان الإنابة إلى الله بالقلب دائما، و ترقب الفيض، و الاجتناب من صحبة الفسّاق و الغافلين، و الترفق في الكلام، و الابتعاد عن المناظرة و المجادلة، و عن الحقد و البغضاء، و اكتساب الأخلاق الحسنة"

و في ختام رسالة له إلى الشيخ شاه أبو سعيد المجددي كتب عدة كلمات لنجله شاه أحمدسعيد جاء فيها

و أحيط عزيزي أحمد سعيد - بعد التحية المسنونة - علما بأنّ خطابه قد وصلني، و الواجب عليه أن يصرف أوقاته في الاشتغال بالأعمال الباطنية و بالحديث الشريف "

و كتب في رسالة إلى الشيخ شاه أبو سعيد المجددي يقول :

"يقول الفقير غلام علي عفي عنه بعد التحية المسنونة. لقد تسلمت رسالتك المتضمنة نبأ وصولك إلى رامبور مع الخير و العافية، و التي رفعت الانتظار. عليك أن تظل مثابرا على طريقة آبائك الكرام - رحمهم الله تعالى - و عاكفا على ذكر الله. و قد بلغني أن الشيخ رؤف أحمد يعتزم القدوم إلى دهلي، فقل له منّي أن يقصدها بعد الاستخارة، و إلا فليبق هناك يربّي باطنه و يعلّم الناس الطريقة."

و يقول في رسالة إلى الشيخ رؤف أحمد المجددي :

" يقول الفقير عبد الله المعروف بـ غلام علي (عفي عنه) لقد تسلمت رسالتك الكريمة ذات العبارة المنمقة و الإشارات الدقيقة، و اطلعت على محتواها. ينبغي أن تترك تنميق العبارة و تكتب المراد بكلمات واضحة يسيرة الفهم، كما ينبغي أن تكتب، بجانب أحوالك الباطنية، أحوال من يلتي إليك لأخذ الطريقة. و اعمر أوقاتك بالذكر و المراقبة، و السلام."

و في رسالة إلى شاه أبو سعيد المجددي يقول :

" السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

لقد سبق أن كنتُ مصابا بالزكام و السعال طوال شهر و نصف شهر،

مما أنهكني كثيرا. و الآن أصبت منذ بضعة عشر يوماً بمرض آخر، و هو عبارة عن وجـع شديـد مرهق يكـاد يذبحني كـل آن، مما جعلني لا أستطيع القيـام و القعود و الأكل و الشرب و حتى تلاوة القـرآن، و لا أتمكن من أداء أي وظيفة سوى الندم و التحسر على الأيام الفائتة. غفر الله ذنوبي بواسطة الشيوخ الأجلاء - الذين لا أزال جالسا على عتباتهم منذ ٥٠ سنة للحصول على سلامة الإيمان و دوام العافية و المغفرة - و فرّج عني.

و كتب في رسالة له إلى الشيخ شاه رؤف أحمد المجددي (مدوّن هذه الرسائل) يقول :

" هذا الفقير الحقير غلام علي - عفي عنه - ليس بأهل لأن يأتيه أحد لأخذ الطريقة، و إذا كان الناس يتوجهون إليه فذلك من فضل الله الستار الذي يستر ذنوب و عيوب عباده، فجزاهم الله خيرا إن هذا العبد الأحقر من كلاب الطريقة المجددية يودّ أن يأتي هنا ذرية حضرة المجدد (الشيخ أحمد السرهندي) للحصول على النسبة المجددية التي هي نسبة مكدّرة مُملّة، لأني أعتبر قدومهم مغنما و سعادة، لكن ينبغي أن يكون ملحوظا أن هذه العملية - عملية إصلاح الباطن - إنما تتم بصورة تدريجية، فاعذروني في ذلك و لتشتغل بنفسك بهذا العمل، و اطلب نسبة جميع الطرق من الله سبحانه و تعالى واهب العطايا".

و جاء في رسالة أخرى موجهة إلى الشيخ رؤف أحمد المجددي :

" بعد التحية المسنونة، أنا أتمتع - و الحمدلله - بالعافية حتى كتابة هذه السطور، و أما هذا الضعف البالغ الذي أشعر به فمرجعه إلـى الشيخوخـة و كبر السنّ. و أعوذ بالله من أن أُردّ إلى أرذل العمر و لتدع الله لي - بواسطة المشائخ الكرام - بحسن العاقبة و مغفرة ما تقدم من ذنبي و ما تأخر، و أن يغشاني برحمته. أنا أدعو الله تعالى لسائر سالكي الطريقة عامة و لكم خاصة بالصحة و السلامة و العافية و الاستقامة و التوفيق الحسن. تقبل الله دعائي هذا و قد وصلني أيضا رسالتك التي بعثت بها من رامبور و لتكن دائما منهمكاً في وظيفتك متطلعا إلى الله تعالى منقطعا عن الخلـق (حسبنـا الله و نعم الوكيل) و اقرأ مني السلام على الأصدقاء.

رسالة إلى الشيخ شاه أبو سعيد المجددي :

يقول الفقير غلام علي - عفي عنه - بعد التحية المسنونة تلقيت خطابك الكريم و سررت به غاية السرور. ليست هناك حاجة إلى المبالغة في إبداء رغبة الزيارة، و إنما يكفي أن تكتب " أنا مع الخير و العافية، و أرجو الله أن يهيىء لي اللقاء ". إنك منذ ذهابك إلى لكناؤ لم تكتب إلا رسالة واحدة، في حين ينبغي أن تكتب رسالة كل شهر. قبل ثلاثة أيام بعثت إليك خطابا

بواسطة الأخ أميد علي، و أرجو أن يصل إليك. و لتثبت ما اوسعك على الطريقة الشريفة ظاهرا و باطنا. وصلتني رسالتان من المولوى بشارة الله فى شهر ذى الحجة، و إذا تيسّر لك لقاؤه هناك فقل له من قبلى أن الأخ نقش علي لم يكتب رسالة منذ سنوات، فما هو السبب في ذلك ؟ و أبلغه أيضا أن العثور على منزل الأخ نقش علي يمكن بواسطة أصحاب المولوى نعيم الله.

"لقد أبدى المولوى الميرزا حسن علي (المحدث) سخطه على مغادرة المولوى بشارة الله من هنا، و لامنى على سماحى له بذلك، و أكد على ضرورة استقدامه فوراً. هذا و قد قال المولوى رفيع الدين (نجل الإمام ولي الله الدهلوى) إنه يجب تواجد واحد منكما (يريد الشيخ شاه أبو سعيد و المولوى بشارة الله) هنا فى زاوية دهلى و بلّغ تحيتى إلى الشيخ فضل إمام جيو (الخير آبادى).

إلى شاه بيو محمد :

صاحب المناقب و الفضائل، المقبول عند الله تعالى ' سلمه الله و جعله للمتقين إماما

يقول الفقير عبد الله المعروف بـ غلام على - عفى عنه - بعد التحية المسنونة. نحن مع الخير و الحمدلله، و نتمنى لكم الصحة و العافية. إن هذا الفقير الحقير عاجز عن أداء الشكر لله تعالى الذى أكرمنى من فضله العميم بهذا العمل المبارك، و أرجوه أن يوفقنى للاستقامة و المداومة على ذلك.

وصلتنى رسالتكم الشريفة و أسعدتنى يجب أن تشمر عن ساق الجد فى سبيل الله و تقضى أوقاتك فى ذكر الله و اتباع حبيبه صلى الله عليه وسلم كما يجب أن تعير المستفيدين و المريدين اهتماما بالغا. و من طريقة أولياء الله الصبر و التوكل، و القناعة و الرضاء، و الالتجاء دائما إلى جناب الكبرياء، و الانقطاع عن النفس و عما سوى الله و اذكرنى فى دعائك. و السلام"

إلى شاه أبو سعيد المجددي :

السلام عليكم و رحمة الله و بعد

تسلمت خطابكم و اطلعت على محتواه. رغم أننى بحاجة إلى الصحاح الستة و *موطأ الإمام مالك* و إلى معجم لغوى أيضا، إلاّ أننى سأشترى هذه الكتب و الكتب الأخرى حين يرسل الله تعالى ثمنها إليّ

بلّغ تحيتى إلى أحمد سعيد- سلمه الله تعالى- و الأحبة الآخرين و اطلب منهم الدعاء لى. و يجب أن يواظب سائر الأصدقاء على تربية نسبة الباطن، و ترك ما لا يعنيهم، و على الذكر و التفكير فى اليوم الآخر، حتى لا يواجهوا الندامة يوم الحشر، و تحيتى للشيخ فضل إمام (٣) (الخير آبادى) مع نصحى له بأن يظل ذاكراً لله تعالى، و لا يضيع عمره فى اللهو و اللغو، فإن يوم

الحساب قريب، و أن لا يقصد دهلي بدون حاجة.

إلى الملك المغولي أكبر شاه الثاني (٤)

السلام عليكم و رحمة الله

سبحانه ما أعظم شأنه. لقد زار السيد محمد اسماعيل المدني الذي قدم إلى هذا الفقير من المدينة المنورة للحصول على النسبة المجددية ليس إلاّ - زار جامع دهلي في الليلة البارحة ليلة الجمعة، و لما وصل إلى تلك الناحية من الجامع التي وضعت فيها " الآثار الشريفة " قال إنني أشعر هنا بظلمة الأصنام. و كان شعوره هذا بفضل نور الإيمان فحسب، و إلاّ فإنه لم يكن على علم بما يوجد ضمن تلك الآثار. و قد انكشف فيما بعد أن ذلك المكان توجد فيه صور للأولياء و كذا صورة للرسول صلى الله عليه وسلم (و العياذ بالله) بالإضافة إلى صور للأئمة و أهل بيت الرسول.

إن صناعة هذه الصور و حملها حرام بموجب الشريعة المحمدية، و قد كسر النبي صلى الله عليه وسلم بيديه صورة إبراهيم عليه السلام بمناسبة فتح مكة. و سواء كانت الصورة للشيخ أو النبي أو أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه - فإنها أصنام في الحقيقة، و يجب أن لا تجلّوها أو تقدسوها، فإن تقديسها يضاهي عبادة الأصنام.

إنهم يرسمون على حجر ما أثرا مزيّفا للأقدام، ثم يقولون هذا أثر قدمي الرسول صلى الله عليه وسلم. و ذلك أيضا نوع من الشرك. آه، أين ذهب الإسلام و التوحيد، و أين غاب الاتباع الصحيح للإسلام؟ يجب أن تتخذوا تدابير لإيقاف هذا الشرك و عبادة الأصنام يا حسرة على دمار المسلمين و تقصيرهم و تكاسلهم. و ليست غلبة الكفر إلا بسبب هذه الغفلة و هذا التكاسل. ما للمسلمين و للأصنام؟ إنما الأصنام للكفار. بينما الجامع و القلعة الحمراء الشامخة من أماكن المسلمين، فماذا يعني وضع الأصنام فيهما؟ تالله لأهاجرنّ مدينة عبدة الأصنام هذه لو عادت إليّ القوة.

و يقول ضمن رسالة طويلة كتبها إلى الخواجا حسن المودودي اللكنوي :

إن القول السائر "*أنا أحمد بلا ميم و عرب بلا عين*" ليس بحديث نبوي، و إنما وضعه أتباع أهل التوحيد الوجودي حسب أهوائهم. عفا الله عنهم. و أما خطب كتاب "*نهج البلاغة*" فهي ساقطة عن درجة الصحة و القبول.

إلى شاه أبو سعيد المجددي (الجزء الأخير)

لقد استولى على هذا الفقير ضعف القلب و ضعف الشيخوخة، بالإضافة إلى اشتداد الحكّة، و قد يمكن أن يكون هذا المرض مرض الموت، فانصرني

بالدعاء و بختمات القرآن الكريم. أنعم الله عليّ و على الجميع بسلامة الإيمان و حسن العاقبة و دوام العفو و العافية و شوق اللقاء. آمين

سررت كثيرا بما كتبته من أحوال باطنك و أحوال أصحابك، و أدعو الله أن ينشر الطريقة أكثر فأكثر، و يوفقك للمحافظة عليها. و تحيتي و دعواتي لأحمد سعيد. و السلام.

إلى شاه بير محمد الكشميرى (٥) (نصائح)

تسلمت عدة رسائل تتضمن مدلولا واحدا، و إنه لمن فضل الله تعالى أنه وضع في تربيتك تأثيرا قويا، و التف حولك الطالبون، و أنك قد أعطيت البعض منهم الخلافة و الإجازة، بارك الله فيك و منحك المزيد من الرقي و التقدم.

و اعلم أن هذا التأثير مصدره جهة خاصة، فيجب أن تشكر المشائخ الكبار - رحمهم الله تعالى - و أن لا تغتر باجتماع المريدين، لأن الغرور يورث الاستدراج و التهاون. كما يجب أن تظل خائفا مترقبا، و أن تعمر أوقاتك بالذكر و المراقبة و الأعمال و الوظائف الحسنة و تربية نسبة الباطن، و تعلق آمالك على الله تعالى و تقطع الرجاء عمن سواه، و أن تعتبر الخلوة شعارا و مفخرةلك، و لا تحفل بجحود الناس أو قبولهم. إن القبول من نعم الله تعالى، و الجحود من نتيجة أعمالنا. و لتواظب على الاستغفار مع الخجل و الندامة، فإن هذا الأمر لا يحسن إلاّ بالقلب المتكسّر، و بتعبير الشاعر الفارسي "هذا الانتصار لا يحصل بدون الهزيمة "

ينبغي أن تتأمل كثيرا قبل منح الإجازة أحدا، و من الأمور اللازمة لذلك دوام الحضور و الجمعية و الزهد و التأثير و كثرة الأعمال و الأحوال. كما ينبغي أن تضع نصيبا للفقراء فيما يصلك من الغيب من أموال، و أن يجتمع لديك المساكين. لا تتعود على الأطعمة الشهية، و عش على ما تيسّر، و حافظ على إلقاء دروس التفسير و الحديث و كتب الصوفية و "*رسائل مجدد الألف الثاني* " في مجلسك. و لتكن خائفا من العاقبة دائما، متواضعا، متذللا، مسكينا، فقيرا، بعيدا عن الأوهام. و اذكرني أنا في دعائك. و من شعار أولياء الله تعالى عزو فضائل النفس إلى الله، و أن تعتبر نفسك مجرد لاشيء، و تؤمن بأن كل ما يحدث إنما هو صادر و ناشئ عن قضاء الله و قدره، و أن الله وحده هو النافع و الضار، و أن لا تضمر الحقد و الكراهية، و لا تنسب الفعل و الصفة إلى نفسك.

إنك ستشعر بأنوار النسبة مع استغراق و سكر في الباطن في البداية، لكن هذا السكر لا يبقى في نهاية الأمر. و إن الإنابة التامة إلى الحق جل مجده مع اتباع حبيبه صلى الله عليه وسلم هي حصيلة الحياة.

و يقول فى رسالة موجهة إلى رجل مجهول بعد التأكيد على أداء الصلاة بخشوع و تضرع إلى الله: إن طريقة أهل التصوف و المعرفة تتلخص فى أن تعتقد الأحداث خيرها و شرها من قدر الله تعالى، و تفوض أمورك إلى الخالق البارىء جل مجده، و تواظب على الوظائف و الأعمال و الذكر بالقلب و اللسان معاً، و تكون مكبا على القلب كل لحظة، منيبا إلى الله تعالى، و تبعد القلب عن الوساوس فيما يتعلق بالماضى و المستقبل، و تداوم على ذكر " اسم الذات " أو " النفى و الإثبات " مع شعور تام بالاحتياج و الافتقار، و تجرد القلب من كل غرض، و تعتقد نفسك غير لائق بذكر الحق سبحانه و تعالى، و لا تطلب أى مكافأة أو جزاء لقاء هذه الأعمال و الأذكار باعتبارها منّةً من الله الكريم، و تتأكد من أن التوفيق للذكر و أعمال الخير نعمة تفوق الشكر، و لا تجادل أو تحاجّ فى الحديث. أكرم الله تعالى هذا الفقير الحقير الذى أضاع عمره وسائر المخلصين بهذه النعمة و السعادة.

و كتب إلى مير فرخ حسين يقول :

" تحية مسنونة و بعد لقد تلقيت رسالتك التى كتبت فيها أسباب مغادرتك، و إن جميع تلك الأسباب لاغية غير مقبولة إنك تود أن تكون كاتبا حينا، و محدثا حينا آخر، و خطاطا تارة، و حافظا أو طبيبا تارة أخرى، أى أنك تستجيب لكل ما يخطر ببالك، و الحقيقة أن طبيعتك مائلة إلى الدنيا. لا شك أن مهنة الطب نافعة، إلا أن هناك أسبابا جعلتنى لا أحب الاشتغال بها، و أما علوم الفلسفة فهى الأخرى إذا تجاوزت حد الاعتدال تكون مما يلهى الناس عن الله، و لذلك فأنا أعرضت عنها أيضا.

"لقد كنت أود أن أنقل إليك العلم الذى وصل إلى قلوب الصوفية بواسطة أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه و أهل بيت الرسول، و هو علم " أحوالىّ " يحصل عن طريق المداومة على الذكر و الإنابة و التلاوة و الصلاة على النبى و الاستغفار، و من مبادئه قطع الرجاء عن الخلق المحتاج و عقده بالله الغنى سبحانه و تعالى، و الرضاء بالمقدر من الرزق و الانهماك فى ذكر الله تعالى و ما إلى ذلك مما جاء فى كتب الصوفية.

" إن التصوف شىء ثمين للقلوب، و هو يميز الأفراد. و اعلم أن الطير الذى يقصد الطيران إلى السماء يأمن من شرور القطط و يصبح مرفوع الرأس، و إن لم يصل إلى السماء هذه الأمور وصلت إلينا بواسطة أهل بيت الرسول و أصحابه و الصوفية، و أنت تشمئز و تتقزز منها، مع أن ملازمة الفقراء خير من أن تكون زعيما للأثرياء. وفقك الله و إياى لما يحبه و يرضاه.

"لقد أوشكت حياتى على النهاية، و لم يعد هناك وقت للعلاج و الدواء، و إن الخوف من المعاصى و هول القبر و القيامة يلازمنى كل آن. و ختاما أقول: إن النجارين و الحدادين و أصحاب الحرف الأخرى يحبون و يلازمون الحرفة

التى ورثوها عن آبائهم، لكن الناس فى هذا الزمان يتحاشون التراث العلمى الذى تركه آباؤهم، و ذلك هو السبب فى انتشار الجهل و الأمية "

و كتب إلى الخواجا حسن المودودى اللكناوى بقول :

"تحية مسنونة و بعد:

هذا الفقير - الذى هو عار على الصوفية - ولد فى أسرة تنتمى إلى السلسلة القادرية، و كان والدى الكريم متشرفا بالولاية القادرية، فكنتُ أنا أيضاً متأثرا بتلك الانتقادات المعروفة التى كانت توجه إلى السلسلة المجددية. ثم كان من قدر الله و قضائه أنى سعدت بالانتماء إلى السلسلة المجددية العالية، بيد أن القلب كان يخالجه بعض الشكوك، ثم أتيح لى أن أطالع أقوال حضرة المجدد (الشيخ أحمد السرهندى) و مؤلفاته، فزالت تلك الشكوك و الأوهام، و قد ألفت رسالة فى الردّ على الاعتراضات التى وجهها الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي إلى حضرة المجدد و أقواله. (سبحان الله ! أين هذا الجاهل من حضرة الشيخ عبد الحق و علمه و فضله، و بهذا يتضح مدى حقيقة اعتراضات الشيخ الدهلوى، حيث أنه إذا استطاع جاهل مثلى أن يرد على تلك الاعتراضات، فذلك دليل على أنها لا تحمل وزنا و قيمة) و قد قال الطبيب ذكاء الله خان بعد دراسة رسالتى إنها تكفى لدحض الاعتراضات

و قد قال الشيخ عبد الحق نفسه فى رسالة له إلى الميرزا حسام الدين خليفة الخواجا محمد باقى بالله : " لقد وقع فى قلبى أمر من الغيب أزال تلك الاعتراضات، و هو أنه لا ينبغى إساءة الظن بمثل هؤلاء الشيوخ، فانقشعت الغشاوة التى كانت بمقتضى البشرية "

قلت: سبحان الله ! هل كانت تلك الاعتراضات بمقتضى البشرية، أم كانت تأييداً للحق عفا الله عنه إن كثيرا من المخلصين قد ألفوا رسائل فى رد تلك الاعتراضات، و إن حضرة المجدد قد كتب أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى الأنبياء، و الادعاء بمعادلته كفر، و أن ما وهبنى الله تعالى من فضل و زلفى إنما هو بواسطة سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، و أن أى ولىّ لن يبلغ مكانة أدنى الأنبياء بل مكانة أحد من صحابة الرسول ، سواء كان أويس القرنى أو عمر بن عبد العزيز "

و يقول فى رسالة أخرى موجهة إلى الخواجا حسن المودودى :

" لقد أحاط بهذا الحقير همّ سلامة الإيمان، و الندم من المعاصى الممتدة على ٧٠ سنة، و تصور غنى الله تعالى، فانصرنى بالدعاء لى بسلامة الإيمان و المغفرة و الرضوان، و أن تكون خاتمتى كما جاء فى أبيات " ابن يمين " الفارسية التى فحواها. " لا تنظر إلى أن قلب " ابن يمين " صار مكلوما و مجروحا، و لكن انظر أنه كيف ودع هذه الدنيا الفانية. إنه ودعها و هو

يضحك، و القرآن بيديه، و أقدامه على طريق الحق، و عيناه تتطلعان إلى المحبوب الحقيقى ".

و يقول فى رسالة طويلة موجهة إلى الخواجا حسن المودودى اللكنوى نفسه:

" كان أحد فضلاء الروم قد ورد مدينة دهلى و أقام هنا (فى زاويتنا) لكنه غادر سريعا بسبب ما رأى فى أهالى الهند من انتشار الفسق و البـدع، و كان يتعجب كثيرا من عادات أهل الإسلام فى هذه البلاد. إنه يحب تغيير المنكر باليد أو باللسان أو على الأقل بالقلب كما جاء فى الحديث الصحيح. و لو كنا نستكره المنكرات بقلوبنا لما شهدنا التصرفات المخالفة للشرع، و لما أفسحنا الطريق للفاسقين و المبتدعين. هل يمكن أن يعيش رجل متدين فى مثل هذه البيئة؟ إنه قد قال لى. يجب أن تغادر هذا المكان. لقد أوشك عمرى على الانتهاء، و ليس فى كتاب أعمالى شىء سوى الندامة و الخجل. قال اللّه تعالى. "و *لتَنظُر نَفسٌ مَا قَدَّمَت لِغَدٍ* " و إنى كلما أفكر و أتفحص أجد أنى لم أقدم للغد سوى التقصير و الندم، اللهم إلا أن يغشانى اللّه برحمته. و أرجو أن يكون عطف المشائخ و شفاعتهم ذريعة للنجاة. إننى أود أن أغادر هذه الدنيا حسبما جاء فى أبيات " ابن يمين " التى معناها: لا تنظر إلي أن قلب " *ابن يمين* " صار مكلوما، و لكن انظر أنه كيف ودع هذه الدنيا الفانية. إنه خرج منها مع ملك الموت و هو يضحك، و القرآن بيديه، و أقدامه على طريق الحق، و عيناه تتطلعان إلى المحبوب الحقيقى ".

"أرجوك الدعاء لى بذلك، و أن أعيش سعيدا و أموت سعيدا و أنا محافظ على هذه الطريقة، مع أننى لست من سلالة الشيخ عبد القادر الجيلانى و لا من أحفاد الشيخ معين الدين الجشتى، و لا أحمل من العلم ما يوصلنى إلى درجة القبول، و لا من العمل ما يفتح لى أبواب المعرفة. و السلام ".

و فى رسالة إلى المولوى ولىّ اللّه السنبهلى يقول :

" تحية مسنونة و بعد: اعلم أن نسبة الباطن كلما تعلو و ترفع، تقلّ الكيفيات و اللهفة و الشوق، و من هنا فإنّ الصحابة الكرام – رضى اللّه عنهم – لم ينقل عنهم هذه الكيفيات و هذا الفناء و الاستغراق، مع أنهم كانوا يفوقون الأولياء فى مرتبة *الإحسان* الذى هو جزء ثالث من أجزاء الإيمان، فكأن مرتبة الإحسان التى كان يتمتع بها الصحابة كانت بمثابة *شهادة عيان* ، بينما درجة الأولياء التى تسمى *المشاهدة و الحضور و الجمعية* هى مجرد خيال. و قد روعى هذا الفرق لكى تثبت فضيلة أصحاب الرسول صلى اللّه عليه وسلم، بل الحقيقة أن *الإنابة* و *الحضور* يقلّ في النسبة الفوقانية، و يصبح الحضور كحضور النفس و الذات. ذلك هو المسلك المختار لحضرة المجدد، و إلاّ فإنه قد قال: الانتظار هو عاقبة الأمر و نهايته ".

و جاء فى رسالة طويلة كتبها إلى المولوى بشارة الله البهرانشى :

" لتكـن منيباً إلـى حضرة الحـق سبحانـه و تعالى متصـورا المشائخ – رحمهم الله تعالى – بمثابة النظارة، ناويا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لدى أداء كل أمر. و يجب التوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لدى أداء كل أمر أو عمل وصل إلى الأمة بواسطته، سواء كان فريضة أو نافلة، لأنه صلى الله عليه وسلم " مبدء العمل "، كما ينبغى التوجه إليه حتى لدى استعمـال اللحم و الخلّ و الدباء و الحلوى و البطّيخ، لكى يتمتع الرجل بعناية من جناب الرسول صلى الله عليه وسلم و أنوار أتباعه

و لا بد من صرف اهتمام بالغ إلى تهذيب "*لطائف*" المريد، فما دام المريد لم يبلغ الدرجة العالية فى ذكر كل " *لطيفة* " و لم يفز بالانقطاع و الإعراض عن الدنيا و أهلهـا، و الصبر و التوكل، و التسليم و الرضـاء، و تهذيب الأخـلاق و تبديل الرذائل ، و لم ينكشف سر معيّة الله تعالى و قربه ، و لم يتحقق الاستغراق و الفناء، لا ينبغى منحه الخلافة و الإجازة، و ذلك لكى لا تسوء سمعة الطريقة، فإن هذه الطريقة لا تستعمل فيها الكلمات الجوفاء الخالية عن المعنى.

" إنه يجب أن يحظى الطالب بـ "غلبة أحوال الحب" و شهود الحق سبحانه و تعالى و كمال المعرفة و التوحيد، و أن ينسب الأفعـال إلى الخالق الحقيقـى و يعتقد الصفات انعكاسا للصفات الإلهية، و لا يقيم لنفسه وزنا، كل ذلك من أنواع المعرفة، و من مبادىء التصوف أيضاً أن لا يقطب الطالب وجهه لحدوث أمر يخالف طبعه، و أن يتوب و يستغفر سريعـا إذا ظهـرت بوادر الاستيـاء و الامتعاض على وجهه. كما يلزم الاشتغال بعلوم التفسير و الحديث و علوم المتقدمين من الصوفية، و مطالعة "*رسالـة القشيـرى*" و "*عـوارف المعـارف*" و " *التعرف* " و " *إحياء العلوم*" مثلاً، و لا ينبغى الإكثار من علم المنطق و ما إليه من العلوم. و السلام ".

و يقول فى رسالة كتبها إلى شاه رؤف أحمد رافت الرامبورى مدوّن هذه الرسائل :

" السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد

سيصل إليك المولوى حبيب الله ، فلتصرف عنايتك إليه، لكى يتسنى له الحصول على الحضور و الجمعية، و تهذيب اللطائف، و تبدل الرذائل بالمحامد، و على التفويض و التسليم و الرضاء، و كذا المقامات العشر للصوفية، و لتكتب لى أحوالك و أحوال من لديك من الطالبين، و لا ترفع رأس الانقيـاد و الطاعة عن عتبة واهب العطايا جل مجده أبداً (أنت حسبى فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين) هذا و إننى بحاجة إلى كتاب *الموطأ للإمام محمـد، و سنن أبـي داؤد،* و *سنن ابن ماجة*، و ترجمة الشيخ عبد الحق، و كل ما توفر من كتب المقررات. جزاكم الله خير الجزاء ".

و جاء فى رسالة طويلة موجهة إلى رجل لم يذكر اسمه :

" ... من صفات الشيخ أن يكون متبعا لسنة الرسول صلى اللّه عليه وسلم فى الظاهر و الباطن، تاركا للبدع، ثابتا على عقيدة السلف من أمثال الشيخ عبد القادر الجيلانى المعروف بغوث الثقلين، و شيخ الإسلام فريد الدين كنج شكر، و أن يكون عالماً بمبادىء الفقه الضرورية و الأساسية، و من الأفضل أن يداوم على مطالعة "مشكاة *المصابيح*" و تفسير القرآن الكريم، و على مذاكرة كتب الأخلاق للصوفية مثل *منهاج العابدين*، و *كيمياى سعادت* للإمام الغزالى، و كذا الكتب التى تتضمن أحوال الصوفية و أقوالهم. و يلزمه أن يجتنب الدنيا و أهلها، و يعمر أوقاته بالوظائف الحسنة، و يهتم بالخلوة و العزلة، و يعقد الأمل باللّه تعالي و يقطعه عن الخلق، و يواظب على تلاوة أجزاء من القرآن المجيد كل يوم إذا تعسّر حفظه، و أن يكون متمتعا بالكيفيات الباطنية عن طريق الإكثار من الذكر، متمسّكا بالتوبة و الإنابة، و الزهد و الورع، و الصبر و التقوى، و التوكل و التسليم و الرضاء، و يكون قلبه نقياً خالياً من الوساوس، و أن يكون بحيث من رآه ذكر اللّه تعالى ".

و كتب عن الصلاة و الصوم يقول. " إن الصلاة بالجماعة و الطمأنينة فى الركوع و السجود و القومة و الجلسة من سنن النبى صلى اللّه عليه وسلم، و قد رأى بعض الفقهاء أن " تعديل الأركان " - أى أداء الصلاة بهدوء و طمأنينة - فرض، بينما يرى القاضى خان، الذى هو من فقهاء الحنفية، أنه واجب، و أن تركه عن خطأ يوجب سجدة السهو، و تركه عن عمد يوجب إعادة الصلاة. و أما الذين اعتبروا " الطمأنينة " سنة مؤكدة فهو أيضا قريب من الوجوب، أضف إلى ذلك أن استخفاف سنة من السنن كفر

إن كل ركن من أركان الصلاة - مثل الركوع و السجود و القومة و الجلسة - يحمل كيفية منفردة و لذة متميزة، و الصلاة مجموعة لأنواع العبادات بما فيها التلاوة و التسبيح و الصلاة على النبى و الاستغفار و الدعاء، و إذا كانت الأشجار فى حالة القيام و الحيوانات فى حالة الركوع و الجمادات فى حالة القعود فإن الصلاة شاملة لكل هذه الحالات. إن الصلاة قد كُتبت فى المعراج، و كل من يؤديها على طريقة صاحب المعراج - صلى اللّه عليه وسلم - يفوز بأعلى مقامات القرب و الزلفى. و إن اللّه و رسوله قدمنّا على الأمة بمنّة عظيمة حين فرضا الصلاة، فللّه الحمد و الشكر، و على رسوله الصلاة ألف ألف مرة.

إن الصلاة تضفى على المصلى نوعا عجيبا من الصفاء و الطهر و الحضور، و قد قال شيخنا و مرشدنا (الميرزا مظهر جانجانان) "رغم أن الصلاة لا تحصل فيها رؤية اللّه تعالى، و لكن تحصل حالة مماثلة للرؤية" و ذلك مما هو ثابت بالتجربة.

" عندما أمر الله تعالى المسلمين بتحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، سأل اليهود عن الصلوات التى أقيمت باتجاه القدس، فنزلت الآية " *مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم* "، فانظر أن الله تعالى عبّر فى هذه الآية عن الصلاة بالإيمان، و إذن فإن إضاعة الصلاة بأدائها بطريقة غير مسنونة يعنى إضاعة الإيمان. لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " *قرة عينى فى الصلاة* "، أى أننى أتمتع فى الصلاة بمشاهدة حضرة الحق ، مما يقر عينى. و قال أيضا " *ارحنى يا بلال* " أى بالصلاة و الإمامة. إن الصلاة تحتوى على التلاوة و الأذكار، و من أضاع الصلاة كان أضيع لغيرها من أمور الدين.

أما الصوم فهو يفقد معنويته و ثوابه باللغو من الكلام و الغيبة التى تحبط الأعمال و من غاية السفاهة أن نقوم بالأعمال و نتكبد المشقة فى سبيلها ثم يضيع ثوابها. بالإضافة إلى أن أعمالنا تُعرض فى حضرة الرب تعالى، فمن سوء الأدب أن نقدم إلى حضرة ربّنا الغيبة واللغو من الأمور ".

و كتب إلى المنشى أمين الدولة أحمد خان يقول :

صاحب المراتب و المناقب العالية

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

لقد ذكر لي المنشىء نعيم الدين خان كثيرا من محامدكم و فضائلكم، لذا ألتمس إليكم أن تذكرونا نحن الغرباء أيضاً فى دعواتكم المستجابة. إن هذا العجوز قد أمضى حياته فى الإثم و العدوان، و إن الذنوب الخالصة - مثل الغيبة و النميمة و السبّ و الشتم و ما إليها - و المعاصى المختلفة - مثل الصلاة بغير الخشوع و الإنابة، و القراءة بدون الترتيل، و الصيام المشوبة باللغو و اللهو، و التلاوة بدون التدبر، و الساعات الخالية من خشية الله، و الانهماك فى الغفلة و الملاهى - قد سوّدت كتاب أعمالى، يا حسرة علينا، لقد كنا أتينا إلى حديقة الدنيا للأزهار، لكننا نحمل على رءوسنا الأشواك، و قد أنعم الله علينا بالصحة و العافية و النجاحات، و منّ الرسول علينا بنعم كثيرة، لكننا قصّرنا فى أداء الشكر.

يويلتنا، كيف سنفوز بالقبول أمام رسول الله فى يوم القيامة؟ أ ليس من الحماقة أن نرجو الشفاعة و المغفرة مع عدم الأهلية؟ اللهم إلا أن يشملنا الله برحمته و يوفقنا لاستدراك ما فاتنا. إن الموت وشيك الوقوع و القيامة قريبة، فأى عمل سينفعنا؟ أما الصالحون فسيدخلون الجنة و ينعمون بملذاتها و برؤية الله عزوجل، و أما نحن الغافلون فسوف نُبتلى بالحساب و المؤاخذة فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. يا ليتنى لم تلدنى أمى.

" إن سهر الليالى و ذرف الدموع من عينْ الحسرة و كدح النفس من سنة أولياء الله تعالى. و هبنا الله تعالى الغيرة و الحمية. و يجب أن لا تنسى أنت و المنشىء نعيم الدين خان أولئك الشيوخ المسنين الذين أنهكتهم وعورة

الطريق و عييت أقدامهم، فإن دعاء الغائب للغائب يلقى الاستجابة سريعا. هذا و قد أوعزت إلى الزهاد الطالبين بالدعاء لكم منذ الليلة التاسعة لشهر جمادى الآخرة، و أنا أيضا لست بغافل عن الدعاء لكم. وفقكم الله تعالى و إياني لما يحبه و يرضاه و أكرمنا بالنجاح في الدارين ".

رسالة إلى الشيخ الله داد :

يقول الفقير عبد الله المعروف بـ غلام علي . يجب أن تعرف ماهو ثمرة الحياة؟ إن ثمرة الحياة هي علم الدين و ذكر الله و حب الله و رسوله. و من أسباب الحب العمل بما تعلم و المداومة على الذكر، فلتزين أوقاتك بتحصيل العلم و أنفاسك بذكر الله تعالى، و اشتغل – بعد الفراغ مـــن صـــلاة التهجـــد و الاستغفار و الدعاء – بالتلاوة و الذكر من آخر الليل إلى صـــلاة الإشـــراق. و يجب – بعد تعلم النحو و الصرف – دراسة كتاب " *التوضيح و التلويح*" و ما تيسّر من كتابي "*شرح العقائد*" و "*حاشية الخيالي*" في علـم الكـــلام، و كتاب *القطبي* في المعقولات، و لكن ينبغي أن تركز عنايتك على التعمق في علوم الحديث و التفسير و التصوف، و أن لا تغفل عن ذكر الله بالانشغال بالكتب. و لتشتغل بالكتب من الظهر إلى العصر، و بالذكر و الاستغفار و الوظائف بعد العصر، و بدراسة الكتب منذ ما بعد الانتهاء من نوافل المغرب إلى ربع الليل، و بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء. كما يجب أن تعيش مؤمنا بما وعد به الله قاطعا كل أمل عن غيره، و أن تعتقد الأحداث كلها من قضاء الله و قدره، و تعامل جميع الناس معاملة الإكرام و الإجلال معتبرا نفسك حقيرا و ضيعا غارقا في التقصير و العصيان، و اعلم أن إطعام الجائعين و إرواء العطشى خير من صلاة النفل المملوءة بالوساوس. إن الإكثار من الذكر و الإنابة يكسب المرء محاسن كثيرة منها الانقطاع عن الدنيا و الانصراف إلى الآخرة و الاستعداد للموت و التحلي بالأخلاق الحسنة مثل العفـو و التسامـح و لين الجانب و الإعراض عن السيئات، و القيام بأداء حقـوق الله و رسولـــه، و احترام العلماء و الفقراء، و التغاضي عن حق النفس و الاهتمام بأداء حقوق الغير. و من علامات الحصول على هـــذه الفضائل خشيـــة الله و التـــواضـــع و المداومة على الخشوع و الابتهال، و أن يشعر المرء و كأنه مأخوذ بسوء أعماله الآن، و أن تحيط عظمة الله و كبرياؤه بباطنه.

" إن الأمر الأساسي هو التقوى و اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و التزام الترك و الزهد و التوكل و التسليم و الرضى، و أن تسعى في كل أمر للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قولا و عملا، و عقيدة و خلقا، بحيث يصبح ذلك عادة و ملكة راسخة في النفس. وفقك الله أنت و هذا العجوز الذي أضاع عمره للعمل بذلك. هذا و يجب الاجتناب من الخوض في مشاجرات الصحابة، و التفاضل بين الشيوخ الكرام، و كذا من تفضيل مسلك على آخر ".

الرسالة الـ ٩٦

(هذه مقالة طويلة بشكل رسالة، و ندرج فيما يلي بعض مقتطفاتها)

"بعد الحمد و الصلاة، يقول الفقير عبدالله المعروف بـ غلام علي - عفا الله عنه -: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال *"الدين النصيحة"* و انطلاقًا من ذلك فإنى أنصح أصدقائى بأن الطريقة النقشبندية مطابقة لطريقة الصحابة الكرام رضى الله عنهم، و إن شيوخ هذه الطريقة قد أوجبوا اتباع السنة و اجتناب البدعة و إن كانت بدعة مفيدة (أى بدعة حسنة)

"قال الله تعالى (اَلْيَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم) و إذا تم الدين فإن العقائد و الأعمال و الأخلاق و الأحوال التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم هى كافية لحصول النسبة مع الله إن *"الأحوال"* - فى مصطلح التصوف - عبارة عن نزول الأنوار و الكيفيات و السكينة الدائمة على قلب الطالب، و إن تهذيب الأخلاق هو مغزى السلوك و التصوف، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم *"بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"*.

" إنه يجب أن تفكر فى أحوالك و ترى ما هى العادة السيئة التى تغلبك، ثم تزيلها عن طريق المداومة على وظيفة " النفى و الإثبات " حيث أن كل عادة سيئة تزول و تختفى بأنوار الذكر إن الحسد و البغضاء و البخل و الدناءة و حب السيادة و الرياء و العجب و الارتباط بغير الله و الحرص و الهوى و البذاءة و الغيبة و كشف العيوب - كل ذلك من الرذائل التى يجب اجتنابها. كما يجب أن تستحقر عملك خشية أن تكون النفس قد خلطته بشىء من سوء النية و العجب و الغرور، و أن تستعظم العمل الصالح الذى صدر من غيرك من المسلمين و تحسن الظن بنيته و إخلاصه و قبوله عند الله تعالى. و اتبع عقيدة السلف الصالح مثل الشيخ عبدالقادر الجيلانى و الشيخ أحمد السرهندى مجدد الألف الثانى. و لا تذكر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بالخير، لأنهم كانوا قد تشرفوا بصحبة خير الأخيار و تربيته، و كانت نفوسهم قد تطهرت من النفسانية. إن أعمالهم كلها كانت قد صدرت عن حسن نية، و إلاّ يلزم أن صحبة خير البشر - صلى الله عليه وسلم - لم تترك فيهم أثرا. إنها الجماعة الخيرة التى ضحّت بأموالها و أنفسها فى سبيل الله و رسوله، و أشاد بهم القرآن و بشر لهم بالحسنى، و هم الذين نقلوا إلينا كلام الله و دينه و عقائد الرسول و أقواله و أعماله و أخلاقه و مناقب أهل البيت، فلو كفرناهم و فسقناهم - معاذالله - لارتفعت الثقة عن الدين، لأن ما ينقله الفسّاق و الفجّار لا يمكن أن يكون موثوقا به. إن الصحابة الكرام كانوا متضامنين متآلفين فيما بينهم، فقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم *"رحماء بينهم"* و وعدهم بالحسنى حيث قال *"و كُلاً وعد الله الحسنى"* ، لذا يجب السكوت فيما يتعلق بمشاجراتهم احتراما لما سعدوا به من صحبة الرسول صلى الله عليه و سلم، و قد قال ابن عباس - رضى الله عنه - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

له قربى مع جميع قبائل العرب.

و اعلم أن المشائخ المتقدمين لهم فضل على المتأخرين، و احتـرامهم لازم. و لا ينبغي تفضيل مسلك على مسلك آخــر، أو مجتهد علـى مجتهد آخــر، أو طريقة على طريقة أخرى، لأن الأسلاف كلهم كانوا مخلصين فى نياتهم، و كان نصب أعينهم اتباع السنة و كسب رضوان الله تعالى. و يجب الاجتناب من تحقير مسلم و كشف عيوبه و الطعن فيه، و من النميمة و العجب، كما يجب أن تحسب نفسك مجرد "لا شيء " و ترجع محاسنك إلى أصلها، و تظن حسناتك غير قابلة للقبول، و تحسب سيئاتك و كأنها عبء ثقيل على رأسـك، و تؤول سيئات غيرك بتأويل حسن، و تعتقد الأحداث كلها مـن قضـــاء الله و مشيئته و ترضى بها من غير تردد أو امتعاض، و أن لا تجادل أحدا من غير حاجة، بل تسلّم بقول الخصم إذا أصرّ و تعنت، لأن المجادلة تؤلم القلوب و تورث الشحناء و تثير الفتن، و تلك هى طريقة أهل المعرفة.

روى أن عدة من الزهاد دخلوا على الشيخ فريد الـدين كنـج شكر و قالوا إن بيننا نزاعا فاسمع قضيتنا و احكم بيننـا، فقال إنى لا أستطيع الفصل فى القضايا، فارجعوا إلى صاحبىّ الشيخ بدر الدين اسحاق و الشيخ نظام الدين – المعروف بسلطان المشائخ – فإنهما سيحسمان قضيتكم، فاجتمع الزهاد معهما فى مكان و عرضوا قضيتهم، و خاطب كل من الأطراف المتنازعة صاحبه بأدب و احترام، فبكى سلطان المشائخ و الشيخ بدرالدين اسحاق كثيراً و قالا لهم " إن كانت كلماتكم فى حالة السخط تحمل الأدب و الاحترام فكم يكون كل منكم يحترم الآخر فى حالة الرضاء " ثم قالا للشيخ فريد الدين كنج شكر إن هؤلاء الزهاد إنما جاءوا لإصلاحنا و تربيتنا و ليعلمونا أن الزهّـــاد و طالبى التصوف يجب أن يتجنبوا الفظاظة و غلظة القول فيما بينهم. وفقنا الله لاتباع هؤلاء الشيوخ.

إن صيام ثلاثة أيام فى كل شهر و صيام يومى عرفه و عاشوراء و صوم اليوم الخامس عشر من شعبان و كذا صيام ستة أيام فى شهر شوال ثابتة بالحديث و فى حالة الصوم يجب التورع عن الغيبة و الكذب و الطعن و الهذر، و إلا يضيع ثوابه. و من الحمق و السفاهة أن يتحمل المرء شدة الجوع و العطش ثم يحبط صومه بارتكاب المنهيات. و قد رأى بعض الأئمة – و منهم الإمام الأوزاعى – أن الغيبة تفسد الصوم، و أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المغتاب بإعادة الصوم و الوضوء. و جرّ الإزار إلى أسفل الكعب من الكبائر. و حصول النسبة و الجمعية و الإنابة بدون الأعمال الظاهرية مستحيل، فإن نور الأعمال له دخل كبير فى طمأنينة النفس و راحة الباطن. و لا فضل أكبر من إخلاء الباطن عما سوى الله و تحلية الظاهر بأعمال الخير و التـواضـــع و التـــذلل. و حافظ على الأعمال التى ثبتت عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث، لتكون من المتبعين للسنة. و صدق مــــن قـال " *إن المحب لمن يحـب مطيـع* "

و لتبحث عن أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم و عاداته و اتبعها بقدر الإمكان، فإن كل عمل يقوم به المرء بنية اتباع الرسول يعتبر عبادة. إن التهادى و التزاور و أكل اللحم و الدباء و استعمال الخلّ و الحلوى و شرب اللبن و العسل و الماء البارد و لبس الثياب المسنونة - كل هذه الأمور تصبح عبادة بنية اتباع الرسول و تزيد الإيمان نورا، لأنها مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم

إن صلاة التهجد و الإشراق و صلاة الضحى و الأوابين و النوافل الأخرى ثابتة بالحديث، و تلاوة القرآن أفضل عند التهجد، و كذا ثبت بالحديث قراءة كلمة التمجيد مائة مرة فى النهار، و كلمة " سبحان الله و بحمده " مائة مائةً فى الصباح و المساء ، و الصلاة على النبى و الاستغفار مائة مرة عند المنام. و لتواظب ما أمكنك على الأدعية المأثورة صباحا و مساءاً و عند النوم و فى أوقات غير معينة، و اقصد فى كل هذه الأعمال اتباع رسول الله و حبيبه صلى الله عليه وسلم و من كان ذكيا ذا سعة فليتعلم علم النحو و الصرف و المنطق - إلى كتاب "*القطبى*" - و علم الكلام و الفقه و أصول الفقه، و إن تعلّم علم الحديث و علوم الصوفية و رسائلهم التى تتضمن الآداب و الأخلاق و المقامات و السلوك و الأحوال و كذا مطالعة رسائل الشيخ يحيى المنيرى و تراجم حياة أولياء الله لها تأثير بالغ فى تهذيب الأخلاق. و الرسائل لا تجدى نفعا فيما يتعلق بالحقائق، بل إن الأسرار و المعارف تنكشف تلقائيا على من يجتهد فى الطريقة و يكثر من الذكر و مجاهدة النفس. و قد لاذ معظم الأولياء الذين كانوا يرون المجاهدة والزهد والتطوع لازماً و كانت تغلبهم الأحوال و الكيفيات لا ذوا بالصمت فى بيان الأسرار و المعارف، و ذلك هو الطريق الأسلم.

إن مطالعة رسائل مجدد الألف الثانى - رحمه الله - تُكسب التوفيق لاتباع رسول الله و حبيبه صلى الله عليه وسلم و تنور القلب و النفس، كما أنها تفند تلك الاعتراضات التى وُجهت إلى كلام حضرة المجدد. و اعلم أنك إن كنت بفضل الله تعالى قانعا بالرزق المقدر فلا راحة أفضل من ذلك، و إلا فاتخذ ذريعة مشروعة للمعاش لقضاء الحاجات البشرية فإن ذلك ليس بممنوع. وفق الله هذا الفقير الحقير و سائر الأحبة للاشتغال بذكره و اتباع رسوله و متعنا بكيفيات الحب و المعرفة و حسن العاقبة. إن طريقة الزهد و التصوف هى طريق الحب، و الحب شعلة تشحذ الخوف و الرجاء، و حصول الحب يتوقف على المداومة على الذكر، و الخلوة و الاعتزال، و ترك الأمانى، فقد ترك عشاق طريق الحق كل ما ألفوه و أحبوه و رموا بجوهر حياتهم على قدمى المحبوب (ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلانى و الشيخ نظام الدين أولياء، و الشيخ عبد القدوس الجنجوهى و إكثارهم من العبادة و تلاوة القرآن، و بيّن أن الخواجا باقى بالله كان غالبا ما يسهر طوال الليل، و كان يأسف على انتهاء الليل قائلا: آه، كان الليل قصيرا).

و الهدف من اتخاذ طريقة الصوفية الذين هم من المقربين عند الله هو أن تحصل القوة و الصفاء في عقيدة أهل السنة و الجماعة بفضل صحبتهم، و يحالف التوفيق للأعمال الصالحة و الأخلاق الحسنة، و أن تحصل " الأحوال الطيبة و الذوق و الشوق و الحضور و الاطلاع و حب الله و رسوله و تجرد القلب من الالتفات إلى الغير و ما إلى ذلك من الكيفيات التي بيّنها الصوفية، و أن يتطهر القلب و النفس من الغفلة و الأماني و الرذائل و النزوع إلى البدعة و المعصية ، و إلا فإن ملازمة الشيخ لا فائدة منها. إن الانتماء إلى الشيخ لا يعني اتخاذ البدعة باسم شفاعة المشائخ ، أو التفوّه بكل ما تهواه النفس، أو الحرية في التصرف، و إن المخلصين الصادقين تتحقق لهم هذه الأمور بواسطة المشائخ الكرام رغم عدم تواتي الظروف.

روى أن شيخا ابتهل إلى الله يقول: " إلهي ! إنني لا أقصرّ في الأعمال و الأذكار بفضل توفيقك، لكنني لا أشعر في أيام شيخوختي بتلك الأحوال و الكيفيات التي كنت أشعر بها أيام شبابي فنادى هاتف الغيب قائلا: " لقد كان شبابك أقرب إلى عهد الرسول "، و ذلك يعني أن الابتعاد عن عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هو السبب في تخلفنا نحن المتأخرين. و ينبغي لنا نحن المتأخرين زمانا أن نختار التوبة و الإنابة و الزهد و الورع و الصبر و القناعة و التوكل و التسليم و الرضى، مع الاعتدال في المأكولات و ترك المألوفات و العادات، و أن نعمر أوقاتنا بالوظائف و الأعمال أي الصلاة و تلاوة القرآن المجيد و الصلاة على النبي و الاستغفار و الكلمات الطيبات، و نتوجه إلى الله تعالى بغاية من الخشوع و التضرع و الافتقار مع ذكر "اسم الذات" أو "النفي و الإثبات " قلباً و لساناً و إبعاد القلب عن الأوهام السيئة، و أن لا نضيع الحياة سدىً.

ما هو الزهد و التصوف؟ إنه عبارة عن قضاء الحياة في تنسيق و تكامل مع التمسك البالغ باتباع السنة، و التطلع إلى جهة واحدة، و العناية بالحضور و جمعية الخاطر، لكي لا تبقى لأهل الشريعة فرصة الاعتراض على الأعمال الظاهرية، و للمَلَك فرصة الطعن في حضور الباطن، و أن تكون الرغبات تابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، و عين القلب بصيرة بمشاهدة الحق.

وفق الله تعالى هذا العجوز الذي أضاع عمره و سائر الأصدقاء للعمل بهذه الطريقة، و التوجه بالقلب إلى حضرة الرب سبحانه و تعالىٰ و إلى حبيبه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (آمين، آمين، آمين)

و للبحث صلة ...

تعريب : أسعد الأعظمي

الهوامش:

١ – هو الميرزا حسن علي الشافعي، من المحدثين المعروفين في لكناؤ. كان من تلاميذ الشيخ شـــاه رفيع الدين الدهلوي و الشيخ شاه عبدالقادر الدهلوي، و كان قد حصل على الإجازة من الشيخ شاه عبد العزيز الدهلوي أيضا. له مؤلفات عديدة. توفي في سنة ١٢٥٥هـ (نزهة الخواطر ج٧)

٢ – أغلب الظن أنه هادي علي اللكنوي كما جاء في "*تذكرة العلماء*" لمؤلفه رحمن علي كان من سلالة الشيخ فخر الدين الشهيد، و ولد في بلدة "بجنور" بلكناؤ تلقى التعليم على المفتي سعدالله المراد آبادي و غيره من العلماء، و كان صاحب مؤلفات. توفي سنة ١٢٨١هـ (نزهة الخواطر ج ٧)

٣ – هذه الكلمات تدل على مدى صلة الشيخ فضل إمام الخير آبادي (صاحب *مرقاة المنطق*) بالشيخ شاه غلام علي، كما تدل على إقامته في "لكناؤ".

٤ – من خلال هذه الرسالة يمكن تقدير الكيفية الذهنية لمسلمي دهلي و للملك المغولي نفسه في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، و إن ما كُتب في كتاب "*تقوية الإيمان*" ضد هذه العقلية كان أمرا اقتضاه إيمان رجل مجاهد

٥ – إنه قطع مدارج التصوف لدى الشيخ شاه غلام علي و حصل على الخـلافـة و الإجازة فيـما بعد و قد كان يغلبه الاستغراق و الفناء، و لقي شهرة واسعة في منطقة كشمير (راجع "ضميمه *مقامات و معمولات مظهري*" لمؤلفه الشيخ شاه عبدالغني المجددي)

الحلقة الخامسة :

حلّ التضاد
فى توقيت سيرة خير العباد

بقلم: الغقيد اسحاق النبى علوي
(رامفور)

السنة الثالثة و الرابعة

قد بحثت عن سبع وقائع لهذه السنة و هنا سوف أبحث عن غزوة أُحد و حمراء الأسد بحثا كاملا، أما بقية الوقائع فهى تتلخص فيما يلى .

١- سرية زيد بن حارثة :

يصرح ابن اسحاق عن هذه السرية بأنها كانت بعد غزوة بدر بستة أشهر (أعنى فى شهر ربيع الأول من السنة الثالثة) و خلاف ذلك يقول الواقدى و ابن سعد أنها كانت فى جمادى الآخرة. و يلمس تأثير التقويمين الإثنين على تاريخ هذه الغزوة أيضا، فإنه فى جدول التقويمين إن ربيع الأول المكى سنة ٣. يصادف جمادى الآخرة المدنية. تفيد الروايات بأن هذه السرية كانت فى فصل الشتاء، و يعلم من الجدول أن ربيع الأول سنة ٣. كان مصادفا لنوفمبر و ديسمبر عام ٦٢٤م.

٢- زواج أم كلثوم :

يقول الواقدى: إن قران أم كلثوم على عثمان بن عفان رضى الله عنه كان فى شهر ربيع الأول سنة ٣. لكنها زفت إليه فى جمادى الآخرة، الذى لا يعلم له سبب معقول، و أغلب الظن أن الواقدى وصلت إليه روايتان مختلفتان بخصوص هذا الزواج، أولهاربيع و الأخرى جمادى، و بهدف التطبيق بين كلتا الروايتين إنه جعل مراسم النكاح و الزفاف فى شهور مختلفة.

تقويم السنة الثالثة و الرابعة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
	المحرم سنة ٣	٣١/ديسمبر ٦٢٤م يوم الجمعة	ربيع الآخر	
	صفر	٢٠/ اكتوبر يوم السب	جمادى الأولى	
١ـ سرية زيد بن حارثة نحو قروة بعد بدر الكبرى بستة شهور عن رواية إسحاق ٢ ـ زواج أم كلثوم رضى الله عنها	ربيع الأول	١٩/ نوفمبر يوم الإثنين	جمادى الآخرة	١ـ سرية زيد بن حارثة نحو قروة عن رواية الواقدى و ابن سعد . ٢ ـ زواج أم كلثوم
	ربيع الآخر	١٨/ ديسمبر يوم الثلاثاء	رجب	
غزوة نجران	جمادى الأولى	١٧/ يناير ٦٢٥م يوم الخميس	شعبان	
	جمادى الآخرة	١٥/ فبراير يوم الجمعة	رمضان	
	رجب	١٧/ مارس يوم الأحد	شوال	
	شعبان	١٥/ ابريل يوم الإثنين	ذوالقعدة	
	رمضان	١٥/ مايو يوم الأربعاء	ذوالحجة	
٢ ـ غزوة أحد ، ١١/ شوال سنة ٣ يوم السبت ٣ ـ غزوة حمراء الأسد ٤ ـ وفد عضل وقارة	شوال	١٣/ يونيو يوم الخميس	المحرم سنة ٤	١ـ سرية عبد الله بن أنيس ٢ ـ غزوة أحد. ٣ ـ حمراء الأسد (عن رواية عبد الحميد بن جعفر)
كارثة الرجيع عن رواية ابن اسحاق وغيره	ذوالقعدة	١٣/ يوليو يوم السبت	صفر	١ـ كارثة الرجيع عن رواية الواقدى و ابن سعد و غيرهما
	ذوالحجة	١١/ أغسطس يوم الأحد	ربيع الأول	

٣ - غزوة نجران :

يذكر أن هــذه الغزوة وقعت فى شهري ربيع الآخر و جمادى الأولى سنة ٣. و هو تاريخ مكي، و قد ذكرت فى الكتاب أسباب كونها مكية.

٤ - سرية عبدالله بن انيس :

ذكر الواقدى تاريخ هذه السرية المحرم سنة ٤. يعنى بعد غزوة أُحد بشهرين و النصف تقريبا، و لكنه من وجهة نظر التقويمين الإثنين يبدو أن هذه السرية وقعت قبل غزوة أحد بأيام. و يخال أن رسول الله إنما عين عبدالله بن انيس لكى لا تتمكن قريش من الحصول على المساعدة العسكرية من قبل سفيان بن خالد التى كانوا يريدون الحصول عليها لهذه الحرب. إنّ الروايات تفيد أنه بلغ صلى الله عليه و سلم أن سفيان يحشد جيشا ضد المسلمين، و كان من البين أن هذا الجيش كان يحشــد لمساعــدة قريش، و إلاّ لم يكن بنــو هذيل يجدون فيهم الجرأة لشن الهجمــة على المدينــة لوحدهـــم. و عبدالله نفسه ذكر تاريخ هذه السرية يوم الإثنين ٥ من شهر المحرم الذى يظل صحيحا من الوجهة الحسابية.

٥ - كارثة رجيع :

إنه يتبين من تصريحات ابن اسحاق أن وفود عضل و قارة وصلت إلى المدينة فى آخر شوال سنة ٣. بعد غزوة أُحد بقليل، و بناء على طلبهم أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم معهم بعض المسلمين، الذين يكونون غادروا فى ذى القعدة سنة ٣. على الأقل. أما الواقدى فيذكر تاريخه صفر سنة ٤. الذى يعلم منه أنه توجد تأثيرات التقويمين الاثنين على توقيت هذا الحادث، فذوالقعدة المكى سنة ٣. يصادف صفر سنة ٤. (انظر التفاصيل فى مجلة "البرهان" / أغسطس سنة ٤٦م).

٦ - ٧- غزوة أُحد و غزوة حمراء الأسد :

شوال (المكى) سنة ٣.- المحرم (المدنى) سنة ٤.

لقد قلنا فيما سبق أن حصار قريش التجارى الذى قام به المسلمون بعد الهجرة، كان ناجحا إلى حد أن أهل مكة كانوا حرموا من تجــارة الشــام و المؤانى الشمالية الأخرى، و كانت التجارة مع العراق أيضا محفوفة بالخطر، و أن قافلة محمّلة بالفضة قد كانت سقطــت فى أيدى جيش زيد بن حارثة.

و حق أن يكون مفعول هذا الحصار التجارى أو بكلمة أخرى الاقتصادى فتاكا لأهل مكة، الذى لم يكن لهم بدٌ من التخلص منه، إما أن يستسلموا أمام الحركة الإسلامية و إما أن يشنوا على مركز المسلمين ضربات تدكّ سياج هذا الحصار الحديدى، فنرى أنه بعد ما قطع الطريق عليهم بأيدى زيد بن حارثة و أصحابه عبأت قريش بعد ذلك بشهور قليلة جيشا قويا و حاصروا به المدينة المنورة فى شوال سنة ٣.

إن مؤلفي السيرة يقّولون إن قريشا قد كانت بدأت الاستعدادات لدكّ هذا الحصار، بعد غزوة بدر بالفور (١). و ليس ذلك ببعيد، فإن ضغط المسلمين المتواصل قد كان رد تجارتهم الشمالية مشلولة، لكن ينبغى أن يكون سببه العاجل السخط الذى كان تولد فيهم من حادث قروة الذى كان قطع فيه الطريق على فضة مائة ألف تقريباً.

على كل: خرجت جيوش قريش و كانت تضم القبائل القاطنة فى ضواحى مكة و خاصة "الأحابيش" (٢). فى شوال سنة ٣. و بعظمة و كبرياء كانوا يحملون معهم أصنام اللات و العزّى (٣) و كان المشاة و الفرسان يرحلون معها كان عباس بن عبد المطلب عم رسول اللّه صلى اللّه عله و سلم قد أبلغ نبأ هذا الهجوم بكتاب سرى قبل بضعة أيام من غزوة أحد (٤) الذى كان وصل إلى المدينة المنورة فى بدء شوال سنة ٣. فى الغالب. و يوم الأربعاء (٥) (فى ٧ أو ٨ شوال فى الغالب) وصلت جيوش قريش إلى ذى الحليفة الواقعة فى "وادى العقيق" التى تقع على بعد خمسة أميال من المدينة فقط. و إذ أن الحرات تتكاثر فى جنوب المدينة، فاختارت قريش سفح جبل أحد للمعركة و وصلت جيوشهم بعد قطع المسافة (٦) إلى الشمال و ضربت هناك خيامها.

و صباح يوم السبت (٧) دارت رحى الحرب و لعلها انتهت وقت الظهيرة، أصيب فيها المسلمون بخسائر جسيمة و استشهد كثير من المسلمين الكبار، و هاجم مولى حبشى على حمزة بن عبد المطلب عم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فانكسرت سيف الإسلام هذه أيضا (٨) و أصيب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم نفسه و جُرح وجهه و سقط على الأرض و أرجف أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قد استشهد على يد ابن قمية (٩) و كأن الحرب قد انتهت.

قد انتقمت قريش قتلى بدر إلى أن شبعت نفوسهم، و مثلوا جثث الشهداء (١٠) و يبدو أن رؤوساء قريش سكارى فى نشوة الظفر و الإنتصار ظنوا كفاية فى هذا الانتقام و أخذت جيوشهم ترجع، و كانت معظم جيوشهم قد رجعت فى الغالب حتىٰ بلغ قائدهم نبأ سلامة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فتحدوا المسلمين بالحرب فى السنة القادمة و رجع هذه الكتيبة الأخيرة منها أيضا (١١).

غزوة حمراء الأسد :

و فى الصباح الباكر من اليوم التالي يوم الأحد جاء رجل من مزنة بنبأ أن جيوش قريش قد نزلت بـ "ملل" و أن أبى سفيان يريد يحول هذا الانتصار الناقص إلى فتح مبين (١٢) و قد ذكر الواقدى تفاصيل هذه الغزوة بكاملها و نقل الرواية الآتية لعبدالحميد بن جعفر بفصّها و نصها :

" لما كان فى المحرم ليلة الأحد إذاً عبدالله بن عمرو المزنى على باب رسول الله صلى الله عليه و سلم و بلال جالس على باب النبى صلى الله عليه و سلم. و قد أذن بلال و هو ينتظر خروج النبى صلى الله عليه و سلم إلى أن خرج فنهض إليه المزنى فقال . يا رسول الله ! أقبلت من أهلى حتى إذا كنت بـ "ملل" فاذا قريش قد نزلوا، فقلت · لأدخلن فيهم و لأسمعن من أخبارهم فجلست معهم فسمعت أبا سفيان و أصحابه يقولون : ما صنعنا شيئا، أنتم شوكة القوم وحدتهم فارجعوا نستأصل من بقى ! و صفوان يأبى ذلك عليهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم أبابكر و عمر رضى الله عنهما، فذكر لهما ما أخبره المزنى فقالا : أطلب العدو و لا يقحمون على الذرية ! فلما سلم ثاب الناس، و أمر بلالا ينادى يأمر الناس بطلب عدوهم، و قالوا. لما أصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة يوم الأحد أمر بطلب عدوهم فخرجوا و بهم الجراحات."(١٣)

يقول المؤرخون إن رسول الله صلى الله عليه و سلم حينما بلغه هذا النبأ خرج يطارد قريش حتى بلغ حمراء الأسد حيث أقام بها ثلاثة أيام، و من هنا أطلق على هذه الغزوة اسم غزوة حمراء الأسد.(١٤).

و يعلم من رواية الواقدى هذه أن راويها الأول كان يرى تاريخ هاتين الغزوتين غزوة أُحد و حمراء الأسد شهر المحرم، كما يبدو من قوله "لما كان فى المحرم"، مع أن جميع العلماء المسلمين دون استثناء يجمعون على أن هاتين الغزوتين وقعتا فى شهر شوال سنة ٣.، و الواقدى نفسه ذكر هذه الغزوة ضمن شوال (١٥).

أ كانت غزوة أُحد وقعت فى شوال أم فى المحرم ؟. إن جدول التقويمين الإثنين يحل ذلك، ففى جدول التقويمين لسنة ٣. إن شهر شوال المكى المصادف لـ ١٣ يونيو عام ٦٢٥ م يطابق الشهر المدنى "المحرم" الذى يتقرر منه أن اختلاف الرواية هذا نتيجة فعل التقويمين لا غير. و أن الروايات التى توجد

بخصوص شوال كانت سجلت حسب التقويم المكي. و تدعم هذه الفكرة الموشرات الموسمية أيضا، فتفيد الروايات بأن الفصل الذى وقعت فيه غزوة أحد و حمراء الأسد كانت الرطب قد نزلت فيه إلى السوق فعلا، حتى قال موير (MUIR) بوضوح أن هذه الجراية كانت وزعت بين جيوش المسلمين بأجمعهم خلال هاتين الغزوتين

" و أقام بها الجيش ثلاثة أيام يعيش على الرطب من فصل وفير تم جنيه فى ذاك الوقت " (١٦).

و بعد القفول من غزوة حمراء الأسد بأيام قليلة، وجهت أرملة أحد من أصحابه المخلصين الذى كان قد استشهد فى غزوة أُحد دعوة إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مع عدة من أصحابه فى حديقتها، و فرشت لهم تحت الأشجار الظليلة بعد رشها بالماء، و بعد ما فرغوا من الطعام قدمت إلى الضيوف طبقا من رطب، تنص الروايات أيضا بأن هذه الرطب كانت باكورة الفصل أو جنيت بعدها بقليل (قد رشت ما بين صورين و طرحت خصفة ... ثم أتينا برطب فى طبق فى باكورة أو مؤخر قليل) (١٧)

إن فصل الرطب بالحجاز إنما يحل فى يونيو و يوليو بصورة عامة، و الآن لو جعلت هذه الواقعة للشوال القمرى سنة ٣.، فيصادف مارس عام ٦٢٥ م و ليس هذا بزمن الرطب ألبتة. و العجب أن موير MUIR جعل تاريخ غزوة أُحد يناير عام ٦٢٥ م (١٨) الذى لا يوجد فيها النور فضلا أن توجد التمور. و فوق ذلك إنه نقل هاتين الروايتين بتفصيل تام (١٩).

هذا، و ينبغى أن نلقى نظرة على تاريخ هذه الغزوة، فيقول ابن كثير

" كانت هذه الغزوة فى شوال سنة ثلاث، قاله الزهرى و قتادة و موسى بن عتبة و محمد بن اسحاق و مالك، قال ابن اسحاق للنصف من شوال و قال قتادة يوم السبت الحادى عشر منه، قال مالك و كانت الواقعة فى أول النهار." (٢٠)

و جعل القسطلانى تاريخ قتادة مجمعا عليه بين هذه التواريخ. و مع أنه ذكر التواريخ الأخرى أيضا و لكن مسبوقا بكلمة "قيل" فيقول :

" و كانت هذه الوقعة المشهورة فى شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه، و قيل لسبع خلون منه، و قيل فى نصفه." (٢١)

و ذكر ابن سيّدالناس فى كتابه "عيون الأثر" عن ابن عائذ مؤلف السيرة الشهير الحادي عشر من شوال :

"و كانت فى شوال سنة ثلاث يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه عند ابن عائذ."(٢٢)

و العجب أن الديار بكرى نفسه نقل عن ابن اسحاق رواية تنص على ١١ من شهر شوال ، (٢٣) و لو سلمنا أنه لا دخل فيه لخطأ الدياربكرى أو نسيانه، فيبدو أن هذا التاريخ أيضا كان يوجد فى بعض نسخ ابن اسحاق التى لا توجد الآن.

و خلاف ذلك حكى الواقدى تاريخها ٧ من شهر شوال يوم السبت، (٢٤) و أما ابن اسحاق فطبقا للرواية المشهورة ذكر تاريخها المنتصف من شوال، (٢٥) الذى يمكن أن يستنتج منه أن الجميع يتفقون على يوم السبت، لكن وقع الخلاف فى التاريخ ببعض سوءالفهم. إن أقدم رواية عنها هى رواية قتادة التى تنص على ١١ من شوال، و لعلها هى صحيحة، إذ أنه طبقا للحسابات الراهنة كانت غرّة شوال المكى يوم الخميس، فمن هنا ينبغى أن يكون ١٠ من هذا الشهر يوم السبت. لكن كما قلت سابقا أن تباين يوم واحد لا أهمية له شيئا فى الرؤية الحسابية و الرؤية الواقعية.

أما التاريخ المشهور للواقدى و ابن اسحاق فأكبر سبب كونه خاطئا فيما أظن هو الاختلاط التاريخى لغزوة حمراء الأسد، فإن هاتين الغزوتين وقعتا متتابعة باختلاف يوم واحد، ثم إن غزوة حمراء الأسد كانت غزوة فرعية، فتكون ذكرت هاتان الغزوتان معا فى الوثائق البدائية، الأمر الذى تسبب فى سوء فهم هؤلاء إمامي السيرة

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قضى أربعة أيام فى غزوة حمراء الأسد، لو ضمت هذه الأيام إلى ١١ فيحصل ١٥ كما قال ابن اسحاق، و لو نقص هذا العدد فيكون ٧ كما قال الواقدى.

على كل، إن تاريخ ابن اسحاق و الواقدى كليهما غير صحيح فيما أرى، و لا يمكن أن يصحح إلاّ إذا افترض أن غزوة أُحد لم تكن وقعت فى شوال المكى بل فى شوال المدنى، لكن لا مبرر فى الظاهر لأن نسلم بهذا الافتراض.

السنة الرابعة و الخامسة :

قد بحثت عن ست وقائع لهذه السنة و هى كما يلى :

٢-١ سريّة أبى سلمة المخزومى و غزوة دومة الجندل :

يقول مورّخو السيرة إن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث أباسلمة

فى جماعة قليلة إلى قبائل نجد فى شهر المحرم سنة ٤. و يذكر تاريخه غرة المحرم سنة ٤.، لكنى أرى أن هذه السرية كانت متفرعة عن غزوة دومة الجندل، التى يقال إنها وقعت فى سنة ٥.، و قد ذكرت فى الكتاب أسبابها و قلت هناك إن غزوة الجندل أيضا كانت تتعلق فى الغالب بالسنة ٤..

٣- كارثة بئرمعونة :

إن ابن اسحاق و الواقدى يجمعان على أن هذه الكارثة وقعت فى شهر صفر سنه ٤.، و أرى أن هذا كان صفرا مكيا، و وقعت بعد نحو أربعة أشهر من كارثة الرجيع، كما يراه ابن اسحاق

٤- غزوة بنى نضير :

ذكر ابن حبيب تاريخ هذه الغزوة يوم الثلاثاء ١٢/ من شهر ربيع الأول سنة ٤.الذى يصدق تمام الصدق تبعا للتقويم المكى، و لكنه لا يصح بموجب تقويم وستنفيلد

٥- قتل أبى رافع :

إنه يوجد الخلاف بين المؤرخين متى قتل أبو رافع، فبعضهم يقولون إنها كانت جمادى الآخرة سنة ٣. و بعضهم يقولون إنها كانت سنة ٤. و البعض يجعلونه فى رمضان سنة ٦. إن جدول التقويمين الإثنين يحدث 'تزانا بين هذه التواريخ المتعارضة، و قد جاء بحث كامل عنه فى الكتاب.

٦- غزوة بدر الموعد : (شعبان سنة ٤ / ذوالقعدة سنة ٤.)

يذكر المؤرخون أن أبا سفيان كان تحدى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى غزوة أحد بتجربة الحظوظ السنة القادمة فى ساحة بدر نفسها (٢٦)، حيث كانت قريش منيت بالفشل الذريع قبل عام واحد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم على ذكر من هذا التحدى، فخرج هذا العام بجيش كبير فى الأيام المحددة و تقدم نحو بدر. و خرجت قريش أيضا بكل عدة و عتاد، و لم يكونوا وصلوا إلى ظهران حتى خارت هممهم (٢٧) و رجعوا على أدراجهم بسبب عدم ملائمة الفصل

أطلق على هذه الغزوة إسم بدر الموعد بسبب هذا التحدى، و يمكن أن يكون هذا الباعث الوحيد لهذه الغزوة، لكنى أرى أن إزدهار التجارة المدنية

تقويم السنة الرابعة و الخامسة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
١ ـ سرية أبى سلمة ، غرة المحرم ٢ ـ غزوة دومة الجندل ، غرة المحرم عن رواية ابن حبيب	المحرم سنة ٤	١٠/ سبتمبر سنة ٦٢٥م يوم الثلاثاء	ربيع الثانى	غزوة دومة الجندل عن رواية الواقدى
٣ ـ كارثة بئر معونة	صفر	٩/ أكتوبر يوم الأربعاء	جمادى الأولى	
٤ ـ غزوة بنى نضير ، يوم الثلاثاء ١٢/ بيع الأول عن ابن حبيب	ربيع الأول	٨ نوفمبر يوم الجمعة	جمادى الآخرة	
	ربيع الآخر	٧/ ديسمبر يوم السبت	رجب	
	جمادى الأولى	٦/ يناير ٦٢٦م يوم الإثنين	شعبان	
٥ ـ قتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق	جمادى الآخرة	٤/ فبراير يوم الثلاثاء	رمضان	٥ ـ قتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق
	رجب	٦/ مارس يوم الخميس	شوال	
٦ ـ غزوة بدر الموعد عن رواية ابن إسحاق يوم الخميس غرّة شعبان (ابن حبيب)	شعبان	٤/ ابريل يوم الجمعة	ذو القعدة	٦ ـ غزوة بدر الموعد (الواقدى) غرّة ذى القعدة (ابن سعد)
	رمضان	٤/ مايو يوم الأحد	ذو الحجة	
	شوال	٢/ يونيو يوم الإثنين	المحرم سنة ٥	
	ذو القعدة	٢/ يوليو يوم الأربعاء	صفر	
	ذو الحجة	٣١/ يوليو يوم الخميس	ربيع الأول	
غزوة دومة الجندل غرة المحرم	نسى	٣٠/ أغسطس يوم السبت	ربيع الثانى	غزوة دومة الجندل عن رواية الواقدى

و حصار قريش التجارى كان له كبير دخل فيها.

و ذكر ابن اسحاق غزوة ذات الرقاع قبل هذه الغزوة، (٢٨) و لكن بموجب ترتيب الواقدى (٢٩) كانت غزوة ذات الرقاع وقعت بعد بدرالموعـد. و هـــذه الرؤية هى صحيحة ، فقد كتب ابن اسحـــاق و هو يذكر تاريخ بدر الموعد:

" *ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان*" (٣٠)

و ابن حبيب ذكر اليوم و التاريخ أيضا بصراحة أكثر، فقال .

" *غزوة بدر الموعد خرج إليها يــوم الخميس مستهل شعبــان و رجع يوم الأربعاء لعشر بقين منه.*" (٣١)

و فى مقابل ذلك يختلف عنهما تصريح الواقدى و ابن سعد تمام الاختلاف، فقد جاء فى الطبقات

" *غزوة رسول الله صلى اللّـــه عليه و سلم بدر المـــوعد و هى غير بدر القتال و كانت لهلال ذى القعدة* ".(٣٢)

كانه لا يوجد أى تصور تاريخى مشترك بين مدرستى فكر ابن اسحاق و الواقدى إلا غرة الشهر، لكن الحقيقة هى أن لهذه الغزوة أيضا تبدو وثيقتان بدائيتان على انفراد، التى كانت أولهما وفق التقويم المكى و الأخرى تبعا للتقويم المدنى.

و فى جدول التقويمين الإثنين لسنة ٤. يوافق شعبان المكـــى شهـــر ذى القعدى المدنى، الأمر الذى يدعم هذه الرؤية، و ينتج منه أن هاتين الوثيقتين كان تم تسجيلهما علاحدة.

و هنا أمر يستحق الاعتناء بصورة خاصة هو أن كلتا الوثيقتين تتضمنان تاريخ الخروج إلى هذه الغزوة غرة الشهر، الذى يعنى أن هذه الغزوة عند راو كانت فى غرّة شعبان، و عند أخر كانت فى غرّة ذى القعدة.

و ابن حبيب ذكر تاريخ الخروج لهذه الغزوة يوم الخميس مستهل شعبان، و تاريخ الرجوع يوم الأربعاء ٢٠ من شهر شعبان. و طبقا للتقويم الهجرى لوستنفيلد كان هلال ذى القعدة سنة ٤. رؤى يوم الخميس بالضبط، و هو يطابق الروايات مطابقة تامة.

السنة الخامسة و السادسة :

قد بحثت عن الوقائع المذكورة أدناها لهذه السنة :

١- خسوف القمر سنة ٥ :

يذكر المؤرخون أنه فى شهر جمادى الأخرة سنة ٥. رؤى خسوف القمر

بالمدينة، و من الوجهة الحسابية كان خسوف وقع فى ٩ من نوفمبر عام ٦٢٦م الذى يطابق جمادى الآخرة المدنية.

٢- غزوة بنى المصطلق :

إنه يوجد الخلاف بين العلماء بخصوص هذه الغزوة، أ كانت فى السنة الخامسة أم السادسة ؟ فيعلم مـــن رواية عائشـــة رضى الله عنها، أن هذه الغزوة كانت قبل غزوة الخندق. و يذكر تاريخها غرّة شعبان (عن رواية ابن حبيب) و ٢ من شهر شعبان سنة ٥. عن رواية المسعودى، إن يوم السبت يطابق ٢ من شعبان سنة ٥. تماما كما يجب.

٣- الوثيقة المزيفة لأهل مقنا :

قد ذكر الدكتور حميـــدالله هذه الوثيقـــــة فى كتابه الشهير "الوثائق السياسية" و هى فيما يبدو مزيفة. و الوثيقة تتضمن تاريخ تحريرها يوم الجمعة ٣ من شهر رمضان ســـنـــة ٥. و ذلك لا ينسجم لا مع التقويم المكــى و لا مع التقويم المدنى.

٤-٥ - غزوة الخندق و بنى قريظة :

لم تحفظ التواريخ الصحيحة لهذه الوقائع و يبدو أنه فى الوثائق البدائيــة لم تكن كتابتهــا واضحــة، و قد جاء بحث كامل عنهــا فى الكتــاب و كذلك راجع مجلة "البرهان" سبتمبر سنة ٦٤م.

٦- غزوة ذات الرقاع: (المحرم سنة ٥ ـ جمادى الأولى سنة ٥٠)

قد سبق ضمن قتل أبى رافع سلام بن أبى حقيق أن بنى نضير بعد جلاءهم من المدينة المنورة كانوا كانهم قد أخذوا على عاتقهم إستيصال شأفة الحركة الإسلامية، فنتيجة لمساعيهم أخذت قبائل خيبر التى كانت تسكن فى ضواحى المدينة أخذت تتحد فى أواخر سنة ٤.، و أخذت قريش أيضا تدبّ فيهم الحياة بالموازرة اليهودية بعد ما كانوا استلقوا على فراش الموت من الوجهة السياسية، و ذلك أسفر عن المعركة الشهيرة فى سنة ٥. المعروفة بغزوة الخندق، و لكن فى هذه السنة نفسها كانت وقعت غزوتان أخريان قبل عدة أشهر من هذه الغزوة، و هـــى غـــزوة ذات الرقـــاع و غزوة بنـــى المصطلق أو المريسع، و هذه الأخرى أيضا تبدو نتيجة للحركة اليهودية.

و يوجد تصريح بخصوص غزوة ذات الرقاع أن هذه الخطوة كانت

اتخذت ضد بني غطفان و بطونها الأخرى أعني بني محارب و بني ثعلبة و بني أنمار و غيرهم، الذين كانوا خير أصدقاء ليهود بني نضير، و كانوا يقطنون بالقرب من خيبر. لما بلغه صلى الله عليه و سلم أن هذه القبائل تتأهب لغزو المدينة، فقصد منازلهم نفسها بهدف فضّ جمعهم و تشتيت شملهم، يقول ابن سعد :

> " *قدم قادم المدينة . ... . فأخبر أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن أنمارا و ثعلبة قد جمعوا لهم الجموع فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ... . فخرج . . .* (٣٣)"

و ذكر ابن سعد شهر هذه الغزوة جمادى الأولى سنة ٤. يعني أنها كانت بعد شهرين و النصف من غزوة بني نضير، كما تفيد العبارة الآتية :

> " *ثم أقام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر و بعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بني محارب و بني ثعلبة من غطفان.*" (٣٤)

و ابن حبيب ذكر تاريخ هذه الغزوة و يومها بتفصيل زائد

> " *و غزوة ذات الرقاع خرج إليها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم الإثنين لعشر خلون من جمادى الأولى و رجع يوم الأربعاء من هذا الشهر.*" (٣٥)

و خلاف ذلك جعل الواقدى و ابن سعد تاريخها المحرم سنة ٥. كما جاء فى الطبقات

> " *ثم غزوة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذات الرقاع فى المحرم، و خرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم.*" (٣٦)

و قد جمعت هذه الخلافات كلها فى المواهب :

> "*و اختلف فيها متى كانت ؛ فعند ابن اسحاق بعد بني النضير سنة أربع فى شهر ربيع الآخر و بعض جمادى و عند ابن سعد و ابن حبان فى المحرم سنة خمس.*" (٣٧)

و نتيجة لهذه الخلافات الإبتدائية جعلها بعض العلماء حتى بعد غزوة بني نضير (سنة ٥).

> " *و جزم أبومعشر بأنها بعد بني قريظة* " (٣٨)

تقويم السنة الخامسة و السادسة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
١ ـ غزوة ذات الرقاع ١٠/ المحرم عن رواية الواقدى .	المحرم سنة ٥	٢٨/ سبتمبر سنة ٦٢٦م يوم الأحد	جمادى الأولى	١ ـ غزوة ذات الرقاع عن رواية ابن اسحاق ١٠/ جمادى الأولى عن رواية ابن حبيب
	صفر	٢٨/ أكتوبر يوم الثلاثاء	جمادى الآخرة	٢ ـ خسوف القمر
	ربيع الأول	٢٦/ نوفمبر يوم الأربعاء	رجب	
	ربيع الثانى	٢٦/ ديسمبر يوم الجمعة	شعبان	٣ ـ غروة بنى المصطلق يوم السبت غرة شعبان عن رواية ابن حبيب و عن رواية المسعودى و القسطلانى ٢/شعبان
	جمادى الأولى	٢٤/ يناير ٦٢٧م يوم السبت	رمضان	٤ ـ الوثيقة المزيفة لأهل مقنا ، التاريخ و اليوم عير صحيح
	جمادى الآخرة	٢٣/ فبراير يوم الإثنين	شوال	٥ ـ غزوة الخندق ، يوم الخميس ١٠/ شوال (ابن حبيب)
	رجب	٢٤/ مارس يوم الثلاثاء	ذوالقعدة	٦ ـ غزوة بنى قريظة حصار ٢٥ يوما
	شعبان	٢٣/ ابريل يوم الخميس	ذوالحجة	٧ ـ الرجوع عن بنى قريظة ، يوم الإثنين ٤/ ذى الحجة (ابن حبيب)
٤ ـ الوثيقة المزيفة لأهل مقنا، التاريخ و اليوم عير صحيح	رمضان	٢٣/ مايو يوم السبت	المحرم سنة ٦	
	شوال	٢٢/ يونيو يوم الإثنين	صفر	
	ذوالقعدة	٢١/ يوليو يوم الثلاثاء	ربيع الأول	
	ذوالحجة	٢٠/ أغسطس يوم الخميس	ربيع الثانى	

و من الواضح أن هذه الخلافات بأجمعها إنما ناجمه عن الخلافات الوثائقية التى وصلت إلى مدوّنى السيرة الأولين، فطبقاً لرواية ابن حبّان و ابن سعد أنظروا شهر المحرم المكى فى الجدول الذى أعددته فيتراءى فى مقابلها شهر جمادى الآخرة المدنية الذى يطابق كلتا الوثيقتين تماما. و بناء على ذلك يتضح ما ارتكبه ابن اسحاق من الخطأ الترتيبى أكثر.

الأمر الذى يستحق إعتناء أكثر بهذا الخصوص هو أن هذه الغزوة ذكرت بتاريخ ١٠ فى كلتا الوثيقتين الذى يبدو منه أن هذه الغزوة وقعت فى العاشر من جمادى عند راوٍ ، و عند راوٍ آخر فى العاشر من المحرم.

و جعل ابن حبيب ١٠ من جمادى يوم الإثنين، و بموجب تقويم وستنفيلد كانت غرّة جمادى يوم السبت، (المصادف لـ ٢٨ من سبتمبر عام ٦٢٦م) ، فمن هنا ينبغى أن يقع يوم الإثنين فى ٩ من جمادى لكن اختلاف يوم واحد ليس مما يلتفت إليه.

و فى النسخة المتواجدة لإبن سعد إن ١٠ من المحرم هو يوم السبت. (٣٩) إنه يبدو أن هذا الخطأ كان من ناقل بدائى، الذى قرأ يوم السبت بدل يوم الإثنين بسبب ردائة النسخة أو سوء خط الكتاب، و إلاّ لا يمكن أن يقع ١٠ من المحرم يوم السبت فى حال ما.

السنة السادسة و السابعة :

قد بحثت عن الوقائع المذكورة أدناها لهذه السنة.

١- سرية كرز بن جابر الفهرى:

إن تأثير التقويمين الإثنين يلمس على توقيت هذه السرية أيضا، فإحدى الروايات تتضمن تاريخها جمادى الآخرة، و الأخرى شوال سنة ٦. و بنظرة على جدول سنة ٦ - ٧ يعلم أن نهاية شوال المدنى لسنة ٦. كان موافقا لبدء جمادى الآخرة المكية.

٢- سفارة دحية بن خليفة الكلبى :

إن تاريخ هذه السفارة محفوظة عند المؤلفين الأوربين أيضا و يطابق ما تتضمنه الروايات.

[ملاحظة : فى السنتين الماضيتين كانت شهور الكبيسة زيدت فى نهاية السنة ، أما فى هاتين السنتين فأضيفت فى مستهلها.]

تقويم السنة السادسة و السابعة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
	المحرم سنة ٦	١٨/ سبتمبر سنة ٦٢٧م يوم الجمعة	جمادى الأولى	
	نسى	١٨/ أكتوبر يوم الأحد	جمادى الآخرة	
	صفر	١٦/ نوفمبر يوم الإثنين	رجب	
	ربيع الأول	١٦/ ديسمبر يوم الأربعاء	شعبان	
	ربيع الثانى	١٤/ يناير ٦٢٨م يوم الخميس	رمضان	
١ - اغتيال خسرو برويز عن رواية الواقدى يوم الثلاثاء ١٠/ جمادى الأولى	جمادى الأولى	١٣/ فبراير يوم السبت	شوال	١ - اغتيال خسرو برويز، ٢٧/ فبراير ٦٢٨م التاريخ الأوربي ٢ - سرية كرز بن جابر إلى العرنيين (الواقدى)
٢ - سرية كرز بن جابر الفهرى عن رواية الواقدى	جمادى الآخرة	١٣/ مارس يوم الأحد	ذوالقعدة	٣ - غزوة الحديبية، كان الخروج يوم الإثنين غرة ذى القعدة (ابن سعد)
	رجب	١٢/ ابريل يوم الثلاثاء	ذوالحجة	٤ - سفارة دحية بن خليفة الكلبى ابريل ٦٢٨م (التاريخ الأوربي)
	شعبان	١١/ مايو يوم الأربعاء	المحرم سنة ٧	
	رمضان	١٠/ يونيو يوم الجمعة	صفر	
	شوال	٩/ يوليو يوم السبت	ربيع الأول	
	ذو القعدة	٨/ أغسطس يوم الإثنين	ربيع الثانى	
غزوة ذى قرد عن رواية البخارى	ذوالحجة	٦/سبتمبر يوم الثلاثاء	جمادى الأولى	غزوة بنى لحيان (ابن اسحاق) ، غزوة ذى قرد .

٣- صلح الحديبية :(جمادى الأولى سنة ٥ ـ ذو القعدة سنة ٦)

إن جميع الحروب التى دارت بعد الهجرة بين قريش و المسلمين، كانت المبادرة إليها دوما من قريش حتى سنة ٥ ، فقد قام كرز بن جابر الفهرى بشن أول غارة على المدينة المنورة فى شهر جمادى المدنية سنة ٢.، ثم فى ذى الحجة سنة ٢. هاجم أبوسفيان نفسه على المدينة التى تعرف بغزوة السويق و فى سنة ٣. وقعت غزوة أحد التى منى فيها المسلمون بالفشل فى بادى النظر، ثم فى السنة الرابعة وقعت غزوة بدر الموعد قبولا لتحدى أبى سفيان. و فى السنة الخامسة دفعت أكبر هجمة لقريش بحفر الخنادق حول المدينة، التى كانت وظفت فيها قريش و حلفاءها قصارى طاقاتها، لكن فترت هممهم حين لم تكلل جهودهم بالنجاح. و إذا انهارت السمعة و الثقة بالنفس فلا خير فى المرء، و أنذاك كان تنبأ رسول الله صلى الله عليه و سلم أن هذه كانت أخر هجمة لقريش التى قد تمت بالفعل (٤٠).

و الآن جاء دور المسلمين، فتم القرار فى فصل الربيع فى سنة ٦. على زيارة الكعبة قبلة الإسلام التى كانت تحت تصرف المشركين، و من الطبيعى أن هذه الخطوة بقدر ما كانت مؤسسة على المصالح السياسية كانت أكثر من ذلك خطوة جرية باسلة، فما كان اعتبار حفنة من المسلمين فى زمن كان يحتشد فيه المشركون من كافة أنحاء الجزيرة فى مكة.

لما علمت قريش بمجيء رسول الله صلى الله عليه و سلم استشاطوا غضبا. فإن سماح المسلمين " الصابئين حسب زعمهم" لحج البيت كانت تتعارض مع مصالحهم السياسية، و مع أنهم كانوا لا يملكون أن يمنعوا أحدا من زيارة البيت فى زمن الحج و العمرة وفق الدستور السائد (٤١) لكن التاريخ يدل على أنه عيّنت كتائب ضخمة لمنع المسلمين من دخول مكة، التى سدت الشوارع العامة فى وجه المسلمين، فانحرف رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الطريق العام و سلك طريق الحديبية (٤٢) و أعلن أن المسلمين لم يأتوا ليخوضوا حربا بل ليعتمروا البيت فقط (٤٣)و إضافة إلى ذلك أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى مكة حتى يطمئن كبار قريش عن جميع الطرق الممكنة (٤٤).

لكن ذهب هذا المجهود سدى، ولم ترجع قريش عن إباءهم، و أثناء ذلك أرجف أن أهل مكة قتلوا عثمان، فأراد رسول الله غزو مكة، و أخذ يبايع أصحابه تلك البيعة المعروفة التى تسمى بـ "بيعة الرضوان" فى التاريخ.

مع أن نبأ شهادة عثمان رضى الله عنه لم يكن صحيحا، و لكن أسفرت هذه البيعة عن نتائج بعيدة المدى، و اضطرت قريش إلى مصالحة لم تكن تتوقع من قبل.

و بعد المفاوضات تم تشكيل إتفاقية الهدنة ضمن فيها كل فريق أن لا

يغزو أحدهما الآخر إلى عشر سنوات (٤٥) و تقرر عن العمرة أن المسلمين يزورون البيت العام القادم فى هذه الأيام نفسها، و يرتحلون عن مكة بعد أداء المناسك خلال ثلاثة أيام، و لا يسمح لهم أن يدخلوا الحرم مسلحين (٤٦) و كانت هناك شروط أخرى، من أهمها أنه تكوز الخيرة لكل قبيلة من القبائل العربية أن تدخل مع المسلمين فى تحالف أو تبقى مع قريش (٤٧) و كان هذا يعنى بوضوح أن القبائل المعاهدة مع هذين الفريقين تتمتع بتلك الحقوق بالذات التى يتمتع بها هذان الفريقان.

إن ابن اسحاق و الواقدى يجمعان على أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم توجه إلى مكة لهذه العمرة فى ذى القعدة سنة ٦. يقول ابن اسحاق.

" *و خرج فى ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا*"(٤٨)

و يقول الواقدى:

" *ثم اعتمر النبى صلى اللّه عليه و سلم عمرة الحديبية فى ذى القعدة* " (٤٩)

و ابن سعد قد عين تاريخ و يوم خروجه من المدينة أيضا:

" *و ذلك يوم الإثنين لهلال ذى القعدة* " (٥٠)

و بموجب تقويم وستنفيلد كانت غرة ذى القعدة يوم الأحد، لكن تفاوت يوم واحد لا عبرة له شيئا. و ابن حبيب ذكر غرة ذى القعدة يوم الخميس (٥١) الذى لا يصح من الوجهة الحسابية.

إن المحدّثين أيضا يوافقون على أن الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ٦. و لكن رغم اتفاق المحدثين و مؤلفي السيرة هناك بعض روايات تسبب شبهات تاريخية عديدة

فقد كتب الطبرى عن عكرمة ضمن تاريخ الإيران القديمة :

" *فاهلك اللّه كسرى و جاء الخبر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم الحديبية ففرح و من معه* "(٥٢)

كأنّ اغتيال كسرى و هدنة الحديبية كانا متزامنين، لكن عند المؤرخين المسلمين كان اغتيال كسرى بالإجماع فى جمادى الأولى.

يقول ابن خلّدون إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان أخبر عن اغتيال كسرى بالفور عن طريق الوحى مع تصريح اليوم و التاريخ.

"*و جاء الوحى بأن اللّه سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ليلة كذا من شهر كذا لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع.*" (٥٣)

و الواقدى ذكر تاريخ اغتيال كسرى بتفصيل أكثر منه فيقول :

" *قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من*

جمادى الأولى من سنة السبع لست ساعات مضت فيها. "(٥٤)

و من البديهى أن ذكر السنة السابعة خطأ كتابى فى هاتين الروايتين، فإنه إذا كان بلغ نبأ اغتياله مكة بمناسبة صلح الحديبية فى السنة السادسة، فما تعنيه السنة السابعة ؟ (٥٥) و لكن التباين الذى يوجد بين جمادى الأولى و ذى القعدة يجب أن نمعن فيه النظر.

لو لم يكن تاريخ اغتيال كسرى مزيفاً عند المؤلفين المسلمين فى الواقع، و إنه حدث فى جمادى الأولى سنة ٦. كما يذكره الواقدى و المؤلفون الآخرون كافة، فإذا ينبغى أن يكون صلح الحديبية فى جمادى الأولى هذه أو قريبا منه، و إلاّ يلزم الاعتراف بأن هذا النبأ وصل إلى مكة بعد زهاء ستة أو سبعة أشهر، و لم يكن صلح الحديبية و اغتيال كسرى متزامنين، مع أن جميع المؤرخين المسلمين مازالوا يقرّون بهذا حتى اليوم.

كتب أبونعيم فى "دلائل النبوة" أن الايرانيين انهزموا على أيدى الروم فى نفس الزمن الذى كان وقع فيه صلح الحديبية (٥٦). و يقول الطبرى . لما بلغ نبأ هذه الهزيمة الحديبية تفتحت أسارير وجوه المسلمين كلهم (٥٧).

و يتأكد منه أن هاتين الواقعتين كانت متقاربة الزمن عند المؤرخين و لم يكن بينهما تباين ستة أو سبعة أشهر. و نظرا بهذه الشهادات التاريخية لنمتحن جدول التقويمين الإثنين إلى ما يهدينا بهذا الخصوص؟.

إنه يعلم من جدول السنة السادسة و السابعة أن جمادى الأولى المكية كانت موافقة للشهر المدنى شوال سنة ٦. الذى يحل بعده ذوالقعدة، و هذا هو نفس الشهر الذى تمت فيه هدنة الحديبية عند مؤلفي السيرة بأجمعهم، و هكذا تصير هاتان الواقعتان متقاربة الزمن. و قصة اغتيال كسرى الذى وقع فى جمادى الأولى فى نينوا، من الطبيعى تماما أن يصل خبره إلى مكة فى بداية جمادى الآخرة.

إنه ينتج من هذه الشهادة التقويمية أن قصة اغتيال كسرى كانت قيّدت تبعا للتقويم المكى، و صلح الحديبية "ظل مسجّلا حسب التقويم المدنى.

و أرى من المناسب أن ألقى هنا نظرة على التاريخ الذى ذكره الواقدى لهذا الاغتيال، الذى سبب الريب لبعض المؤرخين (٥٨) و كان سببا لطعنهم (٥٩) لكى نرى أن هذه الرواية أيضا تجدينا شيئا من الوجهة التاريخية أم لا ؟

يقول الواقدى إن هذه الواقعة كانت يوم الثلاثاء فى ١٠ من جمادى الأولى، و من الوجهة الحسابية كانت غرّة جمادى الأولى المكية مصادفة ليوم السبت من ١٣ فبراير عام ٦٢٨م ، فيكون ١٠ من جمادى الأولى يوم الأحد و مصادفا لـ ٢٢ فبراير عام ٦٢٨م ، لكن الرواية إذ صرحت بيوم الثلاثاء فيلزمنا الاعتراف بأن رؤية الهلال كانت سلّمت بعد يوم واحد، و كان العاشر

من جمادى يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٣ من فبراير.

يختلف المؤلفون الأوربيّون متى وقع هذا، فيقول غيبون (GIBBON) أنه ألقى القبض على كسرى و قتل ثمانية عشر (٦٠) من أنجاله بصورة قاسية فى ٢٥ من فبراير عام ٦٢٨م. و كسرى أيضا كان قتل فى اليوم الخامس، أى فى ٢٩ من فبراير (٦١). و الدكتور حميدالله يذكر تاريخ قتله ٢٧ من فبراير عام ٦٢٨م مستشهدا برسالة من قيصر نفسه (٦٢). لو ضمت إلى هذا التاريخ الرواية القائلة أن كسرى كان قتل فى اليوم الخامس من إلقاء القبض عليه، فيلزم الاعتراف بأنه ألقى القبض عليه فى ٢٣ من فبراير عام ٦٢٨م بالضبط، الذى هو تاريخ قتله عند الواقدى. و يمكن أن يقال أن الذين نقل منهم الواقدى ظنوا قصة القبض عليه و قتله قصـــة واحـدة. و هكذا تلمس علاقة قريبة جدا بين الواقدى و تاريخ المؤلفين الإغريق، و ما يبقى بينهما من تفاوت فيمكن أن يجعل نتيجة طبيعية لتباين وسائل اطلاعهم عليه. على كل، إن الروايات العربية تفوق على روايات المؤلفين الإغريق بأنه عيّن فيها اليــوم بالاضافــة إلى التاريخ، و الذى يصح مــن الوجهة الحسـابية، و نتعجب إلى أىّ مدى كانت وسائل الاطلاع دقيقة و صحيحة لدى المسلمين فى مثل هذا الزمن القديم.

هذا، و تبقى هناك الآن مسئلة أخرى و هى أكثر أهمية و متطلبة لامعان النظر من ذى قبلُ. إن جميع كتب السيرة تنص على أن الحديبية كانت تتعلق بزمن الحج أو العمرة. و كانت قبائل العرب أخذت تحتشــد أفواجا فى مكة لأداء هذا الواجب. و المسلمون أيضا كانوا يريدون التوصل إليها لهذا الهدف بالذات. لكنه يثبت من الروايات أن الحديبية وقعت فى ذى القعدة المدنى، الذى لم يكن له أية علاقة بزمن الحج. فالسوال هنا لم اجتمعت قبائل العرب هنا فى ذى القعدة المدنى ؟ إن جدول التقويمين الإثنين يرد على هذا السوال أيضا.

فبنظرة فيه يتراءى لنا أن ذا القعدة المدنى سنة ٦. كان موافقا لشهر جمادى الأخرة المكية، التى يحل بعدها شهر رجب المقدس. و كان يعد الشهر الخاص بـ "العمرة أو الحج الأصغر" حسب التقويم المكى (٦٣) و كان هذا الشهر أيضا يعج بالتجمع و النشاط فى العصر الجاهلى كما كان شهر ذى الحجة المقدس، و كل ما كان يفرقهما هى أن واجب رجب كان يطلق عليه إسم العمرة أو الحج الأصغر (٦٤) و أما واجب ذى الحجة فقد كان يدعى بالحج الأكبر، بل إن الاعتمار كان محظورا بالكلية لدى العرب فــى زمن الحج أعنى ذا الحجــة (٦٥) و كانوا يظنونه من أكبر المآثم، حتى إلى السنة العاشرة بعد إلغاء التقويم (بمناسبة حجة الوداع) حينما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعمرة مع الحج شق ذلك على المسلمين أنفسهم (٦٦). فلا يمكن أن يتصور أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان أعلن العمرة فى زمن الحج، و خاصة فى ظروف

و أوضاع كان يريد أن يؤدى فيها هذه المناسك بالمودّة و الطرق السلمية.

و تدل الرواية أيضاً على أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قدم بمناسبة الحديبية للعمرة فقط، و كان أحرم للعمرة فحسب، و لم تكن له أية نيّة بالحج، و يؤيد هذا حديث عبداللّه بن عمر الآتى ذكره:

" قال له (أى الراوى) . كم اعتمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ! قال أربع، إحداهنّ فى رجب، فقال عروة يا امّاه يا امّ المومنين أ لا تسمعين ما يقول أبوعبدالرحمن قالت : ما يقول قال يقول إن رسول اللّه اعتمر أربع عمرات إحداهن فى رجب قالت : يرحم اللّه أبا عبدالرحمن ما اعتمر عمرة إلاّ و هو شاهده و ما اعتمر فى رجب قط." (٦٧)

إنه ليتضح من تصريح عبداللّه بن عمر أنه وفق رؤيته كان اعتمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذات مرة على الأقل فى رجب، و كان يصحبه فيها هو أيضا طبقا لقول عائشة رضى اللّه عنها.

كما قلت سابقا إن الروايات تنص على أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أدى أربع عمرات أولها هى عمر الحديبية، و ثانيها عمرة القضاء التى أداها فى هذا الزمن بالضبط فى السنة السابعة، و الثالثة تعرف باسم عمرة جِعرّانة التى كان أداها بعد فتح مكة، و التى كانت بالاجماع فى ذى القعدة، و الرابعة كان جمعها إلى الحج بمناسبة حجة الوداع.

و من الواضح أنه لا يمكن أن تكون عمرتان من هذه العمرات الأربع أعنى عمرة جِعرّانة و عمرة حجة الوداع فى شهر رجب المرجب. فإما تكون عمرة الحديبية فى رجب أو عمرة القضاء التى كان توجه لتأديتها إلى مكة طبقا للاتفاقية فى هذا الزمن بالضبط الذى كان تم فيه اتفاقية الحديبية.

إنى أرى أن عمرة الحديبية كانت قبل بداية شهر رجب بأيام و لكن عمرة القضاء كانت أديت فى شهر رجب بالضبط، و أما نفى عائشة رضى اللّه عنها بأدائها فى شهر رجب فمردّه التباين بين التقويم المكى و المدنى، الذى لم تعرها اعتناءها.

ملاحظة: يقول بعض علماء التاريخ أنه كان وقع كسوف بالشمس عام صلح الحديبية، و لكن من الأسف، لم يحفظ شهره الصحيح، لكى نتمكن من امتحان هذه الرواية، نعم إنه يبدو لعل هذا الكسوف كان بعد صلح الحديبية و قد أخبر CUNNIGHAM عن كسوف بالشمس فى ١٠ من أبريل عام ٦٢٨م لكنه ليس معلوما هل كان يمكن رؤيته فى الحجاز أم لا ؟ فليمعن علماء الهيئة النظر فيه.

و للبحث صلة ... ...

الهوامش و المراجع :

١ ـ ابن سعد ٢/٢٥ و انظر أيضا الواقدى /١٩٨ ، ١٩٩
٢ ـ الطبرى ٣/١٠ و البداية و النهاية ٤/١٠
٣ ـ و يقول راو و هو يصور وقعة أحد " . و أقبل ابو سفيان يحمل اللات و العزى" (الطبرى ٣/١٤) الذى ينتج منه أن قريشا كانت قد أخذت أصنام اللات و العزى معها انظر البداية و النهاية ٤/١٠
٤ ـ الواقدى /٢٠٢ و ابن سعد ٢/٢٥ و ابن سيدالناس ٢/٣
٥ ـ الطبرى ٣/١٤
٦ ـ الطبرى ٣/١١، S.W Muir Life of Mohammed P 253
٧ ـ الطبرى ٣/١١
٨ ـ ابن هشام ٣/٧٣
٩ ـ ابن هشام ٣/٩٩
١٠ ـ ابن هشام ٣/٩٨ ، ١٠١ ـ الطبرى ٣/٢٤ ٢٥
١١ ـ ابن هشام ٣/١٠٠ و الطبرى ٣/٢٤
١٢ ـ الواقدى /٣١٧
١٣ ـ الواقدى /٣١٨، ٣١٧
١٤ ـ ابن هشام ٣/١٠٨ و الطبرى ٣/٢٨ و ابن خلدون ٢/٢٧
١٥ ـ الواقدى /١٩٧
١٦ ـ At this spot the force spent three days and regaled themselves with " fresh " date a plantifull harvest of which had just been gathered. S W Muir Life of Mohammad P 267
١٧ ـ الواقدى /٣٢١
١٨ ـ S W Muir: Life of Mohammad P 252
١٩ ـ المصدر نفسه - 267, 273
٢٠ ـ البداية و النهاية ٤/٩
٢١ ـ المواهب ١/١١٦
٢٢ ـ عيون الأثر ٢/١
٢٣ ـ تاريخ الخميس ١/٤١٩
٢٤ ـ الواقدى /١٩٨ و انظر أيضا ابن سعد ٢/٢٠
٢٥ ـ ابن هشام ٣/١٦ و انظر أيضا الطبرى ٣/١١
٢٦ ـ ابن هشام ٣/٢٢٠ و ابن سعد /٢ و ابن سيدالناس ٢/٥٤
٢٧ ـ ابن هشام ٣/٢٢٠ و الطبرى ٣/٢١
٢٨ ـ ابن هشام ٣/٢١٣
٢٩ ـ الواقدى / و ابن سعد ٢/٤٢ ٤٣ و التنبيه للمسعودى /٢٤٧ ٢٤٨
٣٠ ـ ابن هشام ٣/٢٢٠ و انظر أيضا الطبرى ٣/٤١ و ابن سيدالناس /٥٣
٣١ ـ ابن حبيب /١١٣
٣٢ ـ ابن سعد ٢/٤٢ و انظر أيضا الواقدى
٣٣ ـ ابن سعد ٢/٤٣
٣٤ ـ ابن هشام ٣/٢٤٢ و انظر أيضا ابن سيدالناس ٢/٥٢
٣٥ ـ ابن حبيب /١١٣
٣٦ ـ ابن سعد ٢/غزوة ذات الرقاع و انظر أيضا التنبيه للمسعودى /٢٤٨
٣٧ ـ المواهب للقسطلانى /١٣٧
٣٨ ـ المصدر السابق
٣٩ ـ ابن سعد ٢/٤٣
٤٠ ـ الديار بكرى ١/٤٩٢
٤١ ـ Margoliouth Rise of Islam P 349
٤٢ ـ الطبرى ٣/
٤٣ ـ الطبرى ٣/٧٤

٤٤ - الطبرى ٣/٧٧
٤٥ - ابن سعد ٢/
٤٦ - المصدر السابق
٤٧ - ابن سعد ٢/
٤٨ - ابن هشام ٣/٣٢١ و انظر أيضا الطبرى ٣/
٤٩ - الواقدى /٦ و انظر أيضا ابن سعد
٥٠ - ابن سعد ٤/٦٩ و راجع أيضا القسطلانى ١/١٦٢
٥١ - ابن حبيب /١١٥
٥٢ - الطبرى ٢/١٤٣ "فأهلك الله كسرى و جاء الخبر إلى رسول الله يوم الحديبية ففرح و من معه"
٥٣ - ابن خلدون ٢/٣٨
٥٤ - الطبرى ٣/٩١ " قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة السبع لست ساعات مضت فيها "
٥٥ - فذكر الواقدى رواية الطبرى هذه أيضا ضمن سنة ٦ هـ راجع الطبرى ٣/٩١
٥٦ - دلائل النبوة لأبى نعيم /١٢٤
٥٧ - الطبرى ٢/١٤٣
٥٨ - يرى الدكتور حميدالله أن رواية الواقدى هذه غير صحيحة فيقول " لو سلمت رواية الواقدى هذه صحيحة التى تقول بأن قتله كان فى ١٠ من جمادى الأولى، فتنشأ منه عدة تعقيدات علمية، و ليس من اليسير أن نغض البصر عن التاريخ الذى حفظته الوسائل الإيرانية و الرومية لاغتيال برويز " مجلة المعارف سنة ٤٤م
٥٩ - E GIBBON: The History of the Decline and Fall of the Roman Empire (1776-88) Vol III P 302
MARGOLIOUTH: Rise of Islam P 36
٦٠ - و الديار بكرى ذكر عدد أنجال الملك الذين قتلوا سبعة عشر الديار بكرى ٢ ٦١
٦١ - E GIBBON The History of the Decline and Fall of the Roman Empire (1776-88) Vol III P 315
٦٢ - مجلة المعارف سنة ٤٤م و انظر أيضا تقرير الاجتماع الثانى لإدارة المعارف الاسلامية سنة ١٩٣٢م ص ١٠٠ (الجزء الانجليزى)
٦٣ - الطبرى ٣/١٥٧
٦٤ - " بل للعمرة شهر رابع من الاشهر الحرم هو رجب أكبر الأشهر الحرم فى الحرمة" و راجع أيضا الطبرى ٣/١٥٧
٦٥ - يقول ابن عباس " كانوا يرون أن العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور فى الأرض " البخارى باب وجوب الحج، و راجع أيضا السنن للبيهقى ٤/٣٤٥ (باب العمرة)
٦٦ - الصحيح البخارى باب حجة الوداع
٦٧ - الصحيح البخارى ابواب العمرة - و راجع أيضا الطبرى ٣/١٧٤

* تعريب : ولى اختر الندوى

الدكتور ذاكر حسين

بقلم: خورشيد مصطفى رضوى
مكتبة جامعة دلهى - الهند -

انتخب الدكتور ذاكر حسين رئيس الهند فى مايو عام ١٩٦٧م، و قبل ذلك كان يشغل منصب نائب الرئيس. إن انتخابه للرئاسة فصل هام من تاريخ هذه البلاد، إذ أن سيرته و سلوكه السامى أضفى شرفا و مهابة إلى النظام العلمانى للبلاد، و كان ذلك نفسه هدفا رئيسيا أمام الذين انتخبوه لهذا المنصب الكبير.

إن رئاسته كانت قيادة رجل سامى المزايا لهذه البلاد، قيادة الذى كان موضع اعتبار لدى الصغار و الكبار. و قبل أن نسلط الضوء على حياته الزاهدة، يجمل بنا أن نرى صورة لأحاسيسه و وجهات نظره، فقد قال خلال زيارته للدول العربية عام ١٩٥٦م فى إحدى خطبه:

"إن مسلمى الهند ليسوا تحت سلطان شخص ما، و لا يملكون السلطة بمفردهم، إنهم مدنيون أحرار فى جمهورية حرة تحوى اتباع الديانات و العقائد المختلفة، واللغات المتنوعة، و العناصر التاريخية و الحضارات المتباينة. إن المكانة التى ينبغى أن يحتلها الإسلام فى الحياة العالمية، يتمتع بها نفسها المسلمون فى الحياة الهندية. و كما يجب على المسلمين أن يعيشوا عبر العالم مع الذين يمارسون طقوسا تغاير طقوسهم و يعتقدون معتقدات تنافى معتقداتهم، و أن يقدموا نموذج حياة صالحة بسمو فكرهم و حسن سلوكهم، كذلك تعود على مسلمى الهند مسئولية تقديم نموذج حياة صالحة أمام الشعب الهندى الذى يشمل العنصريات المشتركة و المختلفة، ما يفسح المجال لدينهم فى قلوب الذين يعايشونهم،

و تؤثر مثل الحياة العليا التى يحملونها فى الحياة الهندية العامة حتى نصبح نحن المنادين باسم رحمة للعالمين مثالا و رحمة لبلادنا و لمن يعيشون فيها". (١)

و قدم إليه البروفسور آل أحمد سرور تحية تقدير و إكبار فى عدة أبيات، و وصفه "درويشا" تتجلى "العظمة الملكية" فى كل عمل من أعماله. و لو ألقينا نظرة خاطفة على حياته، يبدو أنه ليس مغالاة شعرية بل تصويرا للحقيقة، و على الأقل إن زهده يبدو عيانا حتى شغله منصب مدير جامعة عليجره الإسلامية، و لا تخلو حياته بعد من صبغة الزهد و كسر النفس

ولد الدكتور ذاكر حسين فى فبراير عام ١٨٩٧ للميلاد الموافق لشهر رمضان المبارك عام ١٣١٤ للهجرة ببلدة حيدر آباد، و كان ثالث ابناء أبيه فدا حسين خان (١٨٦٨م - ١٩٠٧م)، و كان ينتمى إلى أسرة بتهانية محترمة من أولاد حسين خان مده آخون (الأستاذ الكبير). كان مده آخون زعيما بارزا و أستاذا كبيرا للقبائل البتهانية الآفريدية التى نزحت من كوهات، و استوطن "قائم كنج" (QAYAM GUNJ) فى عام ١٧١٥ للميلاد على وجه التقريب. كان البتهان يحترمونه احتراما كبيرا و بايعه كثير منهم. استوطن والد ذاكر حسين فدا حسين خان حيدر آباد (دكن)، و مارس التجارة، ثم باشر المحاماة، و أنشأ مجلة *"آئين دكن"* أيضا.

أيامه الأولى :

كان ذاكر حسين منذ حداثة سنه بارزا بين أترابه و أقرانه، و لم تستطع بيئة حيدر آباد الإقطاعية أن تؤثر فى سذاجته الفطرية و صلاح طبعه. يقول أخوه يوسف حسين خان

" إن جمال سيرته كان يسترعى انتباه الأقارب و الأباعد ... و كان مسالما و طلق الوجه، و كان يعرف استخدام عقله أكثر منا، و يعالج الأمور بحكمة و دقة نظر". (٢)

و خلال دراسته الابتدائية فى البيت انتقل أبوه إلى رحمة الله، و رجعت أسرته إلى قائم كنج، و أدخل فى المدرسة الإسلامية فى "إتاوه" (ETAWA).

و من أساتذة المدرسة الإسلامية الذين هذبوا سيرته السيد ألطاف حسين ناظر المدرسة، و السيد شرف الدين ياس.، و حامد حسن قادرى وغيرهم. و كان فى المدرسة إتحاد يشرف عليه مولوى شرف الدين، و كان طالما يعقد حفلات

و مناقشات، فكان ذاكر حسين فى طليعة الذين كانوا يساهمون فيها، و من هنا شغف بالشئون الوطنية و الأعمال العلمية و الكتابة و الخطابة. كانت حرب طرابلس و بلقان حينئذ بعثت دبيب الانتفاضة فى مسلمى الهند و كانت وقائعها موضع عناية خاصة لديهم، فكان يلقى خطبا حماسية حول هذا الموضوع و يجمع تبرعات للأتراك. كانت كلماته و أسلوبه منذ ذلك الوقت تحمل وقعا و أسرا إلى ان انفجر أحد الشيوخ باكيا على خطابه، و قلّب كل ما كان تحويه حافظة نقوده فى قلنسوته التى كانت بسطت للتبرعات.

و كان مشغوفا بمتابعة الصحف و الجرائد إلى حد أنه كان يذهب كل يوم إلى المحطة و يشترى جريدة بانير (PIONEER) و يقرأ الأخبار و الوقائع على أصحابه. و كان يقضى معظم أوقات فراغه فى صحبة السيد ألطاف حسين التى كانت تتناقش فيها القضايا الإجتماعية و السياسية المختلفة.

و بايع فى سنه المبكرة على " پير حسن شاه " خليفة الشاه طالب حسين فرخ أبادى، الذى كان من معتقديه كثير من الهندوس أيضا. و من المعروف أن پير حسن شاه انتقد ذات مرة على سمة (تلك) على جبين شيخ هندوسى فغضب عليه شيخه غضبا شديدا، و أمره أن يضع سمة مثلها على جبينه و يمشى إلى كشمير و دكن على أقدامه و يأتى إليه بخطابات الكهنة الهندوس منها، ففعل و رجع بعد ثلاثة أعوام كان پير حسن شاه يتجول برزمة كتبه و ثيابه التى كانت كل ما كان يملكه، و لما كان ذاكر حسين يعود إلى بيته فى إجازة صيفية فكان يرشده و يعلمه، فإما كان يأمره بنقل كتاب فى السلوك و العلم الدينى و يعلمه معانيها أو كان يعطيه روبيات و يأمره بأن يبلغها إلى أرملة أو معوز فقير فى الحى.

فى عليجره:

و أكبر ما فكر فيه الحكام الإنجليز فى الهند طويلا هو كيف يوقعوا بين طائفتيها العظيمتين الهندوس و المسلمين، حتى يلفتوا انتباههم عن الشعور باستعباد البلاد و يكون نواة مستديمة يشتبك حولها المسلمون و الهندوس فيما بينهم و الخطط التى دبروها تحقيقا لهذا الهدف قصة طويلة، منها إنشاء مؤسسات تعليمية مستقلة لكل منهم، التى أسفرت عن تأسيس الكلية الإسلامية الإنجليزية الشرقية (MOHAMMEDAN ANGLO ORIENTAL COLLEGE) فى عليجره. التحق ذاكر حسين بهذه الكلية فى سنة ١٩١٣م حيث كان يدرس أخواه من ذى قبل، و كان يقضى فيها معظم أوقاته فى الأعمال الاجتماعية و بين صجات إتحاد الطلبة و معاركه، و مع ذلك اجتاز بكالوريوس بامتياز، و إلى ذلك واصل أشغاله الأدبية و التعليمية فنقل كتاب جمهورية *أفلاطون* (POLATO'S REPUBLIC) إلى اللغة الأردية التى لما رآها طالب ذكى اقبال سهيل

فقال .

"إن أفلاطون لو كان يعرف اللغة الأردية لاستخدم هذا الأسلوب بالذات " و كان ايمزباتهم نائب مدير جامعة عليجره الإسلامية قال إن خطابة ذاكر حسين و كتابته الإنجليزية، و بداهة طبعه على الخصوص، يمكن أن تقارن بأفضل أعضاء البرلمان الإنجليزى"

و بعد بكالوريوس التحق بالماجستير فى الاقتصاد، و عين المحاضر الشاب (أو الطالب المحاضر)

حركة الخلافة :

إن حركة الخلافة تحمل أهمية خاصة فى حركة استقلال الهند، و كان النزاع بين تركيا و إنكلتره، و الإنجلير كالمعهود منهم كانوا مجمعين على اغتصاب حرية تركيا الذى جعل مسلمى الهند يضطربون اصطرابا شديدا. فى هذه المناسبة ناصر المهاتما غاندى المسلمين مناصرة تامة، و المؤتمر الوطنى الهندى، الذى كان يضم المسلمن و الهندوس على السواء، أيضا مدّ يد التعاون فى هذه الحركة كان مولانا ابوالكلام آزاد و مولانا محمد على جوهر وغيرهم زعماء بارزين للمؤتمر و حركة الخلافة كليهما، و تحت قيادتهم تم الاتفاق على اقتراح عدم التعاون (NON - COOPERATION) فى إحدى جلسات المؤتمر، و طبقا لهذا القرار الثورى ترك عدد كبير من الطلبة كلية على جره، و على رأسهم ذاكر حسين، الذى اقترح بين أيدى زعماء حركة الخلافة اقتراحا لحوحا أن تنشأ مؤسسات تعليمية وطنية فالتقرير الذى كان أعدّ على المستوى الرسمى يذكر على الخصوص.

"إن هجمة هذه الحركة كانت أكثر على عليجره بالنسبة إلى المؤسسات التعليمية الأخرى و لو لم يقترنها اقتراح إنشاء المؤسسات التعليمية الوطنية (الجامعة الوطنية) لكانت هجمتها على المؤسسات التعليمية على الأقل منيت بالفشل فى المرحلة الأولى بالذات". (٣)

الجامعة الملية الإسلامية :

خرجت فكرة تأسيس مؤسسة تعليمية وطنية إلى حيزالفعل و تحققت أمنية ذاكر حسين، فأسست هذه المؤسسة أعنى الجامعة الملية

الإسلامية أولا فى على جره ثم فى دلهى. كان اقترح ذلك ذاكــر حسين، و جاهد فى إبرازها إلى حيزالظهور المهاتما غانــدى، و محمد علي جوهر و أخــوه شــوكت علــي، و حكيم أجمل خان، و مولانا أبوالكلام آزاد. و لوضع حجر الأساس وجهت الدعوة إلى العالم النحرير و زعيم حركة الاستقلال الكبير مولانا محمود حسن، و عين مولانا محمــد علي أول مديــر الجامعــة . و ظل ذاكر حسين يعاون الأساتذة و الطلبة لمدة من الزمن، و لكن سرعان ما غادر إلى ألمانيا (برلين) للتعليم العالى فى الاقتصاد عام ١٩٢٢ للميلاد.

فى برلين:

و كان رجل فرنجى تأثر بذكاوته غير العاديــة اقترح بعثته إلــى برلين، و وفّر له جواز السفر لكى يسافر إلى انجلترا. و من الممكن جدا أنه كان قصده من وراءه إضعاف حركة الخــلافـــة أو يؤثر عليه ببيئات انكلترة، و لكن الطائر الذى كان يحلم بتحطيم سلاسل الرق و العبودية ما كان ليدخل فى هذا القفص، فتوجه إلى برلين بدلا من انكلترة حيث حصل له فى جامعتها إرشاد البروفسور ويرنر زومبارت (WERNER SOMBART) واسبرينكر (SPRINGER) وغيرهم. إن حياته فيها أيضا كانت مثالا رائعا للسذاجة و الصلاح، فقد كتب أحد أصحابه الدكتور عابد حسين

> *"لقد لازمته ثلاثة أعوام و الربع ليل نهار. و وجدته رائعا فى كل مناسبة*

و خلال مكثه فى برلين أتقن اللغة الألمانية و وضع أيضا فيها كتابا حول رسالة المهاتما غاندى و أهــدافــه، و طبع هنا فى عام ١٩٢٤م، و نشر أيضا دواوين غالب و حكيم أجمل خان الشعرية. و لكن رغم هذه الأشغال لم يغفل الجامعة الملية، و بعد ما ضعفت حركة الخلافة و اعترضتها المشاكل و أبلغ ذلك ببرقية فردّ عليها يقول ان لا تغلق الجامعة فإنا قد نذرنا حياتنا لها". و فى برلين بالذات اتصلت اسبابه مع الآنسة فلبس بورن (PHILIPSBORN) التى تأثرت كثيرا بشخصيته و شغفت باعمال الجامعة الملية، و لما قدمت بعد ذلك إلى الهنــد اتخذتهــا وطنهــا و الإســلام دينها، و التحقت بخالقها تخدم الجامعة الملية

فى الجامعة الملية الإسلامية بدلهى:

انتهت حركة الخلافه، و واجهت المشاكل الجامعة فانعزل كل من كانوا

مدفوعين بالحماسة الطارئة، و جـــدّ حكيم أجمـــل خان و اجتهـد، و قال المهاتما غاندى : " لن تغلق الجامعة مهما كلّف الأمر، و لو اعترضت المشاكل المالية فاتسول لها بنفسي"، حتى هـانت المشاكل بمؤازرتـه و نقلت الجامعة من عليجره إلى دلهى. و فى فبراير عام ١٩٢٦م رجع ذاكـر حسين مـن برلين، و عين مدير الجامعة، و قرّر راتبه ثلاث مئة روبية، و لكن كلما كانت تواجه مشكلة مالية فكان بنفسه يقترح أمام اللجنة بأن ينقص راتبه و كان يقر عليه اضطرارا حتى لم يبق راتبه إلاّ خمساو سبعين روبية كل شهر. و اضطر أيضا إلى الزيارات لجمع التبرعات، و بعد وفاة حكيم أجمل خان (فى ديسمبر ١٩٢٧م) عقد اجتماع كبير تحت رئاسة الباندت موتي لال نهرو، اجتمع فيه عدد كبير من الزعماء الوطنيين و جمعت التبرعات لمبانى الجامعة التى بلغت أربعة عشر ألف روبية. و أنشأ المهاتما غاندى "صندوق *أجمل للجامعة* " و وجّه إلى الناس نداء حارا للتبرعات. و فى نوفمبر ١٩٢٨ للميلاد أرسل بعثة إلى مدراس و المدن الأخرى حيث تبرع الهندوس أيضا مع المسلمين كثيرا على نداء المهاتما غاندى. و أنشأ ذاكر حسين "*منظمة التعليم الملى*" و كان أمينا عاما لها و "جمن لال بجاج" أمين الصندوق، و خلال ذلك أتيحت له عدة فرص للإزدهار و السيادة الدنيوية، و لكن لم يلق إليها بالا و رفضها كلها.

و فى ديسمبر عام ١٩٢٨م عقد اجتماع "*منظمة الطلبة المسيحيين عبر العالم*" فى ميسور، و وجّهت إليه الدعوة لتقديم وجهة نظر الإسلام فيه فألقى خطابا مستفيضا مدعما بالأدلة، فأعرب ممثلوا المؤتمر الذين كانت لهم شبهات حول الإسلام عن عجبهم و قال معظمهم

"*لو كان الإسلام هذا فنحن أيضا مسلمون*". (٤)

خالده أديب خانم:

و فى عام ١٩٣٥م قامت زعيمة و أديبة تركيا الشهيرة خالده أديب خانم بزيارة الهند، و نشرت وقائع رحلتها باسم كتاب "*داخل الهند*"(INSIDE INDIA) و قد رجعت بأثر بالغ لشخصية ذاكر حسين، تقول فى انطباعاتها

> " *إن العالم الإسلامى لو يريد أن يكون حديثا دون أن يلزم منه ترك دينـه و عقيدتـه فعليـه أن يقلد الدكتور الأنصـارى و الدكتور ذاكر حسين. إن التجارب و دراسة العالم الإسلامى الحرة قد أوصلتنى إلى هذه النتيجة*". (٥)

و كانت أيضا شاهدة بمناسبة إرساء حجر الأساس لمبنى الجامعة الجديد فى مارس ١٩٣٥م، تقول فى كتابها:

> *" كان حضر فيها كبار الهندوس و المسلمين، كان الهندوس تبرعوا بمبالغ هائلة و عامة المسلمين أيضا كانوا تبرعوا، و أخرجوا، كيفما تيسر لهم، عدة آنات من دخلهم الضئيل لهذا العمل الجليل، إنه جد خليق بالثناء"*

مشروع واردها:

كان "مشروع *واردها*" عبارة عن إحداث التطور فى الهيكل التعليمى للبلاد و جعله نافعا، و كان وضع تحت توجيه المهاتما غاندى و لعب ذاكر حسين دورا بارزا فى اقتراحه و إعداده و أنشأت أيضا لجنة لتنفيذه و العمل به التى عرفت بـ "*لجنة ذاكر حسين*" و قدمت تقريرها، و تم الاتفاق عليه فى اجتماع المؤتمر الوطنى. و قد جعله خبراء التعليم خطوة جهادية و ابتداء عصر جديد فى تاريخ التعليم، و اعترفوا بأن ذلك مثالا رائعا لمؤهلاته و خبرته

و انصبت الاعتراضات على المشروع، و معارضو المهاتما غاندى على الخصوص جعلوه هدف انتقادهم، فكان ذاكر حسين دائما يرد عليها فى خطبه و كتاباته، يقول فى مقال (مجلة "جامعة" مارس ١٩٣٧،)

> *" لقد أيقظ غاندى جى كعادته النائمين برش الماء البارد عليهم، و ما يشكون منه ليس من الماء فى الواقع و لكن ممن رشه عليهم، و بعض الاعتراضات بسبب سوء الفهم لا بالتعليم، و الأخرى بسبب إدعاء " الحداثة " الباطل، و على هدف غاندى الذى انتحلوه ليلبسوا اقتراح تعليم الصنائع اليدوية ماشاءوا من المعانى بمجرد أنه سبق إلى ذلك منهم، و لكن لم يكن بعيدا أن نطلب إلى النقدة "التقدميين" بأن يمعنوا النظر فى هذا الاقتراح بالذات بقطع النظر عن الشخصية التى وضعته . إن النظام التعليمى الذى يلقى رواجا فى الهند تنبذه الدنيا و تظنه رجعيا و عتيقا "*

كان ذاكر حسين رئيس اللجنة التى كونت حول "مشروع *واردها*" فعرفت بـ "*لجنة ذاكر حسين* " ، يقول أحد أعضائها خواجه غلام السيدين:

> *" لقد أفهم ذاكر حسين خلال الأعوام الخمسة و العشرين، أعنى منذ ولد هذا المشروع، بطرق مختلفة و أسلوب ناصع يأخذ بمجامع القلب، مكانة العمل من حياة الإنسان ... إنه لم يفسر التعليم الأساسى فحسب بل أرشده أيضا، على كل خطوة،*

حيث وقعت الأخـــطاء و نشأ سوء فهم فى طرقه العسيرة الوعرة". (٦)

جامعة ديوبند و جامعة علي جره و الجامعة الملية:

فى عام ١٩٢٠م، حين كان أنشأ مولانا محمد علي جوهر و المهاتما غاندى معسكر الثائرين على جامعة علي جره، فكانوا يهدفون أصلا إلى أن يحرروا كلية علي جره من " إشراف " الحكومة الإنجليزية و يستولوا عليها، و كانوا يريدون أن يتخرج فيها المسلمون الصادقون و الهنود الوطنيون. و بعد ما فشلت حركة الخلافـة لم تعـد الجـامعة تابعة لها، و نقلت إلى دلهى و حولت إلى مؤسسة تعليمية بصورة دائمة. و وفقا لرؤية ذاكر حسين إنها أسست على أن تعليم الدين الصحيح سيلقن المسلمين الهنود حب الوطن و الوحدة الوطنية، و إليه يعود فضل جعل الجامعة مركزا جديدا للتعليم الوطنى و تنحيتها عن مسار السياسة إلى حد كبير.

و بين المؤسسات التعليمية لمسلمى الهند، كانت فى جانب كلية على جره التى كانت تؤدى " خدمة " تعريفهم بالحضارة الغربية عن طريق التعليم الحديث بل القضاء على عواطفهم الوطنية بغمسهم فيها حتى يوصد الباب فى وجه حركة التحرير و الثورة فى المستقبل. و قد أشار إليه الشاعر المعروف أكبر إله أبادى إشارة لطيفة فى بيت واحد "يا لبلاهة فرعون لم يهتد إلى إنشاء كلية، إذاً لم يكن أساء سمعته بقتل الأطفال". على كل، إن كلية علي جره لم تكن تتمتع بإشراف الحكومة الإنجليزية و مساعداتها المالية فحسب، بل كان أيضا استخدم الأساتذة الإنجليز للتربية و التعليم، و كان السيد بيك الإفرنجى عميدها أيضا الذى كان يقوم بواجبه على أحسـن ما يرام، و لكن لم يكن فى علي جره نظام مرسوم و خطة مدروسة لبناء مستقبل مسلمى الهند و على الجانب الآخر كانت مدرسة ديوبند التى كان أنشأها العلماء الثوريون بعد فشل حركـة الاستقلال الأولـى لعام ١٨٥٧م، و جعلت التعليـم الدينـى نصب عينها. و لكن كان هناك طريق وسط أيضا كانت اصطنعته مشية الله للجامعة الملية، فقد وضعت خطة تعليم المسلمين الحديث واضعة حياتهم المستقبلية فى اعتبارها. هذا فى جانب، و على الجانب الآخر غرست حب الوطن و تقوى الله فى نفوسهم، و هكذا أنجز جالسو الحصير فى الجامعـــة ما لم تستطع كليـــة علي جره و لا مدرسة ديوبند. يقول البروفسور رشيد أحمد الصديقى:

" *كل ما شاهدت هى كيف شارفت الجامعة غايتها المرسومة السامية بفضل شخصية ذاكـــر حسين، و بالرغم من المشاكل الكثيرة إنها لم تخلق نهضة فكرية جديدة بين المسلمين*

فحسب بل فى سائر البلاد . و الحكومة نفسها التى ترى مثل هــذه الحركات بنظـــرة ملؤها الريب، انحازت إلى الجامعــة و احتضنت مقرراتها و اختباراتها، و ذلك أول مثال فى تاريخ حركات الهند الوطنية. (٧)

و كان ذلك منهج الجامعة و سحر شخصية ذاكر حسين الذى استمال إليها غاندى، و جذب إليها اى . جى . كيلات (A. J. Kelat أستاذ مسيحى فـــى الجامعـة)، و ساق فلبس بورن مـن الألمانيا إلى الهنـد، و أدهش خالدة أديب خانم

و فى ذات الزمن أعرب الدكتور ذاكر حسين عن أفكاره حول النظام التعليمى المستقبلى فى الاجتماع السنوى لـ " كاشى ودبا بيت " فقد قال

"خذوا - على سبيل المثال - قضية تعليم مسلمى الهند. هل يخول النظام التعليمى الوطنى الهندى المسلمين فرصا حتى يجعلوا حياتهم الحضارية وسيلة لتعليمهم أم لا إن خبراءنا فى حقل التعليم لو وضعوا النظام التعليمى للهند بإخلاص، فأنا أومن بأنهم سيقبلون رغبة المسلمين هذه فرحين بأن يؤسسوا تعليمهم على حضارتهم و تمدنهم إن ما يجذب المسلمين عن الجنسية الهندية المتحدة مرة بعد أخرى، هى المصالح الشخصية و ضيق النظر و عدم تصور مستقبل البلاد تصورا صائبا على جانب، و على الجانب الأخر خوف القضاء على الوجود الحضارى للمسلمن فى ظل الحكومـــة الوطنيـــة، و هم لن يرضوا على دفع هذه القيمة مهما كلّف الأمر و أنا أشعر بالفرح لا بصفتى مسلما فحسب بل بحكم كونى هنديا أيضا، بأن المسلمين ليسوا براضين على دفع هذه القيمة، فإنه فضل ما يصاب به المسلمون، إن حضارة الهند ذاتها ترد إلى أسفل السافلين . إن المسلمين ليسوا أقل حبا لوطنهم من غيرهم، إنهم يفتخرون على أنهم جزء من الأمة الهندية، و لكن لا يحتملون أبدا أن يكونوا جزءا يتلاشى فيه اعتبارهم أنفسهم على الإطلاق إنهم يتمنون أن يكونوا مسلمين صادقين و هنودا صادقين .. إن وطننا لا يحتاج إلى تيار الدماء الفائرة من اعذاقنا، و لكن يفتقر إلى نهر دائم الجريان من عروق جباهنا "

و ألقى خطبة تذكارية فى المؤتمر التعليمى للمسلمين فى علي جره، فقال

" إن الدنيا التى عادت باختلافات الجنس و الوطن و المال جحيما لا تطاق للبشرية، تتوق إلى أن تسمع منا رسالة سيادة المساواة و العدل الأصيل و ترى ممارستهما فى واقع الحياة، التى كان صدع بها بنى أمى أمام العالم "

عصر الابتلاء و المحن :

و فى يونيو عام ١٩٣٩م سافر الدكتور ذاكر حسين إلى أوربا للعلاج، و انقطع هناك بقيام الحرب الكونية الثانية، و أخيرا رجع بصعوبة ما، ثم عكف على اعمال الجامعة. كان ذلك زمن محنة قاسية للجامعة، و كانت اوضاع البلاد تتدهور يوما فيوما، الذى صادف هوى فى قلوب الزعماء الطائفيين، و كانت التفرقة و الخلاف على أشدها بإيعاز من الإنجليز حتى أشرفت البلاد على الانقسام و إن كانت الجامعة انتقلت إلى مبانيها الجديدة، و لكن بعد قيام حكومة المؤتمر الوطنى فى عام ١٩٣٧م، إن السم الذى بدأ يتفشى بسبب الخلاف مع المستر جناح لم يزل آخذا بالازدياد، و فى هذه البيئة السامة لقد مر الدكتور ذاكر حسين و الجامعة الملية بفترة هياج و صراع عجيبين.

مشروع واردها فى ساحة التطبيق:

و فى عام ١٩٣٨م أسست مدرسة المعلمين فى الجامعة على أسس مشروع واردها، و أخذ الأساتذة يفدون إليها للتدريب من أقاصى البلاد، و ينتشرون فى كل ناحية من نواحيها مع الهدف السامى للتعليم الوطنى. و فى الزمن ذاته أنشأت *"المنظمة التعليمية الهندية"* تحت إشراف المهاتما غاندى، و انتخب الدكتور ذاكر حسين رئيسا لها (و لم يزل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٠م) التى قامت بخدمات قيمة فى مجالها. كانت هذه المنظمة صورة عملية لنظريات تعميم التعليم و جعله مفيدا، و إقامته على أسس قويمة فيما يخص التجارة.

خطبة تذكارية:

و فى مارس عام ١٩٤٢م ألقى خطبة فى " *جلسة ذكرى حسين* " و هى ليست نموذجا رائعا جدا للغة و الأدب فحسب، بل تصويرا مطربا لشهادة صريع كربلاء و مطامح حياته. فقد قال:

" أيها الإخوة ... إن قصة حسين ليست شيئا مما ذكر، إنها قصة

تكريم البشرية و تبجيلها، و حكاية مجد الإنسانية، و محضر ارتقاء الإنسان من الحضيض إلى العلو، و تفسير لمثل حياتها الجماعية والفردية، و منزل رحلتها من العبودية الحيوانية إلى الحرية الإنسانية. إنها إعلان السيادة الإلهية فى العالم، و الشهادة التى لا سبيل إلى دفعها على احتمال قيامها بل وجوبها بين بنى الإنسان، إنها مشعل الطريق المؤدى إلى منزل التكميل البشرى، و كلما تسعى القوى الباطلة إلى أن تطفىء هذا المشعل فذكرى حسين تلهب شعلته . و كلما تسيطر مثل الحكم الحقيقى فى العالم فسيذكر كيف كان حفيد أكبر المحسنين إليه نذر حياته للدفاع عنها ".

الجامعة فى طريق غايتها المنشودة:

كانت الآن تضخمت مساعدات الجامعة، و أخذ يقدم إليها خبراء التعليم و الزعماء الوطنيون بل الزعماء الأجانب أيضا مثل تشيانك كائى شيك و كانت قد امتلكت الأراضى و المبانى تساوى ثلاثة و نصف مليون على وجه التقريب. كذلك كانت بلدية دلهى أيضا قد أقرت على المساعدة المالية، و اعترفت الحكومة بشهادات الجامعة بعد فحصها و اختبارها (١٩٤٥م).

يوبيل الجامعة الفضى:

و فى عام ١٩٤٥م غادر ذاكر إلى لندن للحضور فى مؤتمر اليونسكو، و كان هذا العام هاما فى حياة الجامعة إذ أنها كانت تكمل به خمسة و عشرين سنة من حياتها. و حدد شهر نوفمبر للاحتفال بالعيد الفضى، و قام مع وفد بجولات فى طول البلاد و عرضها، و ألقى خطبا فى الاجتماعات العامة و تحدث إلى عامة الناس و خاصتهم فقال

"إن كان هذا العمل عائدا بفائدة على البلاد و الملة، فلا يجب على أعضاء الجامعة أن يمدوا إليكم يدالسئوال، بل واجبكم أنتم أن تمدوا أيديكم بالمساعدة. إن قوما لا يقدر خدمته المؤثرين، و لا تدبر خططا لترقية اعمالهم، فليبشروا أنه لا يولد فيهم أمثال هولاء العاملين" (٨)

قد أثرت كلماته أثرا بالغا حتى أدمعت بعض العيون. و لما قدم إلى بومباى و المدن الأخرى فتبرع الهندوس أيضا بسخاء و سماحة. و بالجملة

إنه كان نادى بمليون روبية للعيـد الفضى و جمع أكثر من مليون و مئتى ألف روبية. احتفل بهذا المهرجان فى نوفمبر عام ١٩٤٦م، و خطب فى تلك المناسبة خطبة مشبعة بالألم و نادى فى آخرها الزعماء السياسيين فى البلاد، فقال.

" *اجتمعوا لله فى مكان، و أخمدوا هذه النار، ليس هذا وقت البحث فيمن ألهب النار، و كيف اندلعت، إن النار مشتعلة فهبوا إلى إطفاءها. ليست هذه قضية حياة قوم دون قوم، بل قضية اختيار بين حياة إنسانية متحضـرة و حياة وحشية بربرية .. لله لا تدعوا أن تستأصل أسس الحياة المتحضرة فى هذه البلاد* ".

و كان فى هذا الزمن يوشك أن تحقق الهند غايتها المنشودة من الحرية، فأعلن راجكو بال أشاريا RAJGOPALACHARI مساعدة سبع مئات ألف روبية من الحكومة الهندية اعترافا بخدمات الجامعة الملية. و فى ذات الوقت بعد قيام الحكومة المؤقتة، اقترح المؤتمر الوطنى بقبولـه فى مجلس الوزراء و لكنـه لم يقبل ذلك.

فى الاضطرابات الطائفية:

إن تضاعف الأعمال و تراكم الأشغال كان لا بد أن يوثر على صحته فأشار عليه الأطباء بالذهاب إلى كشمير لمدة من الزمن، و لعله كان آخر شهر أغسطس لعام ١٩٤٧م أنه غادر إلى كشمير، و صادف ذلك ظروفا حالكة فى تاريخ الهند حيث كانت انهار الدماء تسيل نتيجة للانقسام على أثر الاستقلال. وصل قطاره إلى لدهيانه و منها إلى جالندهر فنزل منه، و هنا واجه عدة مشاغبين و على حكمهم صوبت فوهات البنادق إلى صدره. يقول خادمه منظور أحمد، و كان يرافقه فى السفر، أنه لم يكن أدنى أثر للذعر و الوجل على وجهه، و لم يتحرك عن مقامه أيما تحرك، و هكذا تراءى فى وقفته الباسلة هذه ظلال ميرة تلك الشخصية الزكية التى كان اسمها جزءا من اسمه، و لما رأى ذلك أحد ضباط السكة الحديدية (السيد كفور) فأبلغ ناظر المحطة فخرج الناظر مسرعا و ذهب به إلى مكتبه. و فى خلال ذلك برز هناك ضابط سيخى من الجيش غورديال سينغ الذى أمر " جيش غوركها " بحراستهم، و استحضر سيارة جيب، و أرسلهم فى كلاءة إلى بيت السيد بيدى و كان قاضيا هناك. فلبث هناك ثم أرسلهم غورديال سينغ و السيد بيدى بالسيارة و أركبهم القطار. و لما وصل قطاره إلى لدهيانة طلع هنا أيضا بعض المشاغبين فخرج إلى رصيف المحطة غير مبال بشئ، و فى خلال ذلك جاء رجل هندوسى و رمى بنفسه بين قدميه،

و قال إنى أسافر معكم حتى لا يصيبكم أى أذى - و لم يعلم من كان ذلك - و لم يكن مضى إلاّ قليل على رجوعه من جالندهر حتى اشتعلت نيران الاضطرابات فى مستهل شهر سبتمبر ١٩٤٧م فى دلهى أيضا، و كان يخشى أن تشن الغارة على الجامعة فقال له الباندت نهـرو رئيس الوزراء أن ينتبذ منها إلى مكـان آمن و لكنه رفض ذلك و قال "لو هوجم على الجامعة فههنا تسيل كل قطرة من دمائى". و لم يزل ناصحوه يلحون عليه أن يهجر دلهى و يأوى إلـى مكان آخر و لكنه ثبت و بسببه ثبتت آلاف من الأقدام التى كانت قد تزلزلت قبل. و فى اليوم التاسع من سبتمبر وصل المهاتما غاندى إلى دلهى و لم يكن يقدر على أخذ شىء أو ردّه، مع ذلك إن تواجده و قلقه حال دون أشياء ما كان لابد أن تحدث. و فى اليوم التالى قدم إلى الجامعة الملية فتأثر برؤية اللاجئين إليها جد تأثـر و قال "لو جد الجد فضحـــوا بانفسكم، و إياكم أن تخـور عزائمكـم" و قص عليه الدكتور ذاكر حسين قصة جالندهر فآلمه ذلك كثيرا و قال:

> " *إذا لم تكن حياة ذاكر حسين مصونا فى هذه البلاد، فما فائدة الحياة فيها* ".

و فى ديسمبر ١٩٤٧م تبادل المهاتما غاندى الآراء مع "*المنظمة التعليمية*" و دعا اجتماعها للانعقاد، و قال فى خطاب له فيها

> " *إنه قد حال اليوم عائق جديد دون طريقنا هذا، أعنى أن أناسا فى هـــذه البلاد يـرون أن المسلميــن و الهنـــدوس لا يستطيعون أن يعيشوا معا، و أنه يجب على المسلمين إما أن يغادروا الهند أو يعيشوا فيها صاغرين إن ذلك رؤية سامة خطرة، و إن فكرة باكستان تعمل وراءها، و مع أن أمنية باكستـــــان قد تحققت و لكن سمومهـــا لم تزل موجـــودة و قد عـــزمت على أن أضحى بحياتى مقاوما هذه الرؤية السامة* ". (٩)

فخاطر بنفسه للقضاء على هذا السم، و ضحى بها فى نهاية المطاف.

فى ذكرى المهاتما غاندى :

و فى ٣٠ من يناير ١٩٤٨م تحت تأثير انقسام البلاد، وقع المهاتما غاندى فريسة لجنون الطائفية المتزايد، فكان موته مأســاة مؤلمة لــه. و ألقى فى ذلك الزمن خطبا مشبعة بالحزن و اللوعة و قال فى إحدى المناسبات:

> " *إن من يظن أن هذا الصوت قد خفت لفى ضلال بعيد. لا، لقد*

استقر ذلك فى كل قطاع من حياتنا الوطنية، و كلما تترنح أقدامنا فى طريق الحق فيهتف بنا، و كلما ترتفع أيدينا بالباطل فيكف بها. و نحن أيضا سوف نريد بين فينة و فينة أن نكبح هذا الصوت، و نجعل أصابعنا فى آذاننا حتى لا يصل إليها، و لكنه لا يزال يلاحقنا و يحوك فى صدورنا و يقض مضاجعنا و أخيرا يفرض علينا نفسه". (١٠)

جامعة على جره الإسلامية :

خلال حركة الخلافة كان قد فارق كلية علي جره ثائرا عليها، و كانت انقطعت صلته بها، و لكنه لم يكن بمعزل عن شئون جامعة على جره. فلم تمض على رجوعه من الألمانيا عدة سنين حتى اضطر إلى أن يشارك فيها مشاركة عملية، و كان عضوا فى كل من محكمة الجامعة، و المجلس التنفيذى، و المجلس الجامعى، و قسم الاقتصاد، و كلما تشكل لجنة كان يقدم اسمه أولا و يتفق عليه إجماعا، و لكن فترة قبيل انقسام البلاد و بعده بقليل كانت فترة حاسمة حرجة لجامعة على جره. يقول البروفسور رشيد أحمد صديقى:

"و حقا تغيرت الأوضاع من السيء إلى الأسوأ ، و رأينا فى الجامعة قبل عدة أعوام من انقسام البلاد ما لم نكن رأينا و سمعنا مثلها من قبل ". (١١)

فبعد استقلال البلاد، قرر وزير المعارف مولانا ابوالكلام آزاد أن يبعث الدكتور ذاكر حسين إلى جامعة عليجره مديرا لها، و من كان أجدر منه بملأ هذا الفراغ الهائل؟ و أخيرا تحمل هذه المسئولية بعد تردد طويل كما قال بنفسه:

" إنى لم أرض بأن أقدم إليها و امكث فيها إلا إنى أحسست بوضوح أن فيها فرصا نادرة للأعمال الوطنية الخطيرة ... أعنى عمل بناء شعب متحد فى دولة جمهورية علمانية، و نصيب المدنيين المسلمين و مكانتهم فى حياتها ".

الأعمال الإصلاحية فى جامعة علي جره :

و حينما تحمل الدكتور ذاكر حسين هذه المسئولية كانت حال الجامعة المادية ضئيلة و رفيقة إلى حد كبير، و كان نقص عدد الطلاب أيضا، و هاجر معظم المؤظفين إلي باكستان، فعكف على أعماله و بفضل مساعيه المضنية

الدؤوبة أدخل تحسينات و تعديلات فى كل جانب من جوانب الجامعة. و فيما يلى أقدم بعض أعماله المهمة نظرا بالاختصار:

١ ـ استقدم العالم الشهير پى. ايس. گل إلى علي جره و بدأت الدراسات فى حقل الفيزياء النووية و الأشعة الكونية.
٢ ـ و أنشأ فرعا جديدا لعلم الطفيليات فى قسم الحيوان.
٣ ـ و أنشأ فرع الكيمياء الحيوية فى قسم الكيمياء، و بدأت الدراسات فيها.
٤ ـ و بدأت الدراسات حول الرياضيات التطبيقية.
٥ ـ و وضعت التخطيطات لمبنى كلية الهندسة.
٦ ـ و وضعت مشاريع و تخطيطات لمبنى مكتبة الجامعة الجديد.
٧ ـ و بدأت المحادثات لكلية طبية مع الحكومة الهندية المركزية و لجنة مساعدات الجامعات (U. G. C.)
٨ ـ و أصدرت " *مجلة علوم إسلامية* " عن معهد العلوم الإسلامية الذى سمّى بعد بـ" مؤسسة الدراسات الإسلامية" و بالإضافة إليه نشرت الكتب القيمة و البحوث العلمية، فحقق الدكتورعبد العليم كتاب " *معرفة المذهب* " للإمام أبى حنيفة و قام رياض الرحمن الشروانى بدراسة "*إخوان الصفا*". و نشرت كتب عديدة حول العلاقات بين البلدان العربية و الولايات المتحدة، و قضية فلسطين، و الإخوان المسلمون، و الحكومة الجديدة فى مصر، و الشعر العربى الجديد و ما إلى ذلك. و ألقى العالم المصرى د. عبدالله العربى و البروفسور أمين الخولى خطبا قيمة حول المواضيع الإسلامية المختلفة.
٩ ـ و استخدم العالم الاقتصادى الدكتور ڈى. پى. مكرجى لقسم الاقتصاد.
١٠ـ و بدأت عمليات ترتيب المخطوطات الفارسية النادرة و ترجمة الكتب الفارسية الكلاسيكية فى اللغات الهندية، التى صادق لها ملك إيران على مساعدة سنوية قدرها خمسة آلاف روبية.
١١ـ و بدأت الدراسات حول أمراض الأنبج و الأرز فى قسم علم النبات.
١٢ـ و بدأت الدراسات على فحم "رانى كنج" (RANI GUNJ) فى قسم علم طبقات الأرض.
١٣ـ و افتتح قسم جديد للتعليم العام، و أنشأت مقررات الدبلوم فى إدارة الأعمال، و الاختزال، و الطباعة على الآلة الكاتبة.
١٤ـ و أنشأت من جديد حجرات الاستراحة و دور المطالعة و مكتبة على حدة فى كل سكن للطلبة.

إنما لم نذكر هنا إلا الأعمال و التحسينات الخطيرة، و تركنا سائرها نظرا بالاختصار. و لكن لا بد أن نعترف بأن الحكومة الهندية منحت الجامعة مساعدات قيمة بفضل شخصيته. ففى عامى ٥٦ ـ ١٩٥٥م فحسب، إن المساعدات التى منحتها كانت تشمل معمل قسم علم طبقات الأرض، و كلية متعددة

الفنون، و مكتبة الجامعة، و سكن كلية الهندسة، و معهد العلوم الإسلامية، و معمل الفيزياء، و تاريخ على جره للأدب الأردى، و الدراسات حول الفلسفة الإسلامية، و الامكانيات الضرورية فى الجامعة. و بالإضافة إلى ذلك قد زادت الحكومات المركزية و الإقليمية المساعدات السنوية عدة أضعاف ، فزادت الحكومة المركزية تلك المساعدة من ثلاث مئات ألف إلى ٢ ١ مليون، و الحكومة الإقليمية زادت من ستين ألفا إلى ثلاث مئات ألف فضلا عن المساعدات التى كانت منحتها لمبانى الكلية النسائية و كلية الهندسة و تجهيزاتهما. لما قدم الدكتور ذاكر حسين إلى على جره فكانت ميزانية الجامعة نحو ٣ ١ مليون، و لما تركها فكانت ٤.٥ مليون على وجه التقريب بالإضافة إلى التبرعات الخاصة التى تلقاها بفضل شخصيته (مليونان روبية تقريبا).

و خلال إقامته فى على جره لم يستلم راتبه قط، و كل ما كان يأخذ ينفق معظمها على الطلبة المعوزين و لم يكونوا بقليلين فيها، و كان كثير منهم يتلقون منه مساعدة دراسية فى صمت، فاهتدى بحسن صنيعه إلى الطلبة إلى حل التعقيدات و القضايا العويصة فى كثير من الأحيان. و خلال ذلك لم تجتز الجامعة مراحل العز و الوقار داخل الهند فحسب بل خارجها أيضا، فقدم إليها نائب رئيس الوزراء المصرى السيد جمال سليم، و ملك ايران، و نائب الرئيس الماليزى السيد محمد حتى، و الملك سعود فقام خطيبا فى هذه المناسبة و قال

> *"إن الهند أيضا مع سائر البشريه لا تستطيع أن تنكر منة العرب العظيمة أن تعاليم الرسول العربى حباها التوحيد، و أنقذها من أرباب متفرقة، و أخضع رأسها أمام الله الواحد القهار، و انتشلها من الأوهام الباطلة و لقنها درس بناء الحياة الجماعية الصالحة على أساس رجال صالحين، و قوّم خلقها، و جلّى روحها، و أخرج المساواة البشرية إلى حيز الفعل، إن وطننا أيضا لم يحرم من هذا الفيض العميم، و ليس أن نحو خمسين مليونا من أهاليها يدينون اليوم بالرسول العربى فحسب، بل إن روح تعاليم رحمة للعالمين تعمل عملها فى حياتنا القومية بأسرها بطريقة أو أخرى".*

و فى مايو عام ١٩٥٦م قام الدكتور ذاكر حسين مع اثنين من اصحابه بزيارة المملكة العربية السعودية بناء على دعوة الملك سعود، و مكث بها نحو خمسة عشر يوما، و منح الملك فى تلك المناسبة مليون روبية للكلية الطبية. (التقرير السنوى لجامعة على جره الإسلامية لعام ١٩٥٧م).

لما اجتازت الجامعة المراحل العصيبة، و حظيت بالوقار و الاعتبار فأخذت تواجهه المشاكل، و برز المعارضون، و ذلك ما لم يكن عاناها حتى الآن،

و إضافة إليه كانت صحته أيضا أخذت فى الانهيار، و بسبب إصابته بمرض القلب لم يكن يطيق الصبر على صدمة ما، فعقد عزمه على مغادرة على جره فجأة، و فى سبتمبر عام ١٩٥٦م تقاعد عن العمل. و الحق و كما اعترف به عديد من المفكرين بالاعتزاز " إنه لم ينقذ مؤسسة بل حضارة من الاندثار و مثلا من الخذلان. إن المصائب و المتاعب التى لاقاها فى إعمار علي جره، و التى غلب عليها فى مدة قصيرة بصمت و أسلوب جميل، قصة لا تكتب أبدا، و لكن لا تزال تذكر كالأغانى الشعبية ". (١٢)

نائب رئيس الهند :

و بعد مفارقته على جره أرسل على رأس الوفد الهندى إلى مؤتمر اليونسكو، و اشترك كخبير فى حقل التعليم فى مؤتمر القاهرة التى انعقدت لاستعراض الوضع التعليمى فى الدول العربية، و فى مايو عام ١٩٥٧م جعل حاكما لولاية بيهار، و فى ٧/مايو عام ١٩٦٢م انتخب نائب رئيس الهند بـ ٥٦٨ صوتا، بينما حصل معارضه السيد/ اين. سى. سامنت (N. C. SAMANT) على ١٤ صوتا، و أديت مراسيم أداء اليمين فى ١٣/مـن مايو ١٩٦٢م. و من واجبات نائب الرئيس أن يترأس مجلس الشيـوخ و ذلك واجب عسير، يقول المفكـر و المؤرخ الشهير د. تاراتشند (DR. TARA CHAND) (السفير الأسبق إلى إيران) فى انطباعاته:

> *" إنه دائما أدى واجبه بوقار و مهابة . و لذلك لما تقاعد عن هذا المنصب فقدم إليه ممثلو احزاب المجلس بأجمعها تحية تقـدير و إكبار و قد أظهر بعمله أنه إلى أى حد كان أعضاء الأحزاب المعارضة و الحزب الحاكم يعترفـون بحبه للعـدل و كفايته لإدارة المجلس ". (١٣)*

و فى يونيو و يوليو من عام ١٩٦٤م زار بصفته نائب رئيس الهند السودان و أثيوبيا و الدول العربية من مصر و الجزائر و المغرب و تونس و ما إليها. و فى مايو ١٩٦٥م غادر للكويت و الرياض و زار المسجد النبوى بالمدينة المنورة و المسجد الأقصى ببيت المقدس ثم توجه إلى انقرة (تركيا) و اليونان. و فى عام ١٩٦٦م زار بعض البلدان الأخرى.

رئيس جمهورية الهند:

و فى ٦ من مايو ١٩٦٧م رشح لانتخاب الرئاسة من قبل الحزب الحاكم المؤتمر الوطنى الهندى، و فى الساعة الثالثة مساءاً من ٩ مايو أعلنت النتائج

التى أسفرت عن نجاحه بـ ٤٧١٢٤٦ صوتا بينما حصل معارضه السيد/ سوباراؤ (SUBBA RAO) على ٣٦٣٩٧١ صوتا، و هكذا فاز بأغلبية ١٠٧٢٧٣ صوتا، و أعلنت "إذاعة عموم الهند" (A. I. R.) ذلك خلال برنامجها، فاحتشد الناس فى عدد جم أمام البرلمان و هتفوا بـ "عاش الدكتور ذاكر حسين" مصحوبا بالتصفيق. و شوهدت مشاهد الفرح و السرور فى مناطق مختلفة، و أعلنت النتيجة بمكبر الصوت فى الجامع الكبير بدلهى القديمة، و عانق أتباع ديانات مختلفة فيما بينهم. و احتشد الزعماء و المراسلون الصحفيون على مقره، و كتبت الجرائد و الصحف كلمات افتتاحية و جعلته أحق بالرئاسة. و نوهت صحف الدول الأخرى أيضا بانتخابه فكتب صحيفة " الهدف " الصادرة فى بيروت

> " *إن الهند بانتخابها مسلما رئيسا لها ستغلب على مشاكلها الطائفية* "

و كتبت CAIRO REVIEW :

> " *قد نوه انتخاب الدكتور ذاكر حسين كفتح للاشتراكية و مبادىء العلمانية السليمة فى سائر الجمهورية العربية المتحدة، و نشرت الجرائد هذا النبأ بصورة بارزة، و أعربت عن أمنياتها الطيبة إن علاقات الهند و الجمهورية العربية المتحدة تدخل اليوم مرحلة جديدة من الصداقة و الصلات الودية* "

و كذلك أعربت الصحف و الجرائد فى جميع الدول (إلاّ باكستان) عن أمنياتها الطيبة. و فى شهر يونيو عام ١٩٦٨م غادر فى زيارة رسمية إلى المجر و يوغوسلافيا و الاتحاد السوفياتى و افغانستان و نيبال. و ألقى فيها خطبا فى مناسبات مختلفة و اشترك فى حفلات عديدة، و ترك أثرا ملموسا لعظمته و مهابته فى هذه البلدان. إنه ضرب مثلا أعلى للحياة الشعبية داخل الهند و زاد إلى عزة البلاد و اعتبارها خارجها و مع توليه أكبر المناصب فى البلاد لم تفارقه السذاجة و التواضع و كسرالذات. إن انتخابه لمنصب الرئاسة كان فى الواقع بفضل خدماته الجليلة و المؤهلات السامية التى كان يتمتع بها، و ذلك ينم أيضا عن أن الدين لا يحول دون رقى و ازدهار شخص ما فى هذه البلاد.

وفاته:

لم يكن مضى على انتخابه رئيس الهند إلاّ عامان حتى استأثرت به

رحمة اللّـه على إثـر نوبة قلبية يوم السبت، علـى الساعة الواحـدة عشـرة، و عشرين دقيقة من ٣ من مايو ١٩٦٩ للميلاد المصادف لـ ١٥ من صفر ١٣٨٩ للهجرة. كان صباح وفاته فى الحمام فأحس ببعـض الألم فرجـع على أدراجـه، و استلقى على الفراش و أقبل عليه الأطباء و بذلوا كـل ما كـان فى وسعهـم، و لكن إذا حم القضاء لا تشفى الدواء. و غشيت سحب الكآبة و الحزن سائر البلاد، و شعر كل مواطن كأنه أصيب فى أعز أهله، و تدفقت جموع حاشدة للشعب إلى مقره فى مقر الرئاسة. كان عالم الدراسات الإسلامية الشهير القاضى زين العابدين الميرتهى (و أستاذ الدراسات الإسلامية فى الجامعة الملية) شاهدا فى تلك المناسبة، يقول فى انطباعاته

> *" كنا حريصين على رؤية وجه الدكتور ذاكر حسين، و بعد وقت قصير سنحت لنا الفرصة، كان الدكتور متمددا على الأريكة فى غرفة النوم، و كان النور يشيع على وجهه الذى هو آية رجل مؤمن و بعد غسله وضع جثمانه ـ رحمه اللّه ـ مرة أخرى حول الساعة السابعة مساءاً على رصيف فى وسط الردهة، و بدأت الزيارة العامة، و أدينا صلاة المغرب جهرا فى جماعة فى ركن منها و فى اليوم الثانى لما وصلنا إليه وجدنا طوابير طويلة للزوار و كان معظمهم غير المسلمين و لا يزال الناس يبدون عن حبهم له، فضريحـه يقع علـى بعد مئتى قدم تقريبـا من منزلـى، و أرى أن السيارات تأتى إليه تترى، و معظم الزوار غير المسلمين و بعضهم يعربون عن حبهم و تقديرهم له كالمستهام ". (صحيفة "صدق جديد" ٤/يوليو عام ١٩٦٩م).*

و سار موكب جنازته فى عز و احترام، و دفن فى حرم الجامعة الملية الإسلامية، و أصدرت الصحف و المجلات أعـدادا ممتازة عنـــه، و قدم الزعمـاء و المجلات إليه تحية تقدير و إجلال عبر العالم، و أبدوا عن حزنهم و ألمهم على وفاته

سيرته و أخلاقه:

إن سيرة إنسان تكون وليدة العوامل الوراثيـــة و الأحـــوال الطبيعيـــة، و تشترك فيها إلى ذلك الأحداث و البيئة و الشخصيات التى تتصل به. فالذى أثر فى تكوين شخصية الدكتور ذاكر حسين بعد العوامل و المثل الوراثية أثرا بالغا هى شخصية حسن شاه، و لعل هذه هى التى صبغت سيرته بصبغة الزهد

و التقى و السذاجة و حب الإنسان، تلك الصفات التى تسود حياته كلهـا و لكن مازال يكتمها. يقول أخوه يوسف حسين خان:

> " *إنه كان يخفى تدينه حتى من أقرب الأقربين إليه، و كل من رأى أو سمعه يتلو القرآن الكريم فى الليل تأثر بخشوعه و تضرعه إلى الله* ". (١٤)

و يقول مولانا عبدالماجد الدريا بادي.

> *و كان ذات مرة، كما كنت أنا، ضيفا عند رشيد أحمد الصديقى فى عليجره فرأيته قبل الفجر جالسا على السجادة و لعله كان تهجد* ". (١٥)

هذا، إنها حقيقة أن إسلامه لم يكن إسلاما منغلقا على نفسه خائفا من الأفكار الحديثة، بل ما ينشر المثل و الأخلاق الإسلامية فى العالم، و يشمل التواضع و التسامح و احترام الآخرين.

و كان لطيف الطبع، حليما، كريما، غيورا، و مشغوفا بالعلم، و كانت تتجلى فيه صرامة العزم و المواساة و إباء النفس و الجراءة و الصمود. إن واقعة محطة جالندهر عام ١٩٤٧م لتبدى ذلك بصورة واضحة. و كان أشرب التسامح و العفو و حب العدالة، و كان له رأى حاسم فى كل قضية، و كان دائما يرعى أن إفصاحه لا يجرح قلب أحد أو يمس شرفه و يستوجب الإهانة له. فكان التواضع و جراءة قول الحق يوجدان جنبا إلى جنب فى شخصيته.

و من الممكن أن نلمس قلة الجراءة فى سيرته، و لكنه إذا حان الوقت لم يكن يتحاشى عن قول الحق. يقول غلام السيدين.

> " *لقد سمعته يقول فى اجتماعات المسلمين كلمات صادقة مرة ما يتحاشى عنها الزعماء الحريصون على الشعبية على عمد* "

مصنفاته:

و فيما يلى أسماء مصنفاته عدا بحوثه و مقالاته الكثيرة جدا:

١ ـ مبادى معاشيات : ترجمة كتاب ELEMENTARY POLITICAL ECONOMY

٢ ـ رياست : ترجمة كتاب REPUBLIC لأفلاطون.

٣ ـ معاشيات، مقصد اور منهاج : محاضرة ألقاها فى الأكاديمية الهندية فى إله أباد. الهند.

٤ ـ بنيادى قومى تعليم : تقرير لجنة واردها.
٥ ـ حالى محب وطن: كتيب.
٦ ـ ذكر حسين. كتيب.
٧ ـ تعليمى خطبات : مجموعة محاضرات.
٨ ـ جامعه كيا هي: كتيب.
٩ ـ معاشيـــات قومى : ترجمة كتاب NATIONAL ECONOMY
١٠ ـ هندوستان ميں تعليم كى تنظيم : محاضرات "بتل" التذكارية.
١١ ـ شكهشا : ترجمة فى اللغة الهندية.
١٢ ـ ابو خان كى بكرى قصص للأطفال.
١٣ ـ مرغى اجمير چلى قصص للأطفال.

تعريب: ولى أختر الندوى

الهوامش:

١ ـ خورشيد مصطفى رضوى حيـات ذاكر حسين نقـلا عن "يادوں كى دنيا" ص ١١٥
٢ ـ خورشيد مصطفى رضوى حيات داكر حسين س ٤٤
٣ ـ WILLIAMS (LFR): INDIA IN 1920-A REPORT FOR PARLIAMENT P. 55 - 60
٤ ـ خورشيد مصطفى رضوى حيات داكر حسين ص ٧٨
٥ ـ خالده اديب خانم اندرون هند ترجمة كتابها INSIDE INDIA ص ١٠٩
٦ ـ غلام السيدين أندهى ميں چراغ
٧ ـ رشيد أحمد صديقى ذاكر صاحب ص ٤٠
٨ ـ غلام السيدين أندهى ميں چراغ
٩ ـ TENDULKAR MAHATAMA VOL 8 P 283, 277.
١٠ ـ خورشيد مصطفى رضوى حيات ذاكر حسين ص ١٦٣
١١ ـ رشيد أحمد صديقى أشفته بيانى ميرى ص ٤٧
١٢ ـ رشيد أحمد صديقى أشفته بيانى ميرى ص ٦٣، ٥٤
١٣ ـ تاراتشند نذر داكر (مقال)
١٤ ـ يوسف حسين يادوں كى دنيا ص ١٢٩
١٥ ـ جريدة "صدق" عدد ٢٣ من يونيو عام ١٩٦٧م

الحلقة الأولى :

الجامعة السلفية ببنارس
تعريف بنشاطاتها و إنجازاتها

بقلم: د/مقتدى حسن محمّد ياسين الأزهرى
وكيل الجامعة السلفية، بنارس، الهند

ولاية اترا براديش:

تُعدّ هذه الولايةُ من أكبر و أهمّ ولايات الهند من ناحية عدد السكان و ظهور الشخصيات البارزة و الأفراد النوابغ و استمرار النشاط الثقافى و الصناعى و التأثير القوى فى مجال السياسة و الاقتصاد. و تمتّعت الولايةُ بهذه الميزات و الخصائص قبل الاستقلال، و بذلك كانت مسرحا لكثير من الأحداث التاريخية و الوقائع السياسية حينذاك. و بعد الاستقلال ازدادت أهميةُ هذه الولاية لأسباب عديدة، و لاتزال فى تقدم و ازدهار. و يتردّد ضمن الأحداث السياسية البارزة أن أول رئيس الوزراء فى حكومة الهند المستقلة كان من سكان هذه الولاية، و هو الباندیت/ جواهر لال نهرو. و تكتسب الولاية أهميتها الثقافية و التعليمية بأنها تحتضن بين مدنها و قراها أكبر عدد من الجامعات الرسمية و المؤسسات التعليمية الأهلية، و بعض هذه الجامعات و المؤسسات نالت شهرةً عظيمةً فى الأوساط الثقافية العالمية.

مدينة بنارس :

عاصمة الولاية مدينة لكناؤ (LUCKNOW) ، و هناك مدن أخرى عديدة فى الولاية تعرف و تمتاز بموقعها الجغرافى أو بنشاطها السياسى أو الصناعى

أو الثقافى. و من بين هذه المدن مدينة بنارس (BENARAS) التى تعرف الآن بمدينة فارانسى (VARANASI) أيضا. تقع هذه المدينة على الشاطىء الشمالى لنهر (جنجا). و يحيط بهـــذه المدينة من ناحية الشمال نهر صغير آخـــر اسمه (برنا) و يصبّ فى نهر جنجا. و من موارد نهر جنجا مورد يعـــرف بـ "أسّـى". و يقال فى تسمية هذه المدينة أنها تقع بين (أسّى) و (برنا) و من هنا تسمى (برناســى أو فرناســى) و بعـــد القلب و التغيّـــر صارت الآن "وارانســى أو فارانسى"

أجمع المؤرخين على قدم مدينة بنارس، و لكنهم يختلفون فى بداية العمران فيها، فبعضهم يقول إنها عمّرت منذ نحو خمسة آلاف سنة، و بعضهم يرجع بها إلى زمن نوح عليه السلام، و لكن الآثار التاريخية التى تمّ العثور عليها فى هذه المدينة يرجع عهدُها إلى خمسة قرون قبل الميلاد. و يقول صاحب الموسوعة الميسرّة عن هذه المدينة إنها مركز رئيسى للهندوكيين منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد (الموسوعة الميسرة ص ٤٠٧)

و يبلغ عددُ سكان المدينة نحو مليون و مائتى ألف نسمة، و نسبة المسلمين فيهم عشرون فى المائة.

و هذه المدينة مقدّسة لدى الهنادك، و نهر جنجا أيضا مقدّس لديهم، فهم يقصدونها فى مناسبات دينية مختلفة، و يمارسون طقوس العبادة فى معابدها الكثيرة، و يستحمّون فى النهر، و يحملون ماءه إلى بيوتهم و أوطانهم. و يُقدّر عددُ قاصدى المدينة للعبادة و الاستحمام بعدّة ملائين سنويا.

و استهوت مدينة بنارس بجودة مناخها و جمال سكانها عديدا من الشعراء و الأدباء، فأنشأوا قصائد و مقالات يبدون فيها إعجـابهم بهذه المدينة و افتتانهم بحسنها و جمالها. و هذا الجمــال الطبيعىّ قـد زانه حذق بالصناعة و إبداع فى الانتاج، فقد عُرف سكان بنارس ببراعتهم فى صناعة النسيج الحريرى المطرّز بخيوط الذهب و الفضة، و هذا النوع من النسيج عليه إقبال عظيم من الناس داخل الهند و خارجها، و تجارة الأقمشة الحريرية من أربح التجارات عندهم.

و بجانب هذه القدامة التاريخية و القداسة الدينية تمتاز مدينة بنارس من الناحية العلمية و الثقافية أيضا، بل يترجّح هذا الجانبُ على الجوانب الأخرى، و ذلك أن الثقافة مبتغىً كل فرد و مطلب كل مواطن فى أىّ زمن عاش و أىّ ديانة اختار و أىّ مسلك سلك.

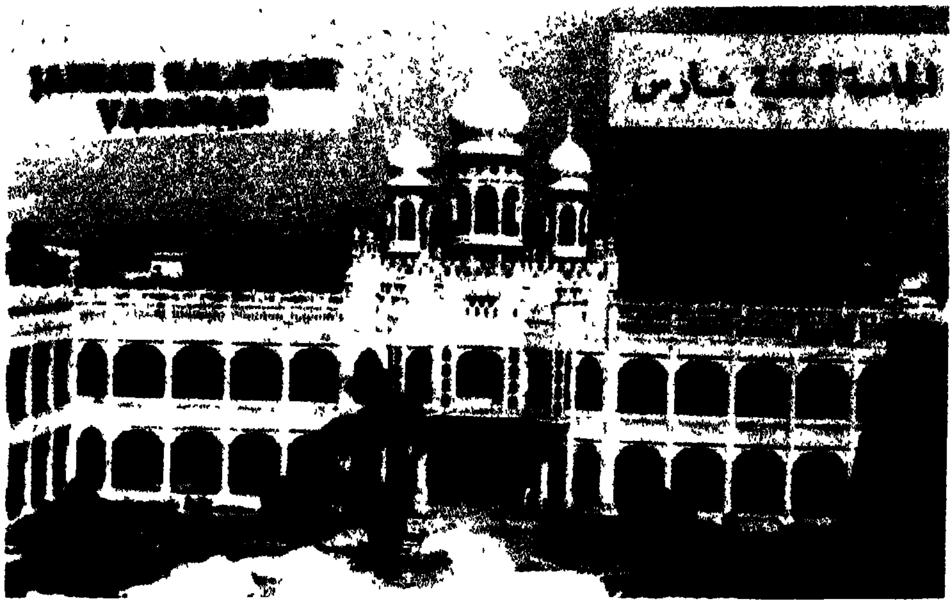
فالتأريخ يذكر أن مدينة بنارس كانت تضمّ فى القديم عدة مراكز للغة السنسكريتية و علومها، و لمعارف الڤيدا و أحكامها، و لتعاليم الديانة الهندوسية و شرائعها، و الطلاب كانوا يتوجهون إلى هذه المراكز و المعاهد

لتلقّى اللغــة و المعارف الڤيديـــة، فيقضون فيهــا سنوات عديـــدةً لتلقّى العلم النظرى و لممارسة الطقوس الدينيـــة و الرياضـــة الجسمية و الفكرية على أيدى النسّاك و المرشدين (الباندیت) الذين يتمتّعون بكل عون و احترام من الشعب الهندوكــى. و فـــى هـــذه المدينـــة تعلّــم الباحثُ العربى أبو الرّيحان البيرونى (المتوفى ١٠٤٨م) اللغة السنسكريتيـــة و أتقنهـــا، فاطّلع على أسفار الديانـــة الهندوسيـــة، و ألّف عن الهند و الهندوسية كتابــه الشهيــر (ما للهند من مقولـــة) الذى يُعتبر إلى الآن أهم و أوثق مرجع باللغة العربية عن هذه الديانة و أتباعها. و البيرونـــى قد ضرب بهذا العمل العلمى العظيم مثالا رائعا لحبّ البحث و التحقيق و الجدّ و المثابرة فى سبيل العلــم، و قدّم نموذجـــا صالحا للتوجيـــه الإسلامـــى الهادف الذى حبّب إلى المسلمين أنواع العلـــوم و اللغـــات، و بذر فى نفوسهم بذورَ التسامـــح و اللّين فـــى سبيـــل الاطلاع على العلـــوم و المعـــارف لـــدى الأمم الأخرى.

و احتفظت مدينة بنارس بمكانتها الثقافية و صبغتها العلمية فى العصر الحديث أيضا، فلاتزال ملتقى العلمـــاء و الباحثين فى كثير من العلوم الدينية و الأدبية، و لايزال الطلابُ يتوجّهون إلى جامعاتها و كلياتهـــا مـــن كل صوب. و قد بلغ عددُ الجامعات الرسمية فى هذه المدينة ثلاثا، سوى الكليات الرسمية العديدة، و سوى المؤسسات التعليمية الإسلامية التى تعمـــل بصفـــة أهليـــة أو شبه رسمية.

و أكبرُ مـــن هـــذه الجامعـــات و أشهرُهـــا (جامعة بنارس الهندوكية) و هـــى مـــن الجامعـــات المركزيـــة، و قد تأسّست سنة ١٩١٦م، و عُرفت فى الأوساط الهندية و العالمية بكبر مساحتها و كثرة أقسامها، و حَظِيت من الحكومـــة و الشعـــب بكثيـــر مـــن العطـــف و العنايـــة و العـــون و المسانـــدة، الأمـــر الذى قـــد ساعـــدَ فى تدعيـــم مكانتهـــا و توسيع مشاريعها.

و كما تَعزّز الجانبُ الثقافى للمدينة بجهود الحكومة، فكذلك تَعزّز بالجهود الشعبية أيضا، فقد أنشأ المسلمون كثيراً من المدارس و المعاهد التعليمية، و هى تقومُ بتنظيم الدراسة فى العلوم الاسلامية و اللغـــة العربية، و تسعى للحفاظ على التراث الدينى للمسلمين، و تلعب دورا مهما فى نشر الوعى الثقافى و الشعور الخلقى، و فى جذب الشباب إلى المثل العليا و القيم السامية التى امتاز بها المجتمع الشرقىّ من قديم الزمان. و أهمية هذه المدارس و المعاهد أنها تُوفّر التعليم مجّـــانا، و تســـدّ نفقـــات الميزانية بالتبرّعـــات و المساعدات.



الجناح الشمالى للجامعة السلفية من الداخل

الجامعة السلفية :

إن العلوم التى يعرف بها الإنسان أحكام الشريعة الإسلامية و يتمكّن من تصحيح العقيدة و العمل و تطهير القلب و تزكية النفس هى علوم الكتاب و السنة و هناك علوم أخرى تساعد فى الحصول على العلوم المذكورة و تُمهّد السبيل للاستفادة منها. و الإسلام قد حثّ أتباعه كثيرا على التزوّد بهذه العلوم جميعا دون التفريق بينها، و على بذل الجهد فى نشرها و تعميمها بين الناس، و ذلك فى آيات القرآن الكريم و أحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

و انطلاقا من هذه التوجيهات السامية قد بذل المسلمون فى كل زمان و مكان أقصى جهودهم فى سبيل نشر العلم و تكريم العلماء و تشجيع الطلاب، فأنشأوا المدارس و الجامعات، و رصدوا لها أموالاً طائلةً، و نشّطوا الحركة العلمية بأمانة و اخلاص. و هكذا أمكنهم الحفاظ على دينهم و حضارتهم و على اللغة العربية و علومها و آدابها، و تيسّر انتشارُ الدعوة الإسلامية فى أقطار العالم كلّه.

و قد علمت هذه المدارس و الجامعات فى أغلب الأحوال بصفة أهلية، و لكنها ساعدت كثيرا فى تحسين سمعة الهند فى الخارج و خاصّة فى الدول الإسلامية و العربية، و أعطت العالم الخارجىّ فكرةً حسيةً عن انتشار الثقافة فى البلاد و حرص شعبها على التفوّق فى مختلف مجالات المعرفة و الثقافة،

و برهنت على تكافؤ الفرص أمام الناس للوصول إلى درجة النبوغ و الكمال فى الناحية الثقافية التى يحبّها فرد من أفراد الأمّة.

و خير شاهد على عناية المسلمين بدينهم و بعلومه. المدارس و الجامعات الإسلامية التى نراها منتشرة فى الهند و فى بلدان العالم كلّه. و أهمية هذه المدارس فى البلاد الهندية أنها معاقل الدين الإسلامى و حضارته، و بها تمكّن المسلمون من الحفاظ على كيانهم الدينى و على مقوماتهم الشخصية.

و من بين هذه الجامعات الإسلامية: الجامعة السلفية المركزية التى نُعرّف بها فى هذه السطور.

تأسيس الجامعة:

إن الرغبة القوية فى نشر الدعوة الإسلامية، و المساهمة فى الحركة العلمية المعاصرة، و الحرصَ على التمسّك بالعقيدة الصحيحة السليمة و محاربةِ البدع و العادات القبيحة التى شوّهت معالم الدين الحنيف، و العناية البالغة بتوطيد الصلات الفكرية و الثقافية مع الجامعات الإسلامية و العربية، و بذل الجهود المستطاعة للاستفادة من طرق البحث العلمى الحديث هذه هى الدوافعُ و الحوافزُ التى حصلت علماء جمعية أهل الحديث على إنشاء هذه الجامعة، فاقترحوا على " *هيئة الجامعة الرحمانية* " ببنارس اتخاذ الخطوات اللازمة لتأسيس الجامعة و ما بعده من المراحل.

و قد جاءت أطيب مبادرة فى هذا المشروع الخيرىّ العظيم من وجهاء حارة مدنبورة ببنارس، فقد تبرّعوا بقطعة أرضية تبلغ مساحتها ٩٢ ألف قدم لإنشاء الجامعة، و وقف معهم أهل الخير من جميع أقطار الهند.

فانعقد حفلُ تأسيس الجامعة يوم الجمعة ١١/ رجب ١٣٨٣هـ المصادف ٢٩/ نوفمبر ١٩٦٣م، و قد حضر هذا الحفل عدد كبير من العلماء الأفاضل و الشخصيات البارزة. و تكرّم بأمر من الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله، صاحبُ السعادة الأستاذ يوسف بن عبدالله الفوزان سفير المملكة العربية السعودية لدى الهند آنذاك، بإرساء الحجر الأساسى للجامعة.

ثم بدأ عملُ البناء و التعميرِ حسب الوسائل المتوفّرة، و استمرّ نحو ثلاث سنوات تمّ فيها بناء بعض الحجرات الدراسية التى كانت ضروريةً لبدء الدراسة.

و فى رجب ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م انعقد بمناسبة افتتاح الدراسة حفل كبير حضره العلماء و المشايخ و أصحاب الاختصاص فى مجال الدراسة و التعليم. و قد افتتح الدراسة فى هذه المناسبة بأمر من الملك فيصل بن عبدالعزيز

رحمه الله، الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. و تشرّفت الجامعة في هذه المناسبة بترحيب سعادة الشيخ محمد الحمد الشبيلي سفير المملكة العربية السعودية لدى الهند آنذاك، و عدد من كبار أصحاب السياسة و التعليم.

أهداف الجامعة :

الأهداف الأساسية التي أنشئت الجامعة لتحقيقها تتلخّص فيما يأتي:

١ - تدريس الكتاب و السنة باعتبارهما مصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية الخالدة، و تدريس اللغة العربية و العلوم الإسلامية على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

٢ - اعداد الدعاة الصالحين و الكتاب الإسلاميين، المتزودين بثقافة إسلامية واسعة، للاسهام في نشر تعاليم الإسلام و للرد على أعداء الإسلام بأقوى الحجج و الأساليب.

٣ - محاربة البدع و العادات المعارضة للدين، و صيانة المسلمين من المبادىء الهدامة و المذاهب الالحادية التي تسربت إلى صفوف المسلمين و قضت على روحهم المعنوية و ميزاتهم الإسلامية.

٤ - المحاولة الجادة لتوحيد صفوف المسلمين، و العودة بهم إلى مبدأ التمسك بالكتاب و السنة، ايمانا بأن عزتهم و كرامتهم مرهونة بذلك.

٥ - بذل الجهود المخلصة لتحقيق التعاون و التبادل بين الجامعة و بين المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، و إنشاء الروابط العلمية و الثقافية مع الجامعات الهندية المركزية التي تعتني باللغة العربية و الدراسات الإسلامية.

أقسام و مراحلُ الدّراسة

ا - قسم تحفيظ القرآن الكريم و تجويده:

إن العناية بالقرآن و اللغة العربية من أهمّ أهداف الجامعة، و من هنا أنشأت الجامعةُ قسماً خاصاً لتحفيظ القرآن و تجويده، حتى تقوى صلةُ الطلاب بهذا الكتاب العظيم، و يتمكّنوا من الاستفادة بتوجيهاته الرشيدة و أساليبه البديعة و معانيه الفريدة. و يبلغ الآن عددُ المدرسين في هذا القسم خمسة. و مدّة الدراسة في قسم التحفيظ ليست محدودة، إلا أن الطلاب ينتهون من

حفظ القرآن كاملا فى السنة الثالثة من الالتحاق فى الأغلب. و فى قسم التجويد يستمرّ الطلابُ فى الدراسة سنتين كاملتين، يتلقّون فيهما قواعدَ التجويد و أصوله نظريا، ثم يقومون بتطبيقها العملى على القرآن الكريم باشراف و ارشاد من المدرس.

٢ـ مرحلة الإبتدائية:

هذه المرحلة هى أولى المراحِل الدراسية فى الجامعة. و عليها اقبال كبير من الطلاب بحيث تعجز الجامعة عن تحقيق رغباتهم بامكانيّاتها المالية و وسائلها المتوفّرة. و بما أن الجامعة لا ترى مبدأ الاختلاط فى التعليم سليما فانها قد فصلت بين البنين و البنات فى هذه المرحلة و ما بعدها من المراحل، فمدرسةُ البنات مستقلّةٌ منفصلةٌ عن مدرسة البنين. و مدّةُ الدراسة فى هذه المرحلة ستُّ سنواتٍ دراسيةٍ. و الناجح فى هذه المرحلة يستحق القبول فى المدارس الحكومية و فى الأهلية أيضا.

٣ـ مرحلة الثانوية :

هذه المرحلة تتضمّن فى الحقيقة مرحلتين. الأولى: مرحلةُ الاعدادية، و مدّةُ الدراسة فيها ثلاث سنوات دراسية. و الثانيةُ مرحلة الثانوية، و مدّة الدراسة فيها سنتان. و حيث ان الجامعة لا تمنح بعد اجتياز مرحلة الاعدادية شهادةً فانها قد ضمّت هذه المرحلة إلى الثانوية. و الدراسةُ فى هذه المرحلة للجنسين معا. و لكنّ الاختلاط ممنوع، فلكلّ جنس مدرسة مستقلّة. و المدرسة الثانوية للبنات معترف بها لدى الحكومة، لأنها تنظّم الدراسة وفق المنهج الحكومى مع اضافة الموادّ الدينية و اللغة العربية إلى ذلك المنهج. و الحاجة ملحّة لانشاء مرحلة الكلية للبنات أيضا، و لكن قلّة الامكانيات تمنع من ذلك.

٤ـ مرحلة الكلّية:

تُسمّى هذه المرحلة "العالميّة" و مدّة الدراسة فيها ثلاثُ سنوات. يُقدّم الطالب بعد اجتيازها بنجاح بحثاً علمياً فى نحو خمسين صفحةً (فلسكاب) و يُناقش فيه من قبل لجنة من المدرسين. و الناجحُ فيها يُمنح شهادة العالميّة. و هذه الشهادة تعتبر لدى الجامعة مساويةً لشهادة " الليسانس" لدى الحكومة.

٥ ـ مرحلة التخصّص:

دراسةُ التخصّص على أقسام، مثل التفسير و الحديث و الفقه، و الأدب العربي. و الموجودُ حاليا هو قسمُ التخصّص فى الحديث فقط. و تبتدئ بقيةُ الأقسام فى فرصة مواتية. و مدةُ الدراسة فى التخصّص سنتان دراسيتان، يُقدّم الطالب بعد اجتيازهما بالنجاح بحثا علميا فى نحو ثمانين صفحة (فلسكاف) و يُناقش فيه. و هذه المرحلةُ مهمّة جدا، لأن الدراسة التخصّصية هى التى تُؤهّل الطلاب لتحمّل المسئوليات العلمية بعد التخرّج، و لكنّ الأسف على أن المدارس الإسلامية الأهلية لم تقتنع إلى الآن بضرورتها و لم تعترف بفوائدها.



الجامعة السلفية بنارس

الجناح الجنوبي وفيه قاعة التفسير والحديث

عدد المدرسين و الطلاب و الموظفين:

فى المؤسسات التعليمية لا يستقرّ عددُ الطلاب و المدرسين على حالة واحدة، بل يرتفع و ينخفض حسب الأحوال و الظروف، و لكن المعهود فى أكثر هذه المؤسسات هو ارتفاع العدد و المستوى كما هو سنة الله تعالى فى الكون.

و الجامعة السلفية حينما بدأت نشاطها الدراسيّ فى سنة ١٩٦٥م لم يزد عددُ الطلاب المسجلين فى القسم العالى منها على ستين طالبا، و فى القسم الابتدائى و الثانوى على (٣٠٠) طالب. و لكن استمرّ النموّ و التطور إلى أن

وصل العددُ في العام الدراسى ١٤٠٩ ـ ١٤١٠ كالآتى:

المرحلة الدراسية	عددالمدرسين	عددالطلاب	عددالموظفين
قسم التجويد و التحفيظ	٥	٦٢	٢
الإبتدائية	٣٣	١١١١	٨
الثانوية	١٢	٢٥٧	٨
العالمية	١٠	١٩٠	٨
التخصص	٤	١٠	٣
مدرسة البنات	٢٣	٧٩٤	٥
المجموع :	٨٧	٢٤٢٤	٣٤

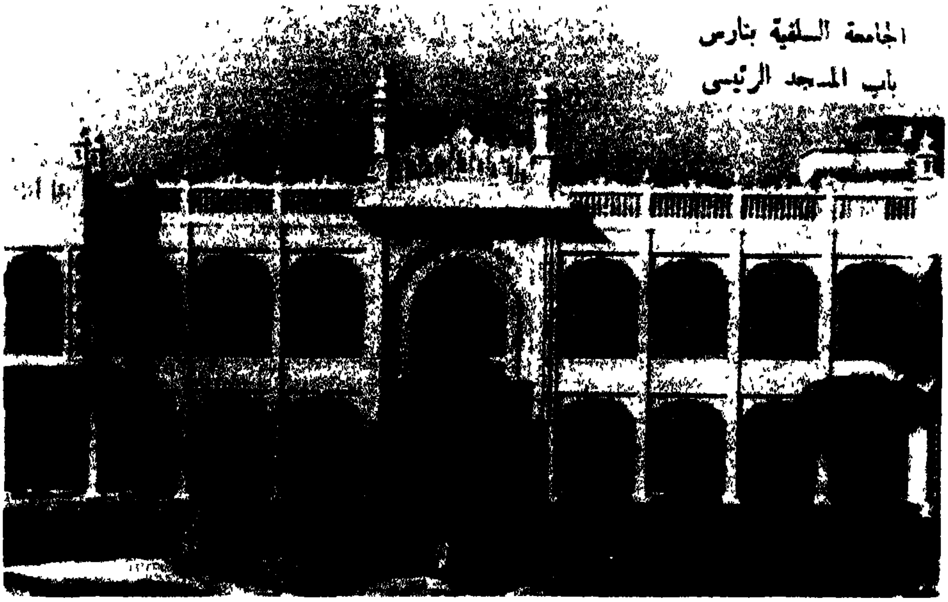
خدمات للطلاب:

سبق أن ذكرنا أنّ عدد الطلاب المجموعى فى جميع الأقسام يزيد على ألفى طالب. و الجامعة تُوفّر لهذا العدد من الطلاب الدراسة و بعض الرعايات اللازمة مجانا و من الطلاب المذكورين نحو خمسمائة طالب فى القسم الداخلى للجامعة، و هى توفّر لهم السكن و الأكل و الكتب الدراسيّة و العلاج مجانا. و قد كلّف الجامعةُ بعض المدرسين بالتوجيه و الاشراف على هؤلاء الطلاب، حتى يتعوّدوا على الخلق الكريم و السلوك القويم بجانب التعليم النظرى و التربية الفكرية. و الضغط على الجامعة متزايد لزيادة عدد الطلاب فى القسم الداخلى، و لكن المسئولين لم يتمكنوا إلى الآن من الاستجابة لهذه الرغبة العلمية، و لذا ترجع فى بداية كلّ عام دراسىّ مجموعة من الطلاب الراغبين فى الالتحاق بعد اعتذار المسئولين من قبولهم، و قد يزيد هذا العدد على ثلاثمائة طالب، الأمرُ الذى يقلق المسئولين كثيرا، و لكنهم لا يملكون حلّ هذه المشلكة على النحو الذى يبتغيه الطلاب، و التوفيق بيدالله عزّ و جل.

الإدارة و التعليم:

للجامعة مجلسان. الأول المجلس الادارى، و يتكوّن من الرئيس و نائبه و الأمين العام و نائبه و أمين الصندوق و ستة عشر عضوا آخرين، و هذا المجلس يُعتبر مسئولا عن جميع الشئون الادارية و المالية، و يعقد اجتماعين على الأقل فى السنة. و الثانى المجلس التعليمى، و يتكوّن من العلماء الذين

يمتازون بالخبرة و البصيرة فى مجال التعليم و التربية. و هذا المجلس مسئول عن المناهج و الإمتحانات و جميع ما يتعلّق بالشئون التربوية.



الجامعة السلفية بنارس
باب المسجد الرئيسى

البناء و التعمير:

ليست للشئون البنائية أهمية كبيرة فى حياة المؤسّسات التعليمية و خاصّة المؤسّسات الإسلامية التى تُموّل من قبل الشعب و تجمع الميزانية بالتبرعات و المساعدات، فانها فى كثير من الأحوال قد أنجزت أعمالا جليلةً فى المبانى المتواضعة التى لم تتضمّن إلا حجراتٍ ضيّقة و سقفا عاديا دون أن تتوفّر فيها مرافقُ الحياةِ العامّة. إن القائمين على التعليم والتربية فى العصور الماضية لم يكونوا على عناية كبيرة بالناحية البنائية و بالمظاهر الأخرىٰ ، بل كانوا يُركزون كلّ العناية و الإهتمام حول الناحية التعليمية ، و كانوا يسهرون فى سبيل رفع المستوى الدراسى. أما اليوم فصارت الناحية البنائية ذات دلالةٍ عظيمة على مستوى المؤسسة التعليميةِ، رسمية كانت أو أهليةً، فيها يقيس أصحاب المظاهر حجم المؤسسة و أهميتها و تاثيرها.

و جريا على العادة الشائعة بدأت المرحلة البنائية فى الجامعة السلفية أولا و نشطت إلى أن تمّ إنشاء الفصول الدراسية اللازمة و مبنى المكتبة العامّة. و فيما يلى تفصيل موجز لما أنجزته الجامعة فى مجال البناء فى نحو عشرين سنة:

١ - الغرف الدراسية و السكنية يبلغ عددها (٩٥).
٢ - الشقق لسكن المدرسين (١٢) شقة.
٣ - قاعة المكتبة المركزية.
٤ - قاعة دار الحديث للامتحانات و الاجتماعات.
٥ - المسجد الجامع، و يسع نحو ألف مصلّ.
٦ - مبنى مدرسة البنات.
٧ - مبنى ابتدائية البنين.
٨ - مسكن مدرسي الابتدائية للبنين.

المكتبة المركزية :

ذخيرة الكتب ، و الطلاب ، و المدرسون هي العناصر الثلاثة الرئيسية التي تتكوّن منها مؤسسة تعليمية، و اختلال عنصر من هذه العناصر يؤدّي إلى ضعف المؤسسة و يخلّ بنشاطها. و أهمية ذخائر الكتب هذه هي التي حملت المسلمين على العناية بجمع الكتب و بذل الأموال الطائلة في الحصول عليها و صيانتها و تسهيل الانتفاع بها و المسلمون قد ضربوا مثالا رائعا في اقتناء الكتب و إنشاء المكتبات، حتى اشتهرت بعض مكتباتهم على المستوى العالمي، و لاتزال بقايا هذا التراث العلمي في مكتبات العالم تشهد لأصحابها بالفضل و التقدير، و تُصوّر مدى حرصهم على حبّ المعرفة و نشر الثقافة و حماية العلم و العلماء.

و الجامعة السلفية اهتمّت منذ البداية بجمع الكتب و توفيرها للمدرسين و الطلاب، و بهذا الصدد أنشأت مكتبة مركزية تقع في القاعة التي تبلغ مساحتها (٦٠ X ٤٠) قدما في الجناح الشمالي للجامعة. و توجد في هذه المكتبة أكثرُ من ثلاثين ألف كتاب باللغات العربية و الأردية و الهندية و الانجليزية، و بذلك تُعتبر هذه المكتبة من المكتبات المهمّة العامّة في المنطقة يرتادها كثير من العلماء و الباحثين من الجامعات و المدارس. و مما زاد في أهمية هذه المكتبة أنّ مكتبات عديد من العلماء المعروفين قد ضمّت اليها بوقف من ورثتها و مالكيها. و للحصول على المراجع المهمّة في علوم التفسير و الحديث و العقيدة و غيرها قد كلّفت الجامعة خريجيها الذين التحقوا بالجامعة السعودية للدراسة بأن يشتروا ما يظهر من المطبوعات الحديثة في مختلف مدن المملكة العربية السعودية. و انهم قد أحسنوا القيام بهذه الخدمة و أثروا مكتبة الجامعة بالمطبوعات المهمّة.

مركز الدعوة الإسلامية:

إن الجامعة السلفية لم تقصر نشاطها على التدريس وحده، بل اهتمّت بالدعوة و الارشاد أيضا، و ذلك لما لمسته من حاجة المجتمع إلى التوجيه، و لما رأته من الفساد و الانحراف ينتشر فى كل مكان، و تداس القيم التى كانت مفخرةً للبشرية كلّها.

و لتلبية هذه الحاجة أنشأت الجامعة هذا المركز فى عام ١٩٧١م. و المسئولون عن المركز يقومون بارسال الدعاة و العلماء إلى مختلف المدن و القرى فى الهند، لتعليم الناس أحكام الدين الإسلامى، و لبثّ الوعى الدينى فى نفوسهم، و لتحذيرهم من الشرك و البدع و من الحركات الهدّامة و النظريات الباطلة التى قد هزّت كيان المجتمع، و قضت على فضائل الأعمال و محاسن الأخلاق. و كذلك تكلّف الجامعة أساتذتها بالقاء خُطب الجمعة فى جوامع بنارس، و بحضور الاجتماعات الدينية الشعبية التى يعقدها المسلمون فى مناسبات مختلفة. و فى العطلات الأسبوعية يقوم المدرسون بجولات دعوية فى المدن و القرى التى تجاور مدينة بنارس. و الجامعة تؤمّن لهولاء الدعاة المواصلات و سائر النفقات، و تحرص على أن يستمرّ هذا النشاط بانتظام حتى تستفيد به عامة الناس.

الإفتاء و التوجيه:

حاجة المجتمع الإسلامى إلى حكم الشرع و فتاوى العلماء قديمةٌ. فالمسلمون مهما ضعف تمسّكهم بالإسلام، و مهما كثرت المغريات التى تمنع العودة إلى التوجيهات الربّانية السامية، و لكنّهم يلتزمون فى كثير من شئون حياتهم إلى أحكام الشريعة الإسلامية، و يفضّلون العمل بها بدل النظم و القوانين الوضعية، و من هنا تهتمّ المنظمات و المدارسُ الإسلامية بانشاء قسم الفتوى حتى تتمكّن من تلبية حاجات المجتمع المسلم.

و لسدّ هذه الحاجة تمّ تشكيل لجنة الافتاء فى الجامعة السلفية منذ تأسيسها. و هذه اللجنة تُرشد المسلمين، و تجيب على الأسئلة التى تردُ اليها من المسلمين فى أقطار الهند الذين يريدون معرفة حكم الشريعة الغرّاء فى الأحداث و القضايا التى تواجههم فى حياتهم اليوميّة. و اللجنة تُحاول فى اجابتها الحفاظ على روح الدين الحنيف، و ارشاد الناس إلى طريق الحق و السعادة، و تبصيرهم بمزايا الدين الإسلامى و بما فيه من السمّو و الكمال

و مراعاة مصالح الناس. و انها كذلك تبرز الأهداف السامية التى تستهدفها توجيهات الإسلام لنشر السعادة و السلام بين أفراد الأمّة الانسانية.

مستقبل الخرّيجين:

التساؤل عن مستقبل الخريجين فى الجامعات الرسمية و الأهلية يبقى قائما فى كل وقت و لدى شخص، و لا شك أن الموضوع مهمّ و جدير بكلّ عناية، فان الطالب يحتاج بعد التخرّج إلى الاستقرار من الناحية الاقتصادية و الاجتماعية، و لو لم يظفر فى هذه المرحلة بوظيفة ملائمة فانه يتعرّض للتوتّر و الإنهيار. و قلّة الوظائف الشاغرة يشتكى منها خريجو الجامعات الرسمية و الأهلية على السواء، إلاّ أن المتخرجين فى الجامعة الأهلية لا يتوقّعون مستقبلا جدّ مُزدهر، و لذلك لا ينشأ عندهم ردّ فعلٍ عنيف بعد الفشل فى حصول الوظيفة.

و مستقبل المتخرجين فى الجامعة السلفية لا يختلف عن غيرهم من الطلاب، فهم يواجهون نفس المشكلات التى يواجه غيرهم فى الحصول على الوظيفة. و المصيرُ الذى يصير اليه هولاء الخريجون كما يلى:

١ ـ فطائفة من الخريجين تتولّى التدريس فى المدارس الإسلامية الأهلية، أو القيام بالدعوة و الإرشاد برواتب متواضعة.

٢ ـ و طائفة تتوجّه إلى الجامعات الرسمية لمواصلة الدراسة الأدبية أو الطبية فيها، و خاصة إلى جامعة عليكره الإسلامية، و الجامعة الملية الإسلامية بدلهى، و جامعة لكناؤ.

٣ ـ و طائفة تنجح فى الحصول على منحة دراسية فى إحدى الجامعات العربية و على الأخص فى الجامعات السعودية، فتواصل فيها الدراسة إلى ما شاءالله تعالى.

و بما أنّ خريجى الجامعة السلفية الذين التحقوا بالجامعات السعودية، و حصلوا منها على شهادات الليسانس و الماجستير و الدكتوراه، قد ساهموا مساهمة كبيرة فى حركة التأليف و البحث و التحقيق، فانى أودّ إشارة خاطفة إلى بعض أعمالهم العلميّة، فان ذلك يساعد فى إعطاء فكرة عن تأثير الجامعة و مساهمتها فى العلم و التحقيق:

ا ـ الدكتور وصي الله بن محمد عباس

و من إنتاجه العلمى ما يأتى:

١ ـ الضعفاء و المتروكون و مروياتهم فى سنن النسائى (جمع و تحقيق).

٢ـ تحقيق كتاب فضائل الصحابة للامام أحمد بن حنبل.
٣ـ تحقيق كتاب العلل و معرفة الرجال للامام أحمد أيضا.
٤ـ تحقيق كتاب عقود الجمان فى جواز تعليم الكتابة للنسوان للمحدث شمس الحق العظيم آبادى.
٥ـ المسجد الحرام: تاريخه و أحكامه (تأليف قيّم).
٦ـ تأريخ المسجد النبوى: فضائله و أحكامه.
٧ ـ الصحابة: فضائلهم و عدالتهم (تأليف).

٢ ـ الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم

و من إنتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ الأحاديث الواردة فى المهدى (جمع و تحقيق).
٢ـ تحقيق كتاب ترتيب الثقات للعجلى.
٣ـ تحقيق كتاب أحوال الرجال للجوْزجانى.
٤ـ كتاب الجهاد من سنن أبى داؤد (دراسة و تحقيق و تخريج).
٥ـ كتاب "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه" للأستاذ مسعودعالم الندوى (ترجمة و تعليق).
٦ـ ترجمة كتاب "سيرة الإمام البخارى" للعلامة محمد عبد السلام المباركفورى.

٣ـ الشيخ عبد القدّوس محمد نذير

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ أحاديث الجمعة (جمع و تحقيق).
٢ـ تحقيق كتاب الآداب للبيهقى.
٣ـ تحقيق كتاب مجمع البحرين فى زوائد المعجمين للهيثمى.
٤ـ تحقيق كتاب غاية المقصود فى شرح سنن أبى داؤد للمحدث شمس الحق العظيم آبادى.
٥ـ التدليس و المدلسون (بحث).
٦ـ فهرس الأحاديث الواردة فى كتاب المجروحين لابن حِبّان.

٤ ـ الدكتور محفوظ الرحمن بن زين الله

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ تحقيق كتاب تلخيص العلل المتناهية للذهبى.
٢ـ تحقيق كتاب العلل للدارقطنى.

٣ـ تحقيق مسند البزار.
٤ـ تحقيق كتاب الرؤية لأبى سعيد ابن الأعرابى.
٥ـ المرسل و حجيته (بحث).

٥ ـ الدكتور صغير أحمد بن محمد حنيف

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ تحقيق كتاب الأوسط لابن المنذر.
٢ـ تحقيق كتاب الاشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر.
٣ـ تحقيق كتاب الاجماع لابن المنذر.

٦ ـ الدكتور عبد العزيز بن عبيد الله الرحمانى

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ الضعفاء و المتروكون و مروياتهم فى كتاب الحدود من سنن النسائى (بحث).
٢ـ مرويات سمرة بن جندب فى مسند الامام أحمد (ترتيب و تحقيق).
٣ـ تحقيق كتاب فتح الباب فى الكنى و الألقاب لابن منْدة.

٧ ـ الدكتور عبدالوهاب بن خليل الرحمن.

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ الوضع و الوضاعون (بحث).
٢ـ تحقيق رسالة فى الرد على الرافضة للمقدسى.
٣ـ الحركة السلفية فى شبه القارة الهندية (تاليف).

٨ ـ الدكتور فضل الرحمن بن دين محمد

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ ذكاة الحيوان فى الشريعة الإسلامية (تاليف).
٢ـ تحقيق كتاب مسائل الامام أحمد برواية ابنه صالح.

٩ـ الدكتور أختر جمال بن محمد لقمان

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ تحقيق كتاب الاعتقاد للامام الراغب الأصفهانى.
٢ـ النواب صديق حسن خان و آراؤه فى العقيدة و التوحيد (تاليف).

١٠ـ الدكتور جاويد أعظم بن عبدالعظيم

و من انتاجه العلمى ما يأتى:

١ـ التدليس و المدلسون (بحث).

٢ـ تحقيق المقنع فى علوم الحديث لإبن الملقّن.

٣ـ تحقيق كتاب الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان.

٤ـ تحقيق كتاب التوضيح الأبهر فى شرح التذكرة فى الأثر للسخاوى.

١١ـ الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبّار الفريوائى

و من انتاجه العلمى ما يلى:

١ـ تحقيق كتاب الأباطيل و المناكير و الصالح و المشاهير للجوزقاني (مجلدان).

٢ـ تحقيق كتاب الزهد للامام وكيع بن الجراح (٣ مجلدات).

٣ـ تحقيق كتاب الزهد لهناد بن السرى (مجلدان).

٤ـ تحقيق كتاب زهد الثمانية من التابعين، رواية ابن أبى حاتم الرازى.

٥ ـ تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزى (مجلدان).

٦ـ تحقيق شروط الأئمة للمقدسى.

٧ ـ جهود مخلصة فى خدمة السنة المطهرة (تأليف).

٨ ـ جهود أهل الحديث فى خدمة القرآن الكريم (تأليف).

٩ ـ المسلمون فى الهند (تأليف).

١٠ـ نظرة على تفسير نظام القرآن قديما و حديثا.

١١ـ شيخ الإسلام ابن تيمية و افاداته فى علوم الحديث.

١٢ـ الدكتور رضاءالله بن محمد ادريس

و من انتاجه العلمى ما يلى:

١ـ الردّ على من قال بخلق القرآن لابن النجاد (تحقيق و تعليق).

٢ـ تحقيق كتاب العظمة لأبى الشيخ الأصفهانى.

٣ـ تحقيق كتاب الفتن لأبى عمر و الدانى المقرىء.

١٣ـ عبيدالله بن أبى القاسم

و من انتاجه العلمى ما يلى:

١ـ مرويات أم سلمة من مسند الإمام أحمد (ترتيب و تحقيق).

٢ـ تحقيق جزء من مشكل الآثار للإمام الطحاوى.

١٤ـ محمد اسحق بن محمد إبراهيم

و من انتاجه العلمى ما يلى:

١ـ تحقيق كتاب مناسبات تراجم أبواب البخارى.

٢ـ الكتب الستة و أسانيدها إلى مؤلفيها (تأليف).

١٥ـ محمد عزيز بن شمس الحق

و من انتاجه العلمى ما يلى:

١ـ حياة المحدث شمس الحق العظيم آبادى (تأليف).

٢ـ مجموع فتاوى العظيم أبادى (جمع و ترتيب).

٣ـ تحقيق كتاب رفع الالتباس عن بعض الناس للعظيم آبادى.

٤ـ تحقيق كتاب ردّ الاشراك للشاه محمد إسماعيل الدهلوى.

٥ـ تحقيق كتاب اللآلى المنثورة فى الأحاديث المشهورة للزركشى.

٦ـ تحقيق كتاب القوافى لنشوان الحميرى.

٧ـ جمع و تحقيق ديوان أبى النجم العجلى.

١٦ـ صلاح الدين بن مقبول أحمد

و من إنتاجه العلمى ما يأتى:

١ـ تحقيق كتاب مسألة العلو و النزول فى الحديث لابن طاهر المقدسى.

٢ـ المؤمل فى الرد إلى أمر الأول لأبى شامة المقدسى (تحقيق و تعليق).

٣ـ تحقيق كتاب الارشاد إلى تيسير الاجتهاد للصنعانى.

٤ـ زوابع حول السنة قديما و حديثا (تأليف).

٥ـ موقف الجماعة الإسلامية من الحديث الشريف للعلامة محمد اسماعيل السلفى (ترجمة و تعليق).

٦ـ تحقيق كتاب تحفة الأنام فى حديث خيرالأنام للشيخ محمدحياة السندى .

١٧ـ عبد البارى بن فتح الله

و من انتاجه العلمى ما يأتى:

١- تحقيق كتاب تاج التراجم فى طبقات الحنفية لابن قطلوبغا.

٢- تحقيـــق كتاب ارشـــاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق للإمام النووى.

١٨ـ أحمد مجتبى بن نذير عالم

و من انتاجه العلمى ما يأتى:

١ـ تحقيق كتاب ذكر من يعتمد فى الجرح و التعديل للذهبى.
٢ـ تحقيق كتاب الفتح السماوى فى تخـــريج أحاديث تفسير البيضـــاوى لعبد الرؤف المناوى.
٣ـ تحقيق كتاب الذخيرة فى الأحاديث الضعيفة و الموضوعة لابن طاهر المقدسى (بالاشتراك مع الدكتور عبد الرحمن الفريوائى).

١٩ ـ اقبال أحمد بن محمد اسحاق

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ تحقيق كتاب المخزون فى علم الحديث للأزدى.
٢ـ تحقيق كتاب البدر المنير لابن الملقن (بالاشتراك).

٢٠ ـ رفيع أحمد بن محمد عاقل.

و من انتاجه العلمى ما يأتى:
١ـ جهود علمية فى خدمة السنة النبوية (بحث).
٢ـ الحافظ عبدالله الغازيفورى حياته و آثاره (تأليف).
٣ـ تحقيق المسائل التى حلف عليها الامام أحمد.

بقية الخريجين:

و هناك عدد كبير للطلاب الذين التحقوا بعد إتمام الدراسة فى الجامعة السلفية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و حصلوا منها على شهادة الليسانس ثم عادوا إلى الهند، أو توظّفوا فى إحدى الدول العربية يُمارسون عمل الدعوة و الإرشاد و البحث و التحقيق. و رَوماً للاختصار نثبت هنا أسماء بعضهم فقط، و سوف يتمّ إلقاءُ الضوء على أعمالهم فى فرصـــة أخـرى، إن شاءالله تعالى:

مختار أحمد محمد يونس، و سهيل أحمـــد فضل الرحمـــن، و محمد مفضل مصلح الدين، و أبو الكلام عبدالله، و محمد صالح محمد يونس، و عبد القيوم محمد شفيع، و عبد المعيد عبد الجليل، و شهاب الله جنك بهادر، و بدر الزمان محمد شفيع، و نعيم الدين محمد إبراهيم، و جميل أحمد محمد شفيع، و محمد الياس عبد القادر، و أحسن جميل عبدالبصير، و محمد إسماعيل محمد بشير، و شميم أحمد محمد خليل، و أبوالقاسم عبدالعظيم، و محمد يونس

عبدالمتين، و أحمد الله صابر حسين، و محمد عبدالقيوم، و رضاءالله عبد الكريم، و صغير أحمد محمد عيسى، و عقيل أحمد حبيب الله، و شبير أحمد أبوالحسن، و أنيس الرحمن منظور الحق، و عبدالواحد عبدالقدوس، و محمد ابراهيم حفيظ الرحمن و غيرهم

الندوات و المؤتمرات :

من أهمّ مظاهرِ النشاط الثقافي فى العصر الحديث عقدُ المؤتمرات و الندوات حول الموضوعاتِ الدينية و الأدبية. و هذا النّوعُ من النّشاط يُعدّ فرصة ثمينة لمناقشة المسائل العلمية و القضايا الأدبية، و لمعرفة آراء العلماء و الأدباء حول هذه المسائل و القضايا، و هو يساعد فى الوصول إلى موقف مُوحّد نحو المسائل التى اختلف فيها آراء الباحثين، أو يضيق نطاقُ هذا الاختلاف، و يُضفى عليه نوعا من الإيجابيّة و حسن القصد. و المؤتمرات التى تدعمها الحكومات تنعقد على مستوى أرفع، و المؤتمرات الشعبية لا تستطيع الوصول إلى هذا المستوى، و لكنّها تُعدّدون شكٍّ مساهمةً مشكورةً فى تنشيط الحركة العلميةِ و تشجيع العلماء و الباحثين.

و للجامعة السلفية أيضا مساهمة متواضعة فى عقد الندوات و المؤتمرات مع قلّة الوسائل و الإمكانيات.

و فيما يلى إشارة موجزة إليها:

١ـ مؤتمر التاسيس العام:

انعقد هذا المؤتمر فى الأرض التى أنشئت عليها الجامعة فى شهر رجب ١٣٨٣هـ = نوفمبر ١٩٦٣م، بمناسبة وضع الحجر الأساسى للجامعة. و قد حضر هذا المؤتمر سعادة الشيخ يوسف بن عبدالله الفوزان، رحمه الله، سفير المملكة العربية السعودية لدى الهند حينذاك، و كذلك حضر عدد كبير من العلماء و الباحثين و أعيان أهل الحديث و وفود المدارسِ الإسلامية و الزعماء السياسيين. و هم جميعا باركوا هذا الخطوة، و عبروا عن تمنّياتهم الطيبة لهذه الجامعة، و أعربوا عن آمالهم المخلصة بأنّ إنشاء هذه المؤسّسة التعليمية فى هذه المدينة المعروفة بالنشاط الثقافى، سيكون له أثر طيّب جداً. و قامت مجلّة ترجمان الأردية بدلهى باصدار عدد خاص عن هذا المؤتمر.

٢ـ مؤتمر افتتاح الدراسة:

انعقد هذا المؤتمر فى الجامعة فى شهر ذى القعدة عام ١٣٨٥هـ / مارس ١٩٦٦م، و قد حضره عدد كبير من العلماء و الباحثين من الهند، كما شرّف المؤتمر سعادة الشيخ محمد بن حمد الشبيلى، سفير المملكة العربية السعودية لدى الهند حينذاك. و افتتح الدراسة الشيخ عبدالقادر بن شيبة الحمد، المدرس فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نيابة عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رئيس الجامعة. و فى هذه المناسبة التاريخية ألقى العلماء و المشايخُ كلماتِهم فى جلسات المؤتمر، و أبدوا فرحهم و سرورهم ببدء الدراسة فى هذه المؤسّسة التعليمية التى اعتبروها مركزا علميا كبيرا و ملتقى للعلماء و الباحثين. و قامت مجلّة ترجمان الأردية بدلهى بإصدار عدد خاص عن هذا المؤتمر أيضا.

٣ـ حفلة توزيع الشهادات:

انعقد أول حفل لتوزيع الشهادات على المتخرّجين فى شهر شعبان ١٣٨٩هـ = نوفمبر ١٩٦٩م، و قد حضره الشيخ محمد عبد الوهاب البنا مندوبا عن وزارة المعارف السعودية، و كبار الشخصيات الهندية، و قد قام الشيخ محمد عبدالوهاب البنّا بتوزيع الشهادات على المتخرجين، ثم ألقى كلمة أشاد فيها بدور الجامعة، و وجّه النصائح الغالية إلى الطلاب، و ذكّرهم بمنزلة العلم و مكانة العلماء، و بصّرهم بالمسئوليةِ العظيمة التى ألقيت على كواهلهم باجتياز المرحلة الدراسية. و كذلك ألقى المشايخ و وفود المدارس الإسلامية كلماتهم أبدوا فيها ارتياحهم نحو سير الجامعة و ما تحقق فيها من التقدّم فى مجال الدراسة و البناء.

٤ـ مؤتمر الدعوة و التعليم:

بعد مرور نحو ١٥ سنة على افتتاح الدراسة فى الجامعة، و بمناسبة افتتاح المسجد الجامع داخل الحرم الجامعى رأى القائمون على الجامعة عقد اجتماع كبير يحضره العلماء و الباحثون لمناقشة شئون الدراسة و الدعوة، و لاستعراض النتائج و الآثار التى ترتّبت على نشاط الجامعة فى مجال الدراسة و نشر الدعوة. و لأجل ذلك انعقد فى الجامعة "مؤتمر الدعوة و التعليم" فى شهر ربيع الأول عام ١٤٠٠هـ / فبراير ١٩٨٠م، و قد حضر هذا المؤتمر عدد

كبير من العلماء و الباحثين و خبراء التربية و التعليم من داخل الهند و خارجها. و قد ناقش هؤلاء المؤتمرون فى جلسات عديدة الموضوعات التالية:

* نشر الدعوة الإسلامية بالأسلوب العصرى.
* اعداد المؤلفات و البحوث الدينية على المستوى العصرى.
* توجيه النُشء الإسلامى فى المشكلات الراهنة إلى الوجهة السليمة.
* مقاومة مذاهب الإلحاد و الاباحية التى تحاول القضاء على القيم الدينية و المُثُل الخلقية.
* تطهر مجتمع المسلمين من عادات الشرك و البدع و التقاليد المعارضة للإسلام.
* تنشيط التعليم الدينى و تطويره حسب متطلبات العصر.

و مجلّة الجامعة قد أصدرت عددا خاصا بالمؤتمر نُشرت فيه البحوث و القرارات و التوصيات.

٥ ـ الموسم الثقافى الأول :

إن المدارس الدينية فى الهند تُعتبر حصونا للاسلام، فانها هى التى تقوم بتدريس الكتاب و السنة، و تحافظ على كيان المسلمين و تراثهم الدينى، و رجالُها هم الذين يقومون بتوجيه الناس و ارشادهم إلى تعاليم الشريعة الإسلامية، و يأخذون بأيديهم إلى طريق الهدى و الخير. و بناءً على هذه المكانة العظيمة لهذه المدارس كان مؤتمر الدعوة و التعليم قد وافق على قرارات مهمّة بخصوص المجالين. و لتنفيذ هذه القرارات و لتحقيق الأهداف السامية فى مجال الدراسة و التوجيه تمّ عقد الموسم الثقافى الأول فى الجامعة بتعاون من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فى شهر ربيع الآخر ١٤٠١هـ و قد حضر هذا الموسم وفد من الجامعة الإسلامية، و وفد من وزارة التربية و التعليم بدولة قطر، و وفودُ المدارس الإسلامية و بعض الجامعات الرسمية فى الهند.

و الأهداف التى تمّ اعلانها بمناسبة هذا الموسم كانت كما يلى:

* توثيق صلة المدارس الإسلامية الهندية بالعالم العربى.
* التنسيق و التعاون بين هذه المدارس لممارسة النشاط الإسلامى فى مجال التعليم و الدعوة و التأليف و الترجمة و النشر.
* تحقيق التعاون بين المدارس الاسلامية الأهلية و بين الكليات و الجامعات الرسمية.
* تبصيرُ الطلاب بمكانتهم فى المجتمع، و تذكيرُهم بالمسئوليات

التي تقع على كواهلهم نحو الأمة الإسلامية و الشعب الهندي، و إرشادُهم إلى الطريق التي تساعد في أداء هذه المسئولية العظيمة.

* اتاحة الفرصة أمام الطلاب للمرّن على استخدام طرق البحث و التحقيق المعتمدة في هذا العصر و الاستفادة من المنهج العلمي المعروف و من المراجع الأساسية لعلوم الكتاب و السنة.

٦- ندوة عن مساهمة المسلمين الهنود في العلوم الإسلامية:

انعقدت هذه الندوةُ في الجامعة في شهر رجب ١٤٠٦هـ / ابريل ١٩٨٦م، و قد حضرها من المملكة العربية السعودية معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، و بعض أساتذة هذه الجامعة، و ترأس جلسة الندوة الافتتاحية معالي الأستاذ ضياءالرحمن الأنصاري وزير الدولة لحكومة الهند المركزية حينذاك، و عدد كبير من أساتذة الجامعات الرسمية و المدارس الإسلامية. و البحوث التي قدّمها المشاركون في هذه الندوة قد تمّ نشرُها في عدد خاص من مجلة الجامعة. استمرت هذه الندوة ثلاثة أيام، و قد تمّ في اليوم الأخير منها توزيع الشهادات على المتخرجين بيد معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي. و قد وجه معاليه بهذه المناسبة كلمةً قيّمةً نبّه فيها على عظم مكانة العلماء و أهمية المسئوليات التي تقع كلّ من اشتغل بالعلم و المعرفة نحو المسلمين و نحو المجتمع البشري العام.

٧- ندوة عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية و أعماله الخالدة:

عقدت الجامعةُ السلفية في رحابها هذه الندوة المهمّة في شهر ربيع الآخر ١٤٠٨هـ / نوفمبر ١٩٨٧م، و ترأسها معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. و شارك فيها عدد كبير من العلماء و الباحثين من جامعات الهند الرسمية و المدارس الإسلامية و من خارج الهند. و قد بلغ عدد البحوث المقدّمة إلى الندوة أربعين بحثا تناولت جوانب رئيسية من حياة ابن تيمية و أعماله و مواقفه، و اتجهت إلى إبراز النواحي العلمية و الدعوية التي تجلّت فيها عبقرية ابن تيمية و مواضع نبوغه و تفوّقه. و مساهمة العلماء و الباحثين في هذه الندوة قد دلّت بوضوح على تقديرهم لأئمة الإسلام، و على إعجابهم بشخصية ابن تيمية، و بمنهجه في البحث و التحقيق، و أعماله في مجال الدعوة و الإصلاح.

الزوّار و الضيوف:

تبادل الزيارات و اللقاءات أمر معروف و مستمرٌ لدى الجامعات و المؤسسات التعليمية، و فيه فوائد جمّة و منافع كثيرة، و لذلك تحرص الحكومات و الهيئات الكبيرة على هذا التبادل، و تُخصّص له ميزانية ضخمة و عناية بالغة. و من هذه الفوائد اطلاع الزائر على المؤسسة أو الجامعة و على أنواع نشاطاتها و إنجازاتها و على دورها فى المجتمع و فى نفس الوقت تمنح الزيارة منسوبى المؤسسة أو الجامعة نوعاً من التشجيع و الثقة، و تتيح أمامهم فرصة الاستفادة من علم الزائر و خبرته.

و الجامعة السلفية تقع بعيدة عن مدن الهند الكبيرة المركزية، و لذلك لا يتيسّر الوصول اليها بسهولة لكل من أراد، و لكن مع ذلك شرّف هذه الجامعة عدد كبير من العلماء و الباحثين من الهند و خارجها بالمناسبات العامة أو الخاصة. و لا نستطيع هنا سرد أسماء جميع الضيوف الذين شرّفوا الجامعة و لكن نذكر بعض الشخصيات البارزة التى وصلت إليها، أما الكشف التامّ عن أسماء الزّوار و الضيوف فقد تضمّنه الدليل الذى نُشر بصدد التعريف بالجامعة فى مارس ١٩٩٠م. و اليكم أسماء هذه الشخصيات.

١ ـ الشيخ محمد عبدالله السبيل امام الحرم المكى الشريف.
٢ ـ الشيخ محمد بن ناصر العبودى الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.
٣ ـ الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا.
٤ ـ الشيخ يوسف جاسم الحجى وزير الأوقاف و الشئون الإسلامية بالكويت سابقا.
٥ ـ الدكتور محمد تقى الدين الهلالى، رحمه الله.

ادارة البحوث الإسلامية:

كان إنشاء هذا القسم فى الجامعة تلبية لحاجة العصر إلى الأدب الصالح الهادف و المؤلفات النافعة التى تساعد الأمة فى التمسك بالدين و الأخلاق، و ترشد الشباب إلى معرفة مسئولياتهم و أداء واجباتهم نحو الأمة و للمجتمع الإنسانى كله، و تقوم بتحصينهم ضدّ الاتجاهات المنحرفة و التيارات الإلحادية و الأفكار المستوردة، و تزوّدهم بالثقافة الإسلامية الواسعة و الوعى الدينى القوى، حتى يقوموا بدورهم المنشود فى العصر الحاضر.

و يسّر اللّه تعالىٰ للقسم تنسيقَ أمر التأليف و الترجمة حسب احتياج الأمة فى نواحى الثقافة العديدة، فتمكّن من إخراج المؤلفات النافعة التى تناولت موضوعات العقيدة و العمل بالأسلوب العلمى المتزن، و شرحت مسائل العلم و الدين بالأدلة و البراهين، و لعبت دورها فى ربط الجيل المعاصر بماضيه المجيد و تراثه الرائع الخالد.

و إدراكا بأهمية الصحافة و عظم شأنها فى العصر الراهن ركّز القسم عنايته حول الموضوع، و قد نجح بإذن اللّه تعالى فى اصدار مجلتين شهريتين منذ أكثر من عشرين سنة، تصدر احداهما باللغة العربية باسم (**صوت الأمة**) و الثانية باللغة الأردية باسم (**محدّث**). و قد حظيت المجلتان ـ مثل مؤلفات القسم الأخرى ـ بإعجاب القـراء و تقديرهم ، و هـذا يدلّ على أن الأدب الصالح لايزال عليه اقبالٌ من الناس، و لا يزال له تأثير فى القلـوب إذا أحسن الاعـدادُ و العرضُ.

و بما أن إدارة البحوث الإسلامية تُصوّر جزءاً مهماً من نشاط الجامعة، فانه ينبغى أن تعرّف ببعض المنشورات التى ظهرت من الإدارة إلى الآن، حتى تحصل فكرةٌ إجماليةٌ للقراء عن هذه المطبوعات و موضوعاتها.

قامت الإدارة بنشر نحو مائة و سبعين كتـابا ما بين مؤلف أو مترجم، و صغير أو كبير، باللغات العربية و الأردية و الهندية و الإنجليزية. و يمكن تصنيف هذه المؤلفات ضمن الموضوعات التالية: العقيدة الإسلاميـة، التفسير و علومه، الحديث و شروحه، مصطلح الحديث، دفاع عن السنة، السيرة النبوية، الفقه و الفتاوى، أصول الفقه، تاريخ الفكر السلفى فى الهند، التاريخ و السير و التراجم، التربية الإسلامية، الثقافية الدينية، الفرق و المذاهب، الأدب العربى و قواعد اللغة العربية، تقارير عن الجامعة و نشاطاتها. و هذا المقالُ لايتحمّل التعريف بجميع هذه المطبوعات، و لكننا نودّ إلقاءَ الضوء على بعضها حتى يأخذ القارىء فكرةً عن جهود الجامعة فى هذا المجال.

ا ـ تقوية الإيمان:

ألف هذا الكتاب العالمُ المجاهد الشيخ الشاه محمدإسماعيل بن عبدالغنى الدهلوى رحمه اللّه، باللغة العربيـة فى بابين، أحدهمـا فى بيـان التوحيـد و الاشراك، و الثانى فى وجوب اتباع السنة. ثم ان المؤلف نفسه ترجم الباب الأول إلى الأردية و نشره فى الهند. و قد حَظِى هذا الكتاب بإعجاب و تقدير بالغين فى الأوساط العلمية، و فى نفس الوقت ثار جدل كبير و مناقشة حادّة حول بعض محتوياته، و قام بالرّد عليـه بعض علماءِ الهنـد. و مع هذا النـزاع

و الخلاف انتشر الكتاب فى الهند على مدى أوسع، و طبعت نسخه بمئات الألوف، و لعب دوراً كبيراً فى توضيح العقيدة الإسلامية و تفنيد المزاعم و الخرافات التى تسرّبت إلى صفوف المسلمين بتأثير من الجهل و الغفلة. و نظرا إلى أهمية هذا الكتاب قام الشيخ عبدالوحيد بن أبو القاسم الرحمانى بترجمته إلى العربية. و قد طبعت هذه الترجمة مرتين على مطبعة الجامعة، و انتشرت نسخه فى الهند و خارجها و عددُ صفحات الكتاب فى الطبعة الثانية يبلغ ١٧٢ صفحة. و نثبت فيما يلى النقاطَ التى تناولها المؤلف فى هذا الكتاب بالشرح و التوضيح، و بذل سعيا مشكورا فى إصلاح عقائد الناس:

الفصل الأول — فى الاجتناب عن الاشراك.
الفصل الثانى — فى ردّ الاشراك.
الفصل الثالث — فى ردّ الاشراك فى التصوف.
الفصل الرابع — فى ردّ الاشراك فى العباد.
الفصل الخامس — فى ردّ الاشراك فى العادات.

و المترجم قد بذل عنايةً بالغةً فى الترجمة، و توخّى الدقّة و السهولةَ فى أداء المعنى، و قام بعزو الآيات الكريمة و تخريج الأحاديث الشريفة التى وردت فى النص، و أورد تراجم الشخصياتِ حسب الحاجة، و علّق تعليقا نافعا لشرح بعض الأمور التى قد يصعب فهمُها على القارىء، و بذلك جاء الكتاب فى هذه الطبعة العربية أنفعَ و أجودَ يُرضى الذوق المعاصر، و يخدم العقيدة الإسلامية على طريقة أحسن.

٣ـ العقيدة الواسطية:

مؤلف هذا الكتاب هو شيخ الإسلام أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ و شخصيته الفذّة ليست بحاجة إلى التعريف، فقد أثر بأعماله الخالدة و كتاباته النافعة فى الأجيال اللاحقة تأثيرا عميقا جدا، و لاتزال مؤلفاتُه و أراءه موضعَ عناية العلماء و الباحثين.

يذكر شيخ الإسلام سببَ تأليف العقيدة الواسطية فيقول :

"كان سببُ كتابتها بعض قضاة واسط من أهل الخير و الدين، شكى ما الناس فيه ببلادهم فى دولة التتر من غلبة الجهل و الظلم و دروس الدين و العلم، و سألنى أن أكتب له عقيدةً فقلت له: قد كتب الناس عقائدَ أمةِ السنة. فألحّ فى السؤال و قال: ما أحبّ الا عقيدةً تكتبها أنت، فكتبتُ له هذه العقيدةَ و أنا قاعد بعد العصر الخ".

و يقول عن ردّ فعل ظهر بعد كتابه الواسطية :

> *" قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فاذا جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرتُه فانا أرجع عن ذلك، و عليّ أن آتي بنقول جميع الطوائف من القرون الثلاثة يوافق ما ذكرتُه من الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنبلية و الأشعرية و أهل الحديث و غيرهم".*

و قد تجلّت محاسن شخصيةِ ابن تيمية في أوساط الهند في العصر الحديث حينما قوى اتصالُ مسلمي الهند بالعالم الإسلامي، و تحقّق بينهم التبادلُ الثقافي و التعاون العلمي. و قد ظهرت في هذه الفترةِ دراساتٌ علميةٌ واسعةٌ قامت بالتعريف بمؤلفات ابن تيمية و بتقويم أراءه و نظرياته في العلمِ و الدين. و كذلك تولّت بعضُ المؤسسات و الجامعات طبعَ هذه المؤلفات و نشرها في العالم. و الجامعة السلفيةُ مع ضآلةِ مواردها و قلّةِ وسائلها و كثرة مشكلاتها قد أحبّت الانخراط في سلك محبّي ابن تيمية و مقدّري جهوده، فساهمت في نشر ترجمة انجليزية لكتاب شرح العقيدة الواسطية، و طبعت الكتاب نفسه بالعربية. و الترجمةُ الانجليزيةُ قام بها الأستاذ محمد رفيق خان، و تمّ طبعُها على مطبعة الجامعة. و قد يجد أهلُ العلم في هذه الترجمة بعضَ المآخذ، و لكن الحقّ أنها ناجحةٌ تماما في اعطاء فكرة سلمية عن محتوياتِ الكتاب و أدلّةِ أهلِ السنة في موضوع الأسماء و الصفات.

مرعاة المفاتيح:

هذا الكتاب هو أطولُ الكتب التي قامت الجامعة بطبعها إلى الآن، ألّفه العلامة المحدّث الشيخ أبوالحسن عبيد الله الرحماني، الذي يشغلُ كثيرٌ من المدارس الإسلامية في الهند. و المؤلّف، حفظه الله، قد وصل في هذا الشرح إلى نهاية كتاب المناسك، و لايزال يُواصل مسيرته العلميةَ في سبيل اتمام هذا العمل الجليل. و كان بعضُ أجزاء هذا الشرح طُبع أولا بالحجر، ثم طبعه الجامعةُ السلفيةُ بالحروف في تسعة أجزاء إلى نهاية كتاب المناسك. و فيما يلي أهمّ ميزات هذا الشرح:

١- وضع الشارحُ أرقاما مسلسلة لأحاديث الكتاب ليكون حصرا صحيحا لأحاديثه، ثم وضع بجنبها أرقاما مسلسلة لأحاديث كل باب على حدة و جعلها بين قوسين ليمتاز عن الرقم المسلسل لأحاديث الكتاب، و لا تخفى فائدة هذا العمل على القارىء و الباحث.

٢ـ وضع أربع فهارس نافعةً، أحدُها للكتب و الأبواب و الفصول حسبما وقع في المشكاة. و ثانيها فهرسُ الأحاديث مع أبوابها و فصولها. و ثالثُها لأعلام الصحابة و التابعين و غيرهم ممن لهم ذكر أو رواية في كتاب المشكاة، و للأئمة أصحاب الأصول المذكورين في أول المشكاة. و رابعها للأماكن التي ورد ذكرها في متن الحديث مرتّبا على حروف المعجم.

٣ـ كتب ترجمة كلٍّ علم من الصحابة و التابعين و غيرهم بقدر الحاجة في أوّل موضع ذكر فيه من المشكاة، و كذا وصف كلَّ مكانٍ في أول موضع وقع فيه.

٤ـ أو في القول في توضيح الأحاديث و تشريحها، و ذكر من معاني الأحاديث المشتملة على مسائل الفقه و الكلام ما هو الصحيح الراجحُ المعوّلُ عليه عند السلف الصالح من الصحابة و التابعين و فقهاء المحدثين، رضي الله عنهم. و ربما أطنب الكلامَ في الردّ على التأويلات الواهية المزخرفة التي اخترعها أهل الهوى و الضلالِ لاخضاع نصوص الحديث الشريف لأهوائهم و ميولهم.

٥ـ أجاب اجابة علمية عن المطاعن التي يُوردها معارضو السنة في كتبهم على فقهاء أهل الحديث و منهجهم و طريقهم.

٦ـ ذكر اختلاف الفقهاء و أقوالهم في مسائل الخلاف مع سرد حجج هذه الأقوال، ثم عيّن القولَ الراجحَ المعوّل عليه عنده، و أيّده بالأحاديث و الآثار، و أجاب عن دلائل الأقوال المرجوحة بوجوده متعددة.

٧ـ أشارت عند البحث في بعض المسائل إلى مظانّها من الكتب المطولة من شرح الحديث و الفقه الجامع و السنن و المسانيد و الجوامع و المعاجم و الرجال مع أرقام الصفحات لكي يسهل الرجوعُ اليها لمن يريد التوسّع في الكلام. و صنع هذا حيث رأى أنه لو بسط القول فيه على الوجه الذي أراد أفضى ذلك إلى التطويل الذي لا يحتمله الشرحُ.

٨ـ التزم تخريجَ ما أورده المؤلّف في الفصل الأول و الثالث من أحاديث الصحيحين أو أحدهما أن اشترك فيها الغيرُ من أصحاب السنن و المسانيد و المعاجم. و التزم أيضا أن يخرّج أحاديث الفصل الثاني و الثالث من روايات غير الشيخين ان رواها غيرُ من سمّاه المؤلّف، و استدرك أيضا ما وقع من المؤلف من ترك البياض بعد ذكر الحديث دون عزوه لأحد، فبيّن من أخرجه.

٩ـ التزم الكلام على أحاديث غير الصحيحين و انتقادها حسب ما تيسّر و سنح له، و بيّن درجتها من الصحة أو الضعف معتمدا في كلّ ذلك على كلمات أئمة هذا الفن.

١٠ـ أشار إلى ما وقع للمؤلف من الأوهام و الأخطاء في سوق ألفاظ الحديث،

و فى وضع حديث الصحيحين أو أحدهما فى الفصل الثانى، و حديث غيرهما فى الفصل الأول و فى تخريج بعض الأحاديث.

هذه هى الأمورُ التى يمتاز بها كتابُ *مرعاة المفاتيح* ، و الجامعة السلفيةُ ترجوا أنها تُوفّق فى اخراج هذا السفر القيّم إلى القرّاء الكرام فورَ اتمام الشارح تأليفه.

بين الإمامين مسلم و الدار قطنى:

من تأليف الدكتور الشيخ ربيع بن هادى المدخلى أستاذ الحديث فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و سبق أن قام بالتدريس فى الجامعة السلفية عدة سنوات.

و المؤلّف فى مقدّمة كتابه هذا يُشيد بدور أئمة الحديث و حُفّاظه فى سبيل الحفاظ على هذا العلم الشريف فيقول: " و لقد أعدّ اللّه لحفظ هذه السنة المطهرة و صيانتها رجالا صنعهم على عينه، و أمدّهم بشتى المواهب النفسية و العقلية، و الذكاء المتوقّد، و الحفظ المستوعب، مما يبهر العقل، و يستنفد العجب، و يجعل فى المطلع على أخبارهم و أحوالهم ما يملأ قلبه يقينا بأن هولاء العباقرة ما أعدّوا هذا الاعداد العجيب الا لغاية سامية هى انفاذُ وعد اللّه الكريم: (أنا نَحنُ نَزّلنَا الذّكرَ وَ إنّا لَه لَحَافِظُونَ.) فكان من آثار هولاء العظماء ما تزخر به المكتبات الإسلاميةُ اليوم و قبل اليوم، من مؤلّفات قيّمة مختلفة المناهج و المواضيع متّحدة الغاية، و هى خدمة السنة المطهرة".

و ذكر المؤلّفُ بعد ذلك منزلةَ الصحيحين بين كتب الحديث و كيف أنّ الأمة الإسلامية تلقّتهما بالقبول قديما و حديثا، ثم تطرّق إلى بيان الدافع الذى حملَ الدار قطنى على تأليف كتابه فقال:

> *" و كان منهم الامام الحافظ الناقد أبو الحسن على بن عمر الدار قطنى الذى ساهم فى خدمة السنة و علومها بحظ وافر، و له الباعُ الطويل فى العلوم الإسلامية و علوم السنة المطهرة بالأخص، لاسيما معرفة الرجال و الأسانيد و العلل، فالقى نظرات فاحصةً على صحيحى البخارى و مسلم، فاستدرك عليهما ما يربو على مائتى حديث يرى أنّ فيها عللاً تخريجها عن حدّ الصحيح. و قد تصدّى للبحث فى هذه الأحاديث المنتقدة و مناقشة الدار قطنى فيها و مخالفته فى أحكامه حينا، و موافقته حينا آخر، بعضُ العلماء الأجلّة كالقاضى عياض و النووى فى شرحيهما لصحيح مسلم،*

و *كالحافظ ابن حجر فی شرحه للبخــاری و مقدمته و غيرهم من العلماء الأفاضل*".

و قد صــرّح المؤلفُ عن البـاحث على هـذا البحث فذكر أنّه أحبّ السنــة و علومها منذ بداية اشتغاله بالعلم، و أدرك المكانةَ المرموقة التى حازها صحيح مسلم. و من ناحية أخرى خشى أنّ المتحاملين على الإسلام و الطاعنين فى سنة الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وسلم قد يتخذون تُكأةً و يستغلّون مثلَ انتقاد الدار قطنى و نظرائه جاهلين ما تعنيه هذه الانتقاداتُ، و معرضين عن الغاية النزيهةِ الكريمةِ التى قصدها الدار قطنى و أمثاله من حمايةِ نصوص الديــن و الذبِّ عن كيانِه و الذود عن حياضه. و من هنا أسهم ببحثه فى الكشف عن حقيقة هذه الاستدراكات التى أوردها الدار قطنى.

و ملخصُ عملِ الدكتور المدخلى فى البحث المذكور أنه:

(١) أثبت نسبةَ رسالة " *التتبعات* " إلى الدار قطنى.

(٢) تفهّم قولَ الدار قطنى و كشف عن مقصوده من نقد الحديث.

(٣) فحص الدليلَ و رجــع إلى المصــادر لتتبّع الروايــات من المتابعـات و الشواهد مما يؤكّد كلامَ الدار قطنى أو يعارضه.

(٤) حكم على نقد الدار قطنى بالموافقة أو المخالفة فى ضوء قواعد علماء نقد الحديث.

(٥) أوضح ما كان من الأحاديث المنتقدة فى الأصول و ما كان منها فى المتابعات و الشواهد.

(٦) أورد تعريفا موجزا بالامام مسلم و بالامام الدار قطنى، حتى تحصل للقارىء فكرةٌ عامّةٌ عن مكانتهما فى علم الحديث و قيمة آثارهما فيه.

و مما تجدر الاشارةُ إليه أنّ كتابَ الدار قطنى "التتبع أو الاستدراكات" الذى دار حوله بحثُ الدكتور المدخلى قد وُجدت نسخته بمكتبة حيدر أباد الدكن تحت رقم ٣٥٥ حديث، و هذا يدلّ على شدّةِ عناية علماء الهند بعلم الحديث و على حرصهم البالغ فى اقتناء كتبه مخطوطةً و مطبوعة. ثم إنّ اللّه تعالى يسّر طبعَ الدراسة الخاصة بهذا الكتاب القيّم لمطبعة متواضعة فى الجامعة السلفية، و بذلك برزت عنايةُ المسلمين فى الهند بالحركة العلمية المعاصرة.

وللبحث صلة ... ...

الحلقة الثالثة :

مساهمة أوده
فى خدمة اللغة العربية و آدابها
(١٧٢١- ١٨٥٦)
دراسة نقدية

بقلم: الدكتور مسعود أنور العلوى الكاكوروى
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية و آدابها،
بجامعة علي كره الإسلامية، الهند.

٣- العقائد و علم الكلام:

لقد تطور علم الكلام أو المدرسية (Scholasticism) فى خضم التكوين الثقافى المعرفى الواسع للفكر الإسلامى فى التاريخ، فلكل ديانة أن تعرض معتقداتها و تعاليمها بمعايير العقل و الفهم الإنسانى، و الحاجة تكون ماسة عندما تواجه الملة مفاهيم و تصورات ثقافية و دينية أخرى لحضارات إنسانية فى مختلف بقاع العالم، فلا بد لها أن تبرهن معتقداتها الخاصة بمعايير عقلية إنسانية تذعن الآخرين و تجلبهم إليها، و الإسلام لما بدأ احتكاكه بأمم و ثقافات مختلفة نائية عن جزيرة العرب اضطر العلماء إلى تطوير المدرسية المذهبية، و نجد فى "*المواقف*" تعريفاً لعلم الكلام (المدرسية):

> " *الكلام علم بأمور يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج و دفع الشبهة*" (١)

و المعتزلة من أول من مثّل المدرسية، و على رأسهم واصل بن عطا (١٣١هـ/ ٧٤٨م) (٢)

و لما بدأ الإسلام يتسع نطاقه من جزيرة العرب و اتسع الإحتكاك الثقافى بين الأمم و الحضارات و نقلت المعارف و الفلسفات اليونانية إلى العربية، بدأ المدرسيون يؤلفون فى هذا العلم لتفنيد المعتقدات و المفاهيم المضادة

و المعارضة و تدليل المفاهيم الإسلامية الدينية.

يقول المسعودي في "*مروج الذهب*" :

" و كان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب في الردّ على الملحدين ممن ذكرنا من الجامدين و غيرهم، و أقاموا البراهين على المعاندين و أزالوا شبه الملحدين فأضحوا الحق للشاكين (٣)."

و يقول العلامة سعدالدين التفتازاني (٧٩١ هـ / ١٣٨٩م) :

" ثم لما نقلت الفلسفة عن اليونانية إلى العربية و خاض فيها الإسلاميون و حاولوا الردّ على الفلاسفة فيما خافوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها" (٤)

و ممن اشتهر في الأوساط العلمية الهندية من متكلمي المسلمين العرب الإمام أبومنصور الماتريدي (٣٣٣ هـ / ٩٤٥ م) و الإمام أبوجعفر الطحاوي (٣٢١ هـ / ٩٣٣ م).

أما خلفية تطور المدرسية في الهند فهي أن الهند لما قدمها المسلمون في سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م ، و فتحوا السند عام ٩٣ هـ / ٧١٢ م أصبحت هذه المنطقة تحت الإمارة الإسلامية، و في سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م اعترف الخليفة المتوكل على اللّه العباسي بإمارة مستقلة لعمر بن عبدالعزيز الهباري، و بذلك خرجت الهند من الإمبراطورية العباسية الإسلامية، و في زمن عبداللّه بن عمر (حوالي ٢٧٠ هـ / ٨٨٤ م) ظهرت مؤلفات إسلامية باللغة السندية أولها بقلم عالم من العراق بطلب من الملك في "امرور" إسمه مهروكٓ ابن رائق.

و خلف الهباريين القرامطة في السند، حتى في عام ٤١٧ هـ / ١٠٢٦م جاء الملك محمود من غزنة و حررها من براثنهم، كما خلف الغزنويين الأسرة الغورية و في هذه الفترة زار الإمام فخرالدين الرازي الهند، و لأجل أن الملاحدة و المتشككين لم يكونوا يجدون سبيلا إلى نشر أباطيلهم ضد المعتقدات الإسلامية الصافية، لا نجد المؤلفات في علم الكلام، و خلف الغورين المماليك، و استقرت الحال كما كانت من قبل، و لا نجد في هذه الفترة كتبا غير "كتاب *التمهيد*" لأبي الشكور السلمي، و كان الشيخ نظام الدين الأولياء قد درس هذا الكتاب.

و في فترة تغلق كان الأستاذ الشيخ نجم الدين السمرقندي رئيس الأساتذة بمدرسة " *فيروز شاهي*" و هو الذي قرر كتاب "*الصحائف في الكلام*" أو شرحا له في المنهج الدراسي (و هذا الكتاب ألفه الشيخ شمس الدين

السمرقندى) و لما أرسى الملك بابر أسس الحكم المغولى قدم الهند عدد كبير من العلماء من توران، بكتب فى المعقولات و علم الكلام، و كانوا يدرسون "شرح *المواقف*" بجنب الكتب الأخرى المقررة، كما يخبرنا الشيخ عبدالسميع الإندجانى (٥) ، و بلغ تدريس المعقولات و المدرسية أوجه فى تسعينات القرن العاشر للهجرة ، و يرى السيد غلام على آزاد البلجرامى أن الأمير فتح الله الشيرازى أدخل كثيرا من كتب المعقولات فى المناهج الدراسية و اتسعت أنشطة علم الكلام بقدوم تلامذة للمحقق الدوانى، فنجد أن الملا علاءالدين اللارى ألف حاشية على شرح العقائد، و انتقده ميان حاتم السنبهلى، و تلاه نموذج آخر للحاشية للسيد غالى خان البدخشى، و لكن المحقق الدوانى هو الذى نشر المعقولات فى أوساط الهند العلمية، و اشتهر من تلامذته السيد خواجه جمال الدين و يتصل الشاه ولى الله الدهلوى بسلسلة مرزا جان الشيرازى، أما الأمير فتح الله الشيرازى فيتصل به العلماء من أسرة فرنجى محل و خيرآباد، و الملا يوسف كونج من تلامذة مرزا جان الشيرازى، و تلميذه الملا فاضل البدخشى، و تلميذه مير زاهد الهروى، و تلميذه الشاه عبدالرحيم الدهلوى، و كان الشاه عبدالرحيم الدهلوى قد قرأ على أخيه الشاه أبوالرضا محمد كتبا فى علم الكلام، و كان مير زاهد قد أعد شرح *المواقف* فى تلك الفترة.

و نشرت المعقولات بجهود من الأمير فتح الله الشيرازى و تلميذه مُلاّ عبدالسلام اللاهورى، و تلميذه عبدالسلام الكاكوروى، و تلميذه عبدالحليم السهالوى، و تلميذه قطب الدين الشهيد، و تلميذه نظام الدين السهالوى الفرنجى محلى، إضافة المُلاّ قلى الجانسى و الحافظ أمان الله البنارسى، و المُلاّ عبدالعلي بحرالعلوم، و الملا كمال الدين السهالوى. (من حوزة خيرآباد).

نقدم فيما يلى الكتب التى كانت قد قررت للمناهج الدراسية أنذاك و التى لعبت دورا بارزا فى إنماء الأنشطة المدرسية فى أودهـ ، ثم نذكر و نستعرض خدمات للملا كمال الدين السهالوى (١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م) و الملا محمد مبين الفرنجى محلى (١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م).

الكتب:

١- *العقائد النسفية* لنجم الدين أبوحفص عمر بن محمد النسفى (٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م)

٢- *العقائد العضدية* للقاضى عضدالدين عبدالرحمن الأيجى (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥م) ، و شرح الأول لسعدالدين مسعود بن عمر التفتازانى (٧٩١ هـ / ١٣٨٩م) و الثانى جلال الدين محمد بن أسعد الدوانى (٩٠٨ هـ/١٥٠٢ م).

و المحقق الطوسى قام بتحقيق "تجريد *العقائد*" و ألفت شروح له ، و من بينها:

١- شرح تجريد *العقائد* لجمال الدين حسن بن مطهر الحلي (٧٢٦ هـ/١٣٢٦ م) و هذا من المقررات الدراسية في المدارس الشيعية الهندية حتى الآن.
٢- شرح *التجريد* لشمس الدين محمود بن عبدالرحمن الاصفهاني (٧٤٦ هـ / ١٣٤٥م) المعروف بالشرح القديم.
٣ـ شرح *التجريد* المعروف بالشرح الجديد للشيخ علاءالدين على القوشجي (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤م) .

و للشرح القديم حاشية بقلم مير سيد شريف الجرجاني (٨١٦ هـ / ١٤١٣م) أما للشرح الجديد فالحواشي موجودة لجلال الدين المحقق الدواني (٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م) و الأمير صدرالدين الشيرازي (٩٠٣ هـ / ١٤٩٨م) ، و اشتهرت في الهند حواشي المحقق الدواني.

و للقاضي عضدالدين الأيجي (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥م) مؤلفان في الكلام:

١- *المواقف* ، و شرحه السيد شريف الجرجاني (٨١٦ هـ / ١٤١٣م) و لعل العلامة عبدالحكيم السيالكوتي أول هندي ألف حاشية عليه.
٢- *العقائد العضدية* ، و له شروح عديدة أشهرها للمحقق الدواني.

و للعلامة سعدالدين التفتازاني مؤلفان كذلك :

١- *المقاصد* و شرح له بإسم "*شرح المقاصد*"
٢- شرح *العقائد النسفية* ، و له حواشي و شروح لبعض العلماء من أودهـ .

و فيما يلي أسماء للمؤلفات في علم الكلام للعلماء من أودهـ :

١- الحاشية على القديمة و الجديدة لسعدالله بن عبدالشكور السلونوي (١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م). (نزهة ٦/٩٧)
٢- الحاشية على الشرح *العضدية* لملا نظام الدين الفرنجي محلي (١١٦١ هـ / ١٧٤٨م). (نزهة ٦/٢٨٥)
٣- شرح *الرسالة المبارزية* في العقائد الإسلامية للمؤلف نفسه، مكتبة كاكوري،
٤- الحاشية النظامية على الحاشية القديمة الجلالية على شرح *التجريد*، للمؤلف نفسه ، و توجد مطبوعة.
٥- الحاشية على *الشرح العضدية* للشيخ بركت بن عبدالرحمن الإله آبادي، (الثقافة ٢٣٦)
٦- الحاشية على مير *زاهد* الأمور العامة للقاضي مبارك، مكتبة جامعة علي كره ١٣/٢ بالقسم العربي،
٧- الحاشية على شرح *المواقف* للمؤلف نفسه، مكتبة جامعة علي كره ،

(قسم سبحان الله ٤.٩٧ ٢/٤٢)

٨- الحاشية على الشرح *العضدية* للسيد باقر بن مصطفى الجائسى، (الثقافة ٢٣٥)

٩- الحاشية على شرح *العقائد العضدية* للدواني لملا كمال الدين السهالوى ،

١٠- الحاشية على شرح *العقائد الجلالية* للمؤلف نفسه،

١١-الحاشية على شرح *المواقف* لأحمد عبدالحق اللكناوى (١١٨٧هـ / ١٧٧٣م

١٢- الحاشية على حاشية شرح *المواقف* لمير زاهد، لملا محمد حسن اللكناوى (١١٩٩هـ / ١٧٨٥م)

١٣- الحاشية على حاشية شرح *المواقف* لمير زاهد، لملا أحمد على السنديلوى (١٢٠٠هـ / ١٧٩٨م)

١٤- الحاشية على شرح *العقائد النسفية* للشيخ أبى الخير بن ثناءالله الجونبورى (١١٩٨هـ / ١٧٨٤م)

١٥- الحاشية على شرح *العقائد العضدية* للمؤلف نفسه.

١٦- الحاشية على الحاشية *الزاهدية* على شرح *المواقف* لعبد العلي بحر العلوم الفرنجي محلي،

١٧- الحاشية على حاشية شرح *المواقف* لملا محمد مبين الفرنجي محلي .

١٨- *عماد الإسلام* للسيد دلدار على النصيرآبادى،

١٩- الرسالة فى مبحث إمكان مثل نبينا لحسن علي الهاشمى اللكناوى (١٢٥٥هـ / ١٨٤١م)

٢٠- الرسالة فى أجوبة المسائل الخمس للمؤلف نفسه،

٢١- الرسالة فى معنى لاإله إلا الله لعبدالرحمن بن محمد حسن (١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م)

٢٢- *الشهاب الثاقب* لأحمد بن حسن القنوجى (١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م)

٢٣- الحاشية على الحاشية *الكمالية* على شرح *العقائد الجلالية* لولي الله بن حبيب الله (١٢٧٨هـ / ١٨٦١م).

٢٤- *حل المعاقد* ، الحاشية على شرح العقائد لعبدالحكيم الفرنجى محلى (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م)

٢٥- الحاشية على *العروة الوثقى* لعبدالحكيم بن عبدالرب الفرنجى محلى (١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م)

و نستعرض هنا بعض الأعمال المدرسية و رجالها من أودهـ

ا - الملا كمال الدين السهالوى :

هو من مواليد ١١٠٤هـ / ٣-١٧٩٢م فى فتحبور، من بنى أعمام الشيخ قطب الدين بن عبدالحليم السهالوى، قرأ على السيد كمال الدين العظيم آبادى،

ثم الشيخ نظام الدين السهالوى، و له مكانة علمية رفيعة، و طول باع فى المنطق و الفلسفة و المدرسية، توفى فى ١٤/خلون من محرم الحرام عام ١١٧٥ هـ / ١٧٦١م ، و من أشهر ما ألفه فى المدرسية . *العروة الوثقىٰ* ، و شرح *الكبريت الأحمر*، و الحاشية على شرح *العقائد الجلالية*. (٦)

يقول صاحب *"هفت تماشا"* عن كتاب *العروة الوثقىٰ* :

" *كتاب يقصر كبار العلماء عن فهم المطالب الدقيقة و الغوامض اللطيفة*" (٧)

و من تلامذة الملا كمال الدين : حمدالله السنديلوى، محمّدأعلم السنديلوى ، ملا بركة الله الإله آبادي، و ملا محمد حسن الفرنجى محلى، و ملا محمد ولي الفرنجى محلى، و أحمدالله الخيرآبادى، و محمد أحسن الجرياكوتي. و قد أشاد بذكره و تلامذته رضي الدين محمود الفتحبورى فى كتابه *"أغصان الأنساب"* (٨)

و *الحاشية الكمالية* من أحسن الحواشي على شرح *العقائد الجلالية*، و هذا الباحث قد وجد ثلاثة نسخ لهذا الكتاب: الأول فى مكتبة جامعة علي كره الإسلامية (قسم حبيب كنج ، رقم ٢٣/١٢٣) و تحوى ٥٢ ورقة ، كل ورقة ٢٤ سطراً ، و النسخة الثانية فى نفس المكتبة، (قسم سبحان الله ٤ ٢٩٧/٢/١٧) و هى محتوية على ٣٥ ورقة كل صفحة ٢٤ سطرا، و تتخللها الحواشي، و هاتان النسختان بخط واضح ، و النسخة الثالثة فى نفس المكتبة، (قسم سبحان الله ، تحت رقم ٤ ٢٩٧/١٧) محتوية على ٦٦ ورقة ، كل صفحة ٢٤ سطرا، بخط عير واضح ، و كان تسويده فى ١٧ من ربيع الأول عام ١٢٠٢ هـ

و بداية نسخة سبحان الله ٤ ٢٩٧/٢/١٧ هكذا:

ربّ يسّر بسم الله الرحمن الرحيم و تمّم بالخير

قال الشارح رحمه الله هو إنسان أه ، أقول المعرف باللام هو المطلق مع التخصيص الحاصل من قبل اللام فهو عارضى لايمنع الإطلاق، فالمرجع هو المطلق المذكور صريحاً، و التعريف باللام و الانتشار، المفاد من التنوين من عوارضه كما حقق بعض المحققين، و القول لجمل المطلق على الفرد الكامل على المجاز حتى ينتفى الإطلاق الذى من صفات المعانى، و لذا قال علماء النحو إن مثل الرجل ليس بكلمة نظرا إلى تعدد المعنى و إن كان فى اللفظ يشابه المفرد ، فهناك كلمتان دالتان إحداهما على الإطلاق و الأخرى على التقييد العارضى، و التعريف قد يكون اسميا و قد يكون لفظيا ، و هذا تحملنا و لابأس فى أخذ الأنواع فى تعريف الأصناف

و التخصيص بالإنسان لعدم ثبـوت نبـوة الملك و الاتفاق على نفى النبوة عن الجـان ، و القول بنبوة مريم مرجوح، فايثاره على الرجل لأنهما سيان فى المفاد ... الخ"

و المؤلف أحيانا يدلل وجهة أنظاره ببراهين عقلية و نقلية توحى بقوة الاستدلال و التفكير الخصب، و الكتاب ينتهى على هذه العبارة:

"فثبت أن العلم قبل وجود عين المعلوم ممكن، و القدر الضرورى، الحمدلله على ... هو وجود أمر مختص بتلك الخصوصية، و لعل ذاته تعالى كافية لتلك الخصوصية، الحمـدلله علـى الإتمـام، و الصلاة و السلام على محمد و آله الكرام، قد تمت هذه الحاشية المرتبة على شرح العقائد الجلالية، صنفها المولى العالم المحقق و الحبر المدقق كمال الملة و الدين السهالوى رحمه الله تعالى".

كتبه العبد المذنب محمد سعيد سنة ١٢١٨ هـ ، تمت

٣- الملاّ محمّد مبين الفرنجى محلى:

من مواليد عام ١١٥٧ هـ / ١٧٤٥م قرأ على الملا محمد حسن الفرنجى محلـى (١١٩٩هـ / ١٧٨٥م) ، و فـاق أقرانـه فى العلـم، ألف فى المنطق شرحـاً *لسلم العلوم*، و فى أصول الفقـه، *مسلم الثبوت*، إضافـة حواشـى على " *مير زاهد رسالة* " و " *مير زاهد ملاّ جلال* " و "*شرح هداية الحكمة*" و " *مير زاهد شرح المواقف* ". و توفى عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م فى لكناؤ. (٩)

و *المواقف* للقاضى عضدالدين الأيجى (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥م) تحوى هذه الأبواب:

١- حقيقة المعرفة (Epistemology)
٢- علم الوجود (Ontology)
٣- العرض (Property)
٤- الأجسام (Corporeality)
٥- الإلـهْيات (Theology)
٦- السمعيات (النبوة ، المعاد ، الإمامة و غيرها)

و "*الحاشية على الحاشية الزاهدية المعلقة على شرح المواقف*" لملاّ مبين، و توجد مخطوطة فى كلية جامعة على كره الإسلامية بقسم العربية ، (الديانة تحت رقم ٧٣) و فيها ١٦٨ ورقة ، كل صفحة ٢٣ سطراً ، البداية:

" الحمدلله رب العالمين، و الصلاة على رسوله محمّد و آله

أجمعين، قوله: أنت تعلم أه ، من إيراد الكلام على هذا النهج الايراد مع أن مقصـــد المحشي توجيه كلام صاحب المواقـف و توضيح مراده ، فهذا الكلام ليس على ظاهره ، بيانه أن صاحب المواقف عرف الأمور العامة بقوله ما لا تختص بقسم من أقسام الموجود التي هي الواجـب و الجوهـر و العرض، فإما أن تشتمل الأقسام الثلاثة كالوجود فانه يشمل الثلاثة إذا يقال لكل واحد منها أنه موجود، أو يشمل الإثنين كالإمكان الخاص."

و نهاية المطاف:

" هذا ما تيسر بفضل رب العالمين للعبد العاصي المسكين المدعو بمحمّد مبين تجاوز الله عن سياته يوم الدين، في حل مغلقات الحاشية الزاهدية المعلقة على شرح المواقف في العقائد الدينية، و الله الموفق للاختتام و عليه التوكل و به الاعتصام ، هذه الرسالة بلطف خاتم الرسالة."

٤-التصوف:

الأسس و المبادئ التي يقوم عليهـا التصوف مستقاة من آثار الصحـــابة و التابعـين و متواجدة في التـــاريخ من عصــرهم المجيد، حيث كان الصحـــابة و السلف مكبين على عبادة الله لصرف الهمم عن الشئون الدنيوية المتصلة بالمناصب و الجاه و الأموال، و لكن الناس لما فتنتهم الدنيا بروائعهـا و مفاتنها و قل إخلاصهم لله في العبادة و الانقياد وجد رجال دعوا بالمتصوفين أو رجال التصوف، فدعوا الناس إلى الإخلاص و محاسبة النفس، و تزكية الباطن بذكر الله ، طبقا للآية:

" و ما أمــروا إلا ليعــبدوا الله مخلصين له الــدين حنفـــاء ، و يقيموا الصلاة ، و يؤتوا الزكاة ، و ذلك دين القيمة" (١٠)

و شهدت الهند فترة من التاريخ ساد فيها التصوف على جملة شئون الحياة مثلما كان في ايران، و دعا الإنسان إلى الإخاء و الحب و الإخلاص و الخلق النبيل و السلوك الحسن.

و منطقة أودهـ من المناطق الهندية الشهيرة في نشر التصوف بحوزاتها و زواياها، مثل الزاوية الكاظمية القلندرية بكاكوري، بتاريخها القديم و دورها البارز في نشر العلم و الدين، إضافة زوايا في صفي بور، و ردولي، و سلون، و رائے بريلي، و بهرائچ، و جونبور، و إله آباد.

على أن الشيعة من أصحاب الحكم فى أودهـ - و خاصة فى عصر آصف الدولة - قد خالفوا التصوف و حاربوا المتصوفين، فالتصوف لم يزل يقبل عليه الجماهير و أثر التصوف ملموس فى الشعر الأردوى، خاصة فى شعر خواجه حيدرعلى آتش و السيد على نقى صفى، و هادى على عزيز من الشيعة، و الفضل فى ذلك راجع إلى الصوفية فى الهند، و لأجل أن الصوفية كانوا يؤلفون فى الغالب باللغة الفارسية نظراً إلى الجماهير، فلا نجد كتبا كثيرة باللغة العربية. و الكتب العربية التى نجدها هى على منوال الكتب الشهيرة فى التصوف مثل *كتاب اللمع* للشيخ أبي نصر (٣٨٠ هـ / ٩٨٠م) و "*الرسالة القشيرية*" لعبدالكريم الهوازنى القشيرى (٤٦٥ هـ / ١٠٧٢م) و "*عوارف المعارف*" لشهاب الدين السهروردى (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م) و "*فصوص الحكم*" و "*الفتوحات المكية*" للشيخ الأكبر محى الدين ابن العربى (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م).

و فيما يلى أسماء الكتب التى ألفت فى الهند فى شرح التصوف و نشره و معارضته على السواء:

١- *لوائح الأنوار فى رد على من أنكر على العارفين لطائف الأسرار*، سراج الدين عمر بن اسحق (٧٧٣ هـ / ١٣٧١م)
٢- الرسالة فى سلوك خلاصة السادات النقشبندية ، لتاج الدين زكريا (١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠م)
٣- تعريب *لرشحات عين الحياة* لملا حسين واعظ للمؤلف نفسه،
٤- تعريب *لنفحات الأنس* لعبدالرحمن جامى للمؤلف نفسه،
٥- *أنفاس الخواص*، لمحب الله الإله آبادى (١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨م)
٦- *المغالطة العامة* للمؤلف نفسه،
٧- *التسوية* بين الإفادة و القبول، للمؤلف نفسه،
٨- شرح فصوص الحكم ، للمؤلف نفسه،
٩- هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء، لزين الدين المالابارى،
١٠- *مفتاح المعية* فى الطريقة النقشبندية، لعبدالغنى (١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م)
١١- *القول الجميل* فى بيان سواء السبيل، للشاه ولى الله المحدث الدهلوى (١١٧٦هـ / ١٧٦٢م)

أما الكتب التى ألفها علماء أودهـ و صوفيتها فهى تشتمل على الأدعية و الأذكار، و الرسائل، و التوجيهات الصوفية العامة، و الشروح، و الحواشى، لمؤلفات متقدمى الصوفية، و كانت أودهـ حافلة بسلسلات صوفية مثل القلندرية و القادرية، و الجشتية و النقشبندية و السهروردية.

و فيما يلى أسماء و الكتب الصوفية التى ألفها علماء و متصوفو منطقة أودهـ:

١- *جوامع الكلم* شرح فصوص الحكم، للشيخ على أصغر القنوجي (١١٤٠هـ / ١٧٢٧م)
٢- تبصرة *المدارج* في السلوك، للمؤلف نفسه،
٣- *القصيدة المهيمنية* في النفحة المحمدية، للمؤلف نفسه،
٤- *النفائس العلية* في كشف أستار المهيمنية، للمؤلف نفسه،
٥- *اللطائف العلية* في المعارف الإلهية، للمؤلف نفسه،
٦- *الكلام المفيد* فيما يتعلق بالشيخ و المريد، للشـاه خوب الله الإله آبادى (١١٤٤هـ / ١٧٣١م)
٧- *الكلمة الموتلفة في المقاصد المختلة*، للمؤلف نفسه،
٨- شرح *فصوص الحكم*، لمحمد طاهر بن محمد يحىٰ الإله آبادى (١١٤٣هـ / ١٧٣٠م)
٩- شرح *الشجرة القادرية*، للمؤلف نفسه،
١٠- *سيد الأسرار في الحقائق و المعارف* لمحمد غوث الحسينى الكروى مانكفورى (١١٧٠هـ / ١٧٥٦م)
١١- *الرسالة في مراتب الوجود* لملا كمال الدين السهالوى،
١٢- *اتحاف السادة المتقين* بشرح إحياء علوم الدين، للسيد مرتضىٰ الزبيدى (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م)
١٣- *النفحة القدوسية* بواسطة بضعة العيدروسية، للمؤلف نفسه،
١٤- شرح *الفص النوحي* من فصوص الحكم لعبدالعلى بحرالعلوم (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م)
١٥- *الرسالة الصغرى*، للمؤلف نفسه،
١٦- *الفرع النابت من الأصل الثابت* ليوسف بن محمد الحسينى (١١٧٢هـ / ١٧٥٨م)
١٧- *الشهاب الثاقب* في ردّ الصوفية للسيد دلدار علي النصيرآبادى (١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م)
١٨- *الروض المجود* في حقيقة *الوجود*للعلامة فضل حق الخيرآبادى (١٢٧٨هـ / ١٨٦١م)
١٩- *التحلية لرسالة التسوية* لعبدالحليم الفرنجي محلى (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)
٢٠- *رياض المعارف* للشيخ علي أصغر القنوجي (١١٤٠هـ / ١٧٢٧م)

و من أعلام التصوف في أودهـ :

ا - الشيخ علي أصغر القنوجي :

سبقت ترجمته في باب التفسير، و هذا الباحث وجد خمس مخطوطات

للشيخ القنوجي فى المكتبة الأنورية، الزاوية الكاظمية بكاكورى، و هى:

١- *تبصرة المدارج فى السلوك*: و فيها ٤٢ ورقة ، كل صفحة تحمل ١٧ سطرا، بخط منكسر، و ختم عبدالباسط بن رستم على بن علي أصغر (المؤلف).
و بداية النسخة هكذا:

> *"سبحان من ستر الحقيقة الكاملة بإظهار الخصوصية الشاملة و جعل الدليل على معرفة أنبياءه و أولياءه من حيث الدليل عليه، و أدخل إليهم من أدخله إليه، و هم فى حجاب النسبة مخدرون، حتى قال فى حقهم: لاَ خَوفٌ عَليهِمْ وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُون .... الخ*

و الكتاب يبحث فى المفاهيم الصوفية و سمات السالك فى سبيل الحق، أشباه أخذ الفيض، و الشكر، و الإنابة، الصبر، و الزهد، و التواضع، و الجوع، و التوكل، و الرضا، و الحب، و الحياء ، و الأنس، و الخوف، و الرجاء ، و الفقر، و الوصل، و غير ذلك من النظريات فى التصوف.

و نجد نهاية المطاف:

> *" هذا ما تيسر لنا بمقتضى الحال، و لم يمل على نفسى فيه إلى فتق المقال، لئلا يقتضى إلى الملال ... و جمعية خالصا لوجه الله غير ملتفت إلى ما سواه ، ...*

٢- اللطائف العلية فى المعارف الإلهية:

يشمل هذا المخطوط على ١١١ ورقة ، كل صفحة تحمل ١٧ سطراً ، و القياس أنه من خط المؤلف نفسه فى عام ١١٣٧هـ ، و الكتاب يقلد منهج "*فصوص الحكم*" للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي، بمقدمة و أربعة أبواب، و البداية هكذا:

> *" الحمدلله الذى خلقكم و ما تعملون، عالم الغيب و الشهادة، فتعالى عما يشركون به وجدنا ما وجدنا و حمد بكل ما حمد، هو الأول و الآخر فمنه الابتداء و إليه الانتهاء ، هو الظاهر و الباطن، فمنه ما ظهر و ما بطن من الأشياء"*

> *"المقدمة مشتملة على تنبيهات تتعلق ببعض المعارف التى تنفع السالكين فى جميع المقامات و الأحوال، و الأبواب يشتمل كل واحد منها على معرفتين، و كل معرفة منها تشتمل على عدة لطائف، فالأولى من الأول فى مباحث*

الوجود، و الثانية منه فيما يترتب عليه، و الأولى من الثانى في الإيجاد، و الثانية منـه في المباحث إلـى ما يتعلق بها، و الباب الأول في الوجود، و الثانى في الإيجاد، و الثالث في التنزلات، و الرابع في التنزيهات، و الأول من الثالث في مراتب الوجوبية الثبوتية للتنزلات، و الثانية منه في مراتب الإمكانية الوجودية لها، و الأول من الرابع في بيان ما يعرض للسالكين في معارج التنزهات، و الثانية منه في بيان غاياتهم و تفاوت درجاتهم بحسب الاستعدادات، و الخاتمة ختم بها ببيان اللطائف إلى ما يتعلق بالنشأة الأخروية.

و ينتهي الكتاب على هذه العبارة:

" أحيانا الله على ملتهم، و أماتنا على سيرتهم، و حشرنا في زمرتهم، و جعلنا منهم و معهم و ممن أحبهم و اتبعهم".

٣- القصيدة النعتية:

هذه القصيدة مشتملة على ٨٩ بيتاً من الشعر، و تتخللها الحواشي باللغة الفارسية، و تحمل الصفحة الأولى ختما لعبدالباسط بن رستم علي و رستم علي بن علي أصغر القنوجي لعام ١١٣١هـ ، و علي أصغر بن عبدالصمد القنوجي لعام ١١٠١هـ.

و مستهل القصيدة:

يا مظهرَ الإسـم الأتم يا مصـدر الوصـف الاسم
ترجى برأفتك الهدى تمحـى برحمتـك الظلم

بيديك إسقـاط التـعب و لديك من مـلح الأدب
لبيك من أهل العرب سعـديك من أهـل العجم

أنت النبي المصطفـى، أنت الأمـين المقتـدى
بدر الدجى، صدر العلى ليث الوغى غيث الكرم

و خاتمة القصيدة هكذا:

أنـوار أعـلام الهـداية تهتـدى بجنـابهم
كل عـرانين العرب كـل صنـاديد العجـم
كانـوا بحـارا للفضائـل و المعـارف جمـة
استخـرجت منهـا اللآلى الحقـائق و الحكم

٤- القصيدة الميمنية فى النفحة المحمدية مشتملة على ١٨٣ بيتا من الشعر، إضافة شرح المشكل من الألفاظ باللغة العربية.

يقول فيها

قف خليلى بالمطايانا و تلقـــــاء الحمى
إن ترى فيها القباب الحمر عرج لعلعـــا

إن وجدت الوقت بين من حقـــائق قلبه
بالتأدب فى مقام العطف من حسن الأدا

فى الحقيقة ليس لى من عاذل فى حبهـ
إنها معشوقة كالشمس فى بسط الضيا

أسعد الأزمان فى الدنيا قرون الأنبيـــاء
سيما القرن الذى فيه محمّد مصطفــىٰ

حبذا عهـــد الصحابة انهم خيـــر الورىٰ
حبذا من كان فى عهد النبى المصطفــىٰ

نوحك يا أيها الناحــى مقامات العلــىٰ
قـــد أنار الشوق هيـــج عزة فى قلبنــا

قال أصحـــابى لكم مثـل النجـوم بأيهم
اقتديتم اهتديتـــم كلهـــم عين الهـــدىٰ

(البيت الأخير من القصيدة)

٥- و قصيدة ثالثة نحوى ١٠٨ بيتا من الشعر، و منها:

احمدالله المـــوفق للمحبـــة و الرضـــا
احمدالله المقـــدر وجهـــه ما فى القضـــا

الحكيم المظهر الأسمـــا بوجه اقتضــــى
القدير الواهـــب الأشيـــاء ما فى عينهـــا

لا يؤدى حمده التشبيـــه و التنزيـــه بل
حمده ما قال خيرا لخلق لا أحصى ثنـــا

أذكروا ماذا عليكم من وجوبات الوجـــود
ما أجبتم من أ لست بربكـــم من ربنـــا

نية الإخـــلاص فـــى طاعاتـــه خير لــكم
إنما الأعمال بالنيـــات قـــال المقتـــدى

لن تنالوا البر حتى تنفقوا محبوبكـــم
خالصاً لله و اتبعـــوا إمـــاماً سيـــدا

سلموا يا قومنا صلوا على خير الـورى
رحمة للعالمـــين ما جـــاء إلاّ مصطفـــى

٦- النفائس العلية في كشف أستار المهيمنية:

هذا الكتاب شرح للقصيدة المهيمنية، و يشتمل على ٦٧ ورقة ، و أحيانا قد أطنب في الشرح و بالغ، و فيما يلي نموذج لشرحه:

"*بالنسب كانوا قرانين العرب في أصلهم*
بالفضائل كلهم كانوا صنـــاديد الـــورى

القرانين جمع القرن بالكسر و هو الرئيس، و الصناديد جمع صنديد و هو رئيس القوم و أشرافهم، و إنما كانوا بالنسب قرانين العرب لأن كبار الصحابة كانوا من قبيلة قريش و هي أشرف و أعظم من قبائل العرب، و فضائلهم ثبتت بالأخبار المتواترة و المشاهير، فكانوا صناديد الخلائق كلهم في العلوم و المعارف."

٣- السيد دلدارعلي النصيرآبادي:

سبقت ترجمته، و هو من مواليد عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م ، من الشيعة، كان له كبير دور في نشر الشيعة في أودهـ و تركزت جهوده حول تكفير أهل السنة و المتصوفين و ألف في الردّ على "*التحفة الإثنىٰ عشرية*" للشاه عبدالعزيز الدهلوي (١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م) ، و ألف "*الشهاب الثاقب*" في الردّ على التصوف، و فند نظرية وحدة الوجود للصوفية، و وصف المتصوفين كملاحدة و زنادقة ، و توجد نسخة خطية له في مكتبة جامعة على كره الإسلامية (قسم سبحان الله ٥ ٢٩٧/١٠) ، مشتملة على ٩١ ورقة.

يقول في مستهل الكتاب:

"*يا من لا يخطر ببال أولى الرايات خاطرة من تقدير جلالة عزته و تعترف القلوب الوالهة بأنـــه لايزال بارتمام الأوهـــام و غموض مداخل العقول كنه معرفته، سبحان من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام .. الخ*"

" و سميتها بالشهاب الثاقب رجاءًا أن يرجم به كل شيطان مارد و يقذف به من كل جانب كل مبتدع معاند" .

المقصد الأول (مشتملا على ثمانية أبواب) يعالج الوجود الإلهى و الخلاف فيه بين المتكلمين و الفلاسفة و الصوفية، و الثانى يبحث فى وحدة الوجود، و الثالث يذكر الأخطاء التى وقع فيها الشيخ الأكبر، يقول فيه عن الحسن البصرى رحمه الله:

" هو أول من اخترع الرهبانية فى الإسلام و تلاميذه صنعوا الصوامع فى البصرة، و هذا الرجل كان من المنحرفين عن مولانا أميرالمؤمنين صلوات الله عليه و آله" .

ثم يرد على آراء المتصوفة من أمثال سفيان الثورى و بايزيد البسطامى، و معروف الكرخى، و حسين الحلاج، و الغزالى، و عبدالقادر الجيلانى، و جلال الدين الرومى، و فريد الدين العطار، و الحكيم الثنائى و غيرهم. و يصف حسين الحلاج بقوله:

" كان من رؤوس المتصوفة و الزنادقة "

و يقول فى آخر الكتاب:

" و إذا عرفت ذلك فعليك أن تمعن النظر و تعين أشخاص هؤلاء الملاحدة نظرا إلى أنفسهم و آباءهم يأخذ هذه الأقسام ... عليهم، و الله ولى التوفيق."

٣- عبدالحليم الفرنجى محلى:

"التحلية لرسالة التسوية" شرح ألفه عبدالحكيم الفرنجى محلي *للتسوية بين الإفادة و القبول* للشيخ محب الله الإله آبادى (١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م) ، و لهذا الكتاب شروح عديدة للشيوخ: محمدى فياض الزينبى، و أمان الله البنارسى، و عبدالله الدهلوى، و محمد أفضل الإله آبادى، و السيد على أكبر الدهلوى، و الحافظ شاه على قلندر الكاكوروى، و شرحه مطبوع للشيخ عبدالحكيم الفرنجى محلى، و يترجح من الكتاب أنه تم تسويده عام ١٢٨٠هـ فى بومبائى بعد عودته من الحج.

و هذا الباحث قد وجد نسخة خطيّة لرسالة *التسوية بين الإفادة و القبول* فى المكتبة الأنورية، الزاوية الكاظمية القلندرية بكاكورى، و هى نسخة عام ١٠٣٨هـ / ٩-١٦٢٨م . أما شرحها بقلم الشاه تقي حيدر قلندر، و ترجمتها باللغة الأردوية فقد طبعت عام ١٣٤٣هـ

٤- العلامة فضل حق الخير آبادى:

مضت ترجمته، و رسالة "*الروض المجود فى حقيقة الوجود*" رسالة مهمة لشرح وحدة الوجود، و قد سبق أن شرحها المحشيون "*لمير زاهد أمور عامة*" و "*هداية الحكمة*" و هذه المسألة تنازع فيها الصوفية و الحكماء منذ زمن الشيخ الأكبر، و تأثر بفلسفة الشيخ الأكبر متصوفون و علماء من الهند، مثل الشاه محب الله الإله آبادى، و الشاه ولى الله الدهلوى (١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م) و أبيه الشاه عبدالرحيم الدهلوى (١١٣١هـ/ ١١٨٨م) (١١).

يقول العلامة فضل حق الخير آبادى فى مستهل الكتاب.

" الحمدلله ينبوع الوجود مفيض الجود و الصلاة على محمد صاحب المقام المحمود و آله أهل الشرف و السود، و صحبه نجوم الاهتداء، فى الغياهب السود على مر الأعصار و الأبود و بعد: فهذه جملة جميلة فى حقيقة الوجود، سميتها بـ "الروض المجود" أمليتها مرتجلا دون بذل الجهود فى تحقيق ما عليه أئمة الكشف و الشهود .."

و يقول عن الوجود الحقيقى:

" اعلم أن الوجود الحقيقى حقيقة واحدة لا يختلف بالفصول المحصلة و لا بالعوارض المشخصة، بل تتعين بنفسها مع إطلاقها بذاتها لا يزيد تعينها على حقيقتها إلا بالاعتبار مع أنها تتعين بنفسها و هى واجبة لذاتها غير معلولة لغيرها."

" الوجود بالمعنى المصدرى ... أمر بديهى فطرى مشترك بين الأشياء منتزع عنها فى الأذهان ليس موجودا بنفسه فى الأعيان، و هذا ضرورى ظاهر لا ينازع فيه مكابر."

و المؤلف أحيانا يستدل بأقوال متقدمى الصوفية أمثال الأشعرى و السهروردى، و الشيخ الأكبر، و يويّد موقفه بالعقل. و الكتاب ينتهى على وصية نجدها فى آخر الصفحة:

" إن خير ما يتواصى به أن يتقى الله فى العلانية و السر، و إن كنت فى هذه التوصية ممن نسى نفسه و أمر غيره بالبر، فيا لهفى على عمر أتلفته و زمن فى الهوى أسلفته و سوء عمل أخلفته".

و الرسالة مطبوعة ، و لا توجد إلاّ فى النادر. (١٢)

٥- التاريخ و السيرة:

كتب التاريخ و السيرة قليلة باللغة العربية، و ألف علماء الشيعة كتبا فى مناقب أهل البيت و نقد الآخرين من الصحابة، و كتب التاريخ و السيرة كثيرة باللغة الفارسية و الأردوية، ندرج فيما يلى أسماء الكتب التى ألفت باللغة العربية فى الهند، ثم نذكر الكتب التى ألفها علماء أودهـ.

١- *الإعلام بأعلام بيت الله الحرام* لقطب الدين محمد بن علاءالدين أحمد النهروانى (٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢م).
٢- *تحفة المجاهدين*، للشيخ زين الدين بن عبدالعزيز المالابارى (٩٩١ هـ / ١٥٨٣م).
٣- *ظفرالواله بمظفر وآله* للشيخ عبدالله محمد بن عمر (بعد ١٠٢٠ هـ / ١٦١١م).
٤- *زاد الأحباب فى مناقب الأصحاب*، لملك أحمد بن عبدالملك پير محمد الفاروقى.

(من القرن الحادى عشر للهجرة)

٥- *النورالسافر عن أخبارالقرن العاشر*لمحى الدين عبدالقادر العيدروسى (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) ،
٦- *المنتخب المصطفى من أخبار مولد المصطفى*، للمؤلف نفسه.
٧- *اتحاف الحفرة العزيزة لعيون السيرة الوجيزة*، للمؤلف نفسه.
٨- *الروض الناضر فى من إسمه عبدالقادر*، للمؤلف نفسه.
٩- *الأنموذج اللطيف فى أهل البدرالشريف*، للمؤلف نفسه.
١٠- *عقد اللآل بفضائل الآل* ، للمؤلف نفسه.
١١- *سلافة العصر فى محاسن أعيان العصر بكل دهر*، لصدرالدين علي بن أحمد بن معصوم المعروف بالسيد علي خان (١١١٧هـ/ ١٧٠٥م).
١٢- *شمس الإقبال فى مناقب ملك بهوبال* لأحمد بن محمّد بن علي بن ابراهيم الشروانى (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م).

أما الأعمال التى أنتجتها أقلام العلماء من منطقة أودهـ فهى كالتالى:

١- *روضة النبى فى الشمائل*، للشيخ حبيب الله القنّوجى (١١٤٠هـ / ١٧٢٨م).
٢- *سبحة المرجان فى آثار هندوستان*، لمير علي آزاد البلجرامى (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م) ، و يوجد مطبوعا.
٣- *إشارة الأحزان على قتيل العطشان*، للسيد دلدارعلي النصيرآبادى (١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠) ، و يوجد مخطوطا فى مكتبة خدابخش، رقم ١٨٢٠م.

٤- *تذكرة العلماء* ، لمحمّد أشرف اللكناوى (١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م)
٥- *الرحلة للحج* للحاج أمين الدين الكاكوروى (١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م) ، و يوجد مخطوطا فى المكتبة الوطنية بكلكتا رقم ٢١١.
٦- *المجالس المفجعة*، للسيد حسن بن دلدارعلي اللكناوى (١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م).
٧- *مناقب أهل البيت*، للشيخ حيدرعلي الشرواني.
٨- *الرسالة المعراجية* لظهور علي بن حيدر اللكناوى (١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) ، و نسخته الخطية فى مكتبة فرنجى محل، (رقم ٢٣/٥٠١)
٩- *الثورة الهندية*، للعلامة فضل حق الخيرآبادي، و يوجد الكتاب مطبوعا.
١٠- كشف *الحجب و الأستار*، للسيد إعجاز حسين اللكنتورى (١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م) ، و يوجد مطبوعا.
١١- *الحصن المتين* في أحوال الوزراء و السلاطين، لعباس مرزا بن سيد أحمد الحسينى، و يوجد مخطوطا بمكتبة المجمع الآسيوى الملكى، تحت (رقم ١٢٨٩)
١٢- *نورالإيمان* بزيارة آثار حبيب الرحمن، لعبدالعليم الفرنجى محلى (١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨م) ، و مخطوطة فى فرنجى محل تحت (رقم ٢٠/٤٩٨)
١٣- *إمعان النظر*، للمؤلف نفسه ، و موجود فى فرنجى محل تحت (رقم ٢٢/٥٠٠) (١٣)

أعلام أودهـ فى التاريخ و السيرة:

ا - السيد دلدارعلي النصيرآبادى :

له رسالة "*إثارة الأحزان على قتيل العطشان*" يذكر فيها شهادة الإمام حسين رضى الله عنه، و المشكلات التى كان قد أحيط بها فى كربلا ، و هذه الرسالة يوجد مخطوطها فى مكتبة خدا بخش (تحت رقم ٢٢٩٢) ، و فيها ١٤٦ ورقة ، لكل صفحة ١٦ سطرا ، بخط منكسر، و ختم للسيد محمد بن دلدارعلي لعام ١٢٢٩هـ و بدايتها هكذا:

> " *نحمد الله سبحانه على ما جعل الاختبار و الابتلاء سببا لمزين المثوبة و حسن الجزاء، و نشهد أن لا إله إلاّ الله الذى اختار البلاء للأولياء، و خص أعظم البلاء لسيد الأنبياء، و نصلى و نسلم على أشرف البرية محمد عبده و رسوله ... الخ* "

و المؤلف قد ألف هذا الكتاب بعد تاليفه "مسكن *القلوب عند فقد المحبوب*" حينما مات إبنه المهدى (١٢١٣هـ / ١٨١٥م) ، و يستدل فيه بأقوال

الشيعة ، و خاصة محمّد باقر المجلسي، و الكتاب ينتهي على هذه العبارة:

".. و أنا العبد الراجي عفوا بالملك الحق المبين السيد دلدارعلي بن السيد محمّد معين، غفر اللّه لهما و حشرهما مع ...... الطاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين."

٢- السيد حسن بن السيد دلدارعلي :

هو من مواليد عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م في لكناؤ قرأ على أبيه و أخيه السيد محمد (١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م) و فاق في المعقولات، ثم صنف و ألف. و توفي في عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م أو ١٢٧٠هـ / ١٨٥٥م. (١٤)

و مما ألفه من الكتب: *"المجالس المفجعة"* و هي مخطوطة في المكتبة الوطنية بكلكتا تحت (رقم ٢١١) و فيه ٥٤٣ ورقة ، كل صفحة ٩ سطرا ، بخط جلي واضح، و بدايته هكذا:

" نحمده على السراء و الضراء و نشكره على الشدة و الرخاء، جعلنا اللّه من الصابرين عند البأساء و الشاكرين لأنعمه عند سوابغ النعماء ، سبحان الذى ابتلى عباده الأصفياء لصنوف البلاء ... فهذه مجالس مفجعة للعزاء على العترة النجباء سيما الشهداء لطف الكربلاء ".

يشتمل الكتاب على تسع مقدمات، المقدمة الأولى تتصل بالأحاديث التى أخبرت فيها مصائب الكربلاء ، و الثانية تذكر هذه المأساة ، و الثالثة تذكر حفلة البكاء و الرثاء ، و الرابعة تذكر تجنب الكذب و المبالغة و تطلب الأجر الجزيل من اللّه، و الخامسة تتعلق بالاحتراز من الغناء ، و السادسة تعالج طقوس و مراسم العزاء ، و السابعة تذكر البكاء على شهداء الكربلاء و لعن الأعداء ، و الثامنة تتصل الفاقة يوم الشهادة ، و التاسعة تتعلق بالزيارة و تفاصيلها و أعمال العاشوراء.

٣- عباس ميرزا بن السيد أحمد الحسيني:

كتابه *"الحصن المتين في أحوال الوزراء و السلاطين"* من المصادر العربية الرئيسية لتاريخ أودهـ السياسي و الاجتماعي، و يوجد مخطوطا فى مكتبة المجمع الآسيوى الملكى تحت رقم ١٢٨٩ ، و فيه ٢١١ ورقة ، كل صفحة تحمل ١٥ سطرا ، و هذا الكتاب مهم باعتبار أنه يعالج التاريخ بتفاصيل كثيرة لصدد الحكام و الأمراء و الأطباء و الإخصائيين في مختلف الفنون، و فرغ المؤلف من تأليفه عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م ، و الكتاب يشتمل على ثلاثة أبواب

و خاتمة ، الباب الأول (٣ - ١٧٨ ورقة ب) يتصل بأحوال السلاطين و الأمراء في أودهـ ، و الباب الثاني (١٧٨ ب - ١٩٢ أ) يذكر أنساب أمهات الأمراء و الملوك في اودهـ و الباب الثالث (١٩٢ أ - ٢٠٣ ب) يشتمل على عشرة فصول، يذكر فيها أحوال الأمراء و الوزراء و الآخرين من كبار المسئولين الحكوميين، و الخاتمة (٢٠٣ ب - ٢٠٨ ب) يحوى معلومات مهمة عن عاصمة الدولة (لكناؤ).
بداية الكتاب هكذا:

"إن أحلى ثمرات تشتهي إليها النفوس، و أسنى كلمات تزين بها الطروس حمدا من جعل النظام منوطا بآراء السلاطين ...

٦- الشعر:

الشعر العربي في الهند ترجع أصوله إلى العصر الذي قدم العرب فيه الهند، و لكن الشعر في تلك الفترة كانت شعر العرب، ثم نجد الموالي من السند مثل أبي العطا السندي و أبي الفتح و كشاجم يقولون الشعر، و كان الشعراء الهنود قد عرفوا الانتاجات الشعرية للشعراء الجاهليين و الأمويين و العباسيين إضافة الانتاجات الأدبية للأدباء العرب، و نجد شروحا و ترجمات لمقامات الحريري و الهمداني، و ديوان المتنبي، و ديوان الحماسة ، و المعلقات السبع و قصيدة بانت سعاد و قصيدة البوصيري، و قلد الشعراء في الهند أساليب العرب في الشعر، و لكنهم لم يستطيعوا انتاج شعر مثل العرب فكرا و تعبيرا و ذلك لبعدهم من العربية و العروبة و لقلة رغبة الناس و الملوك في الشعر باللغة العربية، و يتضح ذلك من مقارنة ما قاله المولانا نجم على خان العلوي ثاقب (١٢٢٩هـ / ١٨١٤م) و السيد محمد البلجرامي (١١٨٥هـ / ١٧٧٢م) بصدد "سلمى" :

لسلمى جمال كشمس الضحى   لها جبهة قل هلال بدا (١٥)

قالت فتاة لسلمى يا صويحبتي   هبني لعاشقك المسكين تسكينا
قالت تجيب لأن يجيبك مكتئب   لتعملن على شيء تقولينا (١٦)

و يقول ثاقب الكاكوروى يصف حبيبته:

لها قامة مثل سرو تميل   يداها كأغصانه بالصبا (١٧)

و نجد في شعرهم باللغة العربية استخداما للآيات القرآنية و الأحاديث النبوية إضافة المقتبسات العربية، يقول يوسف البلجرامي (١١٧٦هـ / ١٧٦٢م):

أعطاه رب الورى في الكف توسعة   وزاده بسطة في العلم و الجسم
و قلت أهلا بمن جلت عناية   بها تيسر لي "نور على نور" (١٨)

و يقول طفيل محمّد البلجرامى (١١٥١هـ/ ١٧٣٨م) :

و غدوت من نامها متعجبا   لا يدخلن الجنة النمام (١٩)

كما قلدوا الشعراء العرب باستخدام النسيم، و الصبا، يقول غنى نقى الزيد بورى :

نسيم الصبا بلغه سلاما   إلى العلامة الحبر المتين (٢٠)

و أعربوا عن أفكارهم العجمية باللغة العربية ، يقول آزاد البلجرامى (١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م):

تدور فى مقلتى أيام لقيتها
هل ما مضى من زمان العمر ياتينى (٢١)

و لا يخفى على الناظر أن فكرة *"تدور فى مقلتى أيام"* هى فكرة غير عربية. و نجد ذكر الصندل و النالسة فى شعرهم:

أسماءنا المساء غصن الصندل   أو ما تشم أريجها فى المحفل

لا غرو أن حيى العشاق قبل غد   من بعد ما أحرقتهم نار أشواق
أ لا ترى فى بلاد الهند فالسة   تنمو و تثمر جدا بعد إحراق (٢٢)

كما نجد المراسلات الشعرية ، يقول الملا خوب الله الكاكوروى ـ ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م):

يا شفيقى أنت مقبول الأنام   استمع أحوالنا بعد السلام
أذكر أوصافك فى كل حين   لا تصور للكذب غير اليقين
كنت فى فلك الغميم مستقيم   قد جرت عيناى بالماء العميم
قد نظمت الدرفى سلك السطور   زين من ذلك تاج السرور
فاعلموا لم يبق لحم فى الجسد   قد بقى جلد و عظم فى الجسد
بعد شعبان لدك هذا الغريب   عازم إن شاء ربى يا نصيب (٢٣)

و من سمات الشعر الهندى باللغة العربية أن الشعراء أحياناً يذكرون أسماءهم فى آخر الشعر، و مثال ذلك:

فيا ثاقب اصبر و لا تجزعن   لأن النساء قل فيها الوفاء (٢٤)
يناجيك الوزير بكل حال   و مما هو طالب غير الرضاء (٢٥)

نذكر فى التالي شعراء الهند الأودهيين الذين قالوا الشعر باللغة العربية:

١- السيد عبدالجليل البنجرامی (١١٣٨هـ / ١٧٢٥م) (٢٦)
٢- طفيل محمد البلجرامی (١١٥١هـ / ١٧٣٨م) (٢٧)
٣- الملا خوب الله الكاكوروی (١١٦١هـ / ١٧٤٨م) (٢٨)
٤- السيد محمد البلجرامی (١١٨٥هـ / ٢-١٧٧١م) (٢٩)
٥- محمد يوسف البلجرامی (١١٧٦هـ / ١٧٦٢م) (٣٠)
٦- مير غلام علي آزاد البلجرامی (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م) (٣١)
٧- السيد مرتضىٰ الزبيدی البلجرامی (١٢٠٥هـ / ١-١٧٩٠م) (٣٢)
٨- الشيخ علي حزين البنارسی (١١٨٠هـ / ٧-١٧٦٦م) (٣٣)
٩- القاضی نجم الدين ثاقب الكاكوروی (١٢٢٩هـ / ١٨١٤م) (٣٤)
١٠- مصطفی علي خوشدل الجوبامئوی (١٢٣٤هـ / ٩-١٨١٨م) (٣٥)
١١- حسين أحمد اللكناوی (٣٦)
١٢- وزير علي السنديلوی (٣٧)
١٣- المفتی إسماعيل بن وجيه الدين المرادآبادی (١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م) (٣٨)
١٤- السيد غنی نقی الزيدبوری (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م) (٣٩)
١٥- أوحدالدين البلجرامی (١٢٦١هـ / ١٨٤٥م) (٤٠)
١٦- رضاحسن خان العلوی الكاكوروی (١٢٦٦م / ١٨٥٠م) (٤١)
١٧- أحمد حسن القنوجی (١٢٧٧هـ / ١-١٨٦٠م) (٤٢)
١٨- العلامة فضل حق الخيرابادی (١٢٧٨هـ / ١٨٦١م) (٤٣)
١٩- المفتی محمد عباس التستری اللكناوی (١٣٠٦هـ / ٩-١٨٨٨م) (٤٤)

اما أعلام الشعر باللغة العربية فهم:

١ - رضاحسن خان العلوی الكاكوروی:

هو من مواليد عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م (٢٧ من أبريل) فی كانبور (٤٥) طبقا لهذا الشعر:

شرف العصـــر بمـــولود وفـــاق
١٢٤٦هـ
معدن للخير قد زان الوجود (٤٦)
١٢٤٦هـ

فی أسرة عريقة فی العلم و الثقافة ، و أبوه عالم جليل له مؤلفات مثل "بنج كلبدن" "*ميزان المعانی*" (٤٧) قرأ علی أبيه و الأخرين من الأعلام المعاصرين، و تخرج من تحصيل المعارف و هو ابن ثمانية عشر عاما ، (٤٨) و قرأ الأدب العربی علی السيد عبدالرزاق اليمنی، و يخبرنا صاحب "*نزهة الخواطر*" أنه ألف نحو عشرين كتابا. (٤٩)

و يذكر صاحب "تذكرة مشاهير كاكورى" هذه الكتب للمؤلف:

١- *التحقيقات الدقيقة*
٢- حاشية على *الحاشية الزاهدية* على الرسالة القطبية
٣- *الدر المنظوم* فى تحقيق العلم و المعلوم
٤- حاشية شرح تهذيب جلالى
٥- حاشية *الصدرا*
٦- كد*القلم* في شبهة الجذر الأصم
٧- صولة *الضرغام* فى رفع مزخرفات الأوهام
٨- *التوضيح المزيد* فى تفضيح اليزيد
٩- غاية *الارب* فى شرح لامية العرب
١٠- معاطاة *الكوؤس* فى شرح العروس
١١- إعجاز *القلم* و *البيان* فى جلاء سبحة المرجان
١٢- نكهة *الهند* و *العنبر* فى تعصير سلافة العصر
١٣- كيف *الصهباء* فى دستور الإنشاء
١٤- اعتراضات على عجب *العجاب*
١٥- نزهة *الأرواح*
١٦- اعتراضات على حديقة *الأفراح لإزالة الأقراح*
١٧- جولان *القلم* فى شرح لامية العجم
١٨- اعتراضات على نفحة *اليمن* فيما يزول بذكره الشجن
١٩- بستان *الأدب* فى لطائف العرب
٢٠- مطارح *الأذكياء* و هدية *الأحباء*
٢١- قصيدة أنموذج *الكمال*
٢٢- لامية *الهند* (٥٠)

و قصيدته "لامية *الهند*" تنطق بالمقدرة الفائقة للشاعر على اللغة العربية، و هى تشتمل على ١١٦ بيتا من الشعر قالها فى ليلة من شهر عام ١٢٦٤هـ، و طبعت فى كلكتا عام ١٢٦٤هـ، و فيما يلى نموذج لشعره:

الفقرفى القصركالغفران فى الزلل — و العجز فى العز كالكتمان للخلل
اصبر على مهلكات الدهـر موتلفاً — فالصبر أفضل للاتيـان بالجـذل
لا تغتـرن على ما جـاء من نشط — إن النشاط بها يأتى علـى الدخـل
و القلب منكـدر أسفـا على عتـو — و العـين باكيـة للقفـر و الأتـل
كيف السبيـل إليها قد أحاط بها — أسـد المعارك ابطـال بنو ثغـل
و حولهـا قد غدت مسكـونة معهـا — بيض و سمز و سهم الأعين النجـل
رأيتها بغتـة و الليـل فى ظلـم — والحرس فى كسل والناس فى شغل

عجبت من وردها القاني وقلت لها قد أحضر الليل من لا خاف بالافل
فقالت أذهب فإني لست أسمعه و لست أخشى من الأكدار و الملل

و يقول و هو يرثى أباه:

يا للأعزة ساروا فى التباشير فأسود يومى كأحداق اليعافير
نحن الجسوم هم الأرواح فارتحلوا و خلفونا كأمثال التصاوير
من لى بإبراء أمراض زمنت بها راح الطبيب المداوى بالتدابير
الدهر مديد العنوان حيث طوى بساط عافيتى طى الطوامير
لا يحمل الصخرنارا تلك فى كبدى فكيف يحملها سلك الأساطير

و انتقل إلى جوار ربه فى ٤ من مارس عام ١٨٥٠م فى كلكتا، و كان قد كتب هذه الوصية ، و هى نموذج لكتاباته النثرية:

" أما بعد: فان الحياة و الموت مستويان لاسيما عند العاقل الفطن الخبير الماهر، و من المشاهدات بالأمور الباطنية أن فناء البدن لا يستلزم فناء الروح، و الأصل فى وجود الإنسان هو الروح لا البدن، فانى موجود مشير إلى وجودى، و ما وجودى إلا الروح فقط، و إنما البدن قفسة خبيثة ، و الروح دائمة باقية، ناظرة ، حاضرة ، شاهدة ، إذا ثبت هذا فاعلم أنى لا أبالى بالموت بوجه من الوجوه ..."

"و الله شهيدى على ما قلت و أقول إنى متبرء كمال التبرى عن حياتى فانى لا أجد فى وجودى الخارجى إلاّ خسران الدنيا و الآخرة ، و ذلك هو الخسران المبين."

٣- وزير على وزير السنديلوى:

هو من كبار العلماء و الأدباء ، تعلم فى سنديله ثم ذهب إلى كلكتا للدراسات العليا ، و درس فى المدرسة العالية بكلكتا ، و هذه المدرسة كان قد أسّسها الإنجليز، و توفى فى نفس المدينة فى زمن الشاه نصيرالدين حيدر (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م - ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م). (٥١)

له ديوان شعر مخطوط فى المكتبة الوطنية بكلكتا تحت رقم ٤٣٥ ، و فيه ٢٠٢ ورقة ، مشتملة على ٦٠٠٠ بيت من الشعر، من الغزل و القصائد فى المدح، و فى الأغراض الشعرية الأخرى ، يقول فى بداية الديوان:

" قلت حامدا لله ربّ العالمين، و مصليًا على رسوله و حبيبه

طه الطاهر الأمين، و على آله الطاهرين المطهرين و أصحابه الراشدين الهادين المهديين و أتباعهم السالكين على مناهجهم المستقيم الظاهر المتين، ...... و هذه الأبيات من البحر الكامل المضمر كما لا يخفى على كل ذى رأى رضين.

الحمدللّه الذى خلق الهوى   و أشاعه من بعده بين الورىٰ
قد صنف الإنسان أصنافا فكم   أبدىٰ صنوفا فوق تعداد الحصىٰ
بشرى لهم دوما فقد سادوا على   كل البرايا بالجلالة و العلىٰ
فله عليهم حمد ذلك واجب   و لهم بهذا الحمد خير يرتجىٰ

و يقول و هو يناجى ربه بوسيلة النبى صلى اللّه عليه و سلم:

سواك يا إلهى فى الفناء   و أنت بغير بين ذوالبقاء ـ
يناجيك الوزير بكل حال   و ما هو طالب غير الرضاء
و أضناه الأسىٰ و الحزن حتى   تبدى كالخلال بلا سراء
بحق رسولك الهادى لكل   من الثقلين خير الأنبياء

و يقول فى مدح النبى صلى اللّه عليه و سلم:

ألم على أنواع البلاء   إذ ألقيت نفسى فى الهواء
هو المولىٰ الذى فاز البرايا   بلطف جنابه بالاهتداء
أ يا مولىٰ الورىٰ لطفاً و رحماً   على حال الوزير بدفع داء

و قال شعراً فى البحر الكامل و الطويل و الرمل و المتقارب، و رثى أساتذته مثل شهاب الدين أحمد، و نجف على و معظم حسن، و مدح الشيخ أحمد الشروانى و المفتى محمد ساجد و الشيخ إحسان اللّه و محمد صادق خان أختر، و أحمد كبير، و المولوى حيدرعلى، كما مدح الإنجليز مثل لمزون و بريس و المستر مكنجى.

يقول فى ذم العشق:

رأس البلايا كلها خطب الورى   يا ليت ما قد لاح هذا فى الورى
كم ذل من ايديه أعيان و كم   حمل البلابل منه ملاك العلىٰ
فى حبك ضاع عمرى عبثا   يا ليت لمهجتى الهوى ما حدثا

و قال فى رثاء الشيخ أمين اللّه:

قد كان بالعلم يجدى الناس قاطبة   و ما لا بدى نده و اللّه فى العصر
قد قال فى حقه كل الورى أبدا   هذا الإمام إمام الكل فى الدهر

٣- المفتي محمد عباس التستري اللكناوي:

من مواليد عام ١٨٠٩م في لكناؤ ، و ينتمي إلى أسرة الإمام موسىٰ كاظم بسبع عشرة واسطة ، قرأ على الشيخ عبدالقوي و الشيخ عبدالقدوس و الشيخ قدرت علي في لكناؤ ، ثم أقبل على الطب، و قرأ الحديث على سيد العلماء الشيخ حسين بن دلدارعلى النصيرآبادي و ألف في التفسير و الحديث و أصول الحديث و الكلام و الفقه و أصول الفقه و المنطق و الفلسفة و الطب، و قلد الحريري و الهمداني في التسجيع و التقفية، يقول في وصف الحمام:

> *" يا غلام أطلق الحمام قبل أن أدخل الحمام و أكثر لها من الحبوب و أطعمها السميذ ، فإنه غذاءها المرغوب ، و لا تطعمها الأرز و القمح فانه و إن خلا من القبح لكنه يهزلها و لا يسمنها ، و لا تقصصها أبدا ، فإنه يغمها و يحزنها ، يا بني استمع إليها كيف تغرد و لا تنظر إليها حين تسفد ، لا تطرها فان ذلك محظور و إن كان يوجب السرور، على أنها ربما تصاد فيحصل الفساد ، و الله رؤف بالعباد." (٥٢)*

يقول في وصف الطاؤوس:

> *"يا بني شف الطواويس، كيف ترقص و تميس، لعمر الله السبوح القدوس بارئ النفوس، إني مولع بالطاؤوس، يدرج فرحا و يزول مرحا و إني أطيل النظر إلى ذنبه و جناحه حين ينشره في غدوه و رواحه ... و إياك إياك أن تذبحه و تدخله في حشاك، و تجعله غداءك، أو عشاءك، لتكثر به جشاءك، فإنه لحمه حرام عند الفقهاء العظام على أنه حسن الشكل لا يصلح للأكل يرى من التشويه فكيف تشويه، فينبغي للإنسان أن ينظر صنع الله فيه ، و يجعله في مسرح أنظاره ، لا أن يدخله في فيه ، أ ليس ما أحله الله يكفيه، فلا يتعدى إلاّ السفيه." (٥٣)*

طبع ديوانه إضافة *"القصيدة المحمدية"*:

يقول :

ترى رحلة الأحباب مثل قوافلا　　و تبصراً على الناس يصبح سافلا

فحتام تمشي في الملابس رافلا　　و حتام تمشي في المفارش غافلا

هو الموت مرصاد عظيم الشدائد

مبيد البرايا واحدا بعد واحد (٥٤)

و يقول :

نحن العنادل و الكتاب حديقة تبدو لنا أزهارها فنصيح
حتى إذا ما صادنا أقدارنا غدراً فمنا ساكت و نبيح (٥٥)

و قال من غير أن يستخدم لفظا فيه نقطة:

و رهط أم و دهم سعاد إلى ما أصله الوسواس عادوا

و قا ل هو يستخدم الألفاظ المنقوطة فقط:

فشف تشبيب ذي خزي غبي شقي يبتغي شقي بغي (٥٦)

و قال فى المخمّس:

بذلت الجهد فى علم النجوم و علم الشرع شمس فى العلوم
تصدق كل مدحور ملوم لتعرف حال سعد أو مشوم
و ربك قاهر فوق العباد (٥٧)

و قال يحمد ربّه:

الهى الهى قد سمعت ندائياً و من غير تاخير أجبت دعائياً
مرضت و قد حار الطبيب تحيرا فبالخرص و التخمين عالج داعيا
و كدت أذوق الموت خوفا و خشية فما كان إلا من لديك شفائيا
لك الحمد يا الله حمدا مؤبداً يقرب من نعماك ما كان نائيا
كذلك فادفع ربّ أمراض باطني و فى الحشر من روعتى يا رجائيا
و صل على خير النبيين أحمد و عترته الأطهار هم شفعائيا (٥٨)

و للبحث صلة ......

تعريب: محمد ثناءالله الندوى

الهوامش :

١- المواقف، الموقف الأول، المرصد الأول، المقصد الأول ٢٣/١

٢- صاحب مؤلفات كثيرة، مثل . ١- كتاب فى الدعوة ٢- كتاب السبيل إلى معرفة الحق

٣- كتاب الخطب فى التوحيد و العدل

٤- كتاب طبقات أهل العلم و الجهل (راجع الفهرست لابن النديم)

٣- أبوالحسن علي بن الحسين المسعودى الشافعى : مروج الذهب ٥١٥/٢

٤- شرح العقائد النسفية: ٦-٧

٥- أحمد أمين الرازى: هفت إقليم ٣١٤/٢

٦- نزهة الخواطر ٢٤٣/٦ ، تذكرة ١٧٢-١٧٣

٧- هفت تماشا: ١٤٥

٨- راجع: رضى الدين محمود: أغصان الأنساب: ٦١

٩- نزهة الخواطر ٤٠٣/٧-٤٠٤ ، تذكرة ٢١١-٢١٢ ، بانى درس نظامى ١٣٨

١٠-سورة البينة: ٥/ ٣٠
١١- راجع: أنفاس العارفين. ٨٢
١٢- ترجمه بالأردوية الشيخ بركات أحمد في باكستان، و بعث بنسخة مطبوعة لها إلى الباحث.
١٣- إضافة ترجمة أردوية لتقويم البلدان لأبي الفداء (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣- ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
١٤- راجع: نزهة الخواطر ١٣/٧ ، ورثة الأنبياء ٤٦/١ ، تذكره بے بہا: ١٢٢
١٥- الرحلة إلى لندن (نسخة خطية) و حديقة الأفراح ص ٢٣٧
١٦- سبحة المرجان في آثار هندوستان ص. ٨٨
١٧- حديقة الأفراح ص: ٢٣٧
١٨- سبحة المرجان: ١٠١
١٩- المصدر نفسه. ١٥٣
٢٠-نجوم السماء: ٣٩٢
٢١- نزهة الخواطر: ٢٠٥/٦
٢٢- سبحة المرجان. ١٣٩
٢٣- تذكره مشاهير كاكوری، للشيخ علی حيدر قلندر.، ١٥٨-١٥٩
٢٤- حديقة الأفراح. ٢٣٧
٢٥- ديوان وزير السنديلوی (نسخة خطية)
٢٦- راجع: سبحة المرجان ٧٩ ، ٨٣ ، حياة جليل (جزان) ، مآثر الكرام ٢٥٧/١-٢٧٧ ، ٢٥٣/٢-٢٦٨ ، حديقة الأفراح ٢٣٢ ، رياض الفردوس ١٣٧ ، شمع أنجمن ٣١٣ ، قضاء الارب ٢٠٥ ، أبجدالعلوم ٩٠٧-٩٠٨ ، مفتاح التواريخ ٣١٠ - ٣١١ تذكره علماء هند ١٠٨-١٠٩ ، نزهة الخواطر ١٣٩/٦-١٤٠.
The Contribution of India to Arabic Literature, PP 209-212
٢٧- سبحة المرجان ٩٠-٩٤ ، مآثرالكرام ١٤٩/١-١٥٤ و ٢٥١/٢-١٥٢ ، حدائق الحنفية ٤٤١ ، مفتاح التواريخ ٣١٧ ، أبجدالعلوم ٩١٠-٩١١ ، شمع أنجمن ٢٧٩-٢٨٠ ، تذكره بےنظير ٥٥-٥٦ ، تذكره ٩٨-٩٩ ، نزهة الخواطر ١١٨/٦-١١٩.
٢٨- تذكره مشاهير كاكوری ١٥٢-١٦٠ ، سخنوران كاكوری ١٧٦-١٧٨
٢٩- سبحة المرجان ٨٧-٨٩ ، مآثر الكرام ٢٩٣/١-٢٩٦ ، ٢٨٩/٢-٢٩١ ، أبجدالعلوم ٩٠٩-٩١٠ ، حيات جليل ١٥٩/٢- ١٦٨ ، تذكره ٥٣ ، نزهة الخواطر ٢٦١/٦ ، قضاء الأرب ٢٠٦ ، مساهمة الهند في اللغة العربية (بالإنجليزية) ٢١٢
٣٠- حديقة الأفراح ٢٣٦ ، مآثر الكرام ٢٩٦/١- ٢٩٨ ، ٣٠٧/٢- ٣٠٨ ، نتائج الأفكار ٤٧٣-٤٧٤ ، أبجدالعلوم ٩١٨ ، تذكره ٢١٩-٢٢٠ ، نزهة الخواطر ٤٢٤/٦ ، حدائق الحنفية ٤٤٦-٤٤٧ ، خزانه عامرة ٤٦١-٤٦٢ ، تذكره بےنظير ١٤٩
٣١- سبحة المرجان ١١٨-١٢٣ ، مآثرالكرام ١٦١/١-١٦٤ ، ٢٠٣/٢-٣١١ ، رياض الفردوس ١٠٣ ، فارسی بلجرام ٣١٧-٣٢٠ ، حديقة الأفراح ٢٣٢ ، حيات جليل ١٦٣/٢-١٦٧ ، نقصار ٣٢٣ - ٣٢٤ ، أبجدالعلوم ٩٢٠-٩٢٢ اتحاف النبلاء ٣٢٠-٣٣١ ، حدائق الحنفية ٤٥-٤٦ ، قاموس الاعلام ٣/٢-٣٥ ، تذكره ١٥٤-١٥٥ ، نزهة الخواطر ٢٠١/٦-٢٠٦ . .
٣٢- تاج العروس ٤٦٩/١٠-٤٧٠ ، عجـائب الآثـار ١٩٦/٢-٢١٠ ، اتحاف النبلاء ، ٤٠٧-٤٠٨ ، قضاء الارب ١٩٣-١٩٤ ، أبجدالعلوم ٧٢١-٧٢٢ ، ٧٦٥ ، حدائق الحنفية ٤٥٨-٤٦١ ، تاريخ الأدب العربی ٨٧٧ ، نزهة الخواطر ٤٧٠/٧-٤٧٩ تذكره ٢٢٤-٢٢٩ ، هدية العارفين ٣٤٧/٢-٣٤٨

٣٣- تذكره حزين ٣٤ ، فرائد الدهر ٢٨٥ ، تذكره بي‌نظير ٥٨-٥٩ ، حديقة الأفراح ٢٣٦-٢٣٧ ، خزانه* عامرة ١٩٣ سرو آزاد ٢/٢٢٥-٢٢٦ ، سيرة على حزين ١-٤٨ ، رياض الشعراء ٣٠٥-٣٠٨ ، صنم خانه* جاويد ٢/٢٩٥-٢٩٦ ، نزهة الخواطر ٦/٣٣٣-٣٣٤ ، مخزن الغرائب ٣٦٢-٣٦٣

٣٤- تذكره مشاهير كاكورى ٤٣٢- ٤٣٨ ، حديقة الأفراح ٢٣٧ ، تذكره ٢٣٣-٢٣٥ ، الرحلة إلى لنـــدن (نسخة خطية) ، مجلة المعارف ، لاهور السنة ١٧ ، العدد ٧، مجلة البرهان، دهلى السنة ٩٥ ، العدد ٥-٦ ، مفتاح التواريخ ٣٧٧.

٣٥- نتائج الأفكار ١٤٩-١٥١ ، شمع أنجمن ١٤٤ ، نزهة الخواطر ٧/٣٥-٣٧ ، گلزار أعظم ١٦٨-١٦٩

٣٦- فرائد الدهر ٢٨٩-٢٩٠ ، حديقة الأفراح ٢٢٨

٣٧- نزهة الخواطر ٧/٥٢٤ ، تذكره ٢٥٠ ، ديوان وزير (نسخة خطية)

٣٨- نزهة الخواطر ٧/٢١-٢٣ ، تاج اللغات ١/٦ ، تذكره ١٧٩

٣٩- نجوم السماء ٣٩٠-٣٩٥ ، تذكره* بي‌بها ٢٦٨ ، نزهة الخواطر ٧/٣٦٤-٣٦٥ غاية البيان ١١ ، ٣٢ ، ٣٤

٤٠- حديقة الأفراح ٤٢٠-٤٢٤ ، أبجدالعلوم ٢١٤ ، الجدولية ١٣٠ ، تذكره ٣٠ نزهة الخواطر ٧/٨٨-٨٩

٤١- تذكره ٦٣-٦٤ ، تذكره مشاهير كاكورى ١٦٨-١٧٢ ، نزهة الخواطر ٧/١٧٨-١٧٩ ، لامية الهند ٢٣-٢٤ ، مجلة البرهان السنة ٩١ العدد ٥ ، مساهمة الهند فى اللغة العربية ٤٥٠.

٤٢- أبجدالعلوم ٩٣٦ ، مآثر صديقى ١/٧٤-١١٠ ، اتحاف النبلاء ٢٢٢-٢٢٣ ، شمع أنجمن ٣٢٢ ، تذكره ١٤ ، نزهة الخواطر ٧/٢٢-٢٥ ، تراجم علماء حديث هند ١/١٧٤-١٧٦ ، تلامذه* غالب ٢٢٩-٢٣٢

٤٣- آثارالصناديد ٤/١١٠-١٢٤ ، الثورة الهندية ، رياض الفردوس ١٤٠ ، أبجدالعلوم ١١٤ ، غدر كي چند علماء (علماء فى الثورة) ٣٣-٤٥ ، تذكره ١٦٤-١٦٥ ، نزهة الخواطر ٢٨٤-٢٧٧

٤٤- تاريخ عباس (الجزآن ، نزهة الخواطر ٨/٢٠٩-١١٠، تذكره بي‌بها ٢٢٥-٢٣١

٤٥- تذكره مشاهير كاكورى ١٦٨ ، تذكره ٦٣

٤٦- المصدر نفسه

٤٧- تذكره مشاهير كاكورى ٥٢

٤٨- نزهة الخواطر ٧/١٧٨

٤٩- نزهة الخواطر ٧/١٧٧

٥٠- تذكره مشاهير كاكورى

٥١- تذكره ٢٥٠ ، نزهة الخواطر ٧/٥٢٤

٥٢- تاريخ عباس ١/٢٢٨

٥٣- المصدر نفسه ١/٢٢٩

٥٤- المصدر نفسه ١/٢٣٥

٥٥- المصدر نفسه ١/٢٤٨

٥٦- المصدر نفسه ١/٢٥١

٥٧- المصدر نفسه ١/٢٣٤-٢٣٥

٥٨- المصدر نفسه ١/١٨

بانكيم تشاندرا تشاتيرجي
حياته و أعماله و تأثيره

ڤي. ايس. نارڤاني

كل صباح، طوال العام فان محطات الإذاعة في كل الهند تبدأ برامجها ٧٨ بأغنية. قد مضى أكثر من قرن منذ ان ظهرت هذه الأغنية لأول مرة في رواية باسم آناندامات (Anand Math) قلما يقرأ الناس هذه الرواية في هـــذه الايـام. و لكن أغنيـة " *ڤانداى ماترام* " *(Vande Matram)* لا يزال يتغنى بها ملايين الناس. لقد ترجمها الشعراء في مختلف اللغات؛ و كذلك فان الموسيقيين قد وضعوا لها الحانا مختلفة؛ و إن الشهـداء قد اعتنقـوا المشانـق مغنين "*ڤانداى ماترام*". إنما هذه الأغنية تكوّن تقديرا شعريا للهند و هي تعبير عن المحبة و الإحترام للهند بصفتها الأم الالهية. إن الكلمات الحلوة العذبة ڤانداى ماترام ... ، يا أمي إنني أنحني أمامك، قد أثارت لأجيال روح الوطنية في قلوب الهنود.

إن بانكيم تشاندارا تشاتيرجي (Bankim Chandra Chatterji)الذى كتب هذه الأغنية الرائعة في ثناء الهند، كان أبرز رجال القرن التاسع عشر. خلال حياته فإنه إكتسب شهرة إستثنائية بصفته روائيا لحد أن الناس كانوا دائما يتدافعون بعضهم البعض للحصول على نسخ المجلات التي طبعت فيها رواياته بالاقساط. بعد وفاته فإن الناس إعتبروه رسولا للوطنية الهندية. يكون من المناسب ان نذكر هنا تقييم بانكيم تشاندارا المعد من إثنين من الهنود البرزة في القرن العشرين: رابيندراناث طاغور ، شرى اوروفيندو. مشيرا إلى نشوءه الأدبي الخاص به قال طاغور ان الثورة الأدبية المدخلة من بانكيم فكان لها تاثير خصوصي في تشكيله. عاد طاغور و ذكر كيف أن بانكيم واجه الحسد و تعنتية العقائد لأنداده الأدباء الاجتماعيين و كيف أنه إستمر بشجاعة في القيام بمهمته المزدوجة التشكيلية و النقدية". في سياق آخر أثنى طاغور على بانكيم "كاديب تشكيلي حق" إن شرى أوروفيندو و هو معجب متحمس باعمال بانكيم تشاندارا، أخرج مجلة أسماها "*ڤانداى ماترام*". يمكن، قال أوروڤينـدو،

أن ناقد الأدب المستقبلي سوف يعد *فيشا فريكشا* و الروايات الأخرى لبانكيم في عداد أعمال رائعة و إنه أثنى في نفس الوقت على روايتيه آنانـدا مـاث و دهارما تاتوا (Dharmatatva). و أكد أن بانكيم سيتم عداده بين الصانعين للهند الحديثة من جراء أعماله دون آناندا ماث و دهارماتاتوا. إن بانكيم المبتدى كان شاعرا و صاحب أسلوب، إهتم بالجمال الفنى فى الكتابات حيث أن بانكيم فيما بعد أصبح عرافا و صانعا للشعب.

بغض النظر عن تمايلنا إلى تقييم طاغور او إلى تقييم اوروفيندو فإن تأثير بانكيم تشاندارا على فكر و ثقافة الهند الحديثة لا يمكن رفضه. و حتى نفهم أهميته الحقة يجب أن نعاين كتاباته فى سياق الميول الإجتماعية و الفكرية فى أواسط القرن التاسع عشر و أيضا أن نأخذ فى الإعتبار أعمال بعض الكتّاب الذين سبقوه، بنهاية هذا القرن فإن الحكم البريطانى كان أصبح مترسخا. على الرغم من أنه وجد هناك إمتعاض شديد ضد القهر السياسى و الإقتصادى إلاّ أن إستعادة الحرية الوطنية كانت حلما بعيد المنال كان ذلك فى المجالات الإجتماعية و الدينية أن وجد الوعى الجديد تعبيره فيه، و من الناحية السياسية فإن الفرق المتعلمة كانت إلى حد بعيد، تسوت مع الحكم الأجنبى. حيث أن البنغال كانت أخضعت للنفوذ الغربى بصورة أعمق بالمقارنة للمناطق الهندية الأخرى فلذا ليس من الغريب أن معظم الحركات الجديدة الأخرى فى الفكر الدينى و الإجتماعى أيضا ظهرت هناك.

إنما إنشاء حركة براهمو ساماج على أيدى راجا رام موهن راى شكّل بداية لما يوصف فى اغلب الأحيان بـ" النهضة " فى البنغال. إن راجا رام موهان راى استوعب أحسن العناصر فى التراث الروحانى الهندى و بخاصة جداً فكرة الوحدانية الإسلامية و الأخلاق المثالية فى اوبانيشاد و تبنى طريقا ايجابيا و ادماجيا ازاء الفكر الحر الغربى و الجانب الإنسانى للمسيحية. إنما هو و أتباعه من أمثال ديفندرا نات طاغور و كيشاف تشاندارا سين، حاولوا إبعاد الخرافات و المراسيم الفارغة عن الدين. يضاف إلى ذلك أنهم أوقفوا كل حياتهم على نشر التعليم و إيجاد الإصلاح الإجتماعى و عملوا لزواج الأرامل و القضايا الإجتماعية الأخرى علاوة عن زعماء براهمو ساماج فان العالم البارز و المعلم إيشوار تشانداراً فيديا ساغار(Ishwar Chandra Vidya Sagar)، أيضا بذل قصارى جهده فى إيجاد الإصلاح الإجتماعى.

بينما وُجد هناك المصلحون و العقلانيون الذين طالبوا بالقبول الجزئى للقيم الغربية بدون إهمال تراثهم الهندى فقد وجد أيضا هناك فى نفس الوقت بعض المفكرين الذين أسرعوا لتبنى القيم و الأساليب الغربية بدون تمييز. و رأوا أن تبدأ الهند بابا جديدا فى تاريخها و ان تتحول هى إلى ثقافة الغرب الفضلى و ذلك لأن الحياة الدينية و الإجتماعية فى الهند كانت أصبحت راكدة للغاية و غير عقلانية. و لكنه لحسن الحظ كان عدد هؤلاء المتغربين قليلا جدا.

و على الجانب الاخر وجد هناك أناس أرادوا أن تعود الهند إلى ماضيها و أن ترفض هي ثقافة الغرب المادية الأجنبية. إنما هذا الميل الإحيائي كان يمثله بصورة مؤثرة سوامي دايا ناند ساراسواتي و الاعضاء في منظمة آريا ساماج التي كان أسسها السوامي دايا ناند. من الغريب جدا أن هذا الميل الإحيائي أيدته جهة غير متوقعة. ألا و هي الجمعية الثيوصوفية. أسس هذه الجمعية أجنبيان كانا سئما من الغرب و هما السيدة بلافاتسكي المهاجرة الروسية و العقيد أونيل أولكوت الأمريكي. بينما إن المصلحين و المؤيدين للحركة الإحيائية كانوا منهمكين في خلافاتهم ظهر هناك الناسك العاقل راما كريشنا باراماهانسا الذي إستمر في ايجاد تيار جديد للفكر بدون إحداث أي ضوضاء. إن راما كريشنا و تلميذه الممتاز السوامي فيفيكا نادا كان يمثّلان فلسفة فيدانتا الوحدانية و هي هذه الفلسفة التي اعتبراها ديانة المحبة العالمية و الصفوة الداخلية و التحمل لمختلف الطرق المؤدية للهدف المشترك للاكتمال الروحاني و الهدوء.

كانت هذه البيئة الثقافية الغنية والمتنوعة التي عاشها بانكيم تشاندارا تشاتيرجي. إنه تعرض لكل التيارات و التيارات المتقاطعة للفكر و الثقافة المذكورة أنفا. إنما بعض زعماء هذه الحركات انتموا إلى فئة عمره. فعلى سبيل المثال نذكر راما كريشنا (الذي ولد في ١٨٣٦ اي قبل بانكيم بسنتين) و كيشاف تشاندارا سين (ولد في ١٨٣٨ اي في نفس عام ولادة بانكيم). إنما بعض أنداده كبروه فمثلا دفيندارا ناث طاغور (ولد في ١٨١٧) و دايا ناند ساراسواتي (ولد ١٨٢٤). إن بعض معاصريه من أمثال السوامي فيفيكا ناندا، مؤسس الجمعية الثيوصوفية ، كانوا أصغر منه سنا. أما فيما يتعلق بالمصلحين و الإحيائيين فان بانكيم كان يميل بصورة إجمالية، إلى الفئة الأخيرة. إلا أنه أدرك جيدا بالمساهمات المقدمة من الفكر الغربي نحو الهند الحديثة.

فلنتحول الآن من المشهد الديني ـ الإجتماعي إلى الخلفية الأدبية. على الرغم من أن بانكيم تشاندارا يعتبر من أهم أساطين الأدب البنغالي فانه كان مدركا بما إستفاده من أنداده السابقين في كلا النوعين للأدب و هما الشعر و النثر. لدى ولادة بانكيم فان ايشوار تشاندارا غوبتا كان يهيمن على المشهد الشعري. إنما أعماله خدمت كجسر بين الشعر البنغالي العصري و المتوسط إن بانكيم أيضا بدأ حياته الأدبية كشاعر و قرض الشعر في أسلوب إيشوار غوبتا قبل أن إكتشف أن الرواية هي كانت حصنه الحقيقي. بعد إيشوار غوبتا (١٨٥٩ ـ ١٨١٢) ظهر ميخائيل مادهو سودهان دت (١٨٧٣ ـ ١٨٢٤) الذي أدخل أساليب جديدة كان إستخرجها من معرفته الواسعة للأدب الإنجليزي و الأوروبي.

في نفس الوقت فان النثر البنغالي كان أخذ يخلع اسلوبه القديم

و يصبح سهلا و طبيعيا اكثر. و قبل أن ظهر بانكيم فى المشهد فان بيارای تشاندميترا كان كتب رواية كاملة الطول فى اللغة البنغالية بعنوان " *الإبن المحبوب لاسرة هامة* ". أما فيما يتعلق بالنثر غير الروائى فانه على الرغم من أن رام موهن راى كان سبق أن أدخل عنصر ليونة فى اللغة البنغالية و لكنه ذلك فى كتابات إيشوار تشاندارا و فيديا ساغار و آكشای كوماردت أننا نلقى النماذج المؤثرة للنثر البنغالى. إن التحديث الأولى للبنغالية السنسكريتية الطابع، قال هو، كان تحصل على أيدى " هذين العالمين والكاتبين الكبيرين. إنما نثرهما، على الرغم من كونه سنسكريتية الطابع، لم يكن صعبا و بعيد الفهم و بخاصة جدا اللغة التى استخدمها ايشوار تشاندارا فيديا ساغار فى كتاباته، هى فى الواقع حلوة و خلابة فى نفس الوقت. طبقا لمعلوماتى لم يسبقه و كذلك لم يتبعه أحد كتب نثراً بنغاليا يساويه فى الروعة و الجمال.

لذا فيمكن لنا أن نقول ... بدون أية نية للتقليل من أصالة و أهمية كتابات بانكيم تشاندارا ... إن العمل التمهيدى قبله كان قد تم القيام به ممن سبقوه من أصحاب الامتياز فى مجال الفكر الدينى ـ الاجتماعى، و كذلك من كبار الأدباء الذين بذلوا جهودهم لتحويل اللغة البنغالية إلى أداة كفوءة و متعددة المواهب. إنما مواهب بانكيم تشاندارا التعبيرية وجدت جوا أدبيا ـ فكريا ملائما.

ـــــــــ ٢ ـــــــــ

ولد بانكيم تشاندارا تشاتيرجي فى اليوم السادس و العشرين من يونيو، ١٨٣٨ فى قرية تدعى كانثالبارا الواقعة قرب محطة سكة حديد ناتيهاتى. إن والده، جادوا تشاندارا تشاتيرجي، كان بدأ حياته بصفة موظف صغير فى الحكومة و لكنه ارتقى إلى مرتبة نائب المحصل فى نفس سنة ولادة بانكيم. متى كان بانكيم لا يزال طفلا، أصيب والده بمرض خطير. فى نقطة من الوقت أيقن الجميع أنه كان توفى و أخذت الإستعدادات لاحراق جثمانه. فحصل أن مر عليهم طبيب متجول و أوقف الإحراق و أفاقه من إغمائه. لابد أن هذا الحدث ترك إنطباعا عميقا على بانكيم الذى كان دائما يظهر إعجابا عميقا بالنساك.

إن الشيء الآخر الذى طالما خلب عقل بانكيم و الذى بقى معجبا به حتى آخر وقته هو ريفه الأخضر حيث وجد بيته. كانت توجد حول البيت حديقة كبيرة مليئة بالأجمات و الأشجار الطوال مع حوض و بستان. كان بانكيم يتجول بحرية فى هذا الجو الشاعرى بين الأجمات الدائمة الإخضرار و المزهرة و بين الحيوانات (بإنضمام الأفاعى). فى بعض وصفه للطبيعة فى رواياته، إنما ذكريات طفولته قد تركت انطباعاتها. أما فيما يتعلق بالحياة الدينية لأسرة

تشاتيرجى فان بانكيم يذكر فى كتاباته الحماس الذى كان يتم به أداء المراسيم الدينية و الاحتفال بالأعياد. عبادة الآلهة العائلية منذ قديم رادها فاللابهـ (كريشانا كخبيب رادها)، كانت تكوّن جزء هاما للممارسات الدينية اليومية للعائلة. إنما تأثير العقيدة بكريشانا يظهر فى عمل بانكيم الدينى الذى كتبه فى أخر أيام حياته.

بدأ بانكيم تعليمه بمدرسة ميدنا بور الإنجليزية حيث كان يتعين والده وقتذاك. كانت تلك أيام الزيجات المبكرة و تم زواج بانكيم فى قريته فى سن الحادية عشرة. لدى التحاقه بكلية هوغلى بعد سنة فإنه أظهر ذكاءه المبكر حيث ظفر بجائزة فى منافسة شعرية فى السن الخامسة عشرة. و بعدها بسنة فانه ظفر بمنحة دراسية حكومية. فى نفس الوقت فانه كان بدأ الكتابة فى المجلة المسماة بـ *سامفاد برابهاكار*. كان يستمتع باعادة قص الحكايات القديمة. كانت طبعت بعضها. واصل بانكيم تعليمه بكلية بريزيدانسى فى كالكوتا حيث أحرز شهادة البكالوريوس فى عام ١٨٥٨. و بعده فورا عُيّن قاضيا نائبا أُرسل إلى جيسور. لسوء الحظ ماتت زوجته فى العام التالى.

فى أعماله الرسمية فان بانكيم صعد درجات الرقى بصورة سريعة بسبب كفاءته و أمانته و ذكائه. إنه نقل، لمدد من سنتين إلى خمس سنوات، إلى مختلف مقاطعات بيهار و أوريسا و البنغال الحقيقية. فهكذا توفرت له الفرص لمشاهدة حياة الشعب الهندى المتعددة الجوانب مع إستمرارها المدهش على الرغم من كل التغيرات المتحصلة بعد الفتح الانكليزى. خلال مدة عمله فى كهولنا إنه تزوج مرة أخرى. كان إسم زوجتها الثانية راجا لاكشمى ديفى. فى عام ١٨٦٤ انه كتب رواية فى اللغة الانجليزية بعنوان "زوجة *رام موهن*". كانت ظهرت هذا الرواية بالأقساط فى مجلة "*دى انديان فيلد*". لحسن الحظ إنه قاوم رغبته للكتابة فى اللغة الانجليزية و تحول إلى لغته الأم. و الواقع أنه متى كانت تظهر روايته "زوجة *رام موهن*" بالاقساط، فانه إستمر بصمت فى كتابة روايته البنغالية الأولى "*دورغيش ناندينى*"، أخرجت هذه الرواية فى عام ١٨٦٥ و أثارت إعجاب القراء البنغاليين. فى وقت مؤخر وصف رابيندارا ناث طاغور هذه الرواية بأنها كانت بمثابة " ظهور الفجر بعد ليل طويل ".

لم يكتب بانكيم تشانـدارا شيئا لاربعة أعوام بعد نشر روايته دورغيش *ناندينى*. ثم أخرج رواية فى كل سنة على وجه التقريب. فبدا أن قدراته التشكيلية كانت غير محدودة. حيث أننا سنعتبر بالتفصيل عمله الهام بالتالى فى هذا المقال فمن المناسب جدا ان نذكر بصورة وجيزة بيانات سيرته مع أقل اشارة إلى كتاباته. إجتاز بانكيم إمتحانه فى القانون فى ١٨٦٩. و فى العام التالى ماتت والدته. و خلال السنتين التاليتين إستأنف الكتابة باللغة الإنجليزية و لكنه إقتصر على كتابة مقالات حول المواضيع الدينية و التاريخية. نشرت هذه المقالات فى *كالكوتا* ريفيو و *مجلة موكهارجى*.

في ١٨٧٢أخرج بانكيم مجلة *بانغادارشان*. إن عددا لا بأس به من رواياته خرجت أولا بالاقساط في هذه المجلة قبل خروجها في صورة الكتب. إنما ظهور *بانغادارشان* كان معلمًا هاما في تاريخ الصحافة الأدبية الهندية. من الملحوظ أنه تمكن من القيام بكل هذه الخدمات الأدبية بينما إستمر في نفس الوقت في أداء واجباته الرسمية. إكتسب بانكيم الترفيعات في الخدمة العدلية فقط على أساس عمله الجيد. إنما سيرته بصفة القاضي كانت رافضة للاسطورة المخلوقة من بعض الموظفين البريطانيين القليلي الأهمية، أن الهنود لن يكونوا قادرين على تقلد المسئوليات الخاصة بالمناصب العليا. في اداء واجباته الرسمية فان بانكيم دائما دعم كرامته بصفته هنديا و رفض أية تسوية فيما يتعلق بالاحترام الذاتي. إنه لم يتردد في مخالفة و نقد كباره في العمل لدى الضرورة. لقد جذب كتاب سيرة بانكيم تشاندارا الاهتمام إلى ثلاث مناسبات حيث تحدى بانكيم الموظفين البريطانيين العاليّ المناصب: خلافه مع العقيد دوفين في ١٨٧٣ و إصطدامـه مع المحصـل بوكـلاند فـي ١٨٨١ و نـزاع مـرمع المحصـل و يستماكوت في ١٨٨٣. يجب الذكر هنا أيضا لنزاعه المعلوم مع الكاهن هاستي المبشر المسيحي الذي هاجم المراسم الدينيـة الهندوسيـة بدون فهم معانيهـا و أصلها و نشوءها.

في عام ١٨٧٥ بعد عمله بصفة القاضي لسبعة عشر عاما فان بانكيم تشاندارا أخذ اجازه طويلة. هذه الإجازة أعطته فرصة للمعيشة بالهدوء في الريف و لمنح الاهتمام الإستثنائي لأعماله الأدبية. إنه عاد لواجباته الرسمية بعد عام و حصـل تعيينـه في هوغلي حيث إنتقـل و أقام مع أسرته. إن *بانغادارشان* التي كانت توقفت عن الخروج منذ أكثر من سنة، ظهرت من جديد في ١٨٧٧ برعاية تحرير بانكيم، سانجيف تشاندارا تشاتيرجي. في عام ١٨٨٠ عُيّن بانكيم كالأمين الخاص لمفوض إدارة بوردوان. بعد ذلك حـول إلـى هـاورا و علي بور ثم نقل إلى أوريسا. توفي والده في ١٨٨١.

لقد تم إعزازه مرارا في آخر عقد حياته. إنه رُقّي إلى الدرجة الاولى في خدمته و أنتخب زميلا في جامعة كالكوتا. كلف بانكيم بتاليف الأعمال الشعرية لإيشوار تشاندارا غوبتا. في عام ١٨٩١ بعد تقاعده عن العمل أنتخب بانكيم رئيسا لقسم الأدب في المعهد الجامعي. في عام ١٨٩٢ مُنـح لـه لقب راي بها دوْر و في العام التالي حصل على لقب سي آئي إي. و لكن بانكيم كان مصابا بمرض السكر منـذ وقت. هـذا المرض و العمل المتواصل أديا إلى تدهور صحتـه. توفـي بانكيم في اليوم الخامس لابريـل ١٨٩٤، في كالكوتا. كان بانكيم ٥٦ وقت وفاته. إنما نبأ وفاته إنتشرت بسرعـة و مئات الألوف من مواطنيه الحزان إشتركوا في موكب جنازته. بعد يومين قدمت له الإحترامات اللائقة به باجتماع عام منعقد في تاؤن هال (دارالبلدية) بكالكوتا.

________ ٣ ________

إنما إنتاج بانكيم الأدبى وفير و يمكن لنا إعتبار بعض أعماله فقط فى هذه الدراسة. فى أول الأمر فلنأخذ بعض رواياته الرئيسية. على الرغم من أنه يعتبر رائدا فيما يتعلق بكتابة الروايات التاريخية إلا أنه فى كل أعماله على وجه التقريب، نجد الحب الرومانسي و القضايا الدينية و الإجتماعية كعنصر. قلما يمكن أن نسمى أية رواياته بانها تاريخية محضة. لذا فانه بدلا من معالجة أعماله على اساس المواضيع الدينية أو الإجتماعية أو التاريخية ينبغى معالجتها على اساس الترتيب الزمنى طبقا لتواريخ نشرها.

كما ذكر آنفا فان رواية *دورغيش ناندينى* كانت هى روايته الأولى التى أكسبته الشهرة ليس فى البنغال فحسب و لكن فى كل أرجاء الهند أيضا. أخرجت لهذه الرواية ترجمة فى اللغة الأردو فى لاكناؤ فى ١٨٧٦ فقط بعد اثنى عشر عاما من ظهور الاصل البنغالى. و أخرجت ترجمتها فى اللغات الانجليزية و الهندية و الكنادية و اللغات الأخرى فى حياة المؤلف نفسها. يجدر بالذكر هنا ان سبع ترجمات مختلفة للرواية قد ظهرت للآن. إنما بعض شخصيات *دورغيش ناندينى* تشبه شخصيات والتير إسكوت فى روايته الإنجليزية ايفانهو. إن بعض الأحداث من أمثال المبارزات و المؤامرات المحكمية ايضا تبرز المماثلات بين الروايتين. إلا أن بانكيم كان أكد أنه لم يقرأ *ايفانهو* قبل إكماله *دورغيش ناندينى*. الجو و التعبير العاطفى فى الروايتين يختلفان إختلافا تاما. المماثلات فيها سطحية. إن النقاد الذين قالوا إن بانكيم كان قدم رواية انجليزية فى زى هندى ظلموه ظلما سافرا.

إن رواية *دورغيش ناندينى* مبنية على اسطورة شعبية حول النزاع بين المغول و البتهان فى القرن السادس عشر - هى أُسطورة كان سمعها بانكيم لأول مرة من عمه الكبير (الذى عاش مائة و ثمانى سنوات!). على غرار كل الأساطير الشعبية فان الحقائق التاريخية تظهر هنا محبوكة مع القصص الغرامية الرومانسية - فيما يلى نوفر خطوطا عريضة للخطة.

راجا بيريندرا سينغ كان أنشأ إمارته المستقلة بفيشنوبور فى أوريسا حيث بنى حصنا حصيناً أسماه كاره ماندارن . إن البتهان الذين وجدت لهم قاعدة متينة فى البنغال، هاجموا فيشنوبور و استولوا على الحصن. وجّه الراجا المطرود نداء المعونة إلى أكبر، الإمبراطور المغولى فى أغره. بعث اكبر بلوائه، مان سينغ، لطرد البتهان. و لكن حصل أنه. قبل تمكن المغول من هزم البتهان، أُسر بيريندارا مع ابنته تيلوتاما و ابن مان سينغ جاكات سينغ. بامر من كاتلو خان الزعيم البتهانى قُتل بيريندار اسينغ.

فيمالا ، زوجة بيريندارا التى كانت أهملت لطويلٍ و بقيت فى الخلفية، تقدمت الآن للامام لتنتقم موت زوجها. إنها نجحت فى تجريح كاتلو خان بصورة فتاكة. على سرير وفاته فان كاتلو خان عبر عن رغبته فى المسالمة مع

أكبر. مع أسيره جاكات سينغ إنه أُرسل رسالة إلى الإمبراطور عارضا فيها استسلامه للمغول مقابل المنح لأسرته و السماح لهم بالمعيشة بسلام فى اوريسا. فى حدود هذا الاطار السياسى - العسكرى فان المؤلف قد أدخل مثلث حب. جاكات سينغ وقع فى حب تيلوتاما بينما إن عائشة إبنة كاتلو خان تشعر بالانجذاب إلى جاكات سينغ. و اللواء عثمان قائد جيش كاتلو خان يقع فى حب عائشة.

سيظهر من الخلاصة الموفرة آنفا أن أولى روايات بانكيم الرئيسية كانت ضعيفة من حيث الفن مع هيكل خطة إصطناعية و غير مقنعة. و لكنها تركت إنطباعا عميقا على قراء اللغة البنغالية جزئيا لأن شيئا مثل هذه الرواية ما كان ظهر فى تلك *اللغة* قبلا و جزئيا لأن الكاتب كان أُدخل *التعابير الدارجة* بجانب الالفاظ السنسكريتية الدقيقة. إن روايته الأخرى *كابالا كوندالا* المنشورة بعد سنة من الرواية الأولى، تختلف إختلافا من حيث الأسلوب و مادة الموضوع. هذه الرواية أيضا تتعلق بفترة حكم الملك أكبر. و لكن العنصر التاريخى سطحى جدا. على خلاف ذلك يوجد فى الرواية عنصر الغرابة و الغموض الذى لا يوجد فى الأعمال المبكرة يوجد فى الرواية الوصف الشعرى للظاهرة الطبيعية و بخاصة جدا فيما يتعلق بالبحر و الغابة.

كابالا كوندالا و هى بطلة هذه الرواية كانت فتاة بريئة مثل ميراندا لشيكسبير أو شاكونتالا لكاليداس. كانت تربت على أيدى ناسك ساحر باسم كاباليك و هذا الشخص كان يشتغل باداء الطقوس السحرية بانضمام التضحية البشرية. إن شابا باسم نافاكومار ترك رفاقه فى سفر إلى نهر غانغا (GANGA) المقدس و ضل سبيله فى القفر و بالنهاية وصل إلى كوخ كاباليك. سحره كاباليك و ذهب به إلى شاطئ نهر بنية تقديمه قربانا للآلهة. نجا نافاكومار بمساعدة كابالا كوندالا و زوّجهما كاهن برهمى. عاد نافاكورمار إلى بيته عروسه الجديدة.

إلا أن كابالا كوندا لم تجد من السهل أن تتكيف مع التقاليد و الطقوس الريفية. كانت تربت و ترعرعت فى الأوساط الطبيعية و فى وقت قليل أخذت تشتاق إلى حرية الأجواء المفتوحة . فى نفس الوقت فانها لم ترد العودة إلى كاباليك. بينما كانت فى حالة تردد حصل هناك تطور غريب و هو زوجة نافاكومار السابقة التى كان تركها بسبب إسلامهما و إسلام والديها، قدمت إلى القرية. هذه المرأة التى دعيت الآن باسم لطف النساء، حاولت ايجاد البعد بين نافاكومار و كابالا كوندالا. فى حرقه شوقها إلى الظفر بزوجها فانها سممت أذن نافاكومار و بالنهاية نجحت فى جعله يتشكك فى عفة كابالا كوندالا.

فى نفس الوقت غضب كاباليك بسبب تحريمه من ضحيته و بدأ يبحث عن نافاكومار. إنه تمكن من الوصول إلى القرية و صمم على تقديم كابالا كوندالا

نفسها كقربان حيث أنها خانتها و ساعدت نافاكومار على الهروب. تحت تأثير بعض المخدرات المحقنة من كاباليك ذهب نافاكومار مع كابالا كوندالا إلى شاطئ نهر غانغا لغسل تطهير قبل التضحية. و لكن متى كان الإثنان على شاطئ النهر سيطر على نافاكومار حبه لها و انه أسف لعمليته. إن كابالا كوندالا أقنعته بانها لم تكن أبدا غير وفية له و أن شكوكه كانت بغير أساس. إلا أنها رفضت العودة معه إلى القرية. بينما كان يحاول ترغيبها فى العودة فان طوفانا غريبا للامطار ساقتها فجأة إلى أمواج غانغا الهائجة. مليئا بالحزن و الشعور بالندم فان نافاكومار و ثبَ فى النهر و التحق بكا بالا كوندالا فى الوفاة.

بالرغم من أن رواية كابالا كوندالا لم تثبت حدثا أدبيا و لكنها أثارت إهتماما ملحوظا. إن المسحة الروحانية الكامنة فى بانكيم تشاندارا تظهر فى شخصية كاباليك بواسطة مراسيمه الغريبة و الخفية. كانت حبكت هذه الشخصية على غرار الشخصية الواقعية لناسك عاش فى غابة قرب ميدنابور حيث كان بانكيم مأمورا خلال فترة كتابته هذه الرواية. انتمى هذا الناسك إلى العقيدة التانتارية و إجتمع معه بانكيم مرارا. لقد تم إدخال هذا العامل التاريخى عن طريق وضع القصة فى القرن السادس عشر و إيجاد إرتباط للطف النساء مع البلاط المغولى، كانت ترجمت رواية كابالا كوندالا فى اللغة الإنجليزية بعد عشر سنوات من ظهورها فى اللغة البنغالية. ظهرت الترجمة الانجليزية بالاقساط فى المجلة القومية (NATIONAL MAGAZINE).

إن رواية بانكيم التالية و هى *مرينالينى* و التى نشرت فى ١٨٦٩، تظهر الإضمحلال المؤقت فى قابليته التشكيلية. إنما اطار القصة غير دقيق و الاسلوب غير مستقيم. تتركز أهمية رواية مرينا لينى فى الواقع أننا نرى فيها الشكل الأولى لفكرة الاستقلال القومى و التى تنبنى وقائعها على فتح البنغال المزعوم من قبل مجموعة صغيرة من سبعة عشر فارسا مسلما تحت قيادة محمد ابن البختيار الخلجى. إن مادهواتشاريا، معلم هيما تشاندارا، أمير منطقة ماغاذا (Magadh) حض تلميذه على القتال لتحرير مملكته من البتهانيين و حماية سلطنة البنغال المجاورة من تطاولاتهم و تصاميمهم الحقيرة. على الرغم من الحقيقة أن هيماتشاندارا كان شجاعا و محبا لأرض الوطن، و لكنه لم يتمكن من إتخاذ إجراءات مؤثرة و السبب فى ذلك هو انه أحب مرينا لينى الحسناء التى شغلته عن الدنيا و ما فيها بسحر جمالها. ان مادهو اتشاريا حاول عبثا كسر تأثيرها عليه. فى نفس الوقت حصلت هناك الخداعة فى مملكة البنغال. فان وزيره باشوباتى خدعه و بمساعدته تمكن البتهانيون من فتح المملكة فى هجوم بسريع و جرىء. على الرغم من الواقع أن مادهو اتشاريا فشل فى مهمته و لكنه كان أشار و وضع حجرالأساس للنضال المستقبلى لتحرير أراضى الوطن من الاستعباد الأجنبى.

بعد أربعة أعوام من ظهور مرينا لينى ظهرت رواية *فيشافريكشا* (شجرة السم) فى عام ١٨٧٣. و هذه الرواية تعتبر أول رواية إجتماعية حيث أننا لانجد فيها أية تلميحات تاريخية و نرى أن الكاتب بانكيم تشاندارا يتحول إلى إحدى أهم قضايا ذلك الوقت و هى مشكلة زواج النساء الأرامل. كان إيشوارا تشاندارا فيديا ساغار و أمثاله من المصلحين الإجتماعيين رفعوا أصواتهم لإصلاح الأحوال المتردية للنساء الأرامل من الهندوسيات و بدأوا حركة فى دعم زواج النساء الأرامل. فان رواية *فيشا فريكشا* ليست إلاّ قصة رجل كبير فى السن إنجذب إلى فتاة كان توفى زوجها. نورد فيما يلى ملخصا عن القصة:

إن فتاة يتيمة تدعى كونداناندينى كان تبناها إقطاعى غنى يدعى ناغيندارا داتا. و كانت زوجته سوريا موكهى ربت هذه البنت بعناية كبرى و عندما كبرت هذه البنت فانها دبرت زواجها مع شاب يدعى تارا تشاند و كان هذا الفتى فى اتصال دائم مع سوريا موكهى التى إعتبرته دائما كأنه أخوها. أحست سوريا موكهى أن البنت ستعيش فى راحة دائمة مع هذا الفتى. و لكن حصل أن مات تاراتشاند بعد وقت قليل من الزواج و عادت كوندا ناندينى إلى بيت الإقطاعى و بدأت تسكن هناك من جديد. مع مضى الوقت فان ناغيندارا بنفسه بدأ يشعر بالإنجذاب إلى هذه البنت الجميلة و النشيطة التى كان أعادها الحظ إلى بيته. رويدا رويدا تحول هذا الإنجذاب فى حب و تزوجها الرجل فى نفس الوقت تركت زوجته المخلصة منزله و ذهبت.

لم يمض وقت طويل حتى بدأ ناغيندارا يشعر بالندامة و خرج يبحث عن سوريا موكهى هنا و هناك و لكنه لم ينجح و عاد إلى المنزل ميئوسا. و لكن بعد وقت قليل فان سوريا موكهى التى كانت لا تزال تحب زوجها رغم حبه لكونداناندينى و زواجه معها، عادت للبيت. عم السرور و تبعا لذلك شعرت كونداناندينى بالخجل لإثارتها المشاكل فى عائلة محسنيها و إنتحرت. يعتبر بعض الناس أن بانكيم لم يحب و لم يؤيد زواج النساء الأرامل. و لكن فى الواقع فان زواج كونداناندينى لم يكن هو السبب لمأساتها. لو كان زوجها الثانى من فئة عمرها بغض النظر عن كونه عازبا أو أرملا فلكانت حياتها حياة سارة. إنها واجهت هذه المشاكل لأنها تزوجت من رجل كبير فى السن وُجدت له زوجة من قبل. لذا لا يمكن إعتبار فشل زواج كونداناندينى تحذيرا ضد زواج النساء الأرامل بصورة عامه.

فلنتأمل الآن روايتين أخريين لبانكيم تشاندارا، تشاندارا شيكهار و كريشانا كانيترويل باهمال رواياته الصغيرة التى لا يمكن لنا أن نناقشها فى هذه الورقة. ظهرت رواية تشاندارا شيكهار فى مجلة *بانغادارشان* و أخرجت باكملها فى ١٨٧٥. هذه الرواية تشمل قصة غرامية فى السياق التاريخى للنزاع الكائن بين السلطات البريطانية و مير قاسم، أمير البنغال.

على خلاف عنوان الرواية فان شخصية تشاندارا شيكهار تكسفها شخصية شايفالينى التى احبت فتى يدعى براتاب و لكن الظروف أجبرتها على الزواج من رجل غنى و كبير فى السن يدعى تشاندارا شيكهار. كان هذا الرجل طيبا - نبيلا و عطوفا و متحملا و لكنه خاوٍ من كل المشاعر الرومانتيكية و لم يفهم هذا الرجل خيبة زوجته الشابة. إستمرت شايفالينى فى الإجتماع مع براتاب بعد زواجها أيضا و على الرغم من الواقع أن العلاقة الكائنة بينهما كانت علاقة أفلاطونية و لم تتجاوز الحدود الشريفة إلا أن كلا منهما أحس على استمرار بتقصيره فى الموضوع. إن شايفالينى أجرت محاولات جدية لاستيصال حبها لبراتاب و لكنها فشلت فشلا ذريعا فى محاولاتها هذه. و أخيرا، ادرك براتاب بان العلاقة بينهما لن تنقطعا طالما بقى هو حيا و بالنتيجة قدم التضحية الكبرى و إختتم حياته.

كتب الكاتب رواية *كريشانا كانتير ويل* خلال إجازته الطويلة مع واجباته الرسمية. أخرجت هذه الرواية بعد عامين من تاريخ إكمالها. فى هذه الرواية يتحول بانكيم من جديد إلى موضوع زواج النساء الأرامل و نرى مرة أخرى أن المرأة تفشل فى تحقيق المسرات فى الحياة من الزواج من رجل متزوج من قبل نورد فيما يلى خطوطا عريضة للقصة. كان كريشانا كانت، إقطاعيا غنيا و إنه ربّى غوفيندلال و هو إبن أخيه كابن له حيث لم يوجد له أطفال كان غوفيند تزوج من بهيرامار. كان هذا الزواج سارا و مباركا فيه و بقيت الأمور على ما يرام حتى وقع غوفيند فى حب روهينى - و هى أرملة شابة. هذا الأمر سبب قلقا عميقا لكريشانا كانت ، و إنه أعد الوصية التى بموجبها نقل كل مملكاته لبهيرامار، زوجة غوفيند. و بعد ذلك بقليل توفى كريشانا كانت، ترك غوفيند لال بيت عمه و بدأ يسكن مع روهينى فى قرية براساد بور. كانت بهيرا مار منسحقة القلب و إنها دائما إشتاقت إلى زوجها على الرغم من خيانته لها. فى نفس الوقت صمم والدها على الإنتقام للظلم المرتكب فى حق إبنتها و دبر مخططا مع صديق له أن يذهب إلى قرية براساد بور كعاشق روهينى. كان إسم هذا الصديق نيشاكار. فانه وافق على المخطط و ذهب إلى القرية و إتخذ التدابير حتى رآه غوفيندلال يجتمع مع روهينى قرب صهريج ماء خارج القرية. فثار غضب غوفيند لال و إنه قتل روهينى باطلاق النار عليها. إلا أنه أفلت السجن من جراء نفوذ صهره. عاد إلى منزله القديم للإجتماع مع زوجته و لكن بهيرا مار كانت تتنفس أنفاسها الأخيرة و هكذا تنتهى الرواية فى مأساة مزدوجة.

هنا يمكن لنا أن نتحدث قليلا عن رواية راجا سيمها التى نشرت لأول مرة فى ١٨٨٢ على الرغم من الواقع أن ظهرت هذه الروايه موسعة فى طبعتها الثانية بعد عدة أعوام. و هى الرواية الوحيدة التى يعتبرها بانكيم نفسه كالرواية التاريخية و هذا التقدير صحيح إلى حدما بمعنى أن أحداث هذه

الرواية أقرب إلى الوقائع التاريخية. إن تشانتشال كوماری، و هی أميرة روب ناغار، رأت الصورة الفوتوغرافية لراجا سيمها، أمير أودای بور و إنها وقعت فی حبها. مستغرقة فی أفكارها حول حبيبها فانها تركل لوحة أورنك زيب و هو العدو اللدود للراجبوتيين. و إن جواسيس الامبراطور أورنك زيب نقلوا له هذا الحدث و بهدف الإنتقام فان الإمبراطور أورنك زيب بعث جيشا إلى روب ناغار. و الأميرة بعثت رسالة إلى راجا سيمها طالبت فيها معونته فاستجاب راجا سيمها لطلبها و نشبت حرب بين المغول و الراجبوتيين.

إنما هذه الرواية مليئة بالحكايات المثيرة و بخاصة تلك التی تتحدث عن خسائر المغول الفادحة لدی إنحباسهم فی ممرجبلی. علی الرغم من أن الرواية تقدم راجا سيمها كالبطل و المغول كالمهاجمين فانها فی نفس الوقت تتحدث عن عدد من الشخصيات النبيلة و الشريفة بين المغول. تصور الرواية مباركا و هو لواء مغولی بأنه شجاع و نبيل. و كذلك فان شخصية زيب النساء، بنت أورنك زيب، قد تم تصويرها فی الرواية بأنها شريفة ؛ يقول الكاتب فی خاتمة الرواية: " لا يفرق ما اذا كان شخص ما هندوسيا أو مسلما. اذا سيطر علی شخصيته الحق فانه إنسان غير عادی." و اذا قلنا إن رواية راجا سيمها تخالف مصالح المسلمين فان ذلك القول ليس حقاً، متی تدافع مملكة صغيرة حريتها و إستقلالها و تقاوم إمبراطورية قوية فان رئيسها لا بد أن يجذب الإهتمام بغض النظر عن الديانة التی يدين بها. إن راجا سيمها يرمز إلی النضال البطولی ضد الجور و ليس ضد المسلمين.

— ٤ —

و الآن نتحول إلی رواياته الثلاث الأخيرة ذات الطابع الروائی المتكامل و هی : *آناندامات* و *ديفی تشونورانی* و *سيتا رام*. طبعت هذه الروايات فيما بين ١٨٨٢ و ١٨٨٧. إنما هذه الروايات الثلاث تعالج السياق التاريخی بالليونة إلی حد ما. هذه الروايات تتحدث عن حب الوطن و العدالة الاجتماعية، هنا يبدو مناسبا أن نتحدث عن كل رواية من هذه الروايات الثلاث بغض النظر عن تاريخ خروجها و أن نتناول رواية *آناندامات* فی نهاية هذا الباب للمقال. فلنتحدث أولا عن رواية *ديفی تشونورانی* التی طبعت فی عام ١٨٨٤. كان الكاتب يعتبرها أهم أعماله و بدأ يترجمها إلی اللغة الإنجليزية و لكن الترجمة لم تكتمل.

إنما رواية *ديفی تشونورانی* بدون ريب تشمل هدفا و تثير قضايا أخلاقية هامة. فان هارابالاب و هو إقطاعی موسر كان له إبن أسماه براجيشوار. إتخذ الإقطاعی إجراءات ضرورية لزواجه مع بارابوللا و هی بنت

جميلة لأرملة فقيرة. و فيما بعد، سمع الإقطاعي أحاديث غير شريفة عن الأرملة و أيقن بها و بالنتيجة أمر بهما أن تترك بيته. كان براجيشوار يحب زوجته و لكنه لم يجرؤ على مخالفة والده، تركت الأرملة و بنتها البيت بدون نصير. ماتت الأرملة بعد شهور. و إختطفت بارا بوللا من قبل عصابة أشخاص وحوش و لكن تمكنت من الإفلات من براثنهم. بينهما كانت تنتقل من غابة إلى غابة قابلت رجلا طاعنا في السن الذي كان عثر على خزينة دفينة. كان الرجل المسن مريضا بمرض فتّاك. و قبل وفاته سلّم الخزينة للبنت.

كانت برابوللا الآن إمرأة غنية. و لكن حصل تحول آخر في حياتها. إنها قابلت رجلا يدعى بهاواني باثاك. كان هذا الرجل قرصانا يسلب الأغنياء و يساعد الفقراء - روبن هود الهندي. تأثرت بارا بوللا بافكار باثاك و إلتحقت بعصابته على الرغم من أنها لم تؤيد طرقه. بدأت بارا بوللا تنفق حياة نظامية تحت رعايته، إنها مارست يوغا و تلقت التدريب في الفنون العسكرية. كان باثاك يدّعي بانه أيقن بالأعمال الحيادية كما ورد الذكر عنها في باغوات غيتا، فناداها بالملكة - الملكة التي تعاقب الظالمين و تحمي الفقراء. هكذا صارت بارا بوللا، بنت أرملة معوزة، ديفي *تشوذوراني*، ملكة القراصنة الطيبين.

إستمر باثاك في القيام بأعماله باسم ديفي تشوذوراني التي دافع عنها حارس مسلح. كانت تلك أيام الفوضى حيث إضمحلت سلطة الحكام المسلمين بسرعة رهيبة بينما عزز البريطانيون بطشهم على الهند. حصلت هناك إصطدامات بين الحكام المسلمين و البريطانيين و أصبح الفلاحون هدف مظالم الطرفين. ففي هذه الظروف الفوضوية تمكنت ديفي تشوذوراني من إكتساب الشعبية كقوة محامية لهم و إن مؤيديها جمعوا الاموال عن طريق نهب العربات الناقلة للخزائن و وزعوها بين الفقراء و المحتاجين. حاول البريطانيون القاء القبض على ديفي تشوذوراني و لكنها دائما أفلتتهم.

في يوم حمل رجال ديفي تشوذوراني قاربا وُجد فيه زوجها براجيشوار الذي كان رفضها قبل خمس سنين. و متى عرفت ديفي تشوذوراني أن صهرها كان يعاني من شدائد مالية فانها أعطت زوجها خمسين ألف روبية كدين. و لكن صهرها هاربا لابهـ ردّ إحسانها بالخيانة حيث أخبر الملازم الاول برينان، رئيس الضباط البريطانيين المكلفين بالبحث عن ديفي تشوذوراني و إلقاء القبض عليها، أخبره بعنوان مكمنها. إلا أن إجتماعها الإتفاقي مع زوجها كان أحدث تغييرا في طريقة فكرها. كانت تعبت ديفي تشوذوراني من دورها بصفة ملكة القراصنة و إشتاقت أن تصير من جديد ربة منزل. بطلب منهما فان بهاواني باثاك أطلق سراحها من مسؤولياتها كرئيسة العصابة.

لسخرية الاقدار، فبدلا من القاء القبض عليها فان برينان و هارا باللاب وقعا في أيدي رجال ديفي تشوذوراني متى باغتت قاربهما عاصفة هوجاء.

أطلعت ديفى تشوذورانى سراحهما و عادت إلى منزلها الريفى الذى كانت أرغمت على تركه قبل وقت. تحولت ديفى تشوذورانى، ملكة القراصنة، مرة أخرى إلى ربة منزل. فانها أحست بالأمان و المسرات فى أعمالها المنزلية اليومية و خدماتها المخلصة للقرويين. بعد وقت قليل، فان بهاوانى باثاك أيضا أدرك بان أعمال العنف ليست هى الطريق السديدة حتى و لو قام بها لمساعدة الآخرين من الفقراء و المحتاجين.

إن رواية سيتا رام و التى أخرجت فى ١٨٨٧، أيضا تتحدث عن هدف معين، إننا نرى فى رواية ديفى تشوذورانى أن التحول من حياة العنف إلى حياة السلم يحصل اساسا من جراء القوة الداخلية و التقيد و الإنضباط الذاتيين التى كانت إكتسبتها ديفـى تشوذورانـى و فيما بعـد معلمهـا بهاوانى باثاك. أما فى رواية سيتا رام فنرى أن عدم الإنضباط و التقيد الذاتى فى الحياة يؤديان إلى الدمار و التدهور الأخلاقى. تقع أحداث هذه القصة فى مقاطعتى كهولنا و جيسور اللتين تتواجدان فى الوقت الحالى فى البنغلاديش. و الخلفية التاريخية هى تعبير عن النـزاع الكائن بين الحكـام المغول فى دلهى و أمير البنغال، فى القرن الثامن عشر.

كان سيتا رام راى إقطاعيا غنيا. فانه بنى مدينـة صغيرة أسماهـا محمد بور. و كان يعيش هناك باسلوب إقطاعى كبير ملك أراضى واسعة. صار سيتارام راى قويا للغاية و أساسا على ذلك طلب منه الحكام المغول ان يجبى الإتاوى من الأمراء الصغار فى المناطق المجاورة و أن يرسلها إلى دلهى. إن ستارام إحتل عنـوة أراضى بعض الأمـراء و رفض باتا ان يدفع الأتاوى لأمير البنغال الذى تمتع بالإختصاص القانونى على عز به و برر موقفه قائلا بانه يحاول إسقاط حكم الأمير الظالم و إنشاء حكم عادل يتأسس على القيم الدينية القديمة حمل عليه الأمير و لكنه لاقى الهزيمة و الموت.

بلغ سيتارام الآن ذروة قوته و يسره. و لكن حياتـه الشخصيـة لم تكن سارة. إبتعدت عنه شرى و هى زوجته حيث أن منجما كان تنبأ بأنها ستكون سبب وفاة قريب لها عزيز عليها ـ إنها احبت سيتارام من صميم قلبها و لكنها رفضت أن تعيش معه بسبب التنبوء. كلما قاومت شرى طلبات زوجها إزداد حبه لها و رغبته فيها. و حتى لا يقدم لها مطالباته للمعيشة السوية فانها تركت محمد بور و عكفت على العبادات و زهدت عن الدنيا.

إن الأمير الجديد للبنغال عندما عرف أن سيتارام كان يهمل أعماله الرسمية بسبب ولعه لشرى، هاجم على محمدبور. أخبرت شرى بذلك و عـادت هى لتكون بجوار زوجها فى هذا الوقت الشديد. و لكن سيتارام بهذا الوقت كان فقد كل ارادته. و بدأ ينفق حياة رغدة مع شرى. و إنه بنى بيتا جديدا بنفقات طائلة و لم يسمح لها بالغياب و لو للحظات. و رويدا رويدا إضمحلت الخزينة و مرتبات الجنـود لم تدفع و ظهر هناك إستياء و إمتعاض بين الناس.

أفلتت شرى مــرة أخــرى و إختفت عنــه. و لما أدرك بان شــرى كانت تركته للأبد صار قاسيــا و جائرا. حملت عليه قوات أمير البنغال و تسلطت على محمد بور. إلا أن سيتارام تمكن من الإفلات من بطش الأمير. إن الشخص الذى كان قويا فى الوقت السابق و وجدت له فكرة انشاء سلطنة واسعة و قوية أصبح ضعيفا للغاية بسبب ولعه الأعمى لامرأة.

نود اختتام هذه الدراسة لمساهمات بانكيم تشاندارا إزاء القصة الهندية مع مناقشة روايته آناندامات التى أثرت فى المجتمع الهندى فى تلك الأيام. إنما هذه الرواية إحدى تلك الروايات التى تحوز على اعجــاب الملايين من الهنــود. و حتى إن الكاتب لم يكن يتوقع ذلك هذه الرواية لم تؤثر في المجال الأدبى. إن قصة هذه الرواية تشمل التــاريخ و السياسة و الأخلاقيات مع تواجد نصيب وفير للعوامل الرومانتيكية. و هى فى نفس الوقت لا تحتوى على رسالة محددة. إلا أنها على الرغم من ذلك توذن بذلك الجيشان الذى أدى نهائيا إلى تحرير أ راضى الوطن من نير الحكم الأجنبى بعد أقل من سبعة أعوام لظهورها. إنها قدمت لعامة الناس أنشودة "فانداى ماترام" و أشعلت فى قلوبهم المحبة لأرض الوطن و تقديسها كما نقدس و نحترم أمهاتنا. إنها أثارت فى قلوبهم الفكرة بأن أرض الوطن ليست إلا الأم الروحانيــة و هى المصدر النهــائى للقوة و القيم العالية.

إن قصة آناندامات معقدة و إطارها ضعيف. فيما يلى نورد موجزا عن القصة. أصاب قحط مخيف قرية باداتشيهتا و سبب لها خرابا و صار إقطاعى القرية ماهيندرا سينغ فقيرا خلال فترة القحط و خرج بحثا عن الطعام بمرافقة زوجته كاليانى. خلال تنقلاتهما من مكان إلى مكان قبض اللصوص كاليانى و لكنها تمكنت من الإفلات و متى كانت تجوب غابة قابلت ناسكا يدعى ساتيا ناند. أخذها هذا الناسك إلى أشرمه. كان اسم هذا الأشرم آناندامات (أى صومعة المسرات). كان ساتيا ناندا رئيس مجموعة من النساك الذين أسموا أنفسهم سانتان أى أولاد أرض الوطن. بعث ساتياناندا نائبه بهافاناندا فى البحث عن ماهيندارا حتى يأتى إلى الأشرم.

بعد بحث طــويل تمكن بهــافاناندا من العثــور على ماهيندارا. و لكنهما الاثنين ألقى القبض عليهما من الجنود البريطانيين الذين كانوا يحملون معهم الضرائب التى كانت حصّلتها شركة الهند الشرقية من الفلاحين و متى لم يعد بهافاناندا فان ساتياناندا أرسل مجموعة من النساك لإنقاذه تحت رئاسة تلميذ له آخر إسمه جيفاناندا. حمل هؤلاء النساك حملة مفاجئة على الجنود البريطانيين و بعد قتل رئيسهم نهبوا الضرائب. بوغت ماهيندارا كثيرا من العنف المرتكب و إندهش متى سمع بهافاناندا يترنم بالسطر الاول من الأنشودة: فانداى ماترام، يا أمى أننا نعتز بالانحناء أمامك. سأل ماهيندارا: من هى تلك الأم التى تثنى عليها؟ و تباعا لذلك غنى بهافاناندا مقطوعتين من

الأنشودة:

حيث توجد نهيرات و جداول متدفقة
حيث توجد بساتين زاهرة
حيث يعم نسيم المسرات
حيث توجد حقول متلألأة، هى الأم القوية
هى الأم الحرة
حيث تروج الأحلام النيّرة
بين الغصون و فى الجداول و الأنهار
حيث تتراقص المسرات فوق الأشجار الزاهرة
هى الأم التى تسبب الراحة
ضحكاتها خفيضة و حلوة !
هى الأم التى أود أن ألثم قدميهاٰ
كلامها واطئ و حلو !
هى الأم التى أنحنى أمامها

" هى أمنا" قال بهافاناندا فى ختام غناءه." هـذه الأم هـى أرض وطننا و هى مركز عباداتنا الوحيد. و لا توجد لنا علاقات و إرتباطات أخرى ذهل ماهيندارا عندما رأى الدموع تتدفق من عيـون ذلك الناسك المتشـدد المظهـر و الذى كان خاض معركة دموية قبل قليل مع مجموعة من الجنود البريطانيين و نهبهم ممتلكاتهم. كان يبرر بهافاناندا عمليته بحجة أن الأمير لم يوجد له أى حق لجبى الضرائب نيابة عن البريطانيين، من الناس الذين لا يمكن له أن يحميهم مقابل الشدائد و المشاكل. إن بهافاناندا قاد ماهيندارا إلى أناندامات حيث إستقبله من صميم قلبه الناسك ساتياناندا و طاف به على الأشرم كله حيث رأى مختلف الأشكال المقدمة فكرة الأم الروحانية. فى إحدى الغرف رأى تمثال الأم كحامية العالم كله، مبتسمة، مطمئنة و مزينة بالمجوهرات. " كذلك كانت الأم فى الأيام الغابرة "، قال ساتياناندا. و بعد ذلك رأى فى ممر جوفى تمثال الأم " كما هى الآن ": خائبة، حزينة بدون مجوهرات، لابسة إكليل جماجم حول عنقها. إنحنى الجميع أمام هذا التمثال لكالى و قالوا باحترام: فانداى ماترام و نهائيا، وصلوا بالطريق الآخر إلى كشك رخامى و هناك رأى ماهيندارا الأم الروحانية " كما هى ستكون ": وقورة وسخية تكتنفها تماثيل غانيش و كارتيكيا و سارا سفاتى و لاكشمى. أما فيما يتعلق بالنساك فكانت هذه الأشكال الثلاثة للالاهة ثلاثة جوانب لأرض وطهنم المقدسة.

أدى الناسك ساتياناندا مراسيم تعميد ماهيندارا لقبوله فى مجموعة سانتان أى أولاد أرض الوطن. و أدى ماهيندارا اليمين لترك كل المسرات

الدنياوية و كذلك أقسم بأنه لن يقبل التحيز على أساس الطبقات الإجتماعية و العائلية. بعد وقت قليل من قبوله فى الأشرم حدثت هناك معارك جديدة بين النساك و البريطانيين. و هزم البريطانيون فى معركة و قتل عدد كبير من ضباطهم. و من هنا بدأ الناسك ساتياناندا يحلم بانشاء دولة هندوسية مستقلة و لكنه توقف عن الإستمرار فى أفكاره متى وصل طبيب من كالكوتا و لفت إنتباه هؤلاء النساك. أكد هذا الطبيب أن أعمال العنف و النهب غير لائقة و يجب التوقف عنها. و قال إن الوقت لم يكن ملائما لإنشاء دولة مستقلة. و أضاف إن البريطانيين كانوا أدخلوا التعليم و العلوم و لا يمكن لأية ديانة أن تحقق النجاح بدون المعارف و الثقافة و إن التعليم الإنجليزى كان يثقف الهنود الأميين لذا كان من الحكمة ان نمهل البريطانيين حتى يحكموا فى أمان فى الوقت الحاضر حيث أن هذا الإمهال سيوفر الهنود وقتا كافيا للتحصيل و إكتساب المعارف و هذه المعارف فيما بعد ستساعد نهائيا الجيل القادم فى تحقيق الإستقلال السياسى.

تزخر هذه الرواية بمثل التضحية الذاتية لصالح الوطن التى تقدم لنا القوة الداخلية لجميع الناس بمن فيهم عامة الناس. يمكن لنا أن نذكر هنا حكايتين من الرواية فان جيفا ناندا، أحد مساعدى ساتيا ناندا، ترك زوجته شانتى، فى القرية قبل خروجه للقتال ضد البريطانيين. و لكن هذه المرأة كانت تشعر على الدوام بالمواطنية و إن هذا الإحساس الشريف وجهها إلى أناندا ماث حيث عاشت فى زى رجل على غرار التقليد الهندى الطويل بقيت هذه المرأة مخلصة لزوجها. و لكن وضعت جانبا الحياء النوعى للمرأة الهندية و تحولت إلى محاربة. إن بهافاناندا، التلميذ الآخر لساتيا ناندا بدأ يتطاول على زوجة ماهيندارا و لكنها أظهرت له عدم رضاها لتطاوله. شعر بهافاناندا بالخجل و كفّر عن أفكاره الآثمة بتضحية حياته للوطن.

الآن يمكن لنا أن نقدم تقديرا إنتقاديًا لجميع قصص بانكيم تشاندارا. فان المناقص المتواجدة فى رواياته لا تخفى حتى عن أصدقاءه إنما معالجته للسياق التاريخى طالما نجده خاطئا. ربما لا يمكن لكاتب أن يتمسك بالوقائع التاريخية فى رواية، كما قال هو نفسه فى ردّ له لناقد، " إن رواية هى رواية و ليس كتاب تاريخ." إلا أنه يجب على روائى تاريخى أن يطالع جيدا تاريخ تلك الفترة التى يضع فيها قصته. يبدو أن بانكيم لم يبال بذلك. علاوة عن الأخطاء الوقائعية فانه لا يقدم الروح و الصفات المميزة للتاريخ المغولى أو التاريخ الراجبوتى. فى بعض من رواياته لا يوجد هناك إنسجام وثيق بين جوانبها التاريخية و الجوانب الرومانتيكية. إن الخطة الرومانتيكية الفرعية لا يوجد بينها و بين القوى السياسية فى رواياته، أى إرتباط. إن أسلوب بانكيم فى أغلب الأحيان مبتذل و هو دائما يلجأ إلى إستعمال التعابير الصعبة و الثقيلة. و يبدو أن معظم شخصياته خشنة و خيالية - ملكات القراصنة و الحسناوات

اللواتي يحملن الخناجر و النساك المقاتلين و الأبطال المتعجرفين الذين يتبارزون مع أندادهم و يقومون بالمعجزات. و فوق ذلك فان بانكيم أحيانا يتحدث في رواياته عن الأحداث الإتفاقية و كل المشاكل التى لا يمكن حلها فى أحوال إعتيادية. و على سبيل المثال نشير هنا إلى العاصفة التى تغرق بصورة مفاجئة كابالا كوندالا فى النهر الذى تحول إلى دوامة متى كانت مستغرقة فى التفكير ما إذا كان مناسبا أن تعود إلى المنزل مع زوجها.

و لكن بعد الإنتهاء من جميع هذه الحدود فان بانكيم يتقدم كرائد فى نوع من الأدب كان له مستقبل زاهر. على الرغم من الواقع أن إيشوار تشاندارا فيديا ساغار و عدد من الكتاب الآخرين كانوا وضعوا الحجر الأساس لأسلوب النثر الحديث فانه كان ذلك بانكيم الذى أظهر فعالية أسلوبه فى فن القصة. و كما يقول مؤرخ للأدب البنغالى" فان المناقص المتواجدة فى رواياته تمثل آلام ولادة الرواية البنغالية " إنه لأول مرة أساليب الرواية الإنجليزية فى الهند بينما تمسك باحكام بالتقاليد القومية. إنه كان يفكر فى مواضيع شتى و قدم فى رواياته قضايا هامة للغاية من أمثال القضايا السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية و حتى التعليمية. لم يكتب بانكيم للإستمتاع المؤقت. فان جميع رواياته تعبير عن الإخلاص التام للقضايا الوطنية. حتى أولئك الذين لا يتفقون معه فيما يتعلق بأفكاره فلا بد لهم من الإعتراف بأنه أشعل بواسطة رواياته لهيب المواطنية فى قلوب آلاف من قراء رواياته إننا نلقى فى رواياته. ليس فقط لمحات موجزة عن الحياة و الثقافة الهندية بل أيضا عن التنوع و الجمال المتواجدين فى جميع أنحاء البلاد و النباتات و الحيوانات. إنه يثنى على الطبيعية التى أسبغت على الهند خيراتها بسخاء. إنما حساسية بانكيم إزاء الأمان و الجمال تظهر جليا فى عدد كبير من فقراته فى رواياته و بخاصة جدا تلك التى تصف الغابات و البحار و الأنهر.

٥

إنما كتابات بانكيم غير القصص كثيرة للغاية و يستغرب الإنسان من كثرتها نظرا لحياته القصيرة البالغة ستا وخمسين سنة فقط. إن مقالاته الإنجليزية فقط و التى طبعت فى مختلف المجلات ستكون مجلدا ضخما و إن كتاباته البنغالية، بالإضافة إلى رواياته، تشمل مقالات إنتقادية و أدبية و مقالات شخصية و مفكرات و كروكيات و مقطوعات هجائية و مقالات هزلية و مقالات جدية تخص المواضيع الدينية و الإجتماعية و التاريخية و الثقافية. فيما يلى نتحدث عن دراستين هامتين له حول الدين - دهارما تاتوا و كريشانا تشاريترا - و بعض من كتاباته الهزلية و الهجائية من كتابيه المعنونين كاما كانتير دابتار و لوك راها سيا.

فى آخر عقد حياته إزداد إهتمام بانكيم تشاندارا فى الدين. طبع له دهارما تاتوا أى مبادىء الدين فى ١٨٩١م. إننا نجد فى هذا الكتاب الفكر الغربى المثبت و المفيد. منذ وقت مبكر فى حياته كان بدأ بانكيم يشعر بالميل إلى الفكر الغربى المنطقى و العملى كما يمثله ميل و بينثام و كومتى و إسبينسر. فى دهارما تاتوا فان بانكيم يحاول أن تتمشى الإثباتية و المنطقية الغربيتين أفكار الديانة الهندوسية التى تبلغ الإيمان بوجود إله واحد. إن دهارما، كان يقول، ليس إلا نمو جميع قابليات الإنسان بانسجام تام و إن ذلك كله يؤدى إلى الإخلاص للرب." إن الشىء الذى يحمى و يقوى الإنسان و يوجد له الرخاء و المسرات هو دهارما ". عن طريق تقديمه تعريفا بشريا لدهارما، افترض بانكيم أن واجب الدهارما إزاء الأفراد و إزاء المجتمع ككل لا يمكن فصل البعض عن البعض. و هكذا أكد على إيجاد إمتزاج للوعى الإجتماعى و الفكر المنطقى الحاصل فى المجتمع الغربى مع الإخلاص و الحب الكائنين فى الهند يقول بانكيم. "إننى أقبل عبادة إله شتى كذروة للأعمال و الطقوس الدينية. و يمكن لنا تحقيق الإدراك بالحق و الجمال فقط بواسطة إله شخصى". إن الدين الذى يتحدث عنه بانكيم فى كتابه دهارما تاتوا، يتأسس على القيم و بخاصة جدا القيم الأخلاقية. إن المبادىء الدينية و الطقوس و المراسيم و الأفكار المعنوية الفلسفية ـ هذه كلها أمور ثانوية.

طبع كريشنا تشاريترا لبانكيم تشاندارا لأول مرة فى ١٨٨٦ و إنه يعتبر منذ ذلك الوقت أحسن كتاب حول كريشنا لغاية اليوم. إنه عن طريق ايجاد مزيج للمعارف الغربية و المعارف الهندية و مستخدما كل الشهود التاريخية و الأثرية المتوفرة فى أيامه، حاول بانكيم الإظهار بان كريشنا كان رجلا تاريخيا يقال إن بانكيم فعل مع الأساطير الخاصه بكريشنا مافعله رينان مع الأساطير الخاصة بعيسى المسيح. إنه أبعد عنها المواد الخيالية و الوهمية و قدم لنا معلومات مفيدة حول هذا الموضوع. إنه أهمل العنصر الجنسى و الإعجازى لأساطير كريشنا و قدم لنا صورة نزيهة لكريشنا الذى كان يتمتع بأرفع المحاسن البشرية بدون شائبة من سوء الأخلاق. إنه أصبح موضع العبادة و التقدير لأخلاقه الحسنة و عاداته المحببة. إنه يصبح شخصا إلاهياً.

إن كتابه لوك راهاسيا ليس إلاّ تعبيرا عن مجموعة لكتاباته الهجائية التى يتحدث فيها عن الهنود الذين يحاكون الغرب و الغربيين فى أساليب حديثهم و كتاباتهم بحيث يظهرون فيها عدم المعرفة عن الهند. فلنأخذ على سبيل المثال راما يانير ساما لوتشنا أى نقد الراماليانا. نرى فيه أن عالما غربيا متخصصا فى المعلومات عن الهند يسىء تمثيل الأفكار الأساسية عن الديانة الهندوسية. و السبب فى ذلك كما يبدو، ليست المناوءة بل الواقع انه لم يفهمها. و فى قطعة أخرى فان موظفا صغيرا هنديا يخاطب الإنجليز فى أنشودة له. فى هذه الأنشودة إنه يقدم الوعد للإنجليز بأنه يلبس البنطلون

و السترة و إنه سيأكل بالسكين و الشوكة اذا أظهر له كباره الإنجليز سخاوتهم بترفيعه فى المنصب. و فى عبارة هجائية أخرى فان جنتلمانا هنديا يحيى قردا فى اللغة الإنجليزية. و لكن القرد لا يقدر تلك الفعلة و على العكس يعاقب القرد ذلك الرجل لإزدراءه الذاتى بلف ذيله حول عنقه.

طبع كامالا كانتير دابتار أى مجلات كامالا كانتير فى ١٨٧٥م. و بعده، أخرج بانكيم كتابا باسم كامالا كانتير باترا أى رسائل كامالا كانتا. إن هذين الكتابين كليهما مبهج للغاية. إنهما مليئان بكتابات و مقالات تثير السخرية. إن كامالا كانتا كان رجلا كسلان لا يحب العمل البتة. أعطاه إقطاعى محلى يدعى ناسى رام بابو مبلغا تافها من وقت إلى وقت و كذلك أعطته بائعة لبن تدعى براسانا مقدارا قليلا من اللبن مجانا. كان كامالا كانتا مدمنا على تعاطى الأفيون و تحت تاثير الأفيون كان يجوب الآفاق، و لدى عودته إلى صوابه فانه كان يسجل كل أفكاره الوهمية. كان يتجول الشوارع والأزقة حاملا كل ممتلكاته الدنياوية. و هو دفتره ـ مجموعة من الأوراق المسجل فيها أحلام نهاره. فيما يلى نورد نموذجا من أفكاره الخيالية.

كان الإقطاعى غاضبا حيث أن ألوفا من الحشرات حامت حول مصباحه فى غرفة إستقباله بالليل و وضع أباجورة زجاجية لإقصاء الحشرات عن الشعلة. فسمع كامالا كانتا فى حالة سكره بعد أكل مقدار كبير من الأفيون، سمع الحشرات تشكو بأن الإقطاعى كان يحرمها من حقها فى الاحتراق. بعد تأمله هذه الشكوى من الحشرات أظهر كامالا كانتا رأيه قائلا بأن الإنسان أيضا حشرة و إنهم يشتاقون للإحتراق فى لهيب رغباتهم و متى يجدون العراقيل فى سبيلهم إلى ذلك فانهم يظهرون عن بالغ إستياءهم.

نذكر هنا حكاية أخرى و هذه الحكاية مأخوذة من إحدى تلك الرسائل التى كما تقول الرواية، كتبها كامالا كانتا إلى مدير تحرير مجلة بانكيم تشاندارا تدعى بانغادارشان نرى فى هذه الرواية ان القوى هو الفائز دائما. قدم كلب جوعان إلى دار شيبو، تاجر الزيت. كان هذا الكلب هزيلا نحيفا إن هذا المخلوق المسكين بدأ يعول و يتضرع لقليل من الطعام من صحيفة ولد كان يأكل الأرز. فى نفس الوقت دخلت ربة المنزل الغرفة مزمجرة و ابعدت الكلب و ضربته ضربا مبرحا. بعد دقائق ، دخل ثور قوى فناء الدار و بدأ يأكل العلف بينما نظر إليه عجل نظرة بائس. حاولت ربة المنزل إبعاد الثور و لكنه نظر إليها بغضب و أخافها حتى إبتعدت.

فى نهاية مختاراتنا من كامالا كانتا نذكر قطعة هزلية حول العدل. بينما كان كامالا كانتا ينعس بعد أكل مقدار كبير من الأفيون، ظهرت قطة و لعقت اللبن الذى كانت أعطته براسانا، بائعة اللبن. بدأ كامالا كانتا يحوم فى سماء أحلامه الوهمية فتصور أن القطة كانت أتهمت بسرقة اللبن و أحضرت أمام قاض للمحاكمة. بدأت المدافعة عن القطة على المنوال التالى: " فوق كل

شيء، ليس اللبن ملكا لكامالا كانتا و لا براسانا، إنه ملكية مانغالا، البقرة، التى أجبرت على إنتاجه. اذا وجد لأى شخص الحق فى رفع المحاكمة ضدى فهو مانغالا و ثانيا، إننى لعقت اللبن لأن الجوع الشديد أجبرنى على ذلك. بلا ريب فان الجوع هو السبب فى السرقة فليعاقبنى القاضى. و لكن ينبغى له ان يصوم (يمتنع عن الطعام) لثلاثة أيام قبل ذلك حتى يتأكد من أن الجوع يؤدى الى إقتراف السرقة أم لا. و اذا قال بعد صيام ثلاثة أيام أنه يقدر على التماسك بدون التفكير فى سرقة الطعام فيجوز له أن يعاقبنى.

— ٦ —

حتى هنا كنا نناقش بانكيم تشاندارا بصفته أديبا و كاتبا و رأينا أنه على الرغم من قيود عديدة فانه أحدث ثورة فى الأدب البنغالى و أدخل فيه أسلوباً نثريا جديدا و طريقة جديدة لكتابة القصة. و عندما نبحثه بصفته مفكرا فاننا نجد نفس الوضع. أحيانا يبدو لنا أن بعض أفكاره رجعية إلا أن رؤياه إزاء استقلال الوطن أثرت بصورة ملحوظة فى حركة القومية. أحيانا يميل الإنسان إلى رسم خط تقسيم واضح بين المفكرين " التقدميين " و "الرجعيين". إن بعضا من المؤرخين للهند الحديثة قد حاولوا التفريق بين التقدميين و المصلحين من أمثال رام موهان راى و كيشاف تشاندارا سين و بين الإحيائيين والرجعيين من أمثال بانكيم تشاندارا و داياناند ساراسفاتى. فان مثل هذا التعميم قد يكون مضللا. على الرغم من الحقيقة إنهم كانوا إحيائيين بمعنى أنهم إستلهموا أفكارهم من الكتب المقدسة الهندوسية القديمة. و لكن داياناند و بانكيم فى نفس الوقت أيضا قدما أفكارا أعتبرت أفكارا ثورية فى عصرهما.

و لكى نقدر تقديرا معقولا لدور بانكيم كمفكر يجب توجيه أسئلة محددة. هل كان موقفه إزاء النفوذ الغربى الحديث منفيا، و هل كان يمجد بدون أيما إنتقاد كل شيء أوصت لنا به الهند القديمة؟ هل كان يحمى الوضع الراهن فيما يتعلق بالشؤون الإجتماعية و هل عارض الإصلاحات الإجتماعية؟ هل كان طائفى النزعة و مخالفا للمسلمين؟ يمكن الإجابة على السؤال الأول بسهولة. لم يكن من الممكن لأى شخص شابه بانكيم فى القابليات العقلية أن يرفض الغرب تماما. و كما سبق أن قلنا إنه كان تأثر كثيرا بالمعقولية الغربية و الإفادية و الإثباتية و بدون أى شك الأدب الإنجليزى و بخاصة جدا المقالات و السير و القصة. إنه اعترف مرارا أن الهند كان عليها أن تتعلم من الغرب. فعلى سبيل المثال كان يؤكد أن فكرة المواطنية كان أوجدها الغرب. كان يؤمن بضرورة إستخدام وجهة النظر التاريخية و المعقولية الغربية لدى تقييم الديانة و أكد على الإخلاص لتحقيق هذا الهدف. إنما مقالاته الهزلية حول

الأساليب الغربية إستهدفت دائما أولئك الهنود الذين نسوا أصلهم و حاكوا الطرق و الأساليب الغربية تملقا الحكام الغربيين.

أما فيما يتعلق بالإصلاح الإجتماعي فمن الضروري الإعتراف بان بانكيم ككل كان حذرا و لو كان ذلك على رغم أنفه، إزاء تظهيره التدابير و الاجراءات التي شملت الإبتعاد عن التقاليد القديمة. بينما كان إيشوار تشاندارا فيدياساغار و زملاءه في أعمال الإصلاح، يكافحون ضد الأرثوذوكسية و يحاولون إزالة المساوىء الإجتماعية من أمثال زيجة الأطفال و إساءة معاملة الأرامل، تردد بانكيم في دعم الإجراءات القانونية لمنع زيجة الأطفال و السماح بزواج الأرامل للمرة الثانية و كذلك إنه لم يرفع صوته ضد اللا مساواة المتحصلة في النظام الطبقي. قد يبدو غريباً أن بانكيم الذى كان متقدما جدا في مجال الأدب و إنه نادى بالاصلاحات الجذرية و لكنه إتخذ موقفا تقهقريا إزاء الإصلاح الإجتماعي. إلا أنه ليس ذلك غير إعتيادى من الأساس للمحافظة الإجتماعية أن تتمشى مع الأساليب التقدمية في المجالات الأخرى. بعد جيل من بانكيم فان لوك مانيا تيلاك أيضا أعرب عن آراء جذرية إزاء السياسة بينما تمايل إلى الأرثوذوكسية البرهمانية فيما يتعلق بالأعمال الأخرى.

قد يقول البعض، بعد قراءة رواياته و كتاباته الدينية بان بانكيم خالف الإسلام و أيد فكرة " هند هندوسية ". إلا أن دراسة عميقة لأعماله و التأمل فيها سينافى ذلك. لا شك في أنه إستلهم أفكاره من الهندوسية و الكتب الهندوسية المقدسة. و يبدو كذلك أنه لم يدرس باهتمام الديانات الأخرى. إن رام موهان راى كان درس الإسلام. بإهتمام و تعمق فيه و إن كيشاف تشاندارا كانت معلوماته واسعة عن الديانة المسيحية و لكن بخلافهما كان بانكيم تشاندارا مقتنعا بوراثته الهندوسية. و الذى يجدر الذكر هنا أنه لم يكتب شيئا يقلل من عزة الإسلام. إنما حديثه عن بعض الملوك المسلمين و بخاصة جدا عن أكبر يظهر كليًا تقديره البالغ لهم. و في نفس الوقت فان بعض شخصياته الروائية. المسلمة أحسن بكثير من شخصياته الهندوسية. إنه يتحدث ببالغ إحترام عن النساك و الدراويش المسلمين. إن تمجيده للأبطال الراجبوتيين و الماراثيين ضد الحكام المسلمين الضعفاء لا يمكن إعتباره مناوءة ضد الإسلام و المسلمين.

في الختام، من المناسب جدا أن نعود و نؤكد على تلك الخصوصيات المتواجدة في أعمال بانكيم تشاندارا، التي جعلته كاتبا بارزا في تاريخ الهند للقرن التاسع عشر. إن الأمر الذى نجده بصورة ملحوظة في رواياته و مقالاته هو علاقته الوثيقة مع الحياة الواقعة لعامة الناس في القرى. في الوقت الذى إقتصر فيه إهتمام معظم الكتاب على الطبقات العليا فان بانكيم قدم في رواياته الفلاحين من الهندوس و المسلمين و كذلك المغنين المتجولين و الفنانين و فئات أخرى من الشخصيات التي تمثل أرياف الهند. على الرغم من الواقع أن أبطاله و بطلاته ينتمون إلى الطبقات العليا و إلى الأغنياء إلا

أننا نجدهم دائما على إرتباط دائم و وثيق مع عامة الناس. و فى رواياته السياسية فان بانكيم يظهر على الأقل وعياً مبهما إزاء الواقع أن النضال التحررى لابد أن يجذب إلى دائرة نفوذه الجماهير من الأرياف و القرى و ينبغى أن لا يقتصر ذلك على المثقفين المدنيين.

إن بانكيم كان أحد أولئك الكتاب الذين استمتعوا النفوذ فى المجتمع و فكروا فى "هند سليمة ". لم يكن اهتمامه مقتصرا على البنغال. إنه يختار شخصياته الروائية من مختلف أنحاء البلاد مثل بيهار و أوريسا و أسام و راجستان و غوجرات و ماهاراشتارا و البنجاب. و كذلك إن أحداثه الروائية تقع في مختلف أنحاء البلاد. إن الأم التى ترمز إلى الهند هى الأم المشتركة لجميع الهنود فى كل مكان فى العالم. و ذلك أيضا بغض النظر عن إنتماءاتهم الدينية و الطبقات الإجتماعية.

هناك شىء أخر في كتابات بانكيم و هو أنه يؤكد على التعليم بصفة كونه المفتاح الى التقدم القومى و ثم إلى الإستقلال الوطنى، كان تأكيده على التعليم يشكل جزءً أساسيا لوجهة نظره الإنسانية العقلانية. كان يرى أن إدخال التعليم الحديث شكّل خاصية مثبتة للحكم البريطانى فى الهند. كان يرى بانكيم أنه يمكن لنا إزالة المساوئ الإجتماعية فقط عن طريق تعميم التعليم، و حول هذا الموضوع وجد بينه و بين المصلحين من مثل إيشوار تشاندارا فيديا ساغار، وجد خلاف شديد فيما يتعلق بالمشاكل من أمثال الحد من تعدد الزواجات و زواج الأطفال. فان المصلحين وجد لهم أسلوب مزدوج. أولا، إنهم أكدوا أن دهاراما شاستارا أى الكتب و الكتابات المقدسة، لم تؤيد تلك المراسيم و الطقوس و ثانيا، حض هولاء المصلحون الحكومة على التقدم و تسنين القوانين للحد من هذه المراسيم. كان يشعر بانكيم تشاندارا أن لفت إنتباه عامة الناس إلى الكتب المقدسة القديمة للحد من المساوىء الاجتماعية لن يتمخض عن فائدة. و كذلك إن التدخل الحكومى فى هذه الأمور لن يفيد. و يمكن تحقيق الهدف المنشود فقط عن طريق تعميم التعليم الذى وحده يحث الناس على إعادة فحص المراسيم و العقائد السيئة و ثم الغاء ها. و من حسن الإتفاق كان بانكيم أحد الأوائل الذين اوركوا بان اللغة الأم فقط يمكن لها أن تكون وسيلة التعليم المؤثرة فى المراحل الأولى.

و فوق هذا كله، فان كتابات بانكيم تنم عن المواطنية التى لم يتحدث عنها أى كاتب أخر قبله بصورة مؤثرة. يظهر حبه اللانهائىٰ للهند فى كل كتاباته فى الوقت الذى كانت الهند خاضعة فيه خضوعا سياسيا و إقتصاديا و إنها كانت متخلفة فان بانكيم حتى فى ذلك الوقت أيقن يقينا ثابتا بالقوة الهندية الروحانية المخفية. بواسطة أنشودته الخالدة، فانداى ماترام، و بواسطة مثله البطولية و التضحيات الذاتية المقدمة من شخصياته الروائية فان بانكيم تشاندارا حاول جديا إشعال الإحساس بالإفتخار ببلادهم فى قلوب

الهنود و كذلك الإحساس بالثقة و الكرامـة الذاتيتين، و بعـد عقدين فـان سوامى فيفيكاناندا أيضا حث الهنود على الإدراك بمقدرة وطنهم الأم المخفيـة و على الإيمان بان سيكون لها مستقبل باهر. إن هذين الشخصين في القرن التاسع عشر أى السوامى فيفيكاناندا و بانكيم تشاندارا تشاتيرجى، أدخلا فى المجتمع الهندى. رسالة التفكير الإثباتى و الأعمال الديناميكية، فعل ذلك السوامى فيفيكاناندا بواسطة خطبه و أحاديثه بينما حقق ذلك بانكيم بواسطة قلمه القوى . إنهما أعدا الخلفية النفسانية لذلك النضال الملحمى الذى كان أن تخوضه الهند بعد جيل فقط

تعريب: سيّد احسان الرحمن

تراثنـــــا - الرامانا

بقلم : البروفيسور نثارأحمد الفاروقى
رئيس قسم اللغة العربية و آدابها - جامعة دلهى

يرجع تاريخ الفكر الدينى الهندى إلى قرون عديدة. إنه قد تعرض للمحات عصيبة أيضا و لكن بفضل حركات التجديد و الإصلاح قد استعاد روحه من جديد. و بسبب ما بذله أتباع شنكار أشاريا ، فى القرون الماضية ، من جهود مشكورة ، قد كسبت الأفكار الدينية قوة جديدة و طاقة هائلة ، فان التصور الذى قدمه عن البرهما يتشابه تشابها كبيرا عن تعابير التوحيد الخالص. حتى أنه يمكن مقارنته بفلسفة وحدة الوجود. إلاّ أن شنكار أشاريا (SHANKARACHARYA) قد غاص فى بحثه عن الفكر و الفلسفة إلى عمق كبير فصار تصوره عن البرهما غامضا و لم يعد للعامة أو الناس من ذوى عقول متوسطة أيضا ارتباط حماسى به . فجاء راما ننذا (RAMANANDA) ليسُدّ هذا النقص بتعاليمه البسيطة. فقد كان له إثنا عشر تلميذا و هم قاموا بتفسير و شرح أفكار فيشنو (VISHNU) بأسلوب سلس و جذاب ممتع. فكان من أثر ذلك أن الهنـد كلها قد استغـرق فى بحر العشق و التفانـى. و كان من هؤلاء التلامذة تلسي داس (TULSIDASA) الذى هو مظهر للتفانى فى حبّ راما. و الآخر منهم الشاعر سور داس (SURDASA) الذى هو مثال للحب لكريشنا (KRISHNA). و قد كان كبير داس (KABIR DASA) ممن ثاروا على التقاليد الظاهرة البالية الدينية و لقنوا الناس دروس الحب و الإخلاص. كما تعرّض رائى داس (RAIDASA) للفكر الروحى لعامة الناس. إن أقوال "كبيـر" و "رائى" توجد فى "جرو جرانت صاحب" (GURU GRANTH SAHIB). فهكذا دخلت عناصر التسامح و الإخاء و التآلف و نبـذ الفـرق بين اللـون و النسل فى الأفكار الدينية. فغيرت تعليماتهم و نغماتهم المبنية على الحب و المودة لون المجتمع تماما. و إن الديانة التى كانت تنكمش دائرتها يوما فيوما بسبب سيادة الطبقية ، قد كسبت شعبيتها بين الناس. فقد كان من

أقوال رامانند أنه من حق كل إنسان أن يكون لديه الولع و الشوق للبلوغ إلى الله و التقرب إليه. و ليس ذلك من إختصاص فئة خاصة. و إن الهدف الأصلى فى الدين ليس التقاليد الظاهرة و إنما الغرض المنشود هو إدراك روحها و ما ذلك إلاّ الحبّ.

پوتهی پڑھ پڑھ جگ مُوا ، پنڈت بهَیا نہ کوئے
ڈھائـی انچهر پریم کے پڑھے ، سو پنـڈت ہوئے
(کبیر داس)
[لا يمكن لإنسان أن يكون عالما حقيقيا بمجرد قراءة الكتب،
مالم يعرف كلمات عديدة عن الحب.]

كانت الأبحاث الدينية كلها توجد إلى ذلك الحين بالسنسكرتية. و قد ظلت هذه اللغة تبتعد عن عامة الناس حتى صارت لغة رجال الدين فحسب. لذلك قرر تلامذة رامانند اتخاذ اللغات الشعبية وسيلة لنشر حركة كرشنا بهكتى و راما بهكتى. و فيها عبروا عن أفكارهم. مما نتجت عن أن الهند كلها أخذت تطرب من النشوة الروحيـــة. و قد هـــزت نغمـات جائسـى (JAISI)، و رحيمن (RAHIM) ، و تلسى داس ، و سور داس ، و ميرا ، المنغمسة فى الحب ، الهند كلها هزا عنيفا مما بدأ التصور إزاء الإنسانية و اللون يتغير بصميمه. و على هذا بمقدورنا أن نقول أن لهؤلاء الصفوة من أزكياء القلب فضل عظيم على أهل الهند. كما أن آداب اللغات الحديثة الهندية كلها صارت غنية بفضلهم. فلولا حركة بهكتى (BHAKTI) لما كان الأدب الهندى على ما هو عليه الآن.

كان الشاعر تلسى داس من أبرز هؤلاء الأفذاذ و أجلّهـم شأنا إلاّ أنـه لا يتوفر لدينا معلومات كافية و موثوق بها عن حياته. لأنه يبلغ إلى المرتبة الرفيعـة مـن الإبداع و الإبتكار حيث يتلاشى المبدع فيما أبدعه و لا تبقى للفنان شخصيته عليحدة عن فنّه. فكما لا نستطيع أن نرسم خطا فاصلا بين ذات خالق الكون و صفاته ، هكذا لايمكن لنا أن نرى فنانا عظيما إلاّ من خلال فنه الخالد.

و كذلك هناك اختلاف فى موطن تلسى داس ، و لكن يرى معظم الباحثين أنه ولد فى قرية على شاطئ نهر الجمنا بالقرب من إله آباد. و كانت أمه تدعى هلسى (Hulsi) و التى ماتت تاركة له و هو ابن أربعة أيام كما وافى الأجل أباه أيضا فى طفولته. كانت ميلاد تلسى داس فى أيام الإمبراطور "اكبر" فى عام ١٥٣٢م تقريبا. و قد أمضى أيام طفولته فى بؤس و عسر شديد. فعانى الفاقة أياما متواصلة فى بعض الأحيان و لم يتيسر له حبة ليسد به رمقه ... فجعله هذا البـؤس و الشقـاء يشعـر بآلام الآخـرين

و معاناتهم. إنه يرى أن التفانى فى شخصية راما هو فى الحقيقــة علاج لآلام و مصائب عامة الناس فهــذا هــو سرقبوليــة الراماينا التى تعاد قصصــه و الأحداث الواردة فيها على خشبة المسرح بمناسبة عيد الاحتفال براما كل عام فى جميع أرجاء البلاد. و يقرأ فى كل مكان برغبة شديدة. و خاصة الأطفال يميلون إلى حفظ أبياته كثيرا. فمعنى ذلك أن تلسى داس لم ينته بعد من تأليف الراماينا و إبداعه بل أنه مازال يسطره على أوراق قلوب الهنود و مخيلاتهم.

نشأ تلسى داس و تربى و تعلم بكفالة الجرو هرى داس (HARI DASA) كما أخذ العلم عن العلماء و البراهمة المثقفين الآخرين أيضا. مكث مدة طويلة فى مدينة كاشى و لعله تزوج فيها ، كانت زوجته تسمى "رتناولى". و يروى أنه كان يحبها حبا شديدا. فمرة سافرت زوجته إلى بيت أبيها. فقصد تلسى داس إليها و هو فى شدة الألم و الحزن من فراقها. و قد تجشم فى الطريق مشقات كثيرة. فلما انتهى إلى قرية زوجته ، كان الليل قد انتصف. أيقظ أهل البيت. فاستغربت الزوجة كثيرا و قالت له ساخرة. أنت تهيم فى حب هيكل مكون من لحم و عظم إلى هذا الحد. فلو كنت تحب اللّه مثل هذا ، لكنت قد عبرت بحار الصعوبات ، فشاء القدر أن يصيب سهم كلامها الهدف. فقفل راجعا و هجر وطنه و ظل يتنقل مدة طويلة ليزور الأماكن المقدسة. و كانت شخصية الشرى راما شندرا شخصية مثالية و أســوة حسنــة بالنسبــة له. و كان قد أفنى نفسه فى حبّه. فأحب أن يطوف كل الأماكن التى ورد ذكرها فى سيرة راما شندرا. و مضى مدة ١٩ عاما من عمره فى هذه الجولة. و يقال إنه لما وصل إلى قرية بالقرب من شاه أباد ، أكرمه أهالى أسرة فلاحة. فباركهم تلسى داس و قال لهم إذا لم ترتكبوا السرقة فسوف تظل أســرتكم و سلالتكم تنعم بالرفاهية و تسعد برغد العيش و الهناء دائما. فحقا تعيش تلك السلالة حتى الآن فى اليسر و السعادة متصفة بالكرم و الضيافة. و بعد أن انتهى من زيارات الأماكن المقدسة، عاد إلى مدينـة شتركوت(CHITRAKOT) فحدث أن قابــل الشاعر الملهم الكبيــر سور داس. و مستلهما منــه القــوة و النشاط بدأ يؤلف راما چرت مانس (RAMACHARITRA MANASA).

لتلسى داس مؤلفات عديدة. حتى أن بعض الناس قد جمعوا ما راق لهم من كتاباته فى مؤلفات مستقلة و يمتد عصر تلسى داس إلى ٤٤ سنة. قد ألف خلالها ٢٠ كتابا. و من أشهرها راما شرت مانس ، و رام جيتاولى (RAMAGITAWALI)، ونى بتريكا ، و دوهاولى (DOHAWALI)، و كريشن جيتاولى.

و الأهم من هذه الكتب ، راما شرت مانس ، و فيها سبعة أبواب (كاند) تعرض أحداثها على خشبة المسارح كل عام فى أيام الاحتفال بعيد ميلاد راما. إنه بــدأ كتابة الراماينــا فى مدينــة أيودهيــا (AYODHYA) و هــو فى سن

٤٢ سنة. و قد أنفق فى كتابته مدة عامين و سبعة شهور و ٢٦ يوما. و فيه ٢٧ بابا و ٤٣٤٧ قطعـة و ١٩٣ قطعـة من بيتين و ٨٧ قطعـة من ٨ أبيات ، و ٢١٤ قطعة من ٦ أبيات. و القصة هى نفس ما وردت فى كتاب الرامايانا السنسكرتى لفالميكى (VALMIKI). و هذا الكتاب معروف جدا و لا حاجة إلى إعادة ذكرها

إن ذكر الآداب العالمية يستلزم ذكر كتابين عظيمين من الهند و هما قصتا شكنتلا لكالى داس و الرامايانا لتلسى داس. و لهذا الأخير روعة فنية و أدبية كبيرة و مزايا عديدة حسنة لا حصر لها حتى يصعب ذكر كلها. فقد قال تاجور(TAGORE) أن تلسى داس قد بذر فى أرواح عامة الناس الخصبة فى الهند بذورا تظل تنبت و تنمو و تثمر قرونا عديدة. و لن تقل نضرتها. و استعان تلسى داس فى تصنيف الرامائنا بكتب أخرى أيضا و يظهر مـن الألفاظ و الكلمات العربية و الفارسية التى استخدمها فيه أنه كان عارفا بالخط العربى و الفارسى أيضا. و فى بعض الأبيات نـرى عكسـا لأشعـار *كلستان* و *بوستان* للسعدى الشيرازى . و يعتبر عصر تلسى داس الذى يصادف عهد الإمبراطور أكبر متميزا بازدهار التكامل القومى و الثقافة المشتركة و فى ذلك العهد أشرف الملك نفسه على نقل المهابهارتا و الجيتا (GITA) إلى الفارسية. و كان الملا عبدالقادر البدايونى أيضا بين مترجمى الرامائنا لفالميكى قد ترجم الفيضى فياضى الجيتـا نظما إلى الفارسيـة. و فى نفس العصر عاش الشاعر الهندى العديم النظير عبدالرحيم خانخـان. و كان على صلة ودية مع تلسى داس.

توفى تلسى داس فى عمر ٩١ سنة فى عام ١٦٢٣م. قد أنفق حياته كلها فى كتابة مدح راما. و أظهر فيه براعته الفائقة بحيث أن تحليلها الفنى يحتاج إلى عمل مضنى. كان تلسى داس يتحلى بالعطف و الحنو و الإخـلاص و التواضع. و كان رقيق الحاشية و طيب القلب يتألم بآلام الآخرين و لم يعد يطيقه. إنه كان بارعا جدا فى وصف الشخصيات فى راما شرت مانس. فيتمثل أمامنا الأنماط البشرية فى شكل الزوجة و الـزوج و الأخ و الصديق و العدو و الملك و الرعية بجلاء و وضوح تام و عبرة صادقة.

من هذا الكتاب لا يتضح معتقداته و ولائه فحسب. و إنما يتجلى فيه علمه و فضله و إدراكه بطبيعة الإنسان و نفسيته أيضا. كما يعرف منه براعته و قوته على علوم الرياضة و النجوم و الفلسفة و علم النباتات و الأدب الرفيع. إنه كان شاعرا شعبيا بمعنى الكلمة. قد عبر ما كان يجول فى خاطر عامة الناس و لم يكن غافلا عن مهمة إصلاح الخلق. فنراه دائما يسدى إلى قارئيه عند كل خطوة دروسا خلقية و نصائح طيبة. و إن صور المناظر الطبيعية التى صورها تلسى داس تفوق جدا على كثير من كبـار الأدبـاء و الشعراء فى الآداب العالمية. كما أن له يد طولى و براعة فائقة فى التعبير

عن عالم الجمال و العشق فيصوره بأسلوب مؤثر و بليغ و شيق ممتع. فعندما تناول موضوعا ينطوي على خطورة بالغة و هو شخصيّة راما تشاندر الذى هو إله بالنسبة له و زوجته سيتا التى هى قديسة طاهره ، فكان بارعا جدا فى مدح جمالهما و رشاقتهما بحيث أنه لم يتجاوز حدود القداسة. و فى نفس الوقت بقيت روعة الجزالة فى صياغة الفكرة بطريقة كاملة. و هكذا هو يظهر مقدرته الفنية فى التعبير عن العواطف المختلفة على نحو جيد مع مراعاة الكلمات حسب مستوى كل فرد و انتمائه إلى الطبقة. و هو يشتهر بلقب ملك التشبيه أيضا. فهو يشبه الأشياء بطريقة يستحيل الإضافة إليه بشىء. فمثلا يقول . انغلق لسان سيتا بالخجل كما تنغلق الفراشة فى زهرة اللوتس.

يشجعنـــا تلســى داس على بناء عالم تسوده الراحة و السعادة و الحب و لا يؤلم فيه شخص أحدا آخر. و لا تكون النفعية و المصلحة الذاتية و الكسل بل يكون فيه العدل و الحق. و قد رتب الأجزاء السبعة فى راما شرت مانس بحيث يتجلـى فيـــه كل صورة من صور الحياة. و فى الباب الأخير بيان لرام راج (RAMA RAJYA) أى حكومة راما التى هى صورة مثالية لمجتمع نموذجى.

فمجمل القول إن الرامايـنا لتلسى داس تراث مجيد و ثروة هائلة جليلة الشان ، رفيعة المكانة و يمكن أن نضعه أمام العالم و آدابه بدون أى تردد.

الحلقة الرابعة :

ندوة العلماء عبر التاريخ

بقلم : آفتاب عالم الندوي
دار العلوم ندوة العلماء -لكناؤ

الصحافة الإسلامية الأردية والعربية :

تحتل الصحافة الإسلامية مكانة جوهرية فى تكوين اتجاه أدبى خلقى ، و إنشاء نزعة دينية سياسية ، و هى التى لعبت و لا تزال تلعب دورها الرائع بتنشئة الفكر الدينى، و تغذى عقلية الشعب المسلم بقيم و مثل خلقية، و تمنعها من الانحراف مع تيار الحضارة الغربية التى هى أخدع من السراب ، كما أن لها إسهاما كبيرا فى توجيه النشئ الإسلامى توجيها صحيحا هادفا و إيجاد فوج من الكتاب المؤلفين و السياسيين ممن لهم أوفر سهم فى العلم و الأدب و أروع دور فى تطوير مناحى الثقافة الإسلامية و توسيع آفاقها ، و قد تصاعدت أهميتها أخيرا حتى أصبحت تحتل مكانا محوريا تدور حوله الحياة ، و يتوقف عليه كثير من شئون الحياة الإنسانية ، و عادت تعتبر سياج الوطن و سلاح السياسة و مجمع العلماء و الأدباء ، فبادرت ندوة العلماء أن تستغل هذه الوسيلة الناجحة فى سبيل دفع عجلة الدعوة الإسلامية إلى الأمام بقوة و نشاط و القيام بدورها الريادى فى مجال الفكر و العلم ، و ذلك لأن الأهداف النبيلة التى تتبناها ندوة العلماء و تدعو إليها يتوقف تحققها شيئا كثيرا على اتخاذ مثل هذه الصحافة الإسلامية البناءة قاعدة صلبة تنطلق منها لبث فكرتها و دعوتها و مواجهة التحديات المعاصرة ، فشمرت عن ساق جدها ، و خاضت مضمارها لتصدر مجلتها الموقرة "*الندوة*" الشهيرة التى قدر لها أن تكون لسان حالها بأوسع معنى الكلمة ، و تكون نموذجا مثاليا يقتدى بها فى مجال الصحافة الإسلامية الملتزمة.

مجلة "الندوة":

و هنا ظهر أول عدد "الندوة" الشهيرة الأردية في أغسطس سنة ١٩٠٤م الموافق جمادى الأولى سنة ١٣٢٢هـ تحت رئاسة تحرير العلامة شبلي النعماني و العلامة حبيب الرحمن خان الشرواني ، و تولى شئونها الإدارية الشيخ عبدالحي الحسني.

و مع أن "الندوة" صدرت مبدئيا كلسان حال ندوة العلماء و عن معهدها و لكنها لم تكن كالدوريات التى تصدرها الدوائر التعليمية عادة ، بل إنها كانت بمثابة ثورة فى الصحافة الإسلامية بالهند ، و لها فضل كبير فى رفع مستواها فى المادة المنشورة و فى مظهرها و ترتيبها و كذلك فى تبنيها للأسس الحديثة للصحافة.

أدوار مختلفة "للندوة" :

أكملت الندوة دورها الأول فى مايو سنة ١٩١٢م و هو ما يمكن أن يسمى عصرها الذهبى ، و تولى بعد ذلك إدارتها مولانا عبدالكريم أحد مدرسى دارالعلوم ندوة العلماء ، إلى أن آلت مسئولية الإدارة بعد بضعة أشهر إلى مولانا إكرام الله خان الندوى الذى استمر فى تحريرها إلى ديسمبر سنة ١٩١٦م ، ثم توقف صدورها لأسباب يطول ذكرها ، و يمكن أن نسمى هذه الفترة الدور الثانى لمجلة " الندوة " ، ثم عاد إلى الظهور بعد إثنين وعشرين سنة تقريباً فى يناير سنة ١٩٤٠م للمرة الثالثة تحت رئاسة تحرير مولانا أبي الحسن الندوي و عبدالسلام القدوائي النـــدوي بكل قــوة و نشاط و بكمال محتوياتها و جمال ديباجها ، و لكن لم تطل مدتها أكثر من ثلاث سنوات ، حتى توقف صدورها سنة ١٩٤٢م نهائيا ، و حدث فى الأوساط العلمية فراغ هائل دام طويلا.

أهداف المجلة و مزاياها : استهدفت المجلة جوهريا:

١- بث الدعوة الإسلامية و ايجاد الانتعاش الفكرى فى الأمة الإسلامية.
٢- تعريف بدعوة ندوة العلماء و تطوير حركتها.
٣- إحياء العلوم الإسلامية و التراث القديم.
٤- دراسة و مقارنة بين العلوم القديمة و الحديثة.
٥- دحض الشبهات المثارة عن الإسلام من قبل الباحثين المستشرقين فى أسلوب علمى رصين.
٦- الاعتناء الزائد بمنهاج التعليم و دراسته و تقديمه.

و قد استفاد منها طلبة دارالعلوم أنفسهم كثيرا. و إن المتخرجين من ندوة العلماء الذين تمتعوا بالمكانة الممتازة فى مجال الكتابة و التاليف إنما استهلوا كتاباتهم فى غضون رياض هذه المجلة ، فالشهرة العلمية التى أحرزهـا العلامــة السيد سليمان النــدوي و مولانا عبــدالسلام النــدوي و إكرام الله خان الندوي و عبدالرحمن نغرامى الندوي و ضياء الحسن العلوي الندوي إنما هى مدينة لمجلة "الندوة".

عرفت مجلة الندوة بعدة شخصيات حازت فيما بعد مكانة مرموقة فى مجال الأدب و الصحافة و الاجتماع و السياسة ، من أبرزها و أقدرها مولانا أبوالكلام آزاد الذى شغل مساعدة رئاسة تحرير مجلة الندوة من أكتوبر ١٩٠٥م إلى مارتش ١٩٠٦ ، ثم التحق بعد ذلك بجريدة "وكيل" الأردية الصادرة من أمرتسر (بنجاب) إلى أن أصدر جريدته الأسبوعية الشهيرة "الهلال" سنة ١٩١٢م ، و *استطاع* بمقالاته الأدبية *العلمية* و ذكائه *الحاد* و كفاءاته *الفريدة* أن يحرز شهرة فائقة و مكانة علمية كبيرة فى مجــال العلم و الصحافة و الأدب و التاريخ.

و إن مولانا عبدالله العمادى لم تتجل هويته العلمية بأروع أشكالها إلاّ بعد إقامته لكناؤ سنة ١٩٠٥م و رئاسة تحريره لمجلة "الندوة" و من هنا تسنى له أن يساهم فى رئاسة تحرير كل من جريدة "وكيل" بامرتسر و "زميندار" بلاهور و "الهلال" بكلكتا ، ثم اشتغل بوظيفة الترجمة مدة من الزمن فى دارالترجمة لجامعة عثمانية حيدرآباد ، و تولى عضوية الأوساط العلمية هناك.

و التزمت الندوة تحقيقا لكل ذلك بالمستوى العالى فى الإخراج و المظهر فى الطباعة و ترتيب المواد و نوعية القرطاس ، مع علو مستواها فى منشوراتها و التزامها بالمنهج العلمى و الأسلوب العصرى الرشيق.

و من حسن حظها أن رزقت شخصيات بارزة جدا للقيام بمسئولية التحرير مثل العلامة شبلى النعمانى و العلامة حبيب الرحمن خان الشرواني و أبي الحسن علي الحسني الندوي ، و شارك فيها كبــار العلمــاء و المفكرين بانتاجاتهم الفكرية ، و جولاتهم العلمية الموضوعية و بحوثهم القيمة المكتوبة "بأسلوب المكثف".

كما أنها قدمت صحافة إسلامية مثالية اقتدت بهــا المجلات و الصحف و تربت عليها الأجيال ، و تخرج فى مدرستها الرجال.

حصائد "الندوة" العلمية و الأدبية :

الإنتصارات العلمية الباهرة التى أحرزتها "الندوة" و النتائج العلمية التــى أحدثتها فــى طول البلاد ذكرها العلامة السيــد سليمان الندوي

مرقما بما يلى:

١- انتجت ثروة قيمة كبيرة للبحوث العلمية فى اللغة الأردية.
٢- عرفت المثقفين بالثقافة العصرية بمآثر الإسلام الدينية و العلمية.
٣- عرفت طبقة العلماء بالقضايا المستجدة.
٤- أنشأت فى الطلبة الدارسين للغة العربية صلاحية الاستفادة من ثرواتهم العلمية القديمة.
٥- قامت بدحض كثير من الشبهات التى أثيرت حول الإسلام و التاريخ الإسلامى.
٦- ساهمت فى نشر أهداف ندوة العلماء و ترويجها فى الشعب، و أكدت على ضرورة إصلاح المنهاج الدراسى ، و قررت أهمية التعليم العربى (١).

آراء كبار الكتاب فى "الندوة" :

يقول فيها الشيخ سليمان الندوى.

"ربما كانت " الندوة " المجلة الأولى التى حركت الفكر الجامد لدى أولئك الذين كانت جل جهودهم تدور حول نقاط معينة من النظريات الفلسفية العتيقة و علم المنطق الجاف القليل الجدوى، و إنها أحدثت ثورة فى تفكير طائفة العلماء و فتحت أمامهم مجالات جديدة للبحث و التنقيب " (٢)

و يقول فيها الشيخ محمد إكرام .

أدت خدمة علمية جليلة للأمة و ساهمت فى تعميم دعوة ندوة العلماء إلى نطاق أوسع و ساعدت فى تربية كفاءات الناشئة."

و أشاد بها عبدالحليم شرر فى كلمات :

" الندوة فى الواقع من جلائـل أعمال شبلى النعمانى ، و هو أسدى عن طريقها إلى الأمة تراثا تاريخيـا ضخمـا و تناول فيها عدة مواضيع بالبحث و التحقيق". (٣)

و قال فيها إمداد الصابرى :

" نشرت فيها بحوث علمية دقيقة ، و مستواها فى الطباعـة و الإخراج كان عاليا." (٤)

و أشاد بها عبدالماجد الدريابادى ، حيث قال :

" *ملكت "الندوة" إعجابى بحيث أن الصحف الأخرى فقدت اهميتها فى نظرى"* (٥).

مجلة الضياء :

إن غاية العناية التى بذلتها ندوة العلماء على التعبير و الأدب العربى كان يقتضى أن تكون لها مجلة تمثلها فى مجال العربية كالندوة لسان حالها فى الأردية ، و يتم بها بث الفكر الإسلامى و الدعوة الدينية فى العالم الإسلامى بنطاق واسع ، و تكون همزة وصل بين الهند و العالم الإسلامى علميا ، ثقافيا.

فأصدرت ندوة العلماء تحقيقا لذلك مجلة *الضياء* فى شهر محرم الحرام سنة ١٣٥١هـ الموافق مايو سنة ١٩٣٢م ، فى عهد إشراف العلامة الدكتور السيد عبدالعلي الحسني لندوة العلماء ، و ذلك تحت إدارة المرحوم مسعودعالم الندوي و بإشراف الأستاذين الجليلين العلامة السيد سليمان الندوي ، و الشيخ تقى الدين الهلالي مع المشاركة فى التحرير لكل من الأستاذين أبي الحسن علي الندوي و محمّد ناظم الندوي.

اهمية المجلة و تاثيرها فى الصحافة العربية فى الهند :

طلعت مجلة *"الضياء"* فى آفاق الصحافة الإسلامية و هى من رواد الصحافة العربية بشبه القارة الهندية ، حازت الثقة و التقدير فى أوساط الأدب الإسلامى فى البلاد العربية و من شخصياتها الإسلامية البارزة ، و كانت فى مجال الصحافة الإسلامية العربية فى الهند ضياء وهاجاً بكل ما فى الكلمة من معنى يسطع فيها ، و ذلك لأنها برزت على مسرح الصحافة و كانت اللغة العربية بالهند فريسة الجمود و الركود و تقليد الزخرفة اللفظية. (٦)

و من حسن حظ هذه المجلة أن رزقت لإدارتها شخصية كبيرة للشيخ المرحوم مسعود عالم الندوي الذى هو علم من أعلام الهند البارزين فى الأدب العربي و رائد من رواد الفكر الإسلامى و الحركة الدينية ، فوصلت المجلة بفضل جهوده إلى عليا، الصحافة الإسلامية بالهند آنذاك.

و إن مجلة *الضياء* أحدثت ـ بطبيعة الحال ـ ثورة فكرية فى الدوائر العربية بالهند ، حيث خرجت هذه الدوائر التى طالما أهملت اللغة العربية كلغة حية مدارها الضيق ، و أقامت نوادى و جمعيات للتمرين باللغة العربية

نطقا و كتابة ، و أصدرت صحفا و مجلات و دوريات تعتني بهذه اللغة اعتناء زائدا.

و للأسف أن مجلة *الضياء* توقف صدورها بعد أربع سنوات سنة ١٩٣٥م لبعض الظروف القاسرة ، غير أن أضواء دعوتها الساطعة بقيت لامعة نيرة و خصصت مكانتها اللائقة في تاريخ الصحافة العربية في الهند ، و تجلت بها الكفاءات و المواهب العلمية و الأدبية لكل من مسعود عالم الندوي و مولانا أبي الحسن علي الحسني الندوي و مولانا محمّد ناظم الندوي و مولانا عبدالرحمن كاشغرى و مولانا أبي الليث الندوي ، و برز بها عدة كتاب جدد ، و تصاعد الاعتناء باتقان اللغة العربية و آدابها نطقا و كتابة في طلبة المدارس العربية بصورة عامة.

صدى المجلة في العالم العربي الإسلامي و آراء كبار الشخصيات فيها:

نالت مجلة الضياء قبول و تقدير الدوائر المثقفة في البلاد العربية ، حيث نوهت بها عدة دوريات صادرة في هذه البلاد إلى جانب كلمات أشادت بها الشخصيات البارزة من العلماء و المفكرين و كبار الصحفيين ، فالأستاذ أمير ناصرالدين اللبناني الذي كان مرهف الحِسّ في الانتقاد الأدبي و كان معروفا في ذلك إلى حد سوء السمعة قد علق على مجلة *الضياء* في جريدته "*الصفاء*" بكلمات رفيعة سميكة :

> " *في مدينة "لكناؤ" مجلة عربية إسمها الضياء مشتملة عن البحوث الإسلامية على كل مفيد ، و ليس في الهند مجلة و لا جريدة عربية اللغة سواها ، هي أصح لغة و أروع أسلوبا من أكثر الجرائد و المجلات التي تنشر في الأقطار العربية.*" (٧)

و كذلك أشادت بها صحيفة "*العرفان*" الشامية في كلمات:

> " *تحمل مجلة "الضياء" مشعال الضياء و الهداية و تنشر المواضيع النافعة و لولا طبعها الحجري و هو غير مألوف اليوم لعددناها في طليعة مجلاتنا العربية الراقية ، لأنها في قطر أعجمي.*" (٨)

كان الباحث المسيحي الأب "انستاس كرملي" صاحب مجلة "*لغة العرب*" مدققا للغاية في انتقاداته الأدبية و تنقيباته اللغوية مع ذلك يقول في رسالة كتبها إلى رئيس التحرير الأستاذ مسعود عالم الندوي:

" سيدى الجليل ، ألقبكم بالعلامة و إن كنتم فى حداثة السن ، و ليست العبرة بالعمر ، إنما العبرة بالعلم ، أرى فى مجلتكم أنها تردم ثغرة واسعة فى الأدب و عسى أن تنجحوا فى مساعيكم." (٩)

و قالت فيها مجلة العرب القدسية الغراء :

" الضياء مشعل من مشاعل الثقافة الإسلامية الصحفية فى الهند للدين و الأدب و التاريخ و الاجتماع ..... و لو أنها تطبع بالحروف المعتادة فى البلاد العربية لما استطاعت أن تميزها من أرقى المجلات الصادرة فى العواصم العربية - الكبرى." (١٠)

مجلة البعث الإسلامى:

قد تكللت مساعى ندوة العلماء بالنجاح فى خلق جوّ عربى أصيل فى هذه البلاد البعيدة عن مهد العروبة و الإسلام ، بحيث أصبحت تعتبر هى الواقعة فى لكناؤ بالهند واحة اللغة العربية و إن الزائر الغريب قد لا يشعر أنه فى بيئة غير مألوفة ، و ذلك لشدة اعتناء أصحاب هذه الدار بهذه اللغة الأثيرة المجيبة و شغفهم بها منذ ما تأسست ، و كان هذا الاعتناء له الفضل فى إصدار مجلتى *"البيان"* ثم *"الضياء"* العربيتين الباهرتين.

و فى هذه الدار نفسها نبتت شجرة كريمة باسم مجلة *"البعث الإسلامى"* و كتب لها الإزدهار و التقدم إلى أنها عادت تضارع شقيقاتها الصادرة فى البلاد العربية نفسها بل فاقت الكثيرات منها.

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمّد الحسني رحمه الله (المتوفى ١٩٧٩م) فأصدر عن ناديه الأدبي المعروف بـ "المنتدى الأدبي" بمساعدة كل من زميله الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي و الدكتور محمّد اجتباء الندوي، و من هنا ظهرت أعظم جريدة فى تاريخ الصحافة الإسلامية العربية بالهند فى شهر اكتوبر عام ١٩٥٥م ، و تنبتها ندوة العلماء فى عام ١٩٦٠م. بداية من عدد شهر مارس، فانها تصدرفى هذه الأيام كلسان حال ندوة العلماء و يتولى مسئولية تحريرها فى هذه الأيام كل من الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي و الأستاذ واضح رشيد الندوي الذى أضيف مؤخرا إلى هيئة تحريرها بعدما عاجلت المنية رئيس تحريرها الشاب العبقرى محمّد الحسني رحمه الله.

أهداف المجلة و مزاياها :

إن الأهداف السامية التى تتبناها مجلة *البعث الإسلامي* كلها تنبع من شعارها الذى نراه مكتوبا دائما على واجهة المجلة و هو "شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد" ، غير أنها تتبلور بايجاز فيما يلى :

١- إحداث صحوة إسلامية فى الجيل الناشئ.
٢- الذود عن حوزة الإسلام فى كل مناسبة تم فيها توجيه انتقاد إلى الإسلام من قبل المسلمين المتنورين المفترين أو من غيرهم.
٣- تقديم موجز الأنباء عن العالم الإسلامى مع التعليق عليها.
٤- الاعتناء الزائد بالأدب العربى فى الهند و تنشئة الذوق العربى و تشحيذه.
٥- التعريف بالشخصيات الإسلامية و إحياء التراث الإسلامى.
٦- تعريف و بث فكرة ندوة العلماء و تعميم دعوتها المتزنة الشاملة.

و أما مزايا هذه المجلة فيمكن أن نوجزها بالتالى:

١- إنها لسان حال الدعوة الإسلامية و من حصاد القلم المسلم الجرى الألمعى فى وقت خفتت فيه الأصوات و احتبست الأنفاس و انكسرت الأقلام ، و اختلط الحابل بالنابل و الحق بالباطل.
٢- الكتاب فى أسلوب قوى حديث جذاب و التزام آداب و مميزات الصحافة المعاصرة.
٣- كلمات افتتاحية مؤثرة بقلم رئيس التحرير يعالج فيها بصورة عامة قضايا العصر الراهن و مشاكله المستجدة.
٤- محاماة الدعوات الإسلامية مثل "الإخوان المسلمين" و غيرها.
٥- الاعتناء بشئون البلاد العربية بصورة خاصة و التعليق عليها.
٦- نشر البحوث القيمة المكتوبة بأسلوب المكثف و مع عدم الإنحيازالفكرى.

خدمات مجلة البعث الإسلامى:

مجلة "*البعث الإسلامى*" أعظم مجلة فى تاريخ الصحافة العربية بالهند من حيث المستوى و الإنتشار و أنها قدمت دائما ـ و لا تزال ـ فكرا سليما و مواد دسمة ، و تكاتفت دائما مع جميع الدعوات الصالحة فى سائر العالم الإسلامى ، و اتخذت موقفا حادا تجاه اولئك الذين رضعوا العراقيل فى

سبيل تلك الدعوات أو حاولوا إجهاضها ، و سلكت دائما طريق النقد الهادف إذا احتاجت إلى الانتقاد ، و قد لقى فى ذلك أصحابها بعض الأحيـــان ضغوطا و مضايقات عنيفة من قبل الدوائر الحكومية ، وقع ذلك عندما نشرت المجلة مواضيع ملتهبة عن الاضطرابات الطائفية بالهند أو عن عمليات قمع الحركات الدينية و إجهاضها فى بعض البلاد العربية.

و أدت المجلة دوراً رائعاً فى إزاحة اللثام عن وجه بعض قيادات مسعورة كان من دابها إجهاض الحركات الإسلامية و القضاء على سائر النشاطات الممارســـة لإنعـــاش الحركـــة الدينية و بعث الصحوة الإسلاميـــة فـــى العالم الإسلامى. و بما أنها حملت من أول يومها دعوة إلى الأمة الإسلامية تنبع من قلب متوجع و قلم جريئ تمكنت من تمثيل الأوساط الدينية بصراحة تامة فى مواقف حرجة مختلفة.

تصدت للدفاع عن العناصر التى تقع فريسة العنف و الكبت لآجل الدين و العقيدة فى أنحاء المعمورة ، حتى كأنها أصبحت لسان حال تلك العناصر أو الدعوات.

كما أن لها فضلا كبيرا فى إشاعة الذوق العربى النزيه فى أرض الهند التى لاقت فيها اللغة العربية الإهمال الشديد من قبل سكانها ، و هى الرائدة فى مجال الصحافة العربية حيث صدرت على غرارها دوريات عديدة باللغة العربية فى الهند.

آراء كبار الكتاب فيها :

نالت مجلة *البعث الإسلامى* قبولا و ترحابا فى الأوساط المثقفة فى البلاد العربية و غيرها على السواء ، و حظيت فيها بالتقدير و الإعجاب فوق ما يتصور ، و إليكم فى ذلك كلمة رئيس تحرير مجلة الرابطة الإسلامية بالتالى:

> *" تواصل مجلة البعث الإسلامى أداء دورها الإسلامـــي الكبيـــر و تحافظ على نقاء الفكرة و أصالة المضمون و صـــدق الكلمـــة و نزاهة الحرف ، و بقيت تكافـــح كل التيـــارات المعارضـــة ، و تنافح عن الإسلام و مبادئه." (١١)*

و يقول عنها فضيلة عبدالله خياط خطيب المسجد الحرام فى كلمة له نشرت فى *البعث الإسلامى*:

> *" لقد كان من حقى أن أسهم فى الكتابة دوما لهذه المجلة لأنها كما أعتقد المجلة الرصينة الرشيدة المسددة التى تسلك*

الطريق دون حيدة فى المذهب أو انحراف عن المنهج رغم أنها تصدر وسط العواصف الهوج و فى بلد قد يكون الكثيرون فيه على غير منهجها إن لم يكونوا مناهضين لها." (١٢)

و يقول الأستاذ محمّد ابراهيم بخات المغربي فى كلمة أشاد فيها بندوة العلماء و مجلة *البعث* الإسلامي و قد نشرت فى مجلة *البعث الإسلامي*:

" لعمرى إن هذه المجلة نتاج أصيل ، صرف و شريف ، يمثل قمة الفكرة الإسلامية ، و تتمثل فيه صلاحية الوجهة الإسلامية اللتين تتحقق بهما حجية الإسلام و قيمة هذا الدين، و هى المجلة الوحيدة التى لا تساوم و تستسلم ، لا تنافق و لا تحاول أن توفق بين ما هو إسلامى و جاهلى." (١٣)

و يقول سماحة الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوى عن افتتاحياتها القوية المؤثرة التى دبجها يراع الشاب الألمعى المرحوم محمّد الحسني و حلى بها جيده هذه المجلة:

" صدرت هذه المقالات فى أسلوب قوى ملتهب ، هو نتيجة كل صراع نفسى ، رافقته قدرة بيانية ، و قلم سيال رشيق ، و ثروة لغوية ، و هذا الأسلوب له قيمته فى إيقاظ الشعور و فى تحريك النفوس و العقول ، و محاربة "مركب النقص" و إعادة الثقة بصلاحية الرسالة و الأمة و الاعتزاز بالقيم و المفاهيم ، خصوصا إذا كان مدعما بالدلائل و الوثائق و مسلحا بالشواهد و التجارب ، و هى طليعة كل إصلاح و انقلاب ، و رائد كل نهضة و تقدم." (١٤)

صحيفة الرائد :

يصدر أبناء ندوة العلماء فى هذه الأيام صحيفة إسلامية عربية باسم *"الرائد"* تصدر هذه الصحيفة مرتين فى كل شهر ، و تهتم بأخبار العالم الإسلامى و شئون المسلمين فى مجالات حياتهم المختلفة و التعليق على الأنباء و الأحداث.

و قد أصدرتها تلك الأيدى التى أصدرت مجلة *البعث الإسلامى* ، و لها أيضا إسهام ملموس فى دفع عجلة الصحافة العربية الإسلامية إلى الأمام فى

شبه القارة الهندية ، و كانت هذه الصحيفة وحيدة نوعها عندما طلعت ، ثم تبعتها جرائد عربية صادرة عن دوائر عربية مختلفة.

صدرت هذه الصحيفة في عام ١٣٧٩هـ لتمثل النادى العربى لطلبة دارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ ، و ساهم في تحريرها منذ بداية ظهورها كل من الأستاذين محمّد رابع الندوي و سعيد الأعظمي الندوي و انضم إلى هيئة التحرير مؤخرا واضح رشيد الندوي و عبدالله الحسني الندوي ، و رئيس مجلسها العام الأستاذ محمّد رابع الندوي.

أهداف الصحيفة و إنجازاتها :

تستهدف الصحيفة فيما تستهدف خدمة الدين الإسلامي و العمل على نشر دعوته و دحض الفكر المنحرف و الكشف عن مواطن الزيف فيه للشباب و التعريف بحركة ندوة العلماء و أهدافها المنشودة و الحركات الدينية العالمية و الشخصيات الإسلامية الفذة ، و ترمى إلى السعى لتعميم اللغة العربية و توفير الفرص للطلاب و الشباب لتنمية مواهبهم و كفاءاتهم الكامنة ، و تشجيعهم على المساهمة العملية فى مضمار الصحافة العربية الإسلامية فى إقليم بعيد عن البلاد الناطقة بلغة الضاد.

و التزمت تحقيقا لكل ذلك مميزات و آداب الصحافة المعاصرة من إقامة الأعمدة الحية المختلفة و المستوى الرفيع فى المادة المنشورة و المظهر و الإخراج و عدم التحيز إلى أىّ مذهب أو طائفة أو طبقة خاصة من الهيئات الإسلامية و التزام الموضوعية و الحياد التام فى كل حال ، فأدت ـ بطبيعة الحال ـ دورها المرجو من خدمة الملتقى الفكرى و مواصلة الكفاح لرفع كلمة الحق و إيصالها إلى القراء المعجبين بها فى البلاد العربية و الإسلامية التى كانت تكتسحها تيارات القومية و الاشتراكية و الإباحية و الانحلال الخلقى و الحملات التبشيرية المغرضة ، و إماطة اللثام عن وجوه محاولات التشويه و الإجهاض و المؤامرات و المكائد التى نسجت خيوطها فى جنح الظلام.

كما أنها قامت بتعريف الحركات الإسلامية من العالم الإسلامى و نشرت حصاد أقلام المفكرين و الباحثين دون تزمت مذهبـــى أو إنحياز فكـــرى ، و تناولت مواضيع حية تتصل بواقع العالم الإسلامى و قضايا العصر بالبحث و العلاج.

آراء فى صحيفة الرائد :

و إليكم فى التالى بعض الآراء و كلمات الإشادة بصحيفة الرائد نقلا من الخطابات التى وردت لها من الخارج و هى موجودة فى ملفها التذكارى يقول

فيها معالى الدكتور عبدالحميد حمودة كاتب و عضو جمعية الأدباء للشباب بالقاهرة :

" فان كاتب هذه الرسالة قد اطلع فى مجلة " المنهل " السعودية على نبذة عن صحيفة الرائد المؤقرة.
رغبة منى فى الاطلاع على نسخة أو نسختين من هذه الصحيفة الإسلامية سارعت بالكتابة إلى سعادتكم طالبا لتلك الصحيفة للاطلاع عليها."

و يقول فيها عفيف محمّد بن علي من الجزائر :

" يسرنى أن أقدم إلى حضرتكم كل تقديرى و جزيل شكرى و إلى كل العاملين فى مجلة الرائد على المجهود الذى تقدمونه إلى الراغبين فى معرفة الحقائق و كل الشبهات التى تدور حول الإسلام."

و يقول فيها عبدالجليل حسين مدير مكتب رابطة العالم الإسلامى كوالالمبور بماليزيا :

" فقد تلقيت "الرائد" تباعا منذ سنين ، و استفدت منه كثيرا خصوصا المقالات التى كتبها مولانا سماحة الشيخ الندوي و حركات التبشير المسيحى فى اندونيشيا و التطورات الدينية و السياسية فى البلاد العربية ، و قضية فلسطين و غيرها من الأفكار التقدمية و التوجيهات السليمة و النقد الدينى السليم."

صحيفة "تعمير حيات" :

و تصدر فى هذه الأيام من ندوة العلماء صحيفة ثقافية نصف شهرية باللغة الأردية ، و هى كشقيقها الصادرة من رحاب ندوة العلماء تزود المسلمين فى أنحاء الهند بالثقافة و الفكر و الأدب الإسلامى و تعتنى بأخبار العالم الإسلامى و قضايا المسلمين و تعالجها من الوجهة الإسلامية الصحيحة.
سبق أن ذكرنا أن هذه الدار كانت تصدر قبل مدة من الزمن مجلتها الشهيرة باسم "الندوة" و لكن كان قد توقف صدورها لبعض أسباب قاسرة ، و عاودت المعنيين بشئون دارالعلوم ندوة العلماء فكرة إصدارترجمانها مرة ثانية ، فقرروا إصدار جريدة "تعمير حيات" فى ١٩٦٣م ، و من هنا ظهر لها

العدد الأول في شهر نوفمبر في نفس السنة ، و هي تصدر مرتين في شهر عن "شعبة التعمير و الترقي" التابعة لدارالعلوم ندوة العلماء.

تولى مسئولية تحريرها المرحوم محمّد الحسني و سعيد الأعظمي الندوي تحت إشراف هيئة يؤلفها الأساتــذة المرحوم محمّـد أويس الندوي و محمّد إسحـــاق السنديلوى النــدوي و المرحوم أبوالعـــرفان النـــدوي و معين الله الندوي و محمّد رابع الحسني الندوي.

و كان قد خلف المرحوم محمّد الحسني في تولي تحريرها المرحوم إسحاق جليس الندوي، الذى رفع مستواها عاليا جدا في الصحافة ، و عاجلت المنية كلا من محمّد الحسني و إسحاق جليس الندوي في شرخ شبابهما فتمّ تاليف هيئة يؤلفها كل من الأساتذة نذر الحفيظ الندوي و شمس الحق الندوي و محمود الأزهار الندوي ، و كان الإشراف على شئونها إلي الأستاذ أبوالعرفان الندوي رحمه الله ، إلى أن تولاه أخيرا الدكتور عبدالله عباس الندوي المشرف على الشئون التعليمية لدارالعلوم ندوة العلماء حاليا.

أهداف الجريدة و دورها فى الصحافة :

سبق أن ذكرنا أن توقف مجلة "*الندوة*" الشهيرة و غيابها عن مسرح الصحافة قد أحدث ثغرة هامة و تم إصدار جريدة "*تعميرحيات*" لملئ هذه الثغرة ، فصدورها فى الواقع بمثابة مواصلة مسيرة الندوة المؤقرة ، غير أن المرحوم محمّد الحسنى فسرّ أهدافها فى بعض كلماته قائلا:

> *" صدرت هذه الجريدة لأن تقدم مواضيع فكريـــة توجيهيـــة و يسعى لتحقيق الإصلاح الشامل فى المجتمع و أن تعمل فى تجلية فكرة ندوة العلماء و مدى حاجة المسلمين إليها فى العصر الراهن ، بالإضافة إلى تقديم دور هذه الحركة فى إصلاح المناهج التعليمية ، و رفع الخلافات الداخلية من بين صفوف المسلمين ، و فى تقديم تعاليم القرآن و السنة الغراء."* (١٥)
>
> *و كما جاء تفسير مجال عملها فى كلمة بعنوان "نظرة على دارالعلوم ندوة العلمـــاء" فى دعم الجهود الدينية و العلميـــة و الاصلاحية و لتقدم فكرة ندوة العلماء و أهدافها."* (١٦)

و من حسن حظ هذه الجريدة أنها رزقت من أول يومها أقلاما رشيقة بلغت بها مستوى عاليا جدا ، و فوق ذلك أنها لسان حال جامعة إسلامية معروفة و أنها تمثل دعوة نابضة بالحياة ، فساعدها كل ذلك فى تأدية دورها على وجه أفضل و بصورة تستحق عليها العرفان و التقدير و كانت الجريـــدة

و لاتزال تتناول مواضيع حساسة من قضايا العصر و تهم يرمى بها الإسلام ، عـــلاوة على ذلك فلها دور هـــام فى تعريف حركـــات إسلامية عالميـــة ، و استعراض ظروف و ملابسات العالم الإسلامى بلغة البلاد.

فلا غرو أن صحيفة تعمير حيات تمثل صحافة بناءة ناجحة تتحلى بالجمع بين الطابعين العلمى و الأدبى فى هذه البلاد.

وللبحث صلة ....

الهوامش :

١ ـ حياة شبلى ص/٤٤٧
٢ ـ المصدر السابق ص/٤٤٠ ، ٤٤١
٣ ـ نفس المصدر ص/٤٤٧
٤ ـ تاريخ صحافة أردو ص/٤٤٠ ، ٤٤١
٥ ـ " أب بيتى " (حياته) ص/٢١١
٦ ـ مجلة الضياء عدد محرم الحرام سنة ١٣٥١ هـ
٧ ـ نفس المصدر ج/٤ عدد/ ٨ شعبان ١٣٥٤ هـ
٨ ـ المصدر السابق.
٩ ـ المصدر السابق.
١٠ ـ المصدر السابق ج/٢ عدد/٢ محرم الحرام ١٣٥٢ هـ
١١ ـ مجلة البعث الإسلامي ج/٢٤ عدد/٢ شوال ١٣٩٩ هـ
١٢ ـ نفس المصدر ج/ ٢٦ عدد/١٠ رجب ١٣٩٩ هـ
١٣ ـ مجلة البعث الاسلامي عدد ممتاز ج/٢٠ عدد/٢ ، ٣ ، ٤ سنة ١٣٩٥ هـ ص/٢٤٦
١٤ ـ مقدمة " الاسلام المتحن " ص/١٦
١٥ ـ جريدة " تعمير حياة " عدد / ١٠ يناير ١٩٦٣م
١٦ ـ نفس المصدر عدد/٢٥ مايو سنة ١٩٧٢م

قصة قصيرة :

الالبوم
[مجموعة تصاوير]

بقلم : الباندت سدرشن

بعد إذ تنفّس الباندت شادى لال صعداء عميقة يتفكر في الأمر متحدثا إلى نفسه فكان قد تذمّر بما يلى:

"هل يتخفّف هذا ثقل القرض الباهظ في أى حين من الأحيان عن رأسي أم يستمرّ على هكذا دوما ؟ !!"

و لو إن كان شادي لال معسراً شقيقا و محتاجا إلى أقصى الحد مع ذلك لم يكن سيّء القلب على الإطلاق و يريد كل لحظة مهما تكلّفنى الأمر و مهما اشتدت المصائب بي لابدّ لي أن أردّ مبالغ اقترضتها من الدائن. فعليه يكون في نظره كل عملة صغيرة يوفّرها بقصد استهلاك الدين عليه تساوي قطعة ذهبية. فنظرا إلى الوفاء بهذا القرض كان هو شدّ على بطنه حجرا من ممارسة الاقتصاد و مادام يدّخر عُملة فوق عملة كلّ يوم.

فللأسف و عكس توقّعاته متى ما تيسّر له ادّخار بعض النقود و كما شاءت الأقدار هو يواجه بعض مصاريف غير اعتيادية لم تكن هى في حسبانه قط قبلا و بذلك يذهب المبلغ السابق توفيره كلّه هباءاً منثورا فمن الطبيعي كان يشعر في داخل نفسه كما لو كان سكّين حادّ طعن في جوف بطنه طعنة شديدة و ذلك الحين تتشابه حالته بشخص يرثي له بالضبط تماما كرجل وشيك الغرق في البحر يرندّ يديه و رجليه محاولا في إنقاذ حياته و رغماً من بذل جهد مساعيه لايكاد يصل إلى شاطئ البحر حتّى تكسّرت حافّة الشاطئ فيبدأ يستغرق من جديد في لجّة البحر كالسابق !

كم اشدّ قد تكون حالة نفسية من مثل ذلك الغريق !! ... كم تدعو هذه الحالة يرثى لها إلى تعاطف عليه !! ... و كذلك كم أكثر يكون منظر مخيف يشق له نياط القلب !! فوسط هذا الموقف المحرج فمن الطبيعي إذا كان رجل ما مغلوبا

على أمره هو يبدأ في ملاعنة مقاديره و يشتم نفسه شتما غليظا فيغتاظ غيظا متورّطا في مثل هذه المحرجة بدون أى منفذ أمامه للخروج.

فوسط تلك الظروف كما كان هو محاطا بها إلا أن كان شادي لال آنذاك تمكّن، بعد مرور بضع سنوات، من توفيـرالمبلغ لديه قـدره ثمـانون روبيـة و ذلك كلّه بعد إذ كان جمع تلك النقود بتراكم عملة فوق عملة بحيث أن كان عليه دين من خمسمائة روبية واجب السداد لدائنه و اسمه "سدا ناند".

بينما هو جمع هذا المبلغ من ثمانين روبية و تيقّن من اقتراب ساعة استهلاك القرض، كما شاءت الأقدار، إذا بابنه أصيب بمرض شديد و اشتدّ به ذلك المرض أربعة شهور على التوالي و بالتالي بلغ الأمر لحدّ لم تكد تنجو حياة ابنه من مخالب الموت فطبعا تطايرت هـذه الروبيات علـى مصاريف أدويـة و العلاج فكان الباندت شادي لال تخبّط رأسه بيديه و كما تغلّب عليه شدّة القنوط قد تفشّى ظلام أمام عينيه من أربعة جهات .. حتى لا يلوح أمام عينيه ضوء ضئيل لكى يسترشد به إلى وضوح الطريق و كما كان هو مضطرب البال زفر صعداء باردة تفكيرا في داخل نفسه مرة أخرى و هو يتحدّث إلى نفسه:

" أ لن يستهلك هذا القرض أبدا ؟ !!"

و من جهة أخرى فكان دائنه "سداناند" على معرفة تامة بحالة فقره و في عدم الحيلة منه بأن شادي لال لايزال ينتقل من موقف الحرجة إلى موقف الحرجة أكثر منه خطورة و أكبر شدّة ... في واقع الأمر كان سداناند لا يحبّ في داخل نفسه أن يحاول شادي لال في ردّ القرض إليه بل و خلافا لذلك لم يكترث هو فتيلا في أى حين من الأحيان لاسترداد هذا المبلغ من طرفه إطلاقا ... بكونه شخصا كريما أصيل المحتد هو لا يستطلب هذا المبلغ من شادي لال ولا هو كذلك يتحدّث إليه بخصوص موضوع استرداد المبلغ السابق اقتراضه إليه. فالعجب ! كان سداناند خلافا لذلك يشعر بالخوف من تقاضيه بالمبلغ من عنده لحد كما لو كان هو بنفسه شخصا اقترض هذا المبلغ من شادي لال.

و نظرا إلى تصرّفه من رحابة الصدر من طرفه لايزال قلب شادي لال فارغ الطمانينة نفسيا على الدوام لسبب عدم استهلاك القرض و هو أحيانا يبدأ في تفكير عظمة دائنه و يتهامس إلى نفسهـخلال ساعاته الانفراد هكذا:

" كم أطيب هذا الرجل سداناند ! ... فكم أكثر سذاجة و العجب ! و هو لا يتحدّثنى قطّ حتى لو بكلمة واحدة بشأن استرجاع المبلغ عائدا إليه و ذلك المبلغ لايزال قيد السداد حتى هذا الحين الذي أنا قلق فيه على إعادته إليه !!

غريقا في تفكيرات شتّى كان هو تعوّد في كثير الأحيان أن يناجي نفسه صامتا منفردا:

"دع عنك مثل هذه التفكيرات كلّها ... لاباس بذلك الأمر إما هو يكترث لاسترداد مبلغه واجب السداد عليّ أم لا ففي ظلّ كلّ الاعتبارات لايمكن استنتاج من هذا موقفه الفياض الذي وقفه منّي بأني أكون مغفّلا أو مقصّرا في

استهلاك هذا القرض ... إنما تلك هي الروبيات على ذمّتي فلابد أن أردها إليه بأسرع ما يمكن ... و كما أيضا على فكرة أخرى فيما يتعلق بهذا أمر الاستقراض إنما هذا الأمر هو غير خاف على كل واحد بحيث أن كل شخص على معرفة تامة بخصوص هذا الاستقراض و الأمر واضح وضوح النهار عند جميع الناس بأنه دائن و إني مديون !

مهما و كيفما جرت الظروف إنما لم يتجاسر شادي لال لسبب كونه مديونا أن يرفع رأسه أمام ولي نعمته أى "سدانانـد" و إذا قيل على الأصح فكان قلق شادي لال فـي استهـلاك القـرض أحنى قامتـه فيخفض رأسه إلى أسفـل و يغضّ نظراته إلى قدمي المحسن إليه دائما بفعل شدّة الإحساس باستحياء منه و خلافا لذلك و على القرض فيما لو لم يكن سدانانـد قد أظهر عليه تصرّفه على سبيل الإحسان إليه و لم يكن حدث امتنانه عليه على صورة طبعه الفيّاض الرحيب و بالعكس ذلك لو كان أصرّ عليه بشأن استرداد مبلغه السابق اقتراضه منه فتضايقه في تأخير سداده فلم يكن يضرّ بـ شادي لال ذلك الأمر أذى أو ألماً بقدر ما كان شادي لال يشعر في هذا الآن بضيقة نفسية بفعل قصوى الإحساس باستحياء من وفور الكرم من طرف المحسن إليه و لسبب إكثار امتنانه عليه فعندئذٍ يكون هو أكثر شجاعة و أعظم مقدرة على مواجهة تصرّفه التعسّفي، يرفع رأسه أمامه و يمشي بدون أى خـوف منـه ... و بـدون أيّ شكّ لا يمكن لأيّ شخص مديون رفع عينيه أمام دائنه على الإطلاق و على الأخص في حالة إذا كان شخص آخر محسنا إليه و هو بنفسه يكون مديونا فمن الطبيعي هو يصير مكبولا في قيود أعمال امتنانه فمغلوبا بعاطفة الاحترام له يصبح أسيرا في ظلّ تلك الظروف فعليه لا يدعى أسير شجاعا مهما كان هو على أشدّ القوّة.

فكان هو بمحض الصدفة لما ذهب "سدانانـد" إلى بيت شادي لال و بعد إذ استقرّ به المجلس عنده ما هو الآ ألقى نظره إلى عدّة مجلّات شهرية عتيقة و هى كلّها باللغات الغجراتية و الهندية و الإنجليزية مخزونة في دولاب واحد حتى خاطبه قائلا:

"يا سيادتكم الباندت ! ... ما هى كلها مخزونة في الدولاب هذا ؟ !! ..."

عندئذ كان الباندت شادي لال يحكّ الأرض بطرف إبهام رجله فأجابه للوقت:

"في واقع الأمر تلك هي مجلّات عتيقة لا جدوىٰ لها أصلا إنما لا تزال هى متكدّسة في هذا الدولاب منذ وقت طويل و وقتا ما كان أخي مشتاقا إلى مطالعتهـــا فكان هو تعوّد على استحضارها من باعة الكتب مـــن حين لآخـــر و لا يسمح لأي واحـــد بلمس هـــذه المجـــلّات طوال حياتـــه لكن مع كل الأسف و في هذا الآن تأكلها حشرات الأرض و لا يتـواجد أى واحد من يبذل منّا باله إليها قط ! "

" فإذن لماذا لا تبيع تلك كلها كأوراق ردية مرفوضة بحيث إنك لا تعود تحتاج إليها قطّ ؟"

"فكيف و ضمن هذه المجلات توجد أروع رسوم و تصاوير جميلة و متى ما يصير الأطفال غير راضين عنّي لوجه ما أو آخر فأنا استميل كلّهم بتلك التصاوير لفوز برضاهم و لمّا أراهم يعاندونني في أمرما فعندئذ أنا استخرج تصويرا أو اثنين من ضمن هذه المجلات ثمّ أعطيها لهم حتى استرضيهم بذلك فواضعاً ذلك الأمر في الحسبان عينه لا أبيع أنا هذه المجلاّت و لو أن ليس شأن هذه المجلاّت أكثر من أوراق مرفوضة رديّة ! "

بعد إذ استمع سداناند لما قال شادي لال في احتفاظ هذه المجلات فبادر إليه آنذاك بكلمات آتية:

"هل لي أن ألقى نظرة واحدة إليها حتى أتعرّف على أي نوع من هذه الرسوم متضمّنا في طيّ هذه المجلاّت ؟ !!"

و ما لبث أن استمع شادي لال لهذه الكلمات حتى عرض عليه عدة مجلاّت منها ... فللعجب ! كانت هذه المجلاّت، بدون أي شك، تحتـوي على أروع لوحـات و أجمل تصاوير !! ... فطالما داوم سداناند يقلّب المجلاّت واحدا فواحدا فإذا به فكرة قد طرأت على باله بما استفزّ لها كل استفزازا و خاطبه على الفور قائلا:

"سيادتكم الباندت ! ... عندى كلمة واحدة و إذا سمحت سيادتكم لي بقولها فأقولها في هذا الآن ! "

"قل ماذا طرأ على بالكم ؟ ... فما هو الذي تريد القول؟"

"بدون أيّ شك تتكوّن هذه التصاوير أجمل نموذج من روائـع فن الـرسم و علـى ما أظنّ فيما لو وقع اختيـار أي واحد من بين هـواة فن الرسم على هذه اللوحات لامكنك من الحصول على مبلغ ضخم قدره ألف أو ألفا روبية بسهولـة ! "

استماعا لذلك الحديث تنفّس الباندت شادي لال صعداء باردة فقال:

"فيما لو كنت هكذا سعيد الحظ إلى هذا الحدّ و كانت المقادير قد ساعدتني إلى هذا الوقت الذي أنا أتحدّث إليك فيه لما كنت أتعثّر على أحجار و لا أتجوّل عبثا من موضع لآخر هائما على وجهي ! "

"دع عنك ذلك الحديث بلا جدوىً ! ... هل لى أن أقولك أمرا واحدا على شرطة أن تفعل أنت على حسبما أنا أوصيك به ؟ !!"

"نعم ! ... لابدّ لي أن أفعل على ما تأمر لي به !"

"إجلس مطمئنا إلي و استمع لما أقولك أنا ! و بدون أيّ تأخرٌ تتفرغ لكلّ ما أنا أسدى إليك النصيحة به ! فأنت تقتطف أروع نماذج للتصاوير التي يمكن العثور عليها و بعد استكمال هذا الأمر ضع تلك التصاوير المنتقاة من هذه المجلات على حدة واحدا بواحد ثم تنقسم تلك التصاوير إلى مجموعات مفضلّة على حسب تقديرك بحيث أن تأخذ في حسبانك روعتها".

"طيب ! ثمّ ما أفعل بعد قضاء هذا الأمر ؟"
"بعد إذ فرغت من ذلك الأمر فاخبرني بذلك من فورك !"
"إذن ماذا عساك أن تفعل بتلك التصاوير بعده ؟"
"ساعدّ من تلك التصاوير البوما واحدا رائعا في منظره ثمّ سارسل لأجله إعلانا واحدا يطبع في أيّة جريدة و أنا على يقين أكيد من أن هذا الإعلان يقع على يد واحد من هواة فن الرسم و في غالب الظن هو يشتري منك هذا الألبوم فبالتالي تكسب بعض النقود عن طريق بيع هذا الالبوم هو عينه !!

رغما عن ذلك اقتراحه لم يتوقع الباندت شادي لال عمّا إذا سيغثر هو على قطعة ماس مختلطة في ضمن فحومات من كومة أوراق ردية فاجمالاً القول كانت ظاهرة خيبة الأمل منه قد اغلقت كافة أبواب الأماني أمـام وجهه و بعبارة إخرى كان هو في عداد هؤلاء الاشخاص الذين جاءت ولادتهم في هذه الدنيا إلاّ و أنهم يبقوا فاشلين خائبي الأمل ... إنما كانت شقاوته من كذا نوع لو صادفه أن يلمس قطعة الذهب بيده لتحوّلت تلك القطعة الذهبية تراباً بصورة حتمية بفعل مجرّد لمسه و لسبب التأثر بشقاوته. و على نفس الطريق إذا ما بدأ في عمل ظناً منه بأن ذلك العمل نافع مفيد فللاسف لجاء نفس العمل لأجله بعاقبة سيئة وخيمة !! ...

إنما ذلك لم يكن مجرّد ظن منه بل و كان هو على يقين تامّ حول عدم نجاحه دائما بأنه كيفما كان الأمر هو لن ينجح في هذه المحاولة أبدا على أى وجه من الوجوه. لكن بحيث أنه كان ملزوما بالعهد الذي كان قطعه على سداناند فما كان في وسعه أن يرفض اقتراحه. فكان هو جلس في ركن واحد من البيت ثمّ بدأ في عمل انتقاء أروع التصاوير من تلك الجرائد العتيقة مستغرقا في ذلك طول النهار و بالظاهر و لو ان لم يوجد في صدره أى اشتياق لهذا العمل من جمع الرسوم على أنه كيف يمكن في مستطاعه أن يرفض أمر سداناند ؟

على أيّ حال بعد فراغه من هذا العمل المامور به إيّاه خلاف رغبته لمّا ألقى بصره إلى تلك التصاوير يبلغ عددها إلى الفي تصوير تقريبا صار فرحا بمشاهدة جميع هذه التصاوير. فكان يتفوّق كل تصوير على تصوير آخر روعة و جمالا فلذلك هو قفز من موضع مجلسه لشدة الفرح باستكمال هذا العمل المكلّف له من جهة سداناند و مسرورا بهذا النجاح بدأ يرقص ضوء المسرّة على وجهه فعند ذلك كان أصبح بالضبط أشبه بتلميذ يكون متاكدا من فشله في الامتحان و يكون باكيا على أسلوب معالجة أو البدء في جوابات الأسئلة في الامتحان إلا أن خلافا لتوقّعاته يكون هو قد تلقى فجاة برقية في نجاحه في الامتحان ... تصوّر أنت برهة كيف و مثل ماذا ستكون حالته النفسية وسط هذه الظروف ! ... كيف يكون هو يطلق نظراته إلي كلّ الأرجاء حيران محتارا باهت العقل بفعل الفرح لا يكبح.

و بدون أيّ شكّ كان شادي لال محاطا بمثل هذه الحالة عينها آنذاك، يداوم

بصره و يركّز نظراته على تلك الرسوم في غاية الاعتناء و قصوى الاهتمام بها، ظنا منه كما لو أن كان يكمن في أطواء تلك التصاوير أوراق نقدية لا يحصى ... ورقة نقدية من عشر روبية تحت كل تصوير و مغمورا بشعور بالفرح هو لا يسمح لأيّ طفل بإلقاء نظره إلى هذه الرسوم أبدا فرغما من الأمر مأنه كان بينه و بين النجاح بعد؛ شاسعا إلا أنه يتمتع بفرح أقصاه بتصوّره في نجاحه القادم وشيك الحدوث ففي هذا الآن كان الأمل اتخذ هيئة كاملة على صورة اليقين ثمّ استقرّ ذلك الأمل مثبوتا مرتسما في ذهنه و بفضل ذلك الشعور بدأ يهتزّ بفعل فكرة النجاح اهتزازا طربا بصرف النظر عمّا إذا كان هناك أي تبرير في ذلك الطرب من جهته أم لا ..!

إنما كان شادي لال ألصق جميع تلك التصاوير المنتخبة واحدا بواحد في الألبوم و في اعقاب ذلك أرسل إعلانا واحدا حتى يطبع به في جريدة واحدة بشأن اشتراء ذلك الألبوم من قبل أي واحد من يهمّه الأمر بكونه مغرما بفن الرسم ... و بعد ذلك أصبح الباندت ينتظر كل لحظة لقدوم ساعي البريد حتى ببعض الردّ على الإعلان السابق نشره. إذ غريقا في تفكيراته كل يوم هو يركز نظراته دوما على تلقّى أيّة رسالة كردّ على الإعلان ... على أنه ينقضى تمام اليوم كله على هذه الحالة لكنّ لا تأتي أية رسالة قط فلذلك السبب يسقط الأمل كسقوط غبار الشارع إلا أن يصير أمله المنقطع مربوطا بثقة مجددا في الصباح التالي استنادا إلى أحاديث سداناند المشجّعة الطيّبة ... إنما كان يحدث كل ذلك مثلما يبدأ الغبار المستقر منذ اليوم الماضي يتطاير من جديد فوق وجه الشارع إلى الأعلىٰ في الفضاء مع بدء في حركةٰ المرور من عربات ... فآنذاك جعل الأمل يقف له عند باب النجاح الخادع بحيث يصير وجهه متهللا متألقا ، و فوق كل الاعتبارات بمجرّد أن جاء أو قارب موعد مجيء ساعي البريد، يؤدي هذا الأمل لتصوّره جائلا من خلال السوق و في نهاية الأمر يذهب به من السوق إلى مكتب البريد بالذات !

فقد مضت فترة تقارب شهرا بأكمله على هذه الحال لكن لم تصل إليه أية رسالة إطلاقا ... كيفما يكن الأمر و لو إن كان الباندت شادي لال خائب الأمل في كثير الأحيان إلا أن تصوّره في نجاحه لم ينقطع عن باله أصلا .. محاطا وسط حشود الدياجير كم أكثر يكون حتى لو أقل ضوء المصابيح موضع انتعاش الحياة و فاتن القلب للإنسان !! ... فركونا إلى ذلك خيط الضوء يحاول المسافرون الضالّون من طريقهم في الاهتداء إلى غاية منزلهم و هم ينسون صعوباتهم و آلامهم إلى وقت قليل على حين أن لا يتواجد في هذا الضوء خادع البصر أي ضوء حقيقي إطلاقا ... لكن بالرغم من ذلك كله مازال هذا الضوء من الأمل عند شادي لال أشبه بموسيقي هادئة خفيفة المسموع بها في أعماق قلبه فصرفا النظر عن الأمر سواء أ كانت توجد رطوبة المطر في جنبات هذا الضوء أم لا إلا أن من ذا الذي قد يكون لديه مقتدرة على سلب تصوّر السحاب السوداء عن

صاحب التصور؟

كيفما يكن مجرى الظروف عند الباندت شادي لال إلا إنه لم يترك ذيل الأمل على الإطلاق ... أو يمكن التعبير عن ذلك القول على هذا النمط أيضا بحق إنما لم يكن هو شادي لال بنفسه الذي ما ترك الأمل بل و خلافا لذلك كان هذا الأمل عينه الذي مازال يطارد شادي لال و يلتحق به على الدوام ! ... و مع مرور الأيام ظلّ الأمل يموت شيئا فشيئا بينما استمر ضياع الأمل و فكرة الحرمان تنمو و تترعرع تدريجيا.

في أعقاب عدة أيّام قد جاء اليوم الذي كان كتب فيه شخص غني واحد من مدينة كلكتا خطابا يقول فيه: "أرسلني الالبوم و إذا وقع اختياري عليه سأشتريه منك إنما لا يهمّني ثمن مهما كان باهظا لابأس بذلك الأمر لكن ينبغي أن يكون هذا الالبوم أفخر ما يكون جالب الانظار إليه بمجرّد إلقاء أول البصر من قِبل المشاهد.

فكان هذا الكتاب الوارد من الرجل الغني بمثابة تقلّب الجنب من نائم ما قبل استيقاظه من فراشه و هو ينتصب جلوساً على فراشه مندهشاً باهتاً فطبعاً ورود هذا الخطاب إلى شادي لال لم يكن مثل تقلبّ الجنب من شخص نائم بل و كان تقلّب الجنب من قبل مصيره النائم بالذات منذ مدة طويلة !

بعد ورود هذا الخطاب بقليل توصّل الباندت شادي لا إلى بيت سداناند و عرض عليه الخطاب حديث العهد بالورود إليه من طرف رجل غني قاطنا في مدينة كلكتا فقال له:

"في نهاية الأمر قد أثمرت مساعينا و جاء هذا الخطاب الذي هاهو في يدك ... إذن ماذا تقترح عليّ ؟ ... هل أرسل هذا الالبوم من فوري في هذا الآن نفسه؟"

عندئذ أمعن سداناند نظره في ذلك الخطاب ثم أجابه للحال قائلا:

"نعم !... استعجل بإرسال إليه مغلقا على طرد واحد و تتاكّد من الأمر أن يكون الطرد مسجّلا مضمونا تسلّمه على ذمة مكتب البريد ... يبدو لي على ما أظن إنما هذا الرجل مغرما جدًا بفنّ الرسم و أنا على يقين تام إنه سيشتري ذلك الالبوم منك لامحالة !!"

" ما بالك بشان الثمن اذن؟ "

"اكتب إليـــه في الرد على كتـابه لن يكون الثمن أقلّ من خمسمائة روبية !!"

لم يلبث إلا قليلا حتى كان توصّل إليه خطاب التامين مقابل ردّه على الخطاب و ما هو إلا أن تسلّم هذا خطاب التامين حتى بدأت يداه و رجلاه تقشعران لشدة الارتباك و الذهول بل و أكثر بكثير من ذلك هو أن بدأ يختلج قلبه خلجات متسرّعة ... فسرعان ما فتق الظروف إذا ببصره قد وقع على خمسة أوراق نقدية بينما كل ورقة تنتسب إلى مائة روبية و بدون أيّ شك كان

مصيره قد تقلّب جنبه الآن بعد النوم الطويل و مقدوره النائم قد انتصب جالسا مبتسما بعد استغراقه في نوم عميق.

عند ذلك قام الباندت شادي لال منتصبا و عاد يتحدّث إلى نفسه:

"ليتنى أكتب ثمن هذا الالبوم ألف روبية فأنا واثق بالأمر أكون قد حصلت عليه لا محالة !"

فعند طرأ هذا الخاطر بباله فكان ذائقة الفرحة منه انقلبت مسيخا الى حدّ ما و بدون أيّ شكّ و لو إن كانت قطعة الحلاوي حلوة لذيدة لكن مع كلّ الأسف ظهرت في هذه القطعة اللذيذة حبة واحدة من الحصاة و لأجله تلقّصت اللذة نصفا ممّا كانت عليه قبلا ..فعند تفشى الظلام كان شادي لال توجه إلى بيت سداناند مساءًا فسرعان ما وضع أوراقا نقددية قدرها خمسمائة روبية أمام دائنه ثم قال له:

"الحمدللّه إنني برئت الآن من ثقل القرض الباهظ .. فتكرما عليّ بتسلّم هذه النقود من طرفي و تصونها حق الصيانة باحتراس تامّ فلا يمكن لي أن أنسىٰ معروفك و كذلك رحابة صدرك مع سمو الاخلاق الذي أنت أسديت إليّ !"

عند استماع تلك الكلمات من شادي لال كان سداناند استفسره مندهشا:

"يا سيادتكم الباندت: ... هل اشتري ذلك الرجل الفنيّ الالبوم حقا منك؟"

"نعم ! ... نعم يا سيّدي قد اشتراه مني !"

"للعجب ! حتى تلقّيت أنت النقود مقابل ثمنه أيضا !!"

"بلىٰ يا سيّدي ! ... ها هى النقود موضوعة أمامك !"

"سبحان اللّه خمسمائة روبية بأكملها ؟ !!"

"نعم سيّدي ! و إلا فأين كان في مقتدرتي على الحصول على هذا المبلغ على حين أني معسر مسكين ... !! لست أنا إلا رجل عديم الحيلة ضيق الوسائل و بدون أي شك فيه قد أصغى اللّه إلى دعاء هذا الرجل المسكين فاستجابه في حينه ... حتى قبلاً كنت أريد أيضا أن أقولك بشيء لكنى امتنعت عن القول لكن في هذا الآن بحيث أن لم يبق عندي أي خوف و قد تمّ سداد القرض و النقود رابضة أمام عينيك فأنا أصرّ عليكم أن تحافظوا على هذا المبلغ في حوزتكم بأتم الاحتراس ! ... إنما هو معروفا عندكم جيّدا بأننى كاهن متواضع عبدكم و فيما إذا سلّمت هذه النقود لسيادتكم فأىّ عمل الظلم ارتكبت ازائكم عملا بإعادة هذا المبلغ السابق اقتراضه منكم ؟ ... لم يكد ينتهي الباندت شادي لال كلماته حتى تدفّقت دموع في عينيه فاستطرد قائلا:

"سيدي المحسن ! بدون أيّ شك فيه أن يندر تواجد أمثالكم أشخاص كرام فيّاضون و ابرار بالمحتاجين في هذا العالم الذين تكون فطرتهم جبلت على صفة المروءة و الرأفة ... أبقاك اللّه عزّ و جلّ حيّا سالما أبد الدهر ! فمن الرجاء إليكم من قبلي يا سيدي ! لن أقبل هذه المرة هذه النقود إن تبقى عندي على ذمّتي

إطلاقا على أي وجه من الوجوه ! يا للعجب ! فقد طال الزمان المديد و خلال هذه الفترة الطويلة لم تطلب منّي مبلغك قطّ و لا كذلك أصررت عليّ في استرداده؟ !! هل لا تعرف سيادتكم بهذا الأمر بأنني بفضل سداد هذا القرض علّي قد اشتريت طمانينة القلب؟

عند مشاهدة رحابة الصدر و الطبع الفياض من هذا البرهمن المغلوب على أمره بدأ قلب سداناند يرقص طربا فعلى أثر ذلك الحديث أخذ منه هذه الأوراق النقدية بكلّ انشراح القلب و على وجه الإجمالي كان سدانناند شنعر في قلبه للمرّة الأولى طول مدى حياته بفرحة حقيقية تمسّ عمق قلبه عند مشاهدة شادى لال مسرورا لسداد الدين إلى هذا الحدّ و بعد مغادرة شادي لال من عنده أغمض عينيه و هو مستغرق في هوّة التفكيرات العميقة و ذلك اليوم كان يلمع وميض خاص على بشرته لم يظهر مثله قط قبلئذ و لا شوهد به في هذا العالم بأسره.

كما شاءت الأقدار و بعد مرور ستة شهور وقع سدانانند مريضا لم يمرض مثله قبل طول حياته حتى هذا اليوم لكن أين كان في مستطاع هذا البرهمن المغلوب على أمره كما هو مسكين محتاج أن يساعد المحسن إليه على إزالة المرض بحيث أنه لم يكن طبيبا و لا كان هو معالجا و مع كل ذلك إنما الدوآء الذي كان متوفّرا عنده هو لم يكن إلا عملية ترديد حبّات المسبحة أم تسبيح بحمد الله تعالى فعليه كان يؤدى هذه العملية عينها بكلّ ما في وسعه مع صميم روحه المخلصة، معوّلا على ذات الله العلياء ... فكان يعتقد بالله أو بتأدية الأدعيـة بحق المحسن إليه أكثر بكثير من اعتقاده بأدوية و بـدون أيّ شكّ فيـه و على ما شوهـد في كثير الأحيان يكون الدعاء أفضل بمراحل في مقابل الدوآء ... إنما هكذا كان زعمه لا يتزعزع دوما.

و على جاري العادة كان سدانانند يستلقي فوق سريره مريضا إذ أمّه المطعونة في السنّ تدفن دموعها في جوف صدرها، تجلس مركزّة بصرها إلى وجه ابنها الذابل أصفر اللون و مثلما زوجة سدانانند و هى ملتزمة بتقاليد القديمة تحجب وجهها بطرف خمارها كانت واقفة في ركن واحد على بعد قليل تشاهد ما إذا تبقى أيّ عمل غير مستكمل من قبلها. أما الباندت شادي لال فكان هو جالساً فوق مقعدة واحدة صنع الخشب على مقربة من المريض حيث لايزال يقرأ على المريض بعض ملفوظات الاه "كرشنا" محتوية على صحيفة: "غيتا" المقدسة.

فلم يلبث إلا قليلا حتى صار سدانانند فاقد الوعي فجاةً بما أنه كان انتابته نوبة شديدة من المرض فعند رؤية هذه الحالة المحرجة من المريض انقطع الباندت شادي لال عن قرأة آيات من صحيفة: "غيتا" و ذلك الحين بدأت أم سدانانند تخاطب ابنها بصراخات عالية لعل يستمع المريض صوتها فيسترجع وعيه إليه ففي تلك اللحظة المحرجة كانت أمه مرتبكة مفزعة إلى أقصاه !

و بالضبط تماما ذلك الحين عينه كان فطن الباندت شادي لال لشيء ما يوخز جسد المريض وخزة مؤلمة فسرعان ما دس شادي لال يده من أسفل الوسادة التي كان رأس المريض مستندا عليها لتاكّد من معرفة بذلك الشيء المؤلم و بكل الاندهاش هو يرى' إنما لم يكن هذا الشيء الواخز الخشن إلا و هو نفس الالبوم الذي في واقع الأمر لم يشتر منه ذلك الرجل الغني بل و كان هو سداناند بنفسه المحسن إليه الذي كان اشتراه منه متظاهرا نفسه بصفة الرجل الغني و منذ ذلك الحين إلى هذا الوقت هـو لم يكشف هذا السـرّ على أحد قطّ و لم يسمح لأيّ شك بدخول إلى قلب الباندت شادي لال بهذا الصدد.

كم أكثر كان الباندت شادى لال مسرورا قبل كشف عن الحقيقة عليه ظنّا منه بأنه كان الآن استهلك القرض المفترض سداده عليه لكن مع كلّ الأسف بعكس توقّعاته بمجرد أن استبان له واقع الأمر فكانت الحقيقة المنكشفة ألحقت به ضربة قاسية و عندئذٍ هو عرف بأن القرض مازال غير مستهلك إلى هذا الآن .. بل إذا قيل على الأصـح قد صار ذلك القرض ضعفـا ما كان عليه سابقا و ذلك الحين يجول في خاطره إنما نفس القرض قدره خمسماة روبية قد فقز إلى الأمام ليكون أزيد من ألف روبية !!

إذ جالسا بجوار فراش المحسن إليه قد تنفّس صعداء باردة مستغرقا في عديدة التفكيرات هو بدأ يتحدث إلى نفسه كالسابق

"هل لن يتخفف ثقل هذا القرض عن رأسي أبدا !" و بعد قليل لما عاد الوعي إلى سداناند هو سلب ذلك الالبوم من يد الباندت شادي لال فقال له في صوت خافت هادئ:

"لعلك لست على معرفة بواقع الأمر بهذ الصدد إطلاقا .. هذا هو أنا ذاتي الذي اشتريت هذا الالبوم فيما بعد من ذلك الرجل الغني من مدينة كلكتا. إنما لم يكن الأمر هكذا أن الباندت شادي لال لم يتمكّن من إدراك عمق الحقيقة بل بالعكس كان هو على يقين تامّ أن المحسن إليه قد كذب عليه كذبا صارخا في هذه اللحظة لكنّه ضاغطا على نفسه لزم بصمت و صار لسانه معقودا حتى لم ينبس حتى لو بكلمة واحدة فلم يجترئ على القول بشيء في مواجهة المحسن إليه بأنه ليس هو الحقيقة كلما قلت حاليا .. هو الكذب الصارخ لا أساس له !

مهما يكن الأمر و تتخذ الظروف مجراها كان الباندت شادي لال لا يزال يعتبر ذلك الشخص المثالي منقطع النظير سامي الأخلاق رجلا رقيق القلب فياضا كثيرا بمراحل مما كان عليه .. فأين كان في مستطاعه أن يقول له: " لماذا كذبت عليّ بكونك رجلا بارّا فلا يليق بك هذا التصرّف ؟ ...

لم يلبث عنده الجرأة على قول بهذه الكلمات إطلاقا و هو مايزال يردّد حبّات المسبحة صامتا داعيا الله تعالى' بطول عمره و بقائه على الدوام.

تعريب: غورديال سينغ مجذوب

دورة تربوية
لتنشيط تعليم العربية في الهند

تقرير من إعداد :

د/ شفيق أحمد خان الندوي
الأستاذ المشارك في اللغة العربية
و آدابها بالجامعة الملية الإسلامية
نيو دلهي، الهند

أقامت كلية هيئة التدريس في الجامعة الملية الاسلامية بالتعاون مع القسم العربي بالجامعة و برعاية المجلس الأعلى للجامعات الهندية دورة تربوية لتنشيط عملية تعليم و تعلم العربية في الهند لمدة ثلاثة أسابيع في الفترة من ٢٧ أغسطس/ آب إلى ١٦ سبتمبر/ ايلول ١٩٩١م.

شارك فيها ١٤ متدربا من كبار مدرسي اللغة العربية في جامعات ولايات مهاراشترا و اترا براديش و أسام و كيرالا و مدهيا براديش، و كرناتكا، و بيهار، و دلهي بالاضافة إلى ١٧ خبيرا من مختلف المعاهد و الجامعات الهندية، و ركزت الدورة على الاهتمام بالتخصصات التالية.

١ - التعبير الشفهي و التحريري
٢ - التعريب و الترجمة
٣ - الأدب العربي
٤ - المناهج الدراسية، بناؤها و تطويرها
٥ - طرق تعليم العربية
٦ - تدريس المواد الدراسية من نثر و شعر و قصة و رواية مسرحية و نقد و بلاغة و عروض و قواعد نحوية و صرفية و نحوها.

٧ - منهجية البحث العلمي
٨ - محاضرات عامة عن العلاقات الهندية العربية و إسهام المسلمين في تطور العلوم و إسهامهم في الاستقلال الهندي و عناصر الصمود و المقاومة في الرواية الفلسطينية و كيفية استخدام القصة كوسيلة لإجادة القدرة على التعبير. و علاوة على ذلك فإنه تم عرض البرامج التربوية و الثقافية و الأدبية المنوعة بالوسائل السمعية البصرية إلى جانب رحلات تربوية من زيارة المتاحف و الآثارالتاريخية الإسلامية في دلهي، و آكره، و فتحبور سيكرى و مشاهدة البرلمان و مجلس الشيوخ الهندي.

ثم افتتاح الدورة بتلاوة أي من الذكر الحكيم تلاها أحد مشاركي الدورة و ذلك برئاسة سعادة السيد/ علي محسن حامد رئيس بعثة جامعة الدول العربية في نيو دلهي، الهند رحب به الاستاذ الدكتور ظفر أحمد النظامي مدير كلية هيئة التدريس أولا ثم قام الاستاذ ضياء الحسن الندوي رئيس القسم العربي في الجامعة بشرح تفاصيل الدورة و عبرت الاستاذة فرحانة صديقي و هي استاذة محاضرة للغة العربية و آدابها في الجامعة الملية الاسلامية بصفتها مشاركة في هذه الدورة عن إعجابها و تقديرها لهذه الدورة النافعة. ثم تكرم البروفيسور مجيب حسين رضوى مدير الجامعة بالنيابة بإلقاء كلمته عن تعليم و تعلم اللغة العربية في الهند، كما ألقى البروفيسور سيد ظهور قاسم مدير.الجامعة سابقا كلمة قيمة و حث على ضرورة دراسة اللغة العربية و آدابها في الهند ثم تفضل صاحب السعادة السيد/ على محسن حامد رئيس بعثة جامعة الدول العربية بإلقاء خطابه الرئاسي و أبدى إعجابه و تقديره للدورة. و أخيرا فإن الدكتور شفيق أحمد الندوي منسق هذه الدورة و مقررها وجه كلمة شكر و ترحيب للحضور.

و في اليوم الثامن عشر من أغسطس/ أب ألقى الدكور شفيق أحمد الندوي أستاذ العربية المشارك في الجامعة الملية الاسلامية محاضرته حول التعبير الشفهي و كيفية تنميته، ثم ألقى الدكتور محمد راشد الندوي رئيس القسم العربي بجامعة علي كره الإسلامية حينذاك محاضرتين عن بناء المناهج و الخطابة و في المساء فقد تم عرض فيلم " دنيا الله " لنجيب محفوظ عن طريق شريط كاست فيديو.

و في التاسع و العشرين منه تقدم الدكتور ربير أحمد الفاروقي أستاذ العربية و آدابها المشارك بالجامعة الملية بمقالة مستفيضة له عن فن التعريب و الترجمة و تظاهر بتطبيقاته العملية معا، ثم ألقى الدكتور عبد الحليم الندوي أستاذ و رئيس قسم اللغة العربية المتقاعد في المعهد المركزي للإنجليزية و اللغات الأجنبية في حيدر آباد و جامعة جواهر لال نهرو

بنيو دلهي، الهند محاضرته عن مناهج تعليم العربية في الهند.

و في اليوم الثلاثين القى الدكتور عبد الحليم الندوي محاضرته الأخرى عن طرق تعليم العربية كذلك ثم استمع الحضور إلى محاضرة ألقاها الدكتور سيد مقبول أحمد مدير مركـز ذاكـر حسين للدراسات الإسلاميـة بعنوان " *خلفية المعرفة العلمية في العالم الإسلامي منذ القرن السابـع الميـلادي* "، و بعد فألقى الأستاذ شهاب الدين الأنصاري الأمين العام لمكتبة الدكتور ذاكر حسين العامة عميد كلية المكتبات و الوثائق بالجامعة الملية محاضرته الخاصة بكيفية استخدام المكتبات العامة

و في الواحد و الثلاثين منه استمرت محاضرة الدكتور مقبول أحمد بعنوان " *فجر الدراسات العلمية الحديثة في بغداد من مطلع القـرن الثامـن و حتى القرن الخامس عشر الميلادى* ". وألقى الدكتور مقبول أحمد محاضرته الأخيرة من هذه السلسلة في أول سبتمبر/ ايلول ١٩٩١م بعنوان " *انحطاط العلوم و التكنولوجيا في العالم الإسلامي* ".

و في اليوم الثالث من سبتمبـر/ ايلول ١٩٩١م ألقـى الدكتور شفيق أحمد الندوي محاضرته حول القصة كوسيلة لإجادة القدرة على التعبير ثم ألقى الأستاذ ضياء الحسن الندوي رئيس القسم العربي بالجامعة مقالته حول نجيب محفوظ تحليل فكري لرواياته و بعد فقد استمع المشاركون ببرامج تربوية عربية بالوسائل السمعية البصرية.

و في اليوم الرابع منه القى الدكتور فيضان الله الفاروقي أستاذ اللغة العربية و آدابها المشارك في جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي محاضرة له عن تدريس البلاغة. ثم ألقى الأستاذ رفيع العماد فينان محاضرته عن التعريب و الترجمة و أجرى تدريبات و ممارسات خاصة بهما مع مقترحات توجيهية نافعة.

كان اليوم الخامس من شهر سبتمبر مخصصا لزيارة الأماكن الشهيرة و الآثار التاريخية في دلهي فزارها المشاركون زيارة تربوية للمتحف الوطني الهندي و منارة قطب و تين مورتي بهافان و مكتبتها العامة، ثم توجهوا إلى مكتب الدراسات البرلمانية و التدريب، بامتداد البرلمان الهندي حيث استمعوا إلى محاضرة خاصة بالمعارف الثقافيـة السياسيـة العامـة و نظام البرلمان الهندي ثم انتقلوا إلى مجلس الشعب و مجلس الشيوخ الهندي و جلسوا في شرفاتهما الداخلية مستمتعين بمجادلات اعضائهما الساخنة طويلا.

و في السادس من سبتمبر ألقى الدكتور سيـد عبـد الباري أستاذ و رئيس القسم العربي حاليا بجامعة عليكره الإسلامية محاضرته الخاصة بمناهج البحث و جرت المناقشة عليها.

وصل الأستاذ الكبير فضيلة الشيخ سعيد الأعظمي الندوي إلى دلهي

خصيصا لهذه الدورة في اليوم السابع من سبتمبر و ألقى محاضرتين أولاهما بعنوان " *التعبير التحريري حقيقته و كيفية تنمية القدرة عليه* " و أخراهما بعنوان " *طريقة تعليم اللغة العربية عرضا و تطبيقا* " و بالتالي فاستمر النقاش لمدة ساعات.

اليوم الثامن من سبتمبر كان مخصصا للرحلة التاريخية التربوية إلى الأماكن التاريخية الاثرية في أكره و فتحبور سيكري فتمت زيارة التاج محل و قلعة الإمبراطور المغولي أكبر و المباني التاريخية الأخرى

ألقى الدكتور علي محمد عودة مدرس اللغة العربية في احدى جامعات ليبيا محاضرة عنوانها عناصر الصمود و المقاومة في الرواية الفسلطينية. و ذلك في التاسع من سبتمبر ثم جلس المشاركون مع أعضاء هيئة تدريس العربية بالجامعة الملية الإسلامية و مع سعادة الأستاذ علي محسن حامد رئيس بعثة جامعة الدول العربية لدى الهند و تبادلوا أطراف الأحاديث الثقافية و الأدبية و التربوية و تناقشوا عن سبل ترويج الثقافة العربية في ربوع البلاد.

و في العاشر من سبتمبر ألقى البروفيسور سيد مقبول أحمد كلمته حول العلاقات العربية الهندية و عرض مسردا للمصادر و المراجع الخاصة بها. ثم تقدم الدكتور شفيع الرحمن أستاذ العربية المشارك في جامعة دلهي بمحاضرته في تدريس القواعد فعرض طريقة مبتكرة خاصة لتدريسها.

و قدّم الأستاذ الدكتور ظفر أحمد النظامي مدير كلية هيئة التدريس محاضرته حول إسهام المسلمين في الاستقلال الهندي في الحادي عشر من سبتمبر كما ألقى الدكتور عبد الحليم الندوي ورقته بعنوان " *اللغة العربية و آدابها مدخل تاريخي لغوي* " ثم تحدث الدكتور شميم الحسن أمانة اللّه أستاذ العربية المشارك في جامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي عن مشاكل ممارسة الترجمة من الإنجليزية إلى العربية و بالعكس.

و في الثاني عشر من سبتمبر ألقى الأستاذ الدكتور سيد محمد اجتباء الندوي بروفيسور و رئيس قسم اللغتين العربية و الفارسية بجامعة اللّه آباد يوبي محاضرتين حول المحادثة العربية و الخطابة العربية و كيفية تعليمها للدارسين.

ثم ألقى الدكتور ظفر الإسلام خان مدير معهد الدراسات الإسلامية و العربية بدهلي الجديدة محاضرته الأولى عن " *منهجية البحث الأكاديمي* " و أوضح كيفية إعداد البحوث.

و كان اليوم الثالث عشر بالكامل مخصصا للدكتور ظفر الإسلام خان فإنه قام بإلقاء محاضرته الثانية المطولة عن منهجية البحث الأكاديمي و عرض فيها طريقة جمع المعلومات على الطريقة المنهجية العصرية لمدة ثلاث ساعات متتالية ما قبل الظهر هذا و شارك الجميع بعد الظهر في

برنامج أدبي خاص عن موضوع الزمان و المكان في الرواية العربية الحديثة بمناسبة رسالة دكتوراة قدمها الأستاذ علي محمد عودة بإشراف الدكتور زبير أحمد الفاروقي بهذا العنوان إلى قسم اللغة العربية و آدابها في الجامعة الملية.

و في الرابع عشر من سبتمبر فقد ألقى الدكتور ظفر الإسلام خان محاضرته الثالثة و الأخيرة عن منهجية البحث الأكاديمي و عرض طريقة ذكر المصادر و المراجع و الاستفادة منها. ثم تحدث الدكتور شعيب الأعظمي أستاذ و رئيس قسم الفارسية بالجامعة عن تأثير اللغة العربية على اللغة الفارسية كما ألقى الدكتور نثار أحمد الفاروقي أستاذ و رئيس قسم اللغـــة العربيـــة و آدابها بجامعة دلهي مقالة حول تدريس النصـــوص الأدبيـــة. هـــذا بجانب و بجانب آخر فقد قام القسم العربي بالجامعة الملية مساء بعرض برامج تربوية عربية منوعة عن طريق الأشرطة السمعية البصرية من أفلام و أغاني و أنباء و برامج تربوية و أدبية و دينية و ثقافة عربية من العالم العربي بإشراف الدكتور شفيق أحمد الندوي و أقام القسم العربي مأدبة عشاء فخمة تكريما للمساهمين و إجلالا للأساتذة الدكاترة الثلاثة عبـــد الحليم النـــدوي و سيد محمد اجتباء الندوي و شعيب الأعظمي بمناسبة حصولهم على جائزة الدولة التقديرية من قبل فخامة رئيس الجمهورية الهندية، تقديرا لأعمالهم التربوية و الأدبية بالعربية و الفارسية. حضرها ضيوف مبجلون منهم البروفيسور سيـــد ظهور قاســـم مديـــر الجامعة سابقا و البروفيسور مجيب رضوي مدير الجامعة بالنيابة حاليا و البروفيسور ضياء الحسن الفاروقي مدير معهد ذاكر حسين للدراسات الإسلامية الأسبق و البروفيسور سيد مقبول أحمد مدير معهد ذاكـــر حسين للدراسات الإسلاميـــة الحالـــي. و تحدث فيهـــا البروفيســـور ضياء الحســـن الفاروقي و الأستاذ سيـــد ضياء الحسن الندوي و الدكتور سيد محمـــد إجتبـــاء الندوي و الدكتور عبد الحليم الندوي عن الدورة و عن اهتمام الجامعة بالعربية و أنشد الدكتور ظفر أحمد النظامي و الدكتور زبير أحمد الفاروقي و الدكتور شفيق أحمد الندوي قصائدهم الأردية كما أنشدت الأستاذة فرحانة صديقي بعض الأبيات على الحضور. و أخيراً فقد وجه الأستاذ علي محمد علي عـــودة و الأستاذ محمد عليم نختاري كلمة شكر للقائمين على هذه الدورة و البرامج التربوية العربية بوجه عام.

أما الحفل الختامي فإنه بدء بتلاوة آي من الذكر الحكيم تلاها بعض الإخوة المساهمين في الدورة و برئاسة صاحب السعادة الشيخ فؤاد صادق المفتي سفير المملكة العربية السعودية في نيو دلهي و ذلك في قاعة الندوات بالجامعة يوم ١٦ سبتمبر ١٩٩١م. رحب فيها الدكتور ظفر أحمد النظامي

بالحضور مديرا لكلية هيئة التدريس، و قدم الأستاذ ضياء الحسن الندوي تقريرا عن الدورة بصفته رئيسا لقسم اللغة العربية و آدابها بالجامعة ثم ألقى الأستاذ الدكتور سيد محمد اجتباء الندوي كلمة بليغة بالنيابة عن الأساتذة المحاضرين و عبر الأستاذ سيد منصور علي الندوي الأستاذ المشارك في اللغة العربية و آدابها لكلية أنجمن للآداب و العلوم و التجارة في بهتكل و الأستاذ محمد عليم نختاري المحاضر و رئيس قسم اللغة العربية في كلية اسماعيل يوسف الحكومية في بومباي و الأستاذة فرحانة صديقي محاضرة اللغة العربية و آدابها في الجامعة الملية الإسلامية عن انطباعاتهم بشأن الدورة كمشاركين فيها، و تم توزيع الشهدات على يد سعادة السفير الشيخ فؤاد صادق المفتي و الذي ألقى خطابا بليغا يتضمن ارتياحه و وعده بالتعاون على جهود تعليم و تعلم العربية في الهند. و ألقى الأستاذ مجيب رضوي مدير الجامعة بالنيابة خطابه الخاص بأمل تنمية التبادل الثقافي العربي الهندي. و أخيرا قام منسق الدورة و مقررها الدكتور/ شفيق أحمد الندوي بإبداء كلمة شكر و تقدير فوجهها إلى سائر المشاركين و الموجهين و المساهمين الذين مدّوا أيدى التعاون في إنجاح هذه الدورة

هذا ولله الأمر من قبل و من بعده .

أما المشاركون المتدرّبون في هذه الدورة فإنهم كالآتى :

١ - السيد/ محمد عبد الكريم	محاضر الكلية الحكومية ، مالابورم، كيرالا.
٢ - الدكتور عبدالرحيم خان	الأستاذ المساعد بالكلية الكريمية الإسلامية ، اندور
٣ - الدكتورة عائشة رئيس كمال	الأستاذة المحاضرة فى قسم اللغة العربية بجامعه بركة الله مدهيابراديش - بهوبال ، مدهيابراديش .
٤ - الدكتور فياض الحق	الأستاذ المحاضر فى القسم العربي بكلية رانجيا، كامروب ، آسام -
٥ - السيدة/ فرحانة صديقي	الأستاذة المحاضرة فى القسم العربي بالجامعة الملية الإسلامية ، نيودلهي -
٦ - الدكتور غلام مرسلين	محاضر اللغة العربية بمركز دراسات غرب آسيا في جامعة عليجراه الإسلامية ، عليجراه -

٧ ـ السيد/ حمزه كيه تي	محاضر اللغة العربيه بكلية فاروق ، كاليكوت كيرالا ـ
٨ ـ السيد/ محمد عليم نختاري	محاضـر و رئيس اللغة العربيـة بكلية اسماعيل يوسف الحكومية بومباي ـ
٩ ـ السيد/ پى صوفي	محاضـر اللغة العربيـة كليـة پي ـ اس ـ ام ـ أو ـ ترورانكودي ، مالابورم ، كيرالا ـ
١٠ ـ السيد/ خالد علي	محاضر اللغة العربية في القسم العربي بالجامعة الملية الإسلامـية، نيو دلهي ـ
١١ ـ الدكتور سيد ولي حسين جعفري	باحث أول و مدرس اللغة العربية في كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة همدرد ، نيو دلهي ـ
١٢ ـ السيد منصور علي الندوي	الأستاذ المشارك في اللغة العربية في كلية انجمن للآداب و العلـوم و التجارة ، بهتكل ٥٨١٣٢٠ ـ
١٣ ـ الدكتور تنوير شهاب	محاضر اللغة العربية في كلية صغرى بيهار شريف ، نالنـدة ، بيهار ـ
١٤ ـ السيد في ـ پي ـ بابو	محاضر اللغـة العربيـة في كليـة تي ـ ام الحكوميـة وكات، تيرور ، مالا بورم ، كيرالا ـ

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٤٢ العدد ٣

١٩٩١م

المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهى

الهند

إن المجلس الهندى للعلاقات الثقافية منظمة حرة تحت وزارة الشئون الخارجية للحكومة الهندية، أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و كجزء من برنامج مطبوعاته الموجه لتحقيق هذا الحوار الثقافى بين الهند و البلدان الأخرى، ينشر، بين ما ينشر، عدة مجلات ففى الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و فى الفرنسية "Rencontre Avec I' Inde" و فى الاسبانية "Paneles de la India" و فى الهندية "Gagananchal" كلها تصدر أربع مرات فى السنة. وبدل الاشتراك السنوى للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية مطبوع فى العمود المقابل *إلاّ ان مجلاّت المجلس فى اللغات العربية و الفرنسية و الاسبانية توزع مجاناً* و المراسلات المتعلقة ببدل الاشتراك و دفع الثمن و بشئون الطباعة و النشر توجه إلى :

The Programme Director (Pub)
Indian Council for Cultural Relation,
Azad Bhavan,
Indraprastha Estate
New Delhi - 110002

بدل الاشتراك

(للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية فقط)

عدد واحد - ٥ روبيات ،	£1.00 - $2.50
سنويا - ٢٠ روبية،	£4.00 - $10.00
٣ سنوات - ٥٠ روبية،	£10.00 - $25.00

نشرها و طبعها السيدة ڤينا سيكرى المديرة العامة المجلس الهندى للعلاقات الثقافية ، آزاد بوان ، نيو دلهي - الهند. طبعت فى مطبعة ڤاب انتربرانسيز جرين بارك ، نيو دلهي.

توزع مجاناً

رئيس التحرير: البروفسور نثار أحمد الفاروقى

مجلــــة **ثقافة الهند** فصليـــــة

المجلـــــد ٤٢ العـــدد ٣

١٩٩١م

محتويات هذا العـــدد :

حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي

بقلم : السيّد أبي الحسن علي الحسني الندوي
مدير ندوة العلماء بلكناؤ

وقع الإسم الكريم للشيخ أشرف علي التهانوي في سمعي مقرونا بكل أدب و احترام منذ الصغر، و ذلك لما كان كتابه بهشتي زيور (حلية الجنة) يحضى بالقبول المدهش و التجاوب الحار. فقد كان كتابه بمثابة مفتٍ مطاع و مشرف ديني في الأسر التي كانت بعيدة عن البدع و التقاليد و العقائد الفاسدة، و لعله أول كتاب تعارفت به من بين كتبه، و سمعت مشائخ أسرتي و علمائها الذين يعتبر قولهم حجة و سندا و رأيهم فتوىً يذكرونه كطبيب روحي حاذق و معالج إخصائي في الأمراض الروحية و الأسقام الباطنية، كان الشيخ السيد حسين أحمد المدني رحمه الله مرشدا و موجها لأكثر شيوخ أسرتنا، و كان أخي الكبير هو نفسه هائما مشغوفا بحب الشيخ و احترامه، كما كان اتجاه الأسرة و البيئة في الآراء السياسية نفس اتجاه الشيخ فيها، لكن ذلك لم يغير شيئا من عظمة الشيخ التهانوي و حبه و احترامه، بل كنا سعداء بحنان و عطف مختلف الخلفاء للشيخ و كانت لنا أواصر و أرحام دينية و علاقات ودية تربطنا بهم و تكتسب لنا ودهم و التفاتهم، و أخص بالذكر منهم الشيخ وصي الله الفتح بوري و الشيخ عبدالغني الفولبوري، كان مولانا أفضل التهلواروي الذي كان أحد تلاميذ والدي الجليل النجباء و كنا ندعوه *بالصوفي* خليفة و تلميذا للشيخ، و كان تتملذ على الشيخ لإكمال الجانب الروحي و إصلاح باطنه في وقت قل فيه من تشرف بذلك، فكان يذكر الشيخ و يمجده دائما، كما وجدت الشيخ عبدالباري الندوي و الشيخ عبدالماجد الدريابادي يذاكرانه هو و *تهانه بهون* (منزل الشيخ) بكل لهفة و تلذذ، و كان في حبي مع الشيخ و احترامه نصيب كبير لكتاباتهما و مجالسهما.

ترجع نشاتي العلمية و العقلية إلى الزمن الذي أقف فيه الشيخ السفر كليا، لذلك لما قدم إلى لكناؤ بهدف المداواة قبل أغسطس سنة ١٩٣٨م، بعد مدة

طويلة، و أقام بها لأربعين يوما بكامله، سعدت بلقائه الكريم، غير أنني قد كنت تشرفت بمكاتبته قبل ذلك بسنوات عديدة، كنت في صيف سنة ١٩٣٤ في خدمة الشيخ أحمد علي إذ أمرني أخي الذي كان يسعى دائما في تربيتي الدينية و الخلقية بأن أعود إلى *تهانه بهون* (زاوية الشيخ) و أقيم بها في خدمة الشيخ لبضعة أيام، و كان أخي يعرف آداب و قواعد الحضور بها فأرشدني و أكدني بأن أصرح في رسالة و أذكر له غرض السفر و مدة الإقامة هناك مع الإشارة إلى أسماء الشيوخ الذين أتصل بهم بالتلمذة و الاسترشاد، لأن الشيخ كان يحب هذا الوضوح و الصفاء و يتوجع بالإخفاء و التورية و الاصطناع، فامتثلت هذه التوجيهات الرشيدة كليا، و أرسلت إليه من لاهور رسالة.

كنت أعرف أن الشيخ على معرفة تامة بوالدي، كما ذكرت فيها أساتذتي و مشايخي الذين أنتمي إليهم بالتربية و الإصلاح، و أبرزت فيها علاقتي بندوة العلماء و انتسابي إلى الشيخ السيد المدني رح ، و بالاصافة إلى ذلك ذكرت أنني أنوى بها إقامة أسبوع بكامله، و ليس الغرض إلا الزيارة و شرف اللقاء، فرد الشيخ على رسالتي بكل شفقة و حنان، و ردّ موجزا على مختلف الفقرات و محتويات الرسالة على هوامش رسالتى حسب عادته، و ردّ على طلبي للسماح بالحضور قائلا: "زرني على الرحب و السعة و لكن بنية اللقاء فحسب و ليس إعتقادا و لا انتقادا ظاهرا" و كتب بشأن ما ذكرت انتمائي إلى الشيوخ الكرام: "سررت بالصفاء و الايضاح" ثم ذكر بنفسه خلافه لطريقة بعض المصلحين و الشيوخ، و كتب ثانيا على طلبي للسماح بالزيارة: إنه لي فخر و سعادة لولا أن تحول في ذلك ظروفي و أوضاعي، لم يكن تمّ بعد لقاء أخي مع الشيخ، و إنما كان الشيخ يسمع أخباره بالغياب، لكن الشيخ لم يكن يعرف إسمي - كما أظن - و لا وجه إلى ذلك، و لذلك أفرد النهاية بهذه العبارة الممتعة

مكرمي دام لطفكم!

السّلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته

إضافة إلي ذلك أكلفكم فاتساءل أ أنت أخو الدكتور السيد عبدالعلي الحسني؟ أم لك أنت إسمان؟.

رددت على هذه الرسالة الكريمة المشجعة من لاهور نفسها في أسلوب طالب، و ذكرت - دونما حاجة إلى ذلك - أن ذلك الاختلاف إنما هو كاختلاف الأب و العم، فهذا الاختلاف لا يمنع الولد البار من وصلها و توثيق الصلة بهما، فكأني تذرعت بالحجة والدليل لتقليل أهمية ذلك الخلاف و تبرير موقفي، فنظرا إلى ذكاوة حسه و لطافة طبعه المعروفة و القصص التي سمعتها من المنتسبين إلى *تهانه بهون* و الغادين و الرائحين إليها نظرا إلى ذلك تيقنوا أن جراءة طالب شاب قليل العلم و تدخله في فيما لا يعنيه سيفضي إلى تضايق الشيخ

و انزعاجه، و لا يكون الجواب المنتظر إلا أن "لا تتكلف بالقدوم هنا، فانك لن تنتفع هنا شيئا، لعله لم تطل إقامتي في لاهور بعد كتابة هذه الرسالة و عدت إلى لكناؤ سريعا، لعل ذلك كان لما خفت أن الشيخ لن يرد على هذه الرسالة، أو لأني لم أصع فيها المظروف.

و عدم معرفتي بالآداب و اللوازم، لكنني قضيت العجب و تهللت بشرا مما رأيته، فقد اهتمّ الشيخ بالردّ على هذه الرسالة بالعكس مما تعود، و أعد بنفسه المظروف غير مكترث بجميع آدابه و ضوابطه و كتب العنوان بيده و أرسلها بيد أحد القادمين إلى لكناؤ، فإليكم أولاً عبارة العنوان فانها تجدر بالملاحظة، ثم نص الرسالة

إلى
"المشفق المكرم المولوي علي ابو الحسن سلمه الله، بواسطة سعادة الدكتور سيد عبد العلي سلمه الله، الرقم ٣٧
ـ أمين أباد - لكناؤ

من:
أشرف علي عفي الله عنه، تهانه بهون، إلى حضرة مجمع الخصائص و الكفاءات، زيد لطفكم،

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

تسلمت رسالة الارتياح و السرور، تبعث كل كلمة من كلماتها على الابتهاج و الانتعاش، فجزاكم الله تعالى على هذه المحبة، إن صدقك و خلوصك و سلامة عقلك جعلتني ألفت بك فجأة و شعرت منك بالأنس و المحبة، فلا أريد أن أخفي عليك شيئا، و أتجرأ على أن أصيف إلى ما تقدم أن علمك بالخلاف و معرفتك فيه بسيطة إجمالية، لانك رأيتهم و لم ترني أنا، فستعرف هذا الاختلاف جملة و تفصيلا بعد ما تراني، كما أرجو أنك ستطلع على عواطفي و أخلاقي، فيرتاح به قلبك و تقرّبه عينا، و الغيب عند الله

تجددت ذكري الخليفة (١) بما بث إليّ من رسالته و سلامه، زاد الله لطفه و عناياته، و بالجملة أدعو الله لك (٢) و أطلب منك الدعاء الذي أخترت منه منذ مدة طويلة.

اللهم كن لنا و اجعلنا لك و السلام

يوجد على هذه الرسالة الكريمة تاريخ ١٦/ربيع الاول سنة ١٣٥٣هـ الذي يوافق ١٤/يونيو سنة ١٩٣٤م، كانت تحمل هذه الرسالة شيئا كثيرا من اللطف و الحنان، لكنني لم أوفق رغم ذلك الحضور إلى تهانه بهون، حتى أنها قدمت بنفسها إلى لكناؤ، حيث قدم الشيخ إلى لكناؤ في أغسطس سنة ١٩٣٨م بصدد

علاجه، و بذلك تسنّى له أن يداوي من وراء علاجه قلوبا مريضة لا تحصى، و يقيم بمكان رئيسي في البلد يعرف *بمولوي كنج* و يفتح فيه عيادته الروحية التي حضرها كبار العلماء و المشايخ و أعيان البلد، و بالجملة قدم الشيخ إلى لكناؤ في أغسطس سنة ١٩٣٨م، و أتخذ بيت مسترشده و تلميذه القديم مولوي محمد حسن الكاكوروي مدير *أنوار المطابع* منزلا له، و كان علاجه بشفاء الملك حكيم عبد الحميد في إحدى حارات لكناؤ، و دامت إقامته أربعين يوما، و هي مدة لها قيمتها و أهميتها في مجال التربية و الإصلاح و التزكية، خص وقت ما بين الظهر و العصر للقائه لرجال مخصوصين، و كان ضابط ذلك أن يعرف الشيخ القادمين شخصيا أو يعرفهم رجل ثقة من حضرة مجلسه، كي لا يحدث أمر لايليق به و يؤذيه، طار خبر قدوم الشيخ غير المرجو في أرجاء الهند و لاسيما في المديريات الشرقية رغم جميع التحفظات و التأكيدات، فلم يسَمح بالزيارة إلا لأهل العلاقة الخاصة مع حدود و قيود خاصة، و لم يزل يحضر و يزور الشيخ التلامذة و المسترشدون من كلكتا إلى لاهور و أمرتسار في أوقات مختلفة، كما تشرف بزيارته و استفاد من مجالسه العلمية الإصلاحية عدد كبير من أعيان البلد بما فيهم علماء فرنجي محل و أساتذة دارالعلوم ندوة العلماء و طائفة طيبة من المتدينين في البلد، كان الشيخ يؤدي صلاة العصر في مسجد خواص الذي أصبح مسجد الخاصة بمعناه الحقيقي بقدومه الميمون و مجالسه اليومية، ثم ينعقد مجلسه بعد الصلاة في ناحية المسجد الشمالية الغربية، فكان الشيخ يخاطب الناس مع الرد على الرسائل، كان مجلسه مجلس علم و تربية و تزكية، يذكر فيه معاني و رموز التزكية و الإحسان و دراسات علمية و تربوية و قصص المشايخ و الربانيين، و إذا ذكر الشيخ أحوال المصلحين الربانيين و قصصهم غشيت المجلس غاشية من الهدوء و السكينة، و سحابة من البهجة و السرور، و كان الشيخ نفسه يشعر بالفرح و الارتياح و تنفرج أسارير وجهه، و كان شقيقي الكبير يواظب على الحضور في هذا المجلس و كذلك في المجلس الذي ينعقد بمنزله قبل العصر مع مواظبة الطالب على الحضور في مدرسته، فكان الشيخ يوليه عنايته و اهتمامه الخاص، و يستشير منه أحيانا في أمر علاجه، و كان كاتب هذه السطور العاجز هو كذلك يحضر مجلس الشيخ مع شقيقه، و كان من بواعث عناية الشيخ الخاصة بهذا العاجز أن *القول المنشور* كان في دور الطباعة، و هو في الواقع تاليف مولانا ظفر أحمد التهانوي، لكن الشيخ حلاّه بالضبط و التحقيق و الزيادة، فكان الشيخ يعني عنايته الزائدة بطباعة هذا الكتاب و نشره، و الكتاب يتضمن كثيرا من العبارات الطويلة للعربية، ففوّض الشيخ وصل البلغرامي – جزاه الله خيرا – إليّ عملية تصحيحها، فكلما أشكل عليّ شيء منها راجعت الشيخ و عرضت عليه مشكلتي في المجلس قبل العصر فيحلها، و في أثناء إقامته أبدي ذات مرة في ١٥/ستمبر سنة ١٩٣٨م رغبته أن يزور

بيتنا، فلا تسأل عن فرحنا و ارتياحنا و هل فوق ذلك أي كرامة و سعادة، فأكرمنا الشيخ بزيارته لبيتنا مع طائفة صغيرة من رفقته و أصحابه، و أفادنا بتوجيهاته الرشيدة وقتا طويلا، و أثار هنا أيضا ذكر العالم الرباني الحاج إمداد الله و أحوال المشايخ و المصلحين.

ثم قدم مرة ثانية إلى لكناؤ في أغسطس سنة ١٩٤١م بعد ثلاثة أعوام، و أقام في هذه المرة أيضا لأكثر من شهر، و كان البرنامج نفس البرنامج الذي كان من قبل، و بذلك تسنى لنا أن نحضر مجالسه العلمية و التربوية العامرة بالروحانية و السكينة و الرزانة، و ننهل من مشاربها الصافية و نعلّ.

ثم نشر كتابي سيرة سيد *أحمد الشهيد* بالأردية سنة ١٩٣٩م، فأما أنا فلم أتجرأ على أن أرسله إلى الشيخ، لكن صديقي المحترم الشيخ محمد منظور النعماني أرسله إليه مع كتاب آخر يعجبه كثيرا على غفلة مني بيد أحد تلامذته البارين، و صارح بأن الشيخ إن شعر في نفسه بشيء من الضيق و الانزعاج يردهما و لا يبالي، فتقبل الشيخ هذه الهدية المتواضعة، أهدى الكتاب الآخر لشخص فور تسلمه، و وضع *السيرة* لدراسته، فكتب الشيخ رسالة إلى الشيخ منظور النعماني شكرا و تقديرا، أعرب فيها عن سروره و ارتياحه بما صارح من الرفض و الخيار، و أبدى مشاعره و انطباعاته عن *السيرة* و إليكم فيما نص الرسالة، فانها تلقى بعض الضوء على طبيعة الشيخ و ذوقه و مشاعره و عواطفه الأصيلة

"من العاطل المستهتر أشرف علي عفي الله عنه
إلى العبد المكرم دام فضلهم و لطفهم
السلام عليكم و رحمة الله

من بواعث الغبطة و السرور و الامتنان إني تسلمت أمس رسالتك الكريمة مع هدية قيمة لكتابين، فتقبلتها على الرحب و السعة، و مما أعجبني كثيرا و أولعني بك أنك فضّلت نظمي و أصولي على عواطفك فسمحتني بالاعتذار عن القبول، و بما أنه من أصولي و آدابي أنني أعد امتثال المحبين المخلصين فخرا لي و سعادة، فأجد أصولي محفوظة و مصونة مع قبول تلك الهدية، و من أصولي أيضا أنني لا أخفي الانطباعات التي تنعكس على قلبي بهدايا المحبين، فقد أثارت هذه الهدية و لا سيما "سيرة السيد الشهيد" انطباعتين على قلبي إحداهما للسرور و الارتياح و أخراهما للندم و الخجل، فالخجل على أن دراسة الكتاب تكشف عجزنا و بطالتنا، فلا همة فينا و لا غيرة، إنما نعيش عيشة البهائم حيث لا يهمنا إلاّ الطعام و المنام، فلو أهديت أمثال هذه الأشياء لمن يستغلها

و ينتفع بها لما ضاعت الهدايا.
و أخيرا ألتمس منكم الدعاء و أدعو الله أن يوفقنا لاتباع عباده الصالحين الربانيين. و السّلام

و شاء الله أن يحين ذلك اليوم الذي سعدت فيه بالحضور في *تهانه بهون* و سنحت الفرصة لأن أشاهد بعينيّ ذلك المكان الذي مازلت أسمع قصصه و حكاياته الممتعة من الغادين و الرائحين منذ زمان، فقد يقولون إن الزهرة لاتتجلى في أروع و أجمل أشكالها إلا على غصن الوردة و في الحديقة نفسها، و أحسب أنه كانت سنة ١٩٤٢م و شهر مايو أو يونيو، و أذكر أنه كان يوما صائفا و تهب الريح الحارة، و كنت أسافر مع الشيخ محمد إلياس رحمة الله عليه منشيء جماعة التبليغ بقطار السكة الحديدية الصغيرة، التي تصل شاهدره إلى *سهارنبور* و تمر بالأماكن و القرىٰ التي يتصل بها تاريخ مشايخ ديوبند و علمائها الربانيين أمثال *كاندهله* و *تهانه بهون* و *نانوته* و *رام بور منيهاران*، و لا أذكر جيدا هل كان من البرنامج في هذا السفر أن يزور الشيخ محمد إلياس *تهانه بهون* أو أراد ذلك في أثناء السفر أحسب أنه كان البرنامج أن نقيم مع الشيخ محمّد إلياس في كاندهله التي كانت وطنه ثم نغادر منها إلى *منيهاران*، تقع *تهانه بهون* بين *كاندهله* و *رامبور*، فاستأذنت من الشيخ أن أغادر كاندهله قبل يوم و أقيم في *تهانه بهون* يوما و ليلة ثم أرتحل منها و أركب على نفس القطار الذي سيسافر به الشيخ محمد إلياس إلى رامبور، كان الشيخ محمد إلياس نفسه من محبي *تهانه بهون* و المولعين بها و يعد الشيخ التهانوي من كبار مشائخه و علمائه، فسُرَّ بذلك و ارتاح جدا و أذن لي بكل طيب خاطر و طواعية نفس، كان أحد محبي *تهانه بهون* يريد الذهاب إليها، فطلبت منه أن يوصل في حضرة الشيخ رسالتي المؤذنة بقدومي، لكنه رفض ذلك قائلا: إنه ينافي آداب و قوانين الشيخ، فعرضت عليه أن يلقيها في صندوق البريد، فقبل ذلك مشكورا، مكثت في كاندهله يوما ثم غادرت إلى تهانه بهون، وصلت إليها في الظهيرة و كانت المحطّة قريبة جدا من زاوية الشيخ، فاكتريت حمّالا و ذهبت معه إلى الزاوية مشيا على الأقدام، و قد كنت سمعت شيئا كثيرا عن قواعد و آداب تهانه بهون و قصص المؤاخذة و الاحتساب، فدخلت في الزاوية خائفا مذعورا، كما يدخل طالب في مدرسته، كانت الظهيرة و الحر شديد، فالمقيمون بها يقيلون في غرفاتهم، فوضعت أمتعتي في ناحية و جلست أنتظر الأذان، و ما هي إلا دقائق حتى أُذّن فقدم الشيخ ، و توضأ و لكن لم أستحسن أن أعرفه بي في ذلك الوقت، و انعقد مجلسه بعد الصلاة في ناحية المسجد، و حضره النخبة المختارة و إنما كنت أعرف من بينهم الشيخ خواجه عزيز الحسن المجذوب، فحضرت المجلس و جلست في ناحية، و ما إن دخلت في محراب المجلس حانت التفاتتي إلى المنضدة التي كانت أمام الشيخ و عليها الرسائل و أدوات أخرى، و كان في واجهة الشيخ على المنضدة كتابي *سيرة السيد أحمد الشهيد* الذي مضى على نشره ثلاث سنوات، لا أدري هل كان الشيخ أخرجه في ذلك اليوم خاصة لتشجيعي

و تأليفي أو كان يوضع عليها في عامة الأحوال، فشعرت به كأنني صادفت صديقا حميما لتعريفي و تقريبي، و قلّ بوجوده إلى حد كبير ما كنت أشعر بالغربة، كان الشيخ مشتغلا بالرد على الرسائل، ثم التفت إلى الشيخ خواجه بعد دقائق و قال. كان أخ الدكتور عبد العلي قادماً اليوم أ فلم يأت بعد؟ فقلت لا ينبغي أن أسكت الآن، فتقدمت و قلت . أنا حاضر، فقال الشيخ . لما لم تخبرني، تعال، و مدّ يده للمصافحة، قلت له: إنما تفاديت الإخبار مخافة أن أحرجك، فقال الشيخ: و أي حرج أعظم من أن خجلت و ندمت و تأسفت إذا ما لم أطلع على قدومك، و أعاد ذلك مرارا، و أعجب من كل ذلك أن قال إنما أنجزت لأجلك أنت كثيرا من أشغال الرسائل من قبل، كي أتحدث معك بهدوء و طمانينة، فكان ذلك إكراما من الشيخ و حفاوة زائدة لم يكن يتصورها شاب مغمور مطمور مثلي، ثم سألني الشيخ بعد هذه الأريحية و الحفاوة بكل عطف و لطف: هل معك زميل لك؟ و ما هي عادتك في الطعام؟ هل هناك شيء محظور فيه؟ و بذلك عرفت أن الشيخ سيجعلني ضيفا له، و كان ذلك أيضا منافيا للتجارب العامة و التقاليد الشائعة، و لما قلت أن ليس لي أي خطر بالنسبة إلى الطعام، اعتذر عن أن يتناول الطعام معي لانحراف صحته في تلك الأيام، ثم سألني. إلى متى تمكث؟ قلت. برنامجي أن أرتحل في الظهيرة غدا، فعجب من هذه الإقامة القصيرة للغاية و قال. لا أصر على أصدقائي أن يطيلوا إقامتهم مخافة أن يسأموا و يتضايقوا و يتلكأ في القدوم هنا أناس يفرغون لنا بعض أوقاتهم، ثم اتخذ المجلس لونا آخر و اتجه الحديث إلى ذكر المشايخ و الربانيين، و كانت معظم القصص تدور حول أسرة العالم الرباني الشاه ولي الله الدهلوي و الشيخ الشاه عبدالعزيز و الشيخ الشاه إسماعيل

حضر العشاء من بيت الشيخ بأنواعه و أقسامه، و أرسل إليّ الشيخ بعد الفجر الشيخ خواجه يخبرني أن الوقت الفلاني لمجلسي، لا يسمح بالاشتراك فيه إلا الخاصة، لكنه يمكنني أن أفرغ لك وقتا آخر إذا كنت في حاجة إلى ذلك، فقلت لا حاجة إلى ذلك إنما جئت للزيارة و الاستفادة فسأحاول الحضور في هذا المجلس الخاص، فحضرت إليه في الضحى تقريبا، و لم يحضر فيه إلا بضعة أشخاص، أذكر منهم الشيخ خواجه عزيز الحسن، أمر الشيخ التهانوي الشيخ خواجه أن يناوله حبالته فنهض الخواجه امتثالا، غير أنه لم يتفطن لما أمر به، فسأل الشيخ هل عرفت ما هي حبالتي؟ كان الجواب بلا، فقال. إنما هي السبحة فهي حبالتنا نتصيد بها الناس، لم تزل تغشى المجلس غاشية من الابتهاج و الارتياح و سحابة من الانفتاح و الانبساط، و لا غرو فإن طلاقة وجه الشيخ و وضاءة جبينه و إشراقة محياه و بهاء طلعته كان يفضي على المجلس لونا ضافيا من الرونق و البهاء، و الروعة و الجمال، و من هنا عرفت أن كل ما تصورنا عن تهانه بهون من التشدد و التصلب لا يخلو بالنسبة إلى الشيخ من المبالغة و الظن الخاطىء و المعرفة القاصرة، فقد كانت بها ضوابط و قوانين محكمة لكنه تتبعها الاستثناءات بكثرة، أما الطالبون والأشخاص الذين مازالوا في دور الإصلاح و التربية فلهم المحاسبة و المؤاخذة، لكن الذين يزورونه أحيانا و الذين ليست علاقتهم بالاصلاح الدائم و التربية المستقلة

فقد كانوا ينعمون بعطفه و حدبه و يسعدون بلطفه و حفاوته.

و هنا عرفت أن الجو السائد في الزاوية لا ينسجم تماما مع ذوق الشيخ و طبيعته، و جامعيته و اتزانه و حكمته، و لا يمثل حياة الشيخ الشاملة بطبيعة الحال مائة في المائة، و كانت الشهرة السائدة عن تشدد *تهانه بهون* و عدم ليونتها المحاسبة و المؤاخذة ترجع إلى حد كبير إلى قيود الأصوليين المتشددة التي لا تعرف لينا و لا هوادة، و إليكم هنا ما جربته شخصيا، ذات مرة كان القطار متأخرا و قد فرغت من مجلس الشيخ، و لم يكن من عادتي أن أضيّع وقتي عاطلا، فقصدت المدرسة التي كانت في الناحية الشمالية للزاوية و كان عالم يدرس كتابا، فجلست أنا كذلك في جانب، فأشار المدرس إلى طالب أن يحمل إليّ اللوحة المعلقة على الجدار التي كتب عليه: "إذا كان أي أستاذ يدرس فلا يجلس في الدرس أي قادم من الخارج" نظرت إليها و نهضت متندما، و كذلك سألت أحدا عن موعد المكتبة، فبدلا من أن يجيب بنفسه قال لي: إقرأ اللوحة فقد كتب عليها الموعد، لعل هذا التقيد اللفظي و الأصولية كانت تسبب تنافر كثير من القادمين الأجانب، لكن كان الشيخ على العكس من ذلك تماما متحكما على هذه الأصول و الضوابط و ليس محكوما عليه، فكان متى شاء و حيثما شاء نبذ هذه الضوابط و ألقاها وراءه ظهريا و اعتبر ذلك قاعدة ذلك الوقت.

ثم بعد ذلك لم يُقَدَّر لي أن أزور *تهانه بهون* و لا أن أسعد بقدوم الشيخ الميمون إلى *لكناؤ*، إلا أنني أتصل به دائما بالاستفادة منه علميا و روحيا و حبه و وده و الاحترام له، و كان الشيخ يكاتب أحيانا شقيقي فقد طلب ذات مرة بعض الكتب من مكتبة ندوة العلماء للدراسة، و اهتم بإرجاعها بكل حفظ و عدم تكليف المرسل بشيء يتضايق به و ينكمش، الأمر الذي قد أصبح من طبيعته و الذي فاق في التمسك به و المحافظة عليه أقرانه و أترابه و امتاز منهم كثيرا، و إليكم نص الرسالة التي أرسلها الشيخ بهذا الصدد إلى شقيقي و التي تنم عن ثقوب نظره و سلامة فكره و رحابة صدره و تكشف عن وجهته نحو شيخ الاسلام العلامة ابن تيمية و العلامة ابن القيم و مدى احترامه و تقديره لهما:

مكرمي و محترمي دام فضلهم

السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته

بفضل ندوة العلماء و فيضها عليّ أن استفدت من "اعلام الموقعين" و حاوي الارواح و شفاء العليل فأشكر لها و أدعو لها من صميم القلب، إن البحث الذي طلبت الكتاب لأجل مراجعته لا أتفق مع العلامه المؤلف في غرضه الذي توخاه من هذا البحث غير أن أعجبت بالمبادىء و المقدمات التي استخدمها العلامة في بحثه و توصل بها إلى غايته المنشودة، إذ هي علوم و معارف قيمة و تمثل في نفسها قيمة الفن و المعرفة، فانتفعت بها كثيرا، فانتسخت هذا

البحث القيم، و أرجو - و هناك أغراض أخر أيضا - أن تسنح لي الفرصة أو لغيري فيعلق على ذلك بكل أدب و احترام، و لأجل ذلك تأخر رد الكتاب إليك، فالحمدلله علي أنني أستبشر اليوم بردّ الكتاب، و قد صرحت في رسالة لك بمبلغ الوصول بكذا فها أنا أرسله إليك، و أخبرني من فضلك عن التسلم أن لم تتضايق بذلك شيئا حتىٰ أطمئن.و أخيرا فليس لي إلا أن أدعو لك و تدعو لي.

و السّلام

أشرف علي

من تهانه بهون

تفضل الداعية الشيخ محمّد إلياس بقدومه الميمون إلى لكناؤ في رجب سنة ١٣٦٢هـ الموافق يوليو سنة ١٩٤٣م، فغشيت البلدة غاشية من الرونق و البهاء و سحابة من البركة و الروحانية، كما تفضل بالقدوم شيخ الحديث مولانا محمد زكريا أيضا باليوم القادم، و قد قدمت من قبل جماعة كبيرة للتبليغ، و كنا مشتغلين ببرامج هذه الجماعة التبليغية و مبتهجين بنشاطاتها الدعوية إذ فاجانا نعي الحادث المفجع المؤلم الذي مفاده أن شمس العلم و الدعوة و الإصلاح لتهانه بهون قد غربت في ١٧/رجب سنة ١٣٦٢هـ (١٩ يوليو ١٩٤٣م)، و في نفس تلك الأيام قدم حضرة الاستاذ العلامة سيد سليمان الندوي إلي لكناؤ، فلم ندر هل بلغه نعي وفاة الشيخ في الطريق أم في لكناؤ، غير أنه كان قد أصبح مثالا في القلق و الاضطراب فيتململ تململ السليم، و من هنا عرفنا مدى علاقته بمرشده، و أي منا يعرف أن الداعية الشيخ محمّد إلياس هو كذلك سينتقل إلى رحمة اللّه بعد ذلك بعام تماما، و أن الهند ستفقد هاتين الشخصيتين العبقريتين. " كُلّ مَن عَلَيهَا فَانٍ و يَبقي وجهُ ربّك ذُو الجَلالِ و الإكرامِ.

الهوامش:

١ - يعني الشيخ الخليفة غلام محمد الدينبوري، الذي كان من كبار المشايخ و الربانيين للسلسلة القادرية في ذلك العهد، و كان يسكن في دين بور التي تجاور خان بور في ولاية بهاولبور حظي باحترام و تقدير جميع علماء و مشائخ ديوبند

٢ - التمس العاجز من الشيخ في رسالته الدعاء و لم يحدد الغرض، و إنما كتب " أهل مكة أدرى بشعابها ".

تعريب: آفتاب عالم الندوي

مشاركة اللغة العربية
في الحضارة الإسلامية

بقلم : الأستاذ د / إحسان عباس
عمادة البحث الاسلامي
جامعة الأردنية ـ عمان ـ الأردن

ا - مقدمة :

كنت أوثر أن يتولى معالجة هذا الموضوع باحث خبير بدقائق اللغة العربية و أسرارها، و أقف على تحولاتها و أطوارها، باحث يستطيع أن يزوي خلف موضوعيته المتعمدة محبته العميقة للغته و اعتزازه بها، و بدورها الحضاري، لكى ينفي عن نفسه تهمة الهوى و التعصب، دون عناء أو تكلف، لأن الحقائق التي تقف عند أطراف أصابعه تسري إلى قلوب السامعين في يسر، و تنفذ إلى مكامن نفوسهم دون توقف أو تشكك أو حتى سؤال بلِمَ و كيف. و كلّ ذلك مطلب عسير حين تناط بي هذه المهمة، فإن زادي من اللغة لا يتعدى الوقوف على أطراف محدودة منها، و على الرغم من تشبثي بأذيال الموضوعية في معظم ما أكتب فاني أخشى على موضوعيتي - إذا ذكرت العربية - أن تضمحل أو تضعف أمام محبتي لها، و تقديري لدورها، و اكباري لما قد أعده منجزات لها.

و لا مدخل للعجب في أن يحب المرء لغته و يعتز بها بقوة الألفة و المعايشة و الإحساس بقيمتها في التعبير عن كل شأن خاص أو عام، دقيق أو جليل، و أن يؤمن بأنها ذات خصائص مميزة أو ذات عبقرية خاصة بها، كما يقول كثير من علماء اللغة، و لكن وضع تلك الخصائص في ميزان المفاضلة بين لغة و أخرى أمر قد لا يجد له سندا علميا قويا. و أكثر ما يبرز هذا الميل في لحظات المدّ القومي حين تصبح اللغة هى الرابطة القومية الأولى بين مختلف الفئات الناطقة بها، و بخاصة اذا انقسم أهل اللغة تحت مؤثرات مختلفة في فريقين متناحرين متكايدين: فريق يريد أن يحتفظ بالثقة الذاتية عن طريق غيرته على اللغة و حرصه على نقائها و بقائها، و فريق يحسّ بتخلفه عن ركب

الحضارة فيعزو ذلك إلى تخلف اللغة نفسها.

و على مرّ الزمن وجد ناس يقولون ليس بتفوق اللغة العربية في ذاتها و حسب بل بأفضليتها على لغات أخرى و حين كان أبو حيان التوحيدي يكتب تحت تأثير المدّ الشعوبي في عصره، وجدناه يقول:

"و قد سمعنا لغات كثيرة - و ان لم نستوعبها - كلغة أصحابنا العجم و الروم و الهند و الترك و خوارزم و صقلاب و أندلس و الزنج، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفُرَجَ التى في كلماتها و الفضاء الذي نجده بين حروفها، و المسافة التي بين مخارجها، و المعادلة التي نذوقها في أمثلتها، و المساواة التي لا تجحد في أبنيتها .. " (١).

و يشير هذا الرأى إلى أن أباحيّان غفل عن حقيقة مهمة و هى أنه حكم على اللغات الأخرى عن طريق السماع، و النطق بلغة ما و الكتابة بها و التصاقها بفكر الأفراد و الجماعات و تطاول الزمن على ألفتها و التعامل بها، كل ذلك يختلف اختلافاً كبيراً عن سماعها و الحكم على سياقها المسموع و موسيقاها الخارجية. ثم ان ما يقوله أبو حيان ليس سوى إحساس ذاتي قد يشاركه فيه كثيرون، و لكن لا يمكن نقله من واحد إلى آخر و بخاصة أن كان هذا الثاني غريباً عن تلك اللغة، يألف في الوقت نفسه لغة أخرى. و ذلك الإحساس نفسه شبيه بالتذوق الفني أمام نموذج قد يملأ بالإعجاب نفس متذوق ما و لا يدخل شيء منه إلى نفوس غيره من الناس.

و قد ردّد هذا الرأى أو ما يشبهه كثير من الكتاب قبل أبي حيان و بعده و زادت اليقظة القومية الحديثة من الحاجة اليه، فذهب الشدياق مثلا إلى أن اللغة العربية تتميز بسهولة الكلام و وضوحه و عدم خروجه عما تقتضيه البساطة الطبيعية و التناسق الصناعي و أنه لو لم يكن للغة العربية من خصوصيات الحُسْن غير هذا لكان كافياً في الحكم بأفضليتها (٢)، و صرّح الشدياق بأن العربية *أحسن اللغات صيغا و أساليب و أكملها نسقا و تأليفاً* (٣) و إلى قريب من هذا يذهب جبر ضومط حين يقول .

"و ليس غنى العربية في كثرة ألفاظها فقط، بل غناها العظيم الذي لا يكاد يماثل إنما هو في اتساع اشتقاقاتها و كثرتها و نفوذ القياس و اطراده في أغلبها ان لم أقل فيها كلها وما أظنها تنقص عن اليونانية أو اللاتينية .." (٤).

و الأمثلة على هذا اللون من النظر إلى اللغة العربية كثيرة، و دواعيه على اختلاف منابعها قدتُردّ في الأكثر إلى الوقوف في وجه المتنقصين من اللغة

المؤمنين بقصورها، و لذلك كان دفاع المتحمسين يمثّل في أغلب حالاته احساساً عاماً، ممزوجاً ببعض الدراسة لظواهر لغوية معينة.

غير أن ميدان الدراسات اللغوية لم يخل من نظرات واقعية تجريبية، تبتعد عن التعميم، و تحتكم إلى الأناة في النظر، و عند التدقيق كان بعض الدارسين يقف على أمور في غير العربية تفتقر إليها العربية نفسها، و حين كان ابن حزم يكتب في المنطق كتابه *التقريب* توقف غير مرة لأن العربية لم تسعفه في التمييز بين مقولتين، فقال في أحد المواضع:

> *"و اعلم أن اللغة العربية لم تمكنِ العبارةُ فيها بأكثر مما ترى، على أن السؤال بـ " ما " و السؤال بـ " أى " قد يستويان في اللغة العربية و ينوب كل واحد من هذين اللفظين عن صاحبه و يقعان بمعنى واحد، و من أحكم اللغةَ اللطينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام، فان لفظ الاستفهام فيها عن العام غير لفظ الاستفهام عن أبعاض ذلك ببيان لا يخيلُ (يختل؟) على سامعه أصلاً " (٥)*

و لا ينطلق ابن حزم في ما يقوله اعتماداً على التجربة و حسب، بل هو يعتمد نظرية مؤداها أن لا فضل للغة في ذاتها على أخرى، يقول

> *"و قد توهّم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، و هذا لا معنى له لأن وجوه الفضل معروفة، و إنما هى بعملٍ أو اختصاص، و لا عملَ للغة و لا جاء نصّ في تفضيل لغة على لغة . و قد غلط في ذلك جالينوس فقال: ان لغة اليونانيين أفضل اللغات لأن سائر اللغات إنما هى تشبه إما نباحَ الكلاب أو نقيقَ الضفادع .. و قال قوم العربية أفضل اللغات لأنه بها نزل كلام الله تعالى. قال علي و هذا لا معنى له لأن الله عز و جل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه " (٦)*

هذان موقفان يبدوان متباعدين ما بين الإحساس الخالص المبهم الذي يمثله أبوحيان و جالينوس و الشدياق و ضومط و من وقف موقفهم، و التحقيق التجريبى المؤيد بالشاهد النقلي و ذلك هو موقف ابن حزم والآخذين بالنظرة العلمية في دراسة اللغة. و كلام الرأيين صادق في التعبير عن أصحابه، و لكن في رأى ابن حزم نقطة مهمة يجب أن نتنبه لها، و هى اعتقاده بأن اللغة لا تعمل، أى ليس لها كيان مستقلٌ منفصل عن الناطقين بها، فهى محضُ أداةٍ تعتمد في تطورها و في موقفها من الحضارة على من

سنة ٨.فنسمع صداها فى الآيات الأولى لسورة البراءة

" بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُم مِنَ الْمُشرِكِينَ، فَسِيحُو فِي الأَرضِ أَربَعَةَ أَشهُرٍ وَ أَعلَمُوا انكُم غَيرُ مُعجِزِى اللهِ و أَنَّ اللهَ مخزِى الكَافِرِين " (التوبة ١-٢) (١٤)

و يوجد الخلاف بين علماء المسلمين ما هى هذه الأشهر الأربعة؟ لكن أغلب الظن هى أنه عنيت هنا أربعة أشهر ابتداء من شهر رمضان سنة ٨. حتى شهر ذى الحجة لهذا العام بالذات، فإن الحج لهذا العام كان أدى تحت إشراف المشركين على الرغم من السيطرة الاسلامية و أديت فيه جميع التقاليد و الطقوس التى كانت تودّى من ذى قبل، و كان هذا أخر حج للمشركين و لم يكن لهم إذن بعد فى أن يدخلوا الحرم.

" إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (التوبة -٢٨)

إن قوله - سبحانه و تعالى - "بعد عامهم هذا" فى هذه الآية يستحق الاعتناء و الاعتبار على وجه خاص، الذى يعلم منه أن هذه الرخصة كانت إلى انقضاء العام الجارى. فقد كانت غزوة مكة فى شهر رمضان و كانت السنة تنصرم بعد أربعة أشهر من هذا الشهر فيتبين أن الآية الكريمة المذكورة أعلاها التى تتضمن رخصة أربعة أشهر أى زمن أريد به؟ و يعلم منه أيضا أن غزوة مكة كان فى شهر رمضان "المكى".

إن مؤلفي السيرة يقولون إنه فى ١٠ من شهر رمضان سنة ٨. حين كان كل جندى مسلم صائما، خرجت عشرة آلاف جيش من المسلمين من المدينة المنورة و توجهت إلى مكة المكرمة. يقول ابن اسحاق .

وخرج لعشر مضين من شهر رمضان، فصامه رسول الله صلى الله عليــه و سلم و جميــع الناس معــه ، حتــى إذا كان " بالكديد " بين عسفان و " امبح " أفطر ". (١٥)

و لما كان هذا الجيش على وشك الدخول فــى مكــة استسلم له سيّدها أبو سفيان الذى كان حينذاك القائد الوحيد لمكة فعلا (١٦) و هكذا تغلب المسلمون على أكبر قلعة للمشركين العرب دون أى مقاومة تذكر. (١٧)

و قد كان أعلن قبل دخول الجيش بمكة " من دخل دار أبى سفيان فهو أمن، و من دخل المسجد فهو أمن، و من أغلق عليه الباب فهو أمن " (١٨)

و لم يكن أحد ملزما بأن يغير دينه تواً، و لما عرض الاسلام على صفوان بن أميّة الذى كان كوزير لأبى سفيان، استمهل للفكر و إجالة النظر فقال له صلى الله عليه وسلم : "أربعة أشهر" (١٩) أى رخصة ما بقى من العـام الجـارى و التى كانت أتيحت لكل إمرئ.

و أزيلت الأوثان التى كانت فى جوف الكعبة، و حطم (٣٦٠ صنما) الذى كان نصب حولها (٢٠) لكنه مع ذلك بقيت حجابة البيت و إدارة أعمال الحج فى أيدى المشركين كما كانت فى الماضى، فيقول المؤرخون إن الحج هذا العام أدّى طبقا للطقوس و التقاليد القديمة، يقول الطبرى:

"و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه" (٢١)

يبدو أن هذا كان آخر موسم للحج قام فيه سيّد بنـى فقيم فى الحجر و أعلن النسى، و بزيادة شهر للنسى بين شهر المحرم القادم و بين صفر كانت أديت الطقوس القديمة للمرّة الأخيرة.

ىذكر ابن اسحاق و الواقدى و المؤلفون الآخرون أن الخروج لهذه الغزوة كان فى ١٠ من شهر رمضان سنة ٨ ، و قد مضى قول ابن اسحاق. أما تبعا لابن سعد فإنه كان يوم الأربعاء فقد جاء فى الطبقات:

"و خرج يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر" (٢٢)

و بموجب التقويم القمرى لوستنفيلد كان ١٠ من شهر رمضان سنة ٨، يوم الاثنين بدء من الأربعاء، و هو لا يطابق الروايات، فيترتب عليه أن شهر رمضان هذا لم يكن قمريا بل كان رمضان مكياً، فإن رمضان المكى كان استهل فى ٢ من مايو عام ٦٣٠م ، و من هنا كان ١٠ من شهر رمضان يوم الثلاثاء، كأنه هناك تباين يوم واحد، و هو ليس خليقا بالاعتبار. و إبن سعد قد ذكر تاريخ سيطرته على مكة أيضا الذى يصح و لا شك من وجهة التقويم المكي. يقول إبن سعد:

"و فتحها يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان و أقام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة" (٢٣)

و إبن إسحاق أيضا ذكر هذا التاريخ بالذات و لكنه لم يذكر فيه يوم الجمعة (٢٤) على كل، إن هذا التاريخ صحيح من غير ريب، فإنه إذا كانت غرة رمضان يوم الأحد، فالجمعة لا محالة تقع بتاريخ ٢٠ رمضان، زد إليه أن ابن سعد و غيره جعل مدة قيامه بمكة خمسة عشر يوما، فيكون رسوَل الله صلى الله عليه و سلم خرج لغزوة حنين يـوم السبت فى ٦ مـن شهـر شـوال.

و المؤرخون قد حكوا تاريخ خروجه إلى حنين هذا بالذات (٢٥). إنه يعلم منه أن هذه التواريخ برمتها لم تزل مصونة بكل حيطة و كانت كلها دونت طبقا للتقويم المكى. و الآن ينبغى لنا أن نلقى نظرة على موسم هذه الغزوة.

إنه يثبت من الروايات أن جيوش المسلمين كانت صائمة حين غادرت المدينة، و لما بلغ رســـول الله صلى الله عليه و سلم الكديد أو القديـد أفطـر، و هذا يعنى بوضوح أن التقويم المكى حتى ذاك الوقت كان يتلقى رواجا دينيا بين المسلمين و كانت الواجبات الدينية تمارس فى ضوءهـــا، فبناء على ذلك لا تصح عندى فكرة موير MUIR و المستشرقين الآخرين إن شهر رمضان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما يجئ فى الشتاء (٢٦) و ليست لديهم أية شهادة وثائقية تؤيد فكرتهم، و خلاف ذلك يوجد عدة روايات فى كتب السيرة و السنة التى يعلم منها أن شهر رمضان كان دائما يحل فى الصيف فقد جاء فى المستدرك للحاكم عن أنس رضى الله عنه :

> *" كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفطر على "رطبات" قبل أن يصلى فإن لم يكن رطبات فعلى "تمرات" فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء " (٢٧)*

إن هذا الحديث يفيد بأن شهر رمضان زمن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجئ فى أيام كانت فيها الرطب فى متناول أيدى الناس و لو لم تكن هذه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتفى بالتمر أو الماء.

قـد سبق أن قلنا أن فصـــل الرطب بالحجـــاز كان يحـــل فى يونيو و يوليو. فبناء عليه يمكن أن يقال عن كامل اليقين أن شهر رمضان كان فى الغالب يحل فى هذه الأيام بالذات، و ربما كان يتأخر نضوج المحاصيل فكان صلى الله عليه وسلم حينذاك يفطر على " التمر ".

إن علاقة شهر رمضان بالصيف أمر بديهى فى ضوء الأحاديث، فإليكم رواية أخرى .. يقول أبو درداء رضى الله عنه :

> *" خرجنا مع النبى صلى اللّ عليه و سلم فى بعض أسفاره فى يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر و ما فينا صائم إلاّ مـــا كان مـــن النبى صلـــى الله عليـــه و سلم و ابن رواحة " (٢٨)*

و ليس من المعلوم فى أى سفر حدث هذا؟ على كل، إن موسم فتح مكة نفسه يتمثل للعيون تماما بدراسة الاحاديث المذكورة أدناه :

> *عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم سافر فى رمضان فاشتد الصوم على رجل من أصحابه فجعلت راحلته تهيم به تحت الشجرة فاخبر النبى بأمره فأمره أن*

يفطر ثم دعا النبى باناء فوضعه فى يده ثم شــرب و الناس ينظرون " . (٢٩)

يبدو أن هذا كان حدث بالكديـد الذى رواه إبن عباس كمايلى، فيقول :

" إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خرج عام الفتح فى رمضان فصام حتى إذا كان بالكديد و اجتمع الناس عليه أخذ قصبا فشرب منه" (٣٠) (لكى يفطر الناس أيضاً).

و هذا الحادث بالذات جاء فى المؤطا كما يلى :

" عن بعض أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن رسول اللّه أمــر الناس فى سفره عام الفتــح بالفطـر و قال تقووا لعدوّكم، و صام رسول للّه صلى اللّه عليـــه و سلم قال أبو بكر : قال الذى حدثنى لقد رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالعرج يصب الماء على رأسه من العطش أو من الحر، ثم قيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . يا رسول اللّه إن طائفة من الناس قد صاموا حين صمت، فلما كان بالكديد دعا بقدح، فشرب فأفطر الناس " . (٣١)

يبدو أن هذه الرواية بكاملها كان أخذها أبوبكر بن عبد الرحمن عن الصحابى المعروف أبى هريرة رضى اللّه عنه الذى كان بنفسه مصاحبا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فالحاكم ذكر فى المستدرك الجزء المذكور أدناه من هذه الرواية عن سنده بالذات :

" لقد رأيت رسول اللّه صل اللّه عليه و سلم بالعرج يصب على رأسه الماء و هو صائم" (٣٢).

إنه يتبين من هذه الأحاديث بأجمعها أن شهر رمضان ما كان دائما يحل فى الصيف زمن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فحسب بل إن فتح مكة أيضا كان فى زمن شديد الحر.

و بالنظر إلى هذه الشهادات الموسمية لما نلقى نظرة على تقويم وستنفيلد فيتراءى بون شاشع و تباين بالغ من الوجهة الموسمية، فإنه طبقا لتقويمه إن شهر رمضان سنة ٨، يطابق ديسمبر و يناير. أود هنا أن أقول أيضا أنه ليست هذه وجهة نظر وستنفلد فحسب بل موير أيضا. حتى أن العلامة شبلى النعمانــى لما تصدى مهــذه الغــزوة فى كتابه "سيرة *النبى*" اضطر إلى أن يكتب تحت عنوان جلى:

"فتح مكة رمضان سنة ٨ *المصادف لينابر عام ٦٣٠ م*"

و من الواضح أن السبب الرئيسى لهذه الأخطاء برمتها كان واحدا فقط و هو أن المؤرخين المسلمين كانوا نسوا التقويم المكى منذ زمن طويل.
و تبعا لنظرية التقويم هذه الجديدة إن شهر رمضان سنة ٨. يوافق مايو و يونيو عام ٦٣٠ م

٩

السنة التاسعة و العاشرة

قد بحثت عن ثلاث وقائع فقط لهذه السنة و هى كما يلى:

١ـ سرية علقمة بن مجزز :

قد صرح عن هذه السرية أنها كانت بعثت فى ربيع الآخر سنة ٩. و تفيد التصريحات التى تتضمنها الروايات أن الجنود كانوا يشعلون النار أثناء السرية و كانوا يصطلون عليها، الأمر الذى ينتج منه أن هذه السرية كانت بعثت فى الشتاء، و هذا التاريخ يبدو مكيا، فإن ربيع الآخر المدنى سنة ٩. يطابق يوليو عام ٦٣٠ م . ، بالمقابل إن ربيع الآخر المكى كان استهل فى ١١ من يناير عام ٦٣١ م

٢ـ حج أبى بكر رضى الله عنه :

يقال أن حجة أبى بكر هذه كانت فى ذى القعدة سنه ٩.، و يظن به أنها كانت بعد غزوة تبوك، و لكن هذه الحجة من وجهة نظر التقويمين الإثنين، كانت قبل غزوة تبوك بشهر واحد فقط. ففى سورة البراءة ذكرت هذه الحجة اعنى جاء إعلان البراءة قبل أن تذكر غزوة تبوك، بالإضافة إلى أن عكرمة رضى الله عنه قال بوضوح إنه لما رجع ابوبكر رضى الله عنه من هذه الحجة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك.

٣ـ غزوة تبوك : (رجب المكى سنة ٩)

إن الخسائر التى ألحقتها جيوش الروم و بنى غسان الموحدة بالمسلمين

تقويم السنة التاسعة و العاشرة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
	المحرم سنة ٩	١٥/سبتمبر ٦٣٠م يوم السبت	جمادى الأخرة	
	المحرم "نسى" صفـر	١٤/ اكتوبر يوم الأحد	رجـب	
	صفر	١٣/ نوفمبر يوم الثلاثاء	شعبان	
	ربيع الأول	١٢/ ديسمبر يوم الأربعاء	رمضان	
سرية علقمة بن مجزز	ربيع الثانى	١١/ يناير سنة ٦٣١م	شوال	
	جمادى الأولى	٩/ فبراير يوم السبت	ذو القعدة	
	جمادى الأخرة	١١/مارس يوم الإثنين	ذو الحجة	حج أبي بكر، إعلان البراءة ، فرضية الحج و إلغاء التقويم
غزوة تبوك ، تاريخ الخروج يوم الإثنين غرة رجب عن رواية ابن حبيب .	رجب	٩/ ابريل يوم الثلاثاء	المحرم سنة ١٠	
	شعبان	٩/ مايو يوم الخميس	صفـر	
الرجوع عن تبوك	رمضان	٧/ يونيو يوم الجمعة	ربيع الأول	
الرجوع عن تبوك عن رواية ابن حبيب .	شوال	٧/ يوليو يوم الأحد	ربيع الثانى	
	ذو القعدة	٥/ أغسطس يوم الإثنين	جمادى الأولى	
	ذوالحجــة	٤/ سبتمبر يوم الأربعاء	جمادى الأخرة	

فى غزوة موتة، و إن لم تكن قليلة، لكن عيون الروم البعيدة النظر كانت ترصد الفوران الثورى لصحراء العرب، و لم تكن مرتاحة البال، فكانت دائما تبلغ المدينة شائعات تقول إن الجار الشمالى منكب على ترتيبات غزو كبير، و كان يشاع عن قيصر نفسه أنه كان و قتذاك فى حمص أو دمشق.

فكان أفضل مصرف لغنائم حنين (٣٣) أن تنفق ضد العدو الشمالى بطريقة مؤثرة، الذى كان يحتاج فيها إلى جيش ضخم. فبعد وصوله إلى المدينة فى الغالب كان أول عمله صلى الله عليه و سلم هو أن يعلن عن التبرعات العامة و يشرع تجنيد المتطوعين من القبائل الصديقة و الحديثة بعقد الإتفاقية معه.

يقول ابن اسحاق و الواقدى أن عثمان بن عفان تبرع بألف دينار بالإضافة إلى *البضائع التجارية التى كانت ذاهبة إلى الشام*، و أنفق عمر بن الخطاب نصف رأس ماله كله، و أما ابو بكر رضى الله عنه فقد قدم كل ما كان فى بيته، (٣٤) و من هنا يمكننا أن نكّون رأيا عن تبرعات الآخرين و عطايا هم.

لقد قدمت القبائل العربية إليه تعاونا بالغا، و أنهالت عليه طلبات المساهمة بكثرة لم يكن بإمكانه أن يوفر الظهور للجنود فضلا عن أن يوفر لهم الحمولة (٣٥) و حتى لم تحفظ اسماء الغزاة فى فهرس أو قائمة (٣٦)

يقول المؤرخون إن هذا الجيش كان يشتمل على ثلاثين ألف جندى (٣٧) و كانت عشرة آلاف منها كتائب الفرسان (٣٨) و كان هذا العدد ضخما بحيث أن الأراضى العربية لم تكن رأت جيشا عرمرما مثل هذا. فأمعنوا النظر فى أن المسلمين فى ميدان بدر كانوا زهاء ثلاث مائة، لكنه بعد ستة أعوام و ستة أشهر تضاعف عدد المسلمين مائة ضعف أعنى بلغ ثلاثين ألف جندى.

و فوق ذلك إن الجيش الذى كانت بعثته دولة المدينة المنورة فى سنة ٨ تحت قيادة عمرو بن العاص لكسب قلوب القبائل الحدودية تلقى نجاحا بمعنى الكلمة، و يبدو أن الطابور الخامس كان قد تألف فى هذه القبائل أيضا، فنجد أنه صلى الله عليه و سلم لما بلغ تبوك فلم يكن هناك أى عين و لا أثر للجيوش الرومية، فنزل بها، و بعث منها كتائب صغيرة و كبيرة إلى أمكنة مختلفة و كلها أحرزت النجاح. و كانت ايلة (عقبة) من أهم موانى البحر الأحمر فى هذا الزمن، و دخل حاكم هذا الميناء باتفاقية فى الكومنولث الاسلامى (COMMON WEALTH) (٣٩).

و توجه خالد بن الوليد إلى دومة الجندل، و ألقى القبض على حاكمها اكيدر و قدمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٠) و هكذا رأى شمال العرب بأجمعه و لأول مرة إشراقة التفوق الاسلامى.

يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خرج لهذه الغزوة بالإجماع فى رجب سنة ٩. و كان رجع منها فى رمضان أو شوال سنه ٩.، و مع أنها

توجد تصريحات تاريخية كثيرة لدى ابن اسحاق و الواقدى، لكن مأخذ ابن حبيب قد ذكرها مع تصريح اليوم و التاريخ.

و خرج إليها صلى الله عليه و سلم يوم الاثنين غـرة رجب و رجع سلخ شوال " (٤١).

و تبعاً لتقويم وستنفيلد إن شهر رجب هذا كان موافقاً لأكتوبر و نوفمبر، اعنى زمن بداية فصل الشتاء، و من هنا ينبغى أن يكون القفول فى يناير.

و هذه هى رؤية السير وليم موير WILLIAM MUIR و العلاّمة شبلى النعمانى، فجعل موير تاريخ الخروج لهذه الغزوة رجب المصادف لاكتوبر (٤٢) والعلاّمة شبلى النعمانى جعل رجب سة ٩. موافقاً لنوفمبر (٤٣) و بالمقابل إن روايات السيرة بأسرها تفيد بأن موسم هذه الغزوة كان حارا فيقول كعب بن مالك :

" غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد " (٤٤).

و يشير إليه مزيدا فيما بعد *"و ذلك حين طابت الثمار" (٤٥).*

و قد صور ابن اسحاق نقلا عن الإمام الزهرى و غيره موسم هذه الغزوة هكذا :

" و ذلك فى زمن عسرة من الناس و شدة الحر وجدب من البلاء و حين طابت الثمار و الناس يحبون المقام فى ثمارهم و ظلالهم" (٤٦)

و بغض النظر عن هذه الروايات إن القرآن نفسه حكىٰ قول المنافقين

" لا تخرجوا فى الحر ".

فردّ على قولهم :

" قل نار جهنّم أشد حرا ".

إن هذه الشهادات الموسمية كلها تكشف عن أن هذه الغزوة لم تكن فى نوفمبر و ديسمبر من غير ريب، بل كانت فى موسم تقطف فيه الثمار و يشتد الحر و يأخذ السموم يهب و تكون ظلال الأشجار مدعاة للطمانينة و الراحة، فينبغى يكون "رجب" غزوة تبوك موافقا للموسم المذكور أعلاه.

و يعلم بالنظر فى الجدول الذى أعددته أن شهر رجب المكّى هذا العام كان مصادفا لـ ٨/ ابريل و مايو سنة ٦٣١م و هو يطابق الموسم الذى ذكرته الروايات مطابقة تامة.

و ذكر ابن حبيب تاريخ الخروج لهذه الغزوة يوم الاثنين غرة رجب الذى يصح تماما من الوجهة التقويمية، فإنه تبعا للحساب كانت غرة رجب يوم

الثلاثاء و كانت ليلة الغرة يوم الإثنين. لكن يلزم بى أن أقول هنا أن تاريخا واحدا هذا لا يمكن أن يكون تاريخ الخروج للجيش المكون من ثلاثين ألف جندى فى وقت واحد بل لكتائبه الأولى، و يؤيد هذه الفكرة ما جاء فى "الطبقات" لابن سعد و "المواهب" للقسطلانى من رواية تفيد أن الخروج للغزوة كان يوم الخميس. الأمر الذى يعلم منه أن كتائب شتى كانت تتوجه واحدة بعد أخرى. و أخيرا علىّ أن اوضح أيضا أن حجة ابى بكر رضى اللّه عنه التى كانت قبل شهر واحد منها بالضبط، إن قلة عدد حجيج المدينة ثم عدم وجود أية شخصية سامية فيها ما عدا أبى بكر و على رضى اللّه عنهما، لعله كان بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان مع أصحابه مكبا على الاستعداد لغزوة تبوك.

—— ١٠ ——

السنة العاشرة و الحادية عشرة :

هذه السنة خاتمة أبواب السيرة النبوية، و قدمت فيها الوقائع المذكوره أدناها

١ ـ سرية على بن أبى طالب :
٢ - سرية خالد بن الوليد :

إن كتب السيرة تتضمن تواريخ متباينة لهاتين السريتين، و يوجد بينها تباين كثير. يذكر أن علياً كان بعث تجاه اليمن فى رمضان سنة ١٠، أما خالد بن الوليد فقد كان بعث فى شهر ربيع الآخر، لكن الطريف فيه أن التعليمات التى كان زود بها خالد بن الوليد جاء فيها أنه إن قابل عليا فليفوض قيادة الجيش برمته إليه، الأمر الذى يتكشف عن أن هاتين السريتين كانت متزامنتين. فبمقتضى التقويم المكى إن شهر ربيع الآخر سنة ١٠ كان استهل فى نهاية رمضان المدنى، و يلمس أن تاريخ سرية خالد بن الوليد كان دوّن و فقا للتقويم المكى و تاريخ سرية على رضى اللّه عنه كان تبعا للتقويم المدنى.

٣ـ حجة الوداع : (ذوالحجة المدنى سنة ١٠)

بعد فتح مكة كانت إدارة أعمال الحج بقيت فى أيدى المشركين، و فى شهر ذى القعدة القمرى من العام القادم كانت ترتيبات غزوة تبوك تواجه المسلمين، التى كانت تهم أكثر من الحج، فبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه

تقويم السنة العاشرة و الحادية عشرة

	التقويه المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
	المحرم سنة ١٠	٣/ أكتوبر ٦٣١م يوم الخميس	رجب	
	صفر	٢/ نوفمبر يوم السبت	شعبان	
	ربيع الأول	١/ ديسمبر يوم الأحد	رمضان	١ ـ سرية علي ابن أبي الطالب نحو اليمن
٢ ـ سرية خالدبن الوليد نحو اليمن ٣ ـ وفاة ابراهيم ابن رسول الله ٤ ـ كسوف الشمس، ٢٧/ يناير ٦٣٢م	ربيع الثانى	٣١/ ديسمبر يوم الثلاثاء	شوال	
	جمادى الأولى	٢٩/يناير٦٣٢م يوم الأربعاء	ذو القعدة	٥ ـ الخروج لحجة الوداع، ٢٥/ذو القعدة يوم السبت
	جمادى الآخرة	٢٨/ فبراير يوم الجمعة	ذو الحجة	٦ ـ حجة الوداع
	رجب	٢٩/مارس يوم الأحد	المحرم سنة ١١	
	شعبان	٢٨/ ابريل يوم الثلاثاء	صفر	٧ ـ الأمر بالتاهب لغزو الروم، ٢٨/ صفر يوم الإثنين
	رمضان	٢٧/ مايو يوم الأربعاء	ربيع الأول	٨ ـ الخطبة الأخيرة، ١٠/ من ربيع الأول سنة ١٠ يوم السبت ٩ ـ الوفاة ١٢/ من ربيع الأول يوم الإثنين
	شوال	٢٦/يونيو يوم الجمعة	ربيع الثانى	
	ذو القعدة	٢٥/ يوليو يوم السبت	جمادى الأولى	
	ذو الحجة	٢٤/ أغسطس يوم الإثنين	جمادى الآخرة	

وسلم ابابكر أميرا للحج، و لم يحج البيت بنفسه. فبقى الآن تعليم مناسك الحج و تعريف القبائل العربية بالروح الاسلامية، و كان من اللازم إعلان الحكومة الإلهيــة، و القضـاء على المفاخر القديمة برمتهـا، و تعليم الرأفـة و الرحمة بالنساء و الموالى و المعوزيـن المثقلين بالديـون و إعلان العـدل و الانصاف لهم.

ففى شهر ذى القعدة القمـرى سنـة ١٠ أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يحج البيت، الذى يعرف بحجة الوداع، و توجد تفاصيلها فى جميع كتب السيرة فلا أقدم هنا منها إلا ما يتعلق بالتقويم و لابد من ذكره

يقول ابن سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غادر المدينة يوم السبت فى ٢٥ من ذى القعدة (٤٧). و جعل وستنفيلد غرة ذى القعدة سنة ١٠ يوم الأربعاء، فيكون ٢٥ من ذى القعدة يوم السبت بالضبط، الذى هو نفس ما تتضمن به الرواية.

و بلغ هذا الركب مرّ الظهران يوم الاثنين.

"و كان يوم الإثنين بمر الظهران فغربت له الشمس بسرف" (٤٨)

و تبعا لرواية ابن عباس و جابر كان هذا بتاريخ ٤/ من شهر ذى الحجة، يقول جابر رضى الله عنه .

"قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع خلون من ذى الحجة" (٤٩)

و يقول ابن عباس "

" أهل رسول الله بالحج فقدم لأربع مضين من ذى الحجة " (٥٠).

كان يوم الاثنين كان موافقا ٤ من ذى الحجة. و طبقا لتقويم وستنفيلد و إن صح هذان التصريحان، فإنه من الوجهة الحسابية كانت غرة ذى الحجة سنة ١٠ يوم الجمعة، فينبغى أن يكون يوم الاثنين فى ٤ من ذى الحجة، لكن الروايات تفيد بأن الحج هذا العام كان يوم الجمعة يعنى ان الجمعة كان بتاريخ ٩ من شهر ذى الحجة، فبناء على ذلك ينبغى أن يكون يوم الاثنين فى ٥ من ذى الحجة بدلا من ٤ من الشهر المذكور. يعنى هذا أن هلال ذى الحجة كان اعترف ٢٩ يوما فى مكة المكرمة و اعتبرت غرّة الشهر يوم الخميس بدلا من يوم الجمعة، و اعتبارا منه كان حج الناس (٥١) و ليس تباين يوم واحد جديدا فى الشهور القمرية أو مما يهم شيئا.

إن كان هناك شئ يعكس عظمة حجة الوداع التاريخية و خطورتها فهى خطبته التى كل كلمة منها تحبو البشرية ضوء جديـدا و درس حياة جديـدا و توجد مقتطفاتها متناثرة فى كتب السيرة و الحديث. سأذكر منها هنا جزءا واحدا له علاقة بإلغاء التقويم.

إن التقويم المكي الذى كان مصدر عبادة الأجرام، و إن كان ألغاه القرآن الكريم فى سنه ٩.هـ لكن ذكره النبى صلى اللّه عليه و سلم فى خطبته هذه أيضا :

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه السموات و الأرض "

ثم أضاف قائلا :

"السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلث متواليات، ذوالقعدة و ذوالحجة و محرم و رجب مضر الذى بين جمـــادى و شعبان " (٥٢).

إن معنى الجملة الأولى "إن الزمان قد استدار كهيئته" كما يفهم بصورة عامة، هى أن التقويمين القمرى و الشمسى كانا قد اجتمعا على نقطة واحدة هذا العام، و كان شهر ذى الحجة حل فى زمن موحد من وجهة كلا التقويمين، لكن هذه الفكرة ـ كما قلت سابقا ـ ليست بصحيحة.

انظروا شهر المحرم القمرى فى جدول التقويم الذى يستهل هذا العام فى ٢٩ من مارس أعنى بالقرب من الاعتدال الخريفى. إنه يعترفه الجميع أن أهل بابل القدامى و الإيرانيين و لعل أهالى جنوب العرب و الهنود ببكرة أبيهم كانوا يبدأون السنة من الاعتدال الخريفى، و ذلك يتلقى رواجا فى الهند حتى يومنا هذا، و أول أشهر التقويم الدينى اليهودى "نيسان" أيضا كان يستهل من هذه النقطة بالذات، و أغلب الظن أن سنة واحدة كان تبتدأ من الاعتدال الخريفى لدى العرب الماضين أيضا، حين كانت الشمس تدخل برج الحمل، فإن العرب أيضا كانوا يعتقدون أن العالم كان خلق فى الاعتدال الربيعى، يقول ابن قتيبة :

و يقال إن اللّه عزّوجل خلق الخلق كله و الشمس برأس الحمل و الزمان معتدل و الليل و النهار متساويان، فأوّل الأزمنة فصل الصيف و هو الذى يدعوه الناس الربيع فكلما حلت الشمس برأس الحمل فقد مضت للعالم سنة " (٥٣)

إن شهر المحرم القمرى فى سنة ١١ كان قد رجع بعد دورانه إلى نقطة الاعتدال الخريفى هذه. و أشار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى هذه السنة نفسها، فيما يبدو، بقوله "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه السموات و الأرض" أما أن يعنى به أن السموات و الأرض كانت خلقت لدى رسول اللـه صلى اللّــه عليه و سلـم فى هذا الـزمن بالذات، فخطأ كبيـر، و اكبر منه بكثير هى أن يتصور أحد أن التقويمين القمرى و الشمسى كانا قد توحدا فى هذا الزمن.

٤- جيش أسامة و وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربيع الأول المدنى سنة ١١.

و بعد صراع عصبى و ذهنى بالغ استغرق عشرة أعوام، و إن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أوجد أرضا و سماء جديدتين للبشرية يمكن أن تسع البشرية جمعاء، لكن لم تكن لبت على دعوته بعد إلا شبه الجزيرة العربية، و لم يكن ذلك بأن هذه الدعوة لم تكن بلغت مسامع الدنيا، و لكن لكل شئ وقت و ميعاد.

حق أن الإقبال الذى كانت حظيت به الحركة الإسلامية فى هذه الأعوام العشرة، كان يقتصر على شبه الجزيرة فقط، لكن هذا الإقبال الجماهيرى لم يكن ما لا يؤثر فى الآخرين، فقد كانت كل ذرة من ذرات الصحراء تبرق و تلمع، و كان كل إمرئ مفعما بالحنين و الشوق الذى كان يسراءى للناس كافة.

كانت حدود الدولة الإسلامية بعد فتح خيبر قد اتصلت بالامبراطورية البازنطينية أكبر الدول فى العالم، و التى كانت مزقت التاج الفارسى منذ عهد قريب، و أكدت للعالم من عظمتها مرة ثانية. إن القائمين على هذه الدولة كانوا ينظرون إلى التحرك الجديد فى الصحراء العربية بامعان نظر، و كان قيصر بنفسه و دوله الربيبة من مصر و الشام كانت قد اعترفت بوجودها فى آخر سنة ٦. بسماحهم بمثول السفارات الاسلامية بين أيديهم.

يبدو أن نفوذ الإسلام كان يتقدم بسرعة خارقة نحو الشمال، فإن عقول الطبقة المستبدة لا تتوقف عن العمل إلا حين يحلق خطر فادح على رؤوسهم، ففى بداية السنة الثامنة لم يكن القائمون على الدولة الرومية برهنوا على تعقلهم و تبصرهم فى عواقب الأمور حين قتلوا حارث بن عمير، الذى كان بعث على السفارة الاسلامية تجاه بلقاء ، و شنقوا فروة بن عمر حاكم معان الذى كان اعلن إسلامه فى السنة التاسعة، و هم بأنفسهم كانوا أنشأوا دربا بدماء هولاء الشهداء قد يسلكه جيش المسلمين بيسر و سهولة، فمن هنا يمكننا أن نجعل غزوة موتة فى سنة ٨. و غزوة تبوك فى سنه ٩. كلتيهما نتيجة لسخافة عقولهم.

و إن كان الجزء الأكبر من فصل الربيع سنة ١٠. انقضى فى حجة الوداع لكن جيوش المسلمين كانت على أهبة متى يصدر أمر الخروج لغزو الروم فنرى أنه بعدها بشهرين فقط ضرب نفير الاستعداد لها.

يقول ابن سعد إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر فى آخر أسبوع من شهر صفر سنة ١١. بأخذ الأهبة لغزو الروم :

" *قالوا : لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنه*

إحدى عشرة مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس بالتهئ لغزو الروم (٥٤)

يبدو أن الراوى الأول لهذه الرواية كان ظن يوم الاثنين بتاريخ ٢٧ من صفر و لكن بمقتضى تقويم وستنفيلد (Wustenfelds) إن يوم الاثنين يقع بتاريخ ٢٨ من الشهر المذكور.

و بعده بيوم واحد فقط أعنى يوم الأربعاء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجأة ، يقول ابن سعد

" فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله صلى الله عليه و سلم فحم و صدئ" (٥٥).

و يوم الأربعاء هذا كان بتاريخ ٢٩ من صفر لدى رواة ابن سعد .

" قالوا : و بدأ وجع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيت ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لیلتين بقيتا من صفر " (٥٦).

و لكن كما قلت سابقا إن يوم الاثنين كان بتاريخ ٢٨ من صفر، فينبغى أن يكون يوم الأربعاء بتاريخ ٣٠ بدلا من ٢٩، و لعل هذا ناجم من الخطأ الحسابى للراوى الأول. على كل، إن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عكفوا على الاستعداد للجهاد و أخذ الجيش يتجمع فى جرف التى كانت فى الغالب محط الجيش زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. و لم يكن من الممكن أن تؤجل هذه السرية إلى زمن طويل و تمنح الإجازة للجيش، ففى اليوم التالى بالذات أعنى يوم الخميس أعدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً بيديه المباركتين و أعطاها أسامة بن زيـــد و فوض إليه قيادة الجيش يقول ابن سعد :

" فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده " (٥٧).

و طبقا لجدول وستنفيلد يقع هذا الخميس فى ٢ من ربيع الأول، لكن إن سلم أن هلال ربيع الأول كان تم رؤيته فى تاريخ ٣٠ بدلا من ٢٩ (٥٨) ، أو لم يكن أهل المدينة تمكنوا من رؤيته، فيكون الخميس غرة الشهر، التى هى نفس ما تدل عليه الرواية.

و فى يوم الخميس القادم أعنى فى ٨ من ربيع الأول سنة ١١ (المصادف لـ ٤ من يونيو عام ٦٣٢ م) مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضا شديدا فأراد أن يكتب كتابا (٥٩) لكن المرض كان شديدا فلم يستطع أن ينجز هذا العمل، و كان يعاوده المرض و البرء فى هذه الفترة.

إن جميع كتّاب السيرة يجمعون على أن الناس أخذوا أطراف النجوى

على تعيين أسامة كما كانوا فعلوا ذلك قبل على قيادة أبيــه زيد، و كان أناس بدأوا يقولون إنه ليس من المناسب أن تفوض قيادة جيش خطير مثل هذا إلى فتى حديث السن فى حضرة الأصحاب الكبار، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال المرض إلى المسجد و ألقى خطبتــه التى تتلخص فيما يلى :

أيها الناس ! انفذوا بعث أسامة، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى امارة أبيه، و إنه لخليق بالإمارة كما كان أبوه لخليقا بها." (٦٠)

و كان هـذا فى ١٠ من ربيع الأول (المصـادف لـ ٦ من يونيو عام ٦٣٢م) و كان المرض به شديدا و كان يود أن يخرج هذا الجيش بأسرع ما يمكن، ففى هذا التاريخ بالذات ودع معظم الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم و توجهوا إلى "جرف" حيث كان يقيم الجيش يقول ابن سعد

. "و ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول و جاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٦١).

و يثبت من هذه الرواية أن يوم السبت أعنى ٦ من يونيو عام ٦٣٢ م كان مصادفا لـ ١٠ من شهر ربيع الأول، و أن هلال ربيع الأول كان اعترف ثلاثين يوما بدلا من تسعة و عشرين يوما. يقال انه اشتد به المرض هذا اليوم و أغمى عليه، و كان المرض على أشده يوم الأحد ثم أفاق شيئاًمّا صباح يوم الاثنين، و رفع ستار بيته و رأى أن الناس يصلون صلاة الفجر مضحك ببالغ الفرح و السرور حينما رأى هذا المنظر، فظن الناس أنه يريد أن يخرج من بيته، و كاد أن تختل الصفوف لو لم يكن أشار النبى صلى الله عليه و سلم إليهم و منعهم. و كان هـذا أخر ما رأى الصحـابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و بقدر ما ارتفع النهار أخذت تسوء حاله، و كانت تتنـاوبه الغشيـة و الإفاقة بين فينة و فينة حتى دنا الوقت ألذى يلحق فيه بالرفيق الأعلى، و تحركت شفتاه و سمع الناس أنه يقول .

" الصلاة و ما ملكت أيمانكم "(٦٢).

و فى ١٢ من شهـر ربيــع الأول سنــة ١١ (٦٣) بعد الظهيـرة من يوم الاثنين (المصادف لـ ٨ من يونيو عام ٦٣٢ م) عادت لواء أسامة رضى الله عنه التى كانت قد وصلت إلى جرف، و غرزت أمام عتبة رسول لله صلى الله عليه و سلم.

الجدول التوقيتي لوفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

الوقائع	التاريخ المدني	التاريخ اليوليوسي
الأمر بالتأهب لغزو الروم (٦٤)	٢٨/ صفر سنة ١١ يوم الإثنين	٢٥/ مايو سنة ٦٣٢م
	٢٩/ صفر سنة ١١ يوم الثلاثاء	٢٦/ مايو سنة ٦٣٢م
أول ما بدئ به من السقم (٦٥)	٣٠/ صفر سنة ١١ يوم الأربعاء	٢٧/ مايو سنة ٦٣٢م
إعداده اللواء	١/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الخميس	٢٨/ مايوسنة ٦٣٢م (٦٦)
	٢/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الجمعة	٢٩/ مايو سنة ٦٣٢م
	٣/ ربيع الأول سنة ١١ يوم السبت	٣٠/ مايو سنة ٦٣٢م
	٤/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الأحد	٣١/ مايو سنة ٦٣٢م
	٥/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الإثنين	١/ يونيو سنة ٦٣٢م
	٦/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الثلاثاء	٢/ يونيو سنة ٦٣٢م
	٧/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الأربعاء	٣/ يونيو سنة ٦٣٢م
قصة القرطاس ..	٨/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الخميس	٤/ يونيو سنة ٦٣٢م
	٩/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الجمعة	٥/ يونيو سنة ٦٣٢م
خطبته الأخيرة	١٠/ ربيع الأول سنة ١١ يوم السبت	٦/ يونيو سنة ٦٣٢م
شدة مرضه	١١/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الأحد	٧/ يونيو سنة ٦٣٢م
وفاته صلى الله عليه وسلم	١٢/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الإثنين	٨/ يونيو سنة ٦٣٢م (٦٧)

صلوا عليه و سلموا تسليما

تعريب : ولي أختر الندوى

الهوامش:

١ - الامتاع و المؤانسة، ج/١ ص ٧٧
٢ - محمد خلف الله أحمد *معالم التطور الحديث في اللغة العربية و ادابها*، ص ١١٦- ١١٧
٣ - المصدر السابق، ص ١١٩.
٤ - فلسفة اللغة العربية و تطورها، ص ١٧٦
٥ - التقريب لحد المنطق، في رسائل ابن حزم ٤٠٩.١ - ١١٠.
٦ - الاحكام في أصول الأحكام ٠١ ٣٣ - ٣٤
٧ - الامتاع و المؤانسة، ج/١ ص ٧٥
٨ - محمد الخضر حسين *دراسات في العربية و تاريخها*، ص ١٥٣
٩ - نقل مع إيجاز عن معالم التطور الحديث، ص ١١٧
١٠ - المصدر نفسه.
١١ - أقرب ذلك لدى أعضاء المجمع الملكي لفظة "ماب" (مؤسسة ال البيت)
١٢ - تجد هذه المناظرة في الامتاع و المؤانسة، ج/١ ص ١٠٧- ١٢٨ و عنه نقلها ياقوت في معجم الأدباء (ترجمة السيرافي).
١٣ - قد أضيف هنا كتيبات حاولت أن تحصر الألفاظ المعربة التى دخلت في القرآن الكريم، و أنكرها آخرون، فأما المعرب للجواليقى فإنه على فائدته يدركه نقص كبير و هو جهل مؤلفه باللغات الأجنبية
١٤ - كتاب الطبيخ في المغرب و الأندلس، ص. ٧٨
١٥ - المصدر نفسه.
١٦ - المصدر السابق، ص ٧٩ - ٨٠.

الحلقة الثانية الأخيرة:

الجامعة السلفية ببنارس
تعريف بنشاطاتها و انجازاتها

بقلم: د/مقتدى حسن محمد ياسين الأزهري

الأباطيل و المناكير و الصحاح و المشاهير:

تأليف الحافظ أبي عبدالله الحسين بن إبراهيم الجورقاني المتوفى ٥٤٣هـ
هذا كتاب مهمّ في علم الحديث، و قد ظهرت له طبعتان من الجامعة السلفية.
و الجدير بالذكر أنّ تحقيق الكتاب و التعليق عليه قد قام به أحد خريجي الجامعة، و هو الدكتور عبد الرحمن الفريوائي الذي حصل على شهادة الدكتوراة من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، و قام بعدة أعمال علمية نافعة، و لا يزال يُواصل مسيرته العلمية في علم الحديث و التوجيه الاسلامي العام، و انه قام بدراسة واسعة مفصّلة دقيقة حول شخصية الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى و أفكاره و أعماله، و قد استغرقت هذه الدراسة أكثر من ألفي صفحة بالقطع الكبير.

و كتاب الأباطيل للجورقاني نُشر في جزئين، الأول في (٥١١) و الثاني في (٤١٠) صفحة. و المحقق يذكر سبب اختيار الكتاب المذكور للتحقيق فيقول:

> *"و الكتاب له أهميّة كبيرة في دراسة الأحاديث الموضوعة و الضعيفة لكونه من أوائل المؤلفات في الموضوعات. و قد استفاد منه كلّ من ألّف بعده في فن الموضوعات، و قد بنى عليه ابنُ الجوزي كتابه الموضوعات، و لما كان الكتاب مخطوطا لم ير النورَ بعد، و لم نعرف منه الاّ نقولا مبعثرة في الكتب، و كان مرجعا كبيرا و مُهمّا في الأحاديث الموضوعة*

و الضعيفة، عزمتُ على خدمة الكتاب بتحقيقه و تخرج نصوصه و دراسة الكتاب و مؤلِّفه".

أما عمله و منهجه فى التحقيق فيتلخص فى النقاط التالية:

(١) التحقيق من اسم الكتاب و نسبته إلى المؤلف.
(٢) تحقيق نصوص الكتاب.
(٣) إثبات الاختلافات و الفروق بين النسخ.
(٤) ترقيم الكتاب و الأبواب الموجودة فى الكتاب.
(٥) تخريج الأحاديث و الآثار بذكر مراجع المؤلف ثم مَن خرّجه عنه ثم بذكر المتابعات و الشواهد عند الحاجة.
(٦) فهرس للأحاديث و الآثار و الرواة و الأعلام.

و قد وضع فى بداية الجزء الأول مقدّمةً نافعةً استغرقت نحو مائة صفحة، تكلّم فيها عن الوضع فى الحديث و المؤلّفات فيه، و حياة المؤلف و آثاره:

"إن الحافظ الجورقانى قد أبدعَ فى تصنيف هذا الكتاب، و حقّاً كان مبتكرا فيه، و قد بيّن فى المقدّمة منهجة بأنّه يجمع فى هذا الكتاب الأحاديث الضعيفة و الموضوعة من الأباطيل و المناكير، و يبيّن علله، ثم يسرد فى مقابلها الصحاحَ و المشاهير لإبطال الموضوعات و الضعاف. و ذكر المؤلف بعد المقدمة (١٧) كتابا، و تحت كل كتاب عدّةُ أبواب، و هى تقلّ و تكثر فى الكتب المختلفة و تضمّها (١٤٠) بابا، و يحتوى الكتابُ على (٧٧١) نصا حسب النصوص الموجودة فى الفهارس، و قد خرّج المؤلّف أكثر من سبعمائة نصٍ بأسانيده".

و قد جاء فى كلمة الناشر لهذا الكتاب:

"و لما كثر الوضعُ فى الحديث، و تعمّد الناسُ الكذبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قامَ جهابذةُ المحدّثين بردّ الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و بكشف أستارِ الوضّاعين و تتبُّع دسائسهم و تلفيقهم. و قد ألّفوا فى ذلك نوعين من الكتب. نوعٌ يتناول ذكرَ الوضّاعين و الضعفاء و حكم علماءِ الجرح عليهم و على مروياتهم. و نوعٌ يتناول ذكر الأحاديث الموضوعة التى اشتهرت بين النّاس لسبب أو آخر مع بيان علّة الحكم بالوضع، و يدخل ضمن هذا النوع كتابُ الأباطيل للجورقانى".

سيرة الإمام البخاري :

هذا الكتاب من أهمّ مطبوعات الجامعة، ألّفه بالأردية العلامة الشيخ أبوالهدى محمد عبدالسلام المباركفوري المتوفى ١٣٤٢هـ من أبرز تلاميذ السيد المحدّث نذيـر حسين الدهلـوي (المتـوفى ١٣٢٠هـ). كان لديه موهبـةٌ كافيـةٌ و استعدادٌ تامٌ للتأليف بجنب التعليم و التربيـة، و كتاباتـه تتميّز بالأصالـةِ و التحقيق و رصانة الأسلوب و وضوح العبارة و دقّة التحليل، فقد كتب العلامة السيد سليمان الندوي (ت ١٣٧٣هـ) معلّقا على هذا الكتاب:

"نظرا لأهيمة الامام البخاري فى العالم الاسلامي كانت الحاجة ماسـّة إلـى كتـاب قيّم يبحـث عـن حياتـه و آثـاره و اجتهاداته، و قد سرّنا جدا أنّ الشيخ عبدالسلام المباركفوري قد أدّى هذا الواجبَ على أحسن طريقةٍ ممكنـة. و المؤلّف يمثّل فى هذا الكتاب الأدب الأردي الـديني خيـرَ تمثيل فى بيانه السلس و طريقة الاستدلال و استيعاب الوقائـع و تفصيل المطالب و تحقيق المسائل. و كتابه هذا يوافق ما نمشي عليه فى التأليف".

و يقول الشيخ المباركفوري عن سبب تأليفه لهذا الكتاب:

"لقد قدّم الامام البخاريّ أسوة حسنةً فى تحمّل المشاقّ و الجهد و علو الهمّة مع الاستغنـاء و الحزم و الحذر و الصدق و التديّن و الـورع و العـدل و خدمـة خلق اللّـه و نشر العلوم و أكثر من ذلك أنّه قد أفنى نفسَه فى اتباع سيرة الرسول صلّى اللّه عليه وسلم فقدّم للمسلمين نموذجا رائعا لما كان يوجد فى الخلفـاء الـراشدين و الصحابة من الاتّباع و التمسك بسيرة المصطفى صلّى اللّه عليه وسلم. أما ما نالَه فقهُ الحديث من نبوغ و كمال بسببه فهذا أمر ظاهر".

"و لقـد كان من الظلـم أن لا تُدوّن سيرة مثلِ هـذا الرجل، و الحمدللّه على أنه قد اعتنى أهلُ القلم فـي اللغـات المختلفة، و ألّفوا عنه سيَراً تزيد على المائة ما بين مختصر و مطوّل فى اللغـات العربيـة و الفـارسية و التـركيـة و الانجليزيـة و الفرنسية حسبما علمتُه حتى الآن. و من هنا أقبلتُ على تأليف هذا السيرة مستعينا باللّه تعالى".

و العصر الذي تمّ فيه تأليف كتاب *سيرة الإمام البخاري* يمتازُ بأمور، منها أنّ أعداءَ السنة الشريفة كانوا قد شكّلوا جبهاتٍ عديدةً للنيل من الحديث

و المحدّثين، و كانت فرقة (آريا) تسدّد سهامَ الطعن إلى الإسلام، و كان المبشّرون من النصارى يعترضون على الشريعة الإسلامية، و يشكّكون فى مصادرها و أحكامها. و هؤلاء جميعا كانوا متكاتفين ضدّ الحديث النبوى و ضد اعتباره مصدرا من مصادر التشريع فى الإسلام. و فى مثل هذه الظروف تولّى العلامةُ محمد عبدالسلام الذبّ عن حياض الدين و الدفاع عن المحدّثين، فألّف سيرةَ الامام البخارى، و وُفّق فيه كلَّ التوفيق، و قدّم إلى المكتبة الإسلامية أحسن دراسةٍ عن البخارى و جامعه الصحيح، و نجح فى تفنيد المزاعم و الأقاويل التى لفّقها أعداءُ الاسلام عن المحدّثين العظام و جهودهم البنّاءة فى خدمة السنة المطهرة.

و الطبعة الأولى لسيرة البخارى كانت ظهرت عام ١٣٢٩هـ حينما كان المؤلّف حيّاً، و توفى المؤلّف رحمه الله فى عام ١٣٤٢هـ ثم الطبعات الثانيةُ و الثالثةُ و الرابعةُ في الفترة ما بين ١٣٦٧ - ١٤٠٦هـ و هذه كلها باللغة الأردية التى ألّف بها الكتاب. ثم وفّق الله تعالى أحدَ خرّيجى الجامعة السلفية فترجم الكتاب إلى اللغة العربية و رغب فى أن تقوم الجامعة بطبعه و توزيعه. و ما كان ذلك منه إلاّ حبّاً فى خدمة العلم و الدفاع عن السنة الشريفة و الجدير بالذكر أنّ الجامعة قد وُفّقت فى نشر ترجمة إنجليزية أيضا لكتاب سيرة الإمام البخارى قام بها الأستاذ محمد رفيق خان، نشرها من الجامعة فى عام ١٩٨٤م.

و فيما يلى بعض عناوين الكتاب التى تناولها المؤلّف بالبحث و التحقيق:

> حياة الإمام البخارى ، رحلاته فى طلب العلوم و تفاصيلها، براعته فى معرفة علل الحديث، أخلاقه و عاداته و منهجه فى الحياة، مكانته و محبته فى قلوب المسلمين، قوة الحفظ و الذاكرة، البخارى فى نظر شيوخه، مصنفات البخارى، الجامع الصحيح و منزلته و قبوله لدى الأمة، الغرض الأساسى لتأليفه، تراجم أبواب الصحيح، تفصيل مقاصد التراجم، الغرض من اختصار الأحاديث و تكرارها و تقطيعها، مؤلفات حول الصحيح، شروحه و تعليقاته، شبهات واهية حول صحيح البخارى، شبهات صاحب سيرة النعمان، نظرة أخرى على صحيح البخارى، الحديث و علومه، فقه الحديث، فقه البخارى، طريقة فقهاء المحدّثين فى الاجتهاد و أصول فقههم، فقهاء أهل الرأى و طريقتهم فى الاجتهاد و أصول فقههم، مزايا فقه أهل الحديث، تلاميذ الامام البخارى.

جهود مخلصة فى خدمة السنة المطهرة:

فى شبه القارة الهندية وصل المسلمين بعلومهم و لغتهم، و نوّروا

أقطارها بشموع العلم و المعرفة و مصابيح الكتاب و السنة، و ركّزوا جهودهم حولَ العلوم الإسلامية إلى حدّ كبير، حتى يعرف الناسُ ربّهم، و ينتهجوا سبيلَ دينهم، و يصلحوا أمورَ دنياهم و آخرتهم. و هذه الجهود في حاجة إلى التعريف و التقويم، و لذا يواصل المسلمـون اهتمامَهم بالتـراث الإسـلامـي الهنـدي، و يقدّمونه إلى العلماء و الباحثين و بما أن جمعية أهل الحديث الهندية قد لعبَت دورا بارزا في خدمة علوم الكتاب و السنة، فقد اعتنى الباحثون المخلصون بإبراز هذه الناحية، و أثنوا على علماء الجمعية بكلمات عاطرة. و بما أن هذه الجهود كانت في حاجة إلى مزيد من التعريف و التوضيح، فقد رأت الجامعة السلفية أن تقوم بتكليف ذوي الكفاءة من خريجيها بأن يساهموا في هذا المجال، و يسدّوا هذا الفراغ.

و قد وفّق الله تعالى أحدَ خريجي هذه الجامعة، و هو الدكتور عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، لإلقاء الضوء على علوم السنة في الهند، و للتعريف بأعمال علماء المسلمين في هذا المجال، فألّف كتابَ "*جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة*" و قد حظي هذا الكتاب بإعجاب من القرّاء و تقديرهم، فنفدت نسخه بعد فترة وجيزة، و مسّت الحاجة إلى عادة طبعه.

و للدكتور عبد الرحمن أعمالٌ قيّمة أخرى نشرتها مؤسسات النشر الشهيرة في العالم العـربي، و هـي تلقّت الاعجـاب و التقـديـرَ من العلماء و الباحثين في العالم. و عن اختيار موضوع كتاب الجهود يقول المؤلف:

> *" و قد بعثني على اختيار هذا الموضوع أمران اثنان: الأمر الأول أني رأيتُ جهودَ علماء الهند في خدمـة السنة و نشرها و احياءها جهودا متضافرة، و لكن مع هذا لم يعرفها الناسُ الاّ قليلا، و الأسفُ أنّ أحداً من علماء الهند، فضلا عن غيرهـم، لم يعرف حقّ هذا الموضوع، اللهم إلاّ بعض الأفاضل الذين كتبوا بعض المقالات حول الموضـوع، و جهودهـم مشكـورة، و الفضل للمتقدّم. و الأمر الثاني هو أنّ أكثر مَن كتب من علماء الهند حول هذا الموضوع الكتفي بذكر بعض العصـور، أو بعض المدارس الخاصـة، و أغمض عينيـه عـن العصور و المدارس الأخرى. فطرقتُ هذا الموضوعَ لأسدّ هذه الثغرة، راجيا المولى عزّ و جلّ أن يوفّقني لخدمة السنة النبوية"*

و من فهرس الكتاب المذكور ننقل بعض عناوين البحث حتى تحصل للقارىء فكرة من محتواه:

حركة السنة في بلاد السند في العهد الإسلامي العربي، حركة السنة في الهند، المحدثون الوافدون إلى بلاد الهند، مراكز الحديث في بلاد السند و ملتان، حركة السنة في بلاد الهند من القرن

الخامس إلى القرن العاشر، تلامذة ابن حجر العسقلاني، تلامذة السخاوي، دور الامام المجدد أحمد بن عبد الأحد السرهندي و الامام عبد الحق الدهلوي، الشاه ولي الله الدهلوي و دوره في احياء السنة، الشاه محمد اسحق الدهلوي و تلاميذه، مدرسة أهل الحديث و دورها في خدمة السنة النبوية، النواب صديق حسن البوفالي و أصحابه، مدرسة المحدث السيد نذير حسين، علماء نجد و الحجاز و العراق و المغرب الذين أخذوا الحديثَ عن علماء الهند، تلاميذ السيد نذير حسين، تلاميذ تلامذة السيد نذير حسين مدرسة الأحناف و دورها في خدمة السنة، علم الحديث في ديوبند و سهارنفور و تلامذة الشيخ أنور شاه الكشميري ، علماء مظاهر العلوم، تلامذة الشيخ محمودحسن، العلامة أبو الحسنات عبد الحئ اللكناوي و تلامذته، مدارس أهل الحديث في الهند و دورها في خدمة السنة النبوية، أهل الحديث في باكستان و نشاطهم في خدمة الكتاب و السنة، المكتبات الإسلامية للمخطوطات العربية و الدينية، المؤسسات و دور النشر التي تعتنيْ بالكتب الدينية و الكتب العربية

و كلّ مَن يطّلع على هذه الدراسة المستوعبة يعترف بأنّ المؤلّف قد وُفِّق تماما في التعريف بتراث المسلمين الهنود في علم الحديث، و في إلقاء الضوء على أعمالهم و مناهجهم. و بذلك تُعَدّ هذه الدراسة فريدةً في هذا الباب، و انها تساعد كثيرا كل من يشتغل بهذا العلم و يرغب في الاطلاع على مجهود علماء المسلمين في السنة الشريفة في الهند.

فتح المغيث للسخاوي :

طبعَت الجامعة السلفية كتاب فتح المغيث في أربعة أجزاء بعد التصحيح و التحقيق. و قد جاء في تصدير الكتاب كلام يلقي الضوء على هذا المشروع و سبب عناية الجامعة بتبنيه، و لذا نودّ أن نقتطف منه ما يأتي:

" و من متأخري العلماء الأعلام الذين برزوا في أصول الحديث، و لقيَت مؤلفاتُهم قبولاً عاماً لدى العلماء و الباحثين: العلامة أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ) فقد شرح منظومة الزين العراقي (ت٨٠٦هـ) و سمّىَ شرحَه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث و قد حظيَ هذا الشرحُ بعناية العلماء و ثنائهم، و صارَ متداولاً لدى المشتغلين بالسنة الشريفة تدريسا و تأليفاً" .

و طبعةٌ حجرية قديمة كانت ظهرت لهذا الكتاب في الهند قبل أكثر من قرن، ثم أعيد طبعهُ في مصر و في الهند، و كُلُها كانت غير محقّقة بل غير مصحّحة. و قد اقترح خريجو الجامعة السلفية الذين يُواصلون دراساتهم في الجامعات السعودية، تحقيق هذا الكتاب و طبعه على مطبعة الجامعة، و القائمون على الجامعة أعجبوا بهذا الاقتراح، و أمروا بتنفيذه، فوفّق الله تعالى انجاز هذا المشروع العلمي العظيم.

أما عملُ المحقّق بعد المقابلة و تصحيح النصوص بالرجوع إلى عدة نسخ مخطوطة و مطبوعة فانه يتلخّص فيما يأتي:

(١) بيان أرقام الآيات القرآنية و أسماء سورها.
(٢) تخريج الأحاديث و الآثار التي وردتْ في الكتاب مع الاشارة إلى درجتها في الصحة و الضعف و تعليل بعض أحكام المؤلّف بهذا الصدد.
(٣) عزو الأقوال إلى اصحابها و ذكر المصادر التي وردَت فيها.
(٤) ترجمة الأعلام الواردة في الكتاب مع مراعاة الايجاز في الترجمة.
(٥) وضع العناوين الفرعية لما ورد ضمن المباحث الرئيسية.
(٦) وضع الفهارس التفصيلية المتنوّعة لما ورد في الكتاب.

" و تحديثا بنعمة الربّ عزوجل أصرّح بأنّ الجامعة السلفية بنشرها هذا الكتاب تُقدّم إلى الناس نموذجاً لجهود أحد خريجيهـــا و ثمرةً من ثمراتها العملية. فالمحقق: الشيخ علي حسين علي قد تخرّج في هذه الجامعـة، ثم تعيّن مدرسا و باحثا فيها، و قد مارس نشاطه العلمي بجـدّ و اخـلاص، و استمرّ في طريق البحث و التحقيق دون سامـــة و ملل، و تحمّل مشاقّ التحقيق بصدر رحب، و ضرب مثالا رائعا لمن يتخرّجون في المؤسســات التعليميــة الاسلاميـــة، و يرغبون في التقديم في سبيل العلـــم و البحث. نسأل الله تعالى أن يتقبّل عمله هـــذا، و يكتب له النجاح في مشاريعه القادمة، و يحسن له الجزاء في الدنيا و الآخرة"

و قد حظيَت هذه الطبعةُ المحقّقة لكتاب فتح المغيث بثناء كثير من العلماء و اعجابهم، و انهم قد صرّحوا بأنّ هذه الطبعة أحسن الطبعات التي ظهرت إلى الآن، و الجامعةُ قد أسدَت بهذا العمل معروفا جليلا لأوساط العلمية، و ساهمت مساهمةً ملموسةً في تنشيط الحركة العلمية المعاصرة.

دراسات فى الجرح و التعديل :

ألّف هذا الكتاب الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمى الأستاذ بكلية الحديث الشريف بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، و طبعته الجامعة السلفية لأول مرة فى سنة ١٩٨٣م. يقول المؤلّف عن سبب تأليفه لهذا الكتاب

" هـذه بحوث فــى الجرح و التعديل استخلصتُها مــن أمّهات الكتـب، و رتّبتها ترتيبا جديدا ليسهل على الباحثين و الدارسين معرفة هذا الفن الغمض الدقيق. و كان الحافر لجمع هذه النصوص و تعليلها ما لاحظتُ فى طلاب الحديث من ابتعادهم عن منهج المحدثين و عدم معرفتهم باصطلاحاتهم الحديثة، أثناء القاء المحاضرات فى فقه الحديث مما كنتُ أضطرّ كثيرا إلى الخوض فى أصول الجرح و التعديل، فعزمتُ على جمع هذه النصوص بشكل جديد".

فالكتاب جاء تلبية لحاجة الطلاب الذين يدرسون علم الحديث، و يـجهلون كثيرا من المبادىء و المصطلحات التى معرفتُها على كلّ مَن اشتغل بطلب هذا العلم الشريف، و الحالةُ التى حكاها المؤلّف عن طلاب الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ليسَت خاصة بهم، بل ابتُلى بها طلبةُ علم الحديث فى الهند و غيرها من البلدان أيضا. و اقبال الطلاب على اقتناء الكتاب بعد اعلان طبعه يُصدِّق ملاحظة المؤلف، و يؤكد أن الحاجة كانت ماسة إلى كتاب يساعد الطلاب فى فهم المسائل الخاصّة بالجرح و التعديل، و يُقدّم لهم الشخصياتِ البارزةَ التى أسهمت فى هذا المجال، و يبيّن لهم مدى أهميةِ أعمالهم و جهودهم فى سبيل النهوض بهذا الفرع المهم من علم الحديث. و المؤلف قد راعى تماما ناحية الطلاب و الباحثين فى هذا الكتاب، فقدّم فيه كلّ ما يُهم طالبَ الحديث فى هذا الموضوع، و ركّز على الأمور التى تُعدّ أساسا فى هــذا الباب. و فيما يلى بعض العناوين و الموضوعات التى تُعطى فكرةً اجماليةً عن محتوى هذا الكتاب القيّم.

أهمية الاسناد فى الاسلام، طريقة اختبار الراوى و مرويّاته، اهتمام المحدثين بجمع الطرق، فضيلة علم الحديث و شرف أصحــاب، معنى الجـرح لغة و اصطلاحا، شروط قبول الجرح، العمدة فى الجرح هى أقوال النقاد الأوائل، تساهل الترمذى فى تصحيح الأحاديث فى السنن، اختلاف الأئمة فى تضعيف الرجال، الكذب فى الحديث النبوى و طرق معرفته، عدالة الصحابة، تفاوت الصحابة فى العلم، معنى العدالة و الضبط فى اللغة و الاصطلاح، طرق معرفة العدالة و الضبط، الاحتياط فى أحاديث الأحكام، كشف الاصطلاحات الحديثة، ألفاظ الجرح و التعديل، مراتب ألفاظ التعديل؛ مراتب ألفاظ الجرح، تركيب الاصطلاحات عند الترمذى، طبقات المحــدثين، ألقاب المحــدثين، أئمــة الجــرح

و التعديل عبر القرون و مناهج نقدهم و تقويم جهودهم.
و الجدير بالتنويه أنّ المؤلّف من مواليد الهند، و قد تلقّى دراسته في بعض المدارس الاسلامية، ثم التحق بالجامعة الاسلامية طالبا. و واصل المسيرة العلمية في المملكة العربية السعودية إلى أن حصل على شهادة الدكتوراة من جامعة الأزهر بالقاهرة، ثم تعيّن أستاذا بالجامعة الاسلاميــة بالمـدينة المنورة، و لا يزال يعمل فيها.

سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلم:

ألّف هذه السيرةَ الطيبةَ الشيخ أبو الحصين عبد المبين منظر من علماء أهل الحديث في الهند، و شاء الله تعالى أن يتوفّاه في سنة ١٩٨٩م قبل أن تقرّ عيناه برؤية كتابه هذا مطبوعا من الجامعة السلفية.
إن موضوع السيرة يجذب بأهميته و فوائـده و قـدسيته جميعَ الكتّاب و الباحثين حتى من غير المسلمين. أن هولاء الكتاب يعتزّون بتناولهم هذا الموضوع، و يستحقّون القبولَ و الاعتبار في عيون القرّاء. و نصيبُ علماءهم في الهند ليس، بتوفيق الله تعالى، أقلّ من نصيب علماءهم في البلاد الأخرى.
انّ بعض كتّاب السيرة في الهند برزوا على الصعيد العالمي بمساهمتهم في كتابة السيرة النبوية العطرة، و قبل سنوات فاز في مسابقة السيرة النبوية التي أقامتها رابطةُ العالم الاسلامي بمكة المكرمة بالجائزة الأولى و بالجائزة الثانية اثنان من علماء الهند، أحدهما من الجامعة السلفية، و هـو الشيـخ صفي الرحمن المباركفوري، و ثانيهما من الجامعة الملّية الاسلامية و هو الدكتورماجد علي خان. و في ذلك دلالةٌ قويّة على عناية علماء الهند و اهتمامهم بموضوع السيرة النبوية، و اخلاصهم و تفانيهم في احراز النجاح في هذا المجال.
و قد سارَ الشيخ عبد المبين، و هو عالم ذو بصيرة و كاتب مجيد، على سيرتهم، و أدلى بدلوه في موضوع السيرة، و ألّف كتابه المذكور في أكثر من (٨٥٠) صفحة بالقطع الكبير، و لم يدفعه اليه الا حبّه للنبي صلّى الله عليه وسلم، و حرصُه على خدمة العلم، و شعورُه بحاجة البشرية إلى هذه السيرة العطرة و الحياة الطيبة الطاهرة في هذا العصر الذي طالَ شقاءُ أهله بالجرحى وراء الأشخاص الذين لا يملكون حلاًّ لمشكلاتهم و بلسما لجروحهم و شفاء لأمراضهم. و المؤلّف بكونه شاعرا مجيدا و كاتبا قديرا باللغة الأردية قد أدى حق الموضوع قدر استطاعته، و حقّق المسائل و الوقائع، و توخّى الصّحة و الدقّة في جميع العناوين النقاط التي تناولَها بالكتابة.
و الفكرةُ عن الكتاب لا تكون كاملةً الا بقراءته بالتأنّي و الرويّة، و لكن نذكر هنا بعض الموضوعات و العناوين حتى يكتمل هذا التعريف:

حالةُ العالم قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم، الجزيرة العربية و أحوالها، أقسام العرب، ابراهيم و اسماعيل عليهما السلام، أولاد اسماعيل عليه السلام، مولد النبى صلى الله عليه وسلم، بشارات الكتب السماوية بظهوره، اسماءه و نسبه، حلف الفضول، زواجه بخديجة رضـ بعثته و نزول الوحى، جهوده في الدعوة و الارشاد، موقف قريش من دعوته، هجرة المسلمين إلى الحبشة، بيعة العقبة، الاسراء و المعراج، هجرته إلى المدينة، بناء المسجد النبوى، أصحاب الصفّة و مكانتهم، المواخاة بين المهاجرين و الأنصار، المنافقون فى المدينة و مؤامراتهم ضد المسلمين، اليهود و عقد المعاهدة معهم، الغزوات و السرايا، غزوة بدر الكبرى، غزوة أحد، غزوة الأحزاب، صلح الحديبية، بيعة الرضوان، كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأمراء و الملوك، غزوة خيبر، غزوة الفتح، كسر الأصنام و تطهير الكعبة، غزوة حنين، حج العام الثامن، غزوة تبوك، الوفود، حجة الوداع، عدد الحجاج، خطبة عرفات عام حجة الوداع، اكمال الدين و مرض النبى صلى الله عليه وسلم، وفاته و ما أصيب به الصحابة من الهم و الحزن، حالة عمر و أبى بكر، خطبة أبى بكر، الاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة، خطبة أبى بكر هناك، أمّهات المؤمنين، أولاده، أعماله، عدد الصحابة.

فبهذه العناوين و غيرها صوّر الشيخ عبد المبين حياةَ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، و أضاف إلى المكتبة الاسلامية كتابا قيّما، و ضرب مثالا رائعا فى المثابرة و الاكباب على البحث و التحقيق، و برهن على أن هذا المعين لن ينضب أبدا.

الاسلام و الرسول صلى الله عليه وسلم فى نظر منصفى الشرق و الغرب:

الاسلام دينُ الفطرة و منبع الهداية، و تعاليمه تضمن السعادة و الفلاحَ للبشرية، و انه قد نجح فى تربية شعوب العالم، و أرسى قواعد الحضارة الخالدة، و حبب إلى الناس أنواعَ العلوم و المعارف التى تنفع البشرية، و ترفع مستوى الناس الثقافي، و تقوّى الصلة بين الخلق و الخالق. و لذلك كانت هذه التعاليم موضعَ اعجاب أهل العدل و الانصاف من المثقّفين فى كلّ عصر، و قد أثنى عليها كثيرا المنصفون فى هذا العصر، فانها تهذّب نفوسَ الناس، و تطهّرها من الفواحش الرّذائل التى كثرت فى عصرنا هذا، و هدّدت المجتمع البشريّ، و أوصلته إلى حافّة الهلاك و الدمار. و هؤلاء المنصفون من علماء الشرق و الغرب و المصلحون الاجتماعيون من كلّ ديانة و نظرية قد ألّفوا المقالاتِ و الكتب يُشيدون فيها بمبادىء الاسلام السامية و تعاليمه النافعة، و يشهدون بأنها هى التى تستطيع أن تاخذ بيد البشرية إلى طريق النّجاة، و تضمن لها السعادةَ و الرخاءَ.

و قد ألّف في هذا الموضوع الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رئيس قضاة المحكمة الشرعية في قطر، و سمّى كتابه (الاسلام و الرسول صلى اللّه عليه وسلم في نظر منصفي الشرق و الغرب). و قسّم كتابه إلى قسمين. الأول في التعريف بمبادىء الاسلام الأساسية من العقيدة و العمل، و في اشادة موقفه من الأمور الحضارية. و الثاني في ذكر أقوال العلماء و كبار الشخصيات التي اعترفوا فيها بسُموّ تعاليم الاسلام و كمال تشريعاته و نجاح تجربته في تهذيب النفوس و تزكية القلوب. و قد وضح المؤلف في مقدّمة الكتاب بأنّ الاسلام ليس بحاجة إلى الاستشهاد بأقوال الناس، لانه تشريعٌ من اللّه تعالى الذي خلق البشر، و أحاط علماً بكلّ ما ينفعُه و يضُرّه، و لكن بعض الطبائع لا تطمئنّ الا اذا رأت شهاداتِ العلماء تتوفّر حول مسألة من المسائل، و لذلك يستحسنُ جمعَ مثل هذه الشهادات في كتاب و سوقها إلى القرّاء حتى يطّلعوا على مواقفِ العلماء من الاسلام و تعاليمه، و التوفيق بعد ذلك بيد اللّه تعالى.

و الشيخ ابن حجر حينما زارَ الجامعة السلفية أبدى رغبته في ترجمة الكتاب المذكور إلى اللغة الأردية حتى يسهل الانتفاعُ به للقراء في شبه القارّة الهندية. و تحقيقا لهذه الرغبة قام الشيخ اقبال احمد بن كفايت اللّه، أحدُ خريجي الجامعة السلفية، بترجمة الكتاب إلى الأردية، و طبعته الجامعة في يوليو ١٩٨٨م، و يقع الكتابُ في (٢٤٦) صفحة بالقطع المتوسط. و فيما يلي أهمّ الموضوعات و العناوين التي وردت فيه:

"مؤامرات ضدّ الاسلام و المسلمين، أسباب الخطأ و الضلال في فهم الاسلام، مساهمة المسلمين في تقدّم الحضارة الغربية، حالة العالم عند ظهور الاسلام، أدلّة صدق الرسول صلى اللّه عليه وسلم، محاسن الاسلام في العقيدة، العبادات في الاسلام، تعدُّد الزوجات، محاسن الطلاق، حرمة الخمر و أضرارها، حدّ السرقة و آثاره في المجتمع، محاسن النظام الاقتصادي في الاسلام، أحكام الوراثة و فوائدها، الحضارة الاسلامية في الشرق و في الأندلس، عناية المسلمين بالعلوم الانسانية و الطبية و الطبيعية الرياضية و غيرها، اختراعات المسلمين، مساهمتهم في العمران و بناء المدن و المباني، ميزات الاسلام و خصائصه، الاسلام هو الدين الذي يراعي العلم و العقل في كلّ مجال، الاسلام هو دين الحضارة و المدنيّة، الاسلام أتى بتشريعات شاملة لجميع نواحي الحياة، مرونة الاسلام و سهولته، موقفه من العلوم و تشجيعه على التقدّم فيها، الاسلام يُحارب الظلم و الفساد، الاســلام يُقـرّر جميعَ الحـرّيات الـدينية و السياسية و الفكرية، الاسلام يُراعي ناحيةَ الفقراء و المساكين".

هذه العناوين استغرقت نحو نصف حجم الكتاب، و في النصف الآخر أوردَ المؤلّف شهاداتِ نحو مائة عالم من علماء الغرب كلّهم اعترفوا بصدق رسول الاسلام، و شهدوا بنجاحه في الدعوة، و صرّحوا بكون القرآن الكريم معجزةً خالدة و بأن توجيهاته تُغني عن جميع الكتب و الثقافات.

التربية الاسلامية :

ألّف هذا الكتاب الشيخ عبد الوهاب الحجازى الذى تخرّج فى الجامعة السلفية، ثم تعيّن مدرّسا فيها، و لـــه مساهمة ملمـوسة فى مجـال التأليف و الترجمة أيضا. و الجامعة كلّفته باعداد هذا الكتاب ايمانا منها بوجوب الاعتناء بتربية الانسان على فضائل الأعمال و مكارم الأخلاق، فان العلم النظرى ليس له قيمة و فائدة اذا لم يصحبه العمل. و الرابطةُ وثيقة بين العلم و العمل بحيث يصعب الفصل بين اثنين. و الأهمية التى يحظى بها العلمُ ليس الا لأنه يؤدّى إلى العمل، و يحثّ الانسان عليه، و يبصّره بالآثار الحسنة التى تترتب عليه. و القرآن الكريم قد صرّح بأن وظيفة الرسول صلى اللّه عليه وسلم هى تعليم الكتاب و الحكمة و التزكيـــة، و هـــذه التزكيةُ تعنى بوضوح أنه صلى اللّه عليه وسلم يربّى الصحابة رضى اللّه عنهم على الالتـــزام بفضائل الأعمال و الابتعاد عن الرذائل. و كذلك تتجلّى أهميّة الناحية العلمية بتنديد القرآن بالذين يقولون ما لا يفعلون، فالعلم ليس مقصودا بالذات فى الشريعة، بل المطلوب أن يتحلّى الانسان بالاعمال الصالحة بعد معرفته بأهمية هذه الأعمال.

و المجتمع المعـــاصـرُ لا يعانى الانحـــراف و الاضطـــراب و أنواعَ البـــلاء و الشقاء الا أن المسئولين عنه قد فصلوا بين التعليم و التربية، و أهملوا الناحيةَ العلمية، و غفلوا عن الهدف الأساسى للتعليم، حتى ظلّ الناسُ يظنّون أنّ تحصيل العلم هو المقصود بالذات، و طالب العلم ليس مطالبا بالتزام ما تعلّمه من فضائل الأعمال. و الفسادُ فى الناحية العلمية فى هذا العصر ليس مقصودا على طبقة دون طبقة، أو أتباع ديانة دون أخرى، بل الجميع قد تحرّروا عن المسئولية، و ابتعدوا عن العمل، بل ابتُلِى الناسُ بالفواحش و المنكرات حتى لم يَبقَ فرقٌ كثيرٌ بينهم و بين الأنعام.

و الاسلام فى أصوله التربوية يعتنى بتربية الانسان مـــن ناحية الجسم و الروح و العقل معا، و بذلك يحقّق التوازن فى حياة الانسان، و ينمّى مواهبه المختلفة التى أودعه اللّه اياها. و كذلك يهتمّ الاسلام بتربية الانسان فى جميع مراحل حياته من الطفولة إلى الشيوخة، فالطفل يتلقّى تربية فى حجرالأم، يذهب إلى المدرسة فيتعلّم العلمَ و يتلقّى التربية معا،و بعد الانتهاء من المرحلة الدراسية يتمسّك بالقيم الدينية و يلتزم بالمعروف و يبتعد عن المنكر، و كذلك يأمر غيره بالمعروف و ينهاه عن المنكر. و هذا نظام تربوىّ فريد فى الاســـلام، لا يتمسك به مجتمع الا اهتدى وفاز. و كذلك يُعمّم الاسلام التربية فيوصلها إلى غير المتعلمين أيضا. فانهم و ان لم يُسعِدهـــم الحظّ بالتعليـــم، و لكنهـــم لا يُحرمون منافع العلم و آثاره. ثم انّهم بكونهم أفرادا فى المجتمع كيف يساهمون فى اصلاحه و توجيهه إلى الخير الا اذا تلقّوا التربية العملية المفيدة.

و هذه الأمور كلّها قد شرحها و أكدها الشيخ الحجازى فى الكتاب المذكور. و فيما يلى بعض النقاط التى تناولها بالشرح و البيان:

معنى التربية، مسئولية الوالدين فى التربية، دور الحب و اللين فى التربية، التربية الجسمية، الالتزام بالنظافة، مراعاة أصول الصحة و أهميتها فى الاسلام، التربية الخلقية و الدينية، المجتمع الاسلامى و خصائصه فضائل الأعمال و ضرورة التنبيه عليها و طريقة التحبيب اليها، المرحلة المدرسية و أهمية التربية فيها، نماذج من تربية الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف يتطرّق الفسادُ إلى الأولاد، تعليم الحلال و الحرام، التنسيق و التعاون بين البيت و المدرسة، مرحلة الشباب و أهمية التربية فيها، ترسيخ الفضائل و المثل فى نفوس الشباب، مراقبة أحوال الشباب و أهميتها فى التربية، أصول الاسلام فى العلاقة مع غير المسلمين، مقارنة بين نظام التعليم و التربية فى الاسلام و فى غيره من الأديان و النظم.

و هكذا سار المؤلّف فى كتابه يفصّل الكلام عن التربية و صورها و أوضاعها و أهدافها و نجاحها فى (٣٤٩) صفحة بالقطع الكبير، و انه قد سدّ بذلك فراغا كبيرا فى المكتبة الاسلامية باللغة الأردية.

صلوة الرسول صلى الله عليه وسلم:

مؤلّف هذا الكتاب عالم باكستانى شهير اسمه محمد صادق السيالكوتى (ت ١٤١٠هـ) و الكتب فى موضوع تعليم الصلوة كثيرة فى اللغة الأردية ما بين موجز و مطوّل، و لا يزال العلماء مستمرّين فى التأليف فى هذا الموضوع نظرا لأهميّة الصلاة فى الاسلام و نفاد الكتب السابقة و احتياج الأجيال المسلمة اللاحقة إلى تعلّم هذه الفريضة التى تُعدّ ركنا عظيما من أركان الاسلام. و الشيخ محمد صادق قد أدلى بدلوه فى الموضوع، كما أنه قام بالتأليف فى موضوعات اسلامية كثيرة. و كتابُه صلوة الرسول يمتاز بسهولة البيان و جزالة العبارة و كثرة الاستدلال بالأحاديث الصحيحة الثابتة و الرد على الأخطاء التى تصدر من المصلين و فصلِ القول فى الأمور الخلافية التى تعدّدت فيها أقوالُ العلماء، بحيث يتمكّن القارىء من معرفة الطريقة التى تُعدّ أقرب إلى الصواب فى أعمال الصلاة.

و فى بداية الكتاب أورد المؤلّف الأحاديث التى توضّح فضلَ الصلاة و أهميّتها، و تذكر شروطها و آدابها، و كذلك أوردَ الأحاديث التى تُوجب اتباعَ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أداء هذه الفريضة، و تصرّح بأن الصلاة التى لا تكون على هذه الطريقة يُضرب بها على وجه صاحبها. و بعد هذه المقدّمة بيّن أحكامَ المياه و تطهير النجاسات و غسل الجنابة و الحيض، ثم أحكامَ الوضوء و المسح و التيمم. و بعد الانتهاء من هذه المباحث تناولَ موضوعَ

الصلاة فصّل الكلام فى فضائل الصــلاة و أوقاتها و الأذان لهـا و أحكام المساجد و قواعدَ الصلاة و أركانها و ما يتعلّق بها من الأحكام الأخرى، و كذلك ذكر أحكام الجمعة و العيدين و الجنازة و النوافل ، و فى نهاية الكتاب ذكر حكمَ زيارة القبور، ثم آداب الدعاء و الذكر، و أورد بعض الأدعية التى يحتاج اليها الانسان فى حياته اليومية. و بمراعاة هذه الأمور المهمّة صار الكتاب فريدا فى بابه، و حظى باعجاب من القراء و خاصّة من الذين يودّون الاطلاع على أحكام الصلاة دون الدخول فى التفاصيل التى لا تُهِمّ العامّة.

و كتاب صلاة الرسول كان قد أُلّف أوّلاً باللغة الأردية لأنها هى اللغة السائدة بين المسلمين، و لكنّ الجيل المعاصر من المسلمين لم يكن كثير منه يعرفون اللغة الأردية، بل الطبقة التى تلقّت الدراسة الحكومية كانت تعرف اللغة الانجليزية أو اللغة الهندية، و من هنا كانت الحاجة ماسّةً إلى كتاب فى موضوع الصلاة باللغة الانجليزية و الهندية، و الجامعة السلفية لمستْ هذه الحاجة لكلّفت من يعرف الهندية و كذلك من يعرف الانجليزية بترجمة الكتاب إلى اللتين، ثم طبعت الكتابين على مطبعتها و قامت بالتوزيع و قد نفدت نسخ الطبعة الهندية فى مدّة قليلة فأعيد طبعُها مرة أخرى. و قد أثبتت هذه التجربة أن توفير الكتب الاسلامية باللغة الهندية و اللغات المحلّية الأخرى حاجة العصر، فان الذين لا يعرفون الأردية و يرغبون فى الالمام بالمعلومات الدينية لا يجدون فى المكتبات هذه الكتب باللغات التى يعرفونها، فيُحرمون هذا النوع من الثقافة، و يبقون جاهلين فى كثير من أمور دينهم. و من هنا تأكّد العزمُ لدى الجامعة لتوفير الكتب الاسلامية باللغة الهندية و غيرها من اللغات المحليّة حتى يمكن سدّ الفراغ القائم فى مجال تثقيف الجيل المعاصر بالثقافة الاسلامية.

تنوير الآفاق فى مسألة الطلاق :

ألّف هذا الكتاب الشيخ محمد رئيس الندوى الأستاذ فى الجامعة السلفية حولَ موضوع الطلقات الثلاث فى المجلس الواحد. يقع الكتاب فى (٥١٦) صفحة بالقطع المتوسط، و يلقى الضوء على (١٩١) مبحثا، و الجامعة السلفية طبعته فى سنة ١٩٨٧م، و قد وردت فى كلمة الناشر المنشورة فى بداية الكتاب أن موضوع الطلاق فى الاسلام كان موضعَ بحث و مناقشة و اعتراض لدى كثير من الكتّاب النصارى و الآريا، فهم كانوا يرون أن الاسلام قد ظلم المرأة اذ أباح للرجل حقّ الطلاق. و قد ردّ علماءُ الاسلام على هذا الاعتراض، و وضّحوا حكمةَ الطلاق و حاجة المجتمع البشرى اليه، و كذلك أوردوا أمثلةً عديدةً من الأديان و النظم الأخرى التى كانت تحرّم الطلاقَ مبدئيا، ثم أباحته بالدوافع و الضغوط التى طرأت على المجتمع، و هدّده بأنواع من الفساد و الخلل.

و كانت هناك ناحية أخرى للبحث و المناقشة، و لكنها اختصّت بعلماء المسلمين و لم يدخل فيها الكتّاب من غير المسلمين، و هذه الناحيةُ هي اعتبار التطليقات الثلاث في المجلس الواحد ثلاثا أو واحدا. ان الكتابات حول هذه النقطة كثرت بين العلماء و انقسموا بين فريقين حسب المذاهب الفقهية التي كانوا يتّبعونها، و كلّ ينتصر لمذهبه و يسوق الأدلّة في تأييده. و الواقع الذي لا يستطيع أحدٌ انكاره أنّ اعتبار مثل هذه التطليقات ثلاثا يوقع الزوجين في حرج و صعوبة، و من هنا نرى أنّ بعض العلماء من الحنفية يفتون بالرجعة في مثل هذا الوضع، و بعضهم يشيرون على الزوجين بالتحليل، أي النكاح الموقّت، و لكن الزوج لا يرضى بهذا العمل، بل يترك مذهبه إلى هذا المذهب الذي يُجيز له الرجعة بناءً على ما كان عليه الأمر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم و في عهد أبي بكر الصديق و صدر خلافة عمر. و على هذا الأساس يفتي العلماء في الحكومات الاسلامية المعاصرة باعتبار التطليقات الثلاث في المجلس تطليقة واحدة، و تعمل به الحكوماتُ و الأفرادُ، فإن التضييق في الأمر الذي وسّعته الشريعة يُنافي طبيعةَ الاسلام و ترفضه طبائعُ الناس.

و قد بيّن الشيخ محمد رئيس في تمهيده الكتاب أنّ موضوع اعتبار التطليقات الثلاث ثلاثا أو واحدا موضوع خلافي كثرت فيه الكتابات من الفريقين حتى زادت على عشرة آلاف صفحة تقريبا، و الذين يجعلون هذه التطليقات ثلاثا هم الذين أكثروا الكتابة من معارضيهم، و قد أدّى بهم الغضب إلى الطعن و التضليل أحيانا.

ثم أشار إلى الندوة التي انعقدت في مدينة أحمد آباد من قبل مركز البحث الاسلامي في شهر نوفمبر ١٩٧٣م، للنظر في أدلّة الفريقين و الوصول إلى رأي أكثر صوابا. و معظمُ المشاركين في الندوة أيّدوا الرأي القائل بجعل تطليقات المجلس الواحد تطليقةً واحدةً ثلاثا كانت أو أكثر. و هذا الرأي لم يُعجب بعض العلماء من الحنفية فردّوا على بحوث الندوة. و كتبوا مقالاتٍ طويلةً يؤيّدون فيها مَن يذهب إلى اعتبار هذه التطليقات ثلاثا، و يضعّفون مَن يعتبرونها واحدةً. و بعض المجلّات الاسلامية الصادرة في الهند باللغة الأردية قد نشطت في الموضوع، و أيّدت موقفَ القائلين بكون التطليقات الثلاث ثلاثا. و هذه الكتاباتُ قد اقتضت استعراض أدلّة الفريقين، و الانتصار للرأي الذي يستند إلى الأدلّة الأقوى. و لذلك ألّف الشيخ الندوي كتابَه (تنوير *الآفاق*) حتى يوضّح الحقّ في الموضوع، و يجيب على الشكوك التي تُثار حولَ مذهب القائلين بوقوع تطليقات المجلس الواحد رجعية. و كما أشرنا في بداية التعريف يصل عددُ العناوين الفرعية التي وردت في كتاب تنوير *الآفاق* إلى (١٩١) عنوانا، و نحن نثبت بعضها.

ألشريعة أمرَت بالتطليق الواحد في المجلس الواحد، صلة الايلاء بالطلاق، عدد الطلاق الرجعي في القرآن، معنى المجلس و الطهر، صورة وقوع الطلقات

الثلاث، التطليق البات، قوانين الخلفاء الراشدين المعارضة للنصوص، دعوى الاجماع على اعتبار التطليقات الثلاث ثلاثا و حقيقة هذه الدعوى الأحاديث التي يستدلّ بها القائلون بوقوع التطليقات الثلاث ثلاثا، هل ندم عمر على ما نفّذه تعزيرا في شأن التطليقات الثلاث؟ انعقاد الاجماع على كون التطليقات الثلاث في المجلس الواحد واحدا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم و عصر أبي بكر، الأحاديث التي تدلّ على كون هذه التطليقات واحدة، الأساس الذي بنى عليه عمرُ بن الخطاب موقفه في الطلاق.

أهل الحديث و السياسة :

ألّف هذا الكتاب الشيخُ نذير أحمد الرحماني (ت ١٩٦٥م) و طبعَته الجامعة السلفية أولا في سنـــة ١٩٧٢م، ثم أعــادت طبعــه في سنـــة ١٩٨٦م. و الموضوعُ الذي يتناوله المؤلّف بالبحث و المناقشة هو. مساهمة جماعة أهل الحديث في التوحيد السياسي للمسلمين و نضالها في سبيل تحريرالهند من أيدي الاستعمار الانجليزي. و الذي مهّد لتأليف الكتاب هو الزعم القائل بأن جماعة أهل الحديث لم تشتغل بالشئون السياسية بعد مأساة بالاكوت في سنة ١٨٣١م، بل اعتزلت عن السياسة طيلة العصر الانجليزي، و اعتنت بأمور دينية أخرى. وصل هذا القولُ إلى الشيخ الرحماني بواسطة بعض الجرائد الدينية فتألّم كثيرا بهذه المجازفة، و اعتزم على تفصيل القول و شرح الأوضاع و كشف الحقائق حتى يعرفَ الناسُ موقف الجماعة، و يطلّعوا على الجهود التي بذلتها في الشئون السياسية زمن الانجليز و بعد استقلال الهند.

كان الشيخ الرحماني من أبرز رجال الجماعة، و كان قضى شطرا من حياته في العصر الانجليزي، فشاهد بعينيه بطش الانجليـــز بسكان الهنـــد، و خاصة بالمناضلين للتحرير، و كذلك شارك و اطّلع على الجهود التي بذلتها هذه الجماعة في سبيل مقاومة الانجليز و مقاتلتهم قبل ثورة ١٨٥٧م و بعدها. كان الانجليز يرمون أفراد هذه الجماعة المجاهدين في الثغور الرجالَ و الأموالَ، و يُذكون نارَ الثورة ضدّ الانجليز داخل الهند. استمرّت هذه الأعمال العظيمة مدّةً طويلةً، و ساهمت فيها الجماعة مساهمة ملموسة، و أوذيت في ذلك أشدّ الايذاء. فكيف يسكت أحد على من يزعم أن هذه الجماعة اعتزلت عن الشئون السياسية منذ مأساة بالاكوت؟و بما ذا تُعلّل الأعمال الوحشية و المواقف الاجرامية التي اتخذها الانجليزُ ضدّ هذه الجماعة؟ و ماذا يكون سبب المحاكم الجائرة التي أنشئت للحكم على هؤلاء الرجـــال بالقتل و النفـــي و التشريد و التعذيب؟

ساق المؤلّف (٤٥٠) صفحة بالقطع المتوسط أدلّة كثيرة على دخول الجماعة في غمار السياسة، و خاصّة في المقاومة ضدّ الانجليز، و في الحفاظ على كيان

الأمة الاسلاميه فى تلك المرحلة الصعبة. و فيما يلى بعض النقاط التى بحثها المؤلّف فى الكتاب. —

محاولة تغطية الأعمال الجهادية التى قامت بها جماعة أهل الحديث، حركة أهل الحديث فى الهند، الشاه اسماعيل الشهيد و قيادة الحركة، ردّ على رسالة مجلة المفتى، آثار هذه الحركة و ثمارها، رغبة فى الجهاد و تطلّع اليه، مجموعة من المجاهدين من أهل الحديث، الشاه اسماعيل الشهيد، الدعوة و الارشاد، أعمال الجهاد، شجاعة الشهيد، السيد حيدر على الرامفورى، السيد محمد على الرامفورى، خان عالم خان و استقامة بنته، الشيخ عبد الحق البنارسى، الشيوخ و التلامذة، المؤلّفات أسطورة الانجليز، المنشى محمد انصارى، هجرته، أخلاقه و عاداته، السيد أولاد حسن القنوجى بيعة الجهاد، الدعوة و الارشاد، وفاته، أولاده و أحفاده، السيد أحمد حسن عرشى، وفاته، النواب السيد صديق حسن خان، أساتذته، سفره إلى بوفال، مذهبه، ردّ على بعض محتويات الكتاب " *سيرة والا جاهى* "، الشاعر مؤمن خان، رغبته فى الجهاد، الشيخ ولاية على، مذهبه، أعماله الجهادية و خدماته الاسلامية، هجرته إلى منطقة الثغور، وفاته، الشيخ عناية على، غزواته، ثورة سنة ١٨٧٥م، و المشكلة المالية، ثورة سنة ١٨٥٧م و السيد المحدث نذير حسين الدهلوى، المطا عن الموجهة اليه و تبرئته منها، مساهمة أهل الحديث فى ثورة ١٨٥٧م مساهمتهم فى الحركات السياسية التى نشأت بعد هذه الثورة، انقاذه سيدة انجليزية من الموت، الشكوك التى اثيرت حول هذا الانقاذ، حكم مثل هذا العمل فى مثل تلك الظروف، مؤامرة ضدّ السيد نذير حسين فى الهند و فى مكة المكرمة القاء القبض عليه فى الحرم المكى، الإفراج عنه و خيبة أمل المعاندين، التُهم الموجّهة اليه و ردّ العلامة أبى الكلام أزاد عليها، تعريف بأعضاء اللجنة المعارضة، تزوير رسالة الرجوع و التوبة على السيد نذير حسين

و الكتاب لم يتمّ بهذه النقاط، بل كان المؤلّف رحمه الله عاقدَ العزمِ على اتمام هذه السلسلة فى عدّة أجزاء حتى يتضح تاريخُ الجماعة فى تلك الفترة و لكن و افاه الأجل المحتوم قبل أن تتحقّق هذه الأمنية، و لعلّ أحدا من تلاميذه يقوم بهذا العمل فان الحاجة قائمة بذلك.

مساهمة جماعة أهل الحديث فى التأليف و الترجمة :

انعقد فى الجامعة السلفية فى شهر فبراير لعام ١٩٨٠م مؤتمر الدعوة و التعليم، و بهذه المناسبة كلّفت الجامعةُ بعض مدرّسيها بتاليف كتاب حول الموضوع المذكور، فقاموا بتاليف كتاب يقع فى (١٦٨) صفحة بالقطع الكبير. و قد ورد فى هذا الكتاب التعريف بكتب العقائد و السير و التاريخ و الفقه و المناظرة التى ألّفها علماء أهل الحديث، و كذلك بالجرائد و المجلات التى

أصدروها فى أوقات مختلفة، و العددُ المجموعى للكتب الواردة فى هذا الكتاب قد بلغ نحو (٣٠٠) كتاب. ثم رأت الجامعة اعادَة طبع الكتاب المذكور بعد الزيادة و التنقيح، فكلّفت أحدَ مدرّسيها، و هو الشيخ محمد مستقيم السلفى خريج الجامعة، بهذا العمل، و قد أعدّ الشيخ محمد مستقيم الكتاب بهمة عالية جداً، و زاد فيه زيادةً كبيرةً حتى بلغ عددُ الكتب المعرّف بها فى هذا الكتاب أكثر من (٦٠٠٠) كتاب. و الجامعة تطبعُه الآن على مطبعتها بالحروف.

ورد فى كلمة الناشر للطبعة الأولى من الكتاب

" تأسست الجامعة السلفية فى سنة ١٩٦٣م، و كان من أهمّ أهدافها العناية بالتأليف و الترجمة حتى تتوفّر الكتب النافعة التى تساهم فى تربية الجيل المعاصر، و تأخذ بأيدى الشباب إلى الفضائل و الخير، و تُلقى الضوء على الحركة العلمية التى نشأت فى الهند، و نهضت كثيرا بالعلوم الدينية و الأدبية".

و جاء فى مقدّمة الكتاب لنفس الطبعة

" لسنا بحاجة إلى التفصيل فى بيان أهميّة السيرة و التاريخ، ان هذا الموضوع كان موضع عناية الجميع فى كلّ عصر، فقد ألّف كثير من العلماء و الباحثين فى التاريخ و التراجم، و علماء الهند أيضا قاموا بدورهم فى هذا المجال، و كان علماء أهل الحديث أيضا مهتمّين بهذا النّوع من التأليف".

" و قد كانت أرضُ الهند موضعَ عناية المسلمين منذ القرن الأول، فجاء منهم عدد كبير إلى هذه البلاد، و أرسوا فيها دعائم الحضارة و العمران، و اهتمّوا بنشر الدين و كثير من العلوم التى عُرفت فى تلك الأيام.

و من الكتب المهمّة التى تمّ التعريفُ بها فى الكتاب المذكور

تقوية الايمان للشاه محمد اسماعيل الدهلوى، *اخلاص الفؤاد إلى توحيد رب العباد* للنواب صديق حسن خان، *بغية الرائد فى شرح العقائد* له، *فتح الباب بعقائد أولى الألباب* له، *الدين الخالص* له، *الأسماء الحسنى* للقاضى محمد سلمان المنصور فورى، *العقائد الاسلامية* للشيخ عبد السلام البستوى، *دلائل توحيد البارى* لشيخ عبد الرؤف الرحمانى، *ابجد العلوم* للنواب صديق حسن خان، *اتحاف النبلاء* له، *التاج المكلل* له، *الحطة فى ذكر الصحاح الستة* له، *افتراق الأمم على المذاهب و الأديان* له، *تذكرة النبلاء فى تراجم العلماء* لشيخ شمس الحق الديانوى ، *سيرة عمر بن عبد العزيز* لشيخ أبى الفيّاض عبد القادر، *أيام العرب* لعبد الحليم شرر، *فتح الأندلس* له ، *رحمة للعالمين* للقاضى محمد سليمان المنصور فورى، *العلم و العلماء* للشيخ عبد الرؤف الرحمانى، *خالد بن الوليد* للشيخ عبد المبين منظر، *عقود الجمان فى جواز تعليم الكتابة للنسوان* للشيخ شمس الحق الديانوى، *تبويب القرآن* للشيخ وحيد الزمان الحيدر آبادى، *نزل الأبرار من فقه النبى المختار* له، *الخطب المحمدية* للشيخ محمد الجونا كرهى ، *الحقوق و المعاملات* للشيخ

عبد الرؤف الرحماني، *حسن البيان فى سيرة النعمان* للشيخ عبد العزيز الرحيـــم أبادى ، *سيرة البخارى* للشيخ عبـــد السلام المباركفــورى ، *الاسلام و النصرانية* للشيخ أبي الوفاء ثناء الله الأمـرتسـرى، حق بركاش *فى الردّ على ستيارتهـ بركاش له* ، *الرسول المقدّس له، حلّ مشكلات البخارى* للشيخ أبى القاسم سيف البنارسي، تبصرة *الناقد* بردّ كيد *الحاسد* للشيخ أبو الفتح عبد النصير.

هذه هى أسماء بعض الكتب و مؤلّفيها التي وردت فى الطبعة الأولى من الكتاب كما سبق أن ذكرنا، و هذا الموضوع مهم جداً، و فى حاجة إلى عناية العلماء و الباحثين حتى يتضح دورُ علماء الهند فى حركة التأليف و الترجمة، و نحن قد عقدنا العزمَ على أنّ الطبعة الثانية للكتاب المذكور حينما تنتهى فان العمل يبدأ فى اعداد كشف شامل للكتب المهمّة التى ألّفها علماءُ المسلمين فى الهند فى الموضوعات المختلفة، و الله الموفق.

مساهمة جماعة أهل الحديث فى التدريس :

ألّف هذا الكتاب الشيخ عزيز الرحمن السلفى الذى تخرّج فى الجامعة السلفية، ثم تعيّن مدرسا فيها، و هذا الكتاب يقع فى (٢٥٠) صفحة بالقطع الكبير، و قد طبعته الجامعةُ طبعةً ثانيةً فى سنة ١٩٨٤م، و موضوع الكتاب هو التعريف بالمدارس و الكتاتيب التى توجد فى أنحاء الهند، و تتبع جماعة أهل الحديث، و المؤلّف قد عدّ هذه المدارس و الكتاتيب حسب الولايات الهندية، فأوّلاً عرّف بالمدارس و الكتاتيب فى مديرية واحدة من مديريات الولاية، ثم انتقل إلى مديرية أخرى و هكذا. و قد اهتمّ فى هذا التعريف بتاريخ التأسيس و عدد المدرسين و الطلاب و بعض المسئولين و المكتبة و المنهج الدراسى و ما إلى ذلك. و بذلك يعطى هذا الكتاب فكرةً اجماليةً عن مدارس أهل الحديث فى الهند، و يُلقى الضوء على الجهود التى تُبذل فى سبيل الحفاظ على العلوم الاسلامية و فى تثقيف النشء الاسلامى بثقافة دينية و اللغة العربية. و فى مقدّمة الكتاب و كلمة النّاشر ورد ما يبيّن دورَ هذه المّدارس و أهميّتها فى الهند الحرّة. تقول كلمةُ الناشر للطبعة الثانية للكتاب:

دورُ المدارس الاسلامية فى تاريخ الهند الاسلامى بارزٌ جدّاً، و قد ازدادت أهميّتها بعد الاستقلال كثيرا، فالمدارس و منسوبوها لم يكونوا فى عصر الانجليز موضعَ أىّ عناية و تقدير، و لكن تحسّنت الأحوال بعد الاستقلال معنوياً و مادّياً. و عرَف الناسُ أهميّة المـــدارس فى مجـــال التـــدريس و التــربية، و اعترفوا بمساهمتها و تأثيرها فى الحياة العامّة للمسلمين، و كان انشاء المدارس فى العصر الانجليزى بهدف الحفـاظ على القيم الـــروحيـــة و الخلقية و انقاذ المجتمع من غوائل المادّة و مهلكات الانحلال و الاباحية، و بعد الاستقلال

مست حاجة إلى استمرار هذه المدارس للحفاظ على العلوم و الحضارة الاسلاميتين، و لنشر اللغة العربية و تدعيم علاقة الناس معها، و على ذلك فإن المدارس كانت لا تزال مهمّةً مهما تبدّلت الأحوال و الأوضاعُ و قد توسّعت هذه المدارس فى نشاطها و أعمالها فأنشأت روابط مع الجامعات الرسمية التى تقوم بتدريس العلوم الاسلامية و اللغة العربية. و كذلك سنحت الفرصة لقبول مجموعة من خرّيجى هذه المدارس فى جامعات الدول العربية و الاسلامية. و بذلك تحسّن المستوى التعليمى للطلاب، و تمكّنوا من بناء مستقبلهم العلمى على طريقة أفضل.

و جاء فى كلمة الناشر للطبعة الأولى من الكتاب

" تاريخ المدارس الاسلامية فى الهند يبدأ ببداية تاريخ المسلمين فى البلاد، فالمسلمون جاؤا إلى الهند مع ثقافتهم و تقاليدهم، و انهم قد حافظوا على قيمهم الدينية و الثقافية، و ساهموا فى البناء و العمران و السياسة و الاقتصاد، و حتى تكون أجيالُهم اللاحقة محافظةً على تراثهم الدينى و الثقافى، فانهم قد حرصوا على انشاء المؤسسات التعليمية و تنظيم الدراسة و التعليم منذ استقرارهم فى الهند، و قد لعبت هذه المدارس دورا فعّالا فى تربية أولاد المسلمين و بناتهم، و كذلك فى تحرير الهند من الاستعمار الانجليزى، و فى دفع عجلة الحضارة و التقدّم إلى الأمام

و جاء فى تقديم الكتاب للطبعة الأولى كلامٌ يوضّح أهداف وجودِ المدارس و فوائدها:

= توجد المدارس لتنوير القلوب بأنوار العلم و المعرفة.

= و لمقاومة الالحاد و الزندقة و لحفظ الايمان من الكفر و الشرك

= و لانصاف البشرية و تكريمها.

= و لاعادة الطمأنينة و الراحة إلى النفوس القلقة.

= و لانقاذ الناس من عماية الجهل و غواية التقليد.

= و لهداية البشرية الى ربّها الذى خلقها للعبادة و الطاعة

= و بعد هذه السطور نودّ أن نذكر عددَ المدارس و الكتاتيب التى تمّ التعريف بها فى هذا الكتاب.

عدد مدارس الجماعة فى جميع ولايات الهند: (٤٦١) مدرسة.

عدد كتاتيب الجماعة فى هذه الولايات. (٥٣٤) كتّابا.

تاريخ الأدب العربي :

مادة تاريخ الأدب العربى من المواد المهمّة التى تقومُ بتدريسها الجامعات الرسميةُ و بعض المدارس الاسلامية فى الهند، و لكن المراجع التى يرجع إليها المدرسون و الطلاب فى هذه المادّة قليلة باللغة الأردية، مع أنها متوفّرة

بالعربية فى هذا العصر، و لكن وصولها إلى الهند لا يزال مشكلة عويصة. و كتاب الأدب المصرى الأستاذ أحمدحسن الزيات، و اسمه *تاريخ الأدب العربى*، يعتبر الوحيد الذى يتوفّر هو أو ترجمة بالأردية فى شبه القارة الهندية. و من هنا كان المشتغلون بهذه المادة تدريسا و دراسة يشعرون بحاجة ماسّة إلى تأليف كتاب بل كتب فى تاريخ الأدب العربى الذى كانت نصوصُه تُدرّس فى المؤسسات التعليمية، و كان اقبالُ الطلاب و المدرسين عليه عظيما. و بعض الباحثين فى الهند، مثل الدكتور عبد الحليم الندوى، شعر بهذه الحاجة فبدأ مشكورا بتأليف كتاب فيه.

و الكتاب الذى نحن بصدد التعريف به ألّفه كاتب هذه السطور (الدكتور مقتدى حسن) بعد الاطلاع على الكتب المهمّة النافعة التى ألّفت فى هذا الموضوع. و قد يسّر اللّه تعالى لى الاقامةَ فى القاهرة حيث تنشط الحركةَ العلمية و الأدبية، نحو أربع سنوات، و قد شعرتُ فى هذه الفترة بعد الاطلاع على المراجع النفيسة فى *تاريخ الأدب العربى* بالنقص الذى سبقَت الاشارة اليه. و بعد العودة إلى الهند أتيحت لى فرصةُ الاستفادة و العمل فى جامعة على كره الاسلامية حيث تسير الدراساتُ الشرقية و الغربية جنبا إلى جنب، و يوجد فيها عددٌ كبيرٌ من المشتغلين بالأدب العربى و الدراسات الاسلامية. و فى هذا الوسط الجامعى اشتد شعورى بحاجة الدارسين إلى كتاب يتناول تاريخ الأدب العربى باللغة الأردية. و حيث أن كتاب الأستاذ أحمد حسن الزيات كان قد تُرجم و نُشر باللغة الأردية، فانى اخترتُ كتاب الدكتور شوقى ضيف الأستاذ فى جامعة القاهرة ليكون أصلا أبنى عليه و نموذجا أقتدى به. و قد اخترتُ هذا الكتاب لكونه أحسنَ ما ألّف إلى الآن فى موضوع تاريخ الأدب العربى، و لأنى درستُ على هذا الأستاذ الكبير فى جامعة القاهرة حيث كنتُ طالبا فى السنة الأولى للماجستير. و بتوفيق اللّه تعالى بدأت تأليف الكتاب، و نجحت فى اخراج ثلاثة أجزاء منه، الجزء الأول عن العصر الجاهلى، و يقع فى (٢١٥) بالقطع المتوسط، و الجزء الثانى عن العصر الاسلامى و يقع فى (٢٩٩) صفحة. و الجزء الثالث عن العصر العباسى الأول و يقع فى (٢٧٧) صفحة. و الرابع و ما بعده تحت التأليف.

و من الموضوعات التى يتناولُه الجزء الأول :

معنى الأدب، تاريخ الأدب، تاريخ الجزيرة العربية القديم، تحديد العصر الجاهلى، الامارات فى الشمال، مكة و غيرها من المدن، القبائل البدوية، أيّام العرب، الحياة الجاهلية، العلوم و المعارف، اللغة العربية، اللهجات الجاهلية، رواية الشعر الجاهلى، قضية انتحال الشعر، المعلقات و مكانتها التاريخية و الأدبية خصائص الشعر الجاهلى، شعراء المعلقات، الشعراء الصعاليك، الشعراء الفرسان، النثر الجاهلى، الأمثال، الخطابة، الوصايا.

و من موضوعات الجزء الثاني.

المجتمع الجديد و القيم الجديد، القرآن و الحديث، الشعر، الشعراء المخضرمون، النثر و تطوره، الخطابة، الكتابة، العصر الأموى، مراكز الشعر فى العصر الأموى، أثر الاسلام فى الشعر، الموالي و العرب، شعراء المدح و الهجاء، شعراء السياسة، شعراء الشيعة، شعراء أخرون، الخطابة و الخطباء، تدوين العلوم، أعلام الكتّاب.

و من موضوعات الجزء الثالث.

الأحوال السياسية فى العصر العباسى الأول، الأحوال الاجتماعية، الأحوال العقلية، تطوّر الشعر، أعــلام الشعــراء، شعــراء السياسة و المــدح و الهجاء، شعراء الغزل، شعراء المجون و الالحاد، شعراء الزهد، شعراء المعتزلة، النثر و تطوّره، الخطابة و الوعظ و القصــة، المناظرات، الكتابــة و الترسا، أعلام الكتّاب.

عروة بن أذينة شعره و حياته:

ألّف هذا الكتاب الدكتور عبد العلى عبد الحميد الذى حصل على شهاده الماجستير من جامعة الأزهر فى أصول الدين، و على شهادة الماجستير من الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى الأدب العربى، ثم على شهادة الدكتوراة من جامعة أحمدو بيللو بنائيجيريا و انه يُعرّف بهذا العمل بنفسه فيقول فى مقدّمة كتاب.

> *" هذا الكتاب كان فى أصله بحثا قدّمتُه لنيل درجة الماجستير فى الأدب العربى من مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة فى أواخر سنة ١٩٧٠م، و كنتُ عازما على اخراجه فى شكل كتاب بعد اجراء تعــديلات منــاسبة، و لكن لم أتمكّن من ذلك آنئذ لأسباب مادّية و بلغنى بعدُ أنّ ديوانا لعروة بن أذينة صدر من بغداد بعنوان " شعر عروة بن أذينة " جمــع و تحقيق الدكتور يحيى الجبورى فأحجمت عن عزمى السابق ظنّا منى بأن لافائدة من طبع هذا المجموع الشعرى لأن مؤلفا آخر قد سبقنى إلى ذلك. و حاولتُ أن أطّلع علــى الديــوان ، و لكــن لم يتيسّر لى ذلك، حتى ذكرتُ هذا الأمر لبعض الاخوان العراقيين، فتكرّم بالكتابة إلى المحقّق الفاضل الذى تفضّل بارسال نسخة من الكتاب، فجزاه اللّه عنى خير الجزاء".*

و بعد النظر في الديوان المطبوع اتّضح لى أنّ احجامى عن نشر هذا المجموع الشعرى كان بدون مبرّر، لأن هناك اختلافا كبيرا بين عملى و عمل الأستاذ المحقق، و راجعتُ فى ذلك أساتذتى فاقترحوا علىّ نشرَه لأسباب".

و يقول عن عمله فى هذا الكتاب:

" بعد ما جمعتُ كلّ ما قاله عروة أو نسب اليـه من أبيـات و قصائد من جميع مظانّها التى ظفرتُ بها، قمتُ بترتيبه فقسمتُ شعره إلى قسمين. الأول أوردها ابن ميمون فى منتهى الطلب بنفس الترتيب الذى وردت عليه، ثم أتيتُ بالأبيات و المقطوعات التى عثرتُ عليها فى مصادر أخرى و رتّبتُها ترتيبا هجائيا".

" و الثانى ما نسب اليه فى بعض المصادر سهوا أو بغفلة من المؤلّف و هو ليس له، أو لم يتأكّد لدىّ صحةُ نسبته اليه، فذكرتُ فيه المرجعَ الذى نسب هذا الشعر اليه، و أوردتُ روايتَه و ان كانت ناقصة مبتوره، ثم ذكرت فى الهامش الشاعر أو الشعراء الذين ينسب اليهم الشعر فى المصادر الأخرى".

" و فى القسم الأول اتخذتُ أقدمَ المصادر أصلا الا اذا كان مصدر متأخر جاء برواية أكمل و أصحّ من المصـدر المتقدّم فاثبتُّهـا. و أوضحتُ الفروقَ بين الروايات المختلفة فى الهامش. و لم ألتزم شرحَ الأبيات شرحا مفصّلا و انما اكتفيتُ بشرح الكلمات الصعبة الا اذا كان أحدُ الشراح المعروفين قام بشرح الأبيات فاثبتُ هذا الشرحَ مع ذكر الشارح".

" يتردّد أسلوبُ عروة بين الرقّة و الجزالة، و هو عامّةً، رقيقٌ سهل فى غزله يشاكل رقّة أسلوب جرير فى مقدّماته الغزلية، بينما فى فخره نجد له أسلوبا فخما جزلا مثل أسلوب الفرزدق. و لا شك أنه اكتسب رقّته فى الغزل من أشعار الغزليين الحجازيين عامّـة و العُذريين".

هذا، و يبلغ عددُ القصائد فى القسم الأول (١١) قصيدة، و عدد المقطوعات (٥٠) مقطوعة. أما القسم الثانى، و هو ما نسب إلى عروة خطأ فقد بلغ عددُ هذه المقطوعات (١١) مقطوعة. و يبلغ عددُ صفحات الكتاب (٢٠٣) صفحة بالقطع الكبير. أما المراجع التى استفادَ منها المحقّقُ فانها بلغت (١٨٩) كتابا فى مختلف الفنون. و الجامعة اذ نشرَت هذه المجموعةَ فانها قد أسدت معروفا جليلا إلى المشتغلين بالأدب و تحقيقه و خاصة أدب العصر الاسلامى.

الحلقة الرابعة :

الشيخ الشاه غلام علي المجدّى الدهلوى في مرآة رسائله

بقلم : فضيلة الشيخ المفتى نسيم أحمد الفريدى
شيخ الحديث بالمدرسة الإسلامية
ببلدة امروها سابقاً

الرسالة الـ ١٠١ إلى الخواجا حسن المودودى :

" إنك كتبت أن المرشد يجب عليه أن يعلّم و يلقن وظائف منوعة مراعيا اختلاف الطبائع، فإن هذه الطريقة هى التى اختارها أصحاب البصيرة و الكشف لتمكين الطالب من قطع مدارج التصوف " لكن هذه ليست قاعدة كلية، إذ أن الأنبياء عليهم السلام قد قاموا بإصلاح بنى آدم بطريقة واحدة و هى طريقة الشريعة. إنهم قد أصلحوا أحوال بنى آدم عن طريق تراضى الطرفين فى الإيمان و العمل و الأخلاق الحسنة و المعاملات، بحيث تحقق لهم الإعراض عن الدنيا و الانصراف إلى الآخرة، و طريقة الشريعة هذه هى التى بواسطتها فاز أهل الإسلام بالصلاح و النجاح.

أما قولك عن حضرة المجدد بأنه لم يتعهد النسبة التى حصل عليها من "الخواجا باقى بالله" و لم يقم بالرياضة اللازمة فوقع الخلل و الفتور فى تلك النسبة، و أنه أساء الأدب إلى الأولياء و الصحابة الكرام و عدل نفسه بخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم، فجواب ذلك أنه لو كانت نسبته قد وقع فيها الفتور لما صدرت منه الكلمات السامية، و قد قال " الخواجا باقى بالله " عن حضرة المجدد بأن علومه كلها صحيحة و قابلة لملاحظة الأنبياء. و قال أيضا: إنه لا يوجد له الآن مثيل تحت أديم السماء، و لم يمرّ من أمثاله بين الأولياء إلاّ قليل.

إن الشيخ أحمد شمس غابت فى ظلها آلاف النجوم من أمثالنا، و قد شهد

العلماء و العقلاء بصحة معلوماته و مقاماته، و بالجملة فإنه معدن لفيوض الجشتية و القادرية و السهروردية و الكبروية و النقشبندية و للانتماءات الجديدة التي وردت عليه.

و بما أن هذه الطريقة شاملة لفيوض السلاسل الخمسة فصاعدا فنحن نستطيع أن نسقى الطالبين برشحات فيوض كل نسبة، إن هذا المذنب العاصى لا يستطيع أداء الشكر على نعم الله تعالى و من الرسول صلى الله عليه وسلم و إفاضات شيخنا و مرشدنا الميرزا مظهر جانجانان الشهيد، و ليس لدىّ إزاء هذه النعم الكثيرة سوى الخجل و الندامة.

إنك لا تزال منذ سنوات كثيرة تكتب مثل هذه الاعتراضات و الانتقادات فيما يتعلق بحضرة المجدد، و ذلك بعيد عن كريم الأخلاق أن تكتب مثل هذه الانتقادات إلى من ينتمى إلى سلسلته. و أما ما كتبته عن أفضلية الطريقة الجشتية فالحق أن المرء إنما تتجلى فى نظره فضائل تلك الأسرة الروحية التى ينتمى إليها و يستفيـــد منها، و إلاّ فإن التفوق علـــى أسرة أو شيخ إنمـا هو بقـدر إتباع السنـــة و تهذيب الطالبين و تربيتهـم، و ذلك يتوافـــر الآن بكثـــرة فى الطريقـــة النقشبنديـــة، شريطـــة أن تتأمل و تنصف، حيث أن هـــذه الطريقـــة لا تشوبهـــا البدعـة قطعا، و نفعهـــا يعم العالم كله.

الله يعلم أننى مخلص للسلسلة الجشتية العالية لدرجة أخشى أن يتهمنى الناس بعدم الإخلاص لطريقتى، و بأنى آكل على مائدة أحد و أشكر غيره، إنه ليس هناك أى مجال للطعن فى الطريقة المجددية، و إن حضرة المجدد قد قام بنفسه بتأويل و تفسير بعض الكلمات التى كان يحتمل أن يعترض عليها، و كذا قام بتفسيرها اصحابه و المخلصون له، لكن الناس طعنوا و قدحوا فيه بقطع النظر عن هذه التـأويلات و التفسيـرات، مع أنهـم كانوا ملـزمين - بموجب الشريعة - بحسن الظن و عدم الطعن. إنك قد كتبت فى رسائلك أمورا سخيفة خرافية، و حيث أنك تنحدر من سلالة الكبار، فلا يليق بك مثل هذا الكلام الذى لا طائل تحته.

لقد مضىٰ عمرى فى الكسل و التقصير، فكيف يمكن تدارك ما فات فى نهاية العمر و شدة الضعف و الهرم؟ أرجو الله أن يغفر ما تقدم من ذنبى و ما تأخر بوسيلـة الشيخ عبد القـادر و الشيخ الخواجـا نقشبند و حضـرة المجدد - رحمهم الله تعالى - و يبدل سيئاتى بالحسنات، و أن يمنحنى رضا لا يعقبه سخط، و شوقا للقائه يلازم القلب و النفس، و أن يأتينى الموت حسبما جاء فى أبيات "ابن يمين" التى معناها: " لا تنظر إلى أن قلب "ابن يمين" أصبح مكلوما، و لكن انظر أنه كيف ودع هذه الدنيا الفانيـــة؟ إنه خرج منهـا و هو يضحك، و القرآن بيديه، و أقدامه على درب الحق، و عيناه تتطلعان إلى المحبوب الحقيقى ".

و يقول فى الرسالة رقم(١٠٢)
و التى كتبها إلى السيد أحمد البغدادى :

صاحب المراتب العالية السيد أحمد البغدادى، سلمه الله تعالى

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

وصلتنى رسالتكم الكريمة المؤرخة ٢٧/ ربيع الثانى فى ١٤/ جمادى الأولى، و رفعت الانتظار. لقد كتبت " أنت ساخط علىّ و لا أدرى ما هو السبب أستغفر الله ربى، لماذا أسخط عليك؟ إن وجود أمثالك مفخرة لأحقر الناس هذا، و أرجو الله أن يكثر أمثالك، فلتبعد مثل هذه الأوهام عن قلبك.

و إذا كانت الآن عراقيل فى طريق القدوم فلا بد أن تمكث هناك، و لك الخيار - إن كان مناخ ذلك المكان لا يتوافق مع طبيعتك - أن تقتطن حيثما شئت، و تكون منيبا إلى الله تعالى دائما، و تقوم بنشر طريقتنا.

لقد كتبتُ مرارا بأن لاتبالغ فى تحرير ألقاب هذا الحقير، و لا تكتب رسائل طويلة، و لا أدرى لماذا لا يُقبل ذلك. يكفى أن تقتصر على القدر الآتى: "السلام عليكم و رحمة الله، نحن مع الخير و العافية بفضل الله تعالى و نتمنى لكم الصحة و السلامة، أنا مشتغل بالتعليم و التربية حسب أمركم، مما ينفع الطالبين و المسترشدين، فالحمدلله"

يجب أن تُعنى بإحداث الحضور و الجمعية و الإنابة فى قلوب الناس، و اعلم أن أهل الحب يظلون خائفين من الأحوال الماضية و متفكرين فى الأيام الآتية، فإن أحدا لا يدرى ماذا يكنّه المستقبل و لا تذكر هذا الفقير لأحد و لا ترغّب الناس فى الرجوع إلىّ. إن مغزى مسيرة السلوك التى قطعتها عبر ٦٠ سنة هو أربعة أشياء " (١) قلب متكسّر (٢) صدر مشوىّ (٣) نفس متشوقة إلى التضحية (٤) عين متطلعة إلى رؤية الحق و من حسن استعدادك و أهليتك أن الناس يفوزون بهذه الأحوال فى صحبتك. إن رؤية الحق سبحانه و تعالى و زيارة النبى صلى الله عليه وسلم من المقامات الطيبة.

لقد كان خطابك الذى أرسلته فى أوائل شهر ربيع الأول وصل فى العشرين من ربيع الأول، و سبق أن بعثت بكتاب جوابىً تضمن نفس هذه الأمور. إنك اشتكيتَ من الفقر و ضيق ذات اليد، فلتكن فى نظرك إشارات الفاقة بفاء الفقر و القناعة بقافه و الرياصة برائه. إننا بأنفسنا اخترنا الفقر و أثرناه، فلماذا هذه الشكوى اليوم؟ يجب أن تسأل الله تعالى وقت السحر و بعد المكتوبات، الثبات و الرضوان و الشوق إلى اللقاء و دوام العافية و قضاء الحاجات، فإن ذلك يكسب القلب الطمأنينة. و لماذا هذا الفزع و التضايق؟ لتكن جلداً مطمئن البال، و أنا لست بغافل عن الدعاء سلّم من قبلى على الأعزة و الأصدقاء و اطلبهم الدعاء لي

- و العمل بالسنة و ترك البدعة و اجتناب إفراط و تفريط الروافض و الخوارج، لكى نفوز بالنجاة فى الدارين.

من الظاهر أن هذين البيتين ليسا من مثنوى الشيخ الرومى، حيث أن الشيخ الرومى كان من أنبغ علماء و أولياء أهل السنة و الجماعة، و لم يكن ممن يفضلون عليا على الشيخين. و لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم أفشى بأسرار الباطن إلى أمير المؤمنين علىّ فحسب دون سائر الصحابة، لكان ذلك خلافا لقول الله تعالى: " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً "

و جملة القول ان النبى صلى الله عليه وسلم لقّن المسلمين كلهم علمَ الظاهر و الباطن، و قد كان على - كرم الله وجهه - بنفسه يقول إن العلوم و الأحكام التى علمنى الرسول صلى الله عليه وسلم إياها هى نفس العلوم و الأحكام التى علمها سائر المسلمين. و لذلك فإن تخصيص العلوم الباطنية بعلى - كما زعم بعض الصوفية - ليس بثابت، و إن الرسول صلى الله عليه وسلم لقن الجميع الفرائض و الواجبات والأخلاق الحسنة و حسن المعاملة و الجهاد الأصغر و الجهاد الأكبر و اتباع سنن الهدى و الإعراض عن الدنيا و الإقبال على الآخرة.

و على ضوء القول المذكور أعلاه لسيدنا علىّ، فإن الصحابة كلهم حصلوا على مرتبة الإحسان و صفاء القلب و نقاء السريرة، إلا أنهم لم تُنقل عنهم كثرة الكرامات لأن ظهور الكرامات و خوارق العادة ليس من أسباب الفضيلة، فقد رويت عن الأولياء كرامات كثيرة لم يُرو مثلها عن الصحابة. إن سبب الفضيلة هو نشر الإسلام و موافقة المسلمين، و ترويج العلوم الدينية، و اجتناب البدع و المحدثات، و قد رويت لعلىّ مناقب لم يُرو مثلها لغيره من الصحابة، لكن الأفضلية إنما هى للشيخين أبى بكر و عمر، لأن الأمور الأربعة المشار إليها أعلاه قد ظهرت و صدرت منهما بكثرة و وفرة.

الرسالة الـ١٠٨ إلى الشيخ غلام مرتضى

تحية مسنونة و بعد:

لقد سعدت بتسلم رسالتكم الكريمة و اطلعت على محتواها. إن الرحلة لا تناسب لكم أبدا فى حالة المرض و ضعف الشيخوخة، و يكفى أن تختلى بنفسك منقطعا عن الخلق، مستغفرا و نادما على الأعمال الماضية خائفا من المستقبل الذى لا يدرى أحد ماذا يكنّه. و لا بأس أن تجهر بذكر " اسم الذات " و " النفى و الإثبات " جهرا متوسطا من أجل الحصول على " الذوق "، مع المداومة على التلاوة و الصلاة على النبى و استدراك ما فات حسب العادة. و من موجبات التقرب إلى الله عمارة الأوقات بدوام التوجه إلى حضرة "الذات" و نفى الوساوس و الرجوع إلى المشائخ الكرام. وفقك الله.

إن هذا العجوز الذى أضاع عمره لا يجد الفرصة للاشتغال بهذه الأعمال لكبر السن و ضعف القوى، بالإضافة إلى أننى مصاب بمرض جعلنى لا أستطيع تلاوة القرآن و أداء الصلاة إلا بصعوبة، و لا أقدر على النهوض و الوضوء و الاستنجاء بدون الاستعانة، و قد أصبح الذهاب إلى المسجد و إلى ضريح شيخى و مرشدى شاقا مثل رحلة طويلة، لذا لا أستطيع زيارة الضريح المبارك، أضف إلى ذلك كثرة ازدحام الناس و قدوم أرباب الحاجة للدعاء، على أننى رغم كل ذلك أتشبه بالصالحين (من تشبّه بقوم فهو منهم)

إن هذه النعم المتكاثرة المتواصلة التى أتمتع بها ليست إلا من فضل المنعم الحقيقى و منّ سيدنا محمد رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، و من مكرمات مرشدى (الشيخ الميرزا مظهر جانجانان) فجزاهم الله عنى خير الجزاء. إن الله تعالى قد أكرم هذا العبد الضعيف و أنقذه من حضيض الذل و المسكنة، و أنا لا أستطيع أن أشكر نعمة واحدة من نعمه و لو نبت على جسمى مائة لسان.

حقا، أنا لا أستطيع ذكر اللطف العميم و المعاملات الجمالية التى خصّنى الله بها ظاهراً و باطناً (وَ إِنْ تَعدّوا نعْمةَ اللّهِ لاَ تحصُوهَا) أما المعاش فأنا أتمتع برخاء و سعادة ربما لم يحظ أجدادى و لو بمعشارها، و أما المعاد فإن هذا الفقير قد أكرم بفيوض و بركات و كرامات ربما لم يكرم بها أحد فى الوقت الحاضر. *سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّة عمَّا يَصفُونَ، وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.*

ثم كتب طريقة المراقبة و أردف قائلا:

و ينبغى المداومة على ما تيسّر من النوافل، و تجنيب اللسان من اللغو و ما لا يعنى من الكلام، و من الغيبة و القدح و كشف العيوب، و استغفر لنفسك و لسائر المسلمين و كذا لمن له عليك حق، أو لمن اغتبته أو سببته أو قدحت فيه، و لتكن دائما نادما على الأعمال السابقة خائفا من الأيام الآتية، و ليعمل نجلك الشيخ فضل على - أيضا - بكتابى هذا. و السلام.

هذا و اقرأ منى السلام على سائر الأعزة و الأصدقاء، و اطلبهم الدعاء لى بالخير، و اعلم أن التقليل من الكلام و اختيار الطريق الوسط فى كل أمر و المواظبة على الذكر، كل ذلك من طريقة أولياء الله تعالى. لقد بلغت من الضعف حداً جعلنى أتعب لأدنى تحرك، و يشتد التنفس فى أثناء الصلاة و أشعر بالألم فى الساق و الفخذ، أى أن أسباب الحياة و قوة الأعضاء قد فارقتنى، و لم يبق من الحياة إلا صورتها بمشيئة الله القادر سبحانه و تعالى. و بودىّ أن أموت موتا يصاحبه غلبة أحوال الحب و شهود الحق، كما جاء فى مقطوعة لابن يمين فحواها: " لا تنظر إلى أن قلب ابن يمين أصبح مكلوما، و لكن انظر إلى أنه كيف ودع الحياة؟ إنه فارقها و هو يبتسم، و القرآن بيديه، و أقدامه على الطريق المستقيم، و عيناه تتطلعان إلى المحبوب الحقيقى.

- و العمل بالسنة و ترك البدعة و اجتناب إفراط و تفريط الروافض و الخوارج، لكي نفوز بالنجاة في الدارين.

من الظاهر أن هذين البيتين ليسا من مثنوي الشيخ الرومي، حيث أن الشيخ الرومي كان من أنبغ علماء و أولياء أهل السنة و الجماعة، و لم يكن ممن يفضلون عليا على الشيخين. و لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم أفشى بأسرار الباطن إلى أمير المؤمنين عليٍّ فحسب دون سائر الصحابة، لكان ذلك خلافا لقول الله تعالى: " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً "

و جملة القول ان النبي صلى الله عليه وسلم لقّن المسلمين كلهم علمَ الظاهر و الباطن، و قد كان علي - كرم الله وجهه - بنفسه يقول إن العلوم و الأحكام التي علمني الرسول صلى الله عليه وسلم إياها هي نفس العلوم و الأحكام التي علمها سائر المسلمين. و لذلك فإن تخصيص العلوم الباطنية بعلي - كما زعم بعض الصوفية - ليس بثابت، و إن الرسول صلى الله عليه وسلم لقن الجميع الفرائض و الواجبات والأخلاق الحسنة و حسن المعاملة و الجهاد الأصغر و الجهاد الأكبر و اتباع سنن الهدى و الإعراض عن الدنيا و الإقبال على الآخرة.

و على ضوء القول المذكور أعلاه لسيدنا عليٍّ، فإن الصحابة كلهم حصلوا على مرتبة الإحسان و صفاء القلب و نقاء السريرة، إلا أنهم لم تُنقل عنهم كثرة الكرامات لأن ظهور الكرامات و خوارق العادة ليس من أسباب الفضيلة، فقد رويت عن الأولياء كرامات كثيرة لم يُرو مثلها عن الصحابة. إن سبب الفضيلة هو نشر الإسلام و موافقة المسلمين، و ترويج العلوم الدينية، و اجتناب البدع و المحدثات، و قد رويت لعليٍّ مناقب لم يُرو مثلها لغيره من الصحابة، لكن الأفضلية إنما هي للشيخين أبي بكر و عمر، لأن الأمور الأربعة المشار إليها أعلاه قد ظهرت و صدرت منهما بكثرة و وفرة.

الرسالة الـ ١٠٨ إلى الشيخ غلام مرتضى

تحية مسنونة و بعد:

لقد سعدت بتسلم رسالتكم الكريمة و اطلعت على محتواها. إن الرحلة لا تناسب لكم أبدا في حالة المرض و ضعف الشيخوخة، و يكفي أن تختلي بنفسك منقطعا عن الخلق، مستغفرا و نادما على الأعمال الماضية خائفا من المستقبل الذي لا يدري أحد ماذا يكنّه. و لا بأس أن تجهر بذكر " اسم الذات " و " النفي و الإثبات " جهرا متوسطا من أجل الحصول على " الذوق "، مع المداومة على التلاوة و الصلاة على النبي و استدراك ما فات حسب العادة، و من موجبات التقرب إلى الله عمارة الأوقات بدوام التوجه إلى حضرة "الذات" و نفي الوساوس و الرجوع إلى المشائخ الكرام. وفقك الله.

إن هذا العجوز الذي أضاع عمره لا يجد الفرصة للاشتغال بهذه الأعمال لكبر السن و ضعف القوى، بالإضافة إلى أنني مصاب بمرض جعلني لا أستطيع تلاوة القرآن و أداء الصلاة إلا بصعوبة، و لا أقدر على النهوض و الوضوء و الاستنجاء بدون الاستعانة، و قد أصبح الذهاب إلى المسجد و إلى ضريح شيخي و مرشدي شاقا مثل رحلة طويلة، لذا لا أستطيع زيارة الضريح المبارك، أضف إلى ذلك كثرة ازدحام الناس و قدوم أرباب الحاجة للدعاء، على أنني رغم كل ذلك أتشبه بالصالحين (من تشبّه بقوم فهو منهم)

إن هذه النعم المتكاثرة المتواصلة التي أتمتع بها ليست إلا من فضل المنعم الحقيقي و من سيدنا محمد رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، و من مكرمات مرشدي (الشيخ الميرزا مظهر جانجانان) فجزاهم الله عني خير الجزاء. إن الله تعالى قد أكرم هذا العبد الضعيف و أنقذه من حضيض الذل و المسكنة، و أنا لا أستطيع أن أشكر نعمة واحدة من نعمه و لو نبت على جسمي مائة لسان.

حقا، أنا لا أستطيع ذكر اللطف العميم و المعاملات الجمالية التي خصّني الله بها ظاهراً و باطناً (وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحصُوهَا) أما المعاش فأنا أتمتع برخاء و سعادة ربما لم يحظ أجدادي و لو بمعشارها، و أما المعاد فإن هذا الفقير قد أكرم بفيوض و بركات و كرامات ربما لم يكرم بها أحد في الوقت الحاضر. *سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَ سَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِينَ، وَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.*

ثم كتب طريقة المراقبة و أردف قائلا:

و ينبغي المداومة على ما تيسّر من النوافل، و تجنيب اللسان من اللغو و ما لا يعني من الكلام، و من الغيبة و القدح و كشف العيوب، و استغفر لنفسك و لسائر المسلمين و كذا لمن له عليك حق، أو لمن اغتبته أو سببته أو قدحت فيه، و لتكن دائما نادما على الأعمال السابقة خائفا من الأيام الآتية، و ليعمل نجلك الشيخ فضل علي - أيضا - بكتابي هذا. و السلام.

هذا و اقرأ مني السلام على سائر الأعزة و الأصدقاء، و اطلبهم الدعاء لي بالخير، و اعلم أن التقليل من الكلام و اختيار الطريق الوسط في كل أمر و المواظبة على الذكر، كل ذلك من طريقة أولياء الله تعالى. لقد بلغت من الضعف حداً جعلني أتعب لأدنى تحرك، و يشتد التنفس في أثناء الصلاة و أشعر بالألم في الساق و الفخذ، أي أن أسباب الحياة و قوة الأعضاء قد فارقتني، و لم يبق من الحياة إلا صورتها بمشيئة الله القادر سبحانه و تعالى. و بودي أن أموت موتا يصاحبه غلبة أحوال الحب و شهود الحق، كما جاء في مقطوعة لابن يمين فحواها: " لا تنظر إلى أن قلب ابن يمين أصبح مكلوما، و لكن انظر إلى أنه كيف ودع الحياة؟ إنه فارقها و هو يبتسم، و القرآن بيديه، و أقدامه على الطريق المستقيم، و عيناه تتطلعان إلى المحبوب الحقيقي.

– و العمل بالسنة و ترك البدعة و اجتناب إفــراط و تفريـــط الـــروافــض و الخوارج، لكى نفوز بالنجاة فى الدارين.

من الظاهر أن هذين البيتين ليسا من مثنوى الشيخ الرومى، حيث أن الشيخ الرومى كان من أنبغ علماء و أولياء أهل السنة و الجماعة، و لم يكن ممن يفضلون عليا على الشيخين. و لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم أفشى بأسرار الباطن إلى أمير المؤمنين علىّ فحسب دون سائر الصحابة، لكان ذلك خلافا لقول الله تعالى : " إنّا أرسَلْنَاكَ للنّاسِ كَافَةً "

و جملة القول ان النبى صلى الله عليه وسلم لقّن المسلمين كلهم علمَ الظاهر و الباطن، و قد كان على – كرم الله وجهه – بنفسه يقــول إن العلــوم و الأحكام التى علمنى الرسول صلى الله عليه وسلم إياها هــى نفس العلــوم و الأحكام التى علمها سائر المسلمين. و لذلك فإن تخصيص العلوم الباطنية بعلى – كما زعم بعض الصوفية – ليس بثابت، و إن الرسول صلى الله عليه وسلم لقن الجميع الفرائض و الواجبات والأخلاق الحسنــة و حسن المعــاملــة و الجهاد الأصغر و الجهاد الأكبر و اتباع سنن الهدى و الإعــراض عــن الدنيــا و الإقبال على الآخرة.

و على ضوء القول المذكور أعلاه لسيدنا علىّ ، فإن الصحابة كلهم حصلوا على مرتبة الإحسان و صفاء القلب و نقاء السريرة، إلا أنهم لم تُنقل عنهم كثرة الكرامات لأن ظهور الكرامات و خوارق العادة ليس من أسباب الفضيلة، فقد رويت عن الأولياء كرامات كثيرة لم يُرو مثلها عن الصحابة. إن سبب الفضيلة هو نشر الإسلام و موافقة المسلمين، و ترويج العلوم الدينية، و اجتناب البــدع و المحدثات، و قد رويت لعلىّ مناقب لم يُرو مثلها لغيره من الصحابة، لكن الأفضلية إنما هى للشيخين أبى بكر و عمر، لأن الأمور الأربعة المشار إليها أعلاه قد ظهرت و صدرت منهما بكثرة و وفرة.

الرسالة الـ١٠٨ إلى الشيخ غلام مرتضى

تحية مسنونة و بعد:

لقد سعدت بتسلم رسالتكم الكريمة و اطلعت على محتواها. إن الرحلــة لا تناسب لكم أبدا فى حالة المرض و ضعف الشيخوخة، و يكفى أن تختلى بنفسك منقطعا عن الخلق، مستغفرا و نادما على الأعمال الماضية خائفا من المستقبل الذى لا يدرى أحد ماذا يكنّه. و لا بأس أن تجهـر بذكر " اســم الذات " و " النفــى و الإثبات " جهرا متوسطا من أجل الحصول على " الذوق "، مع المداومة على التلاوة و الصلاة على النبــى و استدراك ما فــات حسب العــادة. و من موجبات التقرب إلى الله عمارة الأوقات بدوام التوجه إلى حضرة "الذات" و نفى الوساوس و الرجوع إلى المشائخ الكرام. وفقك الله.

الرسالة الـ١٠٩ إلى أهالي الروم

- إشادة بالشيخ خالد الرومي -

إلى العلماء و الفضلاء و الحفاظ و الأمراء و الحكام في بلاد الروم.

الحمدلله و الصلاة على رسول الله و بعد: فإن مجمع الفضائل الظاهرية و الباطنية الشيخ خالد - سلمه الله تعالى - قد حضر لدى هذا الفقير في "دهلي" بإيعاز من الغيب، و بايع على يديّ في السلسلة النقشبندية و اشتغل بالأذكار و الوظائف و المراقبات. و كان من فضل الله أنه حصل - بواسطة المشائخ الكرام - على الحضور و الجمعية و العواطف و الواردات و الكيفيات و الحالات و الأنوار، و توفرت له الصلة القلبية بالسلسلة النقشبندية. و نظرا لكل ذلك فإننا قد منحناه الإجازة و الخلافة لكي يقوم بتعليم و إرشاد الطالبين. و هوالآن قد عكف - بعد وصوله إلى وطنه - على الرياضة القلبية و مراقبة النسبة الباطنية، و لاقى قبولا و إقبالا واسعين، و قام - بفضل العناية الروحية من حضرة الخواجا نقشبند رحمه الله - بنشر الطريقة النقشبندية في تلك المنطقة، فالحمدلله.

ألا إن يده يدي، و رفضه أو معاداته رفض و معاداة لي، و المقبول لديه مقبول لدى شيوخي الكبار: الخواجا نقشبند، و الخواجا أحرار، و الخواجا محمد باقي، و الشيخ المجدد رحمهم الله تعالى أجمعين. إن إكرامه و إجلاله واجب على مسلمي تلكم البلاد، و أنا ملزم بالدعاء لهؤلاء المسلمين بالحفظ و طول الحياة (خير الناس من ينفع الناس) عليكم أن تغتنموا وجود الشيخ خالد و تروا من اللازم حبه و الإخلاص له و مراعاة آدابه.

إن الإسلام يحتوى على عدة أمور هامة و هي التوحيد و الإيمان و العمل الصالح و الإحسان و التصديق، و إن مرتبة الإحسان هي روح الدين المتين، و هذه المرتبة تحصل في صحبة الشيخ خالد بحمد الله تعالى. لقد كان الصحابة الكرام ينتقل إليهم فيض من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، يضفي عليهم السكينة و الطمأنينة، و فيض الرسول هذا قد نزل على قلوب الأولياء فيمابعد.

لقد كان الشيخ المجدد (أحمد السرهندي) يمتاز بين أصحاب الخواجا محمد باقي، و كان السيد آدم البنوري يمتاز بين أصحاب الشيخ المجدد؛ و الشيخ خالد يمتاز بين أصحاب هذا الفقير، فلتدفعوا عنه أذى الحسّاد و عداءهم. و كفى الله ناصرا و معينا.

و بالنسبة للاعتراضات فإن الشيخ المجدد قد رد عليها بنفسه، و كذا ردّ عليها عدد من أصحابه المخلصين. و هناك مجال للتأويل في كلام الأولياء. و كلام سائر الأولياء بمن فيهم الشيخ المجدد مشروع لا يحتمل الانتقاد و الاعتراض، لذا ينبغي منع الناقدين من إساءة الأدب، لأن منكر الأولياء في محل الأخطار.

الرسالة الـ١١٨ إلى شاه رؤف أحمد الرامبورى

صاحب المراتب و المناقب العالية الأخ رؤف أحمد
السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أنا أتمتع بالعافية و السلامة بفضل الله تعالى لحد هذا اليوم - اليوم الخامس عشر من شهر شوال (٦) لكن ضعف الشيخوخة و ضعف القلب مستوليان عليّ. إنك لم تكتب رسالة منذ مدة، فأرجوك أن تواظب على كتابة الرسائل المتضمنة أحوال باطنك و أحوال مسترشديك. و لتكن مكبا على وظيفتك متطلعا إلى رحمة الله الواسعة و متوسلا بأرواح المشائخ الكبار رحمهم الله، و لا تترك المخاوف تتطرق إلى قلبك. و يلزم أن تصلى ركعتين و تتضرع إلى الله لدى كلّ أمر، و اعلم أنه ليست هناك نعمة أكبر من تحلى الظاهر و الباطن بأعمال السنة و تجرد القلب مما سوى الله. وهبنا الله و إياكم هذه النعمة: قُلِ اللّه ثُمَّ ذَرْهُم. حسبنا الله و نعم الوكيل.

و أرسل إليّ كل ما توفر من كتب المقررات الدراسية (الهداية و النهاية، و التوضيح و التلويح، و مُسلّم الثبوت، و شرح الوقاية، و كنز الدقائق، و تفسير البيضاوى، و مدارك التنزيل، و تفسير الجلالين، و رسائل مجدد الألف الثانى، و عوارف المعارف، و التعرف، و رسالة القشيرى) و اطلبنى ثمنها. و إذا كانت رسالة "الحد الفاصل" موجودة فى مكتبة الشيخ سراج أحمد (٧) فأرسلها أيضا.

الرسالة الـ١١٩ إلى شاه رؤف أحمد الرامبورى

من الفقير عبدالله المعروف بـ "غلام على" إلى صاحب المراتب العالية الأخ رؤوف أحمد.

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

تسلمت اليوم - ١٦/شوال (٨) رسالتك الكريمة بواسطة السيدعباد الله و اطلعت على أحوالك. لقد نهيتك مرارا عن المبالغة فى تحرير الألقاب. وفقنا الله لما يرضاه هو و حبيبه صلى الله عليه وسلم. إن ما كتبته من كلمات فيما يتعلق بتقصيرك لهو يوحى بمرحلة " الفناء ".

قال الخواجا باقى بالله: إن للطيران فى فضاء عالم القدس جناحين، أحدهما الإكثار من الأعمال الصالحة، و الثانى النظر إلى تقصيرات النفس. أدعو الله أن يسعدنا بالطيران بهذين الجناحين و الفناء فى مشاهدة الوجود المطلق، و يوفقنا للانقطاع عن جميع العلائق و الانتماءات.

و الأفضل أن تقيم هناك إذا اجتمع الطالبون، و لكن إذا كانت الرحلة

سهلة، و الشهادة القلبية هادية، فسيسرنى أن يتهيأ لى لقاؤك. إن مركز الأحزان هذا (يريد زاوية دهلى) يتلهف إلى قدومك الميمون كل ساعة، و ستكون نعمة كبيرة أن نقضى بعض الأيام معاً فى عالم الفناء و الاستغراق. و السلام.

الرسالة الـ ١٢٠ إلى شاه رؤف أحمد الرامبورى

تحيه و احتراما و بعد.

فإنى مع الخير حتى اليوم - ٦/ ربيع الأول (٩) و لكن يغلبنى ضعف الشيخوخة و ضعف القلب و تؤلمنى الحكّة. ختم اللّه حياتى بالخير. انصرنى بالدعاء و ثواب الكلمة الطيبة - وادْعُ لمركز الأحزان هذا (أى الزاوية) بأن يظل موئلا لسالكى هذه الطريقة و علماء التفسير و الحديث و الفقه و التصوف (١٠)

إن طريقتنا هذه تتطلب الأمور التالية

يد متكسّرة، و رجل متكسّرة، و لسان مقطوع، و دين صحيح، و إيمان صادق، و قلب غنى عما سوى اللّه، و أن يكون الطالب تواقا إلى تحقق الأمنية شاخصا بصره إلى الحبيب و محرقا كبده بآهات الشوق، و أن يعتاد الرضاء بالقضاء و يعتبر سجدة الحب خلاصة الحياة (رَبِّ إنّى مَسَّنِىِ الضرُّ وَ أنْتَ أرْحَمُ الرّاحمِيْن) أدعو اللّه أن يبلغ هذا الحقير إلى تلك الغاية القصوى للعارفين، و لاغرو أن يكرم اللّه أحدا من دون سعىٍ منه لسبب من الأسباب

إن الشيخ أبو سعيد و نجله (شاه أحمد سعيد) و أنت من أصحابى الكبار. حفظكم اللّه جميعا و رعاكم. لقد تسلمت أمس رسالتك التى كتبتها منذ عدة أيام و سررت بالاطلاع على صحتك و حسن أحوالك. أسبغ اللّه عليك العافية و السلامة و وفقك لما يحبه و يرضاه.

وصلتنى اليوم (٦/ربيع الأول) رسالتك التى كتبتها فى ايام مرض و شوقتنى محتوياتها إلى اللقاء و الدعاء، و أرجو أن تكون قد شعرت بتأثير ذلك. أما الأحوال التى ذكرتها فادعوا اللّه أن يجعلها أحوالا دائمة لك و لهذا العجوز الذى أضاع عمره، و أن تظل تنتشر هذه الطريقة الشريفة مع العافية و السلامة و الاستقامة. إننى بحاجة إلى شرح الوقاية و الهداية و التلويح و التوضيح و المقررات الدراسية الأخرى و كذا إلى كتب الحديث الشريف و مقامات الحريرى و تفسير للقرآن الكريم بالإضافة إلى التفسير الذى ألفته أنت، و سوف أطلب كل هذه الكتب إن شاء اللّه. و اقرأ منى السلام على الشيوخ و الأعزة و الأصدقاء.

الرسالة الـ ١٢٣ إلى شاه رؤف أحمد:

إلى النجل العريق فى المجد السيد رؤوف أحمد

بعد التحية المسنونة، نحن مع الخير و الحمدلله، و لكن الضعف قد استولى عليّ. جعل الله عاقبتى محمودة، أرجوك أن تنصرنى بالدعاء و تلاوة القرأن و التهليل. لقد أصبتُ بالحكة منذ أيام، و ذلك من جزاء الأعمال. إن هذه المدينة (دهلى) تنتشر فيها الحمى و الحكة هذه الأيام، و ربما لـم يبق أحـد إلاّ و قد أصيب بهما، إلا أن هذه الحمى قلما تؤدى إلى الموت.

إن المولوى بشارة الله قد غادر إلى وطنه على طلب من أبيه، و قد كان ينبغى له أن لا يتركنى فى هذا الوقت، و حسبى رحمة الله الواسعة السابغة فى هذا الضعف البالغ أقصاه و هذه الأيام القريبة من الموت.

تلقيت خطابك الأخير بعد مدة طويلة، و لا أدرى لماذا حصل هذا التأجيل فى تحرير الرسالة. إنك ذكرت إصابتك بالمرض، فأدعوالله أن يشفيك. لقد دعوت لك بالصحة بكل خشوع و تضرع، و أرجو أن المرض يكون قد خفت و طأته بإذن الله تعالى عافاكم الله و سلمكم.

و إنك لم تكتب أحوال باطنك و أحوال من يأتى إليك للاستفادة، فلتكتبها دائما و اعلم أن الحافظ أبو سعيد و نجله مقيمان فى مدينة لكناؤ، و الناس يستفيدون منهما هناك. اللهم زد فزد.

الرسالة الـ ١٢٥ إلى شاه أبو سعيد المجددى

(و قد كتب هذه الرسالة فى مرض الموت)

إلى النجل العريق فى النسب الشيخ شاه أبو سعيد

تحية مسنونة و بعد

فإنى أحيطك علما بأننى قـد بعثت إليك رسائل عديـدة لاستقدامـك، و لا أدرى ما إذا كانت تلك الرسائل تصل إليك أم تضيع فى الطريق. إن حالة الفقير متردية للغاية، و المرض اشتد كثيرا، و عدتُ لا أقوى على القعود، و يبدو أن الهاتف قد آذن بالرحيل. إن قلبى لا يتمنى شيئا سوى لقائك، بل يلهمنى الله من الغيب أن أستدعيك من " لكناؤ " إلى دهلى، كما أن روحانية حضرة المجدد تقتضى ذلك أيضا، و قد رأيت (فى المنام) أنى أخذتك فى حضنى و أفوض إليك ذلك المنصب الذى ستعود آثاره إليك عما قريب، فهنيئا لك الزاوية. تعال سريعا و تبوأ مقعدى هذا متكلا على الله، و سوف لا أقصّر فى صرف العناية الروحية إليك إن تقبلنى الله تعالى بواسطة المشائخ الكبار.

أنفق ما وصلك من الغيب من أموال على نفسك و من لديك، و وزع ما بقى على الفقراء. إن جميع المقيمين فى الزاوية و معظم سكان دهلى - مثل

أحمد يار، و ابراهيم بيغ، و مير خُرد، و المولوي عظيم، و المولوي شير محمد - يحبونك، بل إن أهالي المدينة كلهم يؤكدون مرة بعد أخرى أن الأخ أبوسعيد حريّ بأن يتولى أمر الزاوية، كما أن الشيخ شاه عبد العزيز و كثيرا من أعيان المدينة اقترحوا استدعاءك بالنظر إلى حســن خلقك و تواضعك و حلمك و محاسنك الأخرى، فلتتوجه إلى دهلي على كل حال، و اركب المحفة أو العربــة، و سوف يدفع أهل الزاوية أجرة السفر. إن أهل الزاوية قد أجمعوا على استحضارك، كما أنني أيضاً قد أُلهمتُ بأنك وحدك تتأهل لهذا الأمر، فاقصد دهلي وحيدا، و لاحاجة إلى استصحاب أحد. أقم هنا و انشر الطريقة الشريفة، و فوض أمر المعاش إلى الله (حسبنا الله و نعم الوكيل) فإن الوعد الإلهي جدّ كاف لحصول الرزق. تعال سريعا تاركا كل الأعمال، فإن حياتنا قد أوشكت على النهاية. تعال لكي تشهد أنفاسنا الباقية و تتمتع بها.

إن الناس يؤكدون عليّ بأن أعين أحدا من هذين الرجلين (أي أبو سعيد و أحمد سعيد) لذا فقد كتبت ورقة الوصية و ختمتها بخاتمي على مشهد من الأنجال الثلاثة (١١) و الأعزة الآخرين، و ذكرت فيها أنك أولى و أجدر بهذا الأمر، و لا أزال أؤثرك على الآخرين. فلتأت إلينا فور وصول هذا الكتاب تاركا كل شيء، و اترك عزيزي أحمد سعيد في لكناؤ، و اعلم أن قبري سيكون في فناء الزاوية، و الآثار ستوضع عند المئذنة. إنك ستسكن في داخل الــزاويــة، و ستكون المصاريف كلها حسبما ترضاه، فأنفق كما رأيته مناسبا، و اقض الحياة بالحلم و الأناة، و ادع لي بحسن الخاتمة و رؤية الله تعالى و اتباع حبيبه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. و السلام

و للبحث صلة ......

تعريب: أسعد الأعظمي

الهوامش :

١ - كان من سكان مدينة "شاهجهانبور". حضر لدى عدد من الشيوخ و لكن لم ينل بغيته، و في نهاية الأمر حضر لدى الشيخ شــاه غــلام على المجددي و قطع منازل السلوك و أكرم بالخلافة كان يعيش منقطعا عن أهل الدنيا لا يلقى إليهم بالا، و كان أمير " فرخ أباد " يحبه و يكرمه كثيرا و يحضر لديه من وقت لآخر، لكنه لم يكن يلتفت إليه أيضا و سلسلته رائجة في مدينتي فرخ أباد و شاهجهانبــور (ضميمه مقامات مظهــرى للشيــخ عبدالغني بن أبي سعيد)

٢ - المراد بالجهاد الأكبر في مصطلح الصوفية هو الرياضة الباطنية و تزكية النفس، و بالجهاد الأصغر الجهاد المعروف أي قتال الكفار

٣ - ولد في دهلي و أخذ العلم عن الشيخ شاه عبد القادر و الشيخ شاه رفيع الدين و الشيخ شاه

لقد أكد الشيوخ أن قلوب العارفين قد تصدر عنها معان لا تساعدها الكلمات و العبارات، فالاقتناع بها هو الأفضل. إن مئات الآلاف من المسلمين قد بلغوا مرتبة " ذكر القلب " و " ذكر اللطائف " بفضل عناية الشيخ خالد، و تركوا البدعة و قطع الطريق، و عادوا رجالا صالحين، كما فاز الآلاف بمرتبة " الحضور و العواطف "، فمن أين جاءت هذه السعادة يا أخي؟ إن الله تعالى قد أكرم الشيخ خالد بهذه الفضائل بواسطة شيوخ السلسلة النقشبندية، و نحن نرجو منه الدعاء لنفسنا.

الرسالة الـ ١١٠ إلى الشيخ خالد الرومي :

جامع الفضائل الظاهرية و الباطنية و مجمع الفيوض الإلهية الشيخ خالد ... سلمه الله تعالى.

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

إنه هذا الفقير يتمتع - بحمدالله - بالخير و العافية لحد هذا اليوم (اليوم الثانى و العشرين من ذى الحجة سنة ١٢٣٧هـ) و يعمر أوقاته بتعليم الطريقة حسبما أمر به المشائخ الكرام. تلقيت رسالتك الكريمة و سررت بالإطلاع على أحوالك. إن ما يتمّ على يديك من نشر الطريقة و ما يناله الطالبون بواسطتك من فائدة روحية لهو يستوجب شكر المنعم الحقيقى و الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم و الثناء على المشائخ ألف ألف مرة، كما يجب أداء الشكر على ظهور رجل مقبول عند الله مثلك.

إن غاية أمانى العارفين هى مرتبة الإحسان و الحضور و الشهود و المشاهدة، و خلو القلب من الوساوس و الأهواء، و إنابته إلى الله سبحانه و تعالى إنابة تامة دائمة؛ و قد ظهر هذا الأمر - و الحمدلله - فى تلك البلاد بواسطتك و أصبح الناس يحافظون على اتباع الشريعة. كتب الله لهذه النسبة الشريفة المزيد من الرقى و الازدهار. و الواجب على مسترشديك - الذين هم من مسترشدىّ فى الواقع - و على جميع المحبين و المخلصين إرضاء خاطرك و اتباعك فى كل أمر، إذ أن الأمر لا يزداد سوءا و ابقى الإخلاص للمرشد و لو كان هناك بعض التقصير فى الأعمال. أتمنى أن أفارق هذه الدنيا بعين دامعة و قلب يحترق هوى و حبا.

إن كل فيض ورد على الأمة إنما هو فيض رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، لكن مواقع ظهوره تختلف بخصائصها و ميزاتها، كما أن نور الشمس يلمع فى الزجاجات حسب ألوانها المختلفة. و تظهر أسرار التوحيد الوجودى عند قطع مرحلة "لطيفة القلب "، و ذلك يحصل عن طريق الذكر و المراقبة و العبادة و الخلوة. و قد بيّن الشيخ المجدد نوعا آخر للتوحيد (و هو التوحيد

الشهودى) و قال إن مذهب الأنبياء عليهم السلام هو أن الحق حق و العبد عبـد. و أكرر تأكيـدى لجميـع أصحابـك و مسترشديك بأن يظلوا تابعين لرضـاك، و لا يخالفك أحد أى مخالفة. و السلام.

الرسالة الـ١١٢ فى الرد على القادحين فى الشيخ المجدد:

و به نستعين. قال اللّه تعالى " و كان حقا علينا نصر المؤمنين ".

لقد تلقى الإمام الربانى الشيخ أحمد السرهندى المعروف بمجدد الألف الثانى - بعد حفظ القرآن و تحصيل العلوم المتداولة - الطريقـة الجشتيـة و القادرية و السهروردية على والده الكريم الذى كان من خلفاء سلسلة الشيخ عبد القدوس الجنجوهى، و أخذ الطريقة الكبروية عن الشيخ يعقوب الكشميرى، و الطريقة النقشبندية عن شيخ المشائخ الخواجا محمد باقى أحرارى. و كان من فضل اللّه ثمّ من فضل عناية مرشده الخواجا باقى باللّه أنه أكرم بطريقة جديدة؛ و هذه الطريقة تتضمن *"اللطائف العشر"* بالإضافة إلى أمور أخرى، و كل " لطيفة " تحمل كيفية منفردة من العلم و المعرفة؛ و قد شهد العلماء و العقلاء بصحة هذه الطريقة و تأثيرها.

إن طريقة الشيخ المجدد عبارة عن التوجه بالقلب، و النسبة الباطنيـة، و التوجه إلى الحق سبحانه (و تلك هى مرتبة الإحسان) و ترك البـدعـة، و اتباع السنة، و الإخلاص للأولياء. و أما اعتراضات الناس على كلام الشيخ المجدد و التى هى صادرة عن عدم التفكير و الروية فقـد دحضهـا المخلصـون و أوضحوا أن لا مجال هناك للاعتراض على كلامه؛ و إذن، فليس من الإسلام بشىء تكفير الشيخ المجدد و المجدديين لأجل هذه الطريقة الـى هى طريقة الصحابة الكرام؛ و قد جاء فى الحديث الشريف أن من كفر مسلما ،رتدّ الكفر على نفسه. و إذا كانت عقيدة أهل السنة و اتباع السنـة و ترك البـدعـة و الإخلاص للمشائخ الكرام كفرا فما هو الإسلام يا ترىٰ ؟

ليعلم أن المشائخ العظام كانوا محافظين على عقيدة أهل السنة و الجماعة و متقيدين بترك البدعة، و ليس من طريقة المشائخ إقامـة مواكـب الجنـازة و حفلات التأبين للإمام الحسين - كما هو دأب الشيعة - و رسم أثر مزيف لقدمى الرسول على الحجارة ثم دعوة الخلق إلى تقديسه، و مشاهدة رقصات النساء، و حلق اللحية، و إضاعة الصلاة بترك تعديل الأركان، و الاشتغال باللهو و اللعب و الآلات الموسيقية، و إقامة مباراة الحمام و الديوك. و إن استحلال هذه الأمور كفر أو فسق على الأقل. وا عجباً لهؤلاء المسلمين الذين يعتبرون طريقة الصحابة كفرا، و يشتغلون بأنفسهم بالمنكرات المذكورة.

إن التأثير و الكشف و خوارق العادة قد تصدر عن الكفار أيضا بسبب

حرارة القلب، و الصراط المستقيم هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا و باطنا، و ذلك هو الإسلام الصحيح، و لهذا الغرض أنزل القرآن الكريم. وفق الله هذا الفقير المسكين و سائر المسلمين للعمل بكل ذلك و جعلنا من المخلصين و المحبين.

الرسالة الـ١١٣ إلى السيد أحمد البغدادى

صاحب السيادة و المروءة السيد أحمد سلمه الله تعالى

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

تلقيت رسائلك بيد الفرح و السرور، فجزاك الله خير الجزاء. لقد أطلعنى هذه الرسائل على محاسنك و مكارمك الخلقية، و الحق أن تواجد أمثالك من الأعزة - مثل الشيخ خالد، و السيد اسماعيل، و الشيخ شاه أبو سعيد، و نجله أحمد سعيد، و الأخ رؤف أحمد، و المولوى بشارة الله، و المولوى كرم الله (٣)، و من إليهم، سلمهم الله و جعلهم للمتقين إماما - و انضمامهم إلى هذه الطريقة و انتماؤهم إلى هذا الفقير يعتبر من النعم الإلهية التى تفوق الشكر و البيان. و أرجو أنك ستسعدنى بكتابة أحوالك القلبية و أحوال مسترشديك (من الحضور و دوام الإنابة و العواطف و الواردات المتواترة).

أدعو الله أن يوفقنا نحن المتحلين بالفقر المحمدى بفضله، للشكر و القناعة و الرضاء بالقضاء دائما. رضيت بالله ربًا و بمحمّد نبياً. اللهم ارزقنا حبك و حب حبيبك و رضاءه و شفاعته.

نحن الضعفاء لا نقوى على احتمال الفقر و المحن، و نعوذ بالله من العسر و ضيق الدنيا و ضيق الآخرة، و نسأله دوام العفو و العافية فى الدارين و التوفيق للشكر و الرضاء.

الرسالة الـ١١٤ إلى الحاج عبدالله البخارى:

بعد الحمد و الصلاة. إن بعض الزهاد فى هذه المدينة (دهلى) يتلون الأسماء و يعملون التمائم لتسخير الخلق، و يفضلون سيدنا علياً على الخلفاء الثلاثة، و يصنعون صوراً لأضرحة الإمام الحسين و أهل البيت من الورق و القصب (فى شهر محرم الحرام) و يستمعون إلى المراثى و يأمرون بذلك، كما يستمعون إلى المعازف و القيثارات، و يتخذون من البدع و مجالسة الفساق عادة و حرفة لهم، و يتركون الجمعة و الجماعة و التعديل فى أركان الصلاة. إن هذه الأمور لم تكن توجد فى المتقدمين من الصوفية، و إن علماء أهل السنة و الجماعة قد اجتنبوا مثل هذه البدع، و حاشا لله أن يتلوث الصحابة

الكرام بهذه المنكرات. فليبتعد عن خونة الدين هؤلاء كل مـــن يحـب الحيـــاة و الموت على دين الإسلام.

و اعلم أن الذكر و الرياضة و حبس الأنفـــاس قـــد يورث الحـــرارة و الاضطراب اللذين يتمخضان عن " الكشف "، و لكن الكشف لا عبرة له، حيث أنه قد يحصل للنساك الهنادك أيضا. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

إن الدين و الدنيا لا يجتمعان، و ليس من المعقول إضاعة الدين من أجل الدنيا؛ و إن مشائخ "بخارى" يتبنون التوكل و التفويض و يحترزون من الأمور التى تسبب إقبال الخلق عليهم و تشغل القلب. إنهم التزموا إلى جانب عقيدة السلف الصالح، العمل بالسنة و ترك البدعة، و ابتعدوا عن الكيفيات التى تحصل عن طريق الحرام و المكروهات، فإن ما حصل بالحرام حرام أيضـا. و طريقتهم تتضمن الذكر الخفى، و المحافظة على مرتبة الإحسان، و المداومة على التوجه إلى المبدأ الفياض، و تحلية الباطن بأعمال السنة و العزيمة مع الحضور و المشاهدة و تجريد القلب عن كل ما سوى الله. اللهم ارزقنا هذه المرتبة بوسيلة حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم و بواسطة المشائخ الكرام : و للأرض من كأس الكرام نصيب.

الرسالة الـ١١٥ إلى شاه رؤف أحمد الرامپورى

تحية مسنونة و بعد.

فإنى مع الخير و العافية – و الحمدلله – حتى اليوم الثانى و العشرين من ذى الحجة (٤)، لكن الضعف البالغ أقصاه يغلبنى. أرجوك الدعاء لى بأن تكون خاتمة حياتى بالخير و الإيمان. تلقيت رسالتك بعد انتظار شديد و سررت بالاطلاع على أنباء الخير، و ابتهج قلبى لما كتبتـــه من إقبال الطالبين عليـك و تأثيرك فيهم، فالحمدلله على ذلك. اللهم زد فزد.

و الأفضل أن تقيم هناك (٥) إذا كانت الطريقة تنتشر و كان عدد الطالبين كثيرا. و الاستخارة لازمة فى كل أمر. إن الأخ بشارة الله جيو لم يأت حتى الآن، و لكن يرجى أن يتفضل. و قد وردت رسالة من المولوى محى الدين قصورى كتب فيهـــا أن كثيرا مـــن الناس يأتون إليه لتلقـــى الطـــريقـــة و يستفيدون، الأمر الذى أثلج صدرى. و قد كتبتُ إليه أن يتريث فى القدوم إلى دهلى، فإن اللقاء الروحى حاصل، و عنايتى منصرفة إليه. هذا و قد نال الأخ غُل محمّد قبولا و سمعة طيبـــة فى كابول أدعو الله أن يمنحنى القبـــول و الزلفى بواسطتكم أنتم المقربين لديه. اذكرنى فى دعواتك، و تقبل التحية من الشيخ جليل الرحمن. و السلام

تابعهم بعد كانوا يرون أن زمن غزوة خيبر هو نهاية سنة ٦. أو بداية سنة ٧.، و بكلمة أخرى إن هذه الغزوة كانت ابتدأت فى ذى الحجة سنة ٦. أو المحرم سنة ٧.. و خلاف ذلك قد صرح الواقدى و ابن سعد أن هذه الغزوة كانت فى جمادى الأولى سنة ٧. (٦) أعنى فى منتصف سنة ٧. تقريباً ، و هذا يتكشف عن أنه كانت توجد وثيقتان بدائيتان بخصوص هذه الغزوة أيضا. كانت الأولى مأخذ الإمام مالك و ابن اسحاق و الأخرى مأخذ الواقدى.

فلدى الواقدى وقعت غزوة خيبر بعد ستة أشهر تقريبا من صلح الحديبية الذى يبدو صحيحا من الوجهة التاريخية، و خلاف ذلك يرى ابن اسحاق أن هذه الغزوة كانت بعد شهر أو شهر و النصف من الحديبية، و ليس سببه سوى أنه كان وصل إليه تاريخ هده الغزوة المحرم ٧.،و الحديبية كانت فى ذى القعدة، فبناء منه ما كان له إلا أن يستنتج هذا بالضبط، مع أنه لا فارق و لا تباين بين روايتى الواقدى و ابن اسحاق (أعنى بين المحرم و جمادى) من وجهة نظر التقويمين الإثنين.

إنه يعلم بالنظر فى جدول التقويم أن ذا الحجة المكى و جمادى الأولى المدنية كانا يسايران معاً فى سنة ٦.، و استهل كلاهما فى ٦ من سبتمبر عام ٦٢٨م، فبناء منه إن وثائق هذين الإمامين للسيرة تشير إلى زمن موحد، بل إن تصريح الواقدى لا يؤيد ابن اسحاق مثلما يؤيد رؤية الإمام مالك بأن هذه الغزوة وقعت فى نهاية سنة ٦.

قد سبق أن قلنا (٧) إن ابن اسحاق نفسه جعل غزوة ذى قرد فى "جمادى الأولى" التى قال عنها الإمام البخارى :

> *"و هذه الغزوة التى أغاروا على لقاح النبى صلى الله عليه و سلم قبل خيبر بثلاث " (٨)*

كان هذا نوع من تائيد للواقدى من ابن اسحاق أن غزوة خيبر أيضا كانت فى شهر جمادى. و بغض النظر عن هذا إن الشهادات الموسمية و الوقائعية أيضاً تدل على أن غزوة خيبر وقعت بعد زمن طويل من صلح الحديبية (ذوالقعدة المصادف لمارس و ابريل).

إن جميع كتب السيرة تقريبا تتضمن الروايات التى تقول إن المسلمين غنموا آلاف منّ من التمر فى غزوة خيبر (٩) بالإضافة إلى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما نكح صفية رضى الله عنها أولم بالتمر و السمن و الإقط. إن التمور كانت من ألذ و أثمن انتاجات خيبر التى وضعت على سفرة بالسمن و الإقط و أكل منها الناس حتى شبعوا (١٠) فتنشأ هنا طبعا فكرة أن فتح خيبر كان متزامنا لفصل التمر و أن هذه الفاكهة كانت تتواجد بوفرة. إن فصل التمر بالحجاز إنما يحلّ فى سبتمبر و أكتوبر و هما كانا فى سنة ٧. مطابقين لشهرى المحرم المكى و جمادى

المدنية مطابقة تامة. إذ أن السمن و الإقط أيضا كانا وضعا على السفرة مع التمر، و اللذين لايوكلان إلاّ مع التمر بالذات فلا يمكن أن يتصور أنه كان رطبا أو منصفا.

لو سلم قول ابن اسحاق أن غزوة خيبر وقعت بالقرب من صلح الحديبية فينبغى أن تكون مأدبة الوليمة هذه فى مايو و يونيو، و هما زمن الرطب و المنصف. و فوق ذلك إنه يثبت تواجد دحية بن خليفة الكلبى فى هذه الغزوة و كان بعثه رسول اللّه عليه و سلم فى سفارة له إلى قيصر فى أبريل عام ٦٢٨م حيث مكث هنا فترة من الزمن ينتظر المثول بين يدى قيصر و عندما تمت مقابلته به رجع إليه، فمن الواضح أن هذه الوليمة لايمكن أن تكون فى مايو و يونيو.

— ٨ —

السنة الثامنة و التاسعة

قد قدمت فى الكتاب الوقائع المذكورة أدناها لهذه السنة :

١- سرية عمرو بن العاص، ذات السلاسل :

إنه يوجد تصريح عن هذه السرية أنها كانت وجهت إلى المناطق الحدودية للشام، بعد غزوة موتة ، فى شهر جمادى الآخرة سنة ٨. فتذهب الظنون بها إلى أنها كانت بعد غزوة موتة بشهر واحد. لكن الحقيقة هى أن هذه السرية كانت بعثت بعد غزوة موتة بستة أشهر تقريبا فى جمادى الآخرة المكية، فإنه فى هذه الغزوة كان البرد قارصا إلى حد لم يتمكن عمرو بن العاص ذات مرة من الغسل صباحا. و جمادى الآخرة المكية كانت استهلت فى فبراير عام ٦٣٠م.

٢- غزوة حنين :

ذكر ابن سعد تاريخ الخروج إلى هذه الغزوة يوم السبت ٦ من شوال سنة ٨. الذى يصدق تمام الصدق بموجب التقويم المكى، و كذلك يصح موسم هذه الغزوة أيضا.

٣ - غزوة الطائف : هذه الغزوة كانت بعد حنين بالفور.

تقويم السنة الثامنة و التاسعة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويه المدنى الهجرى	
	المحرم سنة ٨	٢٦/سبتمبر ٦٢٩م يوم الثلاثاء	جمادى الآخرة	
	صفر	٢٥/ اكتوبر يوم الأربعاء	رجب	
	ربيع الأول	٢٤/ نوفمبر يوم الجمعة	شعبان	
	ربيع الثانى	٢٣/ ديسمبر يوم السبت	رمضان	
	جمادى الأولى	٢٢/ يناير ٦٣٠م يوم الإثنين	شوال	
١ ـ سرية عمرو بن العاص ذات السلاسل	جمادى الآخرة	٢٠/فبراير يوم الثلاثاء	ذو القعدة	
	رجب	٢٣/مارس يوم الخميس	ذو الحجة	
	شعبان	٢٠/ ابريل يوم الجمعة	المحرم سنة ٩	
٢ ـ فتح مكة، الخروج ١٠/ رمضان يوم الأربعاء (ابن سعد). فتح مكة، يوم الجمعة ٢٠/رمضان	رمضان(١١)	٢٠/ مايو يوم الأحد	صفر	
٣ ـ غزوة حنين يوم السبت ٦/ شوال . ٤ ـ غزوة الطائف	شوال	١٨/ يونيو يوم الإثنين	ربيع الأول	
عمرة الجعرانة التاريخ غير صحيح .	ذو القعدة	١٨/ يوليو يوم الأربعاء	ربيع الثانى	
	ذوالحجة	١٦/ أغسطس يوم الخميس	جمادى الأولى	

٤ - عمرة جِعِرانة :

إن التاريخ الذى ذكره ابن سعد لهذه العمرة لا يصح لا بموجب التقويم المكى و لا بموجب التقويم المدنى. يبدو أنه وقع خطأ كبير من المؤرخين المسلمين بهذا الخصوص.

٥ - فتح مكة المكرمة : (رمضان سنة ٨ المكى)

لقد بانت آيات التفوق السياسى للدولة الإسلامية بعد ما فتحت خيبر و ضمت إليها فدك و وادى القرى، و كان نفوذها المادى و الروحى بحيث أن حدود الروم و فارس كانت مهددة بالخطر، و كانت جميع القبائل المجاورة تقريبا اعترفت بالتفوق الإسلامى، و أخذت تدخل بنفسها فى الاتحاد الإسلامى، و الطبقة العاقلة من قريش أنفسهم كانت منحازة إلى الإسلام فخالد بن الوليد الرجل المثاقف و عمرو بن العاص السياسى المتمرّس قد كانا وصلا فعلا إلى المدينة المنورة.

و كانت "حكومة شبه دينية" لمكة المكرمة مشرفة على الزوال يوم فيوما، و كان أهل مكة محاطين بالخوف و القنوط و التردد الذى كان يراه المسلمون. و يمكن أن يقال عن كامل اليقين أنه لو لم تكن جيوش المسلمين دخلت مكة فى سنة ٨، لكان أهل مكة أنفسهم قدموا طلب الإنضواء إلى الراية الإسلامية إما قريبا أو بعيدا، كما فعل أهل الطائف الذين فوضوا مصايرهم إلى الإسلام فى السنة التاسعة بطواعية القلب. على كل، إن العوامل التى يذكرها المؤرخون لفتح مكة هى كما يلى:

اعتبارا باتفاقية الحديبية كانت الخيرة لكل قبيلة إما أن تدخل فى الاتحاد الإسلامى إذا شاؤوا أو يبقوا مع قريش. فانحاز بنو خزيمة إلى المسلمين و آثر بنوبكر صداقة قريش. كانت هاتان القبيلتان تبادلان الخصومة و البغضاء منذ زمن طويل التى كانت خمدت لأمد قصير بسبب الحروب الإسلامية، و لكن بعد صلح الحديبية لما ساد الأمن إلى حد برزت هذه العداوة من جديد، و نشبت الخصومات بينهم فى منتصف سنة ٨. و قامت فيها قريش بتعزيز بنى بكر بالأسلحة و المعدات الحربية و شهد كثير من فتيان قريش الحروب متطوعين (١٢). إذ أن خزاعة كانوا حلفاء المسلمين و كان المسلمون مكلفون بحمايتهم، فانتقضت هذه الاتفاقية بنفسها، و أعلن عن المدينة المنورة أن هذه الاتفاقية لم تعد تحمل الآن أية قيمة، فلما علمت به قريش بعثوا أباسفيان إلى المدينة يستأنف الإتفاقية و لكنّه لم يوفق فى مهمته.(١٣).

إن اتفاقية الحديبية كانت انتقضت فى الغالب فى بداية شهر رمضان

عبد العزيز، و مكث لديهم مدة طويلة، ثم بايع الشيخ شاه غلام على الدهلوى توجّه إلى الحرمين الشريفين في سنة ١٢٤٣هـ و وصل - بعد الفراغ من الحج و الزيارة - إلى مدينة "سورت" فاقبل عليه العلماء و المشائخ هناك و تلقوا منه الروحانية و الفيض، ثم عاد إلى دهلى، و بعد مدة ذهب إلى "سورت" مرة أخرى بنية الحج، و هناك توفى و دفن سنة ١٢٥٢هـ كما فى الحديقة الأحمدية (نزهة الخواطر ج: ٧)

٤ - السنة غير مذكورة.

٥ - يريد بلدة "بوفال"

٦ - السنة غير مذكورة.

٧ - هو الشيخ المحدث سراج أحمد المجددى الرامبورى. توفى سنة ١٢٣٠هـ

٨ - السنة غير مذكورة

٩ - السنة غير مذكورة.

١٠ - لقد تقبل الله تعالى هذا الدعاء، فقد جرت سلسلة التعليم و التدريس فى هذه الزاوية سنوات طويلة، و فيها تلقى الشيخ الإمام محمد قاسم النانوتوى و الشيخ الفقيه رشيد أحمد الجنجوهى دروس الصحاح الستة على الشيخ شاه عبد الغنى المجددى الفاروقى نجل الشيخ شاه أبى سعيد، و حصلا على الإجازة فى الحديث، و هما قد نوّرا الهند و خارجها علما و حكمة، و لا تزال هذه السلسلة مستمرة.

١١ - يريد الشيخ شاه عبد العزيز، و الشيخ شاه رفيع الدين، و الشيخ شاه عبد القادر، أنجال الإمام ولى الله الدهلوى

الحلقة السادسة الأخيرة :

حــــل التضــــــاد
فى توقيت سيرة خير العباد

بقلم : العقيد اسحاق النبى علوى
(رامفور)

السنة السابعة و الثامنة

١- سرية زيد بن حارثة إلى حسمى :

يقول الواقدى و ابن سعد عن هذه السرية أنها كانت وجهت فى جمادى الآخرة سنة ٦. لكنها تتعلق فى الغالب بسنة ٧. و قد ذكرت أسماءها فى الكتاب.

٢- عمرة القضاء :

يذكر أن هذه العمرة كانت فى ذى القعدة سنة ٧. و ذكر ابن حبيب تاريخ التوجه لها يوم الإثنين ٦ من شهر ذى القعدة سنة ٧.، الذى يلمس فيه تباين يوم واحد فقط، فإنه وفق التصريحات الموسمية كانت هذه العمرة فى الصيف. و طبقا للتقويم المدنى إنّ شهر جمادى الأولى يطابق أغسطس و سبتمبر عام ٦٢٩م.

٣- غزوة خيبر: (المحرّم سنة ٧. ـ جمادى سنة ٧.)

لقد خمدت فتنة قريش بعد صلح الحديبية إلى حدّما، لكن المؤامرات اليهودية لم تزل مستمرة. و إن كان عدد كبير من يهود بنى نضير هاجروا

تقويم السنة السابعة و الثامنة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
١- غزوة خيبر عن رواية ابن اسحاق ٢- وادى القرى	المحرم سنة ٧	٦/اكتوبر ٦٢٨م يوم الخميس	جمادى الأخرة	غزوة خيبر عن رواية الواقدى ٣- سرية زيد بن حارثة إلى حسمى
	صفر	٤/ نوفمبر يوم الجمعة	رجب	
	ربيع الأول	٤/ ديسمبر يوم الأحد	شعبان	
	ربيع الثانى	٢/ يناير ٦٢٩م يوم الإثنين	رمضان	
	جمادى الأولى	١/ فبراير يوم الأربعاء	شوال	
	جمادى الأخرة	٢/ مارس يوم الخميس	ذو القعدة	عمرة القضاء يوم الإثنين ٦/ ذو القعدة
	رجب	١/ ابريل يوم السبت	ذو الحجة	
	شعبان	١/ مايو يوم الإثنين	المحرم سنة ٨	
	رمضان	٣١/ مايو يوم الأربعاء	صفر	
	شوال	٢٩/ يونيو يوم الخميس	ربيع الأول	
	ذو القعدة	٢٩/ يوليو يوم السبت	ربيع الثانى	
	ذوالحجة	٢٧/ أغسطس يوم السبت	جمادى الأولى	غزوة موتة

إلى الشام بعد جلاءهم من المدينة المنوّرة، لكن جميع الأسر المحترمة قد كانت نزلت بخيبر نفسهـــا(١) و كانت تثيـــر منها الآن الفتن. و كان رؤســـاء بنى نضير هؤلاء المخ العامل وراء غزوة الخندق، و هم الذين كانوا نظموا هذه المهمة بأسرها.(٢) و لم يجعلوا بنى غطفان و بنى سليم إلى جانب قريش فى صف واحد ضد الإسلام فحسب، بل أنشأوا تحركا فى القبائل العربية الأخرى أيضا، و كان بنوغطفان الذين كان يربطهم بهم حلف قديم دائما يتخذون خطوات ضد المسلمين على إيماءهم، فقبل ثلاثة أيام من غزوة خيبر بالذات كان بنو غطفان شنوا غارة على سرح المدينة المنورة (٣).

و إضافة إلى ذلك، إن هذه الدول المدينية (CITY STATES) الصغيرة الحرة للعرب كانت تشكل عقبة كؤودة لتواجد دولة كبيرة فيها، و كان من الضرورى إزاحتها بالتدريج، و هذه العملية و إن كانت تقضى على حرية العرب التقليدية العريقة و لا مركزيتها، لكنها مع ذلك كانت تنشأ فكرة دولة عالمية عظيمة كانت جائزة جميع تلك الجهود التى بذلها الإسلام. و أوضح دليل على ذلك أنه حالما سنحت لرسول الله صلى الله عليه و سلم فرصة من قريش، توجهت الطاقة العملية للإسلام من الجنوب إلى الشمال، و كانت ظهرت لأول مرة بصـــورة غـــزوة حيبر و وادى القرى، و ثانيا فـــى صورة غـــزوة موتـــة و تبوك، اللتين يمكن أن تدعا خطوات أولى ضد دولة الروم العظيمة، و من ذات المنطلق تبتدأ قصة زوالها و انهيارها.

على كل، إنه فى نهاية سنة ٦. أو فى بداية سنة ٧.، و فى نفس الزمن الذى شن فيه بنوغطفان حلفاء اليهود حملة على ضواحى المدينة، كانت جيوش المسلمين تقوم متأهبة للتوجه إلى خيبر.

إنه يوجد الخلاف فى تاريخ غزوة خيبر مثلما رأيتم ضمن الغزوات الأخرى، و الذى هو نتيجة تأثيرالوثيقتين قطعا، فيرى الإمام مالك أن هذه الغزوة وقعت فى نهاية سنة ٦. و بؤيده الإمام ابن حزم، و يقول ابن اسحاق إنها كانت فى المحرم أعنى فى بداية سنة ٧. (٤)، لكنه من الواضح أن هذا الخلاف لا يهم كثيرا، فإن الواقعة التى ابتدأت فى نهاية السنة السادسة يمكن أن تستمر إلى بداية السنة السابعة، فالطبرى ذكر هذه الغزوة كما يلى.

"فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بقية المحرم إلى خيبر" (٥)

إنه يبدو أن تصريحات الإمام مالك رحمه الله و ابن اسحاق قد اختلطت لديه. مهما يكن، إنه ينتج منه حتما أن هذه الغزوة كانت ابتدأت فى سنة ٦. و انتهت تبعا لقول ابن اسحاق فى المحرم بل فى صفر سنة ٧.. و الفكرة التى تقول إن هذه الغزوة كانت ابتدأت فى ذى الحجة تدعمها تصريحات الجامع الصحيح للإمام البخارى أيضا التى سوف أتصدى لها فيما بعد. مهما يكن، إن كلا من الإمام مالك و ابن حزم و ابن اسحاق و كل من

سنة ٨.فنسمع صداها فى الآيات الأولى لسورة البراءة ·

" *بَرَاءَةٌ مِنَ اللّه وَ رَسُوله إِلَى الَّذينَ عَاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ، فَسِيحُو فِي الأرضِ أربَعَةَ أَشهُرٍ وَ أَعلَمُوا انكُم غَيرُ مُعجِزِي اللّه و أنَّ اللّه مخزِى الكَافِرِين " (التوبة ١-٢)* (١٤)

و يوجد الخلاف بين علماء المسلمين ما هى هذه الأشهر الأربعة؟ لكن أغلب الظن هى أنه عنيت هنا أربعة أشهر ابتداء من شهر رمضان سنة ٨. حتى شهر ذى الحجة لهذا العام بالذات، فإن الحج لهذا العام كان أدى تحت إشراف المشركين على الرغم من السيطرة الاسلامية و أديت فيه جميع التقاليد و الطقوس التى كانت تودّى من ذى قبل، و كان هذا آخر حج للمشركين و لم يكن لهم إذن بعد فى أن يدخلوا الحرم.

" *إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (التوبة ـ٢٨)*

إن قوله ـ سبحانه و تعالى ـ "بعد عامهم هذا" فى هذه الآية يستحق الاعتناء و الاعتبار على وجه خاص، الذى يعلم منه أن هذه الرخصة كانت إلى انقضاء العام الجارى. فقد كانت غزوة مكة فى شهر رمضان و كانت السنة تنصرم بعد أربعة أشهر من هذا الشهر فيتبين أن الآية الكريمة المذكورة أعلاها التى تتضمن رخصة أربعة أشهر أى زمن أريد به؟ و يعلم منه أيضا أن غزوة مكة كان فى شهر رمضان "المكى".

إن مؤلفي السيرة يقولون إنه فى ١٠ من شهر رمضان سنة ٨. حين كان كل جندى مسلم صائما، خرجت عشرة آلاف جيش من المسلمين من المدينة المنورة و توجهت إلى مكة المكرمة. يقول ابن اسحاق :

وخرج لعشر مضين من شهر رمضان، فصامه رسول اللّه صلى اللّه عليــه و سلم و جميــع الناس معــه ، حتــى إذا كان " بالكديد " بين عسفان و " امبح " أفطر " (١٥)

و لما كان هذا الجيش على وشك الدخول فــى مكــة استسلم له سيّدها أبو سفيان الذى كان حينذاك القائد الوحيد لمكة فعلا (١٦) و هكذا تغلب المسلمون على أكبر قلعة للمشركين العرب دون أى مقاومة تذكر. (١٧)

و قد كان أعلن قبل دخول الجيش بمكة " من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من أغلق عليه الباب فهو آمن " (١٨)

و لم يكن أحد ملزما بأن يغير دينه تواء و لما عرض الاسلام على صفوان بن أميّة الذى كان كوزير لأبى سفيان، استمهل للفكر و إجالة النظر فقال له صلى اللّه عليه وسلم . "أربعة أشهر" (١٩) أى رخصة ما بقى من العـام الجـارى و التى كانت أتيحت لكل إمرئ.

و أزيلت الأوثان التى كانت فى جوف الكعبة، و حطم (٣٦٠ صنما) الذى كان نصب حولها (٢٠) لكنه مع ذلك بقيت حجابة البيت و إدارة أعمال الحج فى أيدى المشركين كما كانت فى الماضى، فيقول المؤرخون إن الحج هذا العام أدّى طبقا للطقوس و التقاليد القديمة، يقول الطبرى.

"و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه" (٢١)

يبدو أن هذا كان آخر موسم للحج قام فيه سيّد بنـى فقيم فى الحجر و أعلن النسى، و بزيادة شهر للنسى بين شهر المحرم القادم و بين صفر كانت أديت الطقوس القديمة للمرّة الأخيرة.

يذكر ابن اسحاق و الواقدى و المؤلفون الآخرون أن الخروج لهذه الغزوة كان فى ١٠ من شهر رمضان سنة ٨ ، و قد مضى قول ابن اسحاق. أما تبعا لابن سعد فإنه كان يوم الأربعاء فقد جاء فى الطبقات.

"و خرج يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر" (٢٢)

و بموجب التقويم القمرى لوستنفيلد كان ١٠ من شهر رمضان سنة ٨. يوم الاثنين بدء من الأربعاء، و هو لا يطابق الروايات، فيترتب عليه أن شهر رمضان هذا لم يكن قمريا بل كان رمضان مكياً، فإن رمضان المكى كان استهل فى ٢ من مايو عام ٦٣٠م ، و من هنا كان ١٠ من شهر رمضان يوم الثلاثاء، كأنه هناك تباين يوم واحد، و هو ليس خليقا بالاعتبار. و إبن سعد قد ذكر تاريخ سيطرته على مكة أيضا الذى يصح و لا شك من وجهة التقويم المكى. يقول إبن سعد:

"و فتحها يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان و أقام بها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خمس عشرة ليلة" (٢٣)

و إبن إسحاق أيضا ذكر هذا التاريخ بالذات و لكنه لم يذكر فيه يوم الجمعة (٢٤) على كل، إن هذا التاريخ صحيح من غير ريب، فإنه إذا كانت غرة رمضان يوم الأحد، فالجمعة لا محالة تقع بتاريخ ٢٠ رمضان، زد إليه أن ابن سعد و غيره جعل مدة قيامه بمكة خمسة عشر يوما، فيكون رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خرج لغزوة حنيـن يـوم السبت فى ٦ مــن شهـر شـوال.

و المؤرخون قد حكوا تاريخ خروجه إلى حنين هذا بالذات (٢٥). إنه يعلم منه أن هذه التواريخ برمتها لم تزل مصونة بكل حيطة و كانت كلها دونت طبقا للتقويم المكى. و الآن ينبغى لنا أن نلقى نظرة على موسم هذه الغزوة.

إنه يثبت من الروايات أن جيوش المسلمين كانت صائمة حين غادرت المدينة، و لما بلغ رســـول الله صلى الله عليه و سلم الكديد أو القديـد أفطـر، و هذا يعنى بوضوح أن التقويم المكى حتى ذاك الوقت كان يتلقى رواجا دينيا بين المسلمين و كانت الواجبات الدينية تمارس فى ضوءهـــا، فبناء على ذلك لا تصح عندى فكرة موير MUIR و المستشرقين الآخرين إن شهر رمضان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما يجئ فى الشتاء (٢٦) و ليست لديهم أية شهادة وثائقية تؤيد فكرتهم، و خلاف ذلك يوجد عدة روايات فى كتب السيرة و السنة التى يعلم منها أن شهر رمضان كان دائما يحل فى الصيف فقد جاء فى المستدرك للحاكم عن أنس رضى الله عنه

> *" كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفطر على "رطبات" قبل أن يصلى فإن لم يكن رطبات فعلى "تمرات" فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء " (٢٧)*

إن هذا الحديث يفيد بأن شهر رمضان زمن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجئ فى أيام كانت فيها الرطب فى متناول أيدى الناس و لو لم تكن هذه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتفى بالتمر أو الماء.

قـد سبق أن قلنا أن فصـــل الرطب بالحجـــاز كان يحـــل فى يونيو و يوليو. فبناء عليه يمكن أن يقال عن كامل اليقين أن شهر رمضان كان فى الغالب يحل فى هذه الأيام بالذات، و ربما كان يتأخر نضوج المحاصيل فكان صلى الله عليه وسلم حينذاك يفطر على " التمر ".

إن علاقة شهر رمضان بالصيف أمر بديهى فى ضوء الأحاديث، فإليكم رواية أخرى .. . يقول أبو درداء رضى الله عنه :

> *" خرجنا مع النبى صلى اللّ عليه و سلم فى بعض أسفاره فى يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر و ما فينا صائم إلا مـــا كان مـــن النبى صلـــى الله عليـــه و سلم و ابن رواحة " (٢٨)*

و ليس من المعلوم فى أى سفر حدث هذا؟ على كل، إن موسم فتح مكة نفسه يتمثل للعيون تماما بدراسة الاحاديث المذكورة أدناه :

> *عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم سافر فى رمضان فاشتد الصوم على رجل من أصحابه فجعلت راحلته تهيم به تحت الشجرة فأخبر النبى بأمره فأمره أن*

يفطر ثم دعا النبى باناء فوضعه فى يده ثم شــرب و الناس ينظرون " . (٢٩)

يبدو أن هذا كان حدث بالكديــد الذى رواه إبن عباس كمايلى، فيقول :

" إن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج عام الفتح فى رمضان فصام حتى إذا كان بالكديد و اجتمع الناس عليه أخذ قصبا فشرب منه " (٣٠) (لكى يفطر الناس أيضاً).

و هذا الحادث بالذات جاء فى المؤطا كما يلى :

" عن بعض أصحاب رسول الله صلى اللهّ عليه وسلم أن رسول الله أمــر الناس فى سفره عام الفتــح بالفطـر و قال تقووا لعدوّكم، و صام رسول للّه صلى الله عليــــه و سلم قال أبو بكر : قال الذى حدثنى لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعرج يصب الماء على رأسه من العطش أو من الحر، ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن طائفة من الناس قد صاموا حين صمت، فلما كان بالكديد دعا بقدح، فشرب فأفطر الناس " . (٣١)

يبدو أن هذه الرواية بكاملها كان أخذها أبوبكر بن عبد الرحمن عن الصحابى المعروف أبى هريرة رضى الله عنه الذى كان بنفسه مصاحبا لرسول الله صلى الله عليه و سلم. فالحاكم ذكر فى المستدرك الجزء المذكور أدناه من هذه الرواية عن سنده بالذات :

" لقد رأيت رسول الله صل الله عليه و سلم بالعرج يصب على رأسه الماء و هو صائم" (٣٢).

إنه يتبين من هذه الأحاديث بأجمعها أن شهر رمضان ما كان دائما يحل فى الصيف زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم فحسب بل إن فتح مكة أيضا كان فى زمن شديد الحر.

و بالنظر إلى هذه الشهادات الموسمية لما نلقى نظرة على تقويم وستنفيلد فيتراءى بون شاشع و تباين بالغ من الوجهة الموسمية، فإنه طبقا لتقويمه إن شهر رمضان سنة ٨. يطابق ديسمبر و يناير. أود هنا أن أقول أيضا أنه ليست هذه وجهة نظر وستنفلد فحسب بل موير أيضا. حتى أن العلامة شبلى النعمانــى لما تصدى بهـذه الغــزوة فى كتابه "سيرة *النبى*" اضطر إلى أن يكتب تحت عنوان جلى:

"فتح مكة رمضان سنة ٨ *المصادف لبناير عام* ٦٣٠ م"

و من الواضح أن السبب الرئيسى لهذه الأخطاء برمتها كان واحدا فقط و هو أن المؤرخين المسلمين كانوا نسوا التقويم المكى منذ زمن طويل.

و تبعا لنظرية التقويم هذه الجديدة إن شهر رمضان سنة ٨. يوافق مايو و يونيو عام ٦٣٠ م

٩

السنة التاسعة و العاشرة

قد بحثت عن ثلاث وقائع فقط لهذه السنة و هى كما يلى:

١ـ سرية علقمة بن مجزر :

قد صرح عن هذه السرية أنها كانت بعثت فى ربيع الأخر سنة ٩. و تفيد التصريحات التى تتضمنها الروايات أن الجنود كانوا يشعلون النار أثناء السرية و كانوا يصطلون عليها، الأمر الذى ينتج منه أن هذه السرية كانت بعثت فى الشتاء، و هذا التاريخ يبدو مكيا، فإن ربيع الآخر المدنى سنة ٩. يطابق يوليو عام ٦٣٠ م . ، بالمقابل إن ربيع الآخر المكى كان استهل فى ١١ من يناير عام ٦٣١ م

٢ـ حج أبى بكر رضى الله عنه :

يقال أن حجة أبى بكر هذه كانت فى ذى القعدة سنه ٩. ، و يظن به أنها كانت بعد غزوة تبوك، و لكن هذه الحجة من وجهة نظر التقويمين الإثنين، كانت قبل غزوة تبوك بشهر واحد فقط. ففى سورة البراءة ذكرت هذه الحجة اعنى جاء إعلان البراءة قبل أن تذكر غزوة تبوك، بالإضافة إلى أن عكرمة رضى الله عنه قال بوضوح إنه لما رجع ابوبكر رضى الله عنه من هذه الحجة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك.

٣ـ غزوة تبوك : (رجب المكى سنة ٩)

إن الخسائر التى ألحقتها جيوش الروم و بنى غسان الموحدة بالمسلمين

تقويم السنة التاسعة و العاشرة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
	المحرم سنة ٩	١٥/سبتمبر ٦٣٠م يوم السبت	جمادى الآخرة	
	المحرم "نسى" صفـــر	١٤/ اكتوبر يوم الأحد	رجـب	
	صفر	١٣/ نوفمبر يوم الثلاثاء	شعبان	
	ربيع الأول	١٢/ ديسمبر يوم الأربعاء	رمضان	
سرية علقمة بن مجزز	ربيع الثانى	١١/ يناير سنة ٦٣١م	شوال	
	جمادى الأولى	٩/ فبراير يوم السبت	ذو القعدة	
	جمادى الآخرة	١١/مارس يوم الإثنين	ذو الحجة	حج أبي بكر، إعلان البراءة ، فرضية الحج و إلغاء التقويم
غزوة تبوك ، تاريخ الخروج يوم الإثنين غرة رجب عن رواية ابن حبيب .	رجب	٩/ ابريل يوم الثلاثاء	المحرم سنة ١٠	
	شعبان	٩/ مايو يوم الخميس	صفـر	
الرجوع عن تبوك	رمضان	٧/ يونيو يوم الجمعة	ربيع الأول	
الرجوع عن تبوك عن رواية ابن حبيب .	شوال	٧/ يوليو يوم الأحد	ربيع الثانى	
	ذو القعدة	٥/ أغسطس يوم الإثنين	جمادى الأولى	
	ذوالحجـة	٤/ سبتمبر يوم الأربعاء	جمادى الآخرة	

فى غزوة موتة، و إن لم تكن قليلة، لكن عيون الروم البعيدة النظر كانت ترصد الفوران الثورى لصحراء العرب، و لم تكن مرتاحة البال، فكانت دائما تبلغ المدينة شائعات تقول : إن الجار الشمالى منكب على ترتيبات غزو كبير، و كان يشاع عن قيصر نفسه أنه كان و قتذاك فى حمص أو دمشق.

فكان أفضل مصرف لغنائم حنين (٣٣) أن تنفق ضد العدو الشمالى بطريقة مؤثرة، الذى كان يحتاج فيها إلى جيش ضخم. فبعد وصوله إلى المدينة فى الغالب كان أول عمله صلى اللّه عليه و سلم هو أن يعلن عن التبرعات العامة و يشرع تجنيد المتطوعين من القبائل الصديقة و الحديثة بعقد الإتفاقية معه.

يقول ابن اسحاق و الواقدى أن عثمان بن عفان تبرع بألف دينار بالإضافة إلى البضائع التجارية التى كانت ذاهبة إلى الشام، و أنفق عمر بن الخطاب نصف رأس ماله كله، و أما ابو بكر رضى اللّه عنه فقد قدم كل ما كان فى بيتــه، (٣٤) و مــن هنا يمكننا أن نكّون رأيا عــن تبرعــات الآخريــز و عطايا هم.

لقد قدمت القبائل العربية إليه تعاونا بالغا، و أنهالت عليه طلبات المساهمة بكثرة لم يكن بإمكانه أن يوفر الظهور للجنود فضلا عن أن يوفر لهم الحمولة (٣٥) و حتى لم تحفظ اسماء الغزاة فى فهرس أو قائمة (٣٦)

يقول المؤرخون إن هذا الجيش كان يشتمل على ثلاثين ألف جندى (٣٧) و كانت عشرة آلاف منها كتائب الفرسان (٣٨) و كان هذا العدد ضخما بحيث أن الأراضى العربية لم تكن رأت جيشا عرمرما مثل هذا. فأمعنوا النظر فى أن المسلمين فى ميدان بدر كانوا زهاء ثلاث مائة، لكنه بعد ستة أعوام و ستة أشهر تضاعف عدد المسلمين مائة ضعف أعنى بلغ ثلاثين ألف جندى.

و فوق ذلك إن الجيش الذى كانت بعثته دولة المدينـة المنـورة فـى سنـة ٨ تحت قيادة عمر و بن العاص لكسب قلوب القبائل الحدودية تلقى نجاحا بمعنى الكلمة، و يبدو أن الطابور الخامس كان قد تألف فى هذه القبائل أيضا، فنجد أنه صلى اللّه عليه و سلم لما بلغ تبوك فلم يكن هناك أى عيـن و لا أثر للجيوش الروميــة، فنزل بها ، و بعــث منها كتائب صغيــرة و كبيرة إلى أمكنــة مختلفــة و كلها أحرزت النجاح. و كانت ايلة (عقبة) من أهم مؤانى البحر الأحمر فى هذا الزمن، و دخل حاكم هذا الميناء باتفاقية فى الكومنولث الاسلامى (COMMON WEALTH) (٣٩).

و توجه خالد بن الوليد إلى دومة الجندل، و ألقى القبض على حاكمها اكيدر و قدمه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (٤٠) و هكذا رأى شمال العرب بأجمعه و لأول مرة إشراقة التفوق الاسلامى.

يذكر أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان خرج لهذه الغزوة بالإجماع فى رجب سنة ٩. و كان رجع منها فى رمضان أو شوال سنه ٩. ، و مع أنها

توجد تصريحات تاريخية كثيرة لدى ابن اسحاق و الواقدى، لكن مأخذ ابن حبيب قد ذكرها مع تصريح اليوم و التاريخ:

و خرج إليها صلى الله عليه و سلم يوم الاثنين غـــرة رجـب و رجع سلخ شوال " (٤١).

و تبعاً لتقويم وستنفيلد إن شهر رجـب هـذا كان موافقـا لأكتوبـر و نوفمبر، اعنى زمن بداية فصل الشتاء، و من هنا ينبغى أن يكون القفول فى يناير.

و هذه هى رؤية السير وليم موير WILLIAM MUIR و العلاّمة شبلى النعمانى، فجعل موير تاريخ الخروج لهذه الغزوة رجب المصادف لاكتوبر (٤٢) والعلاّمة شبلى النعمانى جعل رجب سة ٩. موافقـا لنوفمبر (٤٣) و بالمقابل إن روايات السيرة بأسرها تفيد بأن موسم هذه الغزوة كان حارا فيقول كعب بن مالك :

" غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد " (٤٤).

و يشير إليه مزيدا فيما بعد " *و ذلك حين طابت الثمار" (٤٥).*

و قد صور ابن اسحاق نقلا عن الإمام الزهرى و غيره موسم هذه الغزوة هكذا :

" و ذلك فى زمن عسرة من الناس و شدة الحـر وجدب من البلاء و حين طابت الثمـار و النـاس يحبون المقــام فى ثمارهـم و ظلالهم" (٤٦)

و بغض النظر عن هذه الروايات إن القرآن نفسه حكىٰ قول المنافقين

" لا تـخرجوا فـى الحر ".

فردّ على قولهم :

" قل نار جهنّم أشد حرا ".

إن هذه الشهادات الموسمية كلها تكشف عن أن هذه الغزوة لم تكن فى نوفمبر و ديسمبر من غيـر ريب، بل كانت فى موسم تقطف فيــه الثمار و يشتد الحر و يأخذ السموم يهب و تكون ظلال الأشجـار مدعاة للطمانينـــة و الراحة، فينبغى يكون "رجب" غزوة تبوك موافقا للموسم المذكور أعلاه.

و يعلم بالنظر فى الجدول الذى أعددته أن شهر رجب المكّى هذا العام كان مصادفا لـ ٨/ ابريل و مايو سنة ٦٣١م و هو يطابق الموسم الذى ذكرته الروايات مطابقة تامة.

و ذكر ابن حبيب تاريخ الخروج لهذه الغزوة يوم الاثنين غرة رجب الذى يصح تماما من الوجهة التقويمية، فإنه تبعا للحساب كانت غرة رجب يوم

الثلاثاء و كانت ليلة الغرة يوم الإثنين. لكن يلزم بى أن أقول هنا أن تاريخا واحدا هذا لا يمكن أن يكون تاريخ الخروج للجيش المكون من ثلاثين ألف جندى فى وقت واحد بل لكتائبه الأولى، و يؤيد هذه الفكرة ما جاء فى "الطبقات" لابن سعد و "المواهب" للقسطلانى من رواية تفيد أن الخروج للغزوة كان يوم الخميس. الأمر الذى يعلم منه أن كتائب شتى كانت تتوجه واحدة بعد أخرى. و أخيرا علىّ أن اوضح أيضا أن حجة ابى بكر رضى اللّه عنه التى كانت قبل شهر واحد منها بالضبط، إن قلة عدد حجيج المدينة ثم عدم وجود أية شخصية سامية فيها ما عدا أبى بكر و على رضى اللّه عنهما، لعله كان بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان مع أصحابه مكبا على الاستعداد لغزوة تبوك.

—— ١٠ ——

السنة العاشرة و الحادية عشرة :

هذه السنة خاتمة أبواب السيرة النبوية، و قدمت فيها الوقائع المذكوره أدناها

١ ـ سرية على بن أبى طالب :
٢ - سرية خالد بن الوليد :

إن كتب السيرة تتضمن تواريخ متباينة لهاتين السريتين، و يوجد بينها تباين كثير. يذكر أن علياً كان بعث تجاه اليمن فى رمضان سنة ١٠، أما خالد بن الوليد فقد كان بعث فى شهر ربيع الآخر، لكن الطريف فيه أن التعليمات التى كان زود بها خالد بن الوليد جاء فيها أنه إن قابل عليا فليفوض قيادة الجيش برمته إليه، الأمر الذى يتكشف عن أن هاتين السريتين كانت متزامنتين. فبمقتضى التقويم المكى إن شهر ربيع الآخر سنة ١٠ كان استهل فى نهاية رمضان المدنى، و يلمس أن تاريخ سرية خالد بن الوليد كان دوّن و فقا للتقويم المكى و تاريخ سرية على رضى اللّه عنه كان تبعا للتقويم المدنى.

٣ـ حجة الوداع : (ذوالحجة المدنى سنة ١٠)

بعد فتح مكة كانت إدارة أعمال الحج بقيت فى أيدى المشركين، و فى شهر ذى القعدة القمرى من العام القادم كانت ترتيبات غزوة تبوك تواجه المسلمين، التى كانت تهم أكثر من الحج، فبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه

تقويم السنة العاشرة و الحادية عشرة

	التقويم المكى	الأيام و التواريخ اليوليوسية	التقويم المدنى الهجرى	
	المحرم سنة ١٠	٣/ أكتوبر ٦٣١م يوم الخميس	رجب	
	صفر	٢/ نوفمبر يوم السبت	شعبان	
	ربيع الأول	١/ ديسمبر يوم الأحد	رمضان	١ ـ سرية علي ابن أبي الطالب نحو اليمن
٢ ـ سرية حالدبن الوليد نحو اليمن ٣ ـ وفاة ابراهيم ابن رسول الله ٤ ـ كسوف الشمس، ٢٧/ يناير ٦٣٢م	ربيع الثانى	٣١/ ديسمبر يوم الثلاثاء	شوال	
	جمادى الأولى	٢٩/يناير ٦٣٢م يوم الأربعاء	ذو القعدة	٥ ـ الخروج لحجة الوداع، ٢٥/ دو القعدة يوم السبت
	جمادى الأخرة	٢٨/ فبراير يوم الجمعة	ذو الحجة	٦ ـ حجة الوداع
	رجب	٢٩/ مارس يوم الأحد	المحرم سنة ١١	
	شعبان	٢٨/ ابريل يوم الثلاثاء	صفر	٧ ـ الأمر بالتاهب لغزو الروم، ٢٨/ صفر يوم الإثنين
	رمضان	٢٧/ مايو يوم الأربعاء	ربيع الأول	٨ ـ الخطبة الأخيرة، ١٠/ من ربيع الأول سنة ١٠ يوم السبت ٩ ـ الوفاة، ١٢/ من ربيع الأول يوم الإثنين
	شوال	٢٦/ يونيو يوم الجمعة	ربيع الثانى	
	ذو القعدة	٢٥/ يوليو يوم السبت	جمادى الأولى	
	ذو الحجة	٢٤/ أغسطس يوم الإثنين	جمادى الأخرة	

وسلم ابابكر أميرا للحج، و لم يحج البيت بنفسه. فبقى الآن تعليم مناسك الحج و تعريف القبائل العربية بالروح الاسلامية، و كان من اللازم إعلان الحكومة الإلهيـــة، و القضـــاء على المفاخر القديمة برمتهـــا، و تعليم الرأفـــة و الرحمة بالنساء و الموالى و المعوزيـــن المثقلين بالديـــون و إعلان العـــدل و الانصاف لهم.

ففى شهر ذى القعدة القمـرى سنـــة ١٠ أراد رسول اللّه صلى اللّه عليـه و سلم أن يحج البيت، الذى يعرف بحجة الوداع، و توجد تفاصيلها فى جميع كتب السيرة فلا أقدم هنا منها إلا ما يتعلق بالتقويم و لابد من ذكره.

يقول ابن سعد إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم غادر المدينة يوم السبت فى ٢٥ من ذى القعدة (٤٧). و جعل وستنفيلد غرة ذى القعدة سنة ١٠ يوم الأربعاء، فيكون ٢٥ من ذى القعدة يوم السبت بالضبط، الذى هو نفس ما تتضمن به الرواية.

و بلغ هذا الركب مرّ الظهران يوم الاثنين.

" و كان يوم الإثنين بمر الظهران فغربت له الشمس بسرف " (٤٨)

و تبعا لرواية ابن عباس و جابر كان هذا بتاريخ ٤/ من شهر ذى الحجة، يقول جابر رضى اللّه عنه

" قدم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لأربع خلون من ذى الحجة " (٤٩)

و يقول ابن عباس :

" أهل رسول اللّه بالحج فقدم لأربع مضين من ذى الحجة " (٥٠).

كان يوم الاثنين كان موافقالـ ٤ من ذى الحجة. و طبقا لتقويم وستنفيلد و إن صح هذان التصريحان، فإنه من الوجهة الحسابية كانت غرة ذى الحجة سنة ١٠ يوم الجمعة، فينبغى أن يكون يوم الاثنين فى ٤ من ذى الحجة، لكن الروايات تفيد بأن الحج هذا العام كان يوم الجمعة يعنى ان الجمعة كان بتاريخ ٩ من شهر ذى الحجة، فبناء على ذلك ينبغى أن يكون يوم الاثنين فى ٥ من ذى الحجة بدلا من ٤ من الشهر المذكور. يعنى هذا أن هلال ذى الحجة كان اعترف ٢٩ يوما فى مكة المكرمة و اعتبرت غرّة الشهر يوم الخميس بدلا من يوم الجمعة، و اعتبارا منه كان حج الناس (٥١) و ليس تباين يوم واحد جديدا فى الشهور القمرية أو مما يهم شيئا.

إن كان هناك شئ يعكس عظمة حجة الوداع التاريخية و خطورتها فهى خطبته التى كل كلمة منها تحبو البشرية ضوء جديـــدا و درس حياة جديـــدا و توجد مقتطفاتها متناثرة فى كتب السيرة و الحديث. سأذكر منها هنا جزءا واحدا له علاقة بإلغاء التقويم.

إن التقويم المكى الذى كان مصدر عبادة الأجرام، و إن كان ألغاه القرآن الكريم فى سنه ٩.هـ لكن ذكره النبى صلى الله عليه و سلم فى خطبته هذه أيضا :

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض "

ثم أضاف قائلا :

"السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلث متواليات، ذوالقعدة و ذوالحجة و محرم و رجب مضر الذى بين جمـــادى و شعبان " (٥٢).

إن معنى الجملة الأولى "إن الزمان قد استدار كهيئته" كما يفهم بصورة عامة، هى أن التقويمين القمرى و الشمسى كانا قد اجتمعا على نقطة واحدة هذا العام، و كان شهر ذى الحجة حل فى زمن موحد من وجهة كلا التقويمين، لكن هذه الفكرة ـ كما قلت سابقا ـ ليست بصحيحة.

انظروا شهر المحرم القمرى فى جدول التقويم الذى يستهل هذا العام فى ٢٩ من مارس أعنى بالقرب من الاعتدال الخريفى. إنه يعترفه الجميع أن أهل بابل القدامى و الإيرانيين و لعل أهالى جنوب العرب و الهنود ببكرة أبيهم كانوا يبدأون السنة من الاعتدال الخريفى، و ذلك يتلقى رواجا فى الهند حتى يومنا هذا، و أول أشهر التقويم الدينى اليهودى "نيسان" أيضا كان يستهل من هذه النقطة بالذات، و أغلب الظن أن سنة واحدة كان تبتدأ مز الاعتدال الخريفى لدى العرب الماضين أيضا، حين كانت الشمس تدخل برج الحمل، فإن العرب أيضا كانوا يعتقدون أن العالم كان خلق فى الاعتدال الربيعى، يقول ابن قتيبة :

و يقال إن الله عزّوجل خلق الخلق كله و الشمس برأس الحمل و الزمان معتدل و الليل و النهار متساويان، فأوّل الأزمنة فصل الصيف و هو الذى يدعوه الناس الربيع فكلما حلت الشمس برأس الحمل فقد مضت للعالم سنة " (٥٣)

إن شهر المحرم القمرى فى سنة ١١ كان قد رجع بعد دورانه إلى نقطة الاعتدال الخريفى هذه. و أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه السنة نفسها، فيما يبدو، بقوله "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض" أما أن يعنى به أن السموات و الأرض كانت خلقت لدى رسول اللــه صلى اللــه عليه و سلـم فى هذا الـزمن بالذات، فخطأ كبيـر، و اكبر منه بكثير هى أن يتصور أحد أن التقويمين القمرى و الشمسى كانا قد توحدا فى هذا الزمن.

٤- جيش أسامة و وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربيع الأول المدنى سنة ١١.

و بعد صراع عصبى و ذهنى بالغ استغرق عشرة أعوام، و إن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أوجد أرضا و سماء جديدتين للبشرية يمكن أن تسع البشرية جمعاء، لكن لم تكن لبت على دعوته بعد إلا شبه الجزيرة العربية، و لم يكن ذلك بأن هذه الدعوة لم تكن بلغت مسامع الدنيا، و لكن لكل شئ وقت و ميعاد.

حق أن الإقبال الذى كانت حظيت به الحركة الإسلامية فى هذه الأعوام العشرة، كان يقتصر على شبه الجزيرة فقط، لكن هذا الإقبال الجماهيرى لم يكن ما لا يؤثر فى الآخرين، فقد كانت كل ذرة من ذرات الصحراء تبرق و تلمع، و كان كل إمرئ مفعما بالحنين و الشوق الذى كان يتراءى للناس كافة.

كانت حدود الدولة الإسلامية بعد فتح خيبر قد اتصلت بالامبراطورية البازنطينية أكبر الدول فى العالم، و التى كانت مزقت التاج الفارسى منذ عهد قريب، و أكدت للعالم من عظمتها مرة ثانية. إن القائمين على هذه الدولة كانوا ينظرون إلى التحرك الجديد فى الصحراء العربية بامعان نظر، و كان قيصر بنفسه و دوله الربيبة من مصر و الشام كانت قد اعترفت بوجودها فى آخر سنة ٦. بسماحهم بمثول السفارات الاسلامية بين أيديهم.

يبدو أن نفوذ الإسلام كان يتقدم بسرعة خارقة نحو الشمال، فإن عقول الطبقة المستبدة لا تتوقف عن العمل إلا حين يحلق خطر فادح على رؤوسهم، ففى بداية السنة الثامنة لم يكن القائمون على الدولة الرومية برهنوا على تعقلهم و تبصرهم فى عواقب الأمور حين قتلوا حارث بن عمير، الذى كان بعث على السفارة الاسلامية تجاه بلقاء ، و شنقوا فروة بن عمر حاكم معان الذى كان اعلن إسلامه فى السنة التاسعة، و هم بأنفسهم كانوا أنشأوا دربا بدماء هولاء الشهداء قد يسلكه جيش المسلمين بيسر و سهولة، فمن هنا يمكننا أن نجعل غزوة موتة فى سنة ٨، و غزوة تبوك فى سنه ٩. كلتيهما نتيجة لسخافة عقولهم.

و إن كان الجزء الأكبر من فصل الربيع سنة ١٠ انقضى فى حجة الوداع لكن جيوش المسلمين كانت على أهبة متى يصدر أمر الخروج لغزو الروم فنرى أنه بعدها بشهرين فقط ضرب نفير الاستعداد لها.

يقول ابن سعد إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر فى آخر أسبوع من شهر صفر سنة ١١. بأخذ الأهبة لغزو الروم :

" قالوا : لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنه

إحدى عشرة مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس بالتهئ لغزو الروم (٥٤)

يبدو أن الراوى الأول لهذه الرواية كان ظن يوم الاثنين بتاريخ ٢٧ من صفر و لكن بمقتضى تقويم وستنفيلد (Wustenfelds) إن يوم الاثنين يقع بتاريخ ٢٨ من الشهر المذكور.

و بعده بيوم واحد فقط أعنى يوم الأربعاء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجأة ، يقول ابن سعد :

" فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله صلى الله عليه و سلم فحم و صدئ " (٥٥).

و يوم الأربعاء هذا كان بتاريخ ٢٩ من صفر لدى رواة ابن سعد .

" قالوا : و بدأ وجع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيت ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء ليلتين بقيتا من صفر " (٥٦).

و لكن كما قلت سابقا إن يوم الاثنين كان بتاريخ ٢٨ من صفر، فينبغى أن يكون يوم الأربعاء بتاريخ ٣٠ بدلا من ٢٩، و لعل هذا ناجم من الخطأ الحسابى للراوى الأول. على كل، إن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عكفوا على الاستعداد للجهاد و أخذ الجيش يتجمع فى جرف التى كانت فى الغالب محط الجيش زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. و لم يكن من الممكن أن تؤجل هذه السرية إلى زمن طويل و تمنع الإجازة للجيش، ففى اليوم التالى بالذات أعنى يوم الخميس أعدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً بيديه المباركتين و أعطاها أسامة بن زيد و فوض إليه قيادة الجيش يقول ابن سعد :

" فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده " (٥٧).

و طبقا لجدول وستنفيلد يقع هذا الخميس فى ٢ من ربيع الأول، لكن إن سلم أن هلال ربيع الأول كان تم رؤيته فى تاريخ ٣٠ بدلا من ٢٩ (٥٨) ، أو لم يكن أهل المدينة تمكنوا من رؤيته، فيكون الخميس غرة الشهر، التى هى نفس ما تدل عليه الرواية.

و فى يوم الخميس القادم أعنى فى ٨ من ربيع الأول سنة ١١ (المصادف لـ ٤ من يونيو عام ٦٣٢ م) مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضا شديدا فأراد أن يكتب كتابا (٥٩) لكن المرض كان شديدا فلم يستطع أن ينجز هذا العمل، و كان يعاوده المرض و البرء فى هذه الفترة.

إن جميع كتّاب السيرة يجمعون على أن الناس أخذوا أطراف النجوى

على تعيين أسامة كما كانوا فعلوا ذلك قبل على قيادة أبيه زيد، و كان أناس بدأوا يقولون إنه ليس من المناسب أن تفوض قيادة جيش خطير مثل هذا إلى فتى حديث السن فى حضرة الأصحاب الكبار، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال المرض إلى المسجد و ألقى خطبته التى تتلخص فيما يلى :

أيها الناس ! انفذوا بعث أسامة، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى امارة أبيه، و إنه لخليق بالإمارة كما كان أبوه لخليقا بها." (٦٠).

و كان هذا فى ١٠ من ربيع الأول (المصادف لـ ٦ من يونيو عام ٦٣٢م) و كان المرض به شديدا و كان يود أن يخرج هذا الجيش بأسرع ما يمكن، ففى هذا التاريخ بالذات ودع معظم الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم و توجهوا إلى "جرف" حيث كان يقيم الجيش. يقول ابن سعد :

"و ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول و جاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٦١).

و يثبت من هذه الرواية أن يوم السبت أعنى ٦ من يونيو عام ٦٣٢ م كان مصادفا لـ ١٠ من شهر ربيع الأول، و أن هلال ربيع الأول كان اعترف ثلاثين يوما بدلا من تسعة و عشرين يوما. يقال انه اشتد به المرض هذا اليوم و أغمى عليه، و كان المرض على أشده يوم الأحد ثم أفاق شيئاًمّا صباح يوم الاثنين، و رفع ستار بيته و رأى أن الناس يصلون صلاة الفجر فضحك ببالغ الفرح و السرور حينما رأى هذا المنظر، فظن الناس أنه يريد أن يخرج من بيته، و كاد أن تختل الصفوف لو لم يكن أشار النبى صلى الله عليه و سلم إليهم و منعهم. و كان هذا آخر ما رأى الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و بقدر ما ارتفع النهار أخذت تسوء حاله، و كانت تتناوبه الغشية و الإفاقة بين فينة و فينة حتى دنا الوقت الذى يلحق فيه بالرفيق الأعلى، و تحركت شفتاه و سمع الناس أنه يقول :

" الصلاة و ما ملكت أيمانكم "(٦٢).

و فى ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ١١ (٦٣) بعد الظهيرة من يوم الاثنين (المصادف لـ ٨ من يونيو عام ٦٣٢ م) عادت لواء أسامة رضى الله عنه التى كانت قد وصلت إلى جرف، و غرزت أمام عتبة رسول لله صلى الله عليه و سلم.

الجدول التوقيتي لوفاة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم)

الوقائــــــع	التاريخ المدنـــــي	التاريخ اليوليوسي
الأمر بالتأهب لغزو الروم (٦٤)	٢٨/ صفر سنة ١١ يوم الإثنين	٢٥/ مايو سنة ٦٣٢م
	٢٩/ صفر سنة ١١ يوم الثلاثاء	٢٦/ مايو سنة ٦٣٢م
أول ما بدئ به من السقم (٦٥)	٣٠/ صفر سنة ١١ يوم الاربعاء	٢٧/ مايو سنة ٦٣٢م
إعداده اللواء	١/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الخميس	٢٨/ مايوسنة ٦٣٢م (٦٦)
	٢/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الجمعة	٢٩/ مايو سنة ٦٣٢م
	٣/ ربيع الأول سنة ١١ يوم السبت	٣٠/ مايو سنة ٦٣٢م
	٤/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الأحد	٣١/ مايو سنة ٦٣٢م
	٥/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الإثنين	١/ يونيو سنة ٦٣٢م
	٦/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الثلاثاء	٢/ يونيو سنة ٦٣٢م
	٧/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الأربعاء	٣/ يونيو سنة ٦٣٢م
قصة القرطاس ..	٨/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الخميس	٤/ يونيو سنة ٦٣٢م
	٩/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الجمعة	٥/ يونيو سنة ٦٣٢م
خطبته الأخيرة ..	١٠/ ربيع الأول سنة ١١ يوم السبت	٦/ يونيو سنة ٦٣٢م
شدة مرضه	١١/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الأحد	٧/ يونيو سنة ٦٣٢م
وفاته صلى الله عليه وسلم	١٢/ ربيع الأول سنة ١١ يوم الإثنين	٨/ يونيو سنة ٦٣٢م (٦٧)

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

تعريب : ولي أختر الندوى

الهوامش و المراجع .

١ - الطبرى ٣٨/٣ و ابن هشام ٢٠١/٣ و البداية و النهاية ٧٦/٤
٢ - الطبرى ٧/٣
٣ - انظر الصحيح البخارى باب غزوة ذى قرد
٤ - ابن هشام ٣٤٢/٣
٥ - الطبرى ٩١/٣
٦ - الواقدى /٤
٧ - و هذا إشارة إلى غزوة بنى لحيان و قد كتبت عنها بـ صراحة فى أصل الكتاب
٨ - البخارى باب غزوة ذى قرد
٩ - ابن هشام ٣٦٣/٣ و الطبرى ٣/-
١٠ - M S. MUIR Life of Muhammed P 378
١١ - و كان شهر رمضان حتى عام الفتح يجئ فى الصيف يعنى انه كان طبقا للتقويم المكى
١٢ - الطبرى ١١١/٣ و ابن هشام ٣٢/٤ و راجع أيضا ابن سعد ٩٧/٢
١٣ - ابن هشام ٣٨/٤ و ابن سعد ٩٧/٢
١٤ - ٩ ١ ، ٢ - أظن أن هذه الآيات كانت قد نزلت قبل فتح مكة التى كانت تحتوى انتقاض الاتفاقية، فإنه دون ذلك لم يكن من الممكن أى اجراء عسكرى ضد مكة
١٥ - ابن هشام ٤٣/٣ و انظر أيضا ابن سعد ٩٧/٢ و الطبرى ١١٤/٣
١٦ - ابن هشام ٤٢/٤، ٤٣، ٤٤ و ابن سعد ٩٨/٢ و الطبرى ١١٦/٣
١٧ - لو أراد أهل مكة لكان بإمكانهم أن يدافعوا عنها، ولم يكن المسلمون تمكنوا من اقتحام البلد إلى زمن طويل و مع أنه لا يوجد السور حول مكة المكرمة لكن التلال و الهضبات الصغيرة و الكبيرة تحيطها من نواحيها الأربع حتى صارت واديا محصنة و كان فيها غناء عن السور، لم يزل المقاومون يستفيدون منها عبر الزمن

قد عرف التاريخ ثلاثة حصارات لهذا البلد، كان أولها الذى كان قام به أبرهة قبل ظهور الإسلام و منى فيه بالفشل، و ثانيها الذى قام بـه حصين بن نمير فـى زمـن يزيد بن أبى سفيان و أخيرا لم يفلح و ثالثهما الذى قام به حجاج بن يوسف فى خلافـة عبدالملك، و استمر هذا الحصار ايضا إلى ستة أشهر و بعد لأى نجحت الجيوش الشامية فى مهمتها، إن هذه الحصارات الثلاثة قد كانت قامت بها الجيوش الفائقة المزودة بالأسلحة المفضلة و فى اثنين منها على الأقل كانت الجيوش - كما يثبت من التاريخ - استخدمت الأسلحة الماكينية اعنى المناجيق بحرية، فمن الواضح أن هذا الانتصار كان نتيجة الاستراتيجية الفائقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم و كفاءاته المميزة من الدهاء و تأليف القلوب و تغيير الأوضاع فى صالحه، التى أرغمت مكة على أن تستسلم فى يوم واحد و دون سفك دماء

١٨ - الطبرى ١١٦/٣ و السنن للبيهقى ١١٨/٩
١٩ - ابن هشام ٦٠/٤
٢٠ - ابن هشام ٥٥/٤، ٥٩ - و الديار بكرى ٨٥/٢، ٨٦
٢١ - الطبرى ١٣٩/٣
٢٢ - ابن سعد ٩٧/٢
٢٣ - ابن سعد ٩٩/٢ و انظر أيضا الديار بكرى ٨٧/٢

٢٤ ـ ابن هشام ٨٠/٤

٢٥ ـ ابن سعد ١٢١/٢ .

٢٦- و نص موير كما يلى

"It was winter when the fast was ordained and Mohammed probably then contemplated its being always kept in the same season in which case the prohibition to eat or drink during the day would not even for a month, have involved any extreme hardship In course of time, however, by the introduction of the lunar year, Ramadan graduly shifted till it reached the summer season, and then the prohibition to taste water from morning till evening became a burden heavy to bear"S W Muir Life of Mohammed, 1929, P 193

ادرسوا فكرة موير هذه ورأو ما هى النتائج الباطنة التى يمكن أن يستنتج بسبب فقدان التقويم المكى

٢٧ ـ المستدرك للحاكم ٤٣٤/١

٢٨ ـ الصحيح البخارى كتاب الصوم

٢٩ ـ المستدرك ٤٣٣/١ و انظر أيضا المسند للامام حنبل ٣٤٦٠/٥

٣٠ ـ ابن سعد ١٠٠/٢

٣١ ـ الموطا باب ماجاء فى الصيام فى السفر

٣٢ ـ المستدرك ١٤٢/١

٣٣ ـ و كانت غزوة حنين قبل هذه الغروة بثمانية أشهر فقط

٣٤ ـ ابن سعد ١١٩/٢

٣٥ ـ القران

٣٦ ـ و جاء فى الصحيح البخارى عن كعب بن مالك الذى لم يكن تمكن مـــن الحضور فى هذه الغروه "و المسلون مع رسول الله كثير" "و لا يجمعهم كتاب حافظ"

٣٧ ـ هذا التقدير مبالغ فيه شيئا

٣٨ـ ابن سعد ١١٩/٢

٣٩ ـ S W Muir Life of Mohammed, P 441, 442.

٤٠ ـ ابن سعد ١٢٠/٢

٤١ ـ ابن حبيب /١١٥

٤٢ ـ S.W Muir. Life of Mohammed, P. 439

٤٣ ـ سيرة النبى للعلامة شبلى النعمانى ٥٦٣/١

٤٤ ـ ابن هشام ١٧٦/٤

٤٥ ـ ابن هشام ١٧٦/٤

٤٦ ـ ابن هشام ١٥٩/٤

٤٧ ـ ابن سعد ١٢٤/٢

٤٨ ـ ابن سعد ١٢٤/٢

٤٩ ـ ابن سعد ١٢٦/٢

٥٠ ـ المصدر السابق

٥١ ـ قد اعترف أحمد رضـا خان البريلوى الذى كان له باع طويل فى علم النجوم بأنه من وجهة علم النجوم لا يقع يوم الجمعة فى ٩ من شهر ذى الحجة، لكنه ذهب إلى أنه كانت تمت رؤية الهلال

بطريقة غير منتظمة لقدرة الله تعالى، لكي تكون جمعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة المقدس، لكنى أرى أن هذا البحث لا يناسب هنا بأى طريق، فإن رؤية الهلال فى الشهور القمرية إنما تقتصر على الاعتراف بها أو عدمه لا غير

٥٢ - الصحيح البخارى كتاب بدأ الخلق

٥٣ - كتاب الأنواء لابن قتيبة /١٩

٥٤ - ابن سعد ١٣٦/٢

٥٥ - المصدر السابق

٥٦ - ابن سعد ٣/٣

٥٧ - ابن سعد ١٣٦/٢

٥٨ - إن المنجمين من أجل تسهيل الحساب فقط يعدون المحرم أصلا ثلثين يوما و صفر تسعة و عشرين يوما

٥٩ - ابن سعد ٣٦/٣

٦٠ - ابن سعد ٤١/٣

٦١ - ابن سعد ١٣٦/٢

٦٢ - ابن سعد ١/

٦٣ - فتوفى حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول - ابن سعد ١٣٧/١

و يوجد الخلاف فى تاريخ وفاة النبى صلى الله عليه و سلم فبعض المؤرخين يرجحون غرة ربيع الأول و الآخرون اليوم الثانى منه حتى جاء الواقدى بهذه الرواية الأخيرة فى كتابه، لكن أشهر روايته التى حظيت برضا معظم العلماء، هى ١٢ من شهر ربيع الأول، و أجمعت على هذا التاريخ جماعة كبيرة من العلماء، و تؤيده رواية الشيعة أيضا، فجاء فى الكليني ثم قبض لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول يوم الاثنين (أبواب التاريخ)، و بغض النظر عن هذا إن يوم الاثنين الذى تجمع عليه كلمة العلماء، لا يقع فى أى تاريخ غير ١٢ من شهر ربيع الأول، لا فى غرة الشهر و لا فى اليوم الثانى منه و جعل مارغوليوث يوم الاثنين ٧ من يونيو، و هو خطأ فإن يوم الاثنين يقع فى ٨ من يونيو عام ٦٣٢ م

٦٤ - الرواية تتضمن ٢٧ من شهر صفر و لعله خطأ حسابى للراوى، Margoliouth, Rise of Islam P 471

٦٥ - الرواية تحوى ٢٩ من شهر صفر الذى يبدو خطأ حسابيا للراوى

٦٦ - و هذا الخميس تبعا لحساب و ستنفيلد (بعد تسليم الشهر ٢٩ يوما) يقع فى الثانى من ربيع الأول و لكن إن سلم الشهر ثلاثين أو افترض أن أهل المدينة لم يكونوا تمكنوا من رؤية الهلال بتاريخ ٢٩ من الشهر الذى قبله، فتقع غرة الشهر يوم الخميس بالضبط و الذى يطابق الرواية تماما

٦٧ - و بعض المؤلفين الأوربيين مثلا مارغوليوث و ايچ، جى ويلز H.G WELLS و غيرهما جعلوا تاريخ وفاة النبى ٧ من يونيو، و ذلك غير صحيح البتة، فإن يوم الاثنين لا يقع فى ٧ بل فى ٨ من شهر يونيو

الحلقة الخامسة :

ندوة العلماء عبر التاريخ

بقلم: آفتاب عالم الندوي
استاذ ندوة العلماء لكناؤ

الدوائر و المجامع العلمية التابعة :

كان المسئولون عن ندوة العلماء و المعنيون بشئونها يتحملون بأنفسهم و على انفراد عبء مكافحة الغزو الفكري و مقاومة حملة المستشرقين و تضليلهم و تغذية الفكر الإسلامي و دعمه، فأغنوا القراء بثروة علمية طائلة، و أنشأوا بمؤلفاتهم القيمة مكتبة زاخرة، فظهرت خلال هذه الفترة مؤلفات تعد بحق دائرة المعارف في التاريخ و السيرة و الطبقات، و لكن كانت هذه الجهود موزعة غير منسقة، فشعر القائمون على حركة ندوة العلماء بتربية المؤلفين بإنشاء مجامع علمية و مراكز للبحوث الإسلامية و دور النشر و المكتبات العامة، و قد تحقق ذلك فعلا باذن الله، فتم إنشاء مثل بعض هذه المجامع إما بيد جمعية ندوة العلماء نفسها أو أنشأها أبناؤها على فكرتها، و استطاعت حركة ندوة العلماء أن تحقق عن طريق هذه الأكاديميات و المجامع العلمية أملها في خدمة الفكر الإسلامي و دعمه و بثه في الدوائر المثقفة و أوساط المسلمين العامة

مجمع "دارالمصنفين" :

مجمع " *دارالمصنفين*" أو " *أكاديمية شبلي*" يقع في بلدة أعظم جره، و هو أقدم الأكاديميات الإسلامية و أعظمها مكانة في شبه القارة الهندية، و يعتبر رائد ركب المؤلفين في الهند و الإفادة من المصادر العربية و الفارسية رأسا في لغة أردو، و له دور فعال في إنعاش حركة التاليف و البحوث العلمية الإسلامية في أنحاء الهند كلها.

أنشاه أحد قادة حركة ندوة العلماء و رواد النهضة العلمية الحديثة العلامة شبلى النعمانى ذلك المؤرخ الباحث الأمين و الكاتب المترسل القدير، و الشاعر المبدع و الناقد البصير، و المكافح القوى و المنافح الباسل عن عظمة الاسلام و مجده التليد، و هو الذي وضع خططه و مشروعاته و برامجه، و وقف حديقته الواسعة بما فيه داران إنجازا لهذا المشروع، و وقف ثلاث مائة كتاب، فكانت نواة مكتبة دارالمصنفين الواسعة، غير أن عاجلته المنية سنة ١٩١٤م من وضع الحجر الأساسى لبنايته، فقام بتأسيسه الشيخ حميد الدين الفراهى أحد أنجب تلاميذه و صاحب تفسير "*نظام القرآن*" و "*جمهرة البلاغة*" ثم تولى العلامة السيد سليمان الندوي تعهده و تنفيذ خططه و برامجه و هو الذي تولى الاشراف العلمي بعد وفاة العلامة شبلى النعمانى و الإشراف الإدارى الأستاذ مسعود على الندوي الذي له مساعدات عملية غالية لدارالمصنفين و الباحثين فيها و نصيب كبير في كل ما أنتجه أعضاء دارالمصنفين و هو كبير و كثير، و بقي الأستاذ في مجمع دارالمصنفين (بعد ما هاجر العلامة السيد سليمان الندوي إلى باكستان أخيرا ينوي خدمة هذه البلاد المسلمة الشابة) يخدم دارالمصنفين و يساعد رواد العلم و الباحثين إلى أن وافته المنية عن عمر يناهز الثمانين في عام ١٩٦٧م، و توالي على الإشراف على مجمع دارالمصنفين الندويون، و كان من أعضاء هذا المجمع البارزين، و من زملاء العلامة السيد سليمان الندوي الفضلاء الأستاذ عبد السلام الندوي، الذي يعد من نوابغ المؤلفين و الأدباء و الباحثين، و له مؤلفات كبيرة القيمة، أشهرها كتاب في حياة الصحابة رضى الله عنهم و سيرهم و أخلاقهم، أسماه "*أسوة صحابة*" في ثلاثة مجلدات، و قد ضم هذا المجمع العلمي صفوة من الكتاب الندويين الذين ألفوا في المواضيع الاسلامية من علم الكلام و التاريخ و الجغرافية، و السيرة و العلوم الاسلامية الأخرى، نخص بالذكر منهم الأستاذ معين الدين أحمد الندوي الذي تولى إدارة دارالمصنفين بعد أستاذه العلامة السيد سليمان الندوي، و الأستاذ رياست على الندوي، و الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن الذي مات قريبا، و آلت مسئولية إدارة دارالمصنفين بعده إلى الأستاذ ضياء الدين الإصلاحي.

خدمات المجمع و إنتاجه القيم : بدأ المجمع العمل فى إعداد «البحوث العلمية لتجلية الفكر الإسلامي و إحياء التراث العلمي للمسلمين، و قامت بتقديمها في أسلوب علمي رشيق يستهوى العقول و يصادف القلب هواه، و كان بجدته و رزانته و رشاقة العرض الأدبي نسيج وحده، و لذلك كان للبحوث التي أصدره هذا المجمع أثره العميق على الدوائر المثقفة في شبه القارة الهندية، و قد عاد كثير من هذه البحوث مراجع علمية في موضوعاتها، و وصف أصحابها بموضوعية البحث و روعة الأسلوب و الأمانة العلمية و الحياء الفكري، و اشتهر منهم بوجه خاص بعد العلامة شبلي النعماني

العلامة السيد سليمان الندوي، و الأستاذ عبـــد السلام النـــدوي و الأستـــاذ عبد الباري الندوي و الأستــاذ معين الدين الندوي و الأستــاذ أبو ظفـر الندوي و الآخرون ممن أسهموا فـــي تغذية الفكر الإســـلامـــي و دعمـــه و تطويـــره و إنعاش الحركـــة الإســـلاميـــة و الصمـــود في جميـــع محـــاولات الضليـــل و الإجهاض و التشويـــه، و استخدموا في ذلك جميع ما وهبهم الله مـن مواهب علمية و كفاءات و استعدادات فكرية و دعوية و إدارية.

أما الكتب التي أخرجهـــا المجمـــع العلمـــي دارالمصنفين فهي أولا *السيرة النبوية* في ستة مجلدات كبار، و هي موسوعـــة علميـــة في السيرة النبويـــة و مأثرة تاريخية خالدة سيعتز بها التاريخ الإسلامي مدى العصور ألف الجزء الأول و الثاني منها العلامة شبلي النعماني، و أتمها العلامة السيد سليمان الندوي، و ظهرت بعد هذه السيرة حلقات غراء من الكتب هي حصاد أقلام أعضاء المجمع في تاريخ الفكر الإســـلامي و تاريخ أعلام الإسلام من الصحـــابة و التابعين و نبغاء الإسلام، و صفوة العلماء و كبار المفكريـــن منهـــم، و اشتهر منهم بوجه خاص النقد على كتاب " *التمدن الإسلامي* " للأستاذ جرجي زيدان، و " *الفاروق* " و " *المامون* " الذان يبحثان فـــي حيـــاة سيدنا عمر بن الخطاب و حياة الخليفة العباسي مامون الرشيد، و هما أول ما كتب في موضوع السيرة الإسلاميـــة بلغـــة اردو، دبجهما يراع العلامـــة شبلي النعمانـــــي الرشيـــق السيال، كما نال القبـــول و التقديـــر منها "سير *الصحابة*" و حلقة رائعة للتاريخ الإسلامي بقلم الاستاذ معين الدين الندوي و كذلك ما ألفه العلامة السيد سليمان الندوي حول عمر خيام و تحدث فيه عن حياته و شعره مأثـــرة علميـــة و أدبية فـــي موضوع النقد و التحليل، و قد تم نقله إلى اللغة الفارسية في ايران، و له مؤلفات أخرى تعد بحق من انتصارات و إنجازات المجمع الغراء مثل " *ملاحة العرب*" "*صلات العرب بالهند*" و "*الرسالة المحمدية*"، و مما يعد في طليعـــة تاريخ نقد الشعر الأردي و أثرى الكتب فـــي هذا الموضوع هو كتـــاب " شعر *الهند* " للاستاذ عبد السلام الندوي، و " *گل رعنا* " للعلامة عبد الحي الحسني صاحب "*نزهة الخواطر*".

و لا يزال يسترعي الانتباه و يلفت أنظار الباحثين ما ألفـــه الأستـــاذ عبد الباري الندوي في موضوع الفلسفة و علـــم النفس و الاستاذ السيـــد صباح الدين عبد الرحمن في سيرة عدد من أئمة الإسلام المصلحين و تاريخ العصور المتوسطة للهند، و هناك طائفة أخرى من الكتب القيمة في التاريـــخ و الأدب و الفكر الاسلامـــــي و معظمها في الارديـــة قـــد نالت تجاوبا واسعـــا و استحسانا كبيرا في الاوساط العلمية و الدوائر الدينية و الأدبية في شبه القارة، و في الناطقين بلغة الضاد خارج الهند و باكستان التي قررتها في المنهاج الدراسي، و قد حظي عدد وجيه منها بنيل جائزة الحكومة التشجيعية.

مجلته " *معارف* ": أما مجلته "*معارف*" فهي تستحق أن تسمى عن

جدارة قمة الصحافة الإسلامية العلمية بالهند، و هى مجلة دينية علمية أدبية جامعة التزمت الدقة و الجدية في الأسلوب و خرجت عن المسار التقليدي في الصحافة المعروفة في تلك الآونة، و قدمت أسلوبا نموذجيا في الكتابة على المواضيع العلمية الفكرية المحضة، و تخرج فيها على هذا الأسلوب جيل بكامله، و كلماتها الافتتاحية التي تنشر بعنوان "*شذرات*" لها طابع خاص، و هى بمثابة سجل تاريخي حافل بالمعلومات الدقيقة، و تعد بحق موسوعة كاملة على اختلاف المواضيع و الظروف و المشاكل فبما أن "*معارف*" مجلة علمية محضة التزمت دائما نشر بحوث عالية المستوى على مواضيع إسلامية علمية متنوعة تستحق أن تسمى دائرة معارف، و من هنا فان الذي نشر له فيها بحث مرة واحدة يكون له ذلك بمثابة شهادة في الدوائر العلمية.

و من مزاياها البارزة أن الأهداف التي نشدتها في البداية، و الأسلوب الذي اتخذته، و الطريق التي سلكتها منذ أول يومها لم تنعدل عن ذلك قيد شعرة، حتى أنها لم تغير غلافها و مظهرها الخارجي منذ أول صدروها حتى الآن، و أصبحت في ذلك مثلا يضربه الناس، قال فيها شاعر الإسلام محمد إقبال

" إنها مجلة وحيدة، تزيد في القوة الايمانية." (١)

و قال فيها شاه معين الدين أحمد الندوي : "حشدت مجلة *معارف* بحوثا كثيرة على مواضيع علمية متنوعة بحيث يمكن بمساعدتها ترتيب موسوعة مستقلة على العلوم الإسلامية" (٢)

مكتبته : لا شك أن مكتبة دارالمصنفين الفنية العامرة تمثل القطب الذي يدور حوله رحى حياة و نشاطات هذا المجمع، و هى المكتبة التي أنشاها العلامة شبلي النعماني، و كانت كتبه نواتها الأولى، و لم تزل تتوسع و تتقدم بخطى حثيثة حتى أصبحت اليوم أغنى المكتبات و أثراها لذخائر الكتب النفيسة، و هى تحتوي الآن على آلاف الكتب، و فيها من الكتب الخطية التي يندر وجودها في المكتبات الأخرى، إن مكتبة دارالمصنفين موئل هام للباحثين و المشتغلين بالدراسة و التحقيق، فإنها توفر لهم معلومات و معارف قيمة و مواد غالية حول الموضوعات المختلفة المتنوعة للعلم و الأدب و الفلسفة و التاريخ.

و من الجدير بالذكر أن المجمع استقبل عددا وجيها من كبار العلماء و الباحثين و أصحاب الثقافات العالية دائما، و وفرت لهم فرصا سانحة للاغتراف من مناهلها العذب تباعا، فقد كان الباحثون عن جوانب العلوم و الآداب المختلفة و المعنيون بالدراسة و التحقيق و يختلفون إلى هذا المنهل العذب الصافي و يروون من ينابيعه الحلوة غلتهم العلمية و يقتطفون من ثمرات مئات من الكتب التي تزخر بالمعلومات الدقيقة و تحتوي على عصارة تجارب واسعة و التي لها قيمتها و أهميتها التي لا يستهان بها، و كان المجمع

يتمتع برجال يكونون عونا للمؤلفين و الكتاب و سندا لرواد البحث العلمي.

و لم يـزل يتمتع مجمع "*دار المصنفين*" بضم صفـوة من كبار الباحثين و العلماء و أصحاب الثقافات العالية الذين آثـروا الاشتغال بخدمـة العلـم و الأدب على مناصب كبيرة، و انقطعوا إلى النشر و التأليف، و ركضوا خيول أقلامهم الرشيقة السيالة في مضمـار المواضيـع الإسلاميـة من علـم الكلام و التاريخ و الجغرافية و السيرة، و زودوا الدوائر المثقفة بحصاد أقلامهم التي هى عصارة مئات من الكتب و جماع خبرات دقيقة و تجارب واسعة.

المجمع الإسلامي العلمي: مجمع علمى للدراسات الاسلامية و نشر الكتب القيمة النافعة، مقره في دار العلوم ندوة العلماء نفسه، أنشىء في عام ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٩م برئاسة سماحة الشيخ الندوي استجابة لحاجة الأمة الإسلامية الأكيدة إلى الدعوة الإسلامية الرشيدة و الصحوة الإسلامية الجديدة و لمكافحة تيار الردة الفكرية و حملاته المفرضة في الطبقات المثقفة، و معالجة قضايا المسلمين الفكرية و مشاكلهم المتجددة التي حدثت باحتكاك الشعوب الإسلامية بالشعوب الأوربية و توغل المدنية الغربية في أعماق المجتمعات الإسلامية.

تأسيسه: كان المجمع العلمي الذي أنشاه العلامة شبلي النعماني قد استقطب جهوده على موضوعات إسلامية علميـة يضغط عليها الطابع التاريخ، و قد نشأت مشاكـل و تطورات في العالم الإسلامـي مثل دعوات القوميـة و الفلسفات المعاصرة و الردة الفكرية و التيارات السياسية العارمة و الموجات الالحادية الجارفة التي تهدد الفكر الإسلامي النزيه بالخطر المحدق، فشعر الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي بهذه الحاجة الملحة و أسس مجمعه العلمي الذي اختار مقر عمله في ساحـة دار العلوم ندوة العلمـاء لوضع البحوث الفكريـة و الدعوية القوية في مجالات تقتضيها أوضاع المسلمين الراهنة و مشاكلهم الفكرية و السياسية و الاجتماعية و الكلامية و التشريعية و لاعداد مواد قراءة تقوم بشرح رسالة الإسلام و صلاحيته للقيادة في العالم المتغير بأسلوب عصرى جذاب في مختلف اللغات العالمية و الهندية و غيرها من اللغات الحية، فبينما كان مجمع " *دار المصنفين* " يركز جهوده على اللغة الأردية ركز المجمع العلمي الإسلامي اهتمامه على وضع البحوث الإسلامية و نشرها في لغات مختلفة كالأردية و الهندية و العربية و أعار اللغة الإنجليزية عنايته الخاصة.

مجالات عمل المجمع و أهدافه : إن الأهداف السامية التي يتبناها المجمع تتبلور في التالي:

(١) إنتاج الأدب الإسلامي القوى الجميل و إعداد مواد قراءة ذات القيمة العلمية الكبيرة، و الأسلوب العصري الرشيق في اللغات العربية و الانجليزية و الاردية و الهندية و غيرها و نقلها من لغة إلى أخرى و إخراجها في مظهر جميل جذاب.

(٢) إيصال هذه الكتب و النشرات إلى الاوساط العلمية و الدوائر المثقفة في المسلمين وغيرهم.

(٣) الاتصال بهذه الطبقة و رجالها و تفقد انطباعها و مدى تأثرها بإنتاجنا و تنميته عن طريق الالتقاءات و المقابلات و المراسلات و النوادي و الحفلات.

نظام المجمع : "*المجمع الإسلامي العلمي*" مجمع مستقل في نظامه و منهاج عمله يمارس نشاطاته و يقوم بخدماته بكل أمانة و نزاهة علمية و بعيدة عن كل انحياز فكري و تحزب سياسي و تعصب مذهبي، و له دستور أساسي تخضع له جميع أعماله.

رئيس المجمع سماحة الشيخ ابو الحسن على الندوي و المجلس التنفيذي يؤلفه كل ممن يلي

١ - شيخ محمد منظور النعماني

٢ - الشيخ مولانا معين الله الندوي

٣ - الدكتور اشتياق حسين قريشى

٤ - الأستاذ محمد رابع الحسني الندوي

٥ - مولانا عبد الكريم باريكهـ

٦ - البروفيسور خليق أحمد نظامي

٧ - مولانا ضياءالدين الإصلاحي

٨ - الأستاذ السيد جميل الدين احمد

٩ - الأستاذ محمد تقي فاروقي اللكنوي

١٠ - مولانا واضح رشيد الندوي

١١ - الأستاذ السيد غلام محي الدين

و السكرتير هو مولانا محمد رابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية بدارالعلوم ندوة العلماء.

و المجمع يعني - بجانب النشر و التأليف - بتوثيق الروابط مع الأوساط المثقفة و نيل مساعداتها العلمية، و قد يرسل لذلك الوفود و يقوم أصحابه بالجولات إلى خارج الهند.

إنجازات المجمع و إنتاجاته: بدأ المجمع بنشر المؤلفات الإسلامية التي تزود القراء بالفكرة الإسلامية النقية في أربع لغات بوجه عام، و هى الأردية، و العربية، و الإنجليزية و الهندية، و قد وفق المجمع حتى الآن لتقديم أكثر من مأتى كتاب، صدر أكثر من مائة منها لأول مرة ، و نالت هذه الكتب تقديرا و استقبالا كبيرا في أوساط العلم و الفكر في العالم الإسلامي، و أهمها "*الإسلام و العالم*" و "*رجال الفكر و الدعوة في الإسلام*" في حلقة مستقلة. و "*الاركان الأربعة في الاسلام*" ، و كلها للأستاذ الندوي، و "*كتاب الدين و العلوم*" بحث علمى قيم في حجم كبير في صلة الدين بالعلوم التجريبية

و هو للأستاذ المرحوم عبد الباري الندوي، نشره المجمع باللغة الأرديـة، و كتاب *"الدين و الشريعة"* للأستاذ محمد منظور النعماني، و *"الاسلام يتحدى"* للأستاذ وحيد الدين خان، و كان وضعه أصالة في اللغة الأردية تحت برنامج المجمع و إشرافه.

و من الجدير بالذكر أن المجمع أولى اللغة الإنجليزيـــة إهتمامـه الخاص و ركز جهوده على نشر البحوث الإسلامية في تلك اللغة، فقد بلغ عدد المطبوعات الإنجليزية إلى أكثر من ٣٠ في موضوعات متنوعة، و ذلك لأن المسلمين و إن عكفوا على دراسة اللغة الانجليزية منذ قرن واحد و ظهر منهم فيها أدباء و كتاب يضارعون أبناءها نطقا و كتابة، لكنهم لم يمثلوها في مجال الأدب الإسلامي و المؤلفات الإسلامية، مما أدى إلى تعرض النشء الإسلامي للتيارات الإلحادية و الموجات الصارمة من الشك و الاضطراب، يقول في ذلك الأستاذ واضح رشيد الندوي بشيء من الوضوح.

> *" و من الواقع الغريب أن اللغة الانجليزية التي عكف المسلمون على دراستها منذ قرن في الهند، و برع فيها كتاب، و أدباء يناهضون أبناءها في حذقها و الكتابة فيها، لم تنل نصيبها المتوقع من الأدب الإسلامي و المؤلفات الإسلامية، فكان فراغا جني على النشــء الإسلامــي المثقف جنايــة كبيرة، و جعله فريسة التيارات الالحادية و موجة الشك و الاضطراب، فنشر هذا المجمع عدة مؤلفات قيمة في اللغة الانجليزية، انتشرت في العالم الاسلامــي، و في القارات الثلاث، إفريقيـا (الجنوبية) و أمريكا و أوربا التي تتكلم الانجليزية، و صدرت عدة طبعات منها، و لن يكون من المغالاة في القول إنه لا يوجد مجمع علمى إسلامي آخر أضاف إلى المكتبة الإسلامية باللغة الانجليزية هذه الثروة الغنية الواسعة، و قد نالت هذه المؤلفات الاعجاب في الاوساط العلمية في الهند و خارجها، و علقت عليها الصحــف و المجلات الانجليزية المحترمة في الهند و خارجها و اعترفت بقيمتها العلمية و الأدبية اعترافا كبيرا، و أثنت عليها ثناءا عاطرا، و بعض هذه الكتب فريد في موضوعه " (٣)*

و لم يقم المجمع بهذا العمل القيم لغرض مادي أو تجاري، بل إنه لم يضع هذا الغرض موضع الاعتبار في أى وقت من الأوقات و إنما يستهدف المجمع خدمة الفكر الإسلامي و انعاش الدعوة الإسلامية و البعث الإسلامي في المجتمع الإنساني، و قدم لتحقيق هذا الهدف النبيل مطبوعاته و نشراته القيمة إلى مختلف نواحي العالم كهدية لم يكترث فيها بأى اعتبار مالي، و ركز اهتمامه على خدمة الإسلام، و قام بتوزيع نشراته على هيئات و منظمات الطلبة في

قارات أوربا و إفريقيا بالاضافة إلى العالم الإسلامي للتوجيه الذهني و الفكري و الديني باللغة الانجليزية و ساعد في وقاية نور الإسلام و الإيمان و قلوبهم و أقام معهم اتصالا بالمقابلات و المراسلات و إرسال الوفود لتوجيههم الفكري و العقلي و تشجيعهم.

فلا شك أن المجمع مارس نشاطات هائلة و بذل إهتماما كبيرا في سبيل تحقيق أهدافه الواسعة و برامجه للنشر و البحوث الفخمة، و نظرة في قائمة مطبوعات المجمع تدل على ضخامة إنتاجه و فخامة إنجازه كماً و كيفاً، و تنوع الموضوعات التي تعالجها هذه الكتب و حسن إخراجها، و تبرهن على مجهود هذا المجمع الوليد رغم قلة الوسائل و قصر المدة، و يكفي للشهادة على هذا الانتاج القيم سرد قصاصتين من رسالتين للدكتور يوسف حسين خان و مولانا شاه معين الدين أحمد الندوي المشرف على إدارة دار المصنفين الأسبق:

" إن الخدمة العلمية الدينية التي يقوم بها المجمع العلمي الإسلامي تستحق التقدير و الاستحسان " (٤)

" ان الكتب القيمة التي نشرها المجمع رغم قصر المدة لموضع غبطة للمؤسسات القديمة، زاده الله تقدما و ازدهارا مستمرا" (٥)

دار الافتاء: تعتنى دار العلوم بمسائل و مشكلات شرعية للمسلمين في الهند، و تهتم بالإجابة على رسائل تتضمن استفسارات شرعية و قضائية.

لم تكن حركة ندوة العلماء مقتصرة على إصلاح المنهج العلمي و المقرر الدراسى فحسب، كما يتجلى ذلك من الفصول السابقة، بل إنها وضعت نصب عينيها نواحي اجتماعية مختلفة من الحياة، و اتخذتها كمجال من مجالات عملها، و كان من تلك المجالات و الأهداف إنشاء دار الإفتاء على المستوي العالي إرشادا للمسلمين و توجيها لهم فيما يواجهون من أوضاع اجتماعية و مدنية متغيرة، و ذلك لأن القائمين على ندوة العلماء و المعنيين بشئونها أولى الفضل و المكانة السامقة و أصحاب الضمائر المشرقة و الأفكار النيرة كانوا يدركون أن الفقه الإسلامي يحمل في طيه مرونة و سماحة زائدة و صلاحية شاملة منقطعة النظير يجب استغلالها لصالح دين الناس و دنياهم، و كانوا يتفطنون من أول يوم برزت فيه ندوة العلماء إلى أن الأمر لا يزال يزداد خطورة و أهمية بتغير الأوضاع الاجتماعية و الأحوال المدنية يوما فيوما.

و من الواقع الغريب أن الحياة عندما كانت بسيطة ساذجة قليلة المشكلات قصيرة المرافق نال الفقه الإسلامي نصيبه الموفور من التدوين و الترتيب و التبويب و التطوير، و على العكس من ذلك عندما شهدت الحياة الإنسانية تطورات هائلة و تغيرات واسعة، و رقت حواشيها أضعافا مضاعفة و تكثفت مشكلاتها و تنوعت حاجاتها و اقتضاءاتها رجعوا ليبرهنوا على أن الفقه صلب جامد خشيب لا يقبل أي تعبير و تبديل، و أنه محكم ثابت كأحكام الآيات القرآنية و ثباتها المبرم.

و تفوس بناة الندوة لهذا الخطر المحدق، و وجهوا اهتمامهم إلى هذا القطاع، حيث نرى أن الشيخ السيد محمد علي المونكيرى الذي كان يشعر بمدى أهمية هذا الأمر و خطورته الزائدة بوجه خاص، قد سلط الضوء على هذه القضية بكل ثقة و حماس في الاحتفال العام المنعقد في لكهنؤ عام ١٣١٢هـ و ألقى كل من مولانا عبد الحق حقاني و مولانا شاه سليمان الفلواروي الكلمة الضافية في تأييده، غير أن هذا الاقتراح لم يحظ بالتنفيذ و التطبيق في ذلك الوقت.

ثم ضغط الشيخ مولانا السيد محمد علي المونكيري مرة ثانية على قيام دارالافتاء بقوة أكثر في حفلة المجلس التنفيذي عام ١٣١٣هـ بعد عام بكامله، فاولاً عالج هذه القضية بشيء من التفصيل من الوجهة العلمية و الدينية ثم قال:

> " *إن المشكلة التي ذكرتها عن الفقه أمامكم إنما هي تتصل بالناحية العلمية، و هناك مشكلة أخرى بالنسبة إلى علمائنا، و هي أنهم ليسوا بمطلعين على الأوضاع و الملابسات، و معرفتهم بالشئون الدنيوية شيء لا يسمن و لا يغني من جوع، و يستحيل لهم معالجة القضايا و تسوية المشكلات، و الفقهاء عندما يصرحون بأن الاحكام تتغير بتغير الزمان فان ذلك يقتضي أن يكون المفتي على معرفة بأوضاع الزمان*" (٦)

و بعد ذلك قدم الشيخ خطة شاملة و مشروعا محكم الأسس واضح القسمات لدار الإفتاء، يتضمن هذا المشروع إحدى عشرة مادة، تدل نظرة عليها على مدى تبحره العلمي و بعد نظره و ثقوب بصيرته و نفوذها، و ألقى الشيخ منشى أطهر علي كلمة قيمة مفصلة في تأييد ذلك بكل قوة و ثقة و حماس.

و بذلك تم إنشاء دار الافتاء تابعة لندوة العلماء، و يتضح بتقرير الاحتفال العام المنعقد بكانفور عام ١٣١٥هـ أنه قد تم في ذلك الرد على ٥٦٥ استفسارا حول مسائل الفقه الاسلامى، و كان من بينها ٤٧ استفساراً يحمل صعوبة زائدة و تعقدا كبيرا، و تم علاوة على ذلك دراسة ٤٣ استفسارا و تحققه من قبل ندوة العلماء نفسها.

على كل فان دارالإفتاء لم تزل تشهد التقدم و الازدهار بضم صفوة من كبار المفتيين الحاذقين ممن لهم معرفة صحيحة و عميقة بطبيعة الإسلام و روح الشريعة الغراء و قوانين الإسلام و شرائعه و خبرة دقيقة بقضايا الحياة و أوضاع الزمان، و بذلك استطاعت ندوة العلماء أن تسد فراغا هائلا بما يحدث من مشكلات و مسائل مستجدة للمسلمين و ما يرد من استفسارات شرعية و قضائية مختلفة و أكثر من يقوم بالعمل فيها هم رئيس قسم الفقه في دارالعلوم و مساعدوه فانهم يقومون بالإفتاء و تسوية مسائل شرعية في هذه البلاد الواسعة و الرد على استفسارات حول مسائل الفقه الإسلامي.

مقررها في ساحة دارالعلوم نفسها، و بنايتها الجديدة، في رحاب دارالعلوم ندوة العلماء الواسعة في دور بناء و الإكمال.

أكاديمية البحوث الشرعية: تتكون من كبار علماء الهند لدراسة المسائل الفقهية و معالجة المشكلات الحديثة في ضوء الفقه الإسلامي.

لقد وضع فقهاء الإسلام تأمينا لمصالح الحياة الدينية و الدنيوية خمسة أسس و مبادىء، و هي حفظ الدين و النفس و العقل و النسب و المال، و إن الشريعة الإسلامية تجعل جلب المنفعة و دفع المضرة موضع الاعتبار في الأحكام و التكاليف الشرعية، حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

مَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيْدُ لِيُطَهِّرَ كُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ (المائدة-٦) يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ. (البقرة-١٨٥)

و يقول شيخ الإسلام عزالدين عبدالسلام." التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم و أخراهم." (٧)

و تناول كل من الإمام إبن القيم في " *إعلام الموقعين* " و العلامة شاطبي في *الموافقات* " و شيخ الإسلام شاه ولي الله الدهلوي في "*حجة الله البالغة* " تناولوا القضية بالشرح و المعالجة، أما ابن القيم فعبارته ما يلي.

" إن الشريعة مبناها و أساسها على الحكم و مصالح العباد في المعاش و المعاد " (٨)

فبعد تفهّم البشارة القرآنية و المبادي الخمسة للفقه الإسلامي و هذه التصريحات الواضحة من أئمة الإسلام و روح الشريعة الإسلامية يتضح بعد كل ذلك على الجميع أن الصلاحية الجامعة و المرونة الفريدة التي يتمتع بها الفقه الإسلامي يجب ان تستغل لما فيه صالح الناس في دنياهم و أخراهم.

دوافع نشأتها و أهدافها: انطلاقا من هذه الوجهة الدينية الشاملة و استجابة لبعض عوامل هامة، منها التدخل السافر في الأحوال الشخصية الإسلامية و فرض الأحوال الشخصية الموحدة، و التحامل على الشريعة الإسلامية الغراء و إثارة الشكوك من قبل "المتجددين" و "المتنورين" حول جدارة الإسلام بمسايرة ركب الحياة المعاصرة المتطورة تولت ندوة العلماء إنشاء أكادمية لدراسة القضايا الفقهية و وضع البحوث الشرعية المكثفة و معالجة المشكلات الحديثة في ضوء الفقه الإسلامي، و دحض الشبهات الركيكة و ردها ردا مؤسسا على دراسة علمية جادة و تحقيق موضوعي رزين.

و قد أنشأت ندوة العلماء هذه الأكادمية فعلا باسم "*أكادمية البحوث الشرعية*" عام ١٩٦٣م مؤلفة من كبار علماء الهند و باحثيها أمثال الأستاذ الشاه معين الدين أحمد، و المفتي عتيق الرحمن عثماني، و المفتي محمد ظفيرالدين، و الشيخ تقي الدين الأميني، و الشيخ محمد منظور النعماني، و الشيخ سعيد أحمد اكبرأبادي، و الشيخ برهان الدين السنبهلي، و الشيخ محمّد اويس الندوي، و الأستاذ ابوالليث الندوي، و الأستاذ محمّد اسحاق

السنديلوى عميد دار العلوم ندوة العلماء.

و هي تعمل تحت إشراف و توجيه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي. و قد أشرف علي أمور في أول الأمر الأستاذ تقي الدين الأميني، غير أنه غادر إلى عليجزه ليكون مشرفا على قسم الدراسات الشرعية السنية هناك، فخلفه الأستاذ اسحاق السنديلوى الندوي عميد دار العلوم ندوة العلماء الذي خدمها بخبراته الواسعة و كفاءاته العلمية مع القيام بعمادة شئون الطلاب، إلى أن مسئولية أمانتها العامة سنة ١٩٧١، رجعت إلى الأستاذ برهان الدين السنبهلي أستاذ التفسير و الحديث في دار العلوم ندوة العلماء فأحسن القيام بمهمته نحو الأكادمية، و أتقن دوره في ترقية الأكادمية و توسيع مجالاتها كأمينها العام، حيث أدخل بعض التعديلات الهامة المفيدة في وجهة عملية الأكادمية مما جعلها أكثر نفعا و أكثر خدمة و أعظم فائدة.

خدماتها: عنيت الأكادمية فيما عنيت بإماطة اللثام عن وجوه الأكاذيب التي تلصق بالشريعة الإسلامية، فقد تصدى الشيخ برهان الدين السنبهلي ـ بحكم إشرافه على الأكادمية ـ للرد على الحملة التي شنّها بعض الرجال على الأحوال الشخصية الإسلامية و وضع عدة مقالات قيمة حول تأمين الضمان للأحوال الشخصية الإسلامية و إحكامها و تعميمها.

و قد عقدت الندوة عددا من الندوات الدراسية في الموضوع، و أصدرت بعض الأبحاث الفقهية القيمة مثل *"التأمين و الديون الرسمية"* و *"روية الهلال"* لمؤلفهما الأستاذ برهان الدين السنبهلي، و قد أصدرت مؤخرا كتبا قيما يبحث في مسائل الأحوال الشخصية الإسلامية من فسخ النكاح و الوراثة و الطلقات الثلاث و تعدد الأزواج و الولاية و خيار البلوغ و المنكوحة الصغيرة، أصدرته باسم *"مسائل الأحوال الشخصية الإسلامية في ضوء دين الفطرة"* لمؤلفه الأستاذ برهان الدين السنبهلي.

إن المواضيع و القضايا الحساسة التي عالجتها الأكادمية و عقدت لها الندوات و أجرت حولها النقاش كثيرة لا تحصى، غير أن بعض منها تحتل أهمية خاصة، و قد شغلت الباحثين و الكتاب و لفت انتباههم طويلا، و هي كما يلي:

زرع الأعضاء البشرية، شرعية استعمال الدم الإنساني و بيعه و شراؤه. حق التصنيف و التأليف، إنشاء بيت المال و شرعيته، شرعية التأميم، حكم الزواج المدني و شرعية الأولاد الناتجة منه، شرعية تحديد النسل، شرعية طفل الأنبوب، تحديد أوقات الصلاة و الصيام في المناطق غير المعتدلة، شرعية التعيين المسبق للعيد و صوم رمضان في مثل أقطار أوربا و أمريكا.

و قد تم نشر معظم هذه البحوث القيمة في المجلات الموقرة في الهند، و نالت إعجاب الباحثين في الأوساط الإسلامية المثقفة، و لاسيما البحوث التي تتصل بالتأمين و البنك و الديون الرسمية، فقد أشادت بها عدة شخصيات

بارزة في الهند و خارجها أمثال فضيلة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة و الشيخ صالح الحصين و غيرهما.

و هذه الأكادمية ترد إليها استفتاءات علمية فقهية من أنحاء الهند و خارجها، و من البلاد الأوربية مثل انجلترا و كندا و من امريكا بعض الأحيان، و تدور هذه الاستفتاءات حول القضايا المتجددة المعقدة، التي تطلب الحل الناجع في الفقه الإسلامي، و قد بلغت هذه الاستفتاءات مئات من العدد، كما استغرقت معظم أجوبتها أكثر من عشرين أو ثلاثين صفحة، و هى غير تلك الاستفتاءات التي ترد كل يوم و ترسل أجوبتها من " *دارالإفتاء* " لدارالعلوم.

إن الجهود و العنايات البالغة التي تبذل من قبل هذه الأكادمية لتؤشر على أنها ستوسع مجالاتها أكثر و تقدم خدماتها بنطاق أوسع في معالجة المشكلات و القضايا التي يوجهها المجتمع الإسلامي بحكم الحياة المعاصرة المتجددة.

و هناك مجامع علمية للبحث و التاليف و النشر أنشأها خريجو دارالعلوم ندوة العلماء، و هم يديرونها حسب إمكانياتهم المحدودة، و هى منتشرة في أنحاء الهند، فبعضها في وسطى الهند و بعضها في جنوبيها، و بعضها في جهات أخرى.

شعبة التعمير و الترقي : و احتاجت ندوة العلماء بناءا على أنها مؤسسة شعبية تقوم على التبرعات الشعبية المسلمة و مساهمة أغنياء المسلمين إلى قسم للاتصالات الدائمة بطبقات الشعب الإسلامية في أنحاء الهند و مدنها، و احتاجت إلى قسم للنشر و التعريف بندوة العلماء و قسم لإخراج الكتب و نشرات تخص المناهج الدراسية و التعليم و تبحث في مواضيع فكرية و علمية تساعد على تفسير أهداف ندوة العلماء و أغراضها الإسلامية السامية، كما احتاجت إلى قسم للتشييد و البناء كذلك، يقوم بإنشاء المباني و إدارة الشئون البنائية في المدينة الجامعية.

فبناءا على ذلك قامت ندوة العلماء بانشاء قسم باسم شعبة التعمير و الترقي تمكنت بمساعدته من تحقيق عدد كبير من برامجها و مشروعاتها المتجددة كل يوم بمقتضى التطورات المستمرة فى حقول الدين و الثقافة و التعليم.

و لكن "شعبة التعمير و الترقي" يرجع تاريخها إلى أقدم من ذلك، فقد كان هذا القسم الجامع لجميع الأقسام التي ذكرناها أنفا يقوم بخدماته و يمارس نشاطاته الهامة قبل ذلك بكثير باسم "جمعية معين *الندوة*" و كانت مجلة "الندوة" الشهيرة تنشر في دورها الثالث نشاطات هذا القسم و أوضاعها المتجددة باستمرار، يسلط عليها الضوء عبد السلام قدوائي الندوي بعنوان "أوضاع دارالعلوم ندوة العلماء". فيقول :

" معين الندوة" أقدم قسم من أقسام ندوة العلماء ، و لكن اعتراه الخمول

و الذبول منذ عدة أعوام ماضية، ثم أعاره العاملون اهتمامهم و جهودهم مرة ثانية منذ أربع سنوات، و الزمن زمن عمادة مولانا عمران خان الندوي فبذل قصارى جهده و قام بجولات دعائية مكثفة ، إلى أن آلت إليّ مسئوليته بعد مغادرته إلى مصر، فبفضل هذه الجهود عاد القسم يساعد ندوة العلماء شيئا كثيرا، و لكن مست إلى تنظيمه و تطويره و بذل جهد أكثر فتم تفويض مسئولية هذا القسم إلى زميلنا مولانا حامد علي الندوي الذي كان يليق بهذا العمل أكثر". (٩)

ظل "معين الندوة" يخدم ندوة العلماء بعقد حفلاته في نواحي البلاد و إنشاء فروعه المختلفة في كبرى المدن، إلى أن تقدم أضعاف ماكان عليه في السابق، و عرف فيما بعد في عهد مولانا الدكتور السيد عبدالعلي الحسني باسم "شعبة التعمير و الترقي" سنة ١٩٥٨م ، و استهل خدماته و نشاطاته من جديد.

و قد يلقي على ذلك ضوءا كثيرا ما ورد في الدفتر الثالث لتقارير المجلس التنفيذي عند افتتاح هذا القسم التابع لدارالعلوم ندوة العلماء.

"احتاجت ندوة العلماء بناءا على حاجاتها المالية المتصاعدة و تكثف أعمالها و مشروعاتها المتجددة بمقتضى التطورات المستمرة في حقول الثقافة و التعليم و البناء احتاجت إلى العناية الخاصة بتوفير الثروة، فان ندوة العلماء لم تكن تتمتع بنظام مستقل لتوفير الثروة، كما أنها لم ترزق سفيرا ناجحا ذا تأثير و نفوذ بعد مولانا غلام محمد الشملوي، فكان فراغ في النشر و التعريف بندوة العلماء، فبناءا على ذلك كله قامت ندوة العلماء بتنظيم جديد لشعبة التعمير و الترقي، الذي كان موجودا من قبل". (١٠)

مجالات عمل "شعبة التعمير و الترقي" : أما مجالات عمل هذا القسم فهي التعريف بندوة العلماء و نشر أهدافها النبيلة و توفير الثروة و إرسال الوفود و السفراء و تعهد أعمالهم و تزويدهم بالزاد العلمي و الخلقي، بالإضافة إلى تحقيق مشروعات ندوة العلماء البنائية و التقدمية الأخرى.

فاستخدمت "*شعبة التعمير و الترقي*" تكنالوجيا توطيدا لإقتصاد و توفير الثروة و نظمت السفراء و المبلغين الذين يقومون بالجولات الدعوية النشطة إلى مناطق مختلفة للبلاد، فيعرفونهم برسالة ندوة العلماء و ما تنشده من أهداف و أغراض سامية، و يشرحون أمامهم أهمية ندوة العلماء و حاجتهم الملحة إليها التي ظهرت حقيقتها اليوم أكثر من كل يوم مضى، و قد تكللت - و لله الحمد أولا و آخراً - هذه الجهود المتواصلة بالنجاح الموفور، حيث صادفت رسالة ندوة العلماء و أهدافها هوى في القلوب و النفوس و بدأت حلقة كبيرة تعني و تهم بشئون ندوة العلماء و تتحمس لها.

"*شعبة التعمير و الترقي*" مقرها في ساحة دارالعلوم نفسها، و لها هيئة

توظيفية مستقلة، و يشرف عليها مولانا محمّد معين الله الندوي من أغسطس عام ١٩٥٨م إلى أن ارتفع اعترافا بخدماته وتقديرا لجهوده إلى مساعد الأمين العام لندوة العلماء و خلفه مولانا عبدالسميع الندوي.

و لهذه الشعبة مطبعة تقوم بأعمال الطباعة، و مكتبة تجارية تقوم بالنشر و التوزيع، و جريدة أردية نصف شهرية ـ قد سبق ذكرها ـ تعتني بنشر أخبار نشاطات دارالعلوم ندوة العلماء و غيره من الأعمال ، و هي تسمى بـ "تعمير حيات" و لها انتشار واسع و تأثير كبير في طبقات أبناء اللغة الأردية المسلمين.

مباني ندوة العلماء و ساحاتها: تقع ندوة العلماء في الجانب الشمالي من نهر "جومتي" في مدينة لكناؤ عاصمة الولاية الشمالية، و تقع في ناحية هذه النهر الجنوبية أكثر محلات لكناؤ، فتقع ندوة العلماء بذلك في طرف من الأطراف الواسعة من مدينة لكناؤ ، و تتمتع بجو جميل و هدوء و انقطاع طيبين، و تجاور منطقة ندوة العلماء من جانبيها الشرق و الشمالي كليات عديدة و جامعة للتعليم المدني المعاصر.

و تحتوي منظمة ندوة العلماء على عدد من المباني و الساحات، منها المبنى الرئيسي الفخم العظيم الذي يقع على ضفة النهر مطلا عليه مشتملا على غرف للتعليم العالي و عمادة شئون الطلاب و قاعة للمحاضرات بنيت على شكل فخم جميل و مطبعة، و هو يعد بطرازه التعميري الخاص من النوع الإسلامي النموذجي الخاص، و قد أبدى فيه بعض كبار الأدباء العرب عن انطباعهم بقولهم و إنها مثل قصور الأندلس.

و منها بناية المدرسين الابتدائية و الثانوية ذات ثلاث طوابق و قاعات، و قد تم بناؤها على مكان القديمة منها.

و منها جامع ندوة العلماء الكبير الذي يتسع لعدد كبيـــر من المصليـــن، و هو على طراز أنيق فخم يخلو من القباب و يحمل منارتين جميلتين، و قد شملته التوسعة أخيرا، فزاد ذلك في جماله، غير أنه بدأ يضيق الآن لتصاعد عدد الطلاب، و مست الحاجة إلى مزيد من التوسيع و البناء.

و يوجد بجوار هذا الجامع الواسع "دارالضيافة" جميلة للضيوف، و بناية مخزن العيادة الفخمة ذات طابقين لتوفير التسهيلات الطبية المختلفة.

و منها المبنى الحديث الفخم الواسع بثلاثة طوابق لمكتبة "شبلي" العامة المشتمل على قاعة كبيرة واسعة و غرف واسعة للدراسة و البحث و التحقيق بالإضافة إلى القاعات و الغرف التي تضم أكثر من مائة ألف كتاب ما بين مجلد و غيره و مطبوع و خطي.

و من مباني ندوة العلماء مبنى المجمع العلمي الإسلامي بثلاثة طوابق يشتمل على مكتبة عامة و غرف واسعة للدراسة و التحقيق، و بنايات الصالون للطعام و المقهى و بنايتان للمطبخ التابع لدارالعلوم ندوة العلمـاء،

و المبنى الجديد لدار القضاء بجوار مبنى المدرستين الابتدائية و الثانوية ذات طابقين و لايزال فى دور البناء و التكميل و قد أنشئ أخيراً مبنى كبير ذات طابقين يتضمن مكاتب "*شعبة التعمير و الترقي*" و "*مجلس النظاميـة*" و البنك و مكتب البريد و "*البعث الإسلامي*" و "*تعمير حيات*" و حركة "*رسالة الإنسانية*" و المكتبة الندوية التجارية ، و أما مبنى مكتبة صحيفة "*الرائد*" فيقع منفصلا عن كل ذلك قبالة مبنى المجمـــع الاسلامي قريبا من مكتبة "*شبلي النعماني*"

و بالإضافة إلى كل ذلك تشتمل منطقة دار العلوم ندوة العلماء على ميدان واسع للعب، و على أماكن عديدة لرياضة الأطفال و لعبهم، و تقع بجنبها بنايات للقسم الداخلي و أبنية السكن للمدرسين و الموظفين و أصحاب المسئوليات المختلفة، و عدة حدائق و منتزهات فسيحة و جميلة تقدم مناظر بهيجة تثلج رويتها الصدور و تقر العيون.

و يحيط بكل ذلك سور من جميع جهاته يحفظ المنطقة و يحدها من بين المحلات المجاورة لدار العلوم ندوة العلماء

و للبحث صلة ...

الهوامش·

١ - شيخ عطاء الله : اقبال نامه ص /١٢٠.
٢ - حياة سليمان ص / ١١١
٣ - حركة ثقافية توجيهية ص / ١١، ١٢
٤ - رسالة تعريف بالمجمع الاسلامى العلمى ص / ٩
٥ - المصدر السابق.
٦ - "پيام ندوة العلماء" (رسالتها) لمؤلفه محمد الحسني ص/ ١٢٠.
٧ - المصدر السابق.
٨ - المصدر السابق.
٩ - مجلة "الندوة" عدد / مارس ١٩٤٠م
١٠- الدفتر الثالث لتقارير المجلس التنفيذي

الواقعية
عند الفلاسفة المسلمين
و
معيارها العام و مدارجها و معنوياتها
في الحقائق المختلفة الأنواع

بقلم: محمّد عبدالسّلام خان
عميد المدرسة العالية براصفور آنغا

قبل أن نتحدث عن مفهوم الواقعية و معيارها العام عند الفلاسفة المسلمين يجدر بنا أن نقدم وجهة نظرهم عن الوجود و الكون حتى يسهل فهم معنى الواقعية و معيارها عندهم.

بداية الوجود و الكون :

ليُعلم أن الوجود و الكون بديهي أوّليّ من أجلىٰ البديهيات فكل واحد يعرفه و يعلم و لذا لا يمكن بالحد الحقيقي عندهم فعلمه مقدم على كل علم، حاصل لكل عاقل عالماً كان أو جاهلاً فما تعريفاته إلاّ شروح اللفظ لغويا، مثلا الوجود هو الكون أو (في الفارسية) هستى أو (في الأردوية) *هونا*. (١)
أما أن الحقائق الخارجية أى المعلوم أصل و العلم أو الصور الذهنية تابع و فرع لها ، أو أن العلم أى الصور الذهنية أصل و المعلوم أى الحقائق الخارجية تابع له و فرع، فمذهبان حديثان قد نشئا من افتكار *دى كارتى* المعروف *افتكرُ فانا* موجود و المتقدمون كلهم كانوا يذعنون أن الحقائق الخارجية أو المعلوم أصل و العلم بها أو الصور الذهنية تابع له ، و الحكماء المسلمون منهم. (٢)

الإطلاعات العديدة للوجود :

تطلق الوجود على معان عديدة متميزة فقد يطلق على المقولات الكونية أي الأجناس العالية من الجوهـــر و الكـم و الكيـف و الفعل و الانفعـال ، و متى و أين و الوضع و الملك و الإضافة ، كأنه تعبير آخر عن الكائنات عامة و قد يطلق على الصادق و يترادفه أي المطابق بالواقع المحكي عنه مثلاً زيد موجود أو الطبيعة الإنسانية أي الإنسان الذي هو كلي طبيعي ، موجود ، و المرادان لهما وجوداً خارجياً واقعياً يطابقانه و يصدقان عليه و الإطلاق الثالث للموجود يختص بالحقيقة الخارجية و بهذا المعنى كل الحقائق، الجوهرية و العرضية موجودة أي لها وجود خارجي بذاتها و بنفسها ، أما الحقائق العرضية فعرضيتها لا تناقض وجودها بذاتها لأن عرضية العرضيات ليست باعتبار أنفسها بل بالقياس إلى غيرها من الماهيات فلا معنى لكون الماهية بنفسها ثم عرضيتها أي كونها لا بنفسها و هل هذا إلاّ تناقض.(٣)

انقسام الوجود إلى الوجود الخارجي و الذهني:

ينقسم الوجود باطلاقه الأول إلى قسمين: الخارجي و الذهني ـ الوجود الخارجي هو الوجود الخارج عن مشاعرنا أي ليس محله أذهاننا و مشاعرنا أي هو هو ، شعرنا أم لم نشعر و لا يتوقف على وجودنا ، فضلاً على مشاعرنا مثل الحقائق المحسوسة بحواسنا الظاهرة ، فسواءً يشعر بها أحد أو لا يشعر هي موجودة بانفسها أما الوجود الذهني فهو عبارةعن الوجود في مشاعرنا ، محله أذهاننا و مشاعرنا فلولا أذهاننا و قواها الشاعرة لعدم وجودها مثلاً الحقائق التصورية التي ظرف وجودها الذهني فقط نحو الإنسان النوع أو الحيوان الجنس المقيدان بقيد النوع و الجنس و هما موجودان ذهنيان فاذا لم يكن ذهن أو شعور بها عدمت وجودهما فاذن يتوقف وجودهما على علمنا بهما و ينحصر على شعورنا بهما. (٤)

أما مرتبتهما في ميزان الوجود فالوجود الخارجي أصل و أول و أسبق، ماخذ الوجود الذهني ، و الوجود الذهني ظل له و مؤخر عنـه و مأخـوذ عنـه ـ و سيأتي أن حامـل الآثار و المحكي عنه للأحكـام الحقيقيـة هو الوجود الخارجي و الوجود الذهني خال عن خصائص الحقيقة الواقعية. (٥)

انقسام الوجود الخارجي إلى الجوهر و العرض :

ينقسم الوجود الخارجي إلى قسمين: الجوهر و العرض ، فالجوهر هو الموجود الذي لا يحتاج في وجوده إلى موضوع أي محل مستغن وجوده عن الحالّ

فيه و يوجد بنفسه من غير أن يحلّ في موضوع حلولاً سريانياً أو طريانياً كالجسم و أجزائه التركيبية من المادة و الصورة و العقل و النفس . أما العرض و إن كانت له وجود بذاته لكنه لا يوجد إلاّ مندمجاً بالجوهر و تابعاً له و سارياً فيه كالسواد و البياض أو طارياً عليه كالنقطة و الخط ، فوجودها بذاتها هو وجودها في موضوعاتها و لذا لا توجد إلاّ في جسم و ليست بتابعــة لشعورنـا و إدراكنا ، ندرك أو لا ندرك ، نشعر أو لا نشعر فإنها هى هى ، و تابعيتها فباعتبار غيرها لا باعتبار نفسها. (٦)

العرض الانضمامي و الانتزاعي :

العرض نوعان ، نوع يتميز و يعرف منفصلا عن محله و يستطيع الوهم أن يميّزه عن محلّه رغم سريانه فيه أو طريانه عليه مثل السواد و البياض فان لهما وجودا ملصقا بجسم و محتفظا بوجودهما المتميز عن الجسم و مثل هذا العرض هو العرض الانضمامي ، و هناك اعراض لا تتميز عن محالّها من حيث أنها سار أو طار و لا يستطيع الوهم أن يفصلها عن محالّها ـ في الخارج وجود جوهري فقط لكن بحالٍ ينتزع و يستنبط منه العرض، حالاً فيه غير تابع لشعورنا و إدراكنا كالفوقية و التحتية فلا وجود لهما منفصلاً و متميزاً من محالّهما بل هما وضعان خارجيان لها يستنبطان منهما و ينتزعان عنها و لا يتوقفان على استنباطنا ، سواء كان مستنبط أو نازع أو لم يكن فوجودهما بنفسهما غير تابع لشعورنا. (٧)

الواقعية :

لعلما اتضح من تفصيل اطلاقات الوجود أن الواقعية و غير الواقعية إنما تتعلقان بالإطلاق الثاني للموجود ، فان الموجود بالإطلاق الأول من الحقائق التصورية الساذجة الغير المشتملة على حكم و حكاية حتى بالوجود و الواقعية، (نعم إطلاقنـــا الموجود يشتمـــل على الحكم الضمني ، و الواقعيـــة الخارجيـــة و الذهنية و غير الواقعية بحسبه فيعود إلى الإطلاق الثاني) و الواقعية إنما هى مطابقة حكم و حكاية لنفس الأمر و الواقع و غير الواقعية عدم المطابقـة ، و حيث لا حكم و لا حكاية لا مطابقـة و لا عدم المطابقـة مثلا: إنســـان و ســـواد و غيرهما من التصورات الساذجة فهما لم يكن معها حكم على الأقل بوجودها بأنفسها فـــلا معنى لكونها واقعيـــاً أو غير واقعي و صادقاً أو غيـــر صـــادق و الإطلاق الثالث للموجود كالأول فان الموجود بهذا الإطلاق هى الحقائق الخارجية منفردة ساذجة من غير حكم و حكاية ، و الواقعية و اللاواقعية بدون الحكم و الحكاية غير معقول . أما الإطلاق الثاني للموجود ، المترادف للصادق

فمشتمل على الحكم و هو حكاية و تحتمل أن تكون مطابقة أو غير مطابقة لنفس الأمر أو المحكي عنها فتصدق أو تكذب و تكون واقعية أو غير واقعية. و بذا الإطلاق هو المتعلّق للواقعية و اللا واقعية و لابدّ لها من عيار يعاير به الواقعية من اللاواقعية. (٨)

مناط الواقعية عند الفلاسفة المسلمين :

قد سبق أن مناط الواقعية و اللاواقعية هو مطابقة الحكاية بنفس الأمر أو المحكى عنه و لا مطابقتها به فلابدّ لها من محكي عنه. و الحكاية قد تكون عن الخارج كقولنا الشمس طالعة و قد تكون عن الذهن كقولنا الإنسان نوع و قد تكون عن الحقيقة و نفس الماهية من غير خصوص الظرف كقولنا الأربعة زوج و الزوايا الثلاث للمثلث مساوية للقائمتين فان كانت الشمس طالعة في الخارج كانت الحكاية صادقة و واقعية و إلا كاذبة غير واقعية ، و المفهوم من الإنسان في الذهن إن كان مقولاً على كثيرين متفقين بالحقيقة فالحكاية صادقة ، واقعية و إلاّ فكاذبة غير واقعية و حقيقة الأربعة إن كانت بحيث تنقسم بمتساويين من غير كسر فصادق و واقعي و إلاّ فكاذب ، غير واقعي و حقيقية الزوايا الثلاث للمثلث إن كانت بحيث يتساوي بالقائمتين فالحكاية صادقة واقعية و إلاّ فكاذبة غير واقعية.

و لما كانت واقعية الحكاية أو القضية أو الحكم متوقفة على واقعية علمنا و معرفتنا بها فتنتهض مسئلة العلم و ما هو صوابه ـ فعلومنا بعضها بديهيات و بعضها نظريات ـ البديهيات حقائق تصوريةً كانت أو تصديقية لا تحتاج حصولها إلى النظر و الفكر أى ترتيب معلوماتنا بنهج خاص يوصل إلى مجهول تصوريّ أو تصديقي ، و النظريات يتوقف حصولها على النظر و الفكر ـ أما منتهى النظريات و مقطعها هى البديهيات إذ الأحكام البديهية هى الأحكام الصادقة المطابقة للواقع من غير شك و شبهة ـ و من البديهيات أوليات يضطرّ العقل الإنساني بتصديقها و واقعيتها لذاتها و لا تكون مكتسبة عن غيرها بل تكون وصلة لاكتساب غيرها مثلا الإثنان أزيد من الواحد ، و منها محسوسات بالحواس الظاهرة كالشمس أو باحساس باطنى كالجوع و منها فطريات يحتاج تصديقها إلى واسطة لا تغيب عن العقل قطّ كزوجية الأربعة فالتصديق بها بواسطة انقسامها على متساويين من غير كسر و لكن الواسطة حاضرة عند العقل لا تغيب في وقت ما . الحاصل أن الحقائق و الأحكام اللاتي تكنّ منها أو منقطعات عليها بواسطة أو من غير واسطة يقينية واقعية ، فأساس الصدق و الواقعية هو إفاضة الفطرة أو العقل الفعّال أو العقل ثم المشاهدة بمعونة العقل. (٩)

مرجع الواقعية :

قد علم مما سبق أن مرجع مطابقة الحكم للواقع و نفس الأمر كون الأحكام من الأوليات التي تضطرّ العقل إلى تصديقها أو نهايتها إلى تلك الأحكام . فاذا لم يكن الحكم منها فكونها من الفطريات أو منقطعة عليها ثم كونها حكاية عن المحسوسـات بالحواسّ الظاهـرة أو باحساسنا البـاطن أو منتهيـة إليهـا و النظر الغائر يدل أن الفطريات و المحسوسات هما المشاهدات بالحقيقة فتعود الواقعية إلى الأوليات و المشاهدات. و المشاهدات مصادر حقيقية لجميع علومنا و معارفنا فان التصورات الذهنية التي غير ماخوذة من مشاهداتنا أي الموجودات العينية الخارجية إما كاذبة أو اختلاقات و اختراعات ، و الإطلاق الحقيقي و الابتدائي للعلم عليها ، و الحواس طرق تتوسل بها النفس الإنسانية إلى العلوم و المعارف ، أما إدراك الكليات فباستقراء الجزئيات الخارجية المشاهدة و تفحصها و تتبّعها بدقـة و تعمـق ، فان المشاهـدة قد تـكون خدعة و ضلالاً فحكم الواقعية عليها بالإطلاق لا يصح. فلابد للمشاهدة أن تكون مستوعبة كاملة تامةً مراراً و تستعان بالعقل لتتخذ المشاهدة صورة الواقعية و تخرج عن احتمال الخدعة و الضلال . أما الأوليات فهي أحكام يقينية يكون التيقن بها بدون بحث و تفحص و فكر، فمن يتيقن بها لا يشعر أنه قد مضى عليه وقت و هو خال عن التيقن بها أو جاز الخلو عنه في وقت مّا حتى أن طفلاً لم يبلغ الحكم متمتع بالعلم بها و يوتيه الخالق العلم بها تلقائياً لا يحتاج إلى الحواس و لا إلى القصد و الإرادة و لا يشعر بحصولها. فمن الملاحظة عامة أن الطفل الرضيع لا يحاول أخذ شيء من مكان شاغل بغيره ، لأن الخالق قد ألهمه بـأن الشيئين لا يحـلاّن في محـل واحد بعينه. فأســاس علمـــه هو استعـداده و صلاحيته ثم موهبة اللّه تعالى الذي نقش العلوم الإبتدائية الضرورية على لوحة قلوب صافية. و من البديهي أن النقوش التي سجّلتها النقاش المبدع الأول القديم إن كانت غير واقعية فهذه كلمة كبرت في جنابه و تعالىٰ اللّه عن ذلك علوا كبيرا.

الف : مستويات الواقعية ، مدارجها و أصنافها:

قد سبق أن للواقعية مستويين: الخارجية أو العينية و الداخلية أو الذهنية و إن المستوى الأول للوجود الحقيقي أو الحسّي و الثاني للوجود الظلي و التبعي الذي يرجع من ناحية مّا إلى الوجود العيني و الخارجي، أما رتبها فالأول منهما مقدم و أعلى و أزيد و الثاني موخر و أدنى و أنقص، ثم الواقعية الخارجيـة صنفـان : الواقعيـة الجوهرية و هى مستقلة غيـر حالّة في موضوع ، أصل، و الواقعية ال... ضية غير مستقلة بنفسها ، حالّة في موضوع و تابعة له

أما الواقعية الذهنية فمعقولات أولى و هى صور الموجودات الخارجية يأخذه العقل من الخارج بعد تعريتها عن العوارض الخارجية و تتبعها المعقولات الثانية التي تعرض للأولى في الذهن ثم الثالثة و الرابعة عوارض الذهنية و الثالثة و كلها من عمل العقل في ظرف التعرية و الخلط ، و الأولىٰ منها أصل و البواقي فروع و توابع.

الحقائق المختلفة و واقعيتها :

قد سبق أن المعاني مادامت صورا ساذجة عارية من الحكم و الحكاية لاتبرز سوال واقعيتها و لا واقعيتها و حالما حكم عليها أو حكى عنها تصير تصديقات و قضايا هليات بسيطة أن حكم عليهما بالوجود و هلّيات مركبة أن حكم بغيره من الصفات بعد الوجود ، سواء كانت التصورات رياضية أو طبيعية أو ما بعد الطبيعة أو اجتماعية أو متعلقة بالفنون الجميلة فتكون مطابقة لنفس الواقع أو غير مطابقة لها ، صادقة أو كاذبة ، واقعية أو غير واقعية و لا فرق بينها بحسب مرجع الواقعية و اللا واقعية إلاّ أن المرجع في الحقائق الطبيعية و الحسيّة العالم المحسوس المشاهد و في الحقائق الرياضية. عوارض الكم المتصل أو المنفصل و هما من الحقائق العرضية يحتاجان في وجودهما الخارجي إلى الموضوع الجوهري و في الفنون الجميلة الحس الجمالي و في الاجتماع الاجتماع البشري و في القضية اللسانية اللسان. أما الاختلاف فهو بحسب الوجود لا بحسب الواقعية و اللاواقعية فمرجعهما كما سبق واحد و هو المطابقة و اللامطابقة بالمحكي عنه ، فواقعية وجود الشمس و القمر و غيرهما من الظواهر الطبيعية لا تختلف عن واقعية الحقائق الرياضية و الاجتماعية و الجمالية و اللسانية إلاّ بحسب الوجود.

معنى واقعية المكان و الزمان و المكانيات و الزمانيات :

قد سبق غير مرة أن مفهوم الواقعية عند الفلاسفة المسلمين هو المطابقة للواقع المحكي عنه و هم يعنون بالمطابقة كون الموضوع في ظرف الحكاية و الحكم بحيث يصح أن ينتزع عنه المحمول في ذلك الظرف من غير اعتبار معتبر و لحاظ ملاحظ.

الف : المكان عند جمهور الفلاسفة السطح الباطن للجسم الحاوي المماس بالسطح الظاهر للجسم المحوي المحيط به بكل نواحيه و زواياه ، و لا يستثنون منه إلاّ فلك الأفلاك فوضعه ينوب مناب المكان ، و المكان بهذا المعنى موجود

خارجي حقيقة و عرض قائم بالجسم الحاوى. يزعم بعض أصحاب التحقيق أنه بُعد مجرد عن خصائص الجسم سوى الطول و العرض و العمق. و مثل هذا البُعد واقعي أم وهمى ففيه آراء مختلفة فعلى رأى من يرى المكان بُعدا موهوما لا وجود للمكان حقيقة و ليس له واقعية و أما على الرائين الأولين فالمكان، حقيقة خارجية ـ جوهرية أو عرضية ـ موجود واقعي كسائر الحقائق الجوهرية و العرضية. و أياً ما كان، الجسم يتمكن فيه و ينتقل عنه طبعا أو قسراً. أما المكانيات فأجسام طبيعية لها وجود جوهري واقعي.

ب: الزمان عند عامة الفلاسفة المسلمين كم متصل ، غير قار، مقدار للحركة ، قديم ، لا أول له و لا آخر فاذن هو مقدار حركة جسم لا تنقطع ابـدا و أزلاً تقدر السكون و الحركة سريعة كانت أو أسـرع ، بطيئـة كانت أو أبطـأ و هذا الجسم فلك الأفلاك الذي حركته المستديرة دائمة. فالزمان مقدار حركة الفلك معدل النهار، سار في حركاته السارية في الفلك الأطلس، و وجوده عندهم وجود خارجي عرضي بحسب الواقع قائم بموضوعه كسائر الأعراض الواقعية و عند بعض أهل التحقيق الزمان قدر لنفس الوجود الذي يقدّر الساكن و المتحرك معا و بتقديرهما يقدّر نفس الوجود و هو ليس بعرض منضما بالوجود و إنما هو انتزاع عقلي عن الوجود نفسه، واقعي بحسب الخارج و اعتبار للنسبـة التي هي بين وجود هو أكثـر أمدا و بين وجـود هو أقل أمدا و استمرارا و على هذا لا وجود للزمان تجريديا كما ليس له هوية ذاتية قائمة بنفسهـا بل هو نسبـة شيء يقبل التغيـر و الزوال إلـى شـيء لا يقبلهمـا و عندي لهذه الفكرة تعبير آخر و هو أن الزمان قدر ماخوذ و مقياس مستنبط من استمـرار شئون البـارى تعالى جلّ مجده تقـدر بـه الوجـود و العـدم و تقـاس به الحركات و السكونات، و شئونه تعالى بنص: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مستمرة أزلا و أبداً فالزمان مستمر أزلا و أبدا. و الوجودات جوهرية كانت أو عرضية، خارجية كانت أو عقلية شئـون من شئونـه المستمـرة أزلا و أبداً السائدة عليها لا تخرج عنه شيء سار مثل الوجود في الجميع بل هي وجود بنفسه.

فالزمان على رأى جمهور الفلاسفة عرض قائم بالحركة المستديرة السرمدية و حقيقة خارجية بحسب الواقع و نفس الأمر أما الموجودات فبعضها جواهر و بعضها أعراض و مرجع الواقعيـة واحد في الزمـان و الزمانيـات و الرأى الآخر لا تختلف عن الأول بحسب الواقعية العرضية.

و ليتذكر أن الواقعية تكمن في كون ذات الموضوع بحيث يصحّ عنها انتزاع الوصف المحمول. و هذا معنى قولهم أن الموضوع هو نفس المحكي عنه.

مسئلة العلم

الف : مرجع الصدق و الكذب :

الصدق و الكذب من عوارض القضية و الحكم فاذا كان موضوع القضية و الحكم بحيث ينتزع عنه المحمول بحسب الواقع فالقضية صادقة و الحكم مطابق لنفس الأمر و إلاّ فالقضية كاذبة و الحكم غير مطابق لنفس الأمر مثلا: زيد شاعر، قضية و حكم محكي عن الخارج و بيان لحقيقة خارجية فان كان زيد في الواقع بحيث تنتزع عنه الشاعرية فالقضية أو الحكم صادق و إن لم تنتزع فكاذب. و قولنا الحيوان جنس، قضية و حكم محكي عن الواقع الذهني و بيان لحقيقة ذهنية فان كان تصور الحيوان في الذهن بحيث تنتزع عنه الجنسية أى الصدق على كثيرين مختلفين بالحقائق فالقضية أو الحكم صادق و إلاّ فكاذب. فمرجع صدق القضية أو الحكم و كذبها هى المطابقة بالمحكي عنه و اللامطابقة في ظرف الحكاية.

مرجع العلم الصحيح:

لا معنى للصحة و الخطأ في العلم التصوري ، و إنما الكلام في العلم التصديقي فهو الذي يكون صحيحا و خطاءً. أما التصديقات الأولية و الفطرية أو المشهودة المحسوسة مرة بعد مرة مستعانة بالعقل فقد اتضحت صحيتها مما مرّ. فاحتمال الصحة و الخطأ كليهما يتأتى في التصديقات النظرية. و حصول التصديقات النظرية يكون بالنظر و الكفر بمراعاة قوانينها الفطرية قد دوّنت في كتب المنطق فاذا حصلت بمراعاتها فصحيحة و إلاّ فمحتملة الصواب و الخطأ. و تفصيل قوانين التحصيل و ما لها و ما عليها و تعديد أغلاطهم لاتتسع هذه المقالة الموجزة فمن شاء فليرجع إلى كتب المنطق ، فصول البرهان و الأغاليط.

ب: صحة العلم بالإطلاق ؟ و نموّه و تطوّره يوميا :

علمنا لم يبلغ إلى كماله و لعله لن يصل إليها ، فانه لا يزال ينمو و يتطوّر وفق نمو العقل و تطوراته و اتساع مجال العلم يوما فيوما و لما لم يبلغ الإنسان إلى كماله العقلى و نهايته العلمي و بن يبلغ، فكيف ينتهي العلم إلى غايته ثم إن العلم يكتسب بترتيب معلوماتنا المخزونة لدينا و مرجعها النهائي المشاهدات أو الأوليات و الانتقال الذهني إلى النتائج فجاة الذي يسميه فلاسفتنا بالحدس و يقولون إنه فيضان العقل الفعال و إلهام منه

و يرون التعداد القابل علة مادية لـه و العلم ينمو فالمعلومات تزيد ساعة فساعة و الاستعداد لايزال يترقي و لم يغلق باب الفيضان ، و المشاهدة تستمر أكثر دقة و عمقاً و اتساعـاً و احتـواءً فالعلم في مراحـل التغيـر و التطـور و الرقى لا إلى نهاية و الموجود قطرة من الباقي و لعلّ نصيب البشر أن يظل شاكيا قلة العلم و أن يحظ بإزاحة الستار عن وجـــه عروسة الكمـال و حظاً أبى علي سينا أن يتخبط في غبار ناقة ليلى و لن يتشبث بأذيالها أبداً.

المناهج المختلفة لتحقيق العلوم المختلفة :

مما لاشك فيه أن مناهج التحقيق تختلف باختلاف العلوم ، تتنوع السبل و تتبدل الأمارات و الدلائل لكنها تبقى مقيّدة بقيود القوانين الفكرية الفطرية من التمثيـل و الاستقـراء و القيـاس بالخصـوص من قوانين الاستقـراء و التمثيل. رغم اختلاف المناهج و المواد تبقى بينها رابطة مّا و يعاون بعضها بعضـاً فليست مناهـج تحقيق علـم الألسنة و موادها مناهج تحقيق علم طبقات الأرض و موادها أما قوانين الاستخراج فليس فيها اختلاف يعبأ به.

اللغة و الفكر و الواقعية

العلاقة بين اللغة الشفوية و الكتابية و الأسبقية بينهما:

إن الموضوع له الألفاظ عند الفلاسفة المسلمين هو الصّور الذهنية الماخوذة من المحسوسات و بعض المتأخرين يجعلون الحقائق نفسها من غير خصوص الظروف من الخارج و الذهن موضوعاً لها. أما مدلول النقوش المكتوبة هو الألفاظ الشفوية فالعلاقة بينهما علاقـة الـدال و المدلول، النقـوش دالـة و الألفاظ الشفوية مدلولة و هى سابقة على النقوش فان الموضوع لشيء يجب أن يكون سابقا عليه و إلاّ يكون الوضع للمعدوم المطلق و هذا ما لا يقبله العقل.

الوحدات الابتدائية للغة و التصور و التصديق :

الألفاظ و الجمل وحدات اللغة فان اللغة تتحلل إليهما. أما الأسبقية الحقيقية و الفعلية فلعل الجمل هى الأصل و الأسبق لأن الأصوات الإنسانية التي هى مواد تركيبية للألفاظ و الجمل قد مثلت و أبلغت صورة كاملة للإحساس الداخـلي للبشـر القديم المورث للإنسـان الحديث فهى كـلام و جمـل معنـى و مقصودا بادئ بدء و هذه الأصوات الدالة على المعاني المقصودة صارت جملا تحللت إلى الألفاظ ثم تنوعت أسماء و أفعالا و حروفـاً و غيرهـا طبق لغـات

و أجيال و شعوب. و الذين يقولون إن الموضوع له الألفاظ هى الصور الذهنية فموقفهم على الأصوات الدالة أى الألفاظ قريب بالقياس و جدير بالقبول. أما التصور و التصديق فينبغي أن لا تكونا مختلفين عن الألفاظ و الجمل. فالتصور مقدم على التصديق بعد التحليل و علومنا و معارفنا المدونة تساوقان التحليل.

العلاقة بين اللغة و المفهوم و أساس الترادف:

العلاقة بين اللغة و المفهوم و المعنى أن اللغة دالـة و المعنـى مـدلـــول ، و الانتقال من الدال إلى المدلول أو الصور الذهنية فطري، تارة بدون قرينـــة و تارة بقرينة قريبة أو بعيدة تحددان المفهوم و تعينانه بدون تشبهة أو بشبهة. الأصل أن تدل الألفاظ و الجمل على المفهوم بالمطابقة. و لا يصرف النظر عن الـدلالات التضمنيـة و الالتزاميـة فتقصـد بهمـا المـراد أحيـانا أمـا المجاز و الاستعارة و الكناية تقصد بها المراد لكن بالقرائن و لم تكن دلالتهـا قطعيـة و يجب الاحتراز عنها في لغة العلوم و الفنون إلاّ أن تصير الدلالة قطعية بصيرورتها مصطلحات عامة او خاصة

الذين يراعون الفروق الجزئية في الكلمات و العلاقات الدقيقة فيما بينها و مواضع استعمالها و مدلولاتها تاريخيا و ثقافيا و معيشة و اجتماعا هم ينكرون الترادف على الإطلاق و الذين هم يرون الترادف فعندهم مرجع الترادف هو عرف العامة و الخاصة و تفاهمهم و قاموسهم هو الذي يمثل عرفهم و تفاهمهم و ما يعنونه من الألفاظ و يتفاهمون بها عامة و لم يبالوا بخصائصها بحسب الأوضاع الثقافية و التاريخية و غيرها و لم يعبأوا بدقائق استعمالها و لم يكترثوا بتوافق السباق و ترافق السياق و اكتفوا بالاشتراك العمومي في المفهوم و المعنى. و السيـاق و السبـاق و مواضـع الاستعمـال و قرائن الحال تعين في توحد مفهوم الألفاظ العديدة.

المنطق و الاستدلال و الإنتاج

الف : اثبات مقدمات الدليل و إبطالها:

إذا كانت مقدمة دليل أى قضيـة هى جزأ مـن دليـل ، بديهيـة أوليـة أو فطرية أو مشاهدة في ثابتة فعلا و إنكاره و منعه مجادلة و مكابرة. أما إذا كانت خفية فكفىٰ بها إيضاحاً و كشفا و إذا كانت نظرية و كسبية فيجب إثباتها بالقياس البرهاني أو الاستقراء أو التمثيل بالشروط التي قد دوّنت في كتب المنطق و أصول الفقه و كذا يجب توضيح تصوراتها و مفرداتها بالحدود و الرسوم إن كانت نظرية فانها دَعاو كالدعوى الأصلية.

أما وجوه بطلان الدليل فعديدة مثلا خطأ من ناحية اللفظ بأنه قد استعمل فيه لفظ مشترك في معان متعددة و المعنـــى الذي أريد فـــي مقدمـــة لا يصلح أن يراد في مقدمة أخرى فلا يتكور الحد الأوسط فلا ينتج أو بأنه أريد باللفظ المعنى المجازي ، أو الأوسط محمول و موضوع مثلا على طريق التجـوز. و خطأ من ناحية الصورة بحيث لا يفي بالشروط المطلوبة في المقدمات. و خطأ من ناحية المادة بحيث مادة المقدمات ليست يقينية بل خطابية أو شعرية فلا ينتج الدليل نتيجة يقينية برهانية. أما الأغلاط في الاستقراء و التمثيل فمثلاً عدم استيعاب الجزئيات و عدم المبالاة بالشرائط التي قد عددت في كتب المنطق الاستقرائي ، أو عدم الملاحظة لشرائط إثبات العليـــة بطريق الدوران أو السبر في التمثيل و قد فصلت في كتب أصول الفقه.

و هناك وجوه أخرى لإبطال الدليل مطلقاً كالنقض الإجمالي و التفصيلي و المعارضة و بيّنت في علم المناظرة و أصول الفقه.

ب ـ وحدة قوانين الفكر و الاستدلال و الاختـلاف بين العقـلاء و المفكرين:

قد سبق أن أصول الاستدلال و الاستخراج فطرية لا يخالفها عقـل عاقل و لا يعارضها فكر مفتكر. فكل من يثبت مطلوبا أو يبطل مدّعى أو يرتب مقدمات يستند إلى هذه الأصول و يستدل و يعلل و يردّ وفق هذه القوانين، يشعر أو لا يشعر. أما الفروق الجزئية فلا بأس بها فليس لها تاثير يعبأ به.

يبدو أن نفس المناهج الفكرية الآن كما كانت أما الأهمية فما زالت تتبدل ، فزماناً كان الاهتمام بمنهاج من هـذه المناهـج و زماناً بآخـر منهـا ، و الاختيار و الترك تمثلان الرقى الفكري فرفضـوا بعض المبـادي و الشروط و اختاروا مكانهمـا بعضـاً آخـر و ظنّ بعضهم التجـاوز عنهـا خطـاءً فكريـاً و مازالوا يلمون بشانها. و الرفض و الاعتناء ما حوّلت أصول القوانين فانها من مبتكرات الفكر الإنساني. قد وصلت اليها بعـد عثرات في غيـاهب الفكـر و تجارب أثناء سلوكهم في ميادين الكسب و النظر لا من مبتكرات فكر ارسطاطاليس اليوناني فحسب و هو مدونها لا مصنفها كما نصّ عليه حكماؤنا، و نسبت إليه بمحض تدوينه و جمعه لها.

إن كان هذا حقاً إن الفترات الزمانية و المكانية و الاختـلافات الشعبية لاتخل باستعداد الناس لاكتساب المجهولات و قواتهم العقلية نعم تفترق بالزيادة و القلة و الرعة و البطوء فهى متشابهة متماثلة أساسيا فيجب أن تكون تفاهيم و تصاميم فكرهم و تخطيطات تعقلهم متشابهة متماثلة و فعلا هى مشاهدتنـا فانا نفهم خطبـات مفتكـرى الشعوب و الأقطـار و النواحـى و الألسنة من غيـر خصوص و استثنـاء و نقرأ آرائهم في موضوعـات شتى و نقبل مقاصـدهـم و دعـاويهم و آرائهم و ترفض و هذا كلـه في ضوء دلائلهـم و نفس المخطط و الأصـول للفكـر يساعـد فـي هــذا القبـول و الرفض فلو لم تكن مجارى الفكر و خطوط الفهم متجانسة لكانت كلها ثرثرة

و زمجرة بمجرد الاختلاف زماناً أو مكاناً و لا يكون معنى للردّ و القبول.

رغم المتجانسة الفكرية العالمية و تفاهم بعضهم بعضاً و تشابه مصادرهم و مراجعهم قد اختلفت الأفكار الآراء و المسالك و المذاهب لا بين العامة فقط بل خصوصاً بين الخاصة و أصحاب الفكر و أرباب النظر و لعل الاختلاف يبقى مادامت الحياة و الافتكار و لكن الاختلاف و التناقض لا يرجعان إلى الاختلاف في الأصول أو الفرق النوعى أو الصنفي في ملكات الشعور و قواه بل له أسباب كثيرة ماعداها عارضت الفكر الصحيح و ربما تسود عليه و هى و إن لم تؤثر أصول الفكر مباشرة و لكنها تعطلها أو تغفل عنها ، و تعمم موادّها أو تخصص ، و قد تغيرها بل تقلبها أو تحول المعتقدات في البرهانيات و تزين الأوهام في زى الأفكار فيبرز الاختلاف بل التناقض في الأفكار و نتائجها.

و نحن نذكر على سبيل المثال بعض هذه العوارض اللاحقة للفكر التي تؤثر بها مباشرة - إنما تنطوى بعض منها على خطورة كبيرة فتغير الأفكار بتمامها - مثلا وفرة المعلومات ، و وسعتها و وقعتها و عمقها و من ناحية أخرى قلة المعلومات و ضيقها و الضحولة في المشاهدة و عدم الاستيعاب و ضيق نطاق البحث و الفحص و اختلال الطرد و العكس في تحقيق العلة و استنباطها بحسب الجزئيات المفحّصة - و قلة الشعور و ضعف الفكر نفسه - و البعض الآخرون يكن له خطورة مثل الأول ، جوهرية لكنها توجه الفكر إلى إتجاهات جديدة تضلّ الفكر فتوصل إلى نتائج غير واقعية مثلا اختلاف المسلمات و الروايات و الميول و العواطف و تصادم الأغراض و تضادّ الاتجاهات و تفرقة الطبائع و التخالف في الثقة و الاستناد و النقص و الزيادة في الانتقال الذهني و التأثر بالأحداث و العجلة في أخذ النتائج من غير تعمق و استيعاب ، و التعنت و العناد و التحزب و الحبّ و الكره و الطائفية و العنصرية و الإقليمية و الخوف و الطمع و غير ذلك من العاهات التي تفسد الفكر الصحيح فانها لاتؤدي إلى الاختلاف في الآراء فحسب بل تسبب التناقض. و ظاهر أن مثل هذه العوارض لا تتعلق بالفكر نفسه و أصوله و مجاريه فانها هى الميزان للصحة و الخطأ أو يجرى البحث و النقد عليها بموجبها.

التوضيحات :

إن انقسم الحالّ بانقسام المحلّ فالحلول *سريانيّ* و إن لم ينقسم فحلول *طرياني*.

الهلية البسيطة قضية حملية محمولها نفس الوجود مثل الإنسان موجود ، و *الهلية المركبة* قضية حملية محمولها صفة بعد الوجود مثل الإنسان كاتب. و الشيخ يسميهما *الهلية المطلقة و المقيدة* بالتوالي. (النجاة ص: ٦٧)

الدوَران - الاستدلال يجزئي على جزئين لأمر مشترك بينهما بحيث إذا وجد، وجد الحكم و إذا عدم، عدم الحكم ، و يعتبر عنه بالطرد و العكس أيضا.

السبر و التقسيم: هو تتبع أوصاف الأصلي و إبطال عليّة بعضها لتعيين

الباقى للعلّية و طريق السير و التقسيم يعبر عنه بالترديد أيضا.

النقض الإجمالي و يقال له النقض أيضا هو إبطال الدليل بدعوى التخلف أو استلزام المحال *النقض التفصيلي* و يقال له المنع أيضا ـــ الدليل على مقدمة معينة.

المعارضة و هى إقامة الدليل على خلاف ما أقام عليه الخصم.

المصادر:

١- النجاة للشيخ الرئيس أبي علي سينـا ، ص ٢٠٠ ، الكتـاب المعتبـر لأبي البركات البغدادي ، قسم الإلهيات ، ص ٢١

٢- مختصر تاريخ الفلسفة لإسكندر ، ص ٢٠٠-٢٠١

٣- كتاب ما بعد الطبيعة لابن رشد ، ص ٥-٦

٤- الكتاب المعتبر ، قسم الإلهيـات ، ص ٢٠-٢٢ ، التعليقـات للفـارابي ، ص ١٠ ، الملل و النحل لمحمّد بن عبدالكريم الشهرستاني على هامش الفصل و الملل لابن حزم ، ص ٩٨ ، حكمة الاشراق للشيخ المقتول بشرحها للصدر الشيرازي ، ص ٢٧٨-٢٧٩ ، شرح هداية الحكمة للخيـرآبادي ، ص ١٣٧-١٣٨

٥- النجاة ، ص ٢٠٠-٢٠١

٦- النجاة ، ص ١١ ، ٨٠-٨١ ، المعتبر ، قسم الإلهيات ، ص ١٩ ، شرح حكمة الاشراق ، ص ١٩٩

٧- النجاة ، ص ١٢ ، المعتبر ، قسم المنطق ، ص ٣٦

٨- النجاة ، ص ٣ ، ٦٢-٦٣ ، ٦٦ ، ١٦٦-١٦٧ ، شرح المواقف للسيد الشريف ، ص ٩٠

٩- النجاة ، ص ٦٠ ، المعتبر ، قسم المنطق ، ص ٣٦ ، ٧٠

١٠- النجاة ، ص ٣ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤-٦٥ ، ٦٨ ، سلم العلوم لمحب الله البيهاري ، ص ١٦٠ ، ١٦٢

١١- المعتبر ، قسم المنطق ، ص ٢-٣

١٢- المعتبر ، قسم المنطق ، ص ٣٦

١٣- شرح حكمة الاشراق ، ص ٢٠٢ ، شرح السلم لحمداللّه السنديلوي ، ص ٥٦

١٤- النجاة ، ص ١٢٤ ، المعتبر ، قسم الطبيعي ، ص ٦٨ ، الهدية السعيدية لفضل الحق الخيرآبادي ، ص ٥٩-٦١

١٥- النجـاة ، ص ١١٧-١١٨ ، المعتبـر ، قسم الطبيعـي ، ص ٧٧ ، القسـم الإلهـي ، ص ٤٨ ، الهدية السعيدية ، ص ٥٩-٦١

١٦- شرح السلم لحمدالله ، ص ٥٦

١٧- النجاة ، ص ١٢ ، ٣٤ ، سلم العلوم ، ص ١٢

١٨- المعتبر ، قسم المنطق ، ص ١١٣ ، المرقاة لفضل إمام الخيرآبادي ، ص ٤

الاحتجاج في الأدب

بقلم: سي. دي. ناراسيمهاتيا

في الظاهر إنني لا أمارس الاحتجاج في الأدب، لكنني أحرص على أن أجعله في موقف الدفاع، و أن أعرف واقع أمره كله في سياق الأهمية التي اكتسبها في زمننا. و في نفس الوقت فإنني أود أن أقاسمكم في بعض خواطري الشاردة، فأقول إن الاحتجاج - كما جاء في ملاحظتي المرفقة مع الدعوات لهذه الندوة - ظهر في الآداب على تعاقب العصور بشكل أو آخر ... الحكماء في ابانيشاد احتجوا ضد آلهة فيداس، و بوذا احتج ضد الاثنين - فيداس و ابانيشاد - و لغتهما أيضا. و من ثم نمت لهجتان جديدتان : بالي و براكرت (PALI, PRAKRIT) و تهيأ الجو لانفتاح في وسيط الفن. و هناك أكثر من مبرر معقول للظن بأن تي. أس. ايليوت استلهم من تعاليم بوذا - و لو جزئيا - في رأيه بأن الحساسيات تتغير جيلا بعد جيل، لكن التعبير لا يتغير إلا إذا كان وراءه عبقري. الآن فانه من مسلمات الفكر الديني أنه باستثناء الهندوسية التى تنطوي - في طبيعتها - على مقدرة عجيبة لخلق الاحتجاج باستمرار، و استيعابه في مسيرة تياره العام، الديانات جميعها - البونية و الجينية و المسيحية و الإسلام و السيخية - تستمد جذورها من الاحتجاج، والأمر لا يختلف عنه بالنسبة للفلسفات أوربية كانت أم شرقية. أما عن العلوم، فإنها هى الأخرى تنمو و تزدهر على أسس الاحتجاج ضد ديانات منتظمة كالمسيحية. و هكذا فقد احتجت XANITY ضد العلم و نعتت عظام المبتكرين و المكتشفين بالهرطقة من دون أن تدري أنهم سينزلون منزلة الرسل كفاتحي العصر الجديد. و لقد وقع الاحتجاج في صميم الفكر السياسي، و أسفر عن مقتل الحكام أو سقوطهم عن سدة الحكم.

إذن فهل من الممكن أن نعيد شمولية الاحتجاج إلى كونه قانونا للحياة؟ هل القدماء من الفلاسفة الهنود أرشدوا إليه بدعوتهم لمتابعة المسيرة إلى الأمام؟ و بشيء من الحيطة قاموا بالتدليل على نفس المسيرة الاحتجاجية

بعرض فكرة نيتـي ـ NETI ـ التي يمكـن عدّها نظيرا عقليا لسلبيـات كيتس، و في مدلولها لا تعني الجري المتواصل وراء الحقيقة أو العلة، ، و انما هي عبارة عن *التغلب على الموانع* أو ـ بكلمات بليك ـ *التقدم في زحم التناقضات*.

هذه الأطروحات تثبت بوجه نهائي و حاسم أن للحقيقة أوجها عدة . إلاّ أن كلاً منا ـ افراداً و جماعات ـ يجنح للاعتقاد بأنه وحده أدرك الحقيقة، و لا أحد غيره يشارك في أمرها، و المفروض على الجميع أن يخضعوا لـرأيـه النزيـه . و من يتبني تحفظات، فإنه يتهم بالعصيان . و لكن أين من هذا كله أمر البائس؟ ـ الفقر أو المعدم ـ سواء أ كان هو المرأة مقابل الرجل، أم الخادم مقابل المالك، أو الموظّف أمام الموظَّف، أو الزنجي ضد الأبيض، أو الأجنبي في وجه المواطن، أو الأقلية مقابل الأغلبية و هلم جرا.

نجد في مسرح كندى مشهدا للمدرسة الثانوية، يطلب فيه المعلم إلى الدارسين أن ينطلقوا أسماء زوجات هنري الثامن، و في الوقت ذاته يمرّ موكب احتجاجي بالقرب من النافذة . فيتوجه المعلم إلى الطلاب، ليقول إنهم لم يلتحقوا بالمدرسة لمشاهدة العرض. هذه الوقفة تسلط ضوءا على تاريخ و ثقافة كندا في وجه تاريخ و ثقافة الأخ الأكبر الذي بات يحتج بمطالبة تحديث العالم إلى أن وصل قمته و فى نفس الوقفة تتلخص أيضا مواقف الهند زمن حكم الاستعمار كتب روبرت كلايف إلى أسرته رسالة، ذكر فيها أن حفنة من رجال الجيش البريطاني دخلوا إلى مرشدآباد، فوجدوا الهنود ـ رجالا و نسـاء و اطفالا ـ واقفين على طرفي الشارع و ما بالنا لو أخذ كل أحد منهم حجـرا أو عصا، وقذف به إلينا؟. أموقفنا نحن الهنود ذلك دل على أننا شعب نؤمن بالأقناع؟ (لأن الاحتجاج ينجح حيث يفشل الأقناع). و فيه دلالة على أن الاحتجاج يعكس موقفا متطرفا يقارنه الضغط، و حتى ابراز العضلات لصدّ استكبار الغني و صاحب الامتيازات.

في مسرحية شيكسبير– THE TEMPEST – يلتمس أريل إلى بروسبيرو قائلا حريتي *يا سيدي !* ، و يجيب عليه بروسبيرو معاتبا: أ لا تتذكر كيف انقذتك من براثن الشقي سيكوراكس؟ ثم يعدّ نعمه عليه . و هكذا يتفجر بروسبيرو غضبا في وجه كاليبان و موقفه المتشدد، و يفور فورانا حيث يتوجه إلى كاليبان قائلا.

> "*بهذا الصدد فتأكد الليلة تضرب حتى تتشنج و تنشل كما تنشل النحلة خليتها . و تكون آلامك أشد من لسعة النحلة التي نسجها*"

و لا يغبن عن بالنا أن كاليبان في احتجاجه ضد بروسبيرو، و في محاولتـه للنيـل من شرف ابنتـه، يعدّ ترينكولو و استيفـانو للاطاحة به، و يتخذ من صفرجي سكير إلها يعبد و يطاع، و بذا فانه يحلّ مالكا محل مالك و لا غير. هنا نجد الاحتجاج في أسخف أشكاله، أنه يؤدي إلى الاستصغار من

أمرهما (الظالم و المظلوم) معا، و يستدعى العنايـة للبحث فـي أسبـابـه و عواقبه و مضاعفاته العدة. ذلك لأن شيكسبير في بداية حياته الكتابية جعل من شخص شايلوك ينادي بالتعاطف و التفاهم. و لعل هذه المحاولة أخفقت في كسب التجاوب، أو لأن الكاتب في المرحلة المتقدمة من حياته أدرك وقوع بعض التطورات مثل الاستعمار و ما يستتبعه فشعر بضرورة إبراز أبعاده المغايرة.

إن حكاية بسيطة و متواضعة بمكانة *غرفة العم توم* (UNCLE TOM'S CABIN) أحدث تغييرا أعمق و أوسع من التغيير الذي أحدثه هجاء سويفت (SWIFT) على ما عليه أمره من قوة لسعة، و الذي علق عليه ليفيس فقال إن سويفت كاتب شديد القوة . لكن القوة التي أصيبت بالضياع. و ييتس أيضا احتج ضد الانكليز على تحركاتهم الطائشة التي لأجلها دفع الوطنيون الآيرلنديون تضحيات جسيمة. و مع ذلك فانه ظل يؤمن بميلاد *جمال رهيب* و هذا هو الرؤية الشعرية الخالصة من المأساة و من نفس المنطلق فإنه بات يعتقد بأن انجلترا تلتزم - حتى الآن - بسانر وعودها و أعمالها. إلا أن الأمر اختلف تماما في حالة الكاتب الآيرلندي الآخر - برنارد شو، و معلمه النرويجي ايبسين (IBSEN)، كاتب *بيت الدمي* (DOLL'S HOUSE) الذى أثار الحركات النسائية في جميع انحاء العالم فان كلا من شو و ايبسين بالغ في التركيز على الاحتجاج، إلى أن تسللت الأرض من تحت قدميهما. (لهذه الكلمات صلات كبيرة مع أهداف هذه الندوة) و من المحزن حقا أن المعجبين بشو الذين انطلقوا في جمع الأموال تخليدا لذكراه، اضطروا للتخلي عنه لان عامة الناس لم يبدوا تحمسا يذكر . و ذلك فقط بعد عشر سنوات من تزاحمهم للتبرع بالأموال لكى يتيسر لهم مشاهدة احتجاجاته فـوق خشبة المسرحيـة. و من عجائب الأمور أن كاتبا أيرلنديا آخر - سينجيه - اقل صيتا من شو، لم يمارس الاحتجاج، و انما غاص في أعماق قلوب الأرامل و الإيتام و المساكين و فاقدي البصر، و بذا تمكن من إعطاء أدبياته تأثيرا أشد.

و في بلدنا نجد انصار قضيـة شعر الاحتجـاج، بعضهم يسمي الشمس - حسب تسمية دون (DONNE) لها - بـ " عجوز سخيف *دائم العمل* " و الآخر يأتي فيقول " *الغيوم السكرانة* ". و في الكتابات الانكليزية نفسها، فان المدعو/ أرون كولاتكار يقول على لسان الراوي إنه رمى حجرة في فمه، فبصق *معبودا*. لكن الأنسب ألا ننسى أن أحد الرهبان في ابانيشاد أيضا أبدى جرأة حيث احتج قائلا: يا شمس الجلال الساطع، انفضي عنك هذا القرص، لأن التشخص (PURUSHA) وراءه، و هو نفس ما بداخلي و لا نغفل أيضا أن كاليداس - أحد شعراءنا - يحمّل الغيوم رسالة من عشيق إلى عشيقته، و عن الأحجار، فاننا الهنود المؤمنين بوحدة الموجود ايمانا مطلقا، أضفينا علـى كل صخـرة و نهـر، و شجر و طير، سمة القدسية، و بذلك الطريق فاننا اكسبنا الوعي سعة الأفق، و فتحنا قنوات الأحاسيس، و غرسنا التواضع بإزالة أي

انطباع عن محورية البشر للكون.

ماذا كسب الغرب بتحطيم تماثيل التقليد و بهذا النوع من الاحتجاج؟ العلاج بالصدمة لداء الذهول .. و لكن أين العلاج لآلاف من الجروح المدمية التي تركتها تلك الصدمة؟ هذه الوقفة تنعكس في:

أيها الشرّ عنانك طليق فسر أيّ طريق شئت

قد يقال إن مثل ذلك الاحتجاج مسوغ في السياسة دون الأدب .. لا ... كلا إن نجاح الفيلم - غاندي - كذب حتى مشروعية سياسة الاحتجاج في كل بقعة من بقاع عالمنا المنحط .. ان غاندي الذي اتخذ من الاحتجاج ضد حكم البيض شغلا شاغلاله، تخلى عن حركة العصيان المدني ضد نفس الحكم، عندما اطلع على تعرض كنيسة القسيس بال لقصف قوات هتلر ... ذلك لانه نظر إلى الكنيسة و المعبد من منظار واحد، و لم يرد أن يصنع فرصه من مشاكل الإنجليز.

قصيدة بروميشيوس *الطليق* لشيلي، تنظم بسالة الصبر و الاحتمال في سبيل قضية عظيمة، و من ناحية القبول انجح بكثير من قصيدته ODE TO THE WEST WIND التي تأتي مثالا لترفع الذات . و هكذا نجد هوبكينس (HOPKINS) يركز النصف من قصيدته *لماذا ينعم الأشرار في شرورهم؟* على الاحتجاج إلى الله، و لكنه يختمها داعيا

يا رب الحياة انزل مطرا يُحيي جذوري

ثم هناك ايليوت - تحمل معنا آخر مثال من سلسلة الأمثلة هذه - في قصيدته *اربعاء الرماد* -ASH WEDNESDAY- التي تبدأ بـ :

لانني لا استطيـــع أن أمل
لانني لا استطيـــع أن أمل

و تنتهي بالاعتراف:

مع أنني لا استطيع أن أمل

هذا هو نموذج الاحتجاج الذي اتبعه شعراء الهند من الصوفية و النساك، و هو النموذج الذي تقلده الشعراء الشباب الثائرون من أمثال سافيثري (SAVITHRI) و ايكالافيا (EKALAVYA) و ناتشيكيتا (NACHIKETA) و براهلادا (PRAHLADA) و ذروفا (DHRUVA).

الاحتجاج بمعناه المفهوم في عصرنا يسبب في تنافر من هو موجه اليه، و يمكن أن يؤدي إلى انفصال المرء عن نفسه، أيضا .. خيانة بروتوس بحق قيصر، و عقابه - من دانتيه - على اثمه بأسفل طبقات الجحيم، تدفع إي. أم. فورستير للتضرع إلـى ربه و الدعـاء بألايكون بمقدوره الغدر بحـق الصديق و لو يسعه الغدر بحق الوطن.

يأتي الاحتجاج بدون مبـرر حتـى في السياسـة ... فكيف يسعـه الأدب و الفن و الحـال انهما موجهـان - في أهدافهمـا - إلى اكتشاف بواطــن الـذات،

و التعمق في عرى غير مرئيه تربط الأشخاص بها و بالمجتمع، و شفاء السقيم من خلايا و أنسجة الروح؟ الاحتجاج يكبح الاختيار، و يعرقل عملية البحث عن البدائل، و يسدّ قنوات الأحاسيس و لغته تضيق ساحة التفكير.

الأدب يكون أوّل ضحية في أدب الاحتجاج. مع ما يقال إن غياب الاحتجاج يشجع على الإذعان لمحاور الحكم و السلطة التقليدية. من ذا الذي يستطيع أن يقول إن الزنجي ليس محقا في احتجاجه بأن أغاني باخ و بيثوفين و موزارت مقروضة لأناس من أمثال ايليوت و ييتس، و ليست لمن يبكى و يتقهقه، و يمشي و يثرثر. لقد طالب الزنجي بشعر من نوع مختلف الشعر الذي يمكن أن ينجسم مع تصوراته للجمال و ارتكازه في السواد. لكنني لا استطيع أن أمضي بدون التعقيب بأن سينغور (SENGHORE) الذي حاول إبراز *الزنجية* بمظهر *المدفعية* كرمز للغلبة، بات يخسر مكانته بين الأوساط الواعية من الزنوج أنفسهم، بمن فيهم، مثلا - وولية سويينكا (WOLE SOYINKA) و دافيد روبا ديرى (DAVID RUBADIRI). الشاعر الاسترالي الذي عاش - بعيدا عن العنادل و النرجس - وسط السحليات الدميمة المحتقرة، تعلم في آخر الأمر كيف يصنع من احتجاجه الطويل شعرا يمدد آفاق الفن.

كن جسورا يا عزيزي

نحن نعيش على بلادة الربيع.

تخاطب سحلية فظة زميلها الشاعر بهذه الكلمات. و تلك الكلمات تغدو - بالنسبة للشاعر - فاتحة روائية شعرية جميلة تعطى شعره زخمة و طراوة.

هنا لك شاعر آخر احتج ضد غابات الفكر الحديث التي ترعرعت في أرض أوربا، فركز و تعلم كيف يرسخ جذور عتيدته و إيمانه في *صحراء العرب و انسانه القفر .. لأن هذا التراب - على قحولته - بات مبعثا للرسل.*

إذن فانه ينبغي لأدب الاحتجاج أن يختبر ما يمكن أن يعيد اعتباره لدى الحاقدين عليه، و المطلوب التأمل في هذه النقطة خاصة من هؤلاء الذين يتابعون آداب رجال العوام من أمثال أم. أن. روي و أمبيدكار و لوهيا و قادة الطائفة السيخية. أنا اسلم أن الاحتجاج ليس وحيا سماويا مفروض التعميم و الإبلاغ. لكنني ذكرت سابقا ان معرفتي في هذا الحقل أحوج ما يكون للتطوير.

بيد أنني أعلم - حق العلم - أن من واجب كتاب أدب الاحتجاج أن يتقوا مما يؤدى إلى الاستعباد الفكري، فيكونوا ملتزمين بالفن بدلا من الولاء لرجالات الحركات السياسية أو الدينية .. الشاعر - كما يقول ييتس - (أجد نفسى مضطرا للنقل عنه مرارا و تكرارا لأنه أحق به مني دون غيره)، بخدمته للفن بإخلاص و أمانة، يخدم شعبه أيضا .. أى أنه لا يجانب قساوة الحياة من حوله، و انما يأخذ حلوها و مرها، و يمتص جميع تناقضاتها في بوتقة روحه. الرجالات و الحركات تأتي أهميتهما من واقع الإمكانيات لإثراء الحياة

و تنويرها و استرعاء الانتباه إلى ترابط انشغالاتهما السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقيـة ـ المسئوليـة الكبيـرة من مسئوليات الكاتب تجاه الحيـاة .. أو ببساطة يتوجب على أدب الاحنجاج الابتعاد عن محاولة فرض تصميم على القاريء بشكل ملموس .. و للقاريء أيضا الحق في الاحتجاج و الاحترام له.

المطلوب منا أن نذكر انفسنا باستمرار أن الأدب عبارة عن تجربة تخيلية و كل ما يأخذه التخيل كحقيقة، فهى هى و لا غير. و ليس من قبيل التكـرار إذا قلت مـرة أخرى أن الحقيقـة لها أوجـه عدة، و انها تعرض "*روح القدس*" للعنف بغية ابراز أو كبت احد تلك الأوجه على حساب الآخـر و هذا هو السبب الذي لأجله يحظى IMOGEN, IAGO بعناية متساوية عند الشاعر.

و يبدو من المناسب أن أذكر في ختام المقال شيئا عن الكتاب (من طائفة جاين) الذين لم يجدوا في شخص رافانا جانبا من جوانب الخير الا و كان على قيمة التقليل من مكانة راما أو طمس عظمته. فيما كدت أقول إن المطلوب منهم الجرأة و المصارحة ـ لدى تناول قادتهم أو ملاكهم ـ أسوة بمصارحة زين ماستر (ZEN MASTER) الذي طلب إلى تلاميذه أن يقتلوا بوذا لو قابلوه، لأنه يعيق تتبعهم للحقيقة. و هو نفس ما فعله هيرمان هيسي (HERMAN HESSE) في *سيدارتا* ـ تبني كثيرا من التحفظات إزاء الشيء الذى انطلق لتمجيده في باديء الأمر.

تعريب : راشد على

المكتبة الآصفية بحيدر آباد

بقلم: مير كرامت علي خان
مدير البحث العلمي بمكتبة
ومعهد دراسة المخطوطات الشرقية بحيدر آباد

كانت مدينة حيدر *آباد* موئلا للعلم و الأدب في العهد الآصفجاهي، فقد توافد إليها العلماء و الحكماء والشعراء و الأدباء و الأطباء من بلاد العرب و إيران و ماوراء النهر و اتخذوها وطنا لهم، و ذلك لما اشتهر به ملوك أسرة *آصف جاه* من جود و سخاء و سماحة و رعاية للعلم و الأدب.

و قد كان تأسيس *دائرة المعارف* و *المكتبة الآصفية* على عهد الأمير مير محبوب علي خان نظام الملك آصف جاه السادس مأثرة تستحق أن تسجل بحروف من ذهب في دنيا العلم و الأدب ففي عهد حكم الأمير المذكور أسّس السيد حسين البلجرامي المعروف بـ نواب عمادالملك" و المُلاّ عبدالقيوم مجلس *دائرة المعارف* سنة ١٣٠٦هـ / ٨٩ ـ ١٨٨٨م من أجل طبع و نشر المخطوطات العلمية الإسلامية النادرة، و حيث أن طبع المخطوطات النادرة كان يتطلب مجموعة وفيرة من المخطوطات فأنشئت لتحقيق هذا الهدف مكتبة سنة ١٣٠٨هـ / ٩١ ـ ١٨٩٠م عن طريق جهود مشتركة موحدة.

إن ذكر أهداف تأسيس *دائرة المعارف* و عطائها و نشاطاتها يتطلب التفصيل و الإسهاب، و بالإيجاز يمكننا أن نقول إن حيدرآباد تعرف بالتراث العلمى القيم الذى تحفل به دائرة المعارف و المكتبة الآصفية و روضة الحديث و المكتبة السعيدية و مكتبة *نواب سالار جنك*. أما التعريف بدائرة المعارف و خدماتها فإنه يحتاج إلى مقال مستقل سنكتبه فيما بعد بإذن الله تعالى ، و هنا نريد أن نقدم للقاري عرضا موجزا لبداية المكتبة الآصفية و اسمها الجديد و عطائها المتواصل.

لقد وافقت الحكومة الآصفية على منح مساعدات مالية سخية للمكتبة

التى أسسها السيّد حسين البلجرامي عماد الملك و الملا عبد القيوم سنة ١٣٠٨هـ / ٩١ ـ ١٨٩٠م بجهودهما المشتركة، و بعد ذلك اعتبرت هذه المكتبة الشخصية مكتبة شعبيةو سُمّيت بالمكتبة الآصفية و بفضل عناية عماد الملك و نداءاته المتكررة انضمت إلى هذه المكتبة مكتبات شخصية عديدة، و ممن وهبوا لها مكتباتهم يجدربالذكر المولوي تشراغ علي المعروف *باعظم يارجنك* و الطبيب محب حسين و الطبيب السيّد قاسم البيجا بوري و من إليهم.

كان الهدف الرئيسي من تأسيس هذه المكتبة منذ البداية هو الحفاظ على المخطوطات التي توجد عند الناس و تتعرض لإهمال أصحابها، و جمع المكتبات الشخصية في مركز واحد لكى يتمكن العلماء و الباحثون من الاستفادة العلمية و الأدبية، بالإصافة إلى طبع المخطوطات النادرة غير المطبوعة و إخراجها إلى حيز الظهور و بذلك اجتمع في المكتبة الآصفية كل نوع من الكتب المخطوطة و المطبوعة، و أمكن الحفاظ على المخطوطات النادرة الغالية التي كادت أن تصدر من البلاد إلى الخارج بأثمان بخسة زهيدة.

و قد عُين الأستاذ السيد على حيدر الطباطبائي ـ الذي كان عالما جيدا و شاعرا مطبوعا معروفا ـ أول مدير *للمكتبة* ' و عندما تعين *الطباطبائي* في *كلية نظام* كأستاذ للغة العربية بعد سنتين، تولى إدارة المكتبة المولوي السيد تصدق حسين نجل العلامة السيد غلام حسين، الذي كان من نوابغ العلوم الإسلامية و من أجل شراء الكتب عينت لجنة حسب المرسوم الملكي، و عين نواب عماد الملك رئيسا لهذه اللجنة . و قد حصل عماد الملك على منح مالية من ميزانية وزارة المعارف للترتيبات الابتدائية و شراء الكتب، فقد منحت الوزارة المكتبة ١١ ألف روبية في سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م، و ١٢ ألف و ثلاثمائة روبية في سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م، و عشرة آلاف و ستمائة روبية في سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٤م، ثم كسب *عماد الملك* موافقة أرباب الحكم على منحة مالية سنوية دائمة قدرها خمسة آلاف روبية

و قد عنيت المكتبة الآصفية بجمع مخطوطات و مطبوعات العرب و إيران و العراق و مصر و الشام و بيروت عناية خاصة، و هكذا توفرت فيها المخطوطات النادرة في شتى العلوم و الفنون، كما أنشىء فيها قسم للكتب الإنجليزية بعد مدة يسيرة، ثم بدأ العمل على جمع كتب اللغات الثلاث المتداولة في المملكة الآصفية و هى *التلنجية و الكنرية و المراتهية*.

و في العهد العثماني الذهبي (أى عهد الأمير مير عثمان علي خان نظام الملك أصفجاه السابع المعتدّ من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٤٨م) ازدادت و توسعت هذه المكتبة العلمية و الأدبية و انضمت إليها كتب و مخطوطات علمية قيمة جديدة في البداية كانت المكتبة تقوم في مبنىً بشارع عابد، لكن عندما ضاق هذا المبنى بسبب الزيادة المتواصلة في المخطوطات و المطبوعات أصدرنواب مير عثمان علي خان نظام الملك أصفجاه السابع

الملقب بسلطان العلوم ـ مدفوعا بحبه للعلم ـ أمرا ببناء مبنى فخم جديد، فأنشيء مبنى شامخ رائع للمكتبة الآصفية علــى شاطــيء نهر موســى، و هكذا نقلت المكتبة سنة ١٩٣٦م من شارع عابد إلى المبنى الجديد الواقع في *أفضل* كنج. و يعتبر المبنــى الجديد نموذجـا طيبــا لذوق أصفجاه السابع الرفيع في البناء، كما أنه مثال حيّ لاهتمامه و عنايته بالعلم و الأدب.

و أقر آصف جاه السابع في عام ١٣٣٦م "نظاما" للمكتبة الآصفية وضعه نواب عماد الملك و أصدر الأمر الآتي في أواخر ذى الحجة

"طبقا لأمري الصادر في ٦/جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ فلتكن هذه المكتبة الحكوميه تحت إشراف صدرالصدور (نواب صدر يار جنك) و لتُعرض عليّ قائمة شاملة بالكتب الموجودة مع الإيضاح".

ثم أصدر أمر باستمرارية هذا النظام و عدم التغيير فيه في محرم الحرام سنة ١٣٣٩هـ/ سبتمبر ١٩٢٠م.

كان آصف جاه السابع قد أدرك ببصيرته أن فهرس الكتب لازم لكل مكتبة و أن رواد المكتبة يواجهون مشاكل متنوعة بدون ذلك، و لذلك أصدر أمرا آخر بهذا الخصوص في وسط شوال ١٣٤١هـ/ مايو ١٩٢٣م جاء فيه

"هذا العمل (عمل الفهارس) عاجل جدا، و إذا كان المولوي تصدق حسين يقوم بهذا العمل حاليا عليتمّه هو، و ليُصرَّح بما يعطي له من مكافاة لقاء هذا العمل".

و في نهاية شهر ذي القعدة عين للمولوي تصدق حسين ٢٥٠ روبية شهريا، و ذلك ما عدا مصاريف الموظفين، كما زيد في المنحة المالية المخصصة للمكتبة (التي كانت آنذاك ٨ آلاف روبية) بواقع ١٢ ألف روبيــة سنويـــا، و ذلك في ٢٦/ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩هـ الموافق ٢٠/ سبتمبر سنة ١٩٣٠م.

و بجانب هــذا الاهتمام الزائد بالعلم و الأدب فإن نواب مير عثمان علي خان نظام الملك آصفجاه السابع قد شرف المكتبة الآصفية بقدومه الميمون في يوم الأربعاء /٢٥ ربيع الأول ١٣٤١هـ/ ١٥ سبتمبر ١٩٢٢م.

و بعد أن أحيل المولوي تصدق حسين علي المعاش، عين ابنه المولوي السيد عباس حسين مديرا للمكتبة، و لما أحيل هذا الأخير للمعاش أيضا تولى الإدارة السيد حميد الظفر مدة يسيرة، ثم عين الدكتور راحة اللّه خان قيما للمكتبة، و بعد وفاته قام السيد جعفر علي بمهام الإدارة.

و بفضل مواهب هؤلاء المديرين و اهتمامهم الذاتي و رعاية آصف جاه السابع و سماحته فقد اجتمع في المكتبة الآصفية أكثر من ١٧ ألف مخطوط و مائة ألف مطبوع.

و بعد سقوط الحكومة الآصفية سنة ١٩٤٨م و قيام حكومة حيدرآباد ثم إنشاء ولاية آندرا براديش على الأسس اللسانية غُيِّر اسم هذه المكتبة التي نالت سمعة عالمية و دُعيت بـ مكتبة *الولاية المركزية* بدل المكتبــة الآصفيــة

و هنا لا بد أن نذكر كيف برزت مكتبة و معهد *دراسة المخطوطات الشرقية* لحكومة أندرا براديش - حيدر أباد إلى حيز الوجود:

في عام ١٩٦٧م كان قد أنشيء في مكتب أرشيف الولاية (أي مكتب السجلّات و المحفوظات للولاية) قسم باسم مكتبة *المخطوطات الشرقية* جمعت فيه المخطوطات من مختلف مناطق الولاية ليستفيد منها الباحثون، ثم نقل هذا القسم إلى مبنى *المكتبة المركزية للولاية* كشعبة مستقلة. و في عام ١٩٧١م قررت حكومة ولاية أندرابراديش أن يقام في الولاية مجمع علمي للمخطوطات من أجل دراسة العلوم الشرقية و توفير التسهيلات العلمية الكافية للباحثين، فجُعلت مكتبة *المخطوطات الشرقية*بمثابة *مجمع علمي* و عين له مدير مشارك تابع لمكتب أرشيف الولاية. و في سنة ١٩٧٥ جُعل هذا المجمع العلمي بمثابة إدارة مستقلة و عين له مدير مستقل، و سميت الإدارة الجديدة مكتبة و معهد دراسة المخطوطات الشرقية لحكومة أندرابراديش، حيدر أباد.

و في نهاية اكتوبر ١٩٧٥م تم تعيين كاتب هذه السطور كمساعد للبحث العلمي فحصلت من مكتبة الولاية المركزية (المكتبة الآصفية سابقا) على عرض للمخطوطات الأردية و العربية و الفارسية.

و قد استغرقت عمليه تغيير إسم المكتبة الآصفية بمكتبة الولاية المركزية و نقل المخطوطات و إنشاء مكتبة و معهد *دراسة المخطوطات الشرقية* قرابة أربعين عاما، إلا أن الرسائل التى تتوافد من خارج البلاد تذكر المكتبة بالمكتبة الآصفية *اليوم* أيضا

ظلت هذه الإدارة تعمل في مبنى مكتبة الولاية المركزيـــة الواقع فـــي *أفضل* كنج منذ سنة ١٩٧٥ إلى نهاية سنة ١٩٧٩م، ثم نقلت إلى مبنى مكتب أرشيف الولاية الواقع في تارناكا سنة ١٩٨٠م، و أخيرا نقلت إلى مبناها الحالي بشارع عابد سنة ١٩٨٤.

صحيح أنه لم يحصل أى زيادة ملحوظة في المخطوطات التي كانت موجودة في المكتبة الآصفيـــة، إلا أن هذه الإدارة تقوم برعايـــة المخطوطـــات و تجليدها على أحسن طريق، كما يجري العمل على عمل الفهارس و تقسيم المخطوطات تقسيما فنيا، و توفر للباحثين صور فوتو غرافية و فليمات عن المخطوطات، كما تصحح المخطوطات النادرة و تطبع بالأوفسيت. هذا و تصدر الإدارة دورية بإسم *الدراسات الشرقية* كل ستة أشهر.

عدد المخطوطات :

قبل أن نذكر عدد مخطوطات هذه الإدارة نرى من المناسب أن نسجل فيما يلي عدد مخطوطات قريناتها من المكتبات.

١ ـ مكتبة نواب سالار جنك بحيدرآباد :

مخطوطات عربية	٢٦٢٠
ــ فارسية	٤٧٨٠
ــ تركية و بلغة الباشتو	٢٥
ــ أردية	١٠٧٢
ــ بلغات أخرى	٢٢
المجموع :	٨٥١٩

٢ ـ المكتبة السعيدية بحيدر آباد :

مخطوطات عربية و فارسية	٣١٤١

٣ ـ إدارة ادبيات اردو بحيدرآباد :

مخطوطات عربية	٥٣
ــ فارسية	٤٣٦
ــ أردية	٥٦٢
ــ هندية	١٤
المجموع :	١٠٦٥

٤ ـ مكتبة " خدا بخش " الشرقية ـ بتنا:

مخطوطات عربية	٤١٠٦
ــ فارسية	٣٨٨٣
ــ أردية	٢٤٣
ــ تركية	٣٠
ــ بلغة " تاربتر	٢٠٠
ــ هندية و سنسكريتية	٣٥
المجموع :	٨٤٩٧

عدد مخطوطات مكتبة و معهد دراسة المخطوطات الشرقية :

مخطوطات عربية	٦٢٣٧
ـ فارسية	٨٩١٥
ـ أردية	١٦٧٤
ـ تركية	١٤
ـ بنجابية	٤
ـ سندية	٣
ـ بلغة الباشتو	٣
ـ هندية (بالخط الفارسى)	٦٧
ـ انجليزية	٤٠
ـ بلغة المرهتة	٨٤
ـ هندية (بالخط السنسكريتي)	١٣
ـ بلغة كنر	٦١
ـ بلغة تامل	١٦٥
ـ سنسكريتية	٤٢٣٠
ـ بلغة تيلغو	١٥٥١
المجموع :	٢٣ ١٦١

عدد المخطوطات العربية حسب الترتيب الموضوعى :

١ ـ الأخلاق	٢٨
٢ ـ الأدعية	١١٠
٣ ـ المراجع (REFERENCE BOOKS)	١٦
٤ ـ أصول الفقه	١٢٩
٥ ـ الإنشاء	٢٧
٦ ـ البلاغة	١٠١
٧ ـ التاريخ	٧٠
٨ ـ التجويد	٨٣
٩ ـ التراجم	٥٩
١٠ ـ التصوف	٢١٠
١١ ـ التفسير	٢٠٢
١٢ ـ الجغرافية	٩
١٣ ـ الحديث	٦٢٢

١٤ ـ الدواوين (الشعر)	٦٧
١٥ ـ أسماء الرجال (الجرح و التعديل)	١٢٣
١٦ ـ الرياضيات	١٢٧
١٧ ـ الرحلات	١
١٨ ـ تراجم الحياة	٨
١٩ ـ السيرة	٦٥
٢٠ ـ الصرف و النحو	٢٣
٢١ ـ الطب اليوناني	١٦٨
٢٢ ـ طب الحيوانات	١
٢٣ ـ الفتاوى	٧٧
٢٤ ـ الفقه الحنفي	٣٥٦
٢٥ ـ الفقه الشافعي	١٤٣
٢٦ ـ الفقه الحنبلي	١١
٢٧ ـ الفقه المالكي	٨
٢٨ ـ فقه الشيعة	٥١
٢٩ ـ الفلسفة	١٥٦
٣٠ ـ العقائد	٦١
٣١ ـ القصص	٨
٣٢ ـ الكلام	٢١٢
٣٣ ـ الكيمياء	٥٣
٣٤ ـ المعاجم	٦٦
٣٥ ـ المثنوي	٢
٣٦ ـ المحاضرات	٧١
٣٧ ـ الأديان	٧
٣٨ ـ المناقب	٢٥
٣٩ ـ المنطق	١٤٦
٤٠ ـ المواعظ	٧٩
٤١ ـ النحو	١٦٤
٤٢ ـ النيرنجات	٥
٤٣ ـ المجامع	٦٢
٤٤ ـ أشتات	٢٨
٤٥ ـ المصاحف	٦
المجموع :	٤٢٧٠

و علاوة على هذه المخطوطات المقسمة حسب فنونها و مواضيعها، فإن هناك مخطوطات يبلغ عددها ٢٠٦٧ مخطوطا يجري العمل على فهرستها و فرزها و تقسيمها حسب الموضوعات، و هكذا يبلغ عدد جميع المخطوطات العربية إلى ٦٣٣٧ مخطوطا. و فيما يلي ثبت ببعض المخطوطات العربية النادرة مع بيان سنة التأليف .

الموضوع	اسم الكتاب (المخطوط)	المؤلف	سنة التاليف	الرقم
الفقه الحنفي	مختصر الكافي	أبو الفضل محمد بن الشهيد	٤١٧ هـ	١٤٢
الطب اليوناني	جوامع الكحالين (أمراض العين)	حنين بن اسحاق	٥٢٧ هـ	٩٨
الإنشاء	سحر البلاغة	أبو منصور عبد الملك الثعالبي	٥٣١ هـ	١
الحديث	جوامع الكلم بديع الحكم	أبوبكر محمد بن علي القفال	٥٣٧ هـ	١٤٦٩
الكلام	التقريب و الرشاد (بخط المؤلف)	محمد بن المقدسي	٥٤٨ هـ	١٤٢
الكلام	نهاية المرام في دراية الكلام	عمر بن حسين بن حسن الطبري المكي	٥٥٠ هـ	١٣
التصوف	القشيرية	الشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري	٥٧٤ هـ	١٥٠٨
الكلام	حاشية شرح التجريد	عبد الله بن شهاب الدين اليزدي	٥٨٣ هـ	١١٩٨
الأخلاق	كتاب الكشف في مساوي القمر	علي بن جعفر القصلي	٥٨٦ هـ	٣٣

الفلسفة	إشارات المنهيات	أبو علي سينا	٥٨٧ هـ	١٣٢
الطب اليوناني	خواص الأدوية المفردة	ــــــ	٥٩٣ هـ	٦٦
الحديث	صحيح البخاري (المجلد الأول)	أبوعبدالله محمدبن اسماعيل البخاري	٦٠١ هـ	٥٨٣
الفقه الشافعي	نوادر الفقهاء	أبوبكر محمدبن حسين التميمى الجوهري	٦١٦ هـ	١٨٧
البلاغة	مختار كتاب ملح الملحم	ــــــ	٦٢٩ هـ	٣٤٤
الحديث	مصابيح السنة	حسين بن مسعود	٦٥٥ هـ	٢٨٧
الشعر	ديوان أوحدى	أوحدى مراغة الأصفهاني	٦٤٣ هـ	١٠٤٣
المصحف	المصحف الشريف بخط ياقوت	ياقوت المستعصمي	٦٦١ هـ	١٦٩
الفقه الشافعي	مختصر المزني	اسماعيل بن يحيى المزني	٦٦٦ هـ	١
المحاضرات	شرح مقامات الحريري	كمال الدين قاسم الواسطي النحوي	٦٧٠ هـ	٢١٥
الكلام	درياق الأفاعي	محمد بن الجمعة الحصكفي الشيباني	٦٧٨ هـ	١٤٠
اللغة	صراح	أبوالفضل محمد بن عمر بن خالد القرشي	٧٠٠ هـ	١٨
الرياضيات	مجموعة المتوسطات	نصيرالدين الطوسي	٧٠٩ هـ	٤٠٥

النحــــو	تحفة الشافية فى شرح الكافيــــة	محمد بن حسن الروســـي	٧١٣ هـ	٢٩٤
المواعــــظ	تلبيس إبليس	الجــــــوزي	٧٣٤ هـ	٤٣٤
النيرنجـــات	سر الأسرار و روح الأرواح	أبو عبد الله الفارابـــي	٧٥٣ هـ	٣١
التاريــــخ	وفيات الأعيان	القاصي أبو العباس أحمد بن خلكان	٧٥٦ هـ	٩٩٤

نظرة على أهم نشاطات الإدارة :

١ ـ الميزانية السنوية. مليون روبية (موجه)
مليون و سبعمائة ألف روبية (غير موجه)
المجموع مليونان و سبعمائة ألف روبية

٢ ـ جولات في مديريات و مناطق ولاية *أندرابراديش* من أجل الحصول على المخطوطات

٣ ـ صيانة المخطوطات بالطريقة العلمية الحديثة.

٤ ـ تهيئة الفرص للباحثين لدراسة المخطوطات.

٥ ـ توفير الفليمات و الصور الفوتوغرافية عن المخطوطات

٦ ـ و يتوفر في الإدارة جهاز المقريء الدقيق (MICRO READER) لتسهيل قراءة الصور المجهرية، كما يتوفر جهاز التصوير الجاف الاوتوماتيكي لا لتقاط صور المخطوطات.

٧ ـ تنظيم محاضرات للباحثين.

٨ ـ ترتيب المخطوطات حسب الفنون و الموضوعات و إعداد الفهارس.

٩ ـ إصدار دورية باسم و *جيانا* سرسوتي (أى الدراسات الشرقية).

١٠ ـ الباحثون العلميون في الدول العربية مثل المملكة العربيـــة السعـودية و إيران و العـــراق و كـذلك في الدول الأوربيـــة يراجعون هـــذه الإدارة و يستعينون بمخطوطاتها العربيـــة و الفارسيـــة في بحوثهم و دراساتهم العلمية حول الإســـلام و الرياضيـــات و التـــاريخ و الجغرافية و الهيئـــة و التصوف و التفسير و ما إليها.

١١ ـ *إصدارات الإدارة باللغة الأردية.*

(الف) *مصطلحات تغى* (Glossary of Thugs) معجم لغـــة الشفـرة للمزوريـن و قطاع الطريق.
تأليف : علي أكبر الإله آبادي ترتيب و تحقيق: مير كرامة علي خان.
(ب) *ناسكيت برانا* تأليف منو لال. تحقيق. مير كرامة علي خان
(ج) ترجمة *تاريخ فيروز شاهي*. ترجمة وارث على شاه. تحقيق. الدكتور نجم الدين علي خان
(د) *كليات ايجاد*تأليف: نقد على خان ايجاد. تحقيق: الدكتور عقيل الهاشمى.
(ه) *ديوان حفيظ* (تحت الطبع) تأليف حفيظ الدهلوي، تحقيق. الدكتور أكبر علي بيغ.
(و) دورية باسم *وجيانا* سرسوتي (أى الدراسات الشرقية) صدر منها ١٤ عددا.

١٢- *إصدارات فارسية* :

١ ـ *رسائل مير عالم* (باغ و بهار). تأليف. ميـر عالم، تحقيق. الدكتورة رفيق فاطمة
٢ ـ *تاريخ عادل شاهي*، تأليف. القاضـي نورالله. تحقيق . البروفيسور شريف النساء الأنصاري.

١٣- *إصدارات عربية* :

١ ـ *نظم الدرر و المرجان*. تأليف. أوحدالدين ميرزا جان. تحقيق البروفيسور السيد إبراهيم الندوي.
٢ ـ "*المنهاج*" تأليف فخرالدين محمد الرازى. تحقيق عبدالستارخان.
٣ ـ *إتحاف الذكي* شرح "التحفة المرسلة"، تأليف. إبراهيم الكمداني المدني، تحقيق. الدكتور غلام محمد.

١٤- *إصدارات إنجليزية* :

AN ALPHABETICAL INDEX OF URDU ETC.
MANUSCRIPTS. BY MIR KARAMATH ALI KHAN.

تعريب: أسعد الأعظمي

الديمقراطية الجماعية مناط أحلامنا

بقلم: البروفسور نثار أحمد الفاروقي
رئيس قسم اللغة العربية و آدابها - بجامعة دلهي

منذ بدأ الإنسان حياته المتحضرة، إنه يتدلى بين العالمين: أولهما العالم الذى يعيش فيه، و يناضل من أجل تحقيق مصالحه و تأمينها فيه ، و الآخر العالم الذى يوجد فى خياله، و هو أكثر خلابة و اتزانا و هدوءا من هذا العالم المادى، و يسود فيه السّلام و النصفة و روح المودة و الإخاء و الحب. كأن ذلك العالم الخيالى جنة قال عنها الشاعر الفارسى

بهشت آن جا كه آزارے نباشد
كسے را با كسے كارے نباشد

[إن الجنة مكان لا يصيب فيه أحدا ما يكرهه، و لا شأن له دون سواه]

و لكن فى هذا العالم الخيالى لا يوجد طمع فى الحياة، و لا عزيمة للعمل. إن الحركة و الضجة توجدان فى دنيانا هذه لأن شخصا وحدة لها، و لكن لا يستطيع أن يكون بديلا عن المجتمع كقول الدكتور إقبال.

موج ہے دریا میں اور بیرون دریا کچھ نہیں

[إنها موجة فى عرضة البحر ، و لكن لا شىء خارج البحر]

هناك قوتان عظيمتان فى هذه الدنيا الخير و الشر، و مازالا فى صراع منذ الأبد، حتى قالت بعض الديانات بالهين إثنين لكل من الخير و الشر. و إذ أن الخير أقوى من الشر فلا يختل اتزان المجتمع، و تمضى مسيرة الحياة قدما، و لكنه تنقصه قوة الأسر و الجاذبية، فلا يرغب الإنسان فى الخير إلا بتوجيه العقل و الخلق أو بإرشاد الضمير. و لكن مظهر الشر لطيف، و كفى بالعين و الأذن للترغيب فيه. و من ميزة الشر أن بريقه يبهر العقل، و يموت صوت الضمير، و تشل قوة الحكم و الفصل. و لما ينادى الخير فلا يخرج الناس إلاّ مثنى و فرادى، ثم يزداد عددهم إن استقاموا عليه، و يصبحون جماعة فى مدة من الزمن. و لكن الشر يملك سحرا يحتشد الناس حوله فى فترة قصيرة، و هم لا تبصر عيونهم، و لا تسمع آذانهم، و تستسلم عقولهم. و قد ينتصر الشر

لوقت مـا، و لكن مصيره الندم و الخيبة. إن الخير و إن كان قليلا قوته ضخمة و محكمة، فلذلك لا يتشتت شمل المجتمع مع هذا الصراع الدؤوب، و لايزال الصراع بين الخير و الشر قائما على قدم و ساق.

إن شرار الناس هم الذين يشرفون على الشر، و لكن الخير تراث مشترك لكافة الناس، فإليهم جميعا تعود مسئولية نشره و الحفاظ عليه. و قد استعمل القرآن الكريم للخير كلمة "المعروف" أي الحسنات المعروفة و الفضائل التي تلقى قبولا عند كافة جماعات البشر

إن الحياة لها وجهان كتابي و عملي. إن مدنيتنا لم تزل تبحث، عبر العصور، عن إنسان مثالي، فبعضهم يدعونه مرشدا أو هاديا و الآخرون يسمونه نبيا أو وليا، و مضى سقراط و أفلاطون يبحثان عن هذا الإنسان المثالي بين الفلاسفة. إن الإنسان الكامل في نظر أفلاطون هو من يجمع إلى شخصيته مثل الحضارة العليا كلها ، و لا ينزع إلى التخيل فحسب بل يستطيع أن يبرز فكرته إلى حيز الواقع. و قد كان وضع كل من أفلاطون و سقراط خطة دولة مدينية في اليونان، و لكنها لم تعد أكثر من رياضة فكرية، و لم يكن حتى هؤلاء الفلاسفة على يقين من أن هذه الدولة المدينية التي توجد في مخيلتهم، هل تبرز في حين من الأحيان إلى حيز الوجود على وجه الأرض و قد اعترف سقراط أيضا بأنه قد يوجد هذه الدولة في السماء، و لكنها لا يمكن أن تحاكي إلاّ ناقصة على هذه البسيطة، و لكن الفلاسفة لم ينفوا "احتمال" تواجد هذه الدولة المثالية و كتب أفلاطون في كتابه "الجمهوريـــة" أنه لو كان الملك فيلسوفـــا أو امتلك فيلسوف أعنة الحكم، فيمكن أن تلبس هذه التصورات لباس الوجود.

على كل، إن العالم الخيالي رياضة فكرية ، و إنه دائما يقوم على فكرة إنسان مثالي و مجتمع مثالي ، و لكن ينبغي أن نكون على ذكر من أن المجتمع يتألف من الأشخاص، و لو اتضحت فكرتهم عن الحياة و الكون، و كانت مؤسسة على مثل و معايير سليمة، فمن الممكن أن يوجد مجتمع مثالي. إن مجتمعا صالحا هو ما يسود فيه العدل و النصفة، و لا توجد فيه العصبية و الكراهية و الفتنة و الشغب و لو اعتقدنا الحياة كلها شرا محضا ، أو أخذنا نعلم بالقضاء على العواطف و الرغبات كلها، فلا يتكون منه أيضا مجتمع مثالـي. و من المستحيل أن نقول في هذا العصر. "أترك لقيصر ما لقيصر" ، إن موقفنا هذا لا يسعفنا شيئا أنه إذا لطم شخص ما على خدك الأيسر فتعرض له خدك الأيمن، و إذا سلبك أحد صدريتك فتسلم إليه معطفك أيضا. إن الصبر على الظلم و الالتزام بالصمت على الشر بدون تردد إنما يساوي الظلم نفسه. إن الظلم لاينتشر و لا يعم إلاّ لأن الناس يسكتون عليه، و لو صار ذووالشعور بالخير و محبوا الأمن و السلام من المتفرجين على الظلم و المعتصمين بالصمت عليه، إذا لتحسمهم النار يوما فيمن تحسمهم.

إن العصبية و الطائفية دائما تتمخضان عن الشغب و الاضطراب و هو لا يودي أبدا إلى نتائج طيبة، و لا يكسب به هدف سام، بل خلاف ذلك إنه يعوق مسير المجتمع، و يتسبب في تحلله و في ضجة الفتن و الاضطرابات تختفي

مؤهلات الإنسان السامية و تتسبب فى توزع الفكرة و تشرد الخاطر إن أناسا من البشر يعتبرون العصبية رمزا لوفاءهم البالغ بدينهم أو نظريتهم السياسية. و لو نشر الخير عن طريق الدين لحظى بالتائيد العالمى، و لكن لو تسبب الدين أو النظرية فى الظلم و التطرف و الفتنة و الفساد و الدمار و الخراب فلا يكون كل ذلك إلا رقصة عارية للشيطنة، و لا تبرز منها صورة حسنة لأى مجتمع. إن مجتمعنا لا يسير بالتفرق بل بفضل الارتباط و التنسيق. إنه يحتاج إلى النظام و الانضباط على كل خطوة، و أكبر ما يبدو فيه هذا هى الحكومة التى لا يوطد بنيانها إلاّ العدل و النصفة. فاذا كانت للعصبية جولة و صولة فى دولة ما ، فهنا توجد حكومتان متماثلتان و تؤثر العصبية فى العدل فيضعف و يتضعضع أساس الحكومة . إن العصبية الدينية أيضا خطرة لأنها تلد بعض حكام غير مرئيين، فهناك طبقة تجلس فى المكاتب الحكومة و تدير منها جهاز الحكومة ، و على الجانب الآخر تتولد طبقة حاكمة أخرى لاترى، و لكنها تحظى بالقدسية، و ربما تلغى أوامر هولاء الحكام الغير مرئيين تعليمات الحكومة المادية إن إدخال الدين فى الحكومة ربما تعجبنا و تروقنا، و تطمئن به مشاعرنا الدينية و تسكن إليها، و لكن الحكومة الدينية قد تكون أضرى و أظلم من الحكومة غير الدينية، إذ أنها تختم على كل ظلم ترتكبها بخاتم الدين. كان الدين فى الزمن الماضى رابطة تربط الناس، و لم تكن هناك رابطة غيره ، و لم تكن الأهمية للفرد بل للقبيلة التى ينتمى إليها، و لكن فى عصرنا هذا إن شخصا يحمل اعتبارا بذاته، فالحكومة غير الدينية تستطيع أن تضمن حرية الفرد أكثر، و ذلك يعنى أن جماعة دينية يمكن أن تعيش آمن فى حكومة غير دينية

إن هذا عصر الإطراء على الديمقراطية عبر العالم كله و لكن ما هى الديمقراطية ؟ هل هى أن نلقى أصواتنا فى صندوق الاقتراع، فمن ينال أكثر الورقات يفوز و يصير حاكما على البلاد، أ هى التى تدعى الديمقراطية ؟ فربما نرى أن من نال ١٥٪ من الأصوات يتربع على عرش الحكومة، استعمل ستون فى المائة من الناخبين حق تصويتهم، و ظل الأربعون قابعين فى بيوتهم، و انقسم خمسة و أربعون فى المائة من الأصوات بين خمسة عشر من المرشحين، و فاز من حاز خمسة عشر فى المائة من الأصوات. هل هذه ما نعتبرها ديمقراطية؟

ثم إن الديمقراطية لها عدة اتجاهات فهناك ديمقراطية سياسية نتمتع فيها بتطبيق أفكارنا السياسية، و ثانية ديمقراطية اقتصادية لا تستولى فيها طبقة أو جماعة ما على مصادر الانتاج كلها، فيكتسب كل شخص حسب حاجاته و مؤهلاته، و لا يسطو فيها أحد على نصيب الآخر. و ثالثة ديمقراطية دينية، يعرض فيها كل دين أفكاره و وجهات نظره دون شعور بالخوف و الوجل، و يمارس طقوسه الدينية. و لكن الفكرة الجماعية للديمقراطية إنما تتجلى فى الديمقراطية الاجتماعية ، التى لا يوجد فيه عدوان حضارى، و يسوده السلام و النصفة و الإخاء و حماية المظلوم و استنكار الظلم، و تكون الأوضاع فيها

ملائمة لانتعاش جميع الحضارات و نموها. و إذا تواطئت الديمقراطيات السياسية و الاقتصادية و الدينية و الاجتماعية، فتوجد الديمقراطية الجماعية. و هل الخطوات التى نخطوها تذهب بنا إلى هذه الديمقراطية الجماعية، أم نروج الفاشية و الفسطائية تحت ستار الديمقراطية؟ إن نازية هتلر أيضا كانت تدعى بأن أغلبية الشعب انتخبته بالتصويت عن طرق ديمقراطية حرة . و لكن السلوك الذى عامله هتلر مع اليهود هل نسميه ديمقراطية؟ و هل إذا اندفعت جماعة ثائرة هائجة إلى سلب حق حياة الآخرين، هل ذلك يدعى ديمقراطية؟

و قال موسولينى إن الديمقراطية الإنجليزية الأمريكية إنما هى دلال الشعوب التى لها كيان قويم و هى ميسورة الحال من الوجهة المعيشية، و لكن الشعوب التى يسوده الفقر، و محدقة بالأخطار لا تطيق أن تحاكيها و تتقمصها. و انبرت روسيا تقول . إن الديمقراطية الأصيلة فينا، والديمقراطية الإنجليزية الأمريكية ليست إلاّ خداع الرأسماليين، الذين جعلوا الثروة حاكما و الكدح محكوما عليه. و لكن روسيا أيضا اضطرت إلى أن تعيد النظر فى قولتها، و قد بلغت الحال بها اليوم إلى أنها تريد أن تبقى منفذا للملكية الشخصية الرأسمالية.

إن تجربة الديمقراطية الجماعية يمكن أن تنجح فى الهند أكثر بالنسبة إلى أمثال أنكلترة و الولايات المتحدة و روسيا و فرنسا ، فانه توجد فى مجتمعنا آلاف من اللغات و مئات من الحضارات و عشرات من الديانات و نظريات لا تحصى عن الحياة و الكون، فإذا أتيحت لكل منها فرص النمو و الازدهار فتصبح كلها شهودا ناطقة بالحال للديمقراطية الجماعية

إن المجتمع البشرى لا يمكن أن يكون بمنأى من الحرب، فربما تقوم الحرب للدفاع عن الحق، فهى تحافظ على حقوق الإنسان و تحمى ثغور البلاد من الأعداء، و قد تنشب الحرب للقضاء على الظلم و العدوان و إعادة الحرية الدينية. و لكن ينبغى أن لا تترك الفتن و الشغب تعبثان بمجتمع متحضر، فانه إما تكون وراءها مصالح الذين ينتفعون بها اقتصاديا ، أو تشعل نيرانها بسبب النفرة و الكراهية و عاطفة الثار. و من سببها أيضا أن ثروة فائضة أو قوة فوق الحاجة تتكدس فى طبقة ما، فهما تشقان طريقا لخروجهما و تفرقهما. و من واجبات الدولة أن تدحض الفتن و الشغب ، و قدر ما يؤول إليها مسئولية الحفاظ على قوم أو جماعة ، مثلها يعود إليها مسئولية حماية شخص واحد. و إن قتل إنسانٍ برئ بمثابة قتل الإنسانية جمعاء.

إن المجتمع الهندى لا يفتقر إلى أناس طيبين أصحاب وعي و ضمائر حية، و إذا ولدت فيه سيئات و قبائح ، فيقوم منه أناس يتألمون على ذلك، و يخاطرون بحياتهم فى سبيل الحق و النصفة و إعادة الأمن و السلام.

نظام القضاء فى عهد ملوك
أسرة قطب شاه و آصفجاه

بقلم : منوهر راج سكسينه

لم يتخلّ المجتمع قط من نظام العدل و الإنصاف رغم اختلافه فى النوعية و الشكل حسب اختلاف الظروف المحلية و الإقليمية و الأحوال الاجتماعية. و نظام العدل و المحاكم فى عهد ملوك أسرة قطب شاه الحاكمة فى الولاية الجنوبية فى الهند المعروفة الآن بولاية " أندهرا براديش " كان وحيدا من نوعه و متفرّدا. و لم يكن يوجد فى ذلك الزمان مجلس تشريعى يضع القوانين و إنما كانت التقاليد و الأعراف السائدة فى المجتمع منذ قديم الزمان إلى جانب المراسيم الصادرة من بلاط الملوك هى الأساس الّذى كان يجرى وفقه نظام المحاكم، و كان لملوك أسرة قطب شاه نظام خاص للقضاء و محكمة مستقلة لإغاثة الناس و الإستجابة العادلة لطالبى الحقوق من المضطهدين و المستضعفين. كان الملك يُعتبر لدى عامة الجماهير و الرعايا مصدراً للعدل و كان رجال الدين من المسلمين و الهندوس يشيرون عليه و يخبرونه بالنقاط القانونية فى الأمور و القضايا المتصلة بالدين، و فى أغلب الأحوال، فإن العاصمة هى التى كانت تعتبر فى ذلك الزمان مركزاً حقيقياً للعدل و كان الملك هو الّذى يفصل فى الخصومات و القضايا و يصدر الأوامر الحاسمة فيها، و بالنسبة للقرى و المدن غير العاصمة، فكان رجال الدين من المسلمين و الهندوس يقومون بتسوية النزاعات و الخصومات فيها.

و محمد قلى و عبد الله قلى من ملوك أسرة قطب شاه كانا يتمتعان بشهرة خاصّة واسعة فى هذا الصدد ـ فكان محمد قلى قد قام بإنشاء مبنى للمحكمة ذات أربعة طوابق سمّاه " قصر العدل " و كانت البوابة الرئيسية لهذا المبنى فى جانب الشارع الرئيسى للمدينة، التى كان الملك قد سمح جميع الناس بأن يدخلوا منها القصر و يجتمعوا مباشرة و يتحدّثوا معه عما يُعانونه من قضايا و مشكلات.

فكان الناس من طالبى الحق و العدل يأتون إلى القصر و يجتمعون فى قاعة فسيحة فيه بكل ادب و احترام و كان الملك يخرج و يأخذ مكانه على الشرفة أمام الحضور و كان هناك وزير كان يجلس على مقعده من تحت هذه الشرفة و بالقرب من الناس، ليأخذ منهم شكاواهم و قضاياهم مكتوبة على الورق و يقدّمها لشخص آخر واقف أمام الملك على الشرفة، ليقرأها للملك فيعطى هو فيها رأيه الحاسم و النهائى.

و كان بلاط الملك يتساوى فيــــه جميـــع الأمــراء و أصحاب المناصب و الثروات و عامـــة الشعب من غير أن تكون لأحـــد منهم فضيلة على الآخــر. و حدث مرّة أن حضر أمام الملك تاجر يشكو إليه أن سفيره المدعو " بيغ " أخذ منه دَيناً لم يُسدّده إلى الآن. فنظر الملك فى القضية و أمر بالحجز على ثلاثين أو أربعين ألف "هنس" (HUNS) من دخل سفيــــره، و تسديد دَين التاجــر منــه و جمع البقية فى خزينة الدولة لم يصدر الملك محمد قلى قطب شاه حكماً بعقوبة الموت لأحد قطّ، و كلّما كانت تأتى إليه قضية جريمة بالغة الشناعة، كان يحوّلها إلى المحكمة الإسلامية بهدف الحصول على حكم شرعى حولها.

و قبل العهد الآصفجاهى، فنظام القضاء للعهد المغولى هو الّذى كان رائجاً فى البلاد و ظل حتى ١٨٢١م، و كان الفقيه المسلم هو الذى يحتل مكانة القاضى و يقضى فى القضايا و الخصومات المدنية للمسلمين فى كل مديرية فى العهد الآصفجاهى. و حينما كان الهندوس يأتون إلى الحاكم طلباً للحكم فى خصوماتهم و قضايا هم المدنية، كان الضابط المنفذ المسئول عن الإدارة على مستوى المديرية يرجع لتسويتها و القضاء فيها إلى مجالس القرى و المـــدن، و القاضى كان ينال منصبه عن طريق التوارث، و كانت المجالس يتم تشكيلها فى المدن و بعض القرى فى أغلب الأحوال، و كانت الحكومة هى التى تقوم بتعيين رؤساء هذه المجالس فى المدن، و الذين كانوا ينتمون عامةً إلى الهندوس. و يُعدّ عهد كبيرالوزراء سراج الدولة عهداً هاماً و مرموقاً فى تاريخ البلاد، لكونه يُعتبر مؤسس نظام جديد للقضاء مرتب و مواكب للعصر. و قد أدى السيد ســـالار جنغ دوراً لا يُستهان بــــه فى تطبيق هـــذا النظام عمليـاً و ترويجه، حيث كانت قد اصبحت جميع الدوريات و الفرامين الصادرة من بلاط الملك تعتبر قانونا. هذا، و قد كان سراج الملك المذكور أعلاه، هو الذى وضع فى عهده فى ١٨٥٠م حد نهائى لعُرف " ستى " الرائج فى المجتمع الهندوسى منذ قديم الزمان على مستوى الولاية.

و فى عهد الملك نظام على خان، الآصفجاه الثانى (١٧٦١ ـ ١٨٠٣م) كانت الشريعة الإسلامية هى الأساس لنظام القضاء و المحاكم و كان الملك و حده يملك السلطة للحكم فى القضايا المدنية، أما القضايا الجنائية، فكان فى وسع ضبّاط البوليس تسويتها و القضاء فيها. إن المحكمة فى هذا العهد كانت فريدة من نوعها، كانت تقوم بتسوية القضايا و الخصومات وفق الشريعة الإســــلامية

و تقدم للناس مجّاناً مشاور قانونية حول قضاياهم و مشكلاتهم ولم يكن من اختصاص الفقهاء و المفتيين فى ذلك العهد غير إصدار الفتاوى و إبداء آرائهم فى ضوء الشريعة الإسلامية فى القضايا و الخصومات التى لم يكن من اختصاصهم و وسعهم الفصل فيها و فى شئون الناس. أما المدن، فإنه كان يعيّن فيها المحتسبون بهدف مراقبة الناس فى واجباتهم الدينية و شئونهم المدنية و بعض الأمور الفرعية الأخرى مثل أسعار المواد الغذائية و المكاييل و المقاييس الرائجة فى الأسواق، و قد بدأت عملية تطوير نظام القضاء و تعصيره فى عهد مير أكبر على، بينما تمّ تنظيمه و تنسيقه مزيداً فى عهد الأصفجاه الرابع (١٨٢٩ ـ ١٨٥٧م). و حينما تولّى الآصفجاه الخامس أفضل الدولة مقاليد السلطة، أنشاء مصلحةً مستقلةً للقضاء و مصلحتين مستقلتين للصحة و التعليم. و كان السيد سالار جنغ يتولّى منصب رئيس الوزراء آنذاك. و فى عهد الآصفجاه السادس الأمير محبوب على خان (١٨٦٩ ـ ١٩١١م)، فقد تمّ تدوين بعض القوانين حول نظام القضاء باسم " الكتيب القانونى المبارك ". و أدخلت الإصلاحات على نظام العدل المروّج، كما أنه تمّ بموجب ذلك القانون تحديد مسئوليات رئيس الوزراء و سلطته و أنشئت فى المحكمة وظيفتان للفقيه المسلم و المفتى و " شاسترى "، رجل الدين و صاحب الإفتاء فى الهندوس، و عُيّن ألف روبية راتبا شهرياً لكل واحد منهما. و قد انتهت وظيفة شاسترى حينما تولّى السيد بخشى راغونات براشاد (Raghu Nath Prashad) منصب القاضى فى المحكمة العالية. و كان من واجبات الفقهاء المسلمين أن يبيّنوا رأى الدين حتى فى قضايا القتل. و قد قام السيد سالار جنغ، رئيس الوزراء، بتشكيل المجالس من أجل تسوية الخصومات و القضايا فى القرى و الأرياف التى لم تكن توجد بها محكمة و لا قاض و مفتٍ للقضاء. و أنشئت فى ١٨٥٧م محاكم هذه المجالس باسم " دور *الفصل* " و قد نال هذا النظام رواجاً منقطع النظير فيما بعد. و كان الرجال من كبار السن و ذوى المكانة فى كل قرية و منطقة هم الذين كانوا يقومون بعملية اختيار الأعضاء لهذه المجالس القروية محلّياً و لم يكن من الضرورى الحصول على موافقة الحكومة عليها. و لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة " لدار الفصل " التى كانت الحكومة تختار أعضاءها و مسئوليها. و كان مجلس القرية يتضمن خمسة أشخاص من رجال الديانة الهندوسية المعروفين بالبراهمة و كانت دار الفصل أو الانفصال يُعيّن فيها رجل حكماً لها. و بينما كانت المجالس مسموحة بالقضاء فى الخصومات المدنية فقط فإن دار الفصل كانت تقوم بتسوية جميع القضايا مدنية كانت أم جنائية.

و أنشىء فى ١٨٦٩م منصب وزير العدل و تم اختيار بشير الدولة بهادر كأوّل من يتولّى هذا المنصب و يُشرف على جميع المحاكم المدنية و الجنائية، و لتحقيق هذا الهدف بصورة أحسن، فقد أنشئت السكرتيرية

المستقلة لمراقبة نظام القضاء، وفى عام ١٨٧٥م أنشئت مصلحة مستقلة للقانون، من أجل وضع القوانين الأساسية و التوجيهات الرئيسية عن المحاكم و عُيّن أمين لها مستقل.

و على رغم كثرة المحاكم و المجالس للقضاء فى المدن و الأرياف، فإنّ الأغنياء و الإقطاعيين كانوا يعتبرون من المهانة لهم الذهاب إلى هذه المحاكم و المجالس طلباً للعدل، و كانوا إذا مسّت لهم الحاجة يتصلون برئيس الوزراء السيد سالار جنغ مباشراً طلباً للحكم فى قضاياهم و خصوماتهم و شعوراً بحاجة هؤلاء الأغنياء و الإقطاعيين فقد قام رئيس الوزراء بإنشاء محكمة خاصة لهم فى ١٨٥٥م سمّاها " *المحكمة الملكية* ".

و فى عهد الأمير عثمان علي خان الآصفجاه السابع، فقد تمّ إدخال إصلاحات قانونية جديدة على نظام القضاء و تشكيل جديد له كما بُذلت محاولات لتجديده و تعصيره و جعله مماثلاً لنظام القضاء الإنجليزى. و كان السيد كشن براشاد رئيساً للوزراء آنذاك. أما دارالقضاء فقد ظلّت تقضى فى شئون المسلمين المتصلة بالنكاح و الطلاق و المهر و الإرث كما ظل القاضى المسمّى بصدر الصدور يقضى فى الأمور المتصلة بالّذين كانوا يؤدّون خدمات دينية و إجتماعية من المفتى و الإمام و القاضى و المحتسب و أمثالهم. و قد قام الأمير لُطف الدولة بهادر بوضع قوانين و ضوابط خاصّة حول تعيين المسئولين و الموظفين لمحكمة العدل و نقلهم من منصب إلى آخر. و هكذا، فإن نظام العدل الرائج فى البلاد فى ذلك العهد أصبح يتمتع بنفس الدرجة التى كان يتمتع بها نظام القضاء البريطانى.

و قد كان من واجبات أعضاء المجلس للقضاء و غيرهم من كبار الموظفين و المسئولين القيام بالأعمال المتصلة بالمحكمة إلى جانب أداء المسئوليات الأخرى مثل مراقبة نشاطات القضاء و تنفيذ أوامر المجالس و القضاة، الأمر الّذى كان قد يُؤدّى إلى نوع من الخلط و المشكلة بجانب ضياع الوقت، و لذلك، ففى عام ١٩٢١م تمّ فصلُ نظام القضاء من العمل و السلطة التنفيذية بقرار تاريخي حاسم. و ازداد نظام القضاء ثقةً و اعتباراً فى عيون الناس و مكانةً و حرمةً فى المجتمع. و قبل عملية الفصل هذه، كانت لكلّ مصلحة محكمتها الخاصة، و نذكر فيما يلى بعضاً منها :

١ ـ كانت مصلحة الأملاك لها محكمة خاصة.

٢ ـ و لمصلحة الجمارك أيضا كانت محكمة خاصة.

٣ ـ كانت هناك محكمة خاصة لمدير الشرطة فى المدينة.

٤ ـ كانت هناك محكمة تدعى " محكمة تبّا " تعنى بشئون منطقة معينة فى المديرية.

٥ ـ كانت هناك محكمة خاصة لتطوير المدينة.

٦ ـ و لمصلحة الضريبة أيضا كانت محكمة مستقلة.

و علاوةً على هذه المحاكم، فقد كانت هناك محاكم أخرى أيضا للطبقات المختلفة من الجماهير، فمثلا كانت هناك محكمة للسامو دانيين باسم " محكمة سامودان " و للعروب باسم " محكمة العروب " كما أنه كانت هناك محكمة أخرى أيضا باسم " محكمة غوننذارو " للقضاء فى خصومات طبقة " الغوسائيين " من الهندوس. و كذلك، كانت هناك محكمتان مدعوتان " بمحكمة كنج كجيرى " (Garj Kachehri) و " محكمة أهل النشاط "، و كان من مسؤليتهما حسم النزاعات و القضايا المدنية و الجنائية المتصلة بالعواهر من النساء و مهمة المراقبة و القضاء في هاتين المحكمتين كانت تُعهد إلى النساء وحدهنّ. و كانت الفارسية هى اللغة المستخدمة فى مثل هذه المحاكم التى تمّ تعطيلها و حلّها فى أوائل القرن العشرين.

محكمة المندوب السامى :

المكان الذى كان يقيم به المندوب السامى لبريطانيا كان يُدعى بمقرّ المندوب السّامى، الّذى كان يتصرّف و يحكم مباشرةً فى المناطق المجاورة لمقرّه و يقضى فى خصومات و قضايا سكّانها، و لذلك، فقد كان يُطلق على مقرّه هذا اسم محكمة المندوب السامى، التى تمّ تحديد سلطتها فى عام ١٨٦٤م، و أعطيت له مقدرة القضاء فى قضايا البريطانيين و الأوروبيين المقيمين فى المنطقة، بعد حلّ المحاكم الأخرى التى كانت تقضى فى شئون الناس المدنية و الجنائية فيها. و فى عام ١٩٣٣م حينما دخلت منطقة المندوب السامى فى نطاق تصرّف ملك حيدر آباد المعروف بالنظام، تمّ تحويل جميع القضايا المدنية و الجنائية إلى محاكم المدينة التى كانت تؤدى دوراً مستقلاً و وحيداً من نوعه، و كانت المحاكم المدنية فى المدينة غير المحاكم الجنائية و على عدّة أنواع، فمثلاً كانت هناك المحكمة المدنية الكبرى و المحكمة المدنية المعنية بتسوية قضايا سكان المدينة و المحكمة التى كانت تقضى فى القضايا الآتية إليها من خارج المدينة و المحكمة الصغرى.

و قد أنشئت المحكمة الجنائية فى المدينة فى عهد الأمير الهندوسى تشاندو لال (Chandu Lal) فى ١٨٣٨م و استمرّت تُعرَف بنفس الإسم إلى اليوم. و فى ١٨٥٦م أنشئت مصلحة خاصة أخرى لتنفيذ أحكام المحاكم المدنية و عقوباتها. و قد تمّ فيما بعد إنشاء مصلحة أخرى مستقلة لتنفيذ أحكام كُلّ محكمة مدنية.

و فى أوّل الأمر، ففى المحكمة العالية وحدها كانت تقوم جماعة من القُضاة بتسوية النزاعات و القضايا، ثم اصبحت هذه الطريقة رائجة فى المحاكم الأخرى أيضا حيث أخذت جماعات من القُضاة تقضى فى المشكلات و القضايا فى جلسات خاصة للمحاكم العامة.

المحكمة الملكية و العالية :

فى البداية، كانت هناك محكمة تدعى بالمحكمة العالية العثمانية، كما أنها كانت تسمى المحكمة الملكية أيضا، و هى التى أطلق عليها فيما بعد إسم المحكمة العالية (HIGH COURT) التى تم إنشاؤها فى ١٨٧٥م و فى ١٣٠٢هـ حدّدت سلطتُها و مسئولياتها. و أصدر الأصفجاه السابع فى ١٩٢٦م مرسوماً حدّد من خلاله مبادىء توجيهية فيما يتعلق بوظيفة المحكمة العالية و سلوكها و نهجها. و فى ١٩٢٨م تمّت الموافقة على مشروع المحكمة بينما شُكّلت فى ١٩٥٣م لجنات التحكيم فيها و المحاكم التابعة لها، الأمر الذى جعلها مثيلة للمحاكم فى بريطانيا و مساوئة لها. و المحكمة العالية كان يُوَظّف فيها عالم دينى إســــلامى أيضا للنظــــر فى القضايا و الخصومــات فى ضوء الكتاب و السنة. فالقضايا التى كانت تعطى المحكمة عقوبة الموت للمجرم فيها، كان لا بُدّ أن تكون هذه العقوبة مؤيدةً برأى الدين أيضاً يبينه المفتى فى ضوء الفقه الإسلامى، قبل أن يفكر فيها الملك و يعطى رأيه النهائى الحاسم فيها. و كان الملك يحوّل عقوبــة الموت إلى عقوبــة الحبس الدائمى حينما كان يجد الدين لا يراها فى مثل تلك الجريمة. و قد بدأت عملية بناء مبنى المحكمة العالية فى ١٩١٥م التى تمّت فى ١٩١٩م بعد أربع سنوات. و ذلك نفس المكان الذى كان يقع به قصر العدل فى عهد ملوك أسرة قطب شاه.

اللجنة القضائية :

و كان الملك وحده يملك حق المرافعة فى بعض القضايا المدنية البالغة الأهمية التى كانت تتصل بالمبالغ الكبيرة و النقود الباهظة إلى جانب القضايا الجنائية و على أمر منه هو وحده كانت لجنة قضائية تنظر فى قضية من جديد. و هذه اللجنة القضائية التى كانت تعهد إليها مسئولية النظر فى قضية من جديد من قبل الملك، كانت تتكوّن من قضايا المحكمة العالية الموجودين و بعض قضاتها السابقين المحالين إلى المعاش، و فى ضوء قرار هذه اللجنة كان الملك يعطى رأيه فى القضية نهائياً و بصورة حاسمة.

مجلة القانون :

و فى ١٢٩٥هـ صدرت لأول مرة فى المنطقة الجنوبيــة للهنــد مجلة باسم مقنّنى *الجنوب* ، تبعتها مجلة " *قانون الجنوب* " و غيرهـــا من الجـــرائد و الدوريات القانونية الأخرى. و فـــى ١٣٢٠هـ صدرت مجلـــة أخـــرى باســـم تقرير *قانون الجنوب* استمرّت تصدر إلى العام الّذى فُصلت فيه ولاية أندهرا براديش من الولايات الجنوبية الأخرى و جعلت ولاية مستقلــة، و كانت

هناك مجلّة أخرى تصدر من حيدر آباد باسم " نظاير حيدر *آباد* "، كما أنه كان يتم ترجمة الأحكام التى كانت تصدرها المحكمة العالية فى عهد حكومة الإستعمار البريطانى فى الهند من الإنجليزية إلى الأردية و تنشر فى مجلّة باسم " *قضايا هندية* ". و لكن مجلة " تقرير *قانون الجنوب* " كانت تُعدّ أكثر اعتماداً و استناداً من بين جميع هذه المجلاّت المذكورة أعلاه لدى الناس، و لذلك فإنها هى التى كان يعتبرها الباحثون للقانون و المحامون و القُضاة كمرجع لهم.

الوقت و اللباس و اللغة :

و كانت المحكمة تبدأ نشاطاتها و أعمالها كلّ يوم من السادسة صباحاً إلى الثانية ظهراً مادون يوم الجمعة، ثمّ أصبح الوقت يبدأ من العاشرة صباحاً الى الرابعة مساءاً.

و بالنسبة للباس، فإن القُضاة كانوا يلبسون عباءة و يضعون على رؤسهم نوعاً من القلنسوة كان يُشبه الشعر المستعار. و بعد أن فُصل نظام القضاء من نظام العمل و التنفيذ أخذ جميع القضاة يلبسون نوعاً واحداً من الحلل و الأثواب مع أوسمة للتفريق.

و قد أخذت اللغة الأردية مكان اللغة الفارسية التى كانت اللغة الرائجة فى المحاكم منذ البداية فى عام ١٨٨٤م، و كان الملك نظام السابع للجنوب هو الذى أصدر مرسوماً باستخدام الأردية مكان الفارسية و التى ظلّت لغة المحاكم إلى أكثر من ستّين سنةً. و فى العهد الآصفى أصدر السيد سالار جنغ أمراً اعطى به للقُضاة خياراً لإستخدام أية لغة أخرى مُيسّرة لهم مكان الفارسية. و قد تمّ بموجب هذا الأمر تعيين قضاة كانوا يتقنون اللغات المحلّية إتقاناً لكى يستطيعوا تسجيل الشهادات بلغات الشاهدين المحلّية. و فى ١٨٨٤م أصدرت المحكمة العالية دوريةً أمرت من خلالها جميع العاملين فى المحاكم بتعلّم اللغة المرهتية فى سنة واحدة و لغة التيلغو فى خلال سنتين. و كانت المحكمة تعقد اختبارات للذين كانوا يقدّمون أنفسهم للعمل فى نظام القضاء بهدف معرفة مدى إتقانهم للغات المرهتية و التيلغو و الكنثر (Kannara). و قد تغيّر شكل تسجيل الشهادات بعد العملية العسكرية التى كانت الحكومة الهندية قد قامت بها فى حيدر آباد بعد استقلال الهند، و بدأ الضباط المشرفون يقومون بتسجيل الشهادات فى الإنجليزية بينما كان العاملون الآخرون يسجلون الشهادات فى الأردية، و ظلت هذه الطريقة رائجة إلى أن تأسست ولاية أندهرا براديش مستقلة

تعريب : خالد القاسمى

قصة قصيرة

مالك البقرة

بقلم : أمرينتا بريتم

كانت البقرة أغبر اللون إلاّ أن ثديها لم تكن سوداء تماما بل كان ضاربة إلى السوداء. لذلك سماها أهل القرية كبيلا.

كلما حاولت كبيلا النهوض مستندة على أرجلها المكسورة ، سقطت بشدة على الأرض و لم تكن لها المزيد من القوة بذلك. فأخرجت لسانها لاهثة لتلحس رطوبة الكلأ لكنها شعرت بأن الرطوبة قد صارت مثل الدم الحار المملح.

حاولت أن تبحث بعيونها المتحجرة عن الأبقار التي أتت معها لترعى الكلأ في الليل و لكنها سمعت بدلا من ذلك بعض الأصوات من بعيد.

سمعت صوتا كالرعد يقول هذا ظلم على البقرة الأم، إن القتلى لظالمون.

و جاء صوت آخر متهدج يقول إن البلد الذى يرتكب فيه مثل هذا الذنب و لا يوجد فيه دين و لا مبدأ فإن ذلك البلد سوف يفني.

و بعد ذلك تجمعت أصوات كثيرة كأنها تهاجم ضوء الشمس الطالعة.

كانت الأصوات تأتي من قريب و من بعيد. ثم ساد الصمت.

كان جسم كبيلا يفقد الوعي و خفها تتلطخ بالدماء السائلة من حولها. فظنت أن هناك جنودا يحومون حولها في أزياء عسكرية.

نظرت كبيلا بعيونها المتحجرة إلى الجهة التي كان الناس ينظرون إليها، كانت على بعد طائرة ساقطة على الأرض.

فسمعت شخصا يقول .

سيدي .. ! كان هذا تمريننا ثانيا لي للطيران في ليلة مظلمة. حاولت الإقلاع مرة أخرى بدون الهبوط على الأرض.

و أضاف:

قمت قبل الإقلاع بأعمال متينة، أوقفت الطائرة على مجرى الطائرات ثم طرت إلى الفوق جدا. و لما نظرت إلى الخارج لم أر إلا أنوار مجرى الطائرات.

سيدي ... ! كانت الطائرة تدور و السرعة تزيد حتى بلغت إلى نقطة عالية جدا. و في ذلك الوقت كنت أنظر إلى الآلات. ففجأة ارتفعت نوزهيل إلى

الفوق و شعرت بصدمة شديدة. فأوقفت المحرك تماما و استخـــدمت الفرميــل و شعرت بأن أحدا يهزّ الطائرة بشدة.

رأيت أن الطائرة قد انشقت. و سقطت في هوة على بعد من مجرى الطائرات عند الأشجار. ما كنت استطيع إلا أن أنظر الأنوار على جانبي الطائرات. ثم انكسرت العجلة فورا ، عجلة الأيمن. و الشرارة تتطاير بسبب الاحتكاك.

أين كان مساعد الطيار في ذلك الوقت. سأله رجل.

سيدي ... ! أنا مساعد الطيار. كنت جالسا على المقعد الخلفي عند إقلاع الطائرة فلما توقفت الطائرة ، أردت أن أفتح باب الدخول و لكنه لم ينفتح. ثم رأيت أن رأس الطائرة قد انكسر مما انفتحت فتحة كبيرة فخرجت منها إلى الخارج.

كيف خرجت .. ؟

سيدى .. ! لم يكن أمامي إلا طريق واحد و هو أن أقفز إلى الخارج من الفتحة. و لمّا خرجت ، رأيت أن الجانب الأيمن من الطائرة قد انكسر. و كان قرب مجرى الطائرات دماء كثيرة و بقرات ميتة. خفت بألاّ تشتعل النار في الطائرة. فجريت فورا لأقف على بعد.

ثم جاء صوت يسأل: كيف جاءت هذه البقرات إلى المطار ...؟

سيدي ... ! لا أعرف شيئا.

لنترك القضية في ذمة التحقيق، و لكن لا تذهبا إلى الخارج. لأن حياتكما في خطر. هناك مظاهرات و اجتماعات في القرية ضدنا.

كانت كبيلا تحتضر و لكنها لم تكن قد ماتت. كانت عيونها تفتتح للمحة ثم تنغلق.

كان ضوء النهار يتحوّل إلى الظلام. حسبت أن الناس مجتمعون حولها. حتى سمعت أصواتهم.

من هم أصحاب هذه البقرات ؟

ساد الهدؤ. و لم يقل أحد شيئا. ينبغى أن يستكب كل واحد من أصحاب البقرات إسمه لتجد تعويضا عن بقراته الميتة.

ثم علت أصوات عديدة كأن كل واحد يتكلم في وقت واحد.

كانت لى بقرة ، يا سيدي ... ! لونها أبيض و إسمها شيرا.

و كانت لى بقرة ، يا سيدي .. ! كنت قد سميتها تين تان.

و يا سيدي ... ! كانت لى بقرة إسمها لورى.

كانت هناك أصوات كثيرة و أسماء عديدة. فارتفعت صرخة. إنكم استكتبتم عشرين إسما و البقرات ليست إلا عشر فقط. كلكم كذابون.

حاولت كبيلا أن تفتح عيونها لتعرف أصحاب البقرات التي كانت معها. كانت بعض الوجوه معروفة و بعضها غير معروفة بالنسبة لها. لم تعرف من

أين جاء هؤلاء الناس. عرفت كبيلا صاحبها موهن. إلاّ إنها تذكرت عجلها. فحاولت أن تقول شيئا و لكن صوتها لم تخرج من حلقها.

صرح قائلا إنكم تدعون بأنكم أصحاب هذه البقرات على أمل بأنكم ستجدون تعويضا عن البقرات الميتة. لكنكم لستم بأصحاب هذه البقرات الميتة. و إنكم كذابون.

لم يعرف، هل كان ذلك الظلام، ظلام الليل أو ظلام الموت السائد على عيون كبيلا. ثم ارتفعت أصوات تسأل كيف دخلت هذه البقرات إلى ميدان الطائرات يا حارس . ؟ يظهر أنها كانت تأتي كل ليلة لترعى الكلأ. أنت كنت تأخذ الرشوة من أصحابها فأنت متهم بتهمة الرشوة

كانت كبيلا تفقد وعيها. فسمعت بعض الكلمات و لم تسمع بعضا منها. و حاولت أن تهز ذيلها لطرد الذباب الجالسة على جسمها لكن بدون جدوى.

فسمعت فجأة صوتا يسأل: أين غاب كل هؤلاء الناس العشرين. الآن لا يدعي أحد بأنه صاحب بقرة. كل واحد يقول ليست هذه البقرات له. لا لشيء إلاّ لأنهم علموا أن خسارتنا بتحطيم الطائرة تبلغ ثلاثة و خمسين مائة ألف روبية و سوف يطالب من أصحاب هذه البقرات أن يعوضوها.

بحثت كبيلا عن مالكها موهن و لكنه لم يكن موجودا. و هناك تذكرت بأن موهن لما أصيب مرة بمرض خطير، نصحه رجل بإطعام حلاوة مصنوعة بالدقيق لكبيلا كل يوم الثلاثاء بيده.

كانت كبيلا تشعر بجوع شديد في كل أجزاء جسمها النحيف في تلك الآونة الشديدة. فتذكرت الحلاوة يوم الثلاثاء.

أ ليس اليوم الثلاثاء ...؟ أ ليس موهن مالكها .. ؟ أ ليس أحد صاحبها ...؟

شعرت كبيلا بأن شيئا يتحرّك حولها. لعل زوجة موهن قد حضرت و جاءت لتلمس بأيديها جسد بقرتها و هي على وشك الموت.

حاولت أن تعرفها بعيونها المفتوحتين. كان شيء يلمس جسمها. و كان ناعما جدا. أنعم من أيدي زوجة موهن. عرفت كبيلا بعد أن سقطت قطرة دم حار من عيونها إنه كان عجلها. و لم تعرف متى وصل هناك. إنه كان يلسع بلسانه جسد أمه الميتة.

تعريب: سراج الحسن

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٤٢ العدد ٤

١٩٩١م

المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهى

الهند

إن المجلس الهندى للعلاقات الثقافية منظمة حرة تحت وزارة الشئون الخارجية للحكومة الهندية، أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و كجزء من برنامج مطبوعاته الموجه لتحقيق هذا الحوار الثقافى بين الهند و البلدان الأخرى، ينشر، بين ما ينشر، عدة مجلات ففى الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و فى الفرنسية "Rencontre Avec l' Inde" و فى الاسبانية "Papeles de la India" و فى الهندية "Gagananchal" كلها تصدر أربع مرات فى السنة. وبدل الاشتراك السنوى للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية مطبوع فى العمود المقابل *إلاّ ان مجلاّت المجلس فى اللغات العربية و الفرنسية و الاسبانية توزع مجاناً*

و المراسلات المتعلقة ببدل الاشتراك و دفع الثمن و بشئون الطباعة و النشر توجه إلى :

The Programme Director (Pub)
Indian Council for Cultural Relation,
Azad Bhavan,
Indraprastha Estate
New Delhi - 110002

بدل الاشتراك

(المجلات فى الانكليزية و فى الهندية فقط)

عدد واحد - ٥ روبيات، £1.00 - $2.50
سنويا - ٢٠ روبية، £4.00 - $10.00
٣ سنوات - ٥٠ روبية، £10.00 - $25.00

نشرها و طبعها السيدة فينا سيكرى المديرة العامة المجلس الهندى للعلاقات الثقافية ، آزاد بوان ، نيو دلهي - الهند. طبعت فى مطبعة فاب انتربرانسيز جرين بارك ، نيو دلهي.

توزع مجاناً

رئيس التحرير: البروفسور نثار أحمد الفاروقى

مجلـــة ثقافة الهند فصليـــة

المجلـــد ٤٢ العـــدد ٤

١٩٩١م

محتويات هذا العـــدد :

رحلة روما و مصر و الشام

بقلم : العلامة شبلى النعمانى

كانت رحلتي إلى قسطنطينية و غيرها من البلدان فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٢ هـ (١٨٩٢م) مجرد رحلة علمية. و لما لم تكن هذه الرحلة تحمل أهمية غير عادية و لا حوادثها تتصف بالغرابة. لم تنشأ فى قلبى رغبة فى تقييد مذكراتها، و لكن الأصدقاء و الأحبة ألحوا عليّ أن أقيد مذكرات هذه الرحلة العلمية البسيطة. و رأيت أن العلماء قد استوحشوا الرحلات العلمية منذ فترة طويلة. فلا سبيل لهم إلى الإطلاع و التعرف على أوضاع البلاد الإسلامية، فعذرتهم فى هذا الطلب و الالحاح. و تذكرت حالى قبل هذه الرحلة، إذا وقعت على سائح من قسطنطينية أو غيرها من المدن، جلست إليه ساعات أستفسره عن أحوالها و حوادثها.

هذا هو السبب الذى حملنى على تقييد هذه المذكرات، و إن المعارف التى تعتبر جزءاً أساسيا لتأليف الرحلات من شرح أوضاع البلاد و هيئتها الإدارية، و مبادئها فى القضاء و الحكم، و طرق تجارتها و خطط مبانيها لم يتوفر شيء منها فى هذه المذكرات. إلاّ أنى قد جمعت من الأوضاع العلمية و الإجتماعية شيئا كثيرا، و لكن لا بالتفصيل المطلوب، فكل من يريد أن يطالع هذه المذكرات كمذكرات رحلة لن يستمتع بالكتاب استمتاعاً تاماً ، و لكن الذين يجدون اللذات و المتع فى الأحوال العادية لبلدان العالم الإسلامى، فإنى أقدم إليهم هذا التأليف المتواضع فما لا يدرك كله لا يترك كله.

إنى و إن لم أتناول فى هذا الكتاب دراسة الشئون المدنية و الحضارية للترك ، و لكن هذا الكتاب سيترك فى قلوب القراء آثاراً للمدنية و الحضارة التركية تختلف عما تتركه الكتابات الغربية العامة.

كانت الأفكار التى شاعت فى أوربا ضد المسلمين يجهر بها إلى مدة طويلة فى صورة تنم عن العصبية الدينية، و كان هذا هو الطريق الممهّد للإنتشار و الشهرة و القبول آنذاك. و لكن لما فقد الدين أهميتـــه فى أوربـــا و تضاءل تأثير الأناشيد الدينية ، تشكلت هذه السياسة فى صورة أخرى ،

أدركوا الآن أن الجهر بالعصبية ضد المسلمين لن يحمل نفعا كبيراً ، بل ابتدعوا منهجا حكيما و بدأوا يقدموا سلبيات الدول الإسلامية ، و الشعوب الإسلاميـة و الإجتماع الإسلامى و معايبها فى زى التاريخ ، و تتسرب عن طريق التاليفات العامة و القصص و الروايات و الأمثال فى الكتابات تسربا يعجز حتى التحليل الكيمياوى أن يميزها .

إن هذا المنهج الماكر و إن كان يطبق على شعب من شعوب العالم الإسلامى ، و لكن لا يهمنا الآن إلاّ الأتراك ، فالكتابات الأوربية توحى إلى القراء بمعايب الترك و مثالبهم حتى يضطروا إلى الاحتقار بهم و الازدراء بهم.

إن دائرة المؤلفين فى أوربا واسعة جدا ، ففيهم المتعصبون ، و الصالحون، و السطحيون ، و المدققون . لكن هـــذه الفـــروق تتلاشى عند ذكـر الأتراك ، و تتغنى كل قيثارة بترنيمة واحدة .

إن أنجع وسيلـــة للإشادة بأمـــة أو النيل منها أن لا يقدم مـــن أحوالهـــا و شئونها إلاّ صورة واحدة ، و الواقع أن أوربا طبقت هذا المنهج الماكر أكثر من أىّ شعب من شعوب العالم.

لاشك أن فى أوربا رجالا رحبة صدورهم بعيدين عن العصبية و لكنهم نشأوا منذ طفولتهم على أفكار و وفرت لهم بيئتهم معارف و ترددت إلى أسماعهم أصوات لا يمكن أن تواجهها نزاهتهم . إنى أعرف زميلاً لى معروفا بعلمه و ذكائه و نزاهته و بُعده عن العصبية ، رجع عن رحلته إلى قسطنطينية و القاهرة، و غيرهما من بلدان العالم الإسلامى ، فسألته عن زيارته لجامع الأزهر ، فقال : " كان لى شوق كبير و رغبة جامحة فى زيارته، و لكن دليلى قال لى انه لا يسمح للمسيحيين بالدخول فيه ". و هذه تهمة كاذبة لا تمت إلى الواقع بصلة ما. فقد أقمت أنا بجامع الأزهر نحو شهر. و كان زملائى المسيحيون يدخلون علىّ و يزورونني، و لكن لما كانت عصبية المسلمين فى أوربا أمرا مجمعا عليه فانى لصديقى أن يقع فى قلبه شك أو ريبة فى خبر دليله؟

و الغريب أنه اذا خالف أحد هذا المنهج فليس صوته فى أوربا إلاّ كصدى فى صحراء قاحلة موحشة ، أقامت أميرة انكليزية بقسطنطينية نحو خمسة عشر أو ستة عشر عاماً ، و ألفت كتابا أسمته " حكم عبد *الحميد الثانى طيلة اثنى عشر عاماً* " و كانت كفاءة المؤلفة و مؤهلاتها العلمية و خبرتها الطويلـة و الوسائل الصادقة للإستطلاع و الاستخبار مما يزيـــد الكتاب ثقة و صدقـــا و عدلا و لكنها لم توال أوربا فىّ النيل من الأتراك و الإساءة إليهم لم تبلغ درجة الثقة و الاستناد ، و لقد سمعنا المثقفين و العلماء يقولون :

" لا غرو إذا كان الأتراك قد ألفوا هذا الكتاب و عزوه إلى إسم مختلف ، أو أن الجوائز الملكيـة حملت تلك الأميـــرة الانكليزية على تأليف هذا الكتاب و لكن لو كان هذا الكتاب يدور حول معايب الأتراك و مثالبهم لكانت كل كلمة

منه مقطوعا بها لديهم، إن المقالات التى دبجها يراع الكاتب الأستاذ ويمبرى عن حضارة الأتراك و مدنيتهم فى ضوء دراساتــه و بحوثه فقدت كل قيمة و تأثير لمجرد أن الأستاذ اعترف بالتقدم العلمى و الثقافى للأتراك .

هذه هى السمة البارزة للكتابات الأوربية العامة عن الأتراك، لكن هنا يجدر بى أن أتحدث عن كتب الرحلة التركية ، لأن ثروة كبيرة من الكتب الأوربية التاريخية تعتمد عليها، إن الرحلة و إن كانت جزءا ممتعا للسلسلة التاريخية ، و لكنها كذلك حافلة باحتمالات الأوهام و الأخطاء.

من أكبر الأخطاء التى يقع فيها مؤلفو الرحلات استخراجهم الأصول الكلية من الأمور و الشئون الجزئية ، فالرجال الذين يلقاهم المرء فى رحلته يقوم بتكويــن رأى عــام عن الشعب بأســره بناءً على أخلاقهــم و عوائدهــم و سلوكهم، مع أنه من الممكن أن تخص تلك الأخلاق و العوائد أولئك الرجال وحدهم ، فإنه يحاول استخراج نتيجة عامة من كل حادثة ، من دون أن يبحث عن العوامل من ورائها.

و كذلك حينما يزورشخص بلدا من البلدان ، يزوره و فى قلبه أفكار موالية له أو معادية ، فلا يراقبه إلاّ بنظرات عاجلة أو أسماع سطحية ، و بهذا الإستطلاع العاجل لا يكفى للتوصل إلى نتيجة ، و لا يجد فرصة للإنتظار. فيتصرف حينئذ بظنونه و أقيسته المزيجة بما يحتضن بين جوانحه من أفكار و آراء حسنة أو سيئة و هذه الأخطاء تقع فيها جميع شعوب العالم. و لكن الأوربيين يفوقون فيها بدرجة خاصة، لأنهم يتسمون من التسرع و قلة الصبر فى استخراج النتائج بما لا نشاهد مثله فى أى أمة من الأمم ، و من ثم نرى أن سائحا أوربيا من عامة الناس إذا اتفقت له زيارة للهند رجع بعــد أسبــوع أو أسبوعين و الصحف و المجلات الأوربيــة تنشر مقالاته و انطباعاته بدعاوى و مزاعم كبيرة، حتى و كأنه قد أزيح له الستار عن جميع أسرار الإجتماع الهندى و المدنية الهندية.

و من أكبر أسباب هذه الأخطاء أن السائح يحمل شوقا كبيرا للتعرف على الأحوال و الاستطلاع عن الشئون ، فيحاول الحصول على الأخبار و المعارف من كل شخص اتفق له اللقاء معه ، و لا يبالى بما اذا كــان ذلك الشخص ثقــة أو غير ثقة ، متنورا ، أو متعصبا ، دقيق النظر أو سطحيا، و الأوربيون قد فاقوا جميع الأمم فى هذه اللامبالاة ، فمعظم السائحين الأوربيين الذين يزورون قسطنطينية يقيمون بصفــة عامة بفنادق "بيوغلى" و "غلطــة" و يصحبهم دليل أو خريت كلما خرجوا ، يزيرهم المبانى و الأمكنة و البقــاع ، و يرد على الأسئلة التى يوجهونها إليه ، و هؤلاء الدليلون مسيحيون بصفة عامة. يعملون بأجرة روبية أو روبيتين يوميا ، و يستطيع كل شخص أن يقدر مدى قيمة استطلاعاتهم.

كتبت فاطمة خانم (١) فى مقدمة كتابها

"إن السيدات الأوربيات اللاتى اتفق لى اللقاء معهن كلما تحدثت إليهن عن النساء التركيات خطر ببالى كأنى أشرح لهن قصة أمة أخرى ، أو كأنها أسطورة من الأساطير".

علقت فاطمة خانم على هذه الظاهرة بقولها :

"ليس الخطأ خطأهن ، فكل ما يبث به الدليلون إلى سائحيهم يثقون به " و إن زميلنا الذى حرم زيارة جامع الأزهر كان دليله هو الذى خدعه . فكان من اللازم أن تختلف كتابتى عن الكتابات الأوربية ، و قد أجملت أسباب ذلك فيما مضى.

إن الآثار التى تركتها هذه الرحلة على نفسَى سيطلع عليها القارئ خلال دراسته لهذا المقال، و لكن مما لابد لى من أن أذكره هنا أن وضع المسلمين فى تركيا - بصرف البصر عن الحكومة و السلطة - ليس مما يبعث فى النفس السرور و الطمأنينة ، بل إن وضعهم يشبه إلى حد كبير وضع المسلمين فى الهند لا علاقة لهم بالصناعات ، و إسهامهم فى التجارة ضئيـــل جدا ، فالمتاجـــر و البقـالات العاديــة كذلك يمتلكهـــا اليهـــود و المسيحيون ، و الوضع التعليمى القديم يزداد سوءا فسوءا. و الثقافة الحديثة تشترك فى الشكاوى عنها الهنـــد و تركيا ، فالصراع مستمر بين الثقافة القديمة و الثقافة الحديثة ، و لم يوجد إلى الآن مزيج منهما ، و أصحاب الأفكار القديمة لا يزالون يجهلون باتجاه الزمان ، و المتجددون يقولون و لا يفعلون ، و قد ساد الشعب بأسره الإضمحلال مكان العزيمة و الألفة و الاستقلال و الحماس ، كل شخص فرح بما لديه ، هذا هو الوضع الآن ، و لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرا.

نية الرحلة و مبدأها :

حينما نشأ فى قلبى تأليف سلسلة " أبطال الإسلام " (٢) وجدت أن الثروة التاريخية المتوافرة فى بلادنا لن تساعدنى أبدا فى إنجاز هذا العمل الخطير ، الأمر الذى أنشأ فى قلبى الرغبة فى الرحلة ، فقد كنت متأكداً من أن بقايا المؤلفات الإسلامية فى مصر و روما يمكن أن نكون على أساسها هذه السلسلة.

كانت عزيمتى قد قويت ، و لكن بعض الأسباب حالت دون إنفاذها، حتى يئست ، و تحولت تلك العزيمة إلى فكرة ضعيفة ، إذ بعثت هذه العزيمة فى العام الماضى. و قمت بالرحلة ، لازمنى المرض طول السنة الماضية ، حتى ضجرت من العلاج و الدواء و نويت تغييـــر المناخ و البيئة ، و كاتبـــت إلى زملائـــى فـــى « المورة » و « كاشمير » ، إذ وصلنـــى أن البروفيسور آرنولـــد أستـــاذ

مدرسة العلوم (جامعة عليجراه) سيسافر إلى وطنه، فرأيت أن رحلة مصر و روما، و تغيير المناخ و صحبة الأستاذ أرنولد قد اجتمع كل ذلك، فلابد أن أغتنم الفرصة، و خرجت لتوى إلى البروفيسور، و سألته أن أرافقه، فسر بذلك سرورا كبيرا و وعد بمساعدتى فى القيام بالشئون اللازمة للسفر

حصلت من الكلية على إجازة ستة أشهر، و خرجت من عليجراه فى ٢٦/ ابريل سنة ١٨٩٢م، و كان المستر آرنولد قد غادر إلى "جانسى" (Jhansi) لمقابلة صديق له قبلى بيومين، فرافقنى فى موقف "جانسى" و قطعنا الطريق كله فى استمتاع كبير. كان المستر آرنولد قد اطلع الحاج رحمة الله بن داؤد (و هو أحد التجار الكبار المتنورين فى بومباى) بمقدمه، و وصلنا إلى بومباى و أقمنا فى بستان له. و بعد يوم وصلنا إلى ميناء بومباى، و ركبنا على الباخرة فى الساعة التاسعة صباحا غرة مايو، و غادرت فى الساعة الثانية عشرة تقريبا، و قلت " *بِسْمِ اللّهِ مَجْرَيْهَا وَ مُرسَاهَا* " و ودعت الهند، و لم يكن فى الدرجة الثانية من الباخرة إلاّ خمسة ركاب من جنسيات مختلفة. أحدهم مسلم و الثانى انكليزى، و الثالث فارسى، و الرابع اسبانى، و الخامس سيامى.

عصبية مسيحى ضد اللغة العربية :

كنت طول اليوم أستمتع بمشهد البحر و منظره، و بدأ المستر أرنولد يتعلم اللغة العربية، و كان المسيحى الأسبانى يتحرق غيظا و كراهية من دراسة اللغة العربية، و كان يأتيه و يقول له فى لهجة ملؤها ازدراء و استخفاف باللغة العربية " هذه لغة الإبل " و كان سلوكه هذا يسوءنى و يؤلمنى، و لكن رأيت أنه من الطبيعى أن يصدر منه هذا التصرف لأن الاسبان داموا إلى مدة طويلة تحت سيادة العرب و حكمهم.

التصرفات المشينة للسماليين :

و وصلت الباخرة فى ٧ / مايو سنة ١٨٩٢ م إلى عدن و وقفت على بعد من الشاطىء. و من الممتع الغريب فى عدن أن الأطفال السماليين يركبون على الفلوكة و يقتربون من الباخرة و يقومون بتصرفات بهلوانية لأخذ الجوائز من الركاب، يرقصون، و ينطقون بكلمات مهملة و يصفقون. و مبلغ فنهم أن الناس حينما يعطون الجائزة يلقون فلسا أو فلسين فى الماء فيغوصون فيه و يستخرجونه. و كان معظم الإنكليز يستمتعون بهذا اللعب، و كان المستر آرنولد كذلك يستلذ به. و لكن كنت أعانى من قلق كبير. لأنى ظننت أن عامة سكان هذه البقعة هم العرب. فكان من الطبيعى أن أنظر إليهم بعين التقدير و الاحترام و المحبة، و لكن تصرفاتهم البهلوانية المشينة من أجل نيل الجوائز

كانت تؤلمني ، و كنت أتقطع أسفا و حزنا أن العرب قد انحطوا إلى درجة أنهم لا يستحيون من مثل هذه التصرفات ، و كان قلبي يتلوى و يتحرق كمداً ، حتى سالت الدموع من عيني. و جرى على لساني " قم يا عمر" و كان المستر أرنولد بجواري ، فالتفت إليّ فلما شرحت له حال قلبي حملق في وجهي و سكت ، فلما دخلت المدينة و استكشفت و تقرر لدى أن السماليين ليسوا عرباً عاد إليّ هدوئي و طمأنينتي ، و هذا الألم و الغضب هو الذي حملني على أن هجوت السماليين هجواً مقذعاً .

و كان الوقت ضيقا ، فلم أتمكن من التجول في داخل المدينة. و من هنا كتبت الرسائل إلى الهند.

لغة عدن :

إن لغة عدن عربية بصفة عامة ، و الفرس و الهندوس و البنجاليون الذين يقيمون بها من أجل التجارة يتكلمون باللغة العربية من دون كلفة ، و لما لم يكن لي عهد بالهندوس يتكلمون بهذه اللغة الكريمة ، فقد كنت أشعر بلذة غريبة و متعة كبيرة تسري إلى نفسي إذا سمعتهم يقولون " أين تروح " " ما تبغي " .

إن اللغة و إن كانت عربية ، و لكنها في غاية من الفساد و اختلال الكلمات . لم أستطع أن أتابع إلاّ كلمتين أو كلمات ، و لعل ذلك يرجع إلى الإحتكاك الزائد بالعجم و الأجانب ، و قد شكا من اختلال لغة عدن العلامة المقدسي و هو رحالة القرن الرابع الهجري .

حادثة :

جرت بنا الباخرة من عدن ، و نحن نستمتع بالبحر و مشهده ، إذ حدثت في اليوم التالي حادثة خطيرة أقلقتني لوقت ، لما استيقظت صباح العاشر من مايو أخبرني صاحب لي في السفر أن الوابور قد اختل و فسد، و رأيت أن الربان و موظفي الباخرة يغشاهم الاضطراب و القلق ، و يحاولون إصلاح الوابور، و فزعت إلى المستر أرنولد ، فوجدته عاكفا على دراسة كتاب في هدوء بالغ ، فقلت له : هل عندك من خبر؟ ، قال . نعم إن الوابور قد اختل ، قلت : ليس بك اضطراب ؟ و أنت عاكف على دراسة الكتاب ، فقال : إذا كانت الباخرة لا بد من اختلالها فان هذا الوقت ثمين جداً . و من البلاهة أن نضيعه ، فأثر في نفسي هدوءه . ثم صلح الوابور بعد ثمان ساعات .

وصلت الباخرة إلى السويس في ١٣ / مايو، و وقفت بها لثلاث أو أربع ساعات ، و أسرع إلينا المصريون العرب بالجبن و التمر و الخبز للبيع . تقدم

واحد منهم إليّ ، و حدثنى باللغة الأردية ، فعجبت من ذلك ، و استفسرته ، فقال : إنه لم يزر الهند قط ، فازددت عجبا من عالمية اللغة الأردية ، و وصلنا إلى بورسعيد فى ١٤ / مايو .

و نزلنا عن الباخرة فى بورسعيد ، و تجولنا فيها ، ثم ركبنا إلى الباخرة التى تحملنا إلى قسطنطينية ، و ركبها كثير من المسيحيين ممن يقصدون حج بيت المقدس ، و ودعنى المستر آرنولد بعد برهة ، و أهمنى كيف أقطع السفر وحيدا.

و وصلنا إلى بيروت فى ١٦/ مايو، و نزلت و تجولت فى المدينة و مما بعث فى نفسى سروراً أن الباخرة هنا امتلأت بالركاب المسلمين العرب. فتاقت نفسى إلى أن أجلس إليهم و أتحدث معهم، و ذهبت إليهم و لكنهم لم يلتفتوا إليّ ، كل من قمت عنده ألقى عليّ نظرة ، ثم شغل عني، فعجبت من جفوتهم ، و قلت فى نفسى العرب معروفون باكرامهم للضيوف، و هؤلاء يبخلون بالحديث ، و كان من بينهم طلاب المدرسة الحربية يقصدون قسطنطينية بعد قضاء اجازتهم ، و كانوا أحيانا يقرأون بعض دواوين الشعر العربى، فذهبت إليهم و حاولت أن أتحدث إليهم . و لكن لم يلتفتوا ، فأيقنت أن لذلك سببا ، ثم سألنى أحدهم عن ديانتى، فقلت " أنا مسلم ، فقال : لا و اللّه ، أ هذا طربوش المسلم" ، و من سوء الحظ أن كان على رأسى قلنسوة فارسية ، فظنوا أنى مجوسى، لما أنكشف لى هذا السر ، أزلت ظنهم، فرحبوا بى أشد ترحيب ، و ضمونى إليهم ، و استكشفت طلاب المدرسة الحربية عن قسطنطينية و أحوالها.

و كنت أشعر فى الباخرة كذلك أننا فى بلدان العالم الاسلامى فقد كان ضباط الباخرة يعاملون ركاب الدرجة الثالثة من بومباى إلى السويس معاملة الحمالين ، و لكن الوضع هنا تغير ، فضباط الباخرة و موظفوها أوربيون بصفة عامة. و لكنهم ما كان لهم أن يعاملوا الركاب معاملة سيئة .

و وصلت الباخرة إلى قبرص فى ١٧ / مايو ، و هى جزيرة صغيرة ، فى بحر الروم ، من ذكريات الفتوح الإسلامية القديمة. هجم عليها معاوية رضى اللّه عنه فى خلافة عثمان بن عفان رضى اللّه تعالى عنه ، و استولى عليها فى هدنة ، ثم احتلها المسيحيون بعد مدة ، و أخيراً افتتحها الترك سنة ١٥٧٠ م ، ثم أخذها الإنكليز بشريطة أداء الخراج السنوى للسلطان .

فى هذه الجزيرة بلدتان كبيرتان لرنكة ، و لامون. تجولت فى لامون ، دخلت فيها و على رأسى طربوش فارسى ، فى عباءة هندية ، إذا مررت بمكان لا حظنى الناس بعيون الإستعجاب ، و إذا وقفت تجمعوا حولى ، دخلت أولا فى المسجد الجامع ، و بجواره كتاب ، رأيت فيه عالماً فى زى جميل و هيئة وقار و متانة وجدته يلقى الدرس على الصفوف الإبتدائية ، بادرته بالتحية ، فقام و ردّ عليّ السلام فى أسلوب لطيف و لهجة كريمة ، و أشار إليّ بالجلوس. كان

الطلاب جالسين حول المناضد، فجلست قريبا منهم ، و تلا واحد منهم بعض أي الذكر الحكيم بأمر من أستاذه ، أثرت فيّ تاثيرا كبيرا ، و قلت · أين تلك الصحاري القاحلة في الحجاز ، و أين هذه الجزر النائية في بحر الروم ، ما هذا التأثير الذي يحمله هذا الكتاب الكريم و الذي سرى كتيار كهربائي من الشرق إلى الغرب ، كان ذلك الطفل ذا صوت حسن ، مطبقا لمبادىء التجويد ، و اختار الآيات المؤثرة. ففعل كل ذلك فيّ فعل السحر، أذهلني إلى وقت طويل .

يحكم الإنكليز هذه الجزيرة منذ خمسة عشر أو ستة عشر عاما. و لكنهم ـ تحت استراتيجيتهم الخاصة ـ قد سمحوا بكثير من الشئون القديمة و المحاكم القضائية مستقلة. و لا تدخل للإنكليز من القضايا الشرعية ، و اتفق لي شرف الالتقاء بحضرة القاضي، فوجدته سمح الخلق و لين العريكة و مطبوعا على الرزانة و الجد ، و المنهاج التعليمي كله تابع للنظام التركي؛ و المدارس و الكتاتيب كلها تتبع مقررات الحكومة التركية. إن الكتاب الذي ذكرته آنفا، يدرس فيه القرآن الكريم و رسالة بدائية في الفقه ، و التاريخ و الجغرافيا ، و النظام جيد ممتاز ، كنت زرت هذا الكتاب حين مرجعي من قسطنطينية . و كان الوقت صباحاً ، لم يحضر المدرس آنذاك ، و كان فيه طفلان أو ثلاثة أطفال ، قابلوني في أدب و خلق كبير، سألني واحد منهم عن وطني ، فقلت . أنا من الهند ، فقال : الهند بلاد واسعة كبيرة ، سم منها مدينة خاصة ، فقلت · عليجراه ، قال · سأنظر في الخريطة أين هي ، و كانت خريطة الهند معلقة على الجدار ، فألقى عليها نظرة عابرة ، و وضع اصبعه على عليجراه ، و قال . ههنا ، و لم يكن تجاوز عمره عشر سنين ، فعجبت من ذكائه و ذاكرته القوية ، سألته من ملكك ؟ قال : أفند، أفند كلمة تركية تعني المخدوم . و إذ اضمت إليها الميم أريد بها السلطان بصفة عامة ، قلت . الإنكليز يحكمون هنا ، فقال . نعم إنهم مستأجرون يؤدون الخراج السنوي ، و من استراتيجية الإنكليز أنهم إذا استولوا على بلاد استولوا عليها تدريجيا حتى لا يشعر السكان و المواطنون بتحول النظام و انقلاب الحكم.

اللغة هنا تركية. و في كل بلدة من البلدان الواقعة بين لمامون و قسطنطينية إنما ينطقون بهذه اللغة ، و يقدر من ذلك مدى سطوة حكم الأتراك أنهم غيروا لغات الشعوب التي حكموها ، فآسيا الصغرى بلاد واسعة. يسكنها المسيحيون في عدد كبير، و كانوا في القديم ينطقون باللغة الاغريقية ، أو اللاتينية ، و لكن الآن ينطق الناس في البلاد من أقصاها إلى أقصاها باللغة التركية . و المدرس و القاضي الذان لقيتهما في قبرص و إن كان لهما معرفة باللغة العربية و لكن ما كانا يقدران على النطق بها إلاّ لبعض الكلمات اليسيرة التي جرى على أساسها الحديث بيني و بينهما.

و هذا الوقت القليل لم يكن يكفيني للإطلاع التام على وضع المسلمين و لكن ظواهرهم نمت عن سوء حالهم ، فكل ما شاهدته من مبنى شامخ ،

أو متجر ضخم وجدت بعد البحث أنه لمسيحي .

وصلت الباخرة في ١٨/ إلى رودس، و وقفت بها لثلاث أو أربع ساعات، و هي جزيرة صغيرة ، مساحتها ـ حسب تصريح المؤرخين القدامى ـ نحو ستين ميلا ، و الجغرافيا التي قام بترجمتها جمعية عليجراه ذكرت أن طولها أربعون ميلا، و عرضها خمسة عشر ميلا، افتتحت في عهد معاوية (رضي الله عنه) سنة ٥٢هـ ، و هاجر إليها جماعة من المسملين و سكنوها ، و كنت في رغبة شديدة في زيارتها لقدمها، و لكن من سوء حظي أن باخرتنا وصلت إليها ليلا، و لم يقم أحد من الركاب ليرافقني في التجول فيها، و كذلك اتفق لي عند الرجوع فحرمت تجوالها.

وصلنا إلى أزمير صباح العشرين من مايو، و هي مرفأ كبير، فوقفت بها الباخرة يومين، نزلت مع أصحابي الشاميين، هذه المدينة التي تسمى في اللغة الانكليزية " سمرنا " مركز آسيا الصغرى ، و ليس في هذه الولاية مدينة أوسع منها و لا أكثف سكانا. و هي مدينة تاريخية عتيقة تذكارية ، و بها قبر هوميروس الشاعر الاغريقي الشهير و الذي يراه الأوربيون أكبر شعراء العالم، و الكنائس المقدسة السبعة التي ذكرها الانجيل كانت واحدة منها في هذه المدينة. و قد دمرت و خربت هذه المدينة عشر مرات في تاريخها، و يزيد عدد سكانها الآن على مأة ألف ، و الأرض حولها خصبة ، و هي مركز تجاري كبير. ترى في موانيها عشرات من البواخر و السفن كل حين و آن ، و كذلك هنا نظام القطار.

و الآثار الاسلامية هنا كثيرة ، ذكر لي أن عدد المساجد لا يقل هنا عن ثلاث مأة ، و بعضها فخمة و في أبهة كبيرة.

نزلنا عن الباخرة ، فرأينا سلسلة طويلة من المباني الشامخة على شاطيء البحر، فيها فنادق ، و مقاه ، و دور التمثيل ، و الرقص ، و بقالات و متاجر المسيحيين و هي جميلة المشهد و بهيجة المنظر تروّح النفس ، و يبدو في الليل كأن هنا عيدا من الأعياد أو حفلة عروسية، ترى الناس مزدحمين في المراقص و المقاهي و الشوارع ، و يسمع من كل صوب و جانب أصوات الطرب و الغناء و الموسيقى ، و خلف هذه المباني حارة للمسيحيين ، و فيها مبان رفيعة شامخة لم أشهد مثلها حتى الآن ، و أزقتها و طرقها كلها نظيفة جميلة.

ثم اتجهنا إلى المدينة . و هي ذات بهاء و جمال ، و يوحي تزاحم الناس كأن هنا عيداً من الأعياد، لكن الشوارع قذرة و غير ممهدة ، و الأزقة و الطرق ملأى بالوحل و القاذورات يصعب المشي عليها، و الحق أن نظام البلدية فاسد مختل في جميع هذه البلدان. و هذا أمر خطير لا بد للحكومة التركية أن تعنى به.

أردت أن أزور مدارس المدينة ، و لكن اليوم كان يوم الجمعة ، و المدارس كلها متعطلة في هذا اليوم ، صليت الجمعة في جامع الحصار ، و هذا المسجد في

زينة و جمال و أبهة ، على سقفه نقوش ذهبية ، و على جانبى الفناء أسطوانتان كبيرتان عليهما ساعتان تعرف بهما أوقات الصلوات و تزيدان المسجد جمالا و بهاءا ، و رأيت هنا بدعاً فى الخطبة و الصلاة لا أصل لها فى الشريعة المطهرة.

و بعد الانتهاء من الصلاة ذهبت إلى المكتبة ، و هى مكتبة صغيرة فى غرفة من زاوية المسجد، فيها ثلاثة أو أربعة رفوف صغيرة للكتب ، يجلس فى هذه المكتبة العلماء و المؤلفون بعد أداء الصلاة ، وصلت إليها و كان فيها عدد من كبار العلماء يناقشون بعض المسائل العلمية ، فأثاروها لى ، و كان حديثهم عن المتعة ، و أن قول عمر رضى الله عنه يدل على أن المتعة كانت باقية فى حياة النبى صلى الله عليه و سلم ، فتناولت الموضوع و شرحته بشىء من التفصيل ، و وافقونى و كانوا لا يفهمون اللغة العربية ، فتحدثت معهم باللغة الفارسية ، و هذا المنهج للنقـاش عام فى هذه البـلدان. و هو منهج رائع مهذب و لا سبيل لغريب أحسن و أفضل من ذلك للالتقاء بجماعة العلماء و التحدث معهم . و من محاسنه أنه لا يشوبه شىء من الهوى و المغالبة ، و هذه المجالس كانت أنجع وسيلة لنجاحى فى هذه الرحلة ، و قد تغلبت بها فى بعض الأمكنة على مشاكل و مصاعب لم يكن لى سبيل للتخلص منها.

و جرت الباخرة مساء ٢١/ مايو ، و لم يكن بعد ذلك موقف كبير إلى قسطنطينية ، وقفت الباخرة فى بعض الأمكنة لأوقات قصيرة ، فلم نستطع النزول عنها ، و هذه الأمكنة كلها للحوائج الحربية بصفة عامة ، و فى كل مكان الآلات الحربية متوفرة.

وصلت بنا الباخرة إلى قسطنطينية فى ٢٣/ مايو ، كان من الطبيعى أن يغشانى السرور لوصولى إلى الغاية ، و لكن صيحات الحماليين و الملاحين أفقدتنى الوعى ، ما كنت عزمت من قبل ، أين سأتجه بعد النزول عن الباخرة ، و أصحابى الشاميون كانوا فى سرعة للوصول إلى كليتهم فلم ينتظرونى، فلما رآنى الملاحون و الحمالون وحيدا فريدا أزعجونى، إذ رأيت أحد الشاميين الذين تعرفت عليهم فى الباخرة ، و اسمه عبد الفتاح ، فشـرحت له مشكلتـى، و سألته عن الحل، فقال: مشكلتك تشبه مشكلتى ، يحسن بنا أن نترافق، فرافقته ، و كانت هذه المرافقة المفاجئة مقدمة لجميع انتصاراتى.

و أقمت أنا و صاحبى الشامى برباط نحو أسبوع ،رثم استأجرنا غرفة جميلة قريبا من الباب العالى.

و من حسن حظى أن الشيخ عبد الفتاح الذى صحبته من دون سابق معرفة كان من أسرة نبيلة. كان فى دمشق شيخ كبير إسمه حضرة الشيخ خالد النقشبندى. و الناس هنا فى قسطنطينية يبالغون فى إكرامه و إجلاله حتى إنهم لا يذكرون إسمه، و إنما يكنون عنه بالحضرة ، و كان هذا الشيخ من مريدى الميرزا جان جانان الدهلـــوى رحمه الله تعالى (٤) ، و كان صاحبنـا الشيـخ

عبد الفتاح ابن أخى ذلك الشيخ الشامى الكبير ، و من أجل ذلك رايت الناس يكرمونه و يعظمونه ، و فى قسطنطينية جماعة كبيرة للشاميين فلم تمض إلاّ أيام قليلة حتى زار أكثرهم الشيخ عبد الفتاح و بذلك اتصلت معرفتى بهم .

و ذات يوم زار الشيخ علي ظبيان (و أبوه صوفى كبير شهير) الشيخ عبد الفتاح ، و كنت أنا عنده ، و كان كتابى القديم "*رسالة اسكات المعتدى*" بين أيدينا ، فأخذها و نظر فيها و قال : إنى كنت قد رأيت هذه الرسالة عند شيخى فى دمشق قبل مدة طويلة و سمعته دعا لمؤلفها بقوله " شكر الله مساعيه " لما عرف الشيخ علي ظبيان أنى أنا مؤلف تلك الرسالة قام و رحب بى ترحيبا حاراً ، و استقبلنى استقبالا جميلاً ، و سررت سروراً بالغا بأن هذه الرسالة المتواضعة قد وصلت إلى هذه الأرض النائية و نالت قبولا من العلماء. الشيخ علي ظبيان فتى شاب ، قرأ كتب الفقه على الشيخ عبد الرحمن سبط و تلميذ مؤلف ردّ *المحتار* المعروف بالشامى ، كان له حظ كبير من معظم العلوم و الفنون و لكن كانت له براعة ممتازة فى الأدب العربي، و قدم قصيدة غير منقوطة مدح فيها السلطان ، فأجازه السلطان و بالغ فى إكرامه ، و هو ضيف على درويش باشا منذ مدة، و توثقت صلتى به على الأيام ، و كان يزورنى كل يوم رغم طول المسافة ، و أقام أحيانا كل اليوم ، و رجع الشيخ عبد الفتاح إلى دمشق بعد أيام ، و لكن مواساة الشيخ ظبيان أزالت عنى مشاكل و أحزان الخلوة

إن الغرفة التى كنا استأجرناها و إن كانت جميلة و ذات مناخ ملائم و لكن مالكها كان سيئ الخلق . فاستأجرت بيتا آخر ، يشبه الأولى فى الجمال و المناخ ، و يفوقه فى أنه كان لإمرأة صالحة حسنة الخلق، إنها و إن كانت مسيحية إيطالية و لكنها تتكلم باللغة العربية قدر ما تحتاج إليه ، و كانت تستأنس بالمسلمين .

لم تكن لنا حاجة إلى أن نعنى بإعداد المآكل و المشارب، فالمطاعم و البقالات هنا متوافرة و فى جمال و تنسيق تام ، و لا بأس هنا بتناول الطعام فى الأسواق ، فقد رأيت كثيرا من الموظفين الرسميين الكبار يتناولون الطعام فى المطاعم. و هذه المطاعم يملكها المسيحيون بصفة عامة.

تاريخ قسطنطينية و صفتها :

إن تاريخ هذه المدينة (التى كانت تسمى فى البداية بزنطينة) غارق فى القدم. و منذ أن سميت بقسطنطينية قد مرّ عليها وقت طويل من التاريخ. بناها قسطنطين الأعظم سنة ٤٧٦ م. و دامت عاصمة لقياصرة الروم حتى استولى عليها محمد الفاتح . و كتب الجغرافيا الحديثة الإنكليزية و الإسلامية

تناولت شرح أحوالها بشيء من التفصيل ، و قد تعرضت لذكرها الكتب القديمة كذلك ، و لكن لا أعرف من المؤرخين من زارها ثم كتب عنها إلاّ إبن بطوطة ، رحل إليها ابن بطوطة سنة ٧١٥ م: و كانت تحت أيدى المسيحيين آنذاك ، يقول ابن بطوطة :

" و هى متناهية فى الكبر منقسمة قسمين ، بينهما نهر عظيم المد و الجزر، و أحد القسمين يسمى أسطنبول و هو بالعدوة الشرقية من النهر و فيه سكنى السلطان و أرباب دولته و سائر الناس، و أما القسم الثانى منها فيسمى غلطة (Galuth)، و هذا القسم خاص بنصارىٰ الأفـــرنج يسكنونـــه، و جميعهم أهل تجارة و مرساهم من أعظم المراسى، رأيت به نحو مأة جفن من القراقر و سواها من الكبار ، و أما الصغار فلا تحصى كثرة ، و أسواق هذا القسم حسنة ، إلاّ أن الأقذار غالبة عليها و يشقها نهر صغير قذر نجس ". (٣)

حاول المسلمون الاستيلاء عليها فى القرن الأول ، فأول من ضرب بسيفه على الباب الحديدى لسور هذه المدينة هو عبد اللّه بن المطلب قائد جيوش وليد بن عبد الملك ثم تتابع الخلفاء و الملوك الهجمات عليها، و لكن اللّه تعالىٰ كان قد كتب هلاك القياصرة بيد محمد الفاتح، الذى رفع لواء الاسلام على هذه العاصمة الكبيرة سنة ٨٥٧ هـ و هو ابن ثلثة و عشرين عاما، و المادة التاريخية لهذا الفتح " بلدة طيبة "

حاضـــرها:

و الآن تعمر هذه المدينة على حافتى الفرع الطويل الممتد لخليج باسفوس، فانقسمت إلى جزئين، يسمى أحدهما "استنبول" و فيها جميع المساجد الكبيرة و المكتبات و قبور الملوك و الخلفاء، و فيها مساكن المسلمين فى وفرة . و يبتدئ الجزء الثانى من بيرة ، و على نهايته بشكطاش حيث قصر الخليفة ، و قصر المحكمة و فى الجانب الآخر لبيرة غلطة ، و هنا يسكن التجار الأوربيون الكبار و سفراء الدول فمن المناسب أن نسميه بقرية الأوربيين.

يقال : ليس مدينة فى العالم أجمل من قسطنطينية ، و الواقع أن العقل البشرى يعجز عن أن يفكر فى أحسن منها و أجمل ، و من أجل ذلك يسمى الإنكليز ميناءها بجولدن هارن أى السلك الذهبى ، و هنا سلسلات من المبانى طويلة على شاطيء البحر، و الأرض التى هى وراء المبانى ممهدة و نظيفة و بها منظر ساحر بهيج.

و لا أدل على مدينة و سعة المدينة من التفاصيل الآتية ، ففى استنبول

وحدها خمس مأة جامع ، و ١٧١ حماماً . و ٣٢٤ رباطا ، و ١٦٤ مدرسة قديمة ، و ٥٠٠ مدرسة جديدة ، و اثنتا عشرة كلية ، و خمس و أربعون مكتبة و ٣٠٥ زاوية ، و ثمان و أربعون مطبعة ، و وسائل النقل كثيرة من الترامات و اثنتى عشرة سفينة شراعية ، و القطارات الداخلية و القطارات العادية (التى تغادر على كل نصف ساعة) و رغم ذلك فان هنا ازدحاما كبيرا للمشائين يشبه عيدا من الأعياد ، و المعبر الذى يصل غلطة باستنبول ضريبته على كل مار فلس واحد ، و لا يقل الدخل اليومى من هذه الضريبة من خمسة أو ستة آلاف روبية.

المقاهـــــى :

المقاهى هنا كثيرة ، و أظن أنها تتجاوز أربعة أو خمسة آلاف مقهى ، و بعضها فخمة جدا. تضاهى مبانيها القصور الملكية ، يوفر فى المقاهى كل حين كل نوع من الأشربة و الشاى و القهوة ، و بعض هذه المقاهى على شاطىء البحر، و بعضها فى وسط البحر تصلها بالشاطىء المعابر الخشبية ، و فيها تتواجد جميع الصحف و الجرائد ، الناس يتناولون القهوة و يتصفحون الجرائد. و إن المقاهى من مستلزمات الحياة فى قسطنطينية بل فى جميع هذه البلدان ، إذا سمع زملائى العرب أقول لهم لم تجر العادة بالمقاهى فى الهند عجبوا و ساورتهم الدهشة و قالوا : بأيش يتسلون ؟.

كنت دائما أجلس فى قسطنطينية و مصر مع الأحبة و الأصدقاء فى المقاهى مساءاً ، و لكن هذه المجالس كانت نزيهة ، لم أسمع فيها أحدا يغتاب أخاه أو يلهو ، و إنما كان حديثهم من الطرف و النوادر.

نماذج المدنيتين الأوربية و الآسيوية :

من ميزات قسطنطينية أنها تجمع بين المدنيتين الأوربية و الآسيوية ، فالمتاجر و البقالات كلها تمثل المدنيتين ، و مدينة غلطة كأنها قطعة من أوربا، الدكاكين مرتفعة و مزدانة و الشوارع و الطرق واسعة و ممهدة ، لا ترى فيها شيئا من الوحل و القاذورة ، و على العكس من ذلك استنبول فان معظم سكانها مسلمون ، شوارعها غير نظيفة ، و غير ممهدة يصعب المشي عليها .

المبانـــــى :

تختلف مبانى قسطنطينية فى هيئتها عن مبانى الهند ، البيوت ذوات ثلاثة أو أربعة أدوار، من دون أفنية ، و المبانى كلها من الخشب ، حتى أن بيوت

الأمراء الكبار و الأثرياء و الباشاوات من الخشب ، و من أجل ذلك يكثر هنا حادث اشتعال الحريق في البيوت ، و أحيانا تحترق حارة أو حارات بأسرها ، و الحكومة تعنى عناية خاصة بأمر إطفاء النيران ، و قد عين لذلك مآت من الناس ، و هنالك منارة رفيعة جدا ، يقوم عليها عدة موظفين دائما يراقبون المدينة ، إذا وقع حريق أخبروا الناس. و مثل هذه المنارة منائر أخرى أصغر منها، إذا وقع حريق أطلقت المدافع ، و يصل إليه الموظفون المعينون للمطافيء. سألت الناس : لماذا لا يبنون البيوت من الحجارة ، قالوا : إنها تسبب مشكلة كبيرة و أذىً في فصل الشتاء و تسبب الضرر للصحة .

المناخ :

و مناخ قسطنطينية طيب رائق جدا ، يشتد البرد في أيام الشتاء و قد يقع الثلج ، و فصل الصيف و الذي قد جربته بنفسي هو طيب و جميل جدا . يعجز عنه البيان ، الماء ينحدر من الجبال ، و يستعمل في البيوت. و هو ماء رائق مفيد للبطن و المعدة .

الثمار و الفواكه :

و يتوافرهنا كل نوع من الثمار و الفواكه، و لاسيما العنب و البطيخ، و التفاح أكبر و أحلى من تفاح كابل، و الفواكه و الثمار كلها رخيصة جدا.

الملابس :

الملابس كلها من الطراز الأوربي ، لا يمكن التمييز بين المسلم و المسيحي بالملبس و المظهر، و الطربوش الأحمر الذي يعتبر ميزة الملابس التركية يستعملها المسيحيون و اليهود كذلك ، و هذا الأسلوب حسن من ناحية أن الفروق بين الشعب و الأمم المختلفة إذا امحت سبب ذلك ازدهارا و رقيا للمدينة ، و لكن ذلك يحدث حرجا كبيرا و مشكلة عظيمة في الحاجات الإجتماعية ، و قد واجهت من أجل ذلك مصاعب كبيرة ، و رأيت أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى أحسن حينما ألزم المسيحيين بملبسهم القومي، و من الباعث على العجب و الدهشة أن العلماء و المدرسين الدينيين كذلك لم يعصموا نفوسهم من التأثير الأوربي.

الجوامع و القصور الملكية :

من الآثار التاريخية التذكارية هنا الجوامع و القصور ، سنذكر الجوامع بشيء من التفصيل تحت عنوان خاص.

و يبلغ عدد القصور هنا عشرين أو واحدا و عشرين ، و كلها تقع على مسافات بعيدة ، و هي من عهود مختلف الملوك و السلاطين ، و في غاية من الأبهة و العظمة و الجلال ، و يقع قصر على شاطيء البحر، و هو كله من الرخام، و واسع و رفيع و جميل ، و نزل فيه ملك ألمانيا ضيفا على السلطان أخيرا.

و من الغريب أن ليس في المدينة كلها قاعة بلدية ، و الحدائق العامة قليلة جدا لا تليق بهذه العاصمة الكبرى.

و المحاكم كلها (عدا اثنتين أو ثلاث) في مكان واحد ، و تسمى هذه المجموعة من المباني بالباب العالي ، و بقرب منها محكمة رئيس الوزراء ، و هذه المباني ليست بذاك من الجمال و البهاء ، و المحكمة العالية التي تسمى هنا محكمة التميز تقع على بعد من الباب العالي ، لم أدخل فيها ، و لكن مبناها في ظاهرها فخم جميل، و مبنى إدارة الشرطة في غلطة ، قد دخلت فيه و تجولت ، و المبنى ليس بذاك من الجمال ، و لكنه منسق مزدان ، و قاعة الاجتماع مفروشة بالسجادة التركية الغالية، و المقاعد كذلك جميلة و منسقة.

و قد زرت كذلك مبنى وزارة المعارف ، و المبنى عادي ، و لكنه يبدو جميلا من أجل النظافة و التنسيق الخاص .

مدارس و كليات التقدم الثقافي :

كان من أهداف رحلتي هذه بجانب زيارة المكتبات هو استعراض المنهاج التعليمي و التقدم الثقافي هنا ، فعنيت بذلك أكثر مما عنيت بغيره من الشئون ، و لم آل جهدا في هذا السبيل ، و لكن لا ينبغي للقراء أن يعقدوا الرجاء بأن هدفي تكلل بالنجاح التام ، و أن تقريري التعليمي قد أحاط بالجوانب كلها، و الجهود التي بذلتها في سبيل البحث و التحقيق هي أنني ذهبت عدة مرات إلى مكتب المعارف ، و استطلعت و استكشفت المسئولين عن الثقافة و المعارف . و قمت بنفسي بزيارة المدارس و الكليات الكبيرة ، و قابلت المدرسين و الأساتذة ، و حصلت على التقريرات السنوية للكليات. و لكن هذه الجهود و المساعي بأسرها لم تضمن لي النجاح التام . من أغرب ما طبع عليه الأتراك أنهم ينظرون إلى كل شيء بعين السياسة و لا يحبون أن يظهر شأن من شئونهم للعيان ، و تقرير المعارف الذي ينشر سنويا يتصف بالإجمال و الإيجاز النهائي . حتى أنه لا يلقي الضوء على نفقات التعليم و رواتب الأساتذة و المدرسين. و بعض الكليات كالكتاب العربي و الكتاب السلطاني تنشر تقريراتها المستقلة ، و لكنها لا تحتوي إلاّ على كشوف درجات الإمتحان و المقررات التعليمية.

ظننت أولا أني إنما حصلت على الاستطلاعات القليلة لضآلة وسائلي، و لكن حينما طالعت كتاب خير الدين باشا وزير تونس ، اقتنعت فانه حينما

ذكر تركياً و كتب عن تقدماتها المدنية و الثقافية أجمل إجمالاً بالغـاً و اعتذر عن ذلك بقوله : " كل ما كتبته عن شئون تركيا إنما كتبته اعتمادا على المصادر الإنكليزيـــة ، فلم أستطع التفصيل ، و لكـــن كتابات المسلميـن لا تحتوى على هذا القدر كذلك " و بعد هذه التوطئة أرجع إلى حديثى.

مناهج التعليم القديمة و الحديثة :

فى قسطنطينية بل و فى جميع البلدان الإسلامية منهجان للتعليم قديم و حديث ترجع بداية المنهج القديم للتعليم إلى مبدأ الحكومة التركية ، فقد قام أرخان (م ٧٦١ هـ) و هو الملك الثانى من هذه السلسلة بتأسيس مدرسة فى أرنيق ، و هى أول مدرسة أسست فى البلدان العثمانية ، و عني الملوك بعده بهذه الناحية و أسسوا مآت من المدارس و دور للعلوم و قد تحدثت عن ذلك بشىء من التفصيل فى رسالتى " *الثقافة و التعليم فى المسلمين فى العهود الماضية* "

و بدئ المنهج الحديث حينما تحولت الحكومة التركية من الهيكل الآسيوى إلى الهيكل الأوربى، و كان السلطان محمود هو الرائد إلى هذا التطور، الذى اقتفى آثار الأوربيين . و قام بتنظيم الجيش على الأسلوب الأوربى، و هو الذى أسس " مكتب حربية " سنة ١٢٥٠ هـ ، و كانت هذه الكلية نواة للثقافة الحديثة، و هذه الكلية باقية إلى الآن. و هى مركز لجميع المدارس الحربية. و قام السلطان عبد المجيد بعده بتوسعة نطاق الثقافة الحديثة سنة ١٢٦١ هـ و أسس المدارس و الكتاتيب الرشدية ، و لا تزال هذه الثقافة مستمرة إلى الآن فى تطور و رقى و ازدهار. و للثقافة الحديثة أربع مراحل :

١ ـ **المرحلة الإبتدائية** : و هى تحتوى على خمس سنـوات علـى الأكثـر ، و لكن الطالب الذكى المجتهد يستطيع أن يتخطى هـــذه المرحلـة فى سنتيـن أو ثلاث ، يعلم فيهـا قراءة القرآن الكـريم ، و اللغـة التركيـة ، و الخط العـربي ، و الحساب الإبتدائى

٢ ـ **المرحلة الرشدية** . و مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات. يدرس فيهـا الخط التركى و مفردات اللغة التركية ، و قواعد اللغة التركية . و العقيدة الإسلامية باللغة التركية ، و الحساب ، و اللغة الفرنسية ، و اللغـة العربيـــة. و الجغرافيا ، و الاقليدس ، و مبادىء التجارة و الأوراق ، و الرسم. و هذه المرحلة تساوى المرحلة المتوسطة عندنا.

٣ ـ **المرحلة الاعدادية** : و كان مجموع عدد طلاب هذه المرحلة سنة ١٨٩٢م ٥٢١٥ ، و فيها مدارس جميع المديريات و العاصمة.

٤ ـ و بعد هذه المرحلة هنا كليـات خاصـة ، ككليات " مكتـــب ملكيـة و "مكتب الحقوق" و التى سنعـرض لها فيمـا يأتى ، و جميع المـدارس العامـة

و الخاصة التى هى فى قسطنطينية يبلغ عددها خمس مائة . و فيها ثلاث عشرة كلية كبيرة.

و من المعروف المعترف به أن الثقافة الحديثة قد شهدت تطورا كبيرا فى عهد السلطان الآن ، كان عدد المدارس الرشدية حين تبوأ السلطان عرش المملكة ستة و تسعين ، و قد بلغ الآن ٤٠٥ مدرسة ، و المدارس التى أسست فى عهد هذا السلطان خلال ستة عشر عاما يبلغ عددها ألفين . ثم إن عدد الطلاب فى المدارس و الكليات فى ازدياد غريب ، حتى أن عددهم فى هذا العام لا يتصل بعددهم فى العام السابق بنسبة ما. إن المحاضرة التى ألقاها الأستاذ ويمبرى قبل عدة سنوات عن التقدم العام للأتراك ذكر فيها عدد طلاب " مكتب *الحقوق*" (كلية الحقوق) ثلاث مائة ، و لكن حينما كنت أنا فى قسطنطينية كان عدد الطلاب فى هذه الكلية ألفا و مائتين ، و كنت قرأت فى صحيفة المؤيد الصادرة فى القاهرة خلال إقامتى بمصر أن السلطان حينما أخذ زمام الحكم بيده كانت تكاليف التعليم ثلاث مائة ألف جنيه سنويا، و لكنها بلغت الآن ثمان مائة ألف جنيه سنويا. و هى تعدل اثنى عشر مليونا بالعملة الهندية.

و لا شك فى أن للسلطان اهتماما كبيرا و اعتناءا غريبا بالتعليم ، إن " مكتب *ملكية*" و " مكتب *الحقوق*" كليتان أسسها السلطان بنفسه. و قد قام بزيارتهما مراراً .

حينما كنت فى قسطنطينية ، أقام السلطان مأدبة ملكية لطلاب جميع الكليات ، و فى قسطنطينية منتزه باسم " *كاغذ خانه*" حيث يجتمع الناس مرة فى كل أسبوع، أختير هذا المنتزه للمأدبة ، و أصدر الأمر بأن يتناوب إليها طلاب جميع الكليات ، كلما خرج الطلاب من كليتهم صحبهم موكب فى طبول ملكية و كان وزير من وزراء الدولة يشاركهم فى المأدبة ، و يقرأ على الطلاب تحية الملك . و حينئذ يهتف جميع الطلاب فى حماس و شوق "بادشا هم چوق يشا " (أطال الله حياة الملك).

و من أهم ما سبق إليه السلطان فى مجال التعليم هو تأسيس كلية "مكتب العشائر" و إن كانت جميع البلدان فى الخلافة العثمانية الآن تتمتع بالتقدم الثقافى. و لكن القبائل العربية كانت محرومة من ذلك ، و سبب ذلك هو بدويتهم و عدم اعتنائهم بأمر التعليم و الثقافة ، فأصدر الملك مرسومه بتأسيس كلية و داراقامة واسعة منسقة للقبائل العربية خاصة و كانت المراسيم الملكية أصدرت ـ خلال إقامتى بقسطنطينية ـ إلى الأمراء و العمال أن يختار أطفال القبائل العربية الشريفة من الحجاز و اليمن و دياربكر ، و البصرة و بغداد و طرابلس الغرب ، و حلب ، و الموصل و الشام ، و وافق الملك على جميع ما يكلف ذلك الجهد من نفقات. افتتحت هذه الكلية فى ١٢ / ربيع الأول سنة ١٣١٠. هـ فى احتفال رائع. و لا نجد مثالا لهذا الجهد الرائع لتربية العرب و تثقيفهم فى التاريخ الاسلامى الطويل الممتد.

و من أكبر المكارم السلطانية "*دار الشفقة*" التى أسست لليتامى خاصة ، يدرس فيها نحو ألف يتيم ، و كلهم يسكنون فى دار الإقامة ، و السلطان نفسه يحتمل تكاليف نفقاتهم من المطاعم و المشارب و الملابس و غير ها من الحاجيات.

و نثبت فيما يلى قائمة الكليات و المدارس الكبيرة :

(١) مكتب حربية سلطانية .

(٢) مكتب سلطانية .

(٣) مكتب ملكية .

هذه الكليات الثلاث قمت أنا بزيارتها. و حصلت على استطلاعات مفصلة عنها، فسأكتب عنها مفردة.

٤ ـ مكتب *الحقوق* (كلية الحقوق) : تدرس فيها مواد الفقه و أصول الفقه و الشريعة الرومية ، و مبادىء التجارة ، و المحاكمات ، و الحدود و الجنايات و الأصول البحرية ، و الاقتصاد السياسى. و دساتير الدول الأوربية و تاريخ التشريعات و تطوراتها ، و عدد الطلاب فيها ألف و مأتان ، و ست مائة منهم مقيمون فى سكن الكلية ، و المتخرجون منها كتاب و مؤلفون و صدرالصدور، و مدة الدراسة فيها أربع سنوات.

٥ ـ مكتب *الهندسة* (كلية الهندسة) : و مدة الدراسة فيها ست سنين .

٦ – مكتب *اللسان* (كلية اللغات) : تعلم فيها اللغات الألمانية و الفرنسية و اليونانية و الأرمينية و اللاتينية و الإطالية و الروسية .

٧ ـ مكتب *الصناعة*(مدرسة الصناعة): و نفقتها السنوية ٨٢٥٠ جنيه و عدد الطلاب فيها ٢٤٠ طالبا، الطلاب كلهم أيتام. و تحتمل المدرسة نفقاتهم ، تعلم فيها النجارة و الحدادة ، و طلب مدير المدرسة توفيق أفندى فى العام الماضى أن تعلم صناعة الآلات.

٨ – مكتب *نواب*: أسست هذه الكلية على مبدأ جميل ، كان المفتون و القضاة لا يشترط لهم أخذ امتحان فى الزمن الماضى ، و لكن من المقرر الآن أنه من لم يتخرج فى هذه الكلية لن يفوز بالوظائف الشرعية الدينية ، و هذا المنهج قد وضع حداً للتوصيات ، و فيها يدرس الفقه على مستوى رفيع ، بالاضافة إلى بعض مقررات الثقافة الحديثة.

٩ ـ مكتب بحريه: تعلم فيها البحارة و الملاحة.

١٠ ـ مكتب الزراعية : تعلم فيها أصول الزراعة .

و من الملحوظ الشئون التالية عن المنهاج التعليمى :

١ ـ اللغة الفرنسية مادة لازمه فى جميع المدارس و الكليات. فلا يوجد

مثقف عام جاهلا باللغة الفرنسية .

٢ ـ و تدرس علوم الطبيعة و الكيمياء و الجيولوجيا كمواد لازمة فى جميع الكليات الكبرى . و تدرب هذه العلوم تدريبا عمليا ، و تتوافر فيها آلات هذه الكلية .

٣ ـ و تعليم التاريخ على مستوى رفيع جدا ، قد طالعت مقررات " مكتب *ملكية* " و هى فى ستة مجلدات ضخمة كبار. و فيها تاريخ مفصل لأوربا ، و من محاسنها أنها ناقشت الأخطاء التى ارتكبها معظم الكتاب الأوربيين عن التاريخ الاسلامى.

٤ ـ و لغة الواسطة التعليمية هى التركية لجميع العلوم و الفنون فى جميع المدارس و الكليات ماعدا " مكتب *سلطانية* " التى فيها كثير من الطلاب المسيحيين و قد نقلت العلوم و الفنون الحديثة كلها إلى اللغة التركية و لا تزال تنقل.

٥ ـ و أهم شىء فى أمر التعليم و التربية هو نظام السكن و دور الإقامة ، و الواقع أن تركيا تستطيع أن تدعى و تعتز بأن النظام الذى سبنته فى السكن و دور الإقامة لا يرام أحسن منه ، و فى جميع الكليات الكبيرة دور الإقامة و السكن ، يقيم فيها الطلاب فى عدد كبير مع التعهد بأن تتشابه المطاعم و المشارب و الملابس و المفروشات. و لا يكون أىّ تمييز بين الطلاب ، و جميع الطلاب يتناولون الطعام على الطاولات و الكراسى ، و يعنى بالنظافة و الأناقة فى كل شىء .

بعض النقائص فى المنهاج التعليمى :

لا شك فى أن تركيا أعارت عناية كبيرة بالثقافة الحديثة. و لكن هذا المنهاج التعليمى لم يطبق فيها إلاّ قبل مدة قليلة من الزمان فقد تنقصه جوانب ، و يرجى أن تزال هذه النقائص بسرعة ، منها . أن ليس فى كلية بل فى المدينة كلها مجلس للنقاش أو هيئة علمية ، فلا تتوفر للطلاب فرصة لتنمية ملكة الخطابة. و هذا هو السبب فى أن المتخرجين منها لا يستطيعون إلقاء خطبة أو محاضرة فى حفلة عامة ، و من آثار ذلك أن الطبقة المثقفة ، لم ينشأ فيها حتى الآن تلك الحرية و التنور الفكرى و الطموح . و سمو الفكر و بُعد النظر التى تعتبر من لوازم الثقافة الحديثة .

و مما يعاب هذا النظام أن الكليات و المدارس الكبرى إنما تتوافر فى العاصمة و لا تتجاوزها ، و المدن الكبرى الأخرى و إن أسست فيها مدارس كثيرة لكنها مدارس إبتدائية و متوسطة . فليس فى بيروت و دروق و الحلب و بيت المقدس مدرسة علمية تصدق عليها كلمة الكلية .

و من المؤسف المحزن ان الكليات و المدارس فى قسطنطينية كلها تشرف

عليها الحكومة. و الشعب لم يعن بهذا الجانب حتى الآن. فليس فى هذه العاصمة الكبرى كلية شعبية ، و إن الحكومة مهما كانت ثرية غنية لا يمكن أن تتكفل جميع الحاجات العلمية للبلاد. و الجامعات الشهيرة فى انكلترا ككيمردج و أكسفورد كلها أسست بالجهود الشعبية .

و نتحدث فيما يلى بشىء من التفصيل عن بعض الكليات .

ا ـ مكتب حربية :

هذه كلية كبيرة بل هى جامعة كبيرة . يعتز بها الأتراك و يفتخرون و حق لهم أن يعتزوا بها . و تدرس فى هذه الكلية بجانب الفنون الحربية علوم الطبيعة و الكيمياء و الحساب و جميع فروع الطب ، أسسها السلطان محمود سنة ١٢٥٠ هـ ، و قد تطورت مبانيها بعض التطور. و منهاجها التعليمى أحرز تقدما كبيرا.

و المدارس الحربية المنتسبة إلى هذه الكلية يبلغ عددها ٤٧ مدرسة ، منها ثمانى عشرة إعدادية ، و سبع و عشرون رشدية و يدرس فيها ٩٢٢٤ طالبا.

و الكلية الحربية كلية ذات أبهة و شوكة. و من أعراف قسطنطينية أنه لن يسمح لأحد بالدخول فى مدرسة إلاّ أن يأذن له سكرتيرها . و لكن الكلية الحربية لها قيود أشد من ذلك ، حينما أردت زيارتها قيل لى أنه من الواجب أولا طلب الإذن من السلطان. كنت قد أخبرت أن سكرتير الكلية الحربية ذكى باشا ، و هو مثقف كبير و ذو كفاءة نادرة ، رأيت أن أقابله مباشرة ، و هذا ما رآه الشيخ علي ظبيان ، فذهبنا إلى دار الباشا.

لما وصلنا كان قد خرج من بيته ، فقيل لنا : امكثوا لعله سيرجع إذ رأيناه متجهاً إلينا ، كنت أنا و الشيخ علي ظبيان فى الملابس العربية، و كان الباشا فى استعجال كبير، و أدخل يده فى جيبه و استخرج بعض الفلوس. فعجبت من ذلك عجبا كبيرا . ثم خطر ببالى أن لا يكون قد حسبنا فقراء متسولين كعامة العرب فملكنى حزن شديد و غضب كبير و صحت به قائلا : " شو هذا ، ما جئنا لهذا ، لسنا من الفقراء" و الباشا لم يكن يعرف اللغة العربية و لكنه أدرك بصوتى و غضبى أن سلوكه آذانى ، ثم التفت إلى الشيخ علي ظبيان ، و سأله عن سبب غضبى . و كان الشيخ يقدر على اللغة التركية و لو شيئا يسيراً ، فشرح له الغرض الذى زرته من أجله فندم الباشا ندما كبيرا ، و سألنى فى لهجة اعتذار أن أنتظره فى غرفته. و استقبلنى فيها موظفون كرام و رحبوا بى ترحيبا كبيرا، و قدمت إلينا القهوة ، لما عرفوا أنى هندى ، و إنما قمت بهذه الرحلة فى سبيل العلم و المعرفة ولعوا ولوعا عظيما ، و تأسفت أنى لم أكن أفهم اللغة التركية و لا الفرنسية. و كانوا لا يقدرون على النطق إلاّ بهما. و بعد مدة يسيرة أرسل إلينا ذكى باشا اعتذاره ، و أنه قد أمر

بضابط له يزيرنا الكلية ، و كان اسم ذلك الضابط رضابك .

ذهبنا إلى الكلية الحربية و على بابها حراس ، و حيّونا تحية عسكرية و دخلنا فاذا الكلية قرية برأسها . و قابلت الموظفين و المسئولين عن الكلية و جرى بيننا التعارف ، ثم دقّ جرس الطعام ، فرأيت الطلاب يتجهون إلى مطعم الكلية فى صفوف و نظام كأنه فى زحف عسكرى ، و لم نسمع شيئا من الصيحة و الصراخ و كانوا مهتمين بالنظامة فى كل شيء .

ثم تجولنا فى قاعات المحاضرات ، و المطابع ، و الحمامات و مبانى الكلية و هى كثيرة لم نفرغ منها إلاّ بعد ساعتين ، و غرفة التشريح واسعة جداً تتوافر فيها آلات و وسائل التشريح ، و إن نماذج الرسم و التصوير التى شاهدتها هنا لم أشاهد مثلها قط

و لقد قابلنى الأساتذة و الطلاب فى محبة إسلامية ، أخلاق كريمة يعجز لسانى عن ذكر حلاوتها و لذتها .

و فى هذه الكلية فروع عديدة للتعليم .

١ ـ *الأركان الحربية*. و هذه أعلاها و أسماها ، و مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات و هذا الفرع ينقسم إلى قسمين : فنى و عسكرى

أما القسم الفنى فقد تدرس فيه المواد التالية من تقسيم الأراضى و الهيئة ، و آراء جر الثقيل ، و البناء ، و اللغات الفرنسية و الألمانية و الروسية ، و محاصرة الحصون ، و مبادئها الحربية ، و التلغراف العسكرى ، و وظائف الأركان الحربية ، و الإكتشافات العسكرية ، و شوارع البلدان العثمانية و الخطوط الحديدية لجميع الدول الأوربية، و صناعة الأسلحة الثقيلة، و علم طبقات الأرض و نظام الجيوش الأروبية و مبادئها . و الحروب العالمية الشهيرة. و مواقعها العسكرية و استراتيجياتها. و البحث عن أسباب الانتصار و الهزيمة ، و الاقليدس ، و الجبر و المقابلة ، و صناعة الأسلحة الخفيفة، و الخط و تاريخ فن الحروب ، و الرسم و التصوير و ما إلى ذلك من المواد الأخرى .

و نفس هذه المواد مقررة فى القسم العسكرى ، و قد قررت فى القسمين بعض المواد الحديثة.

٢ ـ *فن الركوب و الفروسية* . و مدته ثلاث سنوات ، و تدرس فى هذا القسم بجانب التدريبات العملية و المواد التالية . الهندسة الرسمية ، و البولوغرافيا النظرية و التطبيقية ، و اللغات الفرنسية و الألمانية و الروسية ، و الكيمياء و فن الأسلحة و الاختراعات العسكرية ، و الجغرافيا العسكرية .

٣ ـ *جُند المشاة:* و مدة التعليم ثلاث سنوات ، و تدرس فيه بجانب التدريبات الجغرافيا العسكرية، و فن الأسلحة، و اللغات الألمانية و الفرنسية و الروسية ، و الاختراعات العسكرية ، و مبادىء الصحة.

٤ - *البيطرة*: و معناها طب الحيوانات و الدوّاب ، و مدة الدراسة أربع سنوات، و المواد التى تدرس فيها هى الأمراض و الأدواء العامة . و علم التوليد، و الفروسية و الأمراض الداخلية ، و الجراحة ، و الأمراض الخارجية ، و اللغة الفرنسية و الخط ، و الكيمياء العضوية ، و مفردات الطب و التشريح ، و منافع الأعضاء و النبات ، و علم الحيوانات ، و الكيمياء غير العضوية ، و علم الأرض و المعادن .

و فى هذه الأقسام الأربعة يدرس نحو ست مائة طالب ، و يفوزون بمناصب الضباط حسب المراتب المختلفة بعد التخرج و نيل الشهادات .

و تحت هذه الأقسام فصول المراحل الاعدادية و الرشدية ، و مدة الدراسة فيها سبع سنوات .

و جميع الطلاب الذين يدرسون فى الفروع المختلفة لهذه الكلية يبلغ عددهم ألفا و خمس مائة ، و ألف منهم يقيمون فى سكن الكلية . و عدد الأساتذة، و المساعدين و المحاضرين يبلغ سبعة و ثمانين . و معظمهم يقيمون فى رحاب الكلية .

مكتب سلطانى (الكلية السلطانية) :

و هذه كذلك كلية قديمة ، و تأتى فى الرتبة بعد الكلية الحربية ، و تقع فى غلطة حيث يسكن التجار الأوربيون فى عدد كبير ، و من ثم نسبة الطلاب المسيحيين فيها زائدة.

و من الأسف أنى زرتها فى زمن إجازتها، و لم أستطع مقابلة موظفيها إلاّ السكرتير و مساعد السكرتير. و مبنى الكلية ذات طابقين و قاعة المحاضرات لعلم الحيوانات واسعة جدا. فيها كل نوع من هياكل الدواب الميتة الكبيرة ، و وفرت فيها آلات ثمينة عالية للخبرات والتجارب الكهربائية .

و لقد أعجبنى أن فيها قاعة فسيحة مزينة للطلاب المقيمين المرضى تتوافر فيها السرر و الخدام. و بذلك يسهل للأطباء دواء الطلاب و عيادتهم.

و هذه الكلية تكلف نفقة ثمانية عشر ألف جنيه سنويا. بما فيها المنح الدراسية للطلاب المحتاجين ، و مجموع عدد الطلاب ثمان مأة و أكثرهم يقيمون فى رواق الكلية .

تدرس فيها اللغات التركية و العربية و الفارسية و آدابها و القرآن الكريم ، و العقيدة ، و الفقه الإسلامى ، و الأخلاق ، و التاريخ و الدولة العثمانية، و القراءة و التجويد ، و الحديث ، التفسير ، و تبدأ دراسة الحديث و التفسير من السنة الرابعة و فى الأسبوع حصة واحدة ، و تدرس اللغة الفرنسية من البداية إلى نهاية المدة التعليمية. كما تدرس مواد النحو و الصرف و الأدب و الإنشاء ، و الكتابة ، و علم البيان باللغة

الفرنسية و تدرس بها كذلك علوم الحساب و الجبر و المقابلة و الجغرافيا و الهندسة و الكيمياء ، و الحيوانات ، و الطبيعة ، و النبات ، و الكهرباء ، و الأصوات ، و طبقات الأرض ، و الرسم الهندسى ، و الرسم التقليدى .

و عدد الأساتذة و المدرسين فيها ٧٤ ، منهم ستة و عشرون من ألمانيا و البواقى من فرنسا و تركيا.

و الواقع أن ليس فى قسطنطينية بأسرها كلية تضاهيها فى سعة المبانى و توفر الآلات العلمية وسعة التعليم. و حسن الإدارة ، و لكن من الأسف الشديد أن المتعلمين فى مراحلها العليا أكثرهم مسيحيون ، و المسلمون فى عدد قليل جدا. و لاحظت تقرير الفائزين بالدرجات العليا فوجدت معظمهم مسيحيين ، و لست أحسد المسيحيين على تقدمهم و لكنى أتأسف على إنحطاط المسلمين .

مكتب ملكية (الكلية الملكية) :

هذه كلية الخدمات المدنية ، أسسها السلطان وحده ، و يعنى به عناية خاصة ، و مدة التعليم فيها الآن سبع سنوات ، و تعليم اللغات الفرنسية و اليونانية و الأرمينية من المواد اللازمة فيها ، كما قد قرر تدريس اللغتين العربية و الفارسية ، و تدرس المواد التالية : التاريخ و الجغرافيا ، و الكهرباء ، و الطبيعة و الإقتصاد السياسى ، و مبادىء القانون و الدستور ، و قوانين أوربا و على مستوى راق و سام. و طالعت مقررات التاريخ بنفسى ، و هى ستة مجلدات ضخمة ، و يفوز المتخرجون منها بالمناصب السامية.

المنهاج التعليمى القديم و المدارس القديمة :

إن الشىء الذى سبب تكدير رحلتى هذه هو انحطاط التعليم القديم و هذه القضية لا تزال موضوع النقاش فى الهند كذلك ، و الناس عامة يعربون عن أسفهم و حزنهم على المنهاج القديم و لكن أسفهم لا يعنى إلاّ الإستهزاء و التشميت به ، و أما أنا فإنى من المناصرين المتحمسين للمنهاج القديم بجانب المنهاج الحديث. و أرى أن تدريس العلوم القديمة لازم و ضرورى للمحافظة على الهوية الإسلامية الأصيلة و شخصية المسلمين ، و لكن يحزننى المنهاج الذى يتبع فى تدريس هذه العلوم القديمة.

و مدارس العلوم القديمة هنا كثيرة ، و سمعت أن عددها فى قسطنطينية وحدها لا يقل من عشرين ألف مدرسة ، و إن مصدرها للتمويل يبعث على الأسف و الإستعجاب فى وقت واحد. ففى جميع المدارس القديمة تمتد الإجازة إلى ثلاثة شهور، بداية من شهر رمضان المبارك ، و يخرج الطلاب فى هذه

الشهور من قسطنطينية و يجلبون الصدقات و التبرعات من القرى و المدن و يعتمدون عليها فى معاشهم طول السنة ، و يسكنون فى غرفات ضيقة جدا.
و بالرغم من هذا كله بأنه لا بد من الاعتراف بالخدمات العلمية للأتراك فقد خلفوا آثارا علميــة خالــدة ، و هى من ذكرى عهــود تنــاسب و مدنيتهــ و حضارتها.
و من أكبر ما يشكى من المنهاج القديم أن مستوى التعليم ضئيل ، فليس فيه أى أثر للأدب العربى ، و *إيساغوجى* و *الشمسية* من الكتب النهائية فى المنطق و الفلسفة ، و لا أدرى هل هناك مدرسة تدرس فيها الكتب الصحا الستة، و هذا هو شأن البيان و المعانـــى، و أصول الفقـــه، و لكن لهم اهتمام كبيرا بالفقه ، و لو فى منهج عام تقليدى ، و لقيت بعض العلماء يتحدثون حوا مواضيع و جزئيات عامة سطحية ، قضيت منها العجب .

الوضع العلمى للترك :

إن البلدان التى حكمها الإسلام محا لغاتها الأصيلة أو حوّل وصفها العلمى إلى اللغة العربية ، فالهند و الفارس و أسبانيا و أفغانستان و إن كانت لغاتها مختلفة عن لغة الإسلام ، و لكن اللغة العلمية فى جميع هذه البلدان كانت هى العربية و لا تزال . و لكن الترك يمتازون بأنهم و إن خضعوا للغة العربيــة و لكن لم يحرموا لغتهم كذلك من الكنوز العلمية ، فقد كانت اللغة التركية ثرية بجميع العلوم القديمة. و لقد ساورتنى الدهشة حينما رأيت أن الكتب الضخمة كتاريخ ابن خلدون و تاريخ الطبرى، و تاريخ ابن خلكان ، و تاريخ المقريزى كلها مترجمة إلى اللغة التركية. و على العكس من ذلك فإنا لا نجد مثالا لهذه الحركة العلمية فى أفغانستان و فارس.
و ذكر لي صاحب تركى خبير بعدة لغات أن كتب التاريخ و المسرحيــات و الروايات و الرحلات و الأدب و الإنشاء و البلاغة نقلت من اللغة الفرنسية إلى اللغة التركية إلى حد أنه ليس من المغالاة فى شىء إذا قيل : إن الأدب الفرنسى كله قد نقل إلى اللغة التركية ، كما قد ترجمت مآت من كتب العلوم و الفنون الحديثــة ، و هذا هو السبب فى أن جميــع الكليــات فى تركيــا إلا الكليــة السلطانية تدرس فيها هذه العلوم و الفنون باللغة التركية و على مستوى رفيع .

كتب التاريخ فى اللغة التركية :

و قد ألفت فى تركيا كتب مستقلة كثيرة فى جميع فروع العلوم و الفنون الحديثة، و الكتب المقررة فى الكليات و المدارس كتب مستقلة لا مترجمة.

و لقد رأيت كتب التاريخ و الرجال فى اللغة التركية فى عدد كبير حتى أنى أستطيع أن أقول أنه ليس بعد اللغة العربية لغة آسيوية تضاهى اللغة التركية فى وفرة الثروة التاريخية ، بل و إنها تفوق اللغة العربية من ناحية أن كتب التاريخ باللغة العربية ليست إلاّ مجموعة الأحداث و القصص البسيطة ، و تعير اهتمامها الكبير بأصول الرواية ، و على العكس من ذلك فان كتب التاريخ باللغة التركية ألفت وفق مبادئ فلسفة التاريخ

السير و الأعلام :

و هنا سلسلة نافعة للسيرة باسم " *الرجال المعروفين* " تحتوى على حياة و مآثر و أعمال الأعلام و النوابغ فى تنسيق جميل و أسلوب علمى أدبى . و لكن هذه السلسلة لم تتم، و الآن تؤلف موسوعة خاصة باسم قاموس الأعلام و تحتوى على فهارس المصادر العربية و الفرنسية وغيرها. و طالعت أسماء المصادر العربية فاذا هى كتب قيمة نادرة موثوق بها لا توجد إلاّ فى قسطنطينية ، و هذا الكتاب مرتب على حروف الهجاء ، و قد انتهى الآن إلى حرف الزاء.

الجغرافيا :

ألفت كتب نافعة كثيرة حول هذا الفن، و لقد أعدت خرائط كبرى للعالم و الأجزاء و البلدان المختلفة منه فى كميات كبيرة لعل أمثالها لا توجد إلاّ فى أوربا.

و للبحث صلة ....

تعريب: محمّد أكرم الندوى

الهوامش :

١ - هــى سيدة مثقفة تجيد اللغات العربية و الفارسية و التركيــة و الفرنسية، ألفت كتـاب "*نساء المسلمين*" لدفع الاتهامات التى شاعت فى أوربا عن النساء التركيات، و قد نقل الكتاب إلى اللغة العربية، و قدم فى معرض أمريكا، فنقل إلى اللغة الانكليزية. كما ترجم إلى اللغة الأردية.

٢ - هذه السلسلة نالت قبولا كبيرا فى الأوساط العلمية فى الهند و هــى تحتوى علــى " الفــاروق" و " النعمان " و " الغزالى " و المأمون " و " الرومى " و " سيرة النبى"

٣ - رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٩.

٤ - كان الشيخ خالد الكردى من خلفاء الشيخ غلام علي الدهلوى (المتوفى ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م) الذى هو من مجازى الميرزا جان جان الدهلوى (المتوفى ١١٩٥هـ/١٧٨٠م) و قد نشرنا مقالا مبسوطا بقلم المفتى نسيم احمد الفريدى حول حياة الشيخ غلام علي فى الأعداد السابقة لثقافة الهند، و تشمل الحلقة الأخيرة على تراجم خلفائه فى نفس العدد . (رئيس التحرير)

العلامة السيّد سليمان الندوى

بقلم: سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
مدير ندوة العلماء بلكناؤ

لم يكن العلامة سيد سليمان الندوى غريبا أو غير مألوف لنا فى عهد أو مرحلة لما كانت تقوم بينه و بين أسرتنا علاقات و روابط متعددة أخوية و ودية قريبة، إنه لم يكن أحد خريجى ندوة العلماء و فضلائها فحسب، و إنما كان لها موضع فخر و اعتزاز و باعث غبطة و سرور، ثم إنه كان تليمذا بارا لوالدى و صديقا لأخى، و إن كان يتقدمه سنا و يفوقه فضلا و نبوغا، و بالاضافة إلى ذلك كان بمثابة موجه و مرب لندوة العلماء، و كانت بين أستاذى الجليل الشيخ خليل بن محمد اليمانى و بين العلامة الندوى صلات ودّ و إخاء، تسوده روح المزاح و الفكاهة، و ترجع دراسة الشيخ خليل فى دار العلوم ندوة العلماء إلى الزمن الذى كان العلامة سيد سليمان الندوى فيه فى هيئة التدريس لندوة العلماء، و لا يستبعد أن يكون الشيخ خليل قد قرأ عليه خلال دراسته و لكن قد يكون ذلك لمدة قصيرة للغاية، فانى كلما رأيتهما وجدت أن علاقتهما علاقة فكاهة و ظرافة، و كان العلامة الندوى ظريفا للغاية بين أقرانه و زملائه الظرفاء نافذ البصيرة، متوقد الذكاء، تزينه خفة الروح و حضور البديهة و الفكاهة، غير أن فكاهته كانت تسوده روح العلم و الأدب و الحكمة، و كان الشيخ خليل هو كذلك - رغم عنايته القصوى بالعربية فى معظم الأحوال - يتمتع بالذوق السليم فى اللغة الأردية، و يتفطن - بما قضى مدة طويلة فى لكناؤ - لدقائق اللغة، و لطائف الفكاهة و الظرافة، و يدرك أن أدنى غفلة و إهمال ربما يحول الفكاهة استهتارا، و يسوق الظرافة إلى حدود الطيش و الثوران، و ذلك شيء مشاهد و أمر طبيعى.

أول ما شاهدت العلامة سيد سليمان الندوى عن كثب فى بيت خواجه سيد رشيد الدين مودودى، و كان كلما زار لكناؤ اتخذ بيته منزلا له فى معظم

الأحوال، و كان خواجه سيد رشيدالدين ختنا للأمير سيد نورالحسن خان، و أخا نسبيا لأخيه الصغير الأمير سيد على حسن خان المرحوم أمين ندوة العلماء العام سابقا، و كان منزل سيد رشيد الدين يقع بجانب منزل الأمير نورالحسن خان، و كان شقيقى الأكبر الدكتور عبدالعلى الذى كان يدرس آنذاك فى " كلية الطب لكناؤ " يقيم أثناء سنوات ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٥م فى نفس المنزل، و كنت أقيم معه شهورا، و عمرى يتراوح بين ١١ سنة و ١٢ سنة، و كان سيد سليمان الندوى كلما يزور سيد رشيد الدين بمنزله نشاهده عن كثب، و لكننى لا أتذكر الآن شيئا عن ذلك الوقت، و انتقلنا سنة ١٩٢٦م، ١٩٢٧م إلى سوق " جهاؤ لال " و فتح شقيقى الدكتور عيادته بجوار منزل الشيخ خليل، و فى نفس الوقت بدأت عنده دراستى للعربية، و كان سيد سليمان الندوى و مولانا مسعود على الندوى يقدمان فى ذلك الوقت أحيانا لزيارة أخى أو الشيخ خليل، و يمكثان معهما برهة، و لذلك الوقت ارتسمت فى ذاكرتى ملامح وجهه و قامته. كان رجلا كله وقار و رزانة، ربع القامة، ضاربا إلى القصر، له وجه مشرق تلوح عليه أمارات الهدوء و السكينة، و يعلوه الوقار و الرزانة، و كان وجهه المشرق الزاهر الذى يشف عن الكرم و النجابة يشهد بأنه لا يقدر إطلاقا على إيذاء الناس و تعذيبهم، و كان أنيق الهندام فى غاية الاهتمام بالنظافة و حسن الذوق، و لا يجد حتى الناقدون و المتعنّتون أى تجعيد أو انعطاف فى ملابسه، كل حركة من حركاته و سكناته تدل على الجودة و النفاسة، و عباءته الهندية طويلة إلى حد، و عمامته على رأسه نقية صافية تمّ لف أكوارها بغاية من الدقة و البراعة، و كان يقول. إنما تعودت على التزام العمامة بما وجدت والدك الجليل على ذلك، و كان يتكلم بصوت منخفض بغاية لا يمكن سماعه مع دنوّه إلاّ لمن كان مدفوعا بعواطف الشوق و الحب و التقدير، كان قليل الكلام، كثير الصمت لا يتكلم إلاّ إذا دعت الحاجة إليه، يغضى حياءا، و يلمع الذكاء من وجهه و عينيه، يحترمه الناس و يكرمونه، وافقوه أم خالفوه و أينما حل و سار، كان الشيخ رغم انتقاده لبعض آرائه يحترمه و يكرمه دائما و يذكره ذكرا حسنا.

بدأت دراستى و استفادتى من دارالعلوم ندوة العلماء بصورة مستقلة من سنة ١٩٢٩م، و كان سيد سليمان الندوى آنذاك مشرفا على الشئون التعليمية لدارالعلوم ندوة العلماء، فكان يزور ندوة العلماء علاوة على زيارته لها للحضور فى اجتماعات المجلس التنفيذى، و يمكث بها أياما، و يتفقد أحيانا صفوف الطلاب و يحضر حفلاتهم الخاصة، و انعقدت ذات مرة حفلة للخطابة بالعربية، فلما دعيت لإلقاء كلمتى خضت فى صميم الموضوع بعد مخاطبة الحاضرين بدون الخطبة المسنونة حسبما تعودت على ذلك، فنبه إلى ذلك سيد سليمان الندوى، و ذكرّنى بالحديث الذى ورد فيه أن كل كلمة تستهل بدون إسم اللّه فهى بتراء، فاستعصى علىّ أن أختار كلمات مناسبة للحمد و الثناء

مرتجلا، و أتى بخطبة تلائم الموضوع، و لم أكن مستعدا لذلك، فسكتُ مليا، ثم استأنفت خطبتي، فمنعني ثانيا، فقلت. قد قرأتها سرا، فتبسم و قال. كذا قال الشارح، كذا قال الشارح.

قدم العلامة تقى الدين الهلالى المراكشى فى سبتمبر سنة ١٩٣٠م إلى دارالعلوم ندوة العلماء كمدرس أعلى للأدب العربى، و بدأ عهد جديد بالنسبة إلى اللغة العربية لا فى الهند وحدها بل فى أرجاء الهند كلها، و لعله قام سنة ١٩٣١م بجولة إلى المديريات الشرقية كبنارس، أعظم جره، مبارك بور، و كنت مرافقا له طوال السفر كخادم و ترجمان، و كان ذلك فى رمضان المبارك الموافق لشهر ديسمبر أو يناير، و قد مكثنا فى هذا السفر أياما بدارالمصنفين (اعظم جره) و كان ذلك أول عهده بزيارة دارالمصنفين، أما الإفطار فكنا نتناول معا، و أما السحر فقد كنت أنا و الشيخ الهلالى نتناوله فى منزل العلامة سيد سليمان الندوى، و بذلك سمعت ما كان يجرى من كلام بيْنَ هذين الفاضلين حول المواضيع العلمية و الأدبية وقتا طويلا، و تقرر فى نفس السفر إصدار مجلة عربية من دارالعلوم ندوة العلماء ، يشرف على شئونها سيد سليمان الندوى و الاستاذ الهلالى، و أن يرأس تحريرها صديقى الأستاذ مسعود عالم الندوى، فكان ذلك تجديدا لذوقه العلمى و الأدبى المغمور، و تفسيراً لحلمه الذى طالما راوده لإصدار مجلة عربية، و فعلا صدر العدد الأول للمجلة فى محرم ١٣٥١هـ الموافق مايو ١٩٣٢م، و دبّج العلامة سيد سليمان الندوى افتتاحيته الرائعة فأحسنها و أجاد، و هى نموذج رائع للكتابة العربية المترسلة، لا يبدو من أى ناحية منها أن كتابته العربية شهدت الفراغ فى أى وقت من الأوقات، و أنّ مسافر القلم يواجه بها واديا جديدا، و قد قام سيد سليمان الندوى فى هذه المقالة باستعراض موجز للصحافة العربية فى الهند، و أكّد على ضرورتها الملحة كذلك، و إن ما تضمنت المقالة من ارتجال العبارة و عفويتها، و بساطة الجمل المسجعة و بداهتها، و ندرة الاستعارات و التشبيهات و طرافتها ليذكّر بعهده القديم.

ثم لم يتفق له أن يكتب فى النثر العربى الا قليلا نادرا، فان أكثر ما نشر له بعد ذلك ابياته و قصائده العربية و ترجمات بعض مقالاته القيمة الاردية التى تمّ معظمها بقلم العلامة مسعود عالم الندوى.

و سنحت لى الفرصة للتقرب إلى سيد الندوى و الاغتراف من بحر فيوضه و بركاته، بعد ما انضممت فى هيئة التدريس لدارالعلوم ندوة العلماء، و يرجع الفضل فى ذلك إلى تأييد الأستاذين مسعود على الندوى و سيد سليمان الندوى و ترشيحهما لنفسى، و تمت توليتى للتدريس فى دارالعلوم كأستاذ للتفسير و الأدب فى الأغسطس سنة ١٩٣٤م، و كان سيد سليمان الندوى يتفضل بالقدوم إلى دارالعلوم، و يزودها بتوجيهاته و أرائه القيمة، كما كان يتفقد حلقات الدرس، و كثيرا ما كان يأخذ يلقى الدروس بنفسه،

و كانت تستمر دروسه هذه ساعات، فنستفيد من ذلك أكثر مما يستفيد منه الطلبة، و يقيم فى المضيف أياما، فكان المستفيدون منه و الحاضرون فى مجلسه العلمى من الأساتذة أكثر من الطلبة، و كان سيد الندوى يشعر بهذا الإهمال و قلة العناية من الطلبة، بل كان يتألم من ذلك و يتوجع، فقد قال لى مرة: يا مولوى على - و كان كثيرا ما يخاطبنى بذلك - لماذا يرهب الطلبة من زيارتى، فقلت لأنك تختبرهم كثيرا، لم ينته ذوق سيد الندوى التدريسى بعد، و كان قد درس الصرف و النحو على الطريقة القديمة (١) فلم يزل ذوقها و أهميتها مسيطرا عليه إلى آخر الزمان، و كان كثير الشغف باللغة و الاشتقاق، فكان يوجه إلى طالب كل صف أسئلة من النحو و الصرف و اللغة حسب صلاحيته و مستواه، و أحيانا ينشد بيتا عربيا و يطلب من الطلبة بشرح معناه، و هم بطبيعة الحال يهابون الاختبار، ثم إن كثيرا من الطلاب حتى الأذكياء منهم كانوا لا يستطيعون أن يصمدوا فى وجه جرحه و نقاشه المزعج، و إضافة إلى ذلك فقد كان موعد مجلسه يصادف عامة مواعيد لعب الطلبة و ذهابهم إلى السوق لاشتراء حاجياتهم، لذلك لم يكن الطلبة يحضرون فى مجلسه إلا القليل منهم، فقال سيد الندوى نعم إذا كان الأمر كذلك فسأتفادى الاختبار، أخبرهم منى ذلك، فحرّصت الطلبة على استغلال هذه الفرصة السانحة و اغتنام هذه المجالس العلمية التاريخية الضافية بل تقدير هذه النعمة الجليلة التى أفاضها اللّه عليهم، و قد ازداد عدد الحاضرين من الطلبة شيئا فيما بعد، غير أنه غلب عليه أحيانا ذلك الذوق العريق، و لم يتمالك من توجيه سؤال من الأسئلة، و أضف إلى ذلك أن الطلبة أحيانا لم يظفروا فى مجالسه العلمية القيمة بما يرضى رغباتهم و يتفق مع مستوياتهم، فلم يشهد عدد الحاضرين منهم أى زيادة مذكورة، و بذلك بقى العلامة الندوى قلقا متألما بهذه الظاهرة المؤسفة و ظللنا متندمين على أن الطلبة لم يشتغلوا هذه الثروة الفائضة المتوفرة، و لم ينهلوا من هذا المورد العذب الصافى مورد العلم و الأدب.

و كانت تعرض له رحلات إلى عليجره فى العام مرات، فقد كان عضو المجلس الاستشارى للجامعة، و كانت توجه إليه الدعوة من الجامعة لاختبار الأساتذة كاخصائى بارع (Expert) و أحيانا يدعوه اتحاد الطلبة هناك، و أحيانا أخرى كانت له رحلات إلى دلهى و غربى و شمالى الهند، و فى كل مرة يقيم فى لكناؤ إياباً و دهاباً، و يقول أينما حللت و سرت و لكن ما إن أصل إلى ندوة العلماء حتى أشعر كأننى وصلت إلى بيتى، و قد كان يقيم فى ندوة العلماء بصورة مستقلة أياما و أسابيع أيضا، و قد بدأ أثناء بذلك يدرسنا نحن بعض الأساتذة كتابا للفلسفة القديمة، لكن ذلك لم يستمر طويلا، غير أننا عرفنا ذلك حقائق و معلومات مبدئية عن الفلسفة اليونانية استخدمناها فيما بعد و انتفعنا بها كثيرا

لم يكن أمر الاشتغال بالعلم بالنسبة إلى العلامة الندوى أمر مهنة أو حاجة أو اصطرار أو مصلحة ما، و إنما كان العلم لحمته و سداته، و جرى منه مجرى الروح و الدم، فهو الذى كان غذاءه، و كان نزهته و هوايته و لباسه و فراشه حقا، فطالما شاهدت أن عربته ما إن دخلت فى رحاب دارالعلوم حتى أمر أول من صادفه أن يخبر أساتذة كذا و كذا عما وصلت هنا، أو أمره أن يستلم من المكتبة كتب كذا و كذا، و وصل إلى المضيف، خلع عباءته الهندية، فغسل يده و وجهه، و جلس ينتظر الشاى، فها هم الأساتذة قد حضروا، و بدأ البحث و النقاش حول مسئلة علمية، و ها هى الكتب قد أُحضرت فبدأ يطالعها، و لم يكن يختص ذلك أى فن أو موضوع، و إنما يدور حديثه أحيانا حول مسئلة تتصل بالحديث، و أحيانا حول مسئلة تتصل بالفقه و التاريخ، و أحيانا أخرى يدور حديثه حول السير و التراجم، و ما إلى ذلك، و مادام فى رحاب دارالعلوم كان مجلسه مجلس علم و أدب و حكمة، و لا يثار فيه الا النقاش العلمى و البحث و التحقيق، و إذا تغير موضوع المجلس شيئا بقدوم أحد من السياسيين أو أعيان البلد فذلك شىء يعد بمثابة الجملة المعترضة، و كان مجلس يختار لونا من النزهة العقلية و الفكاهة و الذكريات الماضية و الهوايات المشتركة و العلاقات الودية المتبادلة، إذا ما حضره الاستاذ عبدالماجد الدريابادى أو الاستاذ مسعود على الندوى و الاستاذ عبدالبارى الندوى، و قليلٌ منا يعرف أن العلامة سليمان كان يتمتع بالنبوغ و البراعة فى سرعة الخاطر و بداهة المنطق و الصناعة اللفظية، الأمر الذى منعه من أن يتعرض وقاره الزائد و رزانته وجديته للخشونة و الجمود، و كان ذوقه هذا يتجلى بصورة خاصة إذا ما زاره رجل أوتى ذوقا سليما و معرفة جيدة باللغة مثل الأستاذ عبدالماجد الدريابادى أو شخص يتحلى بالذوق اللكناوى الخاص، و قد كان حديثه يدور حول شئون ندوة العلماء و قضاياها عند قدوم أخى الكبير أو عميد دارالعلوم، غير أن كان ذوقه الأصيل و موضوعه الأساسى الذى ملك عليه فكره و مشاعره هو ما ذكرته آنفا و ما كان تمكن من سويداء قلبه، و عاد له بمثابة طبيعته الثانية بحيث لا يكاد يفارقه حتى فى مرضه الشديد.

أما عنايته الخاصة بى و عطفه و رأفته الزائدة على فقد ابتدأت بعد ما وفقنى الله تعالى لتأليف " سيرة سيد *أحمد الشهيد* " (بالأردية فى مجلدين كبيرين) و هذا هو الزمان الذى كان العلامة الندوى فيه نشطا و متحمّسا للبحث عن النفوس الحية النابضة بالجدية و النشاط، بعد ما مل و سئم من الآثار الميتة، و البحث عن الحقيقة بعد ما تنحىّ عن الصورة و اعتزل عنها، و للبحث عن المشاهدة و اليقين بعد ما شبع من الخبر، و لعله كان آخر سنة ١٩٣٧م و بداية سنة ٣٨م حيث قدم إلى لكناؤ، و نزل ببيتى يوما أو يومين، و قدمت له مسودة "سيرة سيد *أحمد الشهيد*" فسرح النظر على المسودة

بطولها، و قد كانت تتضمن مقتبسات من مذكرات و يوميات والدى الجليل العلامة سيد عبدالحى الحسنى *"ارمغان أحباب"* (هدية الاصدقاء)، فأبدى العلامــة النــدوى شوقــه و رغبته لمشاهدة أصل الكتاب الذى كان آنذاك فى صورة المسودة، فقدّمت المسودة، و أمر العلامة الندوى بنسخها و تم امتثاله، فنشره فى مجلته الشهيرة *"معارف"* بالأقساط بعنوان " *دهلى اور اس كے اطراف* " (دلهى و ما جاورها) بكلمته للتعريف، و وضع عليه بنفسه عناوين جانبية، و أضاف إليــه حــواشى و تشريحات قيمة فى مواضع عديدة. (٢)

و طلبت منه بهذه المناسبة أن يقدم السيرة، فقال إذا تم طبعها أرسلها إلىّ سأكتب عنها شيئا، و عندما تم طبعها فى أواخر سنة ١٩٣٨م أو أوائل سنة ١٩٣٩م أرسلتها إليه، فلما استلم الكتاب أرسل إلىّ الرسالة الآتية التى أظن أنها أول رسالة حنينة من رسائله إلىّ، و نص الرسالة كما يلى

دار المصنفين أعظم جره

عزيزى رزقكم الله علما نافعا

تسلمت الكتاب، و قرأته من مواضع عديدة، بعض نواحيه مؤثرة مرققة للغاية، فاضت عيناى بالدموع بقراءتها، كما أن أسلوبك و إنشاءك مترسل جذاب، أدعوالله أن يزيد كتابتك روعة و جمالا،

و هل تركتَ شيئا أكتبه لك، أريد أن أصب مغزى الكتاب و عصارته فى سطور، و لم يتم بعد الا عدة صفحات، و سأرسلها بعد كتابة عدة صفحات أخر، و لعلك رأيت مقدمة " تراجم علماء الحديث " فستكون المقدمة على نفس المنوال

إقرأ على العلامه الدكتور منى السلام، و هنيئا لك على نجاحك بعليجره (٣)

و السلام

سيد سليمان

١٣/ فبراير سنة ١٩٣٩م

كتب العلامة الندوى المقدمة، و ما أروع ما كتب، و هــى تمتاز بالــرقــة و التأثير و الترسل و البداهة، و لعل هذه المقدمة تحتل - بنــاء على بعض مزاياها - مكانة بارزة فى كتاباته، يتضح منها أنه قد اشترك فيها القلب مع العقل و الشعور و العاطفة مع العلم و قوة الإنشاء، و بعد ما قدّم الكتاب تكرم بإرسال رسالة عطف و محبة أخرى إلىّ، و لعله كان من نتيجة قــراءة كتابــى و ما نشــأ منه من العــلاقة أن أومأ إلىّ أن أرافقه فــى سفر قريب إلى كرنال و بانى بت و نص الرسالة فيما يلى

اعظم جرة.

أخي العزيز سلمك الله تعالى

ها أنا أرسل المقدمة، و أصممهـا إلـى الكتاب إن أعجبتك، و أرسل إليّ نسخة بكاملها بعد ما يتم طبـع الكتاب، و ينبغى لك أن تبعث نسخا من كتابك هذا إلى دارالمصنفين للبيع

و لى رحلة إلى " كرنال " فى مستهل مارس لمشاهدة المدرسة الاسلامية هناك، فعليك أن ترافقنى فى هذا السفر، و لك أحرّ التهانى على نجاحك بعليجره، أخبرنى عن استلام هذه الرسالة.

و السلام

سيد سليمان
١٩٣٩م

و كان ذلك أول رحلة قمت بها مع العلامة الندوى، و كانت هذه الرحلة ذكرى و مبعث العز و الافتخار لى من وجوه مختلفة، فقد تمتعت فيها بصحبة مستقلة لعالم و محقق باحث أديب كالعلامة الندوى، و الرحلة إلى المراكز الدينية و العلمية، و السياحة فى الأمكنة التاريخية و الآثارالقديمة، و الالتقاء بكبار العلماء و الباحثين، و الاستفادة من المجالس العلمية و الأدبية، و بذلك ثبتت هذه الرحلة وسيلة الظفر و النجاح لى، وصل العلامة الندوى اولا إلى "كرنال" حيث كان له أن يلاحظ " المدرســة الاسلاميـــة " التى وقفها الأمير عظمت على خان، و يرى رأيه فى بعض أساتذتها الذين لم يكن مسئولو المدرسة مطمئنين بهم، و كان المشرف على شئون هذه المدرسة آنذاك الشيخ حمدالله البانى بتى الذى كان من تلاميذ شيخ الهند مولانا محمودحسن البررة و من أبرز العاملين المتحمسين لحركته. فأنا كذلك زرته، و كان المسئولون يريدون عزله لهرمه و ضعفه الشديد لكن لم يكونوا يتجرّأون على ذلك، و كانت دعوتهم للعلامة الندوى فى الواقع إنما تستهدف أنه إذا وافق على القرار لم يبق مجال للقيل و القال، و لكنهم لم ينجحوا فى هدفهم، و على العكس أقره العلامة الندوى على منصبه، و كان حاكم مديرية كرنال آنذاك الحافظ عبدالمجيد (I C S) و كانت إقامتـه فى تهانيسر ، و كان معترفا بعلم العلامـة النـدوى و فضلـه و يعرفه عن ظهر الغيب و كان يقدر خدمات و إنجازات مجمع دارالمصنفين، فدعانا على الغداء، و بفضل هذه المأدبة اتيحت لى فرصة زيارة " تهانيسر " التى كانت موطن الشيخ محمد جعفر التهانيسرى صاحب " *سوانح أحمدى* " و " *كالا بانى* " و كانت هذه هى التجربة الأولى لمأدبـــة على الطراز الغربـى،

و أرشدنى العلامة الندوى و كان قد سافر إلى أوربا قبل ذلك، و سمعت هنا لأول مرة من أحد الضيوف عن الشيخ محمد إلياس مؤسس حركة *"التبليغ"* و جهوده و مساعيه الدعوية و التوجيهية.

بعد ما فرغنا من قضية كرنال قدمنا إلى بانى بت و من حسن المصادفة أن نزلنا بمنزل خواجه سجاد حسين بن خواجه الطاف حسين حالى الذى كان المنزل النهائى للشاعر الاسلامى الكبير العلامة حالى، و من نفس المنزل انتقل إلى رحمة الله، و هنا الف بعض قصائده الشهيرة، و لاسيما چپ كى داد *(إشادة بالسكوت)* و يجدر بالذكر بمناسبة هذه القصيدة الرائعة أن خواجه سجاد حسين أخبرنى أن خواجه غلام الثقلين أو أخاه خواجه غلام الحسنين قال للعلامة حالى ذات يوم متحيرا كان شخص يقول فى هذه الرحلة أن أروع قصائد "حالي" هى "چپ كى *داد*"، فقال العلامة حالي و ما رأيك فيه؟ فتردد فى ذلك شيئا، و صوّب العلامة حالى صوّب رأى ذلك الشخص، و كان فى ذلك الوقت يقيم " ببانى بت " الشيخ عناية الله بن المنشى ذكاءالله الكاتب الشهير بالأردية الذى يعد من كبار الكتّاب و المنشئين و المترجمين البا رعين بالأردية، ذهب العلامة الندوى للقائه يرافقه خواجه سجاد حسين، فقال العلامة الندوى "لقد اجتمع الآن ورثة و أبناء ثلاثة منشئين و أسس للغة الأردية، و هم ابن العلامة حالي البار خواجه سجاد حسين، و نجل منشى ذكاءالله مولوى عناية الله، و نجل العلامة شبلى النعمانى المعنوى، يقصد به نفسه.

و زار السيد الندوى فى هذه الرحلة مقابر أولياء " بانى بت " كخواجه شمس الدين ترك البانى بتى و كبير الاولياء شيخ جلال الدين البانى بتى من كبار مشائخ السلسلة الجشتية الصابريّة، و خواجه بوعلى قلندر و الشيخ القاضى ثناءالله البانى بتى أحد الشيوخ الكاملين و الفضلاء الأجلة للسلسلة النقشبندية المجددية، و الشيخ غوث على شاه، كما توجد بها مقابر بعض السادات الكرام و لعلها تقع خارج البلد، و كان السيد الندوى أينما ذهب يفيدنا بمعلوماته التاريخية، فقال عن الشيخ غوث على شاه آنه كان من سكان ولاية بيهار، و لعله أضاف قائلا إنه وجد على مقابر السادات إنساً أكبر، و زار بيت القارى عبدالرحمن البانى بتى أيضا، و كان حفيده الذى أظن أن اسمه عبدالسلام قد حضر بنفسه للقائه، و طلب منه أن يخطب فى المسجد الجامع بعد صلاة الجمعه، فألقى السيد الندوى خطبة علمية قيمة تناول فيها بذكر مكانة و أهمية "بانى بت" التاريخية و علمائها و مشائخها و ما تضم أرضها بين جوانبها من كنوز ثمينة و جواهر نفيسة، كما أننا شاهدنا ساحة "بانى بت" التاريخية التى لقيت بها "المرهتة" هزيمتها النكراء، و نالت سيطرة المسلمين قسطا من الحياة بصورة مؤقتة، و سنحت لهم فرصة لأن يعيشوا فى هذه البلاد مدة قصيرة بعزة و جلال، و كانت رحلتى إلى "بانى بت" أولى و آخر رحلاتى اليها، و لو أتيحت لى الآن الرحلة إليها عشر مرات و لكن أين ذلك من الرحلة

مع مؤرخ عظيم٦

رجعنا من بانی بت إلی دلهی، و صادفنا فی الطريق شخصا كان رئيس التحرير المساعد لمجلة "*طلوع اسلام*" و كانت تصدر أنذاك تحت رئاسة تحرير السّيد غلام أحمد من دلهی، و كانت قد استهدفت الحديث و السنة و خاضت فی النقاش و الطعن منذ زمان، فظل ذلك الشخص يتحدث مع العلامة الندوی علی هذا الموضوع وقتا طويلا، و كان يظن أنه عالم عادی صادفناه، و سينقضی السفر بالبحث معه بلطف و أنس، و ظل العلامة الندوی يتبادل معه الكلام بدون أن يعرّفه بنفسه، و جاءت محطة دلهی و نزل العلامة الندوی، و تأخّرت فی النزول من أجل العفش، فسألنی ذلك الشخص مــن هــذا العالم ياتری؟ و لم أكن أعرف أن العلامة الندوی أخفی اسمه لمصلحة فی نفسه، فأعربت عن استعجابی و قلت أ ما عرفته بعد؟ إنه كان سيد سليمــان النــدوی، فـدهش و بهت لما سمع ذلك، و لكن فاتت الفرصة، و لا ينفع الندم الآن، و نزلت من القطار، فسألنی العلامة الندوی أ ذكرت له اسمی؟ قلت له نعم ذكرته، فقال لقد أخطأت خطأ كبيرا، إنه لا ينبغی التعريف فی السفر، ثم أنشد بيتا فارسيا معناه.

" لن يصفو المتصوف إلا إذا استقی كأسا، و لابد من تجشم
الأسفار البعيدة لنضج عقل الفج و كمال الناقص "

أقمنا فی دلهی بمضيف الجامعة الملية الإسلامية، و كانت الجـامعة آنذاك تقـع فی " قرول باغ " و أتذكر أننا ما إن وصلنا إلی المضيف حتی لقی ندويا يدرس آنذاك فی الجامعة، و فور لقائه سأله هل يوجد فی مكتبتك الكتاب الفلانی فی الانكليزية عن تاريخ " قنوج"؟ كان.وقت المساء، و كان العلامة الندوی يشعر بالألم فی عينيه، و لا أذكر هل هيأ الكتاب له فی نفس الوقت أم فی اليوم التالی، غير أنه قد استفاد من ذلك الكتاب فی نفس السفر، و لعله كان آنذاك فی دور تأليف "*حياة شبلی*" و يحاول جمع أقصی المعلومات عن المناطق الأثرية التاريخية لشرقی البلاد، و كان فی البرنامج فی اليوم التالی الغداء عند الدكتور ذاكر حسين خان مدير الجامعة، فسنحت لی الفرصة لأول مرة أن ألتقی به و أشاهد بساطته و ذكاءه و ظرافته النموذجيـــة عــن كثب، و هناك التقيت لأول مــرة بخـــان عبــدالغفــار خـــان الذی دعاه الأستاذ شفيق الرحمن القدوائی لتفقد معهد تدريس البالغين و منهج عمله، و أظن أنه قد دعا العلامة الندوی لذلك أيضا.

مُنِی العلامة الندوی فی اكتوبر سنة ١٩٣٥م بمرض شديد، و قدم أصدقاؤه و محبوه لعيادته من مناطق نائية، و غادر أخی أيضا لأول مرة، إلی اعظم جره، و مكث بدارالمصنفين يوما أو يومين، كان مرض العلامة الندوی فی الواقع نوبة شديدة لمرض ذات الجنب، تأثر بها قلبه أيضا، و كان الأطباء أشاروا عليه

الاستراحة الكاملة و الاجتناب عن كل شغل و تفكر، لكن رغم ذلك لم يزل قلبه - حسب تصريح الأخ - يعمل عمله و يؤدى وظيفته و هنا إليكم طرفة قال الأخ: يجب أن تريح ذهنك من جميع الأشغال لمدة، و تجتنب كاملاً من ترتيب الموضوعات و بحث المواد العلمية لها حتى من تخطيطها فى الذهن، قال العلامة الندوى و كيف يمكن ذلك؟ فأجاب الأخ يمكن ذلك باختيار بعض التدابير الآتية: إن لعبة الورق و الشطرنج يحصل بهما الاستغراق التام غير أنهما لا يليقان بك، كما أنك لن تقرأ القصص و الروايات، فإحدى الخطط أن ترشح فى الانتخابات فإنها تشغل الإنسان عن الدين و الدنيا كليهما، و أخراها أن تمارس مهنة الشاعر فتشغل نفسك بقول الشعر، فذلك أيضا يجعل الإنسان مغمورا منطويا على نفسه، و انتهت المحادثة بتبسم خفيف، و لم يستطع العلامة الندوى أن يعمل بهذه المشورة.

و لما أفاق العلامة الندوى من المرض و أذن لنا باللقاء، ذهب بعض أساتذة دارالعلوم ندوة العلماء أيضا لعيادته و تهنئته، و كان منهم أستاذى الشيخ حيدرحسن خان شيخ الحديث لدارالعلوم ندوة العلماء و العلامة مسعود عالم الندوى و كاتب هذه السطور أيضا، استقبلنا السيد الندوى بغاية من العطف و المحبة، وبدأ المذاكرة العلمية أيضا بشيء من التحفظ و الحذر، و هنا برز ذوق السيّد الندوى العلمى و التدريسى العريق، حيث تحدّث ذات يوم فى مجلسه عن سورة الجمعة و ما فيها من ترابط و انسجام بين آياتها، و ذكر عن ذلك لطائف و نكتا علمية قيمة دهشنا بها و ظننا أن ليس موضوعه الخاص إلاّ التفسير و التفكير فى القرآن الكريم، و أتأسف إلى الآن على ما فاتنى من تسجيل هذا التقرير العلمى الهام.

و شفى اللّه أستاذنا الندوى من مرضه و تقرر سفره إلى لكناؤ، فوضعنا خططا و مشاريع ضخمة للترحيب به و إبداء مشاعرنا و ارتياحنا، كان منها أن تقدم له كلمات الشكر و التقدير بالعربية من أساتذة دارالعلوم و طلبتها، و عندما فكرنا فى مسألة إعداد كلمة الشكر، أحيلت مسئولية إعداد كلمة الشكر من الاساتذة إلىّ، و تحملها من قبل الطلبة الأستاذ مسعود عالم الندوى، فقمنا بإعداد كلمة الشكر بجدية و اهتمام بالغين و حاولت فى كلمتى أن ترد أسماء جميع مؤلفات العلامة الندوى فى أسلوب التلميح و الإشارة، كما إننى اخترت أسلوبا جديدا كلما خاطبته، و بالجملة فقد تمّ تقديم هذه الكلمات التقديرية بحضور أهل العلم و الفضل و أعيان البلد فى قاعة اتحاد الطلبة *"الاصلاح"* بتاريخ ١٥/ مارس سنة ١٩٣٦م، ما أروع و أعجب ذلك المنظر حيث حضر هذا الحفل التاريخى علماء "فرنجى محل" و أعيان البلد و المحامون المسلمون المعروفون و بعض القضاة المسلمين من المحكمة العالية مبتهجين بصحة هذا الفاضل الفريد و معجبين بفضله و نبوغه، و ألقى العلامة الندوى فى الختام كلمته بالأردية، التى احتوت على الشكر و التقدير لمحبة أقربائه و أبناء أسرته

العلمية و بعض تجـــارب حياتــه و النصائح و التوجيهـات النافعـة للطلبة، و سيبقى هذا الحادث الرائع من بين الحوادث الأخرى تذكارا فى تاريخ عهدى، فلم يكن ذلك احتفالا بذكرى الصحة و الشفاء لأسرة كريمة، و إنما كان ذلك فى الواقع تهنئة و ترحيبا بنضـــارة العلم و الأدب و الفكر و النظـر، و البحث و التحقيق و روعتها و انتعاشها و جولتها من عزم جديد و همة نشطة.

لم تزل تتصاعد عناية سيد الندوى بدار العلوم ندوة العلماء، فقد كان فى تفكير دائم و جهد متواصل لتجديد العهد الذى كانت دار العلوم فيه محطّ أنظار أهل العلـم و الفضـل و موضع عنـايتهم و اهتمامهم فى الهنـد تحت إشراف و توجيه أستاذه العلامة شبلى النعمانى، و طلعت مجلتها *"الندوة"* فى أفق الهند العلمى كنجم جديد، أمر سيد الندوى إصدارها مرة ثانية، فاستأنفت المجلة نشاطاتها من جديد سنة ١٩٤٠م تحت رياسته للتحرير و كاتب هـذه السطـور و مولانا عبدالسلام قدوائى الندوى أستاذ دار العلوم سابقا، كتب فيها سيّد الندوى مقالات و بحـوثا عديـدة، كما نشـرت فيهـا عـدة خطبـه و تقاريره، و افتتح سيد الندوى فيها لهذه سلسلة من المقالات بعنوان *"الكتب التى أحسنت إلىّ"* و كانت الحلقة الأولى السلسلة مقالة الأمير الشيخ حبيب الرحمن خـان الشيـروانى، و تلتها مقالة سيد الندوى نفسه و كان يستقطب جهوده و يركز اهتمامه على توسيع نطاقها و رفع مستواها و لكن مثل هذه المجلات العلمية الجادة لا تناول الإقبال العام و الشيوع إلاّ بعد مجهود طويـل و لم نتمكن مـن رفع مستواها لأجل مشاغلنا كمدرسين و ضآلـة الرسائـل و التجربة فتوقفت فى فبراير سنة ١٩٤٢م بعد ما زاولت نشاطاتها قرابة سنتين.

كانت سنة ٤١ ـ ١٩٤٠م التى بدأ فيها الأستاذ الندوى يشعر "بتطلع القلب إلى شىء آخر" و عطش روحه بعد مـا ارتوى و شبـع مـن مناهـل العلـم و التحقيق، و غاص فى بحـر العلـوم الدينيـة و التـاريخ و الأدب مـرارا و تكرارا، و كأنه كان يتمثل فى خلوته بلسان الحال بأبيـات صـديقـه الحميـم و معاصره المعروف الشاعر الثائر العلامة إقبال التالية:

> *" إن أيامى و ليالى الماضية كلها بين عينيك، و لم أكن أعرف أن العلم نخلٌ بلا رطب، قد تجددت المعركة القديمة فى ضميرى، أما العشق فكله النبى المصطفىٰ صلى اللّه عليه وسلم و أما العقل فليس إلاّ أبا لهب".*

أعتقد أنه لم يكن فى العلماء المعاصرين و على الأقل فى خريجى المدارس الدينية فى الهند من خاض معركة العقل و القلب، و القديم و الجديد، و الشرق و الغرب، و الدين و الأدب أو الدين و الفلسفة مثل ما خاضها أستاذنا العلامة الذى كان من خريجى دار العلوم ندوة العلماء، و مؤلف "سيرة *النبى*" صلى

الله عليه وسلم و كان سياسيا خبيرا، و أديبا موهوبا و تجول فى أوربا، و كان قد سقى شجرة العلم بنبعه الفياض، و استظل بظلها الظليل سنين طوالا، و تناول موضوع التاريخ، و تحدث عن فلسفة مد العلم و جزره، و تطوره و انحطاطه، و لكن قلبه السليم و روحه الوثابة كانت تشهد (و إن كان تلاميذه و المعجبون بعلمه و كتاباته لا يقرون بأنه كان فى حاجة إلى شىء جديد) بأنه لم ينهل بعد من نميره الصافى الفياض، و كانت مؤلفاته و خاصه *"خطبات مدراس"* (الرسالة المحمدية) و *"سيرة النبى"* و *"سيرة عائشة"* قد أذكت فى قلوب آلاف من الناس شعلة الايمان، فذاقوا حلاوته، و لكن همته البعيدة و عزمه و طموحه كان يحثه على البحث عن تلك المنزلة التى عبر عنها الحديث الشريف بالإحسان، و القرآن الكريم بالتزكية

و وجد الأستاذ الندوى مرشدا و موجها مثل العلامة شبلى النعمانى فى طريق العلم و الأدب و البحث و التحقيق، فطواها بنجاح و توفيق، و كان بحثه الآن عن مربٍ حكيم و موجه بصير، يبصره بغوائل النفس و مواضع الضعف فى طبقة العلماء و المنشغلين بالعلم و التأليف، و يسهل له الوصول إلى مرتبة الإحسان و التزكية. و تشبه قصته و خوالج نفسه فى ذلك - إلى حد كبير - قصة الإمام حجة الاسلام الغزالى، فانه لما بلغ ذروة الفضل و الكمال و الشهرة العلمية، بدا له ما كان يشتغل به من اجتهاد علمى و فكرى كسراب، و خرج من بغداد فى البحث عن معين العلم الحقيقى و اليقين و المعرفة، و لم يعد إلا بعد أن نهل من هذا المورد الصافى و علّ

و قد ساعده الحظّ فى الظفر بهذا الموجه المرشد فى شخصية العالم الربانى المصلح الكبير الشيخ أشرف على التهانوى (المتوفى ١٣٦٢هـ) ربما أنه كان باطنه مستعداً لقبول هذه الحرارة و الحلاوة الإيمانية شأن الشيخ العراقى رح فطوى مسافات الاعوام فى الشهور، و مسافات الشهور فى الأسابيع و الأيام، و حاز بثقة مصلح الوقت العالم الربانى و شهادته بالإخلاص و النبوغ، و نال شرف خلافته.

و ازدادت علاقة العلامة بمرشده و عطف مرشده عليه توثقاً حتى استأثرت رحمة الله بالشيخ أشرف على التهانوى فى ١٦/ رجب سنة ١٣٦٢هـ/ يوليو سنة ١٩٤٣م، و ما إن بلغ العلامة الندوى نعى الشيخ التهانوى رح حتى سارع إلى لكناؤ، و كان يسيطر عليه آنذاك دافع شديد من الحزن و الاضطراب و التلق، و شاءت حكمة الله أن يزور الداعية الكبير الشيخ محمد الياس لكناؤ فى تلك الأيام، كما كان هناك موجودا من قبل شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوى و أمير جماعة التبليغ أيضا فى دار العلوم ندوة العلماء، و كانت إقامتهما فى مضيف ندوة العلماء ، فقد عملت رفاقة مولانا محمّد الياس رح و حضوره لحفلات جماعة التبليغ عمل البلسم و المرهم على قلبه الجريح، و كان العلامة الندوى يحترمه و يستقبله بإجلال و حفاوة بالغة شأن المسترشد مع

شيخه المرشد، و كان الشيخ محمد الياس هو نفسه يجازيه بالإجلال و التكريم و كان معجبا بعلمه و طلبه الصادق و إخلاصه معترفا بفضله و مكانته و نبوغه، و كان العلامة الندوى قد استولى عليه ذكر اللّه، و كانت إقامتهما فى المضيف نفسه، فارتاح مولانا محمد الياس بذوق العلامة هذا و ابتهج به كثيرا، كما أن العلامة الندوى غادر معه إلى كانفور حيث ألقى بها فى حفلة من "كلية حليم الاسلامية" خطبة مرققة بليغة، و عرّف به و بدعوته فى كلمته الافتتاحية فى مجلة "*معارف*" التى كان يرأس تحريرها و ذكره ذكرا عاطراً ثمّ دبّج بعد وفاته مقالة علمية قيمة كمقدمة لكتابى "*الداعية الشيخ محمد إلياس* و *دعوته الدينية*" تنم كل كلمة من كلماتها عن حبّه و هيامه بالشيخ، و لم تزل علاقته وثيقة بدعوته الدينية بعد ما غادر إلى بهوبال فباكستان، و كان من المقدرين و المعترفين بإخلاص أصحاب هذه الدعوة وصلاحهم و تقاهم، و عظمة منشىء الحركة و شعبيته و قيام هذه الحركة على أساس منهج السلف و الطبيعة الدينية الخالصة، و كان رفقاء هذه الدعوة عامة يلتمسون منه الدعاء للجماعات المغادرة و الحضور لاجتماعاتها الدينية، فكان يلبّى كل ذلك دونما تكلف، و قد تجشّم لذلك أسفارا بعيدة غير مكترث بمقتضيات صحته.

قد شهدت طبيعة سيد الندوى و نزعته فى دار العلوم ندوة العلماء تطورا هائلا و تغيرا واسعا بتغير طبيعته و ذوقه و تطور سنه، فعاد لا يقتنع بأن يعتبر أن ندوة العلماء مجرد مؤسسة من المؤسسات العلمية الأخرى و معهد للتعليم و التعلم و معرفة العلوم الحديثة بقدر ما تدعو إليه الحاجة، و بعبارة وجيزة و بليغة أخرى إنه لم يكن يحب ما نوّه به الشاعر الظريف أكبر الاله أبادى لسان العصر بخريجى ندوة العلماء إشادةً و تقديراً لما يمتازون به. و هو أن "ندوة العلماء لسان عاقل" فكان العلامة الندوى يتوخى أن تكون ندوة العلماء جامعة بين كلٍ من القلب المتألم و القريحة الوقادة و اللسان العاقل، و كل ذلك مع مراعاة الترتيب المذكور، فالمكانة الأولى يحتلها القلب المتألم، و الثانية الذهن الوقاد ثم يليه اللسان العاقل للتعبير عنهما، كان يلاحظ نوع من الغربة بالنسبة للشخصيات الدينية و المراكز الدينية فى جوّ ندوة العلماء منذ مدة بعيدة فقلّ هذا النفور لأسباب ترجع بعضها إلى طبيعة العلامة الندوى الجديدة و ذوقه المتجدد المتطور، و ترجع بعضها إلى إقامته فى مضيف ندوة العلماء نفسها التى كانت تدوم أحيانا أسبوعا كاملا و التى الفش فيها جو ندوة العلماء و نشّطها تماما بروحه الوثابة و اضطراب قلبه المتواصل و حرقة نفسه الباطنة، و لكن سيد الندوى كان يتوخى أكثر من ذلك، و كان يتطلع إلى أن لا يعتبر أبناء ندوة العلماء و طلبتها الأدب و التاريخ وحدهما هدف اجتهادهم و مساعيهم، و لا يعدوهما غايتهم النهائية، فكأنه كان يرى متمثلا ببيت العلامة اقبال التالى. أيها المسافر ليس ذلك بمنزلك، إنما هو

المرحلة الاولىٰ للثقــة و الاعتداد بالنفس".

و كان يحرص دائما على أن لا يقتصر أبناء ندوة العلماء على تلك الشخصيات التى كانت رمزا و علامة للعلم و الأدب و التاريخ، بل يتسع افقهم و يجعلوا نصب أعينهم و يختاروا من دعاة حركتهم و بناة مؤسستهم تلك الشخصيات التى امتازت أيضا فى التورع و الزهد و التقوى و اتصفت بالشمول الدينى و الدنيوى و الجمع بين العلم و الأدب. أذكر جيداً أنه قال لي مرة يا مولوى علي ! لكل جماعة و كل مؤسسة و معهد قدوة مثالية تستولى على جميع أفرادها و تسيطــر على قلــوبهم و نفوسهم، و يستمــدون بهــا قوتهــم و نشاطهم و يستوحون منها رسالة و درساً لحياتهم، و إننى أرى أن هناك أربع شخصيات يمكن أن تكون قدوة و نموذجا لدارالعلوم، و هى الشيخ محمدعلى المونغيرى و العلامة شبلى النعمانى و والدك الجليــل العلامة سيــد عبدالحــى و الامير الشيخ سيد على حسن خان، فقد كان هؤلاء مسيطرين على مختلف شعب الحياة، و بوحدتهم و تضامنهم تنشأ جامعيّة صالحة متزنة.

لم تحظ هذه الميول و العواطف التى تغلبت على فكر العلامة الندوى من آخر حياته القبول و الشيوع اللائقين فى الطلبة كما كان يرجى نظرا إلى فضله و مكانته الرفيعة، بل نشأ بذلك صراع عقلى كانت قمته ذلك الإضراب الذى قام به الطلبة سنة ١٩٤٣م، و إن ابتدأ هذا الإضراب بسبب القضايا التى تتصل بالإدارة، غير أنه كانت تعمل فيه روح نفس الصراع و الاضطراب النفسى، و كان قادة هذا الإضراب بعض الذين كانوا من طلبة دارالعلوم المبرزين المتفوقين و عقدنا بهم نحن و دارالعلوم آمالا بعيدة، و كان فى مقدمتهم أعز تلامذتى على احمد الكيانى، لم أجد طوال مدة تدريسى لعشر سنوات و ما بعد ذلك عندما عملت كمساعد للمشرف على الشئون التعليميــة و المشرف عليها لم أجد طالبــا أكثر منه صلاحيــة و أوفر منه فطنــة و ذكاء و أصفى منه طبيعة، ظهر فيه النبوغ مبكرا فقد كان يستبعد منه كليا أن يخطىء فى الصرف و النحو، و هو فى الصف الثانى أو الثالث، ذات مرة قام أستاذى الشيخ خليل اليمانى بتصحيح أوراق امتحانه و هو فى الصف الثانى أو الثالث فقال أعطونى هذه الكراسة فسأجمع التبرعــات و المعونــات لندوة العلماء ما شئتم، و كان قد بدأ يخطب بالعربية مرتجلاً و هو فى الصف الخامس، رزقه اللّه ذاكرة قوية فريدة ينشد بها ألوفا من الأبيات من خير ما نظمه إقبال و أكبر و ظفرعلى خان، و قد نقل بعض مقالاتى العربية إلى الأردية، و عندما غادر إلى كراتشى بعد انتهاء الإضراب فقد عرِف فى أنديتها العلمية بالعلامة الكيانى رغم حداثة سنه و كما جرت العادة فى اضطرابات الطلبة فقد آلت إليه قيادة الإضراب و تبعة التمثيل عن الطلبة طوعاً أو كرهاً، مما أزعج و أقلق جميع الأساتذة و اياى بوجه خاص، و كان سبب القلق فى ذلك أن الإضراب كان بمثابة هجوم على هويّة سيد الندوى و إشرافه على الشئون

التعليمية، و قد كان آنذاك في الواقع المربي الحقيقي لندوة العلماء و الموجه المرشد و الدافع عنها في وجه أعدائها، و تألم سيد الندوي بهذا الحادث المفجع و قلق به كثيرا، و كانت تجيش في قلبه عواطف و آمال بعيدة لخدمة ندوة العلماء و تثقيف الطلبة، فرأى في هذا الحادث المؤلم تحطماً لأمانيه و خيبة لجهوده، فضاق بذلك ذرعا و انكمش به نفسا، و في أثناء ذلك أصيب علي أحمد بالجنون و اضطرب حاله إلى أن ربطه أهله بالحبال، و أصحب أخوه أخي المحترم الدكتور سيد عبدالعلي إلى بيته لعلاجه، و قد صحبته بناءاً على العلاقة الخاصة، فلما رأيته مربوطا بالحبال فاضت عيناي بالدموع على أن هذا الشباب الذي كان موضع غبطة و ارتياح حتى لدى زملائه في فطنته و ذكائه و ألمعيته و سداد رأيه يعاني اليوم من هذه الحالة السيئة، وصف الأخ له الدواء و عاد. و كان سيد الندوي في ذلك الوقت مهموما شديدا و مفجوعا للغاية، بحيث لم يقم في دارالعلوم، و إنما نزل بيتنا، فقلت له ذات مرة في خلوة سنحت لنا: أعتقد أن قد زلّ لسان علي أحمد الكياني و لفظ كلمة ساءتك، فليس من المستحيل أن تغلب عليه العاطفية في خضم إساءات الأدب و عدم الحياء فاقترف ما يتندم عليه جبين الحياء و الحشمة، فقد ورد في الحديث: "من *آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب*" أما أنت فقد كنت له مرشدا و مربيا مشفقا، فردّ سيد الندوي على ذلك بكلمات التواضع و الانكسار قائلا: لست بشيء، فأعدت له ذلك و التمست منه الدعاء، فسكت على ذلك، ثم قال لي بعد يومين أو ثلاثة: قد امتثلت لأمرك مولوي علي، فشاءالله أن يشفى علي احمد الكياني كاملا إما ببركة دعاء سيد الندوي أو لأمر آخر لا يعلمه الا الله، و على حد علمي لم تصبه هذه الوطأة الفاجعة ثانيا، من الأسف الشديد أن تألق نجم ثم هوى عاجلا، فقد عاجلته المنية في مبكر سنه عام ١٩٥٠م، كما يقول الشاعر. " إنما الأسف كل الأسف على الازهار التي ذويت و ذبلت و لم تتفتح بعد."

غادر سيد الندوي يوليو سنة ١٩٤٦م لأسباب قاسرة إلى إمارة "بهوبال" كقاض لها و أمير لـ "دارالعلوم أحمديه" و مشرف على شئون التعليم الديني، و مكث بها إلى أكتوبر سنة ١٩٤٩م، و رغم كونه في بهوبال وطّد علاقته بدارالعلوم، فقد كانت دارالعلوم تحتل منه مكانة الابن العزيز، و لم يكن يسعه أن يتخلى عن ذكراها لحين من الأحيان، و كان يشجع همم العاملين لندوة العلماء برسائله المشفقة المشجعة و يزودهم بالتوجيهات العلمية و التعليمية، و إليكم هنا رسالة له من بهوبال تحتل مكانة كبيرة ببعض الاعتبارات و تعكس عواطفه و مشاعره الصادقة و اتجاهاته و آراءه، و قد تضمنت بعض حقائق مرة و تجارب مؤلمة من حياته إشارة و تلميحا، و الرسالة مكتوب عليها تاريخ ١٨/ابريل سنة ١٩٤٨م.

بهوبال

الأخ المحترم – وفقكم الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

عندما بلغتنى عودتك (٤) رغبت أن أكتب إليك رسالة، غير أن الأوضاع و الظروف هنا غير مشجعة. انها تتطلب بذل الجهود على الفروع أكثر منه على الأصول و الغايات، قد حضرت هنا بآمال و تطلعات، فطالما تمنيّت فى ندوة العلماء أن أتوجه إلى العمل الأصيل بجمع المعونات و التبرعات أو بوسيلة أخرى، ليست إمارة تبذل عنايتها بهذا العمل الخطير و شغلتنا عن إدخار الثروة بالتركيز و استقطاب الجهود على العمل الحقيقى الهام، غير أننى جربت بإقامتى هنا لسنة و نصف، أن الهدف المنشود لن يتحقق فى خضم أشغال الإمارة، لذلك أنا أرغب بنفسى أن أترك هذا العمل، إنما أتردد بين أن أقوم به آنفا أو أؤجله إلى موسم الحج.

هذا ما يتصل بأمر الإقامة، و أما بخصوص الصحة و القوة البدنية و ما يتصل بها، فلست أقدر على أن أمارس مسئولياتى و أعمالى بجد و نشاط و حماس، لأجل ذلك عيّنت كى تتضافر قوته و عقلى و ذهنى، لكن صراع الأساتذة اقام صده جبهة فى غيابك، فأسندت أمر ذلك إليهم فتولى هذه الوظيفة (٥) و قد بلغنى أنه كذلك عجز عن تصريف الأمور فى وجوهها

أعترف بمكانة دارالعلوم و أهميتها و دورها لكننى عدت أعتقد بناء على التجارب منذ مدّة مديدة أن المسلمين فقدوا الصلاحية لإنجاز الأعمال الاجتماعية، قد أكدت الأوصاع و الظروف الراهنة و تطورات البلاد بضرورة التعليم الدينى للمسلمين فضرورة التعليم الدينى و أهميته فى تصاعد و ازدياد بمرور الزمان، و لكن كل الأسف أن غفلة المسلمين و غفوتهم تتصاعد تصاعد ضرورة التعليم الدينى و تتفاقم تفاقمها، و قد يبدو لى أحيانا ـ لاسمح الله بذلك ـ أن الأرض ـ أ كان الأمم على حد تعبير العلامة حالى ـ يخشى أن تبتلع المسلمين فيما تبتلع، على كل فقد تطول هذه القصة المحزنة. و سأحكيها لك إذا ما تاحت لنا الفرصة.

عواطفى نحو ندوة العلماء نفس عواطفك ، و قد رأيت دائما أن تتحمل أنت هذه المسئولية الضخمة، فأنت شاب يافع يعلوك الحماس و النشاط.

و سأساعدك على كل حال و أمدك بكل عون و مدد، و إن

شئت أقمت معك بشريطة أن يساهمك الأساتذة الآخرون تائيدا لرأيك.

تسلمت رسالة الدكتور المحترم أيضا، أدعو الله لصحته الكاملة العاجلة، و قد دعاني، غير أنني لا أستطيع أن أحضره الآن إلى ابريل، ليست الأوضاع تهدأ إلى الاختبارات الآتية التى أظن لم يبق لها إلاّ شهرٌ أو شهران.

و إن ما ذكرت من مزايا و صفات لى لأهل الحجاز لموضع غبطة و سعادة لى، و يا ليتنى كنتُ كما وصفتنى.

و السلام

سيد سليمان

٨/ابريل سنة ١٩٤٨م

رأى سيد الندوى انه لا يستطيع أن يشرف على الشئون التعليميه فى دارالعلوم ندوة العلماء إشرافا لائقا تماما بإقامته ببهوفال، فرشحنى لمساعدة الإشراف على الشئون التعليمية، مما قبله مجلس دارالعلوم فى ٧/يناير سنة ١٩٤٩م، و افتتحت عملى تحت إشرافه و توجيهه، فكنت أراجع إليه فى كل مسألة مهمة، و كان هو أيضا يضع فىّ ثقتـه و اعتمـاده فضـلا منه و كرمـاً، و إليكم هنا رسالة تحتوى على مؤشرات تاريخية هامة يمكن استغلالها فى تدوين ترجمة حياته، كما يمكن بها تقدير الصراع العقلى الذى واجهه سيد الندوى فى اختيار المجال لنشاطاته العلمية و الدينية، يرجع تاريخ هذه الرسالة إلى ٥/يونيو سنة ١٩٤٩م، و تمت كتابتها بوطن سيد الندوى "ديسنه" حيث كانت إقامته آنذاك.

ديسنة، بتنا *٥/يونيو ١٩٤٩م*

أخى العزيز رفع الله شانكم

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

قد كنت تسلمت رسالتك، و كانت تتضمن أمرين، أحدهما يتعلق بإقامتى، و ثانيهما بالمقرر الدراسى، فكنت أنتظر أنك سترسل إلىّ مسوّدة المقرر الدراسى أو قد أرسلتها، لكن لم أتسلمها بعد، و الآن بعد ما انتظرت طويلا أكتب هذه الرسالة ردّاً، لقد انتهى دورى و فرغت من وظيفتى، "فلكل عصر رجال" فسيلائم هذا العصر ما تخططه من المقرر الدراسى، و بمـا أننى أضع فيك الثقـة و أعتمد عليك فاننى أرضى و أستحسن مقررك الدراسى المشروع بدون أن انظر إليه، أسـال الله ان يجعله

نافعا و مفيدا

لم أقطع بعد بشيء فيما يتصل بمكان الإقامة. إنما غادرت أعظم جره بحثا عن الهدوء القلبي و الأمن العقلي و النفسي و تفاديا للصراع و الاحتكاك، و قبلت حالا خدمة بهوبال الدينية بدلا من خدمة حيدر اباد التعليمية، و إن كان مكاني هناك مصونا من وطأة تطورات الإمارة - على أن الرأى الأصيل لا يتضح إلا بعد ما نصل هناك - لكن بما أن تصور الإمارة الإسلامية لا يوحد الآن نفسيا، فإنني أحسب أن قلبي لن يطمئن هناك، و لن تقربها عيني، و قد يرى كثير من الناس أنني سأضطر إلى التنازل من وظيفتي هناك، و هذا هو السبب لمطالبتهم من بعض النواحي. إن دولة مجاورة تذكرني و تدعوني بصدد بعض الأمور الدينية و القوانين الشرعية، و توجه إليّ الدعوة للروّية و التفكير فيما ينبغي من استخدام الطرق و تقديم المقترحات التربوية لأحداث الثورة في مجال التعليم الديني و العصرى العام، لكن لم أصل إلى الآن إلى نتيجة

قدمت إلى الوطن حرصاً منّي لأعيش هنا عيشة العزلة و الانقطاع، لكن هدايا بعض الكرام و قضية الضيعات و عناد الأقرباء و شحناؤهم حالت دون الهدوء و الطمانينة

لم تزل خدمة دارالعلوم ندوة العلماء هدف حياتي و إلى الآن لا أنكر خدمتها لكنني اجد نفسي قاصرا عن جمع التبرعات و المعونات الذى تشتد إليه حاجة ندوة العلماء ثم إنني لا أجد أى حل لما أواجه من المشكلة الاقتصادية و الإقامة مع أهلي و أولادى

و بالجملة فقد عطلت الأوضاع قوة رأيى و حكمي، و لا أبصر الطريق واضحة مذللة، و بالفعل أواجه الآن سفرى للحج، عسى أن أهتدى بعد انتهائه إلى طريق معبدة بشرح الصدر

اليوم ١٥/يونيو، سأغادر إلى بهوبال في ١٧/يونيو، و أعتقد أني سأصل إليها قبل رمضان عن طريق لكناؤ و اناؤ (٦) أرجو أن تزول هناك بعض قضايا و مشكلاتي، و سأكون شاكراً إذا اطلعتني على رائك بعنوان بهوبال فلك جزيل الشكر

و السلام

سيد سليمان

طبقا لما تشير إليه الرسالة فقد غادر سيد الندوى للحج بعد إقامته في بهوبال لأيام، و كان ذلك حجه الثاني أو الثالث الذى تم سنة ١٣٦٨هـ الموافق

لسنة ١٩٤٩م، و انتهزت الجماعة التبليغية فى الحجاز فرصة إقامة سيد الندوى، و بفضل تأييده و اشتراكه في حفلاتها نالت منفذاً إلى الأوساط العلمية و الدينية في الحجاز و مدن المملكة العربية السعودية الأخرى و كذلك حظيت بالتجاوب و التقدير لدى الحجيج و العلماء الوافدين، و وافق سيد الندوى على خدمة الجماعة بهذه المناسبة السارة، و شجع أصحاب هذه الدعوة هناك و العاملين فى مجالها على حضوره و مساهمته الفعالة فى مجالس دعوتهم و إرشادهم، و أذكر أنى أرسلت إليه رسالة لدى عودتى نوّهت فيها بإشرافه هذا و تشجيعه لهم و أشدت بذلك إشادة، و إليكم ما كتب سيد الندوى رداً على هذه الرسالة.

بهوبال *٢٤/يناير*

الأخ المحترم وفقكم الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

تسلمت رسالتك المتضمنة لعيادتى فلك الشكر و الامتنان، و لله الحمد على أننى بخير و عافية، و قد بدأ الضعف يزول و القوة تعود

لقد شجعتم كثيرا مساهمتى التى قمت بها مع نشاطات جماعة التبليغ فى الحجاز، حتى أن مولانا الشيخ يوسف و مولانا الشيخ زكريا قد شكرانى على ذلك و دعوا لى، أما الدعاء فأنا فى حاجة إليها طبعا، و لكن الشكر فلا داعى له؟ فاذا أدى أحد صلاةً فهل يستحق الشكر على ذلك، إنما كتبت لأن بعض الناس قاموا بذلك.

و لاشك أن ما يشير إلى سعادتك و حسن حظك هو أننى وجدت - و الحمدلله على ذلك - بعد مضى سنتين إسمك و عملك نشيطاً نابضا بالحياة، بل لم ازل أتشرف و أتكرم بالانتساب إليك

يحدونى حادى الشوق إلى لقائك و الاستماع إلى أحوال ندوة العلماء أفلا تغادر بعد ذلك إلى بهوبال.

و السلام

سيد سليمان

تسلم سيد الندوى الدعوة لزيارة باكستان فى هذا السفر للحج نفسه من قبل بعض شخصياتها المعنية المرموقة و عن طريق بعض شخصيات فئة بارزة، و صوّروا له الإمكانيات الواسعة لخدمة الإسلام هناك و فى توجيه هذه الدولة

الإسلامية الفتية توجيها لا يحسن القيام به عالم آخر دونه، كانت باكستان تواجه قضية تدوين القوانين الشرعية الإسلامية بجانب قضية صياغة تعليمها صياغة إسلامية، و كان سيد الندوى له علاقة طبيعية و هواية فطرية بهاتين القضيتين الأساسيتين، و لكنه بناءا على ضعف طبيعته و خطورة القضية لم يستطع أن يقطع بمغادرته إلى باكستان، حتى سنحت له فرصة طيبة يشاهد أوضاع باكستان عن كثب، و يلتقى بالمسئولين هناك و يطلع على آرائهم و اتجاهاتهم، ثم يرى رأيه بشيء من الهدوء و الطمأنينة، و كان من المبرمج أن تغادر من دلهى بعثة أخوية ودية لأعيان المسلمين الهنود فى يونيو سنة ١٩٥٠م، و كان فى مقدمتها مولانا حبيب الرحمن لدهيانوى، و التمس من سيد الندوى كذلك أن يساهم فيما، و لعله بناء على هذه المصالح قبل الدعوة مشكورا، و قد وصل إلى كراتشى صباح ١٤/يونيو ١٩٥٠م، و كانت عودته مقررة، و لم يكن فى نفسه أدنى تردد فى هذا الصدد، و لكن أقرباءه فى باكستان و فيهم بنته و ختنه و أهل بيته قد أنتهزوا قدومه الطارىء، و أحدثوا أوضاعا قاسرة حالت دون عودته إلى الهند، و لم يكن تعود سيد الندوى عى رفض الحاح الأقرباء و الأحبة و الأصدقاء و التمسك برأيه و الإصرار عليه. و كانت فى طبيعته مرونة كبيرة فحدث أنه حط رحله و قرر الاقامة بباكستان، فقلق به و تضايق جميع أحبته و معتقديه الذين كانوا يشعرون بأهمية وجوده فى الهند و يعبرون حرمان الهند من هذا الكنز الثمين للعلم و الفضل حادثا دينيا، لكن كان ما قُدِّر، و لم يكن بدٌ من التندم و عض الأنامل من الحسرة و الأسف، و لم يكن لهم الآن الاّ أن يدعوا أن تستفيد منه و من فضله و نبوغه و تسغل آراءه السديدة و تجاربه الواسعة هذه الدولة الإسلامية الفتية التى ناط بها كثير من المسلمين فى العالم آمالهم الكبيرة و التى أصبحت اختبارا خطيرا و سؤالا كبيرا - بحسن الحظ أو سوئه - لمعرفة صلاحية التعاليم الإسلامية و القوانين الشرعية لتسيير ركب الحياة و توجيه المجتمع، لكن مع الأسف لم يتحقق ذلك و لم تتم الآمال المنوطة بها و لم تستفد منه كما ينبغى لها، و قد واجه سيد الندوى فى قيامه بباكستان أوضاعا سيئة و مشكلات كبيرة أقلقت ذكرياتها أحبته و معتقديه، و لا مجال هنا للبحث عن تلك الأسباب و التفاصيل، ما هى الأسباب القاسرة؟ و ما هى الأحداث التى واجهها؟ و على من تعود مسئوليتها؟ و كم يرجع كل ذلك إلى ضعفه الطبيعى و نحافته، الحكم فى ذلك بشيء ما صعب جدا، كما أنه خارج من إطار موضوع كاتب المقال.

قدم سيد الندوى فى مارس سنة ١٩٥٣م ذات مرة - و لآخر مرة - إلى الهند، و كان قد حضر لرئاسة مؤتمر التاريخ فى "داكا" (باكستان الشرقية حينئذ) الذى انعقد فى نفس الشهر، و قدم هناك مقالته العلمية القيمة التى أشار فيها على المسلمين البنغاليين أن يكتبوا اللغة البنغالية بالخط الفارسى

بنفس الطريقة التي كانت تكتب بها قبل عصر الاستعمار الإنجليزي و ذكر سيد الندوي للتدليل على قوله أن هذا التغيير وليد مؤامرة خطيرة نسجت خيوطها في جنح الظلام، و أن تغيير الخط قطع علاقة البنغاليين عن الثقافة الإسلامية و الحضارة الاسلامية، و لا يمكن الآن سد فجوة البعد و التنكر التي حالت بين المسلمين البنغاليين و المسلمين الهنود و الباكستانيين إلاّ إذا اختار البنغاليون الخط الفارسي، و لا شك أن هذا الاقتراح كان مخلصا و باعثا على الثورة في التفكير و كانت تتجلى فيه الفراسة و بعد النظر و التفكير الذي عبر عنه إقبال في شعره التالي.

"ولكن دُلّني على رجل محنك خبير رأى شوكة
فحسب و ذكر جميع أحوال الحديقة."

و الذي شهدت بصدقة الأحداث المؤسفة التي وقعت في نهاية سنة ١٩٧١م و بداية سنة ١٩٧٢م، و الذي تسبب في انفصال هذه الدولة ذات الأغلبية الساحقة للمسلمين من باكستان

إن الرفض و الإهمال الذي لقيه هذا الاقتراح المخلص من البنغاليين و لاسيما من طلبة الكليات و الجامعات سيخلد في التاريخ كحادث مفجع على مدى العصور، و كان هذا الرفض ينذر بالعاصفة التي مرّت برؤوسهم تمطر الدماء و تهز البلاد هزا، بدأ الطلبة و الشبان يمطرون الأحجار على هذا العالم الفاضل المحنك الذي كان حرمة الدين و الثقافة الاسلامية، فأحاط بالعلامة الندوي الدكتور محمودحسين خان و بعض زملائه الأصدقاء، و أركبوه على السيارة بغاية من الجهد و المشقة، و أغلقوا الشبابيك، بذلك سلم بدنه غير أن قلبه قد تفتت و تشتت، و بعد ذلك مباشرة رجع إلى الهند، استقبلناه فاذا به قد خمدت حماسته و هدأت عاطفته، و انكمش شوقه انطوى، و لم تعد له أي عناية و اهتمام بأيّ قضية، و ألقى على طلب مني – و طلبي لا يرد عنده – كلمة في المسجد أمام طلبة دارالعلوم بعد صلاة المغرب، أشار فيها عليهم بالعناية و الاهتمام بالفقه، لكن لم تكن في كلمته أي حماس و نشاط، و قضى ليلة في مركز التبليغ الواقع في لكناؤ على شارع المحكمة، لكن كان يسيطر عليه السكوت، و قدم إليه في الصباح يزوره مولانا عبدالماجد الدريابادي، الذي كانت له علاقة ودية وثيقة به، و كان كلما حضر انبسطت أسارير طبع العلامة الندوي و ابتدأت المشاطحة الأدبية و النزهة الذهنية و الفقرات المزاحية، و حاول كثيرا أن ينفتح طبع سيّد الندوي، و لكن بدون جدوى، و يذكر مولانا محمد اويس النغرامي و مولانا ابوالعرفان الندوي – الذي رافقه إلى أناؤ – أن العلامة الندوي ظل ساكتاً هادئا في طول الطريق، و إنما سأل عندما مرّ بقنطرة نهر " *غنغا* " هل هذا غنغا؟

و لم يعش بعد ما وصل إلى باكستان طويلا في هذه الفانية، و كان مرضه

القلبى قديما، فأصيب بهجمة الاستسقاء القلبى علاوة على ما جعلته الأحداث و تجارب الحياة المريرة مفتت القلب و منهوك القوى، إلى أن حان موعده النهائى فى ١٤/ربيع الأوّل سنة ١٣٧٣هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٣م، و فوجئنا بخبر ارتحاله من هذه الفانية، و لحق بالرفيق الأعلى

هذا ما يتصل بعلاقتى الشخصية معه و بملاحظاتى و تجاربى الخاصة، و إليكم الآن بعض جوانب مضيئة هامة من شخصية العلامة الندوى و كفاءاته و مزاياه، تحتل المكانة الرئيسية البارزة فى إطار سيرته الأخاذة و مواهبه و خصائصه المنوعة، و تأثر خاصة بها كاتب هذه السطور.

أبرز و أهم ما كان يمتاز به العلامة الندوى هو شموله و جامعيته فى طبقة العلماء و تنوع علومه و مواضيعه، فقد اجتمعت فى حياته العلمية المعرفة بالقديم و الحديث و النبوغ العلمى و الذوق الأدبى و جدية و واقعية نقاد و مؤرخ و حلاوة و انبساط المنشئين و الأدباء و ليونة و مسامحة الفكر و البحث و سعة المطالعة اجتماعا لا يوجد نظيره إلا نادرا. و شهد الزمن الذى هو زمن طلب علم سيد الندوى صراعا عنيفا، فلم يمكن لأحد يظهر حبه و ودّه لكلا الحاكمين فى وقت واحد، كما كان من المستحيل أن يلتقى الممثلون من كل من القديم و الحديث فى مكان واحد (و لعله وجد التقاؤهم بذلك لأول مرة فى حفلات ندوة العلماء) و قد حدثت فجوات و ثغور بين العلوم الدينية و لغة البلاد و أدبه، و كان من الجرأة و البسالة إجتياز هذه الثغور، و كان العهد الذى أنجب علماء و ادباء مترسلين أمثال نذير أحمد و حالي و شبلى يكاد ينتهى، و كان التاريخ على عتبة عهد من العلماء الفنيين الذين يعتبرون الأدب و الشعر منافيا للثقافة و التدين، و كان منهم من يعدّ التصنيف و التأليف فى الأردية الحلوة السهلة و الأسلوب القشيب الجذاب هتكا لعرضه و إهانة لشأنه و كرامته، حتى أن الجهل بالجغرافية و التاريخ عُدّ سيما العلماء و شعارهم، و كانت العلوم القديمة هى كذلك عرضة للتناقض عامة، فالذين كانوا فقهاء و محدثين لم يكونوا أدباء، و الذين كانوا أدباء لم يكونوا من العلوم الدينية فى شىء، و المدرس لم يكن أهلا للتأليف و التصنيف كما كان المصنف الخطيب أجنبيا للتدريس، و كانت ندوة العلماء – على العكس من ذلك – قامت على مبدأ "الجامعية" و الشمول، كما أن التأثير على الحياة و توجيه القوم و البلاد دينيا اقتضى الوقوف على الميول و الاتجاهات العلمية و الأدبية للبلاد و مجاراة الحياة العملية و مسايرتها، و قد تمتعت ندوة العلماء فى المشرفين على إدارتها و أمانتها العامة أنفسهم بالعلماء و الأدباء أمثال العلامة شبلى النعمانى مؤلف "*شعر العجم*" و "*المقارنة بين أنيس و دبير*" و أحد أساطين اللغة الأردية و منشئيها المترسلين و صاحب أسلوب أدبى فيها، و العلامة سيد عبدالحى الحسنى صاحب "*تذكره" گل رعنا*" و الأمير الفاضل الشيخ حبيب الرحمن الشروانى تذكار سهولة و ارتجال

"*غالب*"، و كان أبرز و أنجح أبناء هذه الدار العلامة سيد سليمان الندوى الذى حافظ على هذه "الجامعية القديمة" للعلماء بارزة نابضة بالحياة إلى اكثر من نصف قرن، و لم يحظ بشرف المثول فى الأوساط الدينية و العلمية و الأدبية معا فحسب بل تصدر فيها الموكب و احتل الصدارة، و إن حياته الشاملة و المسئوليات المختلفة التى استلمها فى أحيان مختلفة لهى دليل ساطع على شموله و اتزانه، فهو يبرز أمامنا فى وقت من الأوقات أستاذ الأدب فى دارالعلوم ندوة العلماء و رئيس التحرير المساعد لمجلة "*الندوة*" ثم يطلع فى أفق الصحافة فيساهم فى إدارة صحيفة "*الهلال*" الموقرة و يكتب مقالته الشهيرة الخالدة "*مشهد أكبر*" التى أثارت فى البلاد بطولها روحا من العاطفة و الحمية و الحماس، و فى أثناء ذلك عندما أرادت "*جمعية الخلافة*" أن ترسل وفدها فى رئاسة محمدعلى جوهر إلى انجلترا إنما وقع اختياره لعضوية هذا الوفد و تمثيل مسلمى الهند دينيا على هذا الشاب الباسل، ثم لم نلبث أن صادفناه مساعدا و رفيقا لأستاذه و مربيه العلامة شبلى النعمانى، و مديرا "*لمجمع دارالمصنفين*" و موجها و مرشدا له بعد ما توفى العلامة شبلى، و رئيس التحرير لمجلة "*معارف*" المؤقرة الشهيرة و المشرف على الشئون التعليمية لدارالعلوم ندوة العلماء. و ها هى "جمعية *الخلافة*" تنظم وفدا لحضور المؤتمر الاسلامى و للتعبير عن آراء و اتجاهات مسلمى الهند على دعوة من جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود فلا تجد أحدا سواه أجدر و اليق بقيادة هذا الوفد، يقدر على التعبير عما يجول فى خاطره بالعربية أمام هذه النخبة المختارة الممثلة للعالم الاسلامى كله، و يترك أثرا باهرا لعظمة و مكانة مسلمى الهند الدينية و العلمية، ويبسط عليها نفوذهم، أزمع نادر خان ملك أفغانستان على إعداد خطة و منهج دراسى لبلاده يعنى فى ناحية بالمقتضيات الدينية و الشعبية، و فى ناحية أخرى يلبى متطلبات العصر الراهن و أصول الدين، فلم يقع اختياره لتحقيق هذا العمل الخطير الشاق إلاّ على ثلاث شخصيات فى الهند الدكتور محمد اقبال و العلامة مسعود عالم و العلامة سيد سليمان الندوى، و بجانب ذلك كله نجده فى أثناء هذه المدة بطولها يحضر حفلات "المؤتمر الوطنى" الخاصة و يرأس الحفلات السنوية للخلافة و جمعية العلماء، فهو شامة بين الرجال، مرهوب الجانب، يقام لرأيه الوزن و يضع الناس فيه ثقتهم و ينال منهم تقديرهم و إعجابهم أينما حل و سار، و علاوة على ذلك فان المؤتمر التعليمى الاسلامى و الجامعة الملية الإسلامية، و مجمع اللغة الأردية و المجمع الهندى يزخر بمقالاته الهامة و خطبه العلمية القيمة، ثم إن هذه المسئوليات و النشاطات و الأسفار لم تكن تحول دون تركيزه على العلم و البحث و التأليف و يجرى فى المدة نفسها نشر مؤلفاته العلمية القيمة التى لا يمكن أن نقدر بقراءتها أن مؤلفها يساير الحياة السياسية للبلاد و يدرك عواطف البلاد و مقتضياتها الجذرية الثورية و يخوض مضمارها و يصطلى بنارها، ثم

إنه لم يقتنع بإنجازاته العلمية و انتصاراته الأدبية و حياته التأليفية الخالصة و الدراسات الموضوعية العلمية و لم يقصر عليها همته، بل جمع إلى ثقافته و علمه عمارة الباطن بالايمان و الإحسان و حظى بالقلب المتألم بجانب اللسان العاقل و الذهن الوقاد و الفكر الوهاج، و تطلع إلى إكمال هذا الجانب الهام بانتسابه و انزوائه إلى العالم الربانى الشيخ أشرف على التهانوى الذى أقر الزمان بفضله و تقديره، حتى حاز ثقته و شهادته بالاخلاص و النبوغ فى أقرب فرصة، ثم نلتقى بهذا الأديب المؤرخ فى نهاية حياته و هو يفصل الخصومات الشرعية على منصة القضاء لبهوبال، و يصدر توجيهات دينية فى تدوين دستور دولي لدولة إسلامية كبيرة من دول العالم، إن هذه الاشغال و النشاطات المنوعة لتشكل دليلا ناصعا على جامعية طبعه و شموله، و سعة علمه و ثقافته و تنوعها و علو كعبه.

و إن إلقاء نظرة عابرة على تأليفاته ليكشف مدى تنوع ذوقه و دراسته و شغفه العلمى، حيث نجد فى تأليفاته فى ناحية "*سيرة النبى*" فى أربعة مجلدات ضخمة التى لا يوجد لها نظير فى أى لغة من لغات المسلمين فى العالم، و كتابه "*خطبات مدراس*" (الرسالة المحمدية) و هو عصارة لمكتبة كاملة فى السيرة النبوية و من أقوى الكتب فى السيرة و أروعها فى جمال التعبير، و بث حلاوة الايمان، و توثيق الصلة بذات النبى صلى الله عليه وسلم، و فى ناحية أخرى كتبه "*عرب و هند كے تعلقات*" (الصلات بين الهند و العرب) و "*عربوں کی جهاز رانى*" (الملاحة عند العرب) و سيرة "*خيام*" فهى خير نماذج للكتابة فى التاريخ و البحث العلمى الجاد، و تشكل ثروة غنية فى المواد العلمية.

و كتابه "*أرض القرآن*" الذى يبحث فى جغرافية و تاريخ الأقطار و البلاد التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم و الذى هو من باكورة تأليفاته، لا يزال كتابا فريدا لم ينسج على منواله فى موضوعه، و هو ثروة غنية فى المواد العلمية، ثم إن هذه الناحية للجامعية و الشمول تتجلى فى جميع تصانيفه تقريبا، فلا يفوته أبدا ربط العلم بالأدب، و مهما كان الموضوع خشيبا جافا و مهما كان علميا و موضوعيا جادا يفيض عليه قلمه السيال ماء الروعة و البهاء و يجعله ذوقه الأدبى السليم الذى ورثه عن أستاذه و مربيه العلامة شبلى النعمانى سهلا رائعا يعلوه الرونق و الطلاوة و الرواء، و لا يبقى الكتاب بفضل هذا العنصر الأدبى كلاً على القارىء.

سواء قرأت بحث المعجزات فى "*سيرة النبى*" أو الدراسات التاريخية و الجغرافية فى "*أرض القرآن*" سينال ذوقك الأدبى فى كل منها حظه موفورا غير منقوص و يدفعك إلى قراءتها و التذوق بها دفعا، و لا شك أن كتابة سيد الندوى خالية من عفوية العلامة شبلى و ارتجاله و انسجام التراكيب الفارسية، و لكنه تتوفر فيها الحلاوة و الطلاوة و السهولة و المحاسن الأدبية

بكاملها، حتى أن تاليفاته العلمية الجادة يمكن أن تعد بعض أجزائها خير نماذج أدبية رائعة، و إن بعض قطع *"الرسالة المحمدية"* و بعض صفحات *"سيرة النبى"* و كثيرا من افتتاحيات مجلته *"معارف"* لهى حقا نماذج أدبية قشيبة يفتخر عليها أدبنا العالى و يعتزبها، و بعض نقوش من *"نقوش سليمانى"* يستحق عن جدارة أدبيا أن تحتفظ بها كتمائم و تعاويذ.

و الواقع أننى بحكم سياحتى فى الهند و خارجها و معرفتى بالدول الإسلامية عن كثب لم أجد أحدا أجمع لأوصاف و خصائص شتى من الأمير الفاضل الشيخ حبيب الرحمن خان الشروانى و لا أملك لأذواق مختلفة و أجمع لفنون منوعة من أستاذنا العلامة سيد سليمان الندوى.

و كان - بالاضافة إلى تذوقه بالأردية - يتمتع فى الأدب العربى و أدابه بأسلوب خاص، تتوفر فيه صلابة الأدب القديم و صحته و سلاسة الأسلوب الحديث و سهولته معا، و إن تقديمه على الكتاب *"امعان"* لمؤلفه العلامة حميدالدين الفراهى و افتتاحياته للمجلة العربية "الضياء" لتدلان على أنه لو اشتغل بالمواظبة بالانشاء و الكتابة العربية لكان أحرز فيها البراعة و النبوغ.

يعرف العلامة سيد الندوى عادة فى الأوساط العلمية و لاسيما فى القديمة منها كمؤرخ و أديب، و لكنى أعتقد - بحكم مجالساتى العلمية له و استفادتى الشخصية - أن موضوع اختصاصه الذى يتجلى فيه ذوقه الطبعى هو القرآن الكريم و علم الكلام، لم أجد شخصيا فى طبقة العلماء المعاصرين أوسع منه و أعمق فى تفهم العلوم القرآنية و دراساتها، فقد كانت معرفته بعلم الكلام و العقائد الدينية عميقة و واسعة للغاية، و كان يتمتع بالفضل و النبوغ فى عرض علم الكلام طبقا لروح العصر الحديث و عقليته و فى ضوء الكتاب و السنة و أصول السلف الصالحين، و لعل ذلك كان ثمرةً لمجالسته الطويلة مع العلامة حميدالدين الفراهى و دراسته لكتب شيخ الاسلام ابن تيمية رح و تفكيره الطويل العميق بصدد تاليف سيرة النبى صلى الله عليه و سلم.

و يجدر بالذكر أن سيد الندوى فد فاق كثيرا أستاذه و مربيه العلامة شبلى النعمانى فى الدراسة و البحث و سعة المطالعة، و لا عجب فى ذلك نظرا إلى توفر الكتب الحديثة و التفكير المتواصل و الجهد و الدراسة المضنية.

البراعة و النبوغ فى موضوع شىء، و ذوقه التأليفى و الشغف به و الانهماك فيه شىء آخر، و شتان ما بينهما، و كثيرا ما رأيت فى حياتى العلمية القصيرة أن كثيرا من الناس يظهر علمهم و ذوقهم فى أوقات خاصة و بيئة خاصة، و فى بقية الأوقات يعودون لا يظهر فيهم أى عناية علمية و لا أى شوق و شغف و جهد و بحث و لا أى ذوق كتابى، و السر فى ذلك أنهم يعدمون روح طلب العلم، و إنما أستثنى فى ذلك شخصيتين: الشيخ أنور شاه الكشميرى و العلامة سيد سليمان الندوى، أما أول الذكر فجربته قليلا

و لم يتفق لى حضور مجالسه إلا مرة أو مرتين، غير أني وجدت مجالسه عامرة بالأحاديث العلمية و الدراسات و التوجيهات القيمة، لكن شاهدت آخر الذكر كثيرا و جربته مرارا و تكرارا، و رافقتــه فى السفر و الحضــر طويـــلا و مرة غير أخرى، فكان ذوقه العلمى على قدم و ساق أينما حل و سار، و تظل حلقات دراسته و مطالعته و بحثه و تفكيــره و تبادل و جهاتــه مــع العلمـــاء و الباحثين متلاحقة متواصلة فى كل حين و آن، و كان مجبولا على طلب العلـم و مفطورا عليه، رضع بلبان البحث و الطلب، فكانت الدراسة روحـه و غـذاءه و واجب حياته، و لم يكن المرض يحول دون مواصلة ذهنه للعمـــل و التفكيــر، و لا النقاهــة و الضعف يعرقل مسيرة بحثه و دراسته، و إن كان هذا العمل يبدو حقيرا غير هام، و لكنه سيحتل مكانة ذكرى قيمة فى يــوم مــن الأيـام، و ذلك نظرا إلى فساد الذوق و ضعف العلاقة العلمية الذى يتصاعد يوما فيوما فى الأوساط القديمة منها و الحديثة على السواء.

و كان العلامة سيد سليمان الندوى يمتــاز مـــن بين أقرانه بهمـة عالية و ولع شديد بتحقيق منجزات علمية، و كان يقبل على إكمال كتاب يبدأ تأليفه كأنه أحب و آخر عمل يقوم به فى حياته، فكان يركز عليه جل عنايته، و يبذل فيه قصارى جهوده، و يطالع مئات بل و آلافا من الصفحات لأجله، و يجمع المعلومات، و يحضر المواد، ثم يستخدمها و ينتفع بها فى إخراج هــذا الكتاب أو البحث، و ما كاد ينتهى من عمل حتى يبدأ بعمل آخر، بدلا من أن يأخذ قسطا من الراحة و الاستجمام، و يروح نفسه من التعب و العناء، الذى لاقاه فى البحث و التحقيق، و كان يشتغل بـه بنفس النشاط و الرغبة، و قد أثر ذلك فى صحته، فتعرض لأمراض مضنية و ضعــف و إعياء شديـــد، و هــو لا يفتــر و لا يستريح، و يبقى مشغول الخاطر بالموضوع الذى يبحث فيه أو يستعد له، شأن من استأسره العلم و ملك عليه مشاعره و تفكيره و ملأ منه كل فراغ، و قد ذكر لى مرارا أن والدك (العلامة سيد عبدالحى الحسنى، الأمين العام الأسبق لندوة العلماء) قال لى قد شيبتنى الدراسة و التأليف قبل أن أشيب، و دب فىّ دبيب الضعف و الهرم قبل أوانه، فخذ أهبتك و أحذر كل الحذر، و كان سيد الندوى يقول لى: لم أستطع العمل بهذه الوصية المخلصة، فها أنا أفوضها إليك، و الواقع أن الطبع العلمى الذى فطر عليه لم يمكن له معه أن يقلل انهماكه العلمى، فلم يزل يواصل سيره العلمى و التأليفى حتى شكل وحده ثروة علمية هائلة تكفى لإعداد جماعة من المصنفين بكاملها، و بالنظر إلى هذه الثروة العلمية الهائلة يمكن أن يصدر الحكم بأن شخصا واحدا فى بعض الظروف ينجز من أعمال علمية هائلة لا تستطيع الأكاديميات الكبيرة إنجازها مع توفر جميع التسهيلات و الوسائل اللازمة، و إن *سيرة النبى* – و ليست كتاب سيرة فقط و إنما هى موسوعة العقائد الاسلامية و الخلق الإسلامي – وحدها خير نموذج لصلاحية إنجازه و قوة عمله، و "*حياة شبلى*" فى بادىء النظر سيرة شخصية

لعالم شهير من العلماء و لكنها فى الواقع تعالج تاريخ نهضة المسلمين الدينية و العلمية و الثقافية و الفكرية لقرن بكامله، بحيث لا يمكن بدونه فهم العصر الحديث و الطبيعة القوميــة، و قــد تضمنت كــوائف و نشــاطات الحــركات و المؤسسات المعاصرة، و قد جمع سيد الندوى فى هذا الكتاب وحده عصارة آلاف من الصفحات و مواد عشرينات من الكتب

و هنا يجدر بالذكر أن سيــد الندوى إنمــا خلق مفطــورا على الدراســة و التأليف و الإنجازات العقلية و البنائية و الأعمال الهادفة الإيجابية و كان العلم امتزج بلحمه و دمه و جرى منه مجرى الروح و الدم، لم يكن الخوض فى الحياة الميدانية التى تعلو فيها الهتافــات و الحركــات السياسيــة من طبعــه و ذوقه، فلا يتقدم إلى ذلك إلا متكلفا أو مضطرا، و قد أحسن إلى نفسه و إلى الأمة الإسلامية و أنعم عليهما إذ ركز عنايته و استقطب قصارى جهده و جل وقته فى الأعمال التأليفية و الهادفة البناءة، و كلما تجاوز هذا الحد و تقدم إلى غير هذا الإطار تحت ضغط الظروف القاسرة و بدافع من طبعه الشامل، شعر بالغربة و البعد و أدرك أن ليس ذلك مجاله، و من الواقع أيضا أن لم تكن الخطابة فى المجامع العامة من دأبه و شيمته، و إنما كان طبعه و ذوقه الأصيل هو التفكير و التدبر و البحث و التحقيق و الدراسة و التأليف، و قد أحرز فى ذلك قدم السبق و نال نجاحه المرجو الموفور.

و كان مما ميزه الله به، سعة النظر و اتزان الفكر، و كان فى ذلك نصيب للبيئة التى تلقى فيها تربيته العلمية و الفكرية، و فضل لتوجيــه الأســاتذة و المربين الذين استفاد منهم، فلم يكن فيه تزمت فكرى، أو عصبية مذهبيــة، أو جمود علمى شأن كثير من العلماء فى عصره و قبل عصره، و كان بريئا من ضحالة العلم، و تسرع فى الحكم، و انبهار بالحضارة الأوربية، كالطبقة المثقفة الجديدة، بل كان واسع النظر، رحب الصدر محبّاً للوسطية و الاعتدال فى كل شىء من آرائه العلمية إلى مذهبه الفقهى، و لو لم يكن كذلك لواجــه حرجــا و عنتا شديدا فى كثير من المناسبات، و فى صحبة الزعيم الهندى الكبير مولانا محمدعلى فى وفد الخلافة إلى انجلترا، و فى حضوره للمؤتمر الإسلامى فى مكة المكرمة و سفره إلى افغانستان، و صلاته بالجامعة الإسلامية فى عليجره و الجامعة الملية الإسلامية فى دلهى، و المجامع الأدبية و اللغوية العلمية فى أنحاء الهند التى كان فيها موضع احترام و إجلال و تقدير. و بفضل سعة النظر و القلب هذه استطاع أن يتملذ على العالم الربانى و المصلح الكبير الشيخ أشرف على التهانوى رغم كونه أجل و أشهر جماعة علمية و مؤسسة شهيرة و رغم اعتقاده لآراء إصلاحيــة و تعليميــة خاصــة، و لم يتلكأ فــى ذلك و لم يتردد، فلا شك أن نظائر سعة النظــر هــذه تندر فــى طبقــة العلمــاء و الباحثين فى العالم.

و الشىء الأخير الذى تجلى فى حياته بطولها هو سماحته و كرم طبعــه

و مروءته، و كان دمث الاخلاق، لين الجانب، عديم الازعاج متسامحا فى شئونه الشخصية، يتحمل ما يرهقه و يشق عليه، و يسهل له كثيرا أن يصبح معذّبا مظلوما بدل أن يكون ظالما، و قد بلغ فى ذلك مبلغا يعتبرونه ضعفا و هوانا، و قد تعرض لمصائب و مشكلات كبيرة، و اضطرّ إلى إصدار أحكام كثيرة كرها، و ذلك لكونه فى مجتمع لم يتعود على تقدير هذه الخصائل الحميدة و الصفات الكريمة، و أعتقد أنه لم يكن فى حياته الطويلة و علاقاته الواسعة الأرجاء أحد يقول عنه، إن سيد الندوى قد أزعجنى او انتقم منى لنفسه، قد طلب منه شاب ذات مرة بمحضر منى فى امين آباد أن يكتب له شعرا كتذكار له، فكتب له سيد الندوى البيت الفارسى المعروف لخواجه حافظ ، ما معناه:

[إن راحة العالمين عبارة عن كلمتين فقط : التلطف مع الأصدقاء و التسامح مع الأعداء.]

أعتقد أن هذا الاختيار لم يقع منه صدفة و لم يأت منه عفوا، و إنما كان ذلك مبدأ حياته الذى تمسك به طول حياته

هذه بعض ارتسامات و انطباعات سجلتها لكم، و أما تأليف سيرته و ترجمة حياته و إبراز مزايا حياته المنوعة و تجلية خفاياها، فقد تتوفر لذلك مجامع و مؤسسات ضخمة و كتاب كبار، و لا سيما خلفه و الرئيس الحالى لنادى شبلى أخى المحترم مولانا الشاه معين الدين أحمد الندوى مدير دار المصنفين (اعظم جره) الذى يؤلف كتابا يتفرد بسيرته و ترجمة حياته و يعالج حياته بمزاياها و خصائصها كلها (٧) و إنما أردت هنا أن أعبر عن بعض ما يموج فى خاطرى من مشاعر و انطباعات، و ملاحظات و ارتسامات، و ما يخامره من أحداث و تجارب، فسواء أدى ذلك إلى ابتهاج الآخرين و زيادة معلوماتهم و تجاربهم أم لم يؤد، و لكنه سلوان لا محالة لقلبى المتألم الحزين، و طمأنينة لقلبى العارف بالجميل، فقديما قال الشاعر الأردى:

"لم أختر لعُشّى إلاّ القتاد الذى يغمز القلب"

تعريب : آفتاب عالم الندوى

الهوامش :

١ - هنا تذكرت ملحة نحن بعض الاساتذة، و خاصة الاستاذ مسعود عالم الندوى و الشيخ محمد العربى المراكشى قمنا بتجربة جديدة فى دارالعلوم لتدريس اللغة العربية، يتم بها تمرين الصرف و النحو بدون إرهاق الطلبة بالقواعد و المصطلحات، زار سيد الندوى ذات مرة الصف الاول حيث كان الأستاذ مسعود عالم الندوى يدرس طلبة ذلك الصف، و سال سيد الندوى الطلبة عن تعليل كلمة، و هم لم يسمعوا هذه الكلمة بعد، فعجزوا عن

الإجابة إطلاقا، فنظر سيد الندوى إلى مسعود عالم الندوى، و لكنه قال: هذه العصة لمولوى علي، فأرسل إليّ، و سألنى هلاّ درّستهم التعليل، فقلت إن تدريس التعليل سهل جدا، و لكنهم يوجهون إليّ سؤالاً لا أجد له جوابا، فقال و ما هو؟ قلت عندما أقول لهم إن "قال" كان أصله "قول" الواو و ماقبله مفتوح فقلبت الواو ألفا، و بذلك صار "قالَ" ، عندما أقول لهم ذلك فانهم يسألوننى: متى كان ذلك، و متى كان العرب يتكلمون "قول" بدل "قال"، فلا أجد لذلك جوابا، فضحك سيد الندوى، و انتهى الأمر

٢ ـ استمرت هذه السلسلة بداية من يناير سنة ١٩٣٩م إلى يونيو سنة ١٩٣٩م، و تمّ نشره فيما بعد بعنوان " دهلى اور اس كے اطراف انيسوين صدى ميں " (دلهى و ما جاورها فى القرن التاسع عشر الميلادى) من مكتبة "أنجمن ترقى اردو جامع مسجد دلهى" و "مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ"

٣ ـ كان أعلن من جامعة على جره الإسلامية أنها تطلب لطلبة البكالوريوس فى الأدب كتابا يبحث فى العقائد و اصول الدين و السيرة الطيبة و المسائل الضرورية الأخرى، و كان كاتب هذه السطور قد رشح لذلك كتابا نال إعجابهـا و ظفـر بالجاشـرة، و اشـارة العلامة الندوى إلى هذا النجاح

٤ ـ أراد بذلك عودتى من الحجاز، فقد مكثت بها من يونيو سنة ١٩٤٧م، إلى يناير سنة ١٩٤٨م

٥ ـ المكان المنقط فيه أسماء الفضلاء الندويين الذين شغلوا منصب العمادة واحداً تلو الآخر

٦ ـ كان ختن سيد الندوى سيدحسين آنذاك يشغل منصب حاكم المديرية المساعد فى أناؤ

٧ ـ و جدير بالذكر أن الكتاب تم نشره بعنوان "حياة سليمانى"

الحلقة الخامسة و الأخيرة:

خلفاء الشيخ الشاه غلام علي المجدّى

بقلم: المفتى نسيم أحمد الفريدى

ذات مرة سأل الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادى العارف و المحدث الشهير، خليفته الشيخ محمد على المونغيرى "هل رأيت دُكّاناً تباع فيه المحبة"؟ فسكت الأخير فقال "نحن قد رأينا دكانين كان يُباع فيهما العشق، أحدهما للشيخ شاه غلام علي، و الثانى للشيخ شاه محمدأفاق (١).

إن الشيخ شاه غلام على الدهلوى (المتوفى سنة ١٢٤٠هـ) قد تولى أمور "*الزاوية المظهرية*" بعد وفاة مرشده الميرزا مظهر جانجانان الشهيد و أبقاها عامرة تدوى فيها ترنيمات العشق و المعرفة، و زادها رونقاً و بهاءً بتجليات الإيمان و اليقين و الاعتماد و التوكل، و ألهب قلوب السالكين بعواطف حب الله و رسوله صلى الله عليه وسلم و طاعتهما، و زود مسترشديه بتأثيرات الكيفيات الباطنية. لقد ظلت جدران الزاوية مشرقة بأنوار الرشد و الهداية على مدى نصف قرن تقريبا، و كان من فضل حسن إدارته أن إشعاعات هذه الزاوية تعدت الهند إلى آفاق العالم و أنحائه بعد وفاته، حيث أن خلفاءه أنشأوا فى الهند و خارجها مراكز دينية و روحية انتهل من ينابيع بركاتها جمع غفير. يقول الشيخ نصر الله خان الخورجوى فى كتابه "*تاريخ الدكن*":

> "*إن فيضه (أى فيض الشيخ شاه غلام على) قد عمّ أرجاء العالم من الهند إلى السند، و من العجم إلى العرب، و من بُخارى إلى الروم، و ما من إقليم من الأقاليم السبعة إلا و أحد مسترشديه موجود هناك (٢)*"

و يقول الأستاذ السيد عبدالحى الحسنى فى الجزء السابع من *نزهة الخواطر*:

> "*لما توفى شيخه المذكور تولى الشياخة مكانه فحصل له القبول العظيم و تكاثر عليه العلماء و المشائخ و عامة الناس من كل صنف و طبقة من العرب و العجم*"

لقد كان فـي هذه الزاويـــة اهتمام كبير بتربيـة الطالبين الـروحيـــة و الخلقية، و كان الشيخ غلام علي يلقى - بجانب تعليم الأوراد و الأذكار - دروس الحديث و التفسير و الفقه و التصوف، كما كان يقدم لمسترشديه نموذجا عمليا كاملا للعقائد و العبادات و المعاملات و السلوكيات و قد كان له خلفاء كثيرون، بالإضافة إلى عدد لا يحصى ممن بايع على يديه ، و يوجد ذكر خلفائه المجازين فى " *الجواهر العلوية*" و "*المناقب الأحمديـة*" و "*المقامـات السعيديـة*" و "*ضميمة المقامات المظهرية*." (٣)

و يبدو أن هذه الكتب لم تُحصِ خلفاءه كل الإحصاء، و لابد أن يكون هناك خلفاء آخرون لم يعثر عليهم المؤرخون. إن كاتب هذه السطور سبق أن نقل إلى اللغة الأردية أقوال الشيخ شاه غلام علي و رسائله، و الآن رأيت من المناسب أن أتناول خلفاءه بالذكر، فكتبت هذا المقال مقتبسا من كتاب "*ضميمة المقامات المظهرية*" للشيخ شاه عبدالغنى المحدث، إلاّ أننى إذا عثرت على شيء جديد فى كتاب آخر، أشرت إلى مرجعه فى موضعه. و فى ختام المقال أضفت ترجمة حياة المقرىء إمام الدين النخشبى و الشيخ الحافظ عبدالحى من مشائخ مدينة " أمروها " نقلا عن الكتب التى وضعت حول تاريخ " أمروها " و عن كتاب "*أنوار العارفين*" و "*نزهة الخواطر*"، كما أضفت سيرة الشيخ أخوند جان محمد هزاروى نقلا عن كتاب "*الدر الفريد*" لمؤلفه المولوى فريد أحمد الغـازيبـورى و لو تتبعنا مكتبات الهند و خارجها و تصفحنا أوراق الكتب التى ألفت حول سيرة منتسبى السلسلة المجددية أو كتب التاريخ للمدن المختلفة فقد يمكن العثور على خلفاء آخرين

إننى لم أستطع القيام بهذا العمل الهام على الوجه الأحسن لضعف البصر، و لكن ماتم إنجازه فهو جدّ مغنم، و أشكر اللّه تعالى أنه وفقنى لإنجاز هذا العمل. متعنى اللّه و سائر المسلمين بالمداومة على ذكره و اتباع رسوله - صلى اللّه عليه وسلم و حب أوليائه و إليكم الآن نبذة من تراجم خلفاء الشيخ شاه غلام على المجددى.

(ا) زكى القدر شاه أبو سعيد المجددى الرامبورى ثم المدنى:

يتصل نسبه بمجدد الألف الثانى (الشيخ أحمد السرهندى) على النحو التالى:

شاه أبو سعيد بن صفى القدر بن عزيز القدر (٤) بن محمد عيسى بن سيف الدين بن الخواجا محمد معصوم بن مجدد الألف الثانى رحمهم اللّه.

ولد فى الثانى من ذى القعدة سنة ١١٩٦هـ (٩ /اكتوبر ١٧٨٢م) بمدينة مصطفى أباد المعروفة بـ "رامبور"، و كانت علائم النجابة و السعادة تظهر فيه منذ نعومة أظفاره. حفظ القرآن الكريم و هو ابن ١٠ سنوات، ثم تلقى علم

التجويد على المقرىء نسيم الرامبورى (٥) إلى أن عرف بإجادة ترتيله للقرآن الكريم، فكلما سمعه أحد يتلو القرآن ذهل عمن سواه و أولع به. و لطالما كان يقول: "إنني لم أكن أقيم وزنا لإثناء العجم على إجادتي للترتيل، إلى أن سمعني بعض العرب في الحرم الشريف و أثنوا عليّ"

و بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم تضلع من العلوم العقلية و النقلية و قرأ معظم المقررات الدراسية على المفتي شرف الدين الرامبورى (٦) و بعضها على الشاه رفيع الدين المحدث بن الإمام ولى الله الدهلوى و كان يقول إننى قرأت "شرح *سلم العلوم*" للقاضى مبارك على الشاه رفيع الدين الدهلوى و حصلت منه على الإجازة فى *صحيح الإمام مسلم*. و أخذ الإجازة فى الحديث عن مرشده الشيخ شاه غلام على الدهلوى و خاله الشيخ سراج أحمد الرامبورى و عن الشيخ شاه عبدالعزيز الدهلوى

غلبه الشوق إلى الله خلال فترة الدراسة نفسها، فأقام علاقة "الإرادة" مع والده الكريم أولاً، و كان والده (شاه صفى القدر) متمسكا بطريقة آبائه يغلبه الزهد فى الدنيا و الانقطاع عن الخلق، و قد كان الأمير نصرالله خان طلب منه أن يتولى منصب تقسيم الرواتب للجيش فرفضه كان يظل منصرفا إلى الأوراد و الوظائف راغبا عن أهل الفسق و الفجور، و كان يعنى بعلم الحديث أيضا. توفى شاه صفى القدر فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٣٦هـ (٢٨ مايو ١٨٢١م) بمدينة "لكناؤ"، و قام بتجهيزه و تكفينه السيد أحمد الشهيد الرائبريلوى و الشيخ شاه محمد اسمعيل الشهيد و غيرهما من المشائخ و الأقرباء. و تاريخ وفاته هو *فاز رضوان المودود* (٧)

و حيث أن لواعج الشوق كانت مشتعلة فدخل - بعد مصاحبة أبيه و على إذن منه - على الشيخ شاه درجاهى (٨) الذى ينتمى إلى الخواجا محمد زبير المجددى بواسطتين، و الذى عنى به غاية العناية و منحه الإجازة و الخلافة خلال عدة أيام. غير أن شاه أبا سعيد كان قد نشأ فيه اضطراب و حرارة زائدين و كانت حلقته تظهر فيها حالات الإغماء و الوجد بكثرة و تتعالى فيها الصيحات و الصرخات، و بما أن هذه الأمور لا تتفق مع النسبة المجددية فاتصل بالشيخ الميرزا مظهر جانجانان بعد أن سمع أحوال مسترشديه، و كان قد رأى الشيخ شاه غلام على فى "رامبور" حين قدم إليها متضجرا من حاكم دهلى. و بالجملة فإن الشاه أبا سعيد توجه إلى دهلى التى كانت و قتذاك عامرة بأصحاب العلم و التقوى، و كان الأنجال الثلاثة للإمام ولى الله الدهلوى على قيد الحياة بالإضافة إلى القاضى ثناء الله البانى بتى، فكتب رسالة إلى القاضى ثناءالله يبدى فيها رغبته فى الاستفادة الروحية، و لكن القاضى أشار عليه بالرجوع إلى الشاه غلام على مؤكدا أنه أفضل و أنفع، فدخل على الشاه غلام على و نال لديه قبولا واسعا.

كان الشيخ شاه درجاهي حيا آنذاك، و كان الشاه أبو سعيد طالما يقول:

كنت أخاف على نفسي من قبل المرشد السابق لولا أن كان مرشدي مثل الشاه غلام علي الذي أيدني بحيث لم تصبني أي أذى روحية. لقد كتب مجدد الألف الثاني في إحدى رسائله أن الطالب إذا رأى الخير في مرشد آخر فليحضره بدون إنكار المرشد الأول. و انطلاقا من ذلك فإن الشاه أبا سعيد كان يحب مرشده الأول حبا جمًا، و مما يدل على ذلك أن رجلا عندما اغتاب الشاه درجاهي أمامه في مجلس الشيخ الشاه غلام علي زاعما أنه ربما حضر هنا بعد إنكار المرشد الأول، غضب عليه غضبا شديدا، كما غضب عليه الشاه غلام علي أيضاً و قال له "أنت تغتاب مشائخ سلسلتي." و كان الشاه أبو سعيد يقول: إن المرشد السابق ظل ساخطا عليّ بعض الشيء في البداية، و لكن عندما مثلت بين يديه في "رامبور" لآخر مرة زال سخطه فالحمدلله على ذلك.

ألف الشاه أبو سعيد كتابا في التصوف على طلب من بعض أصدقائه و جاء به إلى الشاه غلام علي فأثنى عليه بما هو مطبوع في آخر الكتاب. و قد كتب الشاه عبدالغني – نجل الشاه أبي سعيد – أن ذلك الكتاب (٩) يعتبر منهج العمل للطريقة المظهرية المجددية في هذه الأيام، و أن منسوبي هذه الطريقة في كل بلد يلازمونه بالضرورة، و قد نقله بعض المشائخ في مكة المكرمة إلى اللغة العربية، و هذه الترجمة العربية هي المتداولة في بلاد العرب، و الأغلب أن الكتاب قد تُرجم إلى اللغة التركية أيضاً في بلاد الروم."

و قد ذكر نجله الشاه عبدالغني المجددي كرامات كثيرة له في "ضميمة *المقامات المظهرية*"، و نورد فيما يلي ثلاث كرامات منها.

(١) روى الأخ محمد أصغر أنه كانت تفوته صلاة التهجد أحيانا، فشكى ذلك إليه (إلى الشاه أبي سعيد) فقال له: "قل لخادمي أن يذكّرني ذلك وقت التهجد، و عليّ الآن أن أنهضك من الفراش." كان محمد أصغر يقول: كنت فيما بعد ذلك أشعر و كأن أحدا ينهضني من الفراش آخذاً بيديّ.

(٢) عندما وصل – و هو في طريقه إلى الحجاز – إلى بلدة "سورت" كان هناك مسجد، و كان يشهد هذا المسجد رجل ثري ينسب نفسه إلى جماعة الفقراء، و لما سمع هذا الرجل الذي كان اسمه يوسف علي خان نبأ قدومه (قدوم الشاه أبي سعيد) ترك حضور المسجد، و مضت مدة على هذه الحال، ثم دخل عليه ذات يوم مطيعا متواضعا و قدم إليه مئة روبية كهدية، و ذهب به هو و كاتب هذه السطور (الشاه عبدالغني) إلى قصره و أمر زوجه بمبايعته، فكان الناس يتعجبون من أن هذا الرجل الذي كان قد ترك حضور المسجد بعد قدومه، كيف رضي بتقديم الهدية إليه و الانضمام إلى محبيه و مريديه.

(٣) يقول الشاه عبدالغني الذي كان يرافق والده الكريم في رحلة الحج: عندما وصلنا "بومبائي" استأجرنا باخرة، و قد شاركنا في الباخرة رجال آخرون مغتنمين فرصة مصاحبة حضرة الوالد. و لكن حضرة الوالد قال "إن ركوب هذه الباخرة لا يبدو مناسبا" و استردّ الأجرة. و قد حدث إخلاف الوعد

مع الملاح عدة مرات. ثم ركبنا باخرة أخرى، و كان من قدر اللّه أن الباخرة الأولى وصلت بعد انقضاء أيّام الحج و اضطر ركابها للتريث فى الحجاز سنة كاملة، بينما الباخرة الثانية أدركت الحج.

عندما أصيب الشيخ الشاه غلام على بمرض الوفاة كان الشاه أبو سعيد فى مدينة "لكناؤ"، فبعث إليه الشاه غلام على رسائل عديدة يستقدمه إلى دهلى ليحله محله، و هكذا فإن الشاه أبا سعيد قدم من لكناؤ امتثالا لأمر شيخــه و خلفه طوال ٩ أعوام يهدى الطالبين و المسترشدين، و كابد خلال هذه المدة الشيء الكثير من العسر و المرارة و الفقر و الفاقة كما هو دأب شيوخ الطريقة و فى عام ١٢٤٩هـ توجه إلى الحرمين الشريفين و أناب نجله الشاه أحمد سعيد منابه، و قد تألم أهالى دهلى كثيرا لمفارقته، و كان سكان كل مدينة يسارعون إلى لقائه فى الطريق. دخل مدينة بومبائى فى شهر رمضان المبارك حيث ختم القرآن الكريم فى التراويح، و ركب الباخرة فى شوال، و وصل إلى "جدة" فى أوائل ذى الحجة، حيث جاء لاستقباله الشيخ محمد جان الذى كان بمثابة شيخ الحرم فى عصره، و دخل مكة المكرمة فى الثانى أو الثالث من ذى الحجة، فاستقبله رجال العلم و الحكم و القضاء و الافتـاء فـى الحرمـين بأدب و احترام بالغين، و حضر للقائه كل من الشيخ عبداللّه السراج و الشيخ عمر مفتى الشافعية و المفتى السيد عبداللّه مير غنى الحنفى و عمه الشيخ ياسين الحنفى و الشيخ محمد عابد السندى و غيرهم من الأعيان.

أصابه مرض الإسهال و الحمّى فى شهر محرم الحرام فى مكـة المكـرمـة، و غلبه الشوق إلى المدينة المنورة فى حالة المرض و الإغماء نفسها، و ما أن أفاق من المرض بعض الشيء حتى توجه إلى المدينة المنورة، و كان موجودا فيها فى شهر ربيع الأول، و كان الناس يحضرون حلقته فى عدد كبير لحد أن مقره كان يغتص بالحضور و دعاه شيخ الحرم فى المدينة المنورة إلى بيته قائلا إن هذه الدعوة من قبل الرسول صلى اللّه عليه وسلم. و قد خف مرضه فى المدينة المنورة بحيث كان يقدر على السير على أقدامه ميلا أو ميلين.

بعد الفراغ من زيارة الحرمين الشريفين اتجه إلى الوطن، و كان المرض فى طريقه إلى الاشتداد يوما فيوما. صام أول رمضان ناوياً صيام الشهر كله إذا لم يشتد المرض، لكن المرض اشتد فـى الصوم الأول نفسه، فأمـر بالفـديـة و قال: رغم أن الفدية لا تجب على المريض و المسافر، لكن القلب يود أن تؤدّى الفدية (تطوعا)

دخل مدينة "تونك" فى ٢٢ رمضان المبارك، فأكرمه الأمير وزير الدولة غاية الإكرام. و فى يوم عيد الفطر بدأت حالة الاحتضار، و كان الشاه عبدالغنى يرافقه، فأوصاه باتباع السنة و اجتناب أهل الدنيا و قال إنك إن ذهبت إلى أبواب أهل الدنيا تذل و تحقر، و إلاّ فإن أهل الدنيا بذاتهم يأتـون إلى بابـك و يخيمون عليـه مثل الكـلاب. و أضـاف يقـول: لقد منحتـك أنت و عبدالغنى

الإجازة فيما بلغنا من الأوراد و الأشغال. ثم تساءل قائلاً: أية صلاة حلت؟ فقال المولوى حبيب الله. "أدّ أية صلاة شئت يا حضرة الشيخ"! فأجاب يقول إن ليلتى البارحة كلها قد مضت فى أداء الصلاة. و بعد صلاة الظهر أمر الحافظ بتلاوة سورة البقرة و سورة يس و سمع كلتا السورتين ثلاث مرات و قال بعد المرة الثالثة "لم يبق الآن إلاّ وقت قليل" ثم قال "ينبغى أن لا يأتى الأمير - أمير تونك - إلى بيتنا اليوم." و كان قد دخل عليه رجل من أهل الدنيا قبل ذلك فقال : أشعر بالظلمة لدى قدوم الأمراء و الأثرياء.

فاضت روحه فيما بين الظهر و العصر يوم الفطر/السبت، فحضر أمير "تونك" و سكانها، و تكفل المولوى حبيب الله و غيره من أصحاب القافلة الغسل، و صلى عليه المولوى خليل الرحمن قاضى المدينة، ثم نقل التابوت إلى دهلى، و لما أخرج جثمانه الشريف من التابوت كان يبدو كأنه قد غسل آنفاً، رغم أنه كان قد مضى على الغسل أربعون يوما. و تم دفنه بجوار ضريح شيخه الشاه غلام على. و قد قرض الناس أبياتاً كثيرة فى تاريخ وفاته، و نذكر هنا تاريخا بالعربيه و آخر بالفارسية:

(١) ينور الله مضجعه ١٢٥٠هـ

(٢) و قرض المولوى خليل أحمد (١٠) بالفارسية ما يلى

امام و مرشد ما شاه بو سعيد سعيد   بروز عيد جو شد واصل جناب خدا
دل شكسته و مغموم گفت تاريخش   ستون محكم دين نبى فتاده زپا
(١٢٥٠هـ)

و كان له ثلاثة أبناء: (١) شاه أحمد سعيد (٢) شاه عبدالغنى
(٣) الحافظ عبدالمغنى

(٢)الشاه أحمد سعيد المجددى :

هو الابن الأكبر (١١) للشاه أبى سعيد المجددى. ولد فى "رامبور" سنة ١٢١٧هـ و تاريخ ولادته هو "*مظهر يزدان*". حفظ القرآن الكريم أولا، ثم قرأ العلوم النقلية و العقلية على الشيخ فضل إمام الخير آبادى و المفتى شرف الدين الرامبورى و غيرهما، و أخذ الحديث عن تلاميذ الشاه عبدالعزيز مثل الشيخ رشيد الدين خان الدهلوى و من إليه، و تلقى الطريقة المجددية على الشاه غلام على و على والده الكريم، و فاز بالإجازة و الخلافة و نفع الناس ظاهرا و باطنا. و قد وصفه الشاه غلام على فى إحدى رسائله قائلا: " إن أحمد سعيد ابن الشيخ أبى سعيد يماثل والده الكريم فى العلم و العمل و حفظ القرآن و أحوال النسبة الشريفة."

و جاء فى رسالة أخرى للشاه غلام على: " أدعو الله أن يحفظ هؤلاء الأربعة:

(١) الشيخ أبو سعيد أسعده الله سبحانه
(٢) أحمد سعيد جعله الله تعالى محمودا
(٣) رؤف أحمد رأف الله به (سيأتى ذكره فيما بعد)
(٤) بشارة الله جعله الله مبشّرا بقبوله (سيأتى ذكره فيما بعد)
أمد الله فى حياة هؤلاء المشائخ الأربعة و نشر بهم الطريقة و كثر أمثالهم.

خلف الشاه أحمد سعيد والده الكريم بعد وفاته، و أقبل عليه طلاب الهند و خراسان بكثرة و استفادوا منه على قدر همتهم و أهليتهم، و كان خلفاؤه يتمتعون بسمعة واسعة فى مناطق "قندهار" و "غزنين" (١٢)

(٢) و كان الشاه عبدالغنى الابن الثانى للشاه أبى سعيد. (١٣)

(٣) أما الحافظ عبدالمغنى فكان ابنه الثالث، و كان قد تضلع فى الفقه و الحديث تضلعا كاملا، و كان يتصف بالأخلاق الحميدة، و تاريخ ولادته هو فضل الرحمن ١٢٣٩هـ (١٤)

(٣) الشيخ محمد شريف:

تلقى العلوم فى "رامبور" و غيرها، ثم حضر لدى الشاه أبى سعيد الذى أكرمه بعنايته الخاصة، و منحه الخلافة بعد قطع مدارج التصوف. نال شهرة واسعة فى مناطق بنجاب و كشمير، و انتفع به الخلق انتفاعا كبيرا. توفى فى مدينة "هوشياربور" و دفن فى "سرهند" بالقرب من روضة الخواجا محمد معصوم. (١٥)

(٤) ملا خدا بردى التركستانى:

تلقى التصوف على الشاه أبى سعيد فى لكناؤ حين كان الشاه غلام على على قيد الحياة، و انتفع به الناس فى "بلغاريا" و غيرها.

(٥) ملا علاء الدين :

تعلم الطريقة على الشاه أبى سعيد و توجه إلى "بيشاور" حيث تأثر به حاكم بيشاور و أعاره اهتمامه، و قد استفاد منه الناس استفادة كبيرة.

(٦) الشيخ شاه سعد الله:

حضر لدى الشاه غلام على و بدأ يتعلم منه الطريقة، ثم كسب الفيض و العناية من الشاه أبى سعيد و نال الخلافة و الإجازة، و بعد ذلك توجه إلى الحرمين الشريفين، ثم ذهب إلى حيدر آباد (الدكن) حيث نال القبول و الاحترام

لدى كل صغير و كبير (١٦) و كان يقيم فى زاويته نحو ١٥٠ طالباً، و كانت الزاوية تكفل حوائجهم، و كان يتسم بالجود و الانقطاع عن أهل الدنيا. (١٧)

(٧) ملا عبدالكريم التركستانى:

هو الآخر حضر لدى الشاه غلام علي و حصل على النسبه، ثم كسب الفيض من الشاه أبى سعيد و نال الإجازة. راجت طريقته فى مدينـــة "سبـــز" و دخل فى حلقته آلاف من الرجال. كانت زاويته كبيرة و كان فيها مطعم عمومى واسع، و كان أمير المدينة يحبه و يكرمه غاية الإكرام.

(٨) ملا غلام محمد:

قدم من مدينة "أتك" و حصل على النسبة من الشاه أبى سعيد فى حياة الشيخ الشاه غلام على ثم رجع إلى وطنه و نفع الناس. توفى فى الطريق حين كان يعود إلى الوطن بعد زيارة الحرمين الشريفين.

(٩) الميرزا عبدالغفور الخورجوى:

حضر لدى الشاه غلام على فى عنفوان شبابه و حظــى بعنايتــه الخـاصة. و كان يملك تأثيرا غير عادى فى سلب الأمراض الروحية، و كان الشاه غلام على كثيرا ما يرسل إليه المرضى فكان يزيل المرض بلفتة روحية واحدة أحيانا. و قد حدث مرة أن رجلا دخل الطريقة، فأمر الشاه غلام على بإرساله إلى الميرزا عبدالغفور لإجراء اللطائف، فأجرى اللطائف بلفتة واحدة و أعاده إلى الشاه غلام على الذى أدرك كنه الأمر فور رؤيته.

كان مريدوه هــــم الآخرين يحظـــون بـــالـكشف و يقصّون العجـــائب و الغرائب، و كان يحصل لهم لقاء الأرواح، و إن بعض خلفائه يتمتعون بشهرة واسعة فى "تركستان" توفى ببلدة "خورجا" بمديرية "بلند شهر" فى آخر شوال أو غرة ذى القعدة سنة ١٢٥٩هـ و تاريخ وفاته يتعين بكلمة " *آه شيخ زمن بمرد* (١٢٥٩هـ)." و قد تلقى عليه الطريقة معظم مريدى الشيخ الشاه غلام على مثل ميان محمد أصغر و ميان محمد يار و كذا محمد جان على الأغلب.

(١٠) الشاه رؤف احمد بن الشاه شعور احمد المجددى :

كان ابناً لخالة الشاه أبى سعيد (١٨) و كان قد انضم مع الشاه أبى سعيد إلى حلقة شاه درجاهى، و لما التحق الشاه أبو سعيد بزاوية الشاه غلام على صاحبه إليها و حظى بعناية وافرة من الشاه غلام على، و هو الذى قام بتدوين أقوال الشاه غلام على (١٩) و رسائله و مقاماته، كما ألف كتبا أخرى فى الفقه

و غيره (٢٠)، و له شعر باللغتين الأردية و الفارسية (٢١)

يتصل نسبه بمجدد الألف الثانى بواسطة الشيخ محمد يحيى النجل الأصغر لحضرة المجدد. غادر إلى مدينة "بوفال" بعد الحصول على الخلافة، و نال القبول و الإعجاب، و كان الأثرياء و الفقراء ينضمون إلى حلقته

توجه إلى الحرمين الشريفين بعد سنة أو سنتين من وفاة الشاه أبى سعيد، و انتقل إلى رحمة الله بالقرب من "يلملم" (٢٢) و دفن بالقرب من "بئر عليّ".

كان ابنه الشاه خطيب أحمد معروفا بأخلاقه الحميدة، مجبولاً على الحلم و الجود و تحمل الأذى، و كان قد تلقى النسبة الباطنية من والده الكريم، و كان قد رافقه فى رحلة الحج. خلف أباءه الكرام بعد وفاة والده، و توفى فى "بوفال" في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٦٦هـ (ابريل ١٨٥٠م) و استُخرج تاريخ وفاته من كلمة "*هو إذا لمن المقربين*." (١٢٦٦هـ).

(١١) الشيخ عبدالرحمن المجددي الجالندرى:

يتصل نسبه بمجدد الألف الثانى بواسطة الشيخ سيف الدين، و كان والده، سيف الرحمن المحددى من مريدى الميرزا مظهر جانجانان الشهيد بايع الشيخ الشاه غلام على و تلقى منه النسبة الروحية. كان عديم النظير فى تهذيب الأخلاق، و كان سكان "بنجاب" مولعين بخلقه، و كأن تعداد أصحابه و مريديه كثيرا. تشرف بالحج و عاد إلى الوطن، ثم غلبه الشوق فتوجه إلى الحرمين الشريفين مرة أخرى، و توفى فى بلاد السند سنة ١٢٥٨هـ لدى عودته من الحرمين.

(١٢) الشيخ بشارة الله البهرانشى:

بايع حموه (أى والد زوجه) الشيخ نعيم الله البهرانشى أولا، ثم حضر لدى الشاه غلام على الذى شمله بعنايته الخاصة كما يتضح من رسائله، حيث كتب فيها إن المولوى بشارة الله يمتاز بين أصحابى كان متضلعا فى العلوم الظاهرية أيضا، و يتصل نسبه بالشيخ بُدّهن البهرانشى.

(١٣) الشيخ المحدث كرم الله الدهلوى:

كان أبوه عبدالله حديث العهد بالإسلام، و كان قد بايع الشيخ فخر الدين الجشتى النظامى، و هو الذى لأجله ألف شاه عبدالعزيز الدهلوى تفسيره المعروف بـ "تفسير عزيزى"

حضر الشيخ كرم الله لدى الشاه غلام على و بايعه و فاز بالإجازة (٢٣) و قد تتلمذ عليه معظم سكان دهلى - بشكل مباشر أو غير مباشر - فى فن

التجويد و أوجه القراءة السبعة. و كان أستاذاً للأمير مصطفى خان "شيفته" كما ذكر الأخير في وقائع رحلته للحج.

توفي في أثناء رحلته الثانية إلى الحرمين الشريفين. و يبدو من كتاب *نزهة الخواطر* (الجزءالسابع) أنه توفي في مدينة "سورت" مصابا بمرض السرطان. و كانت وفاتـــه فـــي ٢٧ شعبـــان سنة ١٢٥٢هـ (٦ـ ديسمبر ١٨٣٦م) و ضريحه في مدينة "سورت".

(١٤) الشيخ خالد الشهزوري الكردي:

كان عالما دينيا ذائع الصيت بارعا في كل علم و فن، و كان قد حصل على الإجازة في ٥٠ كتابا من كتب الحديث، و كان يثني من علماء الهند على الشيخ شاه عبدالعزيز الدهلوي فحسب له شعر بالفارسية و العـربيّـة يضـاهـي – و ربما يفوق – الفردوسي و الفرزدق، و كان الشاه غلام علي يشبه شعره بشعر جامي الصوفي المعروف. أما قصائده العربية و الفارسية التي قرضها في مدح شيخه (الشاه غلام علي) فهي لا تقل روعـــة عن القصائـد التي نظمهـا خسرو و جامي في مدح سلطان المشائخ و الخواجا عبيدالله أحرار.

بعد إتمام الدراسة عمل مدرسا في بعض المدارس، و كانت نفسه تتوق إلى الحصول على النسبة الباطنية و قطع مدارج السلوك، و صادف أن مرّ به الميرزا رحيم الله بيغ الذي كان سائحا يجوب الأقطار، فاشتكى إليه من عدم تواجد شيخ كامل، فدلّه الميرزا رحيم الله بيغ على الشاه غلام علي، فقدم إلى دهلي و أقام لدى الشاه غلام علي طيلة تسعة أشهر. و قد حدث أن رجلا ذكر الشاه غلام علي بالسوء أمامه فرأى ذلك الرجل في المنام بشكل الخنزير، الأمر الذي زاده حباً و ولعاً بالشاه غلام علي. كان قد تولى خدمة "السقاية" في الزاوية ، وكان يجلس في المجلس عند صف النعال خاضعا رقبته. شمله الشاه غلام علي بعناية فائقة و أكرمه بالخلافة و الإجازة ، و عندما ودعه شايعه إلى ضريح الشيخ محمّد عابد، و يقال إنه بشره عند الوداع بـ "قطبية تلك الديار" ، فلما وصل إلى وطنه مارس رياضات و مجاهدات مكثفة و تساقط عليه الخلق تساقطه على الأمير و السلطان.

يبلغ عدد خلفائه و خلفاء خلفائه إلى الآلاف، و قد كتب الشاه عبدالغني أن رجلا روى أن خيله (خيــل الشيخ خالد) كانت لا ترتعي العلف المشتبـه فيـه، و بالجملـة فانـه صدرت منه كـرامات كثيرة ، و كان لا يقيم وزنا للأمـــراء و الأثرياء في تلك الديار، و يقال إنه كان قد طرد حاكم بغداد من مجلسه ساخطا ، و كان قد ذكر اسم شيخه ـ ذات مرة ـ بعاطفة جعلت الناس قد أغمي عليهم. كان خليفته الشيخ عبدالوهاب ـ الذي كان صاحب الكرامات و مرجع الخلائق ـ انحرف عنه فسلبت نسبته و أصبـح غير محبوب فـي أعين الناس.

و عندما ذهب الشاه أبوسعيد إلى مكة المكرمة عامله الشيخ عبدالوهاب بلطف و احترام و تواضع، فأولاه الشاه أبوسعيد عنايته من جديد، و قد سمعت أن الشيخ عبدالوهاب كان قد حصل له القبول فيما بعد ذلك، و انتقل إلى رحمة الله بعد عدة سنوات. كان الشيخ خالد قد أمر معظم مريديه بإطاعة الشاه أبي سعيد، و كان مريدوه يأتون إلى الشاه أبي سعيد لدى إقامته في بلاد العربَ و يقولون له : "إن الشيخ خالد كان يؤثرك بعد الشاه غلام على". و قد نقل الشاه عبدالغنى فى كتابه تلك الرسالة التى كتبها الشيخ خالد إلى الشاه أبى سعيد. و كان الشيخ خالد قرض قصيدة بالعربية فى مدح شيخه و مرشده (الشاه غلام على) أولها

كملت مسافة كعبة الآمال　　　حمدا لمن قد منّ بالإكمال

كما وضع قصيدة رائعة بالفارسية مطلعها:

دهيد ار من خبر آن شاه خوبّان را به پنهانى
كه عالم زنده شد بار دگــر از ابـر نيسانـى

عاش سنة أو سنتين بعد وفاة الشاه غلام على، ثم توفى إلى رحمة الله مصابا بمرض الطاعون، و نال درجة الشهادة.

و يقال إنه كان قد سمّى أربعة أشخاص ليخلفوه بالتناوب، و قد توفى الأربعة مصابين بالطاعون بنفس الترتيب و يقول الشاه عبدالغنى فى "*ضميمه مقامات مظهرى*": "فى هذه الأيام يذيع صيت الشيخ عبدالله من خلفاء الشيخ خالد، و له سمعة طيبة واسعة فى بلاده (٢٤)".

و يضيف الشاه عبدالغنى: "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم هو الآخر قد عين ثلاثة من أصحابه ليتولوا إمارة الجيس الإسلامى فى غزوة "مؤتة" بالتناوب و هم زيد بن حارثة و جعفر الطيار و عبدالله بن رواحة. و قد استشهد الثلاثة فى غزوة مؤتة بنفس الترتيب، فحمل العلم خالد بن الوليد و انتصر المسلمون، و منذ ذلك الوقت نال لقب "سيف الله".

يذكر أن العلامة محمّد أمين بن عابدين الشامى صاحب "*رد المحتار*" كان من مريدى الشيخ خالد و من تلاميذه أيضا، كما يظهر من كتاب "*المجد التالد فى مناقب الشيخ خالد*" (ص: ١٧٠)

(١٥) الشيخ عبدالرحمن الشاهجهانبوري:

جاء فى "*ضميمه مقامات مظهرى*" أن الشيخ عبدالرحمن حضر لدى عدد من الشيوخ ، لكنه لم ينل مرامه، و فى آخــر الأمر دخل على الشاه غــلام على و قطع مراحل التصوف و نال خلعة الخلافة. كان يجتنب من أهل الدنيا كل الاجتناب و لا يلقى إليهم بالا، و قد جاء إليه أمير "فرخ آباد" فلم يلتفت إليه.

كثير من خلفائه يتمتعون بنسبة قوية و كشف صحيح ، و سلسلته تنتشر في مديرية "فرخ آباد" و "شاهجهانبور" على نطاق واسع. و قد تناول الشيخ شاه ضياءالدين النقشبندى المجددى - صاحب *مرآة الأنساب* - سيرة و أحوال الشيخ الشاهجهانبورى ببسط و إطناب فى رسالته "*دعوة الحق*" ، و ننقل فيما يلى مقتطفات منها:

"*لم تدوّن سيرته بشكل كتابى لأنه لم يستحسن ذلك فى عصره، بيد أن الشيوخ الآخرين للسلسلة كتبوا فى بعض كتب التاريخ، و الشيخ زبدة الكاملين شاه محمّد مظهر المجددى كتب فى "مقامات سعيديه" أنه كان مرجع الطلاب و مآبهم فى وطنه. تشرف هذا الفقير بزيارته فوجده شيخا متشرعا صاحب خلق حميد للغاية، يجتنب أهل الدنيا و يظل مشتغلا بالذكر و التفكر، و يتمتع برحابة الصدر و ببركات موسعة، و كان قد قال للشاه محمّد مظهر فى أثناء الحديث. إننى لم أترك حتى الآن ما بلغنى من حضرة الشاه (غلام على) من أشغال و أذكار، و سوف لن أتركها إلى آخر الأنفاس بإذن الله تعالىٰ ، الأمر الذى يدل على أنه كان يحافظ على الأوراد مثل المبتدى. كان وطنه الأصلى فى "شاهجهانبور" ، و كان يعد من الأعيان و الوجهاء هناك*".

" *بعد تحصيل العلوم الظاهرية اشتاق إلى الحصول على النسبة الباطنية و قام برحلات إلى هنا و هناك فى هذا الخصوص، و ظل مضطربا فى البحث عن المطلوب الحقيقى لمدة غير يسيرة. زار معظم شيوخ عصره و صاحب ثلاثة من الشيوخ أيضا لكن قلبه المضطرب لم يهدأ و لهيب ظمئه لم يبرد. كان يتمنى ليل نهار أن يعثر على مرشد كامل يوصل عطشان الحب إلى ساحل المراد، إلى أن جاشت رحمة الله تعالى و بلغ ألم الشوق أقصاه.*"

(ثم كتب واقعة كانت قد دفعته إلى الذهاب إلى دلهى).

" *و عندما وصل إلى دلهى جاء الشاه غلام على إلى المسجد للصلاة حسب العادة فرأى أن المسجد قد ورده مسافر، فدعاه إلى نفسه، و كان آنئذ يأكل الجرزة، فأعطى ما بقى منها للشيخ الشاهجهانبورى عطفا و كرما، فقال الأخير يريد هذا الفقير التشبع مما يتعطش إليه، فقال الشاه غلام على على أساس الكشف غالباً : " أمكث لدينا عدة أيام، فإذا لم يظهر لك فائدة فلك الخيار أن تغادرنا كما غادرت الآخرين ثم قام بتصرف باطنى قبل البيعة فجرت لطائف الشيخ الشاهجهانبورى فى نفس الحين، و زال كل ما كان يخالج نفسه من شبهات و هواجس،*

فزاد شوقه للبيعة و قال أريد أن أبايعكم. و عند ذلك أعطى الشاه غلام على هذا الخادم خمس روبيات لكى آتى بالحلوى عطفا و فرحا، و رغم أن الشاهجهانبورى أصر على أن لا يفعل ذلك، لكنه أجـاب قائلا: لابأس بذلك، فان مال الشيخ هـو مال المريـد و لا فرق بينـهما".

" كان الشاه غلام على يعطف عليه كثيرا، و قد أكرمه بالخلافة بعد أن علمه الطريقة المجددية على مستوى رفيع طوال ست سنوات. و عندما ودع الشيخ الشاهجهانبورى دلهى للعودة إلى وطنه، شايعه الشاه غلام على برهة و قال له ـ حسبما يقول الشاهجهانبورى نفسه ـ " إننـى دعوت لك بأمرين و أبشّرك بأنهما قد استجيبا، أولهما هو أن ينشر اللّه بك الطريقة النقشبندية فى ضواحيك، و الثانى أن لا يبلوك إلا قليلا ".

"كان يعنى بالمحافظة على طريقـة الشيوخ الكبار غاية العنايـة، و بلغ من المداومة على الأوراد و الوظائف أن أية وظيفة من وظائفه لم يحدث فيها خلل إلى حين وفاته. و قد قال له رجل ذات مرة "يا شيخ! إنك قد أصبحت " ذكرا " كلّك بفضل الإكثار من الذكر و التفكر، و جرى لك "سلطان الأذكار" فأى حاجة لك إلى التسبيح ؟" فأجاب يقول يا أخى ! هل من المعقول أن نترك الزميل الذى أوصلنا إلى المرام ؟ إذا كانت هذه المسبحة قد أوصلتنى إلى هذه المرتبة ـ حسبما تزعم ـ فهل الأفضل أن نتركها أم الأفضل أن نلازمها دائما ؟"

" و يدل على مدى اتباعه للشريعة أنه أوصى فى حالة احتضاره المولوى غلام بسم اللّه قائلا. اعلم أنت بنفسك و ابلغ زملاء الطريقة أيضا أنه إذا كنتم قد رأيتمونى يصدر منّى عمل يخالف سنة الرسول صلـى اللّه عليـه وسلـم فلا تتبعوه أبدا ، و إنما أحملوه ، إذا شئتم ، على عذر من الأعذار حتى لا أواخذ به فى الآخرة. كانت تستولى عليه خشية اللّه كل آن ، و انتهى به كمال اتباع السنة".

" كان آخر خلفاء الشاه غلام على، و كان عدد خلفائه تسعة عشر، منهم الشاه غلام بسم اللّه البريلوى و والدى و مرشدى الشاه بهاءالدين الأمروهي اللذان أكرما بعمامة الخلافة فى مجلس واحد. و هذا الفقير أيضا آخر خدام حضرة الوالد و إن لم يكن أهلا لذلك، فالحمدللّه على هذا التسلسل. توفى الشيخ عبدالرحمن الشاهجهانبورى سنة ١٢٨٤هـ ، و استُخرج تاريخ وفاته من البيتين المذكورين أدناه:

شد واصل حق حضرت عبـدالرحمن　محبوب رسول پاك و محبوب صمد
هاں صوری و معنـوی بگفتم تاریخ　هشتاد و چهـار و یك هزار و دو صد

(١٦) ميرطالب على المعروف بـ مولوى عبدالغفار :

توجه بعد دراسة علوم الظاهر و تلقى النسبة من الشاه غلام على، إلى الحرمين الشريفين و نال الشهرة فى بلدة زبيد باليمن، و يقال إنه كان قد عيّن قاضيا لبلاد اليمن. و اللّه أعلم

(١٧) سيد اسماعيل المدنى :

بايع الشيخ خالد أولا و تلقى النسبة النقشبندية ، ثم رأى فى المنام أن الرسول صلى اللّه عليه و سلّم يأمره بالذهاب إلى دلهى و كسب النسبة المجددية من الشاه غلام على المجددى. فحضر لديه امتثالا للأمر و نال الخلافة و الإجازة ثم عاد إلى وطنه. كان يحمل كشفا صحيحا و وجدانا صائبا. و قصة ذهابه إلى جامع دلهى لزيارة الآثار ثم شعـوره بالظلمـــة بسبب تواجد الصور هنـــاك ـ و التى سبق ذكرها فى رسائل الشاه غلام على ـ مذكورة فى كتاب "ضميمه *مقامات مظهرى*".

(١٨) الميرزا رحيم اللّه بيغ المعروف بـ محمّد درويش العظيم آبادى :

حضر لدى الشاه غلام على تاركا وظيفته و تشرف بالإجازة و الخلافة بعد اكتساب النسبة. زار ضريح الخواجا نقشبند سائحا و تجول فى معظم البلدان الإسلامية مثل الروم و الشام و الحجاز و العـراق و المغـرب و مـاوراء النهر و خراسان و كذلك الهند. كان يقول إننى لم أر شيخـا مثل الشـاه غلام علـى، و كان لا يخاف لومة لائم فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

كان الأمير كامران والى "هرات" يثق فيه ثقة روحية فكان يحاسبه بكلمات قاسية جريئـــة، و كان الحكام الآخرون فى "تركستـــان" انضمـــوا كذلك إلى خدامـه و مريديه. كان يغادر كل مكان يرى فيه مخالفة الشريعة كئيبا ممتعضا، و كان انفضل أيضا عن ملك "قهقند" الذى كان يخلص لـه الولاء و الاحترام. و أخيرا اقتطن مدينـــة "سبز" حيث منحه حاكمها قريـــة كبيـرة و أعفى عوائدها الحكوميـــة. تزوج فى آخر عمـره و فـرض على نفسـه خدمة كل وارد و صادر، و أصبح مستقره زاوية. كان قد اعتنق مذهب الإمام الشافعى و لذلك يلقب بالشافعى فى سمرقند و بخارى و غيرهما. قتله أحد حكام "تركستان" الذى كان يضمر العداء لحاكم "سبز" بطريقة سرية، و بذلك فقد نال مرتبة الشهادة.

(١٩) الشيخ أخوند شير محمّد :

حضر لدى الشاه غلام على بعد التخرج فى العلوم و اكتسب النسبة و نال الإجازة. طرأه الذهول عن علم الظاهر بعد حضور الزاوية لحد أن أشكل عليه حتى أسهل التراكيب النحوية ، ثم صرف عنايته إلى العلوم الظاهرية من جديد خشية أن تضيع، فاستفاد منه مئات الطالبين كان يلقن تلاميذه التقوى و أعمال الخير، و كان يفرض الغرامة على الطالب الذى كان يغتاب أحدا فى مجلسه، و كان قد لحقه ضعف بالغ فى آخر العمر، فباع الكتب و لم يعد له شغل سوى تلاوة القرآن و الصلوات المكتوبة، و كان يعتبر الهند دار الحرب بعد خضوعها لحكم الشركة الإنجليزية، و كان يستكره اقتطانها، و لذا توجه بنية الهجرة إلى الحرمين الشريفين فى حالة المرض عينها، و ما أن وصل بلدة ملتان حتى توفى إلى رحمة الله (٢٥)

(٢٠) الشيخ محمّد جان شيخ الحرم :

دخل على الشاه غلام على بعد تلقى العلوم و قام برياضات مكثفة. كان يقطع كل يوم مسافة نحو ٧ فراسخ لزيارة ضريح الخواجا قطب الدين بختيار الكعكى حيث كان يشتغل بالعبادة ليلا و يعود فى الصباح بجرّة من الماء للشاه غلام على، و ذلك لأن مياه ذلك المكان عذبة و سائغة.

كتب الشاه عبدالغنى أن أحد خدام الشيخ محمّد جان روى أن إبناً له كان قد أوشك على الموت، فذهب به إلى ضريح قطب الأقطاب (بختيار الكعكى) ليلا حيث كان الشيخ محمّد جان عاكفا على المراقبة، و ألتمس منه الدعاء و سلب المرض، فسلب المرض لتوّه و شفى الولد. و روى رجل آخر أنه كان قد تورّط فى غرام امرأة و كاد أن يرتكب المعصية، فجاء إلى الشيخ محمّد جان و قال : "إنه لم يبق الآن شيء سوى المعصية، فاصرف إليّ عنايتك و إلا فسوف أحمّلك المسئولية عندالله إذا صدرت منى الفحشاء" فلقّنه كلمة "لاحول و لا قوة إلاّ بالله" فقال : "سبحان الله ! إننى أداوم على هذه الوظيفة من ذى قبل" فأمره بقراءتها مرة أخرى فقرأها فبدا له و كأن سدًا منيعا حال بينه و بين تلك المرأة.

توجه إلى الحرم المكى الشريف بعد الحصول على الإجازة من الشيخ ، و واجه صعوبات كثيرة فى البداية، إلى أن انفتح عليه باب "الفتوحات" و أقبل عليه حاشية الملك ، و انتشر خلفاؤه إلى استانبول و محافظات الروم، و عيّن له منحة مالية من قبل ملك الروم، و كانت أم الملك أيضا من مريديه. كان قد بنى زاوية حيث كان يخدم كل وارد و صادر، و أخيرا استأثرت به رحمة الله فى مكة المكرمة حوالى سنة ١٢٦٦هـ

(٢١) السيّد أحمد الكردي :

أخذ الطريقة عن الشيخ خالد في بغداد أولا ، ثم قدم إلى دلهي بأمر من الرســول صلّى اللّه عليه و سلّم و تلقّى الطريقة المجددية على الشاه غلام على ، و كان قد مرض في الطريق فرأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم في المنام يلقنه الصلاة على النبيّ للشفاء ، فصلى و نال الشفاء.

(٢٢)ملاّ پير محمّد :

كانت تغلبه كيفية الاستغراق و الفناء ، و كان قد قطع مراحل السلوك لدى الشاه غلام على، و كان يجلس عند ضريح الميرزا مظهر جانجانان مراقباً ، و يقال إنه كان ربما يقضي الليل كله في المراقبة غير مبال بالمطر أو بأى شيء آخر. نال شهرة واسعة في منطقة كشمير.

(٢٣)ملاّ محمّد الغزنوي :

حضر عند الشاه غلام على من "غزنين" ماشياً على الأقدام و أكرم بالخلافة بعد الحصول على النسبة، و أصبح مرجع الطالبين بل شيخ بخارى - كما يقول صاحب "*مناقب أحمديه* و *مقامات سعيديه*" - في بلاده ، و استفاد منه الناس كثيرا، و كان قد منح الإجازة عديدا من أصحابه. توجّه إلى الحرمين الشريفين للحج و توفى.

(٢٤)مولوي هراتي المعروف بـ مولوي محمّد جان :

اكتسب الفيض من الشاه غلام على و نال الخلافة ، و أرشد آلافا من سكان قندهار إلى طريق الهداية، و يقص الناس في هــرات كثيرا مــن كراماتــه. و ضريحه في ميربازار على مبعدة بضعة أميال من قندهار. (٢٦)

(٢٥) الشيخ محمّد عظيم :

كان شيخا كريم الخلق للغاية و كأنه جبل على الأخلاق الحميدة. نال الإجازة من الشــاه غلام على و توجّــه إلى الحرمين الشريفين بعد وفاة شيخــه و توفى هناك.

(٢٦) المولوي نور محمّد:

حضر لدى الشاه غلام على بعد القيام برياضات كثيرة و بايعه و اشتغل بالوظائف و المراقبات إلى أن نال الإجازة. و يقال إن الشاه غلام على كان يقول

"هناك أربعة رجال يعدون مفخرة لطريقتنا و هم (١) المولوى شير محمّد (٢) المولوي محمّد جان (٣) المولوى محمّد عظيم (٤) المولوى نور محمّد. كان هؤلاء الأربعة أصدقاء متآلفين و كان كل منهم عالما متعمقا.

(٢٧) الميرزا مراد بيغ:

يرى أن الشاه غلام على كان يسمى الميرزا مراد بيغ جنيد العصر لكمال زهده و تقواه. كان يحمل نسبة قوية و كان الناس يكسبون منه كيفيات عظيمة. و كان ممن نال الإجازة من الشاه غلام على و توفى فى حياة شيخه ، و دفن بجوار ضريح الميرزا مظهر جانجانان الشهيد.

(٢٨)محمّد منور إمام مسجد أكبرآبادى :

كان يحمل نسبة قوية للغاية بين خلفاء الشاه غلام على، و كان يفيد الناس إفادة روحية كبيرة.

(٢٩)ميان محمّد أصغر :

كان قوى النسبة للغاية، و كان يلازم مجلس الشاه أبى سعيد بأمر من الشاه غلام على، و كان أبوسعيد يشمله بعناية فائقة، و كان يتولى الشئون الإدارية للزاوية، و كان كثير من الناس يستفيدون منه استفادة كبيرة. سافر إلى الحرمين الشريفين و عاد، ثم توجه إليهما للحج و الزيارة برفقة الشاه أبى سعيد و رجع إلى دهلى، توفى سنة ١٢٥٥هـ و دفن بالزاوية.

(٣٠) مير نقش على :

تلقى النسبة على الشاه غلام على و غادر إلى لكناؤ.

(٣١)ميان أحمد يار:

كان من التجار. أخذ النسبة المجددية عن الشاه غلام على، و قبره فى الزاوية.

(٣٢)ميان قمرالدين البيشاورى :

كان من الشيوخ القادرية و كان ينكر الطريقة المجددية فى البداية ، ثم قدم من "بيشاور" إلى الشاه غلام على و انضم إلى حلقته و نال الإجازة ثم رجع إلى بيشاور.

(٣٣) محمد شير خان :

قدم من إمارة "افاغنه" إلى الشاه غلام علي و تلقى منه النسبة المجددية ثم رجع إلى وطنه.

(٣٤) الشيخ جليل الرحمن :

كان من أخص خدام الشاه غلام علي ، و كان يملك نسبة قوية، و كان شيخه يغمره بعناية خاصة. هاجمه شقي بالسيف في حلقة الذكر حين كان جالسا بين يدي الشاه غلام علي، فسقط على رجليه دون قصد منه و نال الشهادة من ساعته، و قد دفن هذا الشهيد هو الآخر بجوار الميرزا مظهر جانجانان الشهيد.و كان هذا الحادث حصل في آخر أيام مرض وفاة الشاه غلام علي.

(٣٥) الشيخ المقرئ إمام الدين النخشبي الأمروهي :

ولد في سنة ١١٩٣هـ ، و كان والده أوّل من اعتنق المذهب الشيعي من أفراد أسرة "نخشبي" ، فكان هو الآخر على دين أبيه في أوائل عمره. تلقى العلوم على الشيخ شاه ضيف الله النقشبندي خليفة الميرزا مظهر جانجانان، و كان من نتيجة ذلك أنه اعتنق - من جديد - مذهب أجداده و هو مذهب أهل السنة و الجماعة و عندما ضاق ذرعا بقسوة أبيه بناء على تبديل المذهب توجه - بإيعاز من الشاه ضيف الله - إلى دهلي حيث انضم إلى حلقة درس الشاه عبدالقادر المحدّث الدهلوي و أتم الدراسة، و كان الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي من زملائه في الدرس هناك. و في تلك الأثناء نشأ في قلبه الشوق إلى قطع مراحل التصوف و السلوك الباطني ، فدخل على الشاه غلام علي المجددي طبقا لأمر أستاذه و مربيه الشاه ضيف الله ، و تلقى منه الحقائق و المعارف الباطنية، و حاز المقامات العالية عن طريق المجاهدة و الرياضة، و أكرم بخلعة الخلافة، ثم عاد إلى وطنه "أمروها" وفقا لأمر مرشده و اشتغل بالتدريس و الإفادة الروحية و قضى أوقاته في ذكر الله تعالى. كان يحبّ العزلة و الخلوة، و كان قانعا متوكلا متواضعا طلق الوجه، وضاء الجبين، عابدا زاهدا لا يترك السنن و حتى المستحبات، و كان قلما يأخذ البيعة من أحد.

كان يلقي دروس الحديث و التفسير و الفقه بعد صلاة الفجر و الإنتهاء من المراقبة و صلاة الإشراق، و كان عطشى العلوم يتوافدون إليه من أنحاء بعيدة و يروون غلتهم، و بعد صلاة الظهر كان يدرس الطلاب مرة أخرى، و بعد العصر كان يشتغل بتعليم الطالبين السلوك الباطني، و كان يلقي الوعظ يوم الجمعة. قدم إليه المقرئ عبدالرحمن المحدث الباني بتي أيام إقامته في "أمروها" و قرأ عليه علم التجويد و حاز الإجازة و الشهادة التي هي مسجلة في كتاب "تذكره رحمانيه" ، كما قرأ عليه في أمروها أجزاء من صحيح البخاري

ثم قرأ الأجزاء الباقية على الشاه محمّد اسحاق فى دهلى، و قد كان المقرئ عبدالرحمن الباني بتى ألف رسالة "تبيين الضاد" على طلب من الشيخ كريم بخش النخشبى نجل الشيخ المقرئ إمام الدين النخشبى كما يبدو من ديباجة الرسالة ، كان المؤرخ الأمروهى المعروف الشيخ آل حسن النخشبى صاحب " *نخبة التواريخ* " من أحفاد المقرئ إمام الدين النخشبى.

قام المقرئ إمام الدين بدور كبير فى نشر علم التجويد و الترتيل، و ألف فيه رسائل عديدة بالإضافة إلى "*كشف الغطاء*" و "*ردّ الربّا*" و "*السماع و الغناء*". كان يمضى معظم أوقاته فى مسجد حيّه الذى كان قد جدد بناءه ، و كان يقوم بالتدريس و الإفادة فى المسجد نفسه. توفى فى ٦ ذى القعدة سنة ١٢٥٦هـ (٢٩ ديسمبر ١٨٤٠م) (٢٧).

(٣٦) السّيد عبدالحىّ المجددى:

هو الشيخ الحافظ السيّد عبدالحى المجددى الدهلوى ثم الأمروهى كان من أبناء الشاه حفيظ اللّه. ولد فى دهلى و نشأ فيها ، و تلقى السلوك و التصوف على الشاه غلام على المجددى و فاز بالخلافة و الإجازة ، ثم ذهب إلى مدينة "أمروها" بأمر من شيخه و اقتطنها ، و قضى حياته كلها فى حجرة بمسجد فى حىّ "ملاّنه" ذاكرا مراقبا. زاره الصوفى محمّد حسين الجشتى المرادآبادى مؤلف "*أنوارالعارفين*" فى صغره و ذكره فى كتابه حيث يقول. "زرت الشيخ مرة فى صباى فقال لى "يا هذا ! أدع اللّه لى بالمغفرة و قل اللّهم اغفر لعبدالحىّ فقلت. "اللّهم اغفر للشيخ" فقال لا أريد هكذا بل قل اللّهم اغفر لعبدالحىّ" فأعدت ما قلته سابقا فاصرّ مرّة أخرى فحدثتنى نفسى بأنه لن يتركنى حتى أقول كما يريد فقلت " اللّهم اغفر لعبدالحى" ففرح غاية الفرح و قطف عدة جوافات من شجرة قائمة بصحن المسجد و أعطانى إياها.

كان عالما فاضلا متحليا بالكمالات الظاهرية و الباطنية و مثلا يقتدى ، و كان يعيش عيشة الرضا و التوكل و يجتنب أهل الدنيا و يكثر من تلاوة القرآن الكريم و يشتغل بالمراقبة و المجاهدة أيضا ، و كان لا يتحدث مع أحد إلاّ بما هو الضرورى ؛ إن زاره أحد خرج من حجرته إلى صحن المسجد و تكلم معه حديثا أو حديثين ثم سلّم و رجع إلى حجرته. توفى سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥م) و دفن بفناء نفس المسجد الذى كان يسكن فى حجرته بجوار شجرة الجوافة نفسها (٢٨). و نورد فيما يلى ترجمة شهادة الخلافة و الإجازة ، التى منحه الشاه غلام على إياها تيمنا و تفاؤلا

"بسم اللّه الرحمن الرحيم. الحمد للّه ربّ العالمين و الصلاة على سيدنا محمّد و آله و صحبه اجمعين. اما بعد:

بما أن الأخ عبدالحىّ - وفقه اللّه لما يحب و يرضى - قد حصل على حظ وافر

من نسبة "الحضور و الاطلاع" بفضل عناية المشائخ الكبار، و أن لونا من "الفناء" قد صبغ قلبه بصبغة الله ، و انه نال نصيبا من نسبة لطائف عالم الأمر و لطائف عالم الخلق، فنحن نسمح له بتعليم الطريقة، فليقم بتعليم طريقة النسبة النقشبندية الأحمدية. و هو مسموح كذلك بإدخال الطالبين في الطريقة القادرية الجشتية، لكن يجب أن يلقنهم أوراد شيوخ النقشبندية و مراقباتهم و وظائفهم. . أسال الله تعالى له الاستقامة على الطريقة و السنة السنيّة.

" و اوصيه بان يعمر أوقاته بوظائف الأعمال، و يلتزم التوجه بالقلب و التوجه باللطائف الأخرى و بذات الله سبحانه في كل نفس، و يجتنب أهل الدنيا و أهل الغفلة و البطالة ، و يفوض أموره إلى الحق جلّ مجده، و يرى التوسل بأرواح المشائخ الطيّبة لازما ، و يداوم على مطالعة "منهاج العابدين" للإمام الغزالي والرشحات لفخرالدين علي و التلميحات لملا جامي و رسائل مجدد الألف الثاني (الشيخ أحمد السرهندي) رحمهم الله تعالى، و أن يقضي حياته بالفقر و القناعة و المواظبة على الذكر. و حسبنا الله و نعم الوكيل.

" و أنا الفقير عبدالله المعروف بـ غلام علي عفي عنه. "

(٣٧) الشيخ أخوند جان محمّد الهزاروي :

كان اسم أبيه مبارك خان بهادر و كان اسم أخيه خان محمّد الذي كان نجله الشيخ فيض محمّد مدرسا بمدرسة أنباله كان أخوند جان محمّد من سكان قرية "حميد" بمنطقة "جهجا هزارا" و كان يسيح في الأرض طلبا للحق و بحثا عن المرشد، إلى أن ورد الهند برفقة الشاه عبدالرحيم ولايتي الشهيد (المتوفى سنة ١٢٤٦هـ) و حضرا - بعد زيارة مشائخ العصر - لدى الشاه عبدالباري الصديقي الجشتي الأمروهي (ف ١٢٢٦هـ/١٨١١م) فلاحظ هذا الأخير أحوالهما و ضمّ الشاه عبدالرحيم إلى حلقته و أخذ منه البيعة ، بينما أشار على أخوند جان محمّد بإقامة العلاقة مع الشاه غلام علي. و في نهاية الأمر نال الشاه عبدالرحيم الخلافة من الشاه عبدالباري بعد تلقي السلوك الباطني، فيما حظى أخوند جان محمّد بالإجازة من الشاه غلام علي.

كان أخوند جان محمّد استوطن بلدة "لوهاري" بمديرية مظفرنغر ، و هناك توفي سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) بعد أن بلغ السادسة و التسعين من عمره، و دفن في ناحية بجوار مسجد عيسى شاه و كان ابنه الشاه عبدالعليم الذي بايع الشاه غلام علي في السلسلة النقشبندية و لازم زاويته مدة طويلة ، غير أنه بايع - فيما بعد ذلك - الشاه إحسان علي القادري الباكبتني في السلسلة القادرية و نال منه الخلافة. كان الشيخ نصرالله خان الخورجوي صاحب "*تاريخ الدكن*" من خلفاء الشاه عبدالعليم، و كان المولوي فريد أحمد الغازيبوري مؤلف

"*الدرّ الفريد*" من خلفاء الشيخ الخورجوى، و قد تناول كتاب "*الدرّ الفريد*" سيرة أخوند جان محمّد و نجله بتفصيل و إطناب.

تعريب: أسعد الأعظمى القاسمى

الهوامش:

١ – تذكرة الشيخ فضل رحمن الكنج مراد أبادى للأستاذ السيد أبى الحسن على الندوى

٢ – تاريخ الدكن ص ١٠٦

٣ – يقول الشيخ أبوالحسن زيد الفاروقى المجددى فى إحدى رسائله "وجدنا تذكره خلفاء الشاه غلام على – رحمهم الله و رضى عنهم – فى ثلاثة كتب، أحدها "الجواهر العلويـة" للشاه رءوف أحمد، و الثانى "*رسالة هو الغنى*" أو "ضميمة *مقامات مظهرى*" للشاه عبدالغنى، و الثالث "*مناقب أحمديه و مقامات سعيدية*" للشاه محمد مظهر المهاجر إلى المدينه المنورة و يوجد فى الجواهر العلوية ذكر ٢٩ خليفة، و فى "*رسالة هو الغنى* ذكر ٢٦ خليفة، وفى "*مناقب أحمديه*" ذكر ٣٨ خليفة

٤ – توفى فى ٥/ربيع الأول سـنة (١١٨٣هـ / ٨ يوليو ١٧٦٩م)، و ورد فى "*الجواهر العلوية*" أنه توفى سنة ١١٨٧هـ وجاء فى حاشية "*هديه أحمديه*" قيل إنه دفن بمدينة "نجيب اباد" (مقامات الخير للشيخ أبى الحسن زيد الفاروقى المجددى، ص ٦٨)

٥ – هو الشيخ نسيم الأفغانى الرامبورى الفاضل الكبير كان من العلماء المشهورين فى عصره ببلدة "رامبور" و استفاد منه الكثيرون، و قد ذكره عبدالقادر الرامبورى فى يومياته (*نزهة الخواطر* ج ٧)

٦ – كان المفتى شرف الدين الرامبورى من كبار علماء "رامبور"، و كان مدرسا و مؤلفا توفى فى ٥/شعبان سنة (١٢٦٨هـ/٢٤ مايو ١٨٥٢م) (*نزهة الخواطر ج ٧*)

٧ – دفن فى ناحية مسجد صغير بالقرب من الباب الأكبرى فى لكناؤ (*مقامات الخير* ص ٧٠)

٨ – هو الشيخ الكبير فيض بخش درجاهى النقشبندى الهراروى كان من سكان بلدة "هراره" ولد فى سنة ١١٦٢هـ و استخرج تاريخ ولادته من كلمة "معدن فيض حق" كان يغلبه حالة "الجذب" منذ سن الطفولة، و لما بلغ سن الرشد قرأ جزءا من القرآن الكريم، و تعلم الصلاة كان يغلبه "الاستغراق" و الإغماء دائما، و كان يفيق من الإغماءة وقت الصلاة ثم يعود إلى الحالة الأولى بعد أدائها خرج سائحا فى الأرض، و عندما وصل إلى صحراء "بدايون" بايع الحافظ جمال الله الرامبورى فى زاوية "سلطان التاركين" و أقام فى مدينة "رامبور" حيث أفاد الناس إفادة روحية، و كان يجتنب الأغنياء و الأثرياء توفى سنة ١٢٢٦هـ و استخرج تاريخ وفاته من كلمة "*مات قطب الورى عن أمرالله*" و ضريحه فى رامبور (*نزهة الخواطر* ج ٧، و "ضميمه مقامات مظهرى" للشاه عبدالغنى الفاروقى المجددى)

٩ – اسم ذلك الكتاب "*هداية الطالبين*" ألف حوالى سنة ١٢٣٠هـ و قد رأيتُ نسخة خطية له فى مكتبة المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، و لعل نسخة خطية أخرى توجد فى مكتبـة قاضى رامبـور و لا أدرى هل طبع أم لا. و قد نقله البروفيسور غلام مصطفى النقشبندى إلـى اللغـة الأردية

و صدر في كراتشي.

١٠ - هو المولوي الحافظ خليل أحمد مضطرب اليحيوي (*مقامات الخير* ص ٧٠)

١١ - كان الشاه أحمد سعيد من بطن الزوجة الأولى للشاه أبي سعيد المجددي، و كان الشاه عبدالغني من بطن زوجته الثانية.

١٢ - كان الشاه أحمد سعيد قد هاجر مع أبناء أسرته من دهلي إلى المدينة المنورة إبان ثورة عام ١٨٥٧م، و كان له هناك مريدون كثيرون أيضاً. توفي في ٢/ربيع الأول سنة (١٢٧٧هـ / ١٧ سبتمبر ١٨٦٠م) و دفن بالبقيع بجوار ضريح سيدنا عثمان رضي الله عنه (*مقامات الخير*) و لذكر فيوضه الباطنية الكثيرة يُحتاج إلى مقال مستقل

١٣ - حيث أن المقصود هنا هو ذكر خلفاء الشاه غلام علي فاكتفينا نحن بذكر اسم الشاه عبدالغني ضمن أنجال الشاه أبي سعيد، و إلا فإن ترجمة حياة الشاه عبدالغني و لو كانت بإيجاز تتطلب مقالا ضافيا. و هو الذي قرأ عليه الإمام محمد قاسم النانوتوي و الفقيه الكبير الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي - مؤسسا الجامعة الإسلامية الشهيرة دار العلوم بديوبند - كتب الصحاح الستة في الزاوية المظهرية. ولد في حيّ "مُغَلبوره" دهلي سنة ١٢٣٤هـ و توفي بالمدينة المنورة في ٧/محرم سنة ١٢٩٦هـ (٣١ ديسمبر ١٨٧٨م).

١٤ - كانت وفاته بالمدينة المنورة في ١٢/ربيع الأول سنة ١٢٩٢هـ (١٧-ابريل ١٨٧٥م) (*مقامات الخير*)

١٥ - كان الصوفي المعروف "سائين توكل شاه خليفة للشاه محمود الجالندري، و كان هذا الأخير خليفة للشيخ محمد شريف (*مقامات الخير* ص ١٩٤) و ليكن ملحوظا أن الشيوخ المذكورين من الشيخ محمد شريف إلى ملا غلام محمد إنما جاء ذكرهم هنا ضمن ترجمة الشاه أبي سعيد، و قد نال بعضهم الخلافة من الشاه غلام علي و الشاه أبي سعيد كليهما، بينما البعض الآخر نالها من الشاه أبي سعيد وحده.

١٦ - نورد فيما يلي خلاصة ماجاء عن الشاه سعد الله في كتاب "*تاريخ الدكن*" لمؤلفه الشيخ نصرالله الخورجوي و الذي ألف سنة ١٢٨٥هـ

" كان أفغانيا، و كان من خلفاء الشاه غلام علي الدهلوي قدم إلى حيدر أباد سنة ١٢٤٧هـ و أجرى سلسلة الإرشاد و الهداية. أرشد الكثيرين إلى الطريق المستقيم و أكرم عددا من أصحابه بخلعة الخلافة، و على رأسهم السيد كريم الله، و الطبيب مير أصف علي، و الشاه مسكين، و مير أشرف علي، و الشيخ نياز محمد بدخشاني. توفي الشاه سعدالله سنة ١٢٧١هـ و دفن بجوار "فراشخانه حضوري" حيث أقيم الآن الضريح و الخانقاه و المسجد و الحوض و المباني الأخرى، و يجتمع في ذلك المكان كثيرون من أهل الحق و الهدى، و ليس هنا مكان يذكّر الله تعالى أكثر منه" (*تاريخ الدكن* ص ٢٠)

١٧ - نقل الشيخ أبوالحسن زيد الفاروقي المجددي في رسالة له إلى كاتب هذه السطور شهادة الخلافة و الإجازة للشاه سعدالله (و التي تم طبعها في كتاب "*حالات نقشبند دكن*") و يوجد في آخر هذه الشهادة ختم الشاه أبي سعيد المجددي كما يوجد على ناصيتها ختم الشاه غلام علي و رغم أن هذه الشهادة صادرة عن الشاه غلام علي، إلا أن تواجد ختم الشاه أبي سعيد في أخرها ليدل على أن الشاه سعدالله كان قد نال الخلافة منهما معا يذكر أن الشيخ شاه عبدالله النقشبندي المجددي كان خليفة للسيد محمد بادشاه البخاري (المتوفى سنة ١٣٢٨هـ) و هذا الأخير كان من خلفاء الشاه محمد سعدالله (مقتبس من رسالة "*سلوك مجددية*" للسيد عبدالله شاه)

١٨ - يتصل نسب الشاه محمد يعقوب المجددي البوفالي بالشاه رءوف أحمد على النحو التالي.

الشاه محمد يعقوب بن الشاه أبي أحمد بن الشاه خطيب أحمد بن الشاه رؤف أحمد

١٩ - سمي هذا الكتاب (الذي يضم أقوال الشاه غلام علي) بـ "*درالمعارف*" و قد تم طبعه و له كتاب آخر اسمه "*الجواهر العلوية*" أما رسائل الشاه غلام علي التي رتبها الشاه رءوف أحمد فقد تم طبعها أيضا، و صدرت طبعة لها في لاهور، و قد قام كاتب هذه السطور بترجمتها إلى الأردية

٢٠ - و له تفسير للقرآن الكريم باسم "تفسير رؤفى" و قد تم طبعه

٢١ - كان لقبه الشعري "رأفت"، و قد تم طبع ديوانه الأردي كما أخبرني بذلك أديب أردي صاحب مؤلفات

٢٢ - توفي سنة ١٢٥٣هـ في "بندريس" باليمن و دفن هناك (*مكاتيب الشاه غلام علي* ص ١٦٨)

٢٣ - و قبل المبايعة كان قد أخذ العلوم عن الشاه عبدالقادر و الشاه رفيع الدين و الشاه عبدالعزيز رحمهم الله، و كان قد صاحبهم مدة طويلة كما يبدو من "*نزهة الخواطر*" ج ٧

٢٤ - يوجد في استمبول السيد أحمد محب الله غريب النقشبندي المجددي الذي ينتمي إلى سلسلة الشيخ خالد، و الذي كان قد قدم إلى الهند في جماعة الدعوة و التبليغ فلقيه كاتب هذه السطور في مدينة مراد اباد و قد كتب حسين حلمي الكاتب و الأديب التركي المعروف في رسالة جوابية إلى محمد حسين شاهد الأمروهي نسبه الروحاني على النحو التالي حسين حلمي عن أحمد محب الله غريب عن السيد عبدالحكيم أرداسي عن السيد فهيم أرداسي عن السيد طه سهكاري عن الشيخ خالد الكردي عن الشاه غلام علي الدهلوي و يوجد في بلاد إيران شيخ من شيوخ السلسلة المجددية المظهرية الخالدية اسمه الشيخ عثمان سراج الدين و نسبه الروحي كما يلي

الشيخ عثمان سراج الدين عن محمد علاء الدين عن محمد نجم الدين عن ضياء الدين عمر عن الشيخ بهاء الدين عن الشيخ عثمان سراج الدين عن الشيخ خالد الكردي عن الشاه غلام علي الدهلوي

و توجد زاوية الشيخ خالد ببلدة "درود مبارك" في كردستان (إيران)

٢٥ - كان الشيخ شير محمد الأفغاني ثم الدهلوي عالما مشهورا قرأ المختصرات في أماكن مختلفة ثم ورد دهلي و قرأ سائر المقررات التعليمية على الشاه عبدالقادر بن الإمام ولي الله الدهلوي، ثم ارتبط بالشاه غلام علي الدهلوي و أخذ عنه الطريقة النقشبندية، و بعد ذلك اشتغل بالتدريس و التعليم أخذ العلم عن مجموعة من العلماء، و كان عالما ذكيا ، فطينا للغاية. كما كان عابدا زاهدا قانعا متوكلا. توجه إلى الحرمين الشريفين للحج و الزيارة في آخر عمره، و انتقل إلى رحمة الله في أثناء الرحلة، و ذلك في ١٩/صفر سنة ١٢٥٧هـ-١١١-ابريل ١٨٤١م)، (*نزهة الخواطر* ج ٧، نقلاً عن آثار الصناديد)

٢٦ - اطلعنا على مدفنه من خلال رسالة الشيخ أبي الحسن زيد الفاروقي المجددي و قد كتب فيها سبحان الله، ما أروع ذلك المكان ! لقد تشرفت أنا بزيارته

٢٧ - مأخوذ عن "*نخبة التواريخ*" و "*تذكرة الكرام*" لمؤلفه محمود أحمد عباسي، و عن *نزهة الخواطر* ج ٧، و "تذكره رحمانيه".

٢٨ - من "*نخبة التواريخ*" و "*أنوار العارفين*" و "*تذكرة الكرام*" و *نزهة الخواطر* ج ٧

الحلقة السادسة:

ندوة العلماء عبر التاريخ

بقلم: آفتاب عالم الندوي
مسد ندوة العلماء لكناو

إنجازات حركة ندوة العلماء و آثارها :

الإنتاج العلمي لأبناء ندوة العلماء : هنا أردت أن أسلط بعض الضوء على الانتاج العلمي الذي حققه السادة الندويون و رواد ندوة العلماء و القائمون عليها ، و أعرف بتلك المكتبة الحافلة القيمة التي قادت ندوة العلماء حركة إعدادها لتغذية الفكر الإسلامي و دعمه و إماطة اللثام عن الغزو الفكري و حملة المستشرقين و تضليلهم. فانها تحتل مكانة مرموقة بين المكتبات الإسلامية شرقا و غربا و قديما و حديثا، و لها دوي و صدي في الأوساط العلمية و الدوائر المثقفة الجامعية، و تأثير كبير في إعادة ثقة الجيل الجديد بالتعاليم الإسلامية و الحضارة الإسلامية و مكافحة "مركب النقص" فيها، كما أن لها فضلا يذكر و يشكر في تقديم بحوث مبتكرة في شتى العلوم و الفنون، و ربما لم يكن بها عهد للمكتبات الإسلامية الغنية بأسرها و في تقديمها للنشء الإسلامي مواد ثقافية صافية مشرقة الديباجة إسلامية النزعة تتلاءم و الذوق العصري و تعلم الإسلام مع العلم و الأدب، و لها إسهام ملموس مشكور في دحض الأباطيل الفكرية الغربية و فضح التضليلات العلمية المستشرقية في قارعة الطريق ثم عرض الزاد العلمي و الفكري الديني الطابع الإسلامي النزعة في أسلوب حديث، علمي، أدبي، رفيع، سائغ متحليا بالسهولة و العذوبة و الرشاقة.

إن جولة واحدة في بعض نواحي هذه المكتبة الندوية الحافلة لكفيلة بالدلالة على مواصفاتها المذكورة أعلاه دلالة صارخة، و سأباشر هذه الجولة الممتعة مع القارئ الكريم في السطور التالية باذن الله ، و ما أقول "بعض نواحي هذه المكتبة " فذلك لأني لم أتعرض لجميع حصاد الأقلام الندوية فانها فسيحة الجنبات في هذه المكتبة.

السير و التراجم و ما يتصل بهما:

١- "سيرة النبي" : كتاب بديع فريد في موضوعه، و أروع ما كتب في السيرة المحمّدية في أي لغة من لغات العالم، و مما يمتاز به الكتاب أنه ليس يدور حول سيرة النبي صلى اللّه عليه و سلم فحسب، بل هو يتناول العقائد و العبادات و المعاملات و الأخلاق و العادات و السياسة بالعرض عرضا مصحوبا بالمباحث العلمية الرصينة، و الدراسات الدقيقة الرشيقة مع تحفظ في الروايات التي يوردها و عرضها عرضا يضرب على جذور جميع الانتقادات التي يصبها الأعداء على نواحي السيرة المحمّدية - على صاحبها الصلاة و السلام - المختلفة.

و كل ذلك في ضوء القرآن و السنة و الدراسة الدقيقة المكثفة الموسعة للتاريخ، و على المستوى العلمي و الأدبي الرفيع للغاية، و في أسلوب سهل عذب سيال، و الكتاب في سبعة مجلدات كبار، المجلّدان الأولان بقلم العلامة شبلي النعماني، و البواقي بقلم العلامة السيد سليمان الندوي، تقرأ فتشعر كأنك تخوض البحر الفياض الذي لا ساحل له ، من الأدب و التاريخ ، و علوم الاجتماع و الاقتصاد ، و علوم النقد و الكلام ، و البحث العميق ، و الرواية و الدراية ، و علم أسماء الرجال ، و الخبرة الواسعة و النظر الدقيق، و الإجابات الدامغة و الدلائل الناصعة ، و إماطة اللثام عن الأخطاء و التضليلات الاستشراقية.

يبتدئ المجلدالأول بمقدمة طويلة ثم تردفها مقدمة ، و مقدمة الأولى تتناول التحليل التفصيلي لفن الدراية و فن أسماء الرجال ، كما أنها تتناول الاستعراض البسيط لفن السيرة ، و أمهات كتبها ، و الفرق بين السيرة و الحديث ، و تسلط أضواء على المؤلفات الأوربية في السيرة ، و معرفة أوربا بالإسلام.

و المقدمة الثانية تعرض تاريخ العرب القديم السياسي و الديني و العقائدي و الحضاري ، و تبحث في كون اسماعيل ذبيحا، و الكعبة و تاريخها و بنائها ، و باقي المجلد الأول يتناول أخبار النبي صلى اللّه عليه و سلم منذ الولادة حتى الوفاة و المغازي و الأخلاق، و السلوك و العادات و أهل بيته

والمجلد الثاني يحتوي على الحياة النبوية و دعوة الإسلام و تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة و تكميل الشريعة ، و شمائل النبي صلى اللّه عليه و سلم و وظائفة.

و المجلد الثالث يختص بالمعجزات المحمّدية ، و هو بحث تفصيلي في حقيقة المعجزة و عرض شامل لجميع المعجزات التي يتضمنها الكتاب

و دواوين السّنــة و السيـر و الروايات ، و دراســة علميــة لخصائص النبـوة و مكالمة الإلــه و نزول الملائكة ، و كل ذلك في عرض علمي جذاب رشيق يبرهن على أن المعجزة غير مستحيلة لا عقلا و منطقا.

و المجلد الرابع في عقائد الإسلام الجوهرية و ما يواكب لدى بعثته صلّى اللّه عليه و سلم من الأوضاع المختلفة و الانقلاب الشامل الهائل الذي حققه الإسلام في هذه الأمة التائهة.

و المجلــد الخامــس يتصــل بالعبــادات و أهميــة الأعمــال الصالحــة و مقارنتها بتلك المواد التي توجد في الديانات الأخرى.

و المجلد السادس فـي الأخـلاق، يبــرز خصائص الخلــق الإسلامــي و أهميته لدى الإسلام و يشرح فلسفة الأخلاق العامة و يتناول بالتحليل لمزايا النبي صلى اللّه عليه و سلم من بين جميع مسلمي الأخلاق في العالم البشري عبر التاريخ الإنساني.

و المجلد السابع في السياسة، يبحث في علاقتها بالإسلام و أهميتها لديه، و أنها نعمة من اللّه ، و لا ينبغي استنزاف القوي و المواهب في الوصول إلى الحكم ، بل يتحم تكريس الجهود على إقامة شعائر اللّه و التزام أوامره.
فلا غرو أن الكتاب موسوعة إسلامية نسيج وحدها ، و هي معلمة تاريخية كبيرة خالدة سيستعز بها التاريخ الإسلامـي الزاهــر عبــر القرون و الأجيال.

٢-"الرسالة المحمّدية" للعلامة السيد سليمان الندوي : و هي ثماني محاضرات ألقاها في مدراس (MADRAS) في الهنـد، على الشبـاب المثقفيـن و الطلاب الجامعيين ، و رجالات التعليم و التربية ، في اكتوبر ١٩٢٥م ، و قد تم نقلها إلـى العربيــة منذ مــدة بعيدة بقلم الأستـــاذ محمّــد ناظم النـــدوي، و تكررت طبعاتها في القاهرة و دمشق، كما تم نقلها إلى الانجليزية كذلك.
و هي عصارة السيرة النبوية العطرة ـ على صاحبهــا ألف ألف تحيــة و سلام ـ تغني عن دواوين السيرة الضخمة ، إنها استعراض لنواحي السيرة المحمّدية، في أسلوب حديث و عرض جديد قشيب، و دراسة عميقة دقيقة لمكانة النبي صلى اللّه عليه و سلم التاريخية و شخصيته الجامعة و تعاليمه الشاملة، و نواحي حياته العملية و التحركية بحيث تقرأ فتؤمن بأن شخصه وحده يليق بأن يكون نموذجا مثاليا دائما لجميع الأجيال في كل زمان و مكان، و في كل عصر و مصر، و الكتاب في الواقع عــرض بديع لتعاليــم الإســلام و وصايا النبي صلى اللّه عليه و سلم و توجيهاته النبيلة فـي صــورة أكمــل و أشمــل و أروع و أوقع.

٣-"الطريق إلى المدينة" لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي : هو مجموع محاضرات و مقالات هى عرض جميل في أسلوب أدبي عال لما تغني به الشعراء و المحبون في ديار العجم في حب سيدنا محمّد صلى اللّه عليه و سلم ، و قد تكررت طبعاته في الهند و البلاد العربيه و نال نصيبه من العناية و التقدير، أذاعت الإذاعة الهندية بعض فصوله، و نال كثير من الادباء و رجالات الفن جوائز ثمينة من الحكومة الهندية لعرضهم بعض هذه الفصول عرضا جديدا على موجات الأثير، و شهد كبار الأدباء العرب بأدبه الرفيع و رقته و تأثيره في النفوس و إثارته للعواطف الدينية و الحب الدفين و إشعال مجامر القلوب.

٤ - "الفاروق" للعلامة شبلي النعماني: هو عصارة ما كتب عن سيدنا عمر بن الخطاب قديما و حديثا. يتحدث عن شخصية هذا الرجل العظيم و عبقريته الفذة ، في تحقيق أنيق و بحث دقيق تمتاز بهما جميع مؤلفات هذا البحاثة الإسلامي ، مع نقد للروايات ، و استخدام لفن الدراية ، و وزن الحوادث و الوقائع على محك العقل و المنطق.

يبتدئ بمقدمة مطولة تتناول الاستعراض لجميع ما كتب حول سيدنا عمر - رضي اللّه عنه - ماذا كان فيه من الخصائص و النقائص، و يضع الأصبع على النقائص التي ربما لم تخل عنها الكتب القديمة في التاريخ و السيرة، و يبرز محاسنها التي يندر نظيرها في المكتبات الجديدة.

ثم يخوض بنا في بحر زخار فياض يجمع بين جوانب الأدب و التاريخ و الأبحاث الإسلامية القيمة، و يختتم الكتاب متحديا ، هل يسع هذا العالم الفسيح أن يقدم عمرا يحمل من كل ميزة بعض ما كان يحمله عمرنا هذا ؟

و قد تم نقله إلى الفارسية و التركية و غيرهما.

٥- "المأمون" للعلامة نفسه: ليس الكتاب ترجمة الخليفة العباسي "المأمون" فحسب ، بل هو عصارة تاريخ بني العباس الطويل، يفصل الجزء الأول منه أخباره من الولادة إلى تولية الخلافة و الثاني يفصل حكمته و تدبره و المآثر التي تجعل عهده أزهر العهود الإسلامية بالنسبة إلى إزدهار العلم و الثقافة.

٦- حياة حافظ " بقلم العلامة نفسه: أبرز فيه براعة أسلوب حافظ الشيرازى الشاعر الفارسي الشهير، و ابتكار شاعريته، و جمال بيانه ، و فلسفة أخلاقه ، و ما يمتاز به شعره من جمال التركيب و حسن الصياغة و دقة النظر و المعاني الرائقة و الدقائق الأخلاقية.

٧- "سيرة النعمان" بقلم العلامة نفسه: دراسة شاملة لحياة الإمام

الاعظم أبي حنيفة النعمان و لميزات الفقه الحنفي، و دوره و صلاحيته لهذا العصر، و اتساعه و شموله، و المبادئ التي التزمها الإمام في اجتهاده، و استعراض لجميع ما كتب حول حياته.

و من أبرز كتب العلامة شبلي النعماني و أروعها في السيرة:

٨ -" ترجمة *مولانا جلال الدين الرومي*
٩ -" ترجمة *الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي*"
١٠-"*ترجمة الإمام الغزالي رحمه الله*"
١١-" *سيرة عائشة رضي الله عنها*" للعلامة السيد سليمان الندوي : هو دراسة موسعة لحياة سيدتنا عائشة الصديقة - رضي الله عنها - و مآثرها العلمية و العملية و تحركاتها السياسية و الدينية، و عرض بديع لتفنيد الأكاذيب و الأراجيف التي اختلقها أعداء الإسلام حول العلاقة بينها و بين علي - رضي الله عنه - و الروايات التي اصطنعوها فيما يتصل بمعركة "جمل" و فضح ناجع للشبهات التى يثيرها المستشرقون حول حياة النبي صلى الله عليه و سلم العائلية.

و من مزايا الكتاب الجديرة بالذكر أنه يعطي صورة واضحة عما منحه الإسلام المرأة من الحقوق و المكانة السامية، و يتجلى ذلك في المكانة المرموقة التي احتلتها سيدتنا عائشة - رضي الله عنها -

١٢- "حياة شبلي" بقلم العلامة نفسه: ترجمة حافلة لحياة النابغة الإسلامي و المؤرخ الأمين و البحاثة الإسلامي الكبير و الشاعر المبدع و الكاتب القدير، أحد أساطين الأدب الأردي العلامة شبلي النعماني الذي أعد وحدة مكتبة إسلامية قيمة ، و قاد حركة التصنيف و التأليف و النهضة العلمية الحديثة في الهند فتدفقت بكتاباته و خطاباته و محاضراته و مقالاته وتحقيقاته و انتاجاته.

و الكتاب بقلم تلميذه المترجم (بالفتح) النجيب العلامة السيد سليمان الندوي ، ذلك المعجب باستاذه ، و لذلك صب فيه عصارة قلبه و دبجه بمداد دمه، و الواقع أن الكتاب تاريخ خمسين سنة ، لمسلمي الهند العلمي و الأدبي و الحضاري و الثقافي و الإصلاحي و الفكري، و يكفينا بالتسجيل أن الكتاب ترجمة علم من الأعلام.

١٣- "خيام" بقلم العلامة نفسه : في ترجمة ذلك الرجل الكبير الذي كتب حول حياته الكثيرون و لكن الشيء الذي يبعث على الحيرة و يثير الدهشة و الاستعجاب أن الذي كان أكثر اهتماما به - و هو الغرب حقا - كان بقدر ذلك

أقل معرفة به و اطلاعا عليه ، فقد ظن عن خطأ أنه كان متحررا منطلقا ، بل و ربما كان مارقا من الدين، معاقرا للخمر ، خليعا ماجنا، فمن أين هذا الخطأ الفاحش ؟ أ ليس ذلك نشأ من النظر في شعره نظرة ظاهرة خاطفة ، و دراسة حياته في ضوء أبياته دراسة عابرة ، و عدم التدقيق في حياته و مؤلفاته الأخرى الكثيرة الجادة ، و عدم التصفح لأوراق التاريخ التي تبرهن صارخة على كونه عالما كبيرا بارعا في العلوم المنوعة و فيلسوفا ، و متقنا للهيئة و النجوم و الرياضيات ، و متدينا عارفا تقيا. و في كتاب دراسة لحياته في صميمها و في حقيقتها مع شمول و تفصيل دقيق و تحليل مكثف و مدعم بالوثائق و الدلائل.

و من أبرز كتب العلامة السيد سليمان الندوي و أروعها في السيرة:

١٤- "حياة مالك" في ترجمة إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ :

١٥- "رحمة العالم" عرض سهل للسيرة النبوية و الغزوات و السرايا ،

١٦- "ياد رفتكان" (ذكرى السالفين) انطباعات و خواطر عن المعاصرين سجلها إثر وفاتهم ، ثم طبع في صورة كتاب ، و لايزال الكتاب يمثل مادة قيمة من مواد السير و التراجم.

١٧- "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر" : ألفه العلامة الشريف عبدالحي الحسني مؤرخ الهند الكبير، و أمين ندوة العلماء الأسبق. هو أكبر كتاب يعرف في شبه القارة الهندية في تراجم الذين نبغوا في الهند من القرن الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلف ١٣٤١هـ يغطي المساحة الزمنية من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، و المساحة المكانية من ممر خيبر في الشمال الغربي من الهند إلى خليج بنغال في الشرق، و من قلل كشمير إلى "مالا بار" و "كالي كوت" في الجنوب، و الأعيان من كل طبقة على اختلاف مذاهبهم الفقهية و اتجاهاتهم العلمية و اختصاصاتهم الفنية، فجاء في ثمانية مجلدات كبار يحتوي على أكثر من أربعة آلاف و خمس مائة من التراجم.

تكررت طبعاته من دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (الهند) كما أنه في دور النقل من العربية إلى الأردية ، و لاغرو فان المصنف صب فيه عصارة ثلاث مائة كتاب في العربية و الفارسية و الأردية ـ بين مخطوط و مطبوع ـ و هو مكتبة بكاملها ، و لا يمكن الاستغناء عنها لأي باحث و كاتب يتوخى المعرفة بما يتعلق بأعلام الهند و نوابغها ، هو حصاد مساعي جبارة ضخمة واصلها المؤلف سنين، و عملية مجمع علمي كبير قام به هذا الرجل العظيم وحده.

و مما يمتاز به الكتاب علاوة على مزاياه الكثيرة المتنوعة أن المؤلف يدكر مـن مزايـا المترجم - بالفتح - ما يحـدد مكانتـه الصحيحة تحديدا دقيقـا ، و ينزله منزلته اللائقة به ، و يوتي كل ذي حق حقه غير منقوص، فلا يبخسه حقه و لا يطريه إطراء ، و بذلك فهو أشبـه فـي أسلـوب الكتـاب و منهجه و تعبيراته بابن خلكان في الدقة و الأمانة ، و تحري الصدق و القياسات اللائقة و الدقيقة في تخير الأوصاف و النعـوت، كما شهـد بذلك العلامـة السيد سليمان الندوي، و قد سرد سماحه الشيخ الندوي هذه الشهـادة في كتابـه "*حياة عبدالحي*" (في ترجمة مؤلف نزهة الخواطر) في الأردية ، وقدم لذلك شواهد عديدة من الكتاب و لو لا مخافة الطول لسقت بعضها.

١٨- " سيرة الصحابة " في أحد عشر مجلدا للأساتذة: معين الدين أحمد الندوي البهـاري و الشاه معين الدين النـدوي و عبـد السلام النـدوي و سعيد الأنصاري، يبحث عن الصحابة و الصحابيات خلقـا و عادة و سياسـة و إدارة ، و يتناول بشرح و تفصيل كل ما يتصل بهم من الأخبار و الأحـوال ، و قصة الحب و الهيام ، و التضحية و الفداء التي أدت دورها الرائع في فجر الإسلام على أيدي أولئك الغر الميامين الذين تلقوا تربيتهم في أحضان النبوة مباشرة و شبـوا و ترعرعوا علـى الإيمـان و الإخلاص، و الحـب و الفـداء ، و التفاني و الانقيـاد و العزيمـة و الجهاد ، و تخرجـوا فـي مدرسـة القـرآن و الإيمان الأولى.

و الواقع أن الكتاب يعد عن جدارة مأثرة علمية و دينية يستحق كل تقدير و تبجيل.

١٩- "سيرة السيد أحمد الشهيد" لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي : كتاب في مجلدين كبيرين في اللغة الأردية يقع في ١٠٠٠ صفحة تقريبا ، و هو ترجمة موسعة للإمام الكبير السيد أحمد بن عرفان الشهيد الذي قام بالجهاد ضد الإنجليز ، و آثار فـي المسلمين روح الجهـاد و الحماس، و دعا دعوة نشطة قوية إلى التمسك بالشريعة الإسلامية الغراء ، و كون جماعة مؤمنة مختارة دربها على الجهاد و التفاني ، و ربّاها تربيـة دينيـة و حربية، فجاءت و هي تجمع بين جهاد النفس و جهاد العدو، و بين السيـف و المصحف ، و حقا إنها كانت صورة مصغرة للرعيل الأول من الصحابة الأخيار الأبرار.

و أسس السيد الشهيد و جماعته دولة على منهاج الكتاب و السنة في الحدود الهندية الشمالية الغربية طبقوا فيها الشريعة الإسلامية بجناحيها المالي و الجنائي و كان يعزم على إجلاء الإنجليز من الهند كاملا ، غير أنه توقفت هذه المحاولات المخلصة في ٢٣ ذي القعدة عام ١٢٤٦ هـ ، حينما استشهد جيش السيخ (SIKHS) هذا المؤمن الباسل و صاحبه إسماعيل حفيد الإمـام ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، في وادي بالاكوت بغدر من القبائل

القاطنة في تلك المنطقة.

و في الكتاب تفصيل هذه القصة المؤمنة بكل أدوارها و فصولها الرائعة المدهشة المذهلة بقلم الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبي الحسن علي الندوي بأسلوب يلهب النفوس، و يزيل الشكوك، و يقوي الإيمان و يشعل مجامر القلوب و العاطفة الإيمانية الصادقة ، و تقرأ الكتاب فلا تتمالك أن تتدفق إيمانا و حماسا ، و تفيض عيناك بالعبرات.

٢٠- "روائع إقبال" بقلم سماحة الشيخ نفسه : عرض فيه الشاعر الثائر محمّد إقبال الذي سخر أدبه و مواهبه لمحاربة الجاهلية عرضا مؤسسا على دراسة عميقة تحليلية تتجلى من خلالها حرارة المؤلف الإيمانية و روحه الدينية ، و كل ذلك بأسلوب أدبي رفيع رشيق و عبارة عذبة جذابة.

نقل الكتاب إلى الأردية كما تم نقله إلى الإنجليزية بعنوان " Glory of Iqbal " و تكررت الطبعات فيهما و نال تقديرا و إشادة وتنويها من كبار الأدباء و العلماء و المجلات الموقرة.

و مما يجدر بالذكر من كتب سماحة الشيخ بالتسجيل في هذه القائمة:

٢١- "السيرة النبوية" مع عرض الغزوات و السرايا عرضا شاملا ،

٢٢- ترجمة الشيخ عبدالقادر الرائبوري ،

٢٣- حياة عبدالحي ،

٢٤- الشيخ محمّد الياس رحمه الله و دعوته الدينية ،

٢٥- تذكرة فضل رحمن الكنج مراد ابادي ،

٢٦- "برانے جراغ" (المصابيح القديمة) في جزئين ،

٢٧- "المرتضى" يبحث في حياة علي كرم الله وجهه بأسرها ،

٢٨- "في مسيرة الحياة " (حياة الكاتب بقلمه) ،

٢٩- شخصيات و كتب.

و مما يجدر بالذكر من أروع كتب السير و التراجم :

٣٠- " التابعون " بقلم الشيخ معين الدين أحمد الندوي ،

٣١- "أهل الكتاب من الصحابة والتابعين" للأستاذ مجيب الله الندوي ،

٣٢- " تبع التابعين " للأستاذ نفسه ، في جزئين ،

٣٣- " سيرة عمر بن عبدالعزيز " للأستاذ عبدالسلام الندوي ،

٣٤- "اقبال كامل" بقلم الأستاذ نفسه ،

٣٥- "الإمام الرازي" بقلم الأستاذ نفسه ،

٣٦- " *ابن خلدون*" للأستاذ نفسه ،
٣٧- " *حكماء الإسلام* " للأستاذ نفسه ،
٣٨- *المحدثون الكرام و مفاخرهم العلمية* ،
٣٩- " *الإمامان الشهيدان*" بقلم الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي، مدير مجلة "*البعث الإسلامي*" ،
٤٠- " سيرة الشيخ محمّد *علي المونكيري* " بقلم الاستاذ محمّد الحسني فقيد الدعوة الإسلامية.
٤١- "*حياة سليمان* " بقلم الشيخ معين الدين أحمد الندوي ،
٤٢- "ترجمة مولانا محمّد يوسف *الكاندهلوي*" بقلم الأستاذ محمّد الثاني الحسني الندوي ،
٤٣- "*الحكام المثاليون*" بقلم الشيخ عبدالسلام القدوائي الندوي ،
٤٤- "محمّد *بن عبدالوهاب*" للأستاذ مسعود الندوي ،
٤٥- "*محاسن سجاد*" بقلم الأستاذ نفسه ،
٤٦- "تذكرة *الرفاعي*" للأستاذ السيد مصطفى الرفاعي الندوي ،
٤٧- "تذكرة مجدد *الألف الثاني*" بقلم الأستاذ محمد الثانى الحسني الندوي ،
٤٨- " سيرة سعد *بن أبي وقاص*" للأستاذ صلاح أحمد الندوي ،

التاريخ و ما يتصل به :

١- "التاريخ الإسلامي" في أربعة مجلّدات، للشيخ معين الدين أحمد الندوي.
الأول: يغطي العهد الذي يتراوح فيما بين فجر الإسلام إلى نهاية الخلافة الراشدة دينا و خلقا و سياسة و إدارة ، و علما و ثقافة و عقلا و فكرا.
و الثاني: يشمل دراسة العهد الأموي الذي يستغرق قرنا كاملا
و الثالث: يفصل القرنين منذ أبي العباس السفاح ١٣٢ هـ إلى اسحاق المتقي بالله ٣٣٢ هـ .
و الرابع: يتناول بالتفصيل العهد العباسي منذ عهد المستكفي بالله ٩٤٤ م إلى آخر الخليفة العباسي المستعصم بالله ١٢٤٢م و فيه قصة مؤلمة لانحلال الدولة العباسية العريقة الزاهرة

٢- " مذكرة روما و مصر و سوريا " بقلم العلامة شبلي النعماني: يتحدث فيه عن أوضاع المسلمين في تلك البلاد الإسلامية الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و العقائق التي مرّ بها و عثر عليها و درسها عن كثب في سفره إلى هذه البلدان ، و عن الشخصيات العلمية و الأدبية و رجال الدعوة و الفكر الذين التقى بهم ، و الجامعات و الكليات التي زارها ، و المشاهد التي شاهدها كمؤرخ أمين.

٣- " قضية أرمينيا و مايواكبها " للعلامة نفسه.

٤- " تاريخ الأندلس " للأستاذ السيد رياست علي الندوي يبحث عن الأندلس خططا و آثارا ، و جغرافية و طبيعة ، و طقسا و مناخا ، و إدارة و سياسة ، و يتناول بتفصيل الحكومات التي تناوبتها في مختلف العصور، و هجمات المسلمين المتكررة عليها ، و كيف دخلوها و أقاموا فيها دولة الإسلام و العلم.

٥- " تاريخ صقلية " بقلم الأستاذ نفسه.

٦- "مقدمة رقعات عالمغير" ـ للأستاذ السيد نجيب أشرف الندوي يتناول رسائل و كتابات عالمغير إمبراطور الهند الصالح الكبير ـ بالتعليق من نواح عديدة و يدلنا على تاريخ الرسائل الملوكية و مبادئها و مناهجها في الهند ، و يحللها تحليلا دقيقا مما يزيل الشك ، و يمحو كل ما يخالج قلوب كثير من أبناء الإسلام أنفسهم ـ من سوء الظن به فيما يتصل بحربه ضد إخوانه ـ فضلا عن الأجانب.

٧- "رقعات عالمغير" للأستاذ نفسه.

٨- " الثقافة الإسلامية في الهند " للعلامة الشريف عبدالحئ الحسني وكيل ندوة العلماء الأسبق : عرض شامل للجهود المكثفة التي كرسها أبناء الإسلام في الهند على إنعاش العلوم الإسلامية المختلفة ، و لاسيما علم الحديث و الفقه و الأصول ، و الأدب و الشعر، و عن الانتاج العلمي الذي خلفوه و الثروة الحافلة التي أضافوها إلى مكتبات العالم، تقرأ فتقف حائرا مدهشا أمام الانتاجات العلمية و الثقافية القيمة التي حققوها و بذلك فالكتاب يسلط أضواء ساطعة على دولة العلم التي أسسها أبناء الإسلام في الهند، و قد طبع الكتاب المجمع العلمي العربي بدمشق منذ سنوات و نقله إلى الأردية فضيلة الأستاذ ابوالعرفان الندوي ، و نشره المجمع العلمي *"دارالمصنفين"* باعظم جره، يو.بي (الهند)

٩- "ياد أيام" (ذكرى الأيام) للعلامة نفسه في تاريخ ولاية غجرات و علمائها و حكوماتها.

١٠- "ارمغان أحباب" (هدية الأحباء) للعلامة نفسه.

١١- " العلاقة بين العرب و الهند" للعلامة السيد سليمان الندوي في الأردية: يتحدث عن العلاقة العريقة بين الهند و البلاد العربية منذ أقدم الزمان، فقد كانوا يحملون البضائع التجارية من كل من مصر و إفريقيا و الشام و العراق إلى الهند و السيلان و اندونيسيا و الصين و ما إليها ، و بالعكس. هذا ، و الكتاب يحتوي على مباحث ذات القيمة الكبيرة ، و مؤسسة على الدراسة الدقيقة العميقة.

١٢- " الملاحة عند العرب " للعلامة نفسه.

١٣- "بريد فرنك " (بريد الأفرنج) للعلامة نفسه ، مجموع رسائل وجهها من أوربا حين قام بزيارتها إلى الزملاء و المعاصرين، تحمل معلومات و وثائق تاريخية لابد من معرفتها.

١٤- "مذكرات سائح في الشـرق العربـي" بقلم الأستاذ الجليل السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي و هى مذكرات داعية إسلامي كبير عن انطباعاته عـن العالـم الإسلامـي، و ما يـدور فيـه ، و عـن مقابلات و زيـارات و محاضرات و ندوات في رحلته الطويلة التي قام بها فى ١٣٧٠هـ إلى كل من الحجاز و سوريا و مصر و السودان و ما إلى ذلك، إنها دعوة حارة إلى الإسـلام و إلى بناء المجتمع الإسلامي الأفضل في كل من بلاد الإسلام على أسس صحيحة، كما أن فيها روحانية قوية و حيوية دافقة بالإيمان و العقيدة الراسخة. تكررت طبعاته ، و تم نقله إلى الأردية كذلك

١٥- " *اسبوعان في تركيا* " لسماحة الشيخ الندوي نفسه.

١٦- " *المسلمون في الهند*" لسماحة الشيخ نفسه بالعربية كما تم نقله إلى الانجليزية و الأردية.

١٧- " موجز *تاريخ الهند*" للأستاذ السيد أبو ظفر الندوي.

١٨- "*تاريخ السند*" بقلم الأستاذ نفسه

١٩- "*تاريخ كجرات*" للأستاذ نفسه.

٢٠- "*رحلة بورما*" نفس المصنف.

٢١- "*تاريخ بواهر*" للأستاذ نفسه في أخبار "بوهرة" فرقة من الشيعة.

٢٢- " *تاريخ الفقه الإسلامي*" للأستاذ عبدالسلام الندوي.

٢٣- "*تاريخ الحرمين*" للأستاذ نفسه.

٢٤- "*المدارس الإسلامية القديمة في الهند*" للأستاذ أبي الحسنات الندوي.

٢٥- "*المسلمون في الصين*" للأستاذ بدرالدين الصيني الجامعي الندوي ، و هو أول كتاب ـ لا في الأردية وحدها بل في جميع لغات العالم ـ يتحدث في هذا التفصيل و الدقة عن المسلمين في الصين و أخبارهم و قضاياهم فى مختلف أدوار التاريخ.

٢٦- "*حكوماتنا*" بقلم الشيخ عبدالسلام القدوائي الندوي معتمد التعليم الأسبق في ندوة العلماء.

٢٧- "*العالم قبل الإسلام و بعده*" للشيخ نفسه.

٢٨- "*قصة الهند*" بقلم الشيخ نفسه.

٢٩- "*تاريخ الدولة العباسية وإسبانيا*" بقلم الأستاذ عبدالقيوم الندوي.

٣٠- "*تاريخ الإسلام*" للأستاذ نفسه.

٣١- "*أوربا و الإسلام*" بقلم الأستاذ نفسه.

٣٢- "*تاريخ الهند الإسلامي*" للأستاذ نفسه.
٣٣- "*الحكومات المعاصرة*" بقلم الشيخ معين الدين أحمد الندوي.
٣٤- "*أرض القرآن*" للعلامة السيد سليمان الندوي كتاب في تحقيق الأمكنة و البلدان التي ورد ذكرها في القرآن، و كان لها اتصال بالأنبياء و البحث عنها جغرافيا و تاريخيا و لغة و أدبا. و كان من البحوث المبتكرة في هذا الموضوع في الفترة التي ألف فيها.

علم الكلام و ما يتعلق به :

أول بطل برز في هذا المضمار من صف الإسلام في هذه البلاد - كما قال العلامة السيد سليمان الندوي - كان العلامة شبلي النعماني الذي قام بدحض الأباطيل الاستشراقية المضللة على طريقتهم و في أسلوبهم أنفسهم.

و الواقع أن مؤلفاته و مقالاته التي صدرت في ذلك الوقت و أصابت الهند في مقتلها و صميمها لم تكن لتقل - في إنجازاتها و مآثرها - عن الجيش الظافر المنصور فلنقدم أولا كتبه

١- "*الانتقاد على التمدن الإسلامي*" بالعربية، رد على ما ارتكبه القاضي جرجي زيدان في كتابه "تاريخ التمدن الإسلامي" من الهجوم على العرب عامة و على خلفاء بني أمية خاصة، و توجيه النقص و التهم إليهم، و تحريف الكلم عن مواضعه، فتصدى العلامة النعماني لهذه الحملة الدقيقة، بعيدة الأثر، و جاء بما يشرح الصدور و يميط اللثام و يفضح الدسائس في قارعة الطريق. و قد تكررت طبعاته في البلاد العربية و في الهند.
٢- "*مكتبة الإسكندرية*" نفي العلامة في هذا الكتاب القيم الأسطورة الشاسعة عن أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بإحراق هذه المكتبة بحجج تاريخية قوية، و أنه لا أصل لها، و هو من خير ما كتب في هذا الموضوع.
٣- "*الكلام*" بالأردية، و هو طور من علم الكلام الجديد، يثبت به العقائد في ضوء الفلسفة الحديثة و أن الإسلام يشجع على التقدم بأوسع معانيه، و لا يعوقه من قريب و لا بعيد فالإسلام يحوي جميع مايحتاج إليه التقدم، على العكس مما يقوله الملاحدة و من بهرهم بريق الحضارة الكاذبة و التقدم الخادع.
٤- "*الجزية في الإسلام*" ٥- "*حقوق الذميين*" ٦- "*علم الكلام*"
٧- "*نظرة تاريخية على عالمغير*"
٨- "*مرآة اليقين*" بقلم الشيخ محمّد علي المونكيرى رحمه الله من بناة ندوة العلماء. ردّ على المسيحية، برهن فيه الشيخ بحجج قوية دامغة و وثائق تاريخية على أن رجالات العلم في المسيحية أنفسهم يقرون بتحريف الأناجيل، و الكتاب وضع ردا على ما كتبه القدّيس عمادالدين رداً على كتاب "*الإعجاز العيسوى*" باسم "*هداية المسلمين*".

٩- "*مرآة الإسلام*" للشيخ نفسه ، تناول الرد فيه على ما كتبه الأستاذ صفدرعلي في كتابه "*نيا زمانه*" فقد شوه فيه صورة الإسلام ، شرائعه النقية مستندا إلى أباطيل و خرافات لا تمت إلى الحقيقة بصلة ما ، ففي الكتاب براهين داحضة تفند هذه السخافات و الخرافات التي تفوه بها الأستاذ صفدرعلي. و للشيخ مواقف حاسمة في الرد على جميع الحركات الهدامــة و الديانات الزائفــة فصنف كثيــرا ، و سافر طويــلا ، و حاضــر و ناظر ، و فيما يلي من كتبه شرح و تفصيل لكل ذلك.

١٠- "*النشيد الحجازي*" . ١١- "*دفع التلبيسات*" . ١٢- "*البرهان الساطع*" .

١٣- "*الرسالة المحمّدية*" . ١٤- "*البراهين القاطعة*" . ١٥- "*القضاء السماوي*" .

١٦- "*منبع الهدامة*" . ١٧- "*الشهادة السماوية*" . ١٨- "*التحدى المحمّدي*" .

١٩- "*معيار الصدق و الحقانية*" . ٢٠- "*حقيقة المسيح*" . ٢١- "*نزيه الرب*" .

٢٢- "*معيار المسيح*" . ٢٣- "*مرآة فضائل الميرزا غلام أحمد*" يتصل بالردّ على القاديانية. ٢٤- "*القضاء على تنبأ القادياني*" .

٢٥- "*التذكير*" في الموضوع نفسه. ٢٦- "*الدين و العلوم العقلية*" بقلم الشيخ عبدالباري الندوي ، أستاذ الفلسفة الحديثة سابقا في الجامعة العثمانية بحيدر أباد، كتاب يدخل في نطاق علم الكلام الإسلامي الجديد ، و هو عصارة دراسة طويلة عميقة ، أثبت فيه المؤلف أن محاولة التطبيق بين الديــن و العلوم العقلية شيء لاحاجة إليه ، فان التوفيق بين الشيئين يحتاج إلى سابق اصطدام و تعارض بينهما و ليس شيء من ذلك ههنا ، فان أحدهما يسير في طريق لا عهد به للآخر ، فأنى الاصطدام ؟ و ما معنى التناقض يا ترى ؟ ... و يمتاز الكتاب بإقناع الأذهان الجديدة و بعثها علــى الطمأنيتــة و الراحة ، و حتى يومنا هذا - و قد حلت العلوم الطبيعية محل الفلسفة - لاتزال له نضارة و طراوة و أهمية ، و قد نقله الأستاذ واضح رشيد الندوي رئيس تحرير صحيفة "*الرائد*" إلى العربية.

٢٧- "*الدين و العلوم الطبيعية*" في الأردية للشيخ نفسه، يبحث في العلاقة المتفاعلة بين الفلسفة الحديثة و القديمة و الكلام و علوم الطبيعة، و يثبت الحقائق القرآنية في ضوء الاكتشافات و الأبحاث العلمية الحديثة مدعمة بعرض أقوال و مقالات و مصنفات كبــار علمــاء الطبيعــة و رجالاتهــا و دراستها دراسة شاملة تحليلية عميقة.

و للأستاذ كتب أخرى تتصل بالموضوع ، أمثال :

٢٨- "*حديقة النفسيات*" . ٢٩- "*مقدمة ما بعد الطبيعيات*"

٣٠- "*الطريق و التفكرات*" . ٣١- "*الفهم الإنساني*" .

٣٢- "*الفلسفة النتائجية*" . ٣٣ - "*بشرى*" بقلم العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي ، فندّ فيه بعض الاعتراضات الركيكة التي تثيرها المسيحية ضد

الإسلام حينا لآخر ، تفنيدا يقوم على دراسة عميقة كما هو العهد بهذا العلامة البحاثة في جميع كتاباته و أبحاثه.

٣٤- *"النبي الخاتم"* لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي ، بحث قيم يقدم وجهة جديدة للعقل و النظر، فهو حصيلة مشاهدة و دراسة طويلة ، و قد تم تاليفه بعد أن صدر الحكم الحاسم بكون القاديانية أقلية غير مسلمة، بذل المؤلف فيه الجهد في سبيل إنهاء هذه القضية عقليا و فكريا كما ختم عليها إلى الأبد باصدار الدولة الباكستانية الحكم رسميا و سياسيا ، من مزايا هذا الكتاب البارزة أن كل قارئ محايد يتفاعل مع الكتاب في بحوثه و محتوياته.

٣٥- *"القادياني و القاديانية"* بقلم سماحة الشيخ نفسه ، بحث علمي رزين جاء في القاديانية ، اجتنب فيه عن طريقة الموعظة و المناظرة . و استخدم الأسلوب اللطيف الخفيف ذى الرصانة و المتانة و النزاهة و الأمانة ، و قد أحدث هذا الكتاب اضطرابا و قلقا شديدا في أوساط القاديانية ، و كتبت الجريدة القاديانية الشهيرة *"الفضل"* الصادرة من لاهور تعليقات حول هذا الكتاب في ثلاث حلقات ، اعترفت بأنه لم يصدر أى كتاب في ردّ القاديانية مثل هذا الذى يقام له الوزن الكبير. و قد أدت طبعات هذا الكتاب الإنجليزية في باكستان نفسها و في إفريقيا و أوربا ، دورا كبيرا هاما.

٣٦- *"الأركان الأربعة"* لسماحة الشيخ نفسه ، نسيج وحده في موضوعه بحكم الدراسة العميقة الأمينة، الشاملة لكتاب و السنة و مجاميعها و دواوينها، تكررت طبعاته في العربية و الإنجليزية و الأردية و التركية و غيرها.

٣٧- *"النبوة و الأنبياء في ضوء القرآن"* للمؤلف نفسه.

٣٨- *"التربية الإسلامية الحرة"* .

٣٩- "تسخير *القمر كما يراه القرآن*" للأستاذ شهاب الدين الندوى. أثبت فيه بدلائل قوية أن تسخير القمر بل الكون كله ليس بمستحيل و لا بشيء يبعث على العجب.

و للأستاذ كتب أخرى في أمثال هذه المباحث الحديثة مثل:

٤٠- *"الإسلام و العلم الحديث"* .

٤١- *"أسرار النبوة"* . ٤٢- *"القرآن و العلوم النباتية"* .

٤٣- *"القمر و القيامة"* . ٤٤- *"تخليق آدم"* .

٤٥- *"دين الرحمة"* بقلم الشيخ معين الدين أحمد الندوى ، بالأردية.

٤٦- *"أفكار و آراء مولانا عبدالله السندهى"* في الأردية للأستاذ مسعود الندوى.

٤٧- *"تصحيح العقائد"* للأستاذ رئيس الأحرار الندوى.

و للبحث صلة .. ..

مصادر الاحتجاج في رواياتي

بقلم: ملك راج آنند

الدراسات العديدة التي أجراها الباحثون لرواياتي عبر السنوات الأخيرة قد أكدت الحقيقة التي حاولت إظهارها في كتابي APOLOGY FOR HEROISM (الدفاع عن البطولة) و هو يتناول أفكاري عن تلك الحقيقة ، و كذلك في رواياتي التي هى من قبيل السيرة الذاتية، و تلك الحقيقة عبارة عن تواجد ارتباط ملموس دائما بين حياتي و كتاباتي.

هذا و قد وصف بعض النقاد تشبثي بالعرض الواقعي لحقائق الحياة بأنه أيدولوجيي، و هم من مجموعة المفكرين الأكاديميين الذين يوجد لديهم ادمان على استعمال مصطلحات مثل الكلاسيكية و الرومانسية و الواقعية و الطبيعية التي تساعدني التحليل التجريدي للحياة، و هم في كثير من الأحيان يتجاهلون ضغوط الحياة البشرية و دوافعها على وعي الكاتب و التي قد تنبع من المصادر المتفرقة للاستيحاء في الرواية و خاصة في تطوير الشخصيات و تتبع العوامل المؤثرة فيها و ذات صلة بالعقائد و الميزات المتنوعة الانفرادية. إن فوضوية المشاعر و الأحاسيس غير واضحة في الطبيعة، فالعواطف تكون منسوجة في نسيج حكاية روائية بدوافع لا يمكن التحكم فيها، و لذا فان كل رواية ترغم على تفسير داخلي.

هذا و لا ينبغي تقييم رواياتنا على أسس المعايير الخارجية لمبادئ النقد و التي أسست على تقاليد الرواية التي نشأت في الغرب في القرن الثامن عشر، و يجب على مفسر الرواية لعصرنا أن يشعر باللا وعي الجماعي لشعبنا و أنعزاله عن الثقافات الشفهية الموروثة، و هكذا فان النقاد يستطيعون تقييم رواياتنا بإبداعية أكثر حيث سيتوصلون إلى مصادر تأملنا العميق فى الأوضاع الإنسانية الحقيقية بدلا من تقييمهم عن طريق النظريات المجردة التي لا تنتج الروايات.

و قد ظهرت مقالات نقدية رائدة من هذا النوع عن دراسة مصادر الإبداعية لدى الروائيين و الشعراء في الغرب و منها ما كتبه ادمون ولسون

(EDEMUND WILSON) في *الرح و القوس*(The wound and the Bow) و د. هـ لارنس (D.H. LAWRENCE) في *دراسات في الرواية الكلاسيكية الأمريكية* (Study in Classical American Fiction) و جون مدلتون مورى (JOHN MIDDLETON MURRY) في *ابن المرأة* (Son of Woman) و جورج لوكالس (GEORGE LUKALS) في مقالاته حول توماس مان (THOMAS MANN) و ايدوارد طامسن (EDWARD THOMPSON) في رابندرانات طاغور، و لعل هذه الأمثلة قد أصبحت منسية لدى نقادنا الذين ينتمون بدون وعى إلى الفئة التى قد وصفهاجين بال سارترى (JEN PAUL SARTRE) بأنها تكون دائما في علاقة غير مرضية مع أزواجها و هن ينتظرن لهم على مأدبة العشاء إذ أن هؤلاء النقاد لا يكفون عن قراءة الأدب الكلاسيكى و تحديد فئات لتقدير كل نزعة خيالية و كل إحساس و فكرة. و معظم النقاد الذين كتبوا حول رواياتى لم يلاحظوا أن قصصي تنشأ من دوافع الحياة و إنني أعرض تلك الدوافع مرة و أخرى، و هم يعالجون رواياتي على أساس تاريخ طباعتها و على أساس النظام التاريخي الإنكليزي الرائج الذي يعطي الأهمية للنص فحسب، و إذا كان النص يكشف الرجال و النساء في أزياء دنسة مع الأيادي الوسخة و الوجوه المبتلة بالعرق فهم يستحقون الكراهة و الاشمئزاز لديهم. و قال ايدوارد جارنيت (EDEWARD GARNETT) " *إننا نحن الإنكليز لا نود أن تدخل شخصيات في الخرق الباليــة فى غرف استقبالنــا*" و هكذا يشعر هؤلاء النقاد عن الروايات التي تعالج الجانب القذر للحياة.

إنني بصفتي كاتبا قمت باحتجاج واع لأول مرة عندما جئت من BLOOMSBURY حيث سمعت الناقد EDWARD SALKVILLE WEST يعلن. " *لا يمكن أن تقوم بكتابة جدية عن الفقراء ، و هم صالحون فقط للكوميديا، كما في ديكنز* " *أن الكلب لا يمكن أن يكون موضوعا للأدب*".

كنت أنذاك أكتب *المنبوذ* و قد غادرت لندن و ذهبت إلى "*سابرمتي أشرم*" لغاندي عام ١٩٢٧م ، و تعلمت هناك شيئا من الإخلاص و الصدق و البساطة، و بما أن المهاتما أرسلني إلى جماهير الشعب تميز احتجاجى على حالة البشر تحت وطأة الإمبراطورية و أيضا في بيئة انحطاطنا بالوعي الذاتي قبل أن أكتب مزيدا من الروايات، فقمت بفحص مستمر لضميري على ضوء تجربتي المباشرة للعيش مع رجال الأرياف و سكان البلدان الصغيرة و الكبيرة و تجربتي لمآسات الحياة و كفاحاتها.

و هذه التجارب أصبحت إذاً خزانا أخذت منها ما أخذت من مواد و موضوعات لرواياتي مع الأمل بأنني سأحول خام المواد للحياة بسهولة إلى أشكال قابلة للنقل و الإبلاغ بدلا من القبول بقالب الشكل الموضوعي الجامد لـ FLAUBERT. هكذا فان رواياتي بصفتها شخصية تقوم على تجاربي، و قد كتبتها " *أنا* " مع بعد من نفسي و من الشخصيات الروائية. و ربما تبدوا هذه الروايات في بعض الأحيان بدون شكل و تنظيم، و فى هذه الروايات تبدو

المشاعر الغير مدركة للشخصيات و عواطفها كأنما في حالة فيضان، الأمر الذي يحدث عندما يحاول الروائي مراقبة الحياة البشرية ما يوجد عند BALZAL و TOLSTOY و PROUST.

كان قصدي أن تكون رواياتي مختلفة عنها لغيري و يكون فيها انحراف عن الطبقة العالية و المتوسطة لروايات طاغور و تمنيت تسلية الجماهير التي كنت أعرف عنها عن قرب من العمال و العناصر المتعرضة للقمع و الظلم و العسف و التي نادراً ما نالت أي مكان في أدبنا باستثناء كتابات سرد شترجي و بريم *تشاند* و بيبهوتي و *تارا* شنكر و *مانك* بنرجي.

و كنت قد أدركت بعد إقامتي في *سابرمتي آشرم* بأنه لا يمكنني أن أقف وحيدا و كنت دائما أنظر إلى السماء حيث يعيش الآلهة إذ أنهم كانوا محتجبين وراء الشفق. غير أنني كنت وجها لوجه مع البشر خاصة من كانوا ذوى خدين فارغتين و عينين مدوختين و النسوة التي كبرن سنا من خلال أعمال شاقة و أرغمن على تربية الأطفال قبل إدراكهن سن البلوغ و الأطفال العراة مع البطون المنتفخة و العيون المتضخمة و المتسولين الطالبين الصدقات - عماتي الأرامل و أعمامي السكران و الشرطيين الكبار و البتهان الخائفين من الأفرنج و العاملين للبنادق و في الواقع رجال و نساء في عالم قد تحول إلى عالم العبيد. و إن *داريدفا ناراين* أو تجسيد الإله كان العنصر الجوهرى للعبادة. و في كفاح الظهور الذي كانوا جميعا جزء منه فإن كل اتصال أحدث شعور القداسة، و هكذا قد ظهر نوع جديد للدين في رواياتي - دين للمحبة للناس - و عبادة كل شخصية أصبحت عاطفة وراء الكتابة، فقبلت كافة جوانب القوة و الضعف في شخصية الإنسان و لعل التقمص العاطفي للإنسان يساعد على تعلق شديد مما يمكّن الروائي من البقاء في داخل نفسه و في الوقت ذاته مع غيره و هذه علاقة شاملة ذات طبيعة خاصة.

و بما أن العلاقة بين الكاتب و غيره كشفت عن فزع ظاهرة عدم التكافؤ التى استغلها الأعلى لاقتراف القساوة في حق الأدنى جيلا بعد جيل إما عن طريق التمييز النسلي أو قوة الحاكم ضد الرعية أو الكهنة مع تعاملاتهم المتصلبة جعلت نفسي حليفا لنزعة البشر لتحرير نفسه عن طريق الهمس بمشاعر التذمر أو التنهد في حالة شبه النوم أو أعمال العنف و غير العنف. و هكذا أشعرت بألم الحياة التي حُرمت منها العناصر الضعيفة على يد العناصر القوية لجماهير الشعب. و إني اعرف الآباء الذين استعبدوا نساء بفرض اعراف اعاقت حريتهن وراء سجن الحجاب أو شبه الحجاب كما أعرف الجهل الشائع لدى العناصر المحرومة من الامتيازات التي كفّرت عن شقائها و تعاستها بتنظيم اغتيالات طقسية و الاحتفال بها. كما كنت أعرف بتعاسة الأغنياء الذين كانوا يتخوفون دائما من إمكانية خسارة ثروتهم الدنيوية. و كنت أعرف كذلك بالدولة الإمبرالية مع ألهتها و إلاهاتها و جورج الخامس

و الملكة ماري. فتخليت عن نظم الفلسفة و بعد نوم مضطرب كنت أتيقظ كل صباح لكي أشهد كيف أن الرجال و الناس يفزعون من غيرهم من الرجال و النساء و كيف أنهم ينحنون أمام الحكام البيض و طائفة الدائنين و المسئولين. و كان هناك ملايين من السناء المحرومين من الوراثة و كانوا يأكلون وجبة واحدة فقط كل يوم. و إذا كنت غير قادر جسديا لمسح كل دمعة من كل عين كما ناشد غاندي جي فشعرت بأنه بإمكاني أن أخرج ألف صيحة لإيقاظ الناس و تحريرهم من النوم الثقيل، و بما أن كل عبادة يؤديها سواد الناس كانت لصنم و هم ميت شعرت بأنني أستطيع أن أخلق نفسي و غيري ممن قد باتوا رزمات لأنظمة فاسدة و ألعوبة صبيانها تحت معاناة من المواسم العديدة للسعير تحت حكم *اليامان* و ينظرون إلى عيون الآخرين لكي يشهدوا النور في الابتسامات. إن التأمل في الذات و النظر في الخارج إلى العالم الفوضوي هو الذي يخلق النضج الروحي و المعنوي في البشر، إن الفرع من الذات يمكن التغلب عليه بالتساؤل كل يوم. من أنا ؟ ، من أين أنا ؟ ، و أين أذهب ؟ إن علّي أن اعترف بهويتي كهندي و ليس كتابع للحكام البيض، و يجب علّي أن أكون إنساناً بدون مساعدة من آله مجسم. و علمت بأنه من الصعب أن أكون إنسانا حرا من كل المخاوف و لكن وجدت في نفسي اندفاعا قويا لتحرير نفسي و غيري على الصعيد العاطفي للتخلص من الأوهام.

و بما أنني شعرت بنزعات غير متماسكة عديدة في داخل نفسي في أيام النشؤ أصبحت واعيا بأمور كانت وراء التقاليد و الاعراف من خلال تجربتي اليومية للشقاء الإنساني و ألم الحياة. رأيت مندالة الإله لوالدتي كانت عليها تماثيل الجورونانك و كرشنا و أغاخان و يسوع المسيح و حية منقوشة على لوحة معدنية فتساءلت عن تلك التماثيل و لم أجد إجابة على اي سؤال إلى أن أخبرني والدي بأن أسلافنا قد صوّروا الرعد و البرق باندرا و السماء في فارونا و الشمس في سوريا لقد مضت تلك الفكرة الكونية السامية لعصرنا. و لكن رغم كل التفسيرات عن أصل الآلهة فان الإله الذي كان يحمل لحية طويلة و يجلس على قمة السماء و الذي يؤمن به معظم الناس مازال يراود ذهني الخائف، و لذلك عندما توفي ابن عم لي و هو يناهز تسع سنوات فقط بمرض السل كتبت رسالة احتجاج إلى ذلك الإله في السماء سائلا إياه: *لاي سبب أخذت بعيدا عني ذلك الطفل الصغير الذي لم يرتكب أي خطأ* ؟.

ـ قد لاحظت أنه من بين زملائي في اللعب كان هناك أولاد و بنات يعتبرون متفوقين إذا كان أبواهم من ملاك البيوت الكبيرة و سافلين إذا كان أبواهم من الرجال الذين يسكنون الأكواخ الرديئة، و كان أبوانا يطلبان منا الاستحمام بعد لعبنا مع سكان تلك الاكواخ إذ أننا ربما قد لمسنا المنبوذين. و في البداية علمت أننا من المتفوقين بحكم انتمائنا إلى طائفة كشاتريا و كان البراهمنة فائقين منا و طائفة فيشيا التاجرة أدنى منا شيئا و غيرهم ممن

لاينتمون إلى هذه الطوائف أدنى بكثير. و إن قسوة هذا النظام الموضوع من قبل الإله أصبح واضحا لدينا عندما أخذني *باخا* و هو ابن كنـاس إلى البيت و رأسي مجروح بسبب إصابتي بحجر على سبيل الاتفاق، فسبّته والدتي لكونه قد أخذني إلى البيت و لمس جسدي و جعلتني استحم على الرغم من نزيف الدم. و مازال هذا الحادث الصغير يتشبث بذهني و أصبح انفعالا من أجل العدالة ضد العادات القديمة للتمييز الغير الإنساني ضد المنبوذين، و هذا الانفعال تحول فيما بعد إلى احتجاج قد ظهر ضمنا في روايتي المطبوعة الأولى *المنبوذ* الذي اعتبر النموذج الأولى لرواية الاحتجاج في العالم الجديد الناشئ من النظم الميتة البالية التي يفترض بأنها قدّرت من قبل الإله الأعلى. و إن معارضة فكرة الأعلى و الأدنى أصبحت تتشبث بفكرتي قبل أن قرأت ماركس بكثير.

كما أصبحت واعيا بمظاهر الشذوذ في أسرتي، فكان والدي ينتمي إلى جالية النحّاسين بمدينة امرتسار الذين كانوا اشتغلوا في بناء المعبد الذهبي لعدة أجيال و كانوا يصنعـون الأواني. التحق والدي بمدرسة مسيحية و بعد اجتياز الصف العاشر انضم إلى الجيش البريطاني الهندي و شغل وظيفة كاتب. كان والدي يمارس عادات و اعراف جالية النحاسين حتى عندما كان رئيسا لمنظمة *آريا سماج* المحلية. و في الجانب الآخر إنه كان خادما للضباط الإنكليـز. و كان قد صار عقيدا زائـفا و كان اعتبـر جورج الخامس إلاهـا له و رازقا لعائلته. و مع أنه كان قد درس الآداب العالية للغرب اتفق على الزواج المرتب من قبل الأسرة و تقليد المهر لابنيه الكبيرين اللذين زواجهما قد حال دون مواصلة الدراسه و أرغمهما على أن يصبحا جزأً لجالية عمال المكاتب الذين كانوا يستخدمون من قبل الحاكم الأجنبي لإنجاز الأعمال الروتينية لإمبراطوريته.

كانت حفلات العرس تبارك من قبل البراهمنة وفقـا للطقوس الفيديـة و منها إحراق السمن الجيد لطرد الأرواح الخبيثة و كانت الأدعيـة ترتّل بلغـة لم تكن مفهومة حتى لدى الكهنة و من ضمن تلك التقاليد كان من الضروري أن تكرّر كلمات رائعة و فخمة و ما كان الهدف من ذلك إثارة الأفكار و إنما كان إدامة تفوق طقوس العبادة.

و ذات مرة عندما كنت طفلا أغمي عليّ، حينما رأيت معزا يذبح في معبد *كالى* حيث كانت والدتى تأخذنى من حين لآخر، و لم أتغلب أبدا على هذا الاشمئزاز تجاه تلك العملية للذبح و القتل، و إن كراهتى لبعض التقاليد البالية نشأت من رأفتي تجاه الكائنات الحيّة و أصبحت أشعر بأن الكلمات الحيّة للكتابات الإبداعية لا تلهم بتكرار بعض الكلمات الرنانة و إنما بنضج لتبصر في داخل النفس و عن طريق تجربة الألم و الحرارة التي تحصل من العطف.

و الحادث الذى صرفني عن إعجابي بالضباط الإنكليز لم يكن ما يعبأ به و هو يتلخص في أنني ذات يوم سلمت على ضابط مساعد للفيلق الذي كان ينتمي إليه والدي و أصبحت أحدق في شخصه أشباعا لفضولية، فضربني الرجل بصولجان و ذهبت باكيا إلى والدي و لكنه لم يقل شيئا بل وافق على العقوبة التي لاقيتها بناءً على جريمتي للنظر إلى الضابط المساعد

و بعد ذلك في ابريل عام ١٩١٩م عندما أعلن الإنكليز بحكم الشرطة في مدينة امرتسار لقمع الاحتجاجات ضد ما يسمى *قانون رولات* الذي حظر على تجمع أربعة اشخاص في أى مكان خرجت من البيت لكى أعرف ما هو نظام منع التجول فاذا بشرطي قبض على فقضيت الليلة مغلولا مع كثيرين آخرين. و في الصباح التالي ضربت سبع ضربات بالصولجان من قبل شرطي هندي حسب تعليمات صدرت عن مراقب هندي ـ انجليزي للشرطة ـ ، فصرخت بشدة الألم إلى أن جاءت والدتي فأنقذتني و هى تنبش شعرها بغضب أمام الضباط الأحمر الوجه و لم أنس أبدا نوبة غضبها مع عجز واضح أمام البوليس. و عندما رفض والدي أن ينظر إلى الرضات على جسدي ازدادت مشاعري للعصيان ضده و ضد الحكم الإنكليزي و تيقنت بأن الجيش و البوليس و القانون أدوات هندية لآلة كبيرة تفترس و تلتهم النفوس البشرية في الامبراطورية الانكليزية.

ثم بدأت حضور اجتماعات الإرهابيين الذين كانوا يعتزمون لتصفية جميع من أشعلوا نارا لحرب ضد الشعب الهندي المسالم و قرروا إلقاء القنابل على العناصر المستبدة.

و بما أنني كنت ضعيفا للغاية غير قادر على إنجاز عمل بطولى أصبحت مصغيا إلى رسالة عدم العنف للمهاتما غاندي الذي كان يتحدث عن ضرورة التضحية بدون إراقة دم و احتمال ضربات العصى من الحكام، و كنت أشعر بالظلم المتفشي من وراء جدار غير منظور بمنع الآلهة في البهو الابيض (White Hall) من الاستماع حتى بصوت الخفيف للمهاتما. بالإضافة إلى هذا كان هناك رجال يبشير الذين يعملون على نشر الاخلاقية المسيحية، و لكن الحكام كانوا تماثيل مشحونة للقوة الأوتوماتيكية فارغة بداخلها، بينما الحكومة كانت تمثل ظلما منظما بحرابات البنادق و الرشاشات، و معظم المواطنين قبلوا هؤلاء الناس الفارغين كأسياد لهم مادام أنهم تلقوا العملات الفضية الحقيرة في نهاية كل شهر

إن التعبير البدائي بما في ذلك استعمال الكلمات البذيئة و النعوت و الفقرات العديمة الترابط في رواياتي حول الطوباتيه المفقودة للصعولة يُظهر أن الناس كانوا أبقوا حتى شي. من شعور الكرامة حيث رأوا أن اغتصاب الأم أو الاخت عمل مهين.

و هكذا من عزلة الشخصيات الرئيسية لرواياتي مع مغامراتها

المتشائمة في الحرية قد عرضت في التراجيديات التي ليست واقعية و إنما هي مسرحيات تعبيرية للكفاح بين الطموح الشعري للأبطال للظهور من أعمال الانحطاط من أجل استرداد تراثهم البشري. غير أنني لم أعرض الأبطال الجدد عن قصد في عالم تقليدي و إنما قد عرضتهم في زيّ الاستعارات، و وضعتهم في اطار التجربة الشخصية في عالم محدود الزمن. و إنهم قد يصيرون رموز الكفاح و يبدون فيما بعد كشخصيات وهمية جديرة تمثل الشباب الطامحين للحرية مقابل الفكرة القائلة بأن مصيرهم قد حدد قبل ميلادهم و لكنهم ملائكة يكافحون عند الفجر.

رواياتي إذن عندي دوامات حيث تمكنت من اللقاء مع أفراد في حالة فوضوية يتميز بعضهم من بعض وسط الاختلاط. و في كل رواية قد رجعت لتمييز بعض الناس في حشد غير متميز، و في تمييزهم عن غيرهم كان هناك نوع من التفكير عن ضميري الذي يحترق بسبب معاناة رجال و نساء. و في كتابة كل رواية يتمثل جهد للتعايش مع الآخرين مع إبقاء شخصيّ المتحيز في مجال الحرية أي الحب. و إذا كانت حياة كل فرد على صلة القرابة مع حياة غيره من الأفراد و مع ذلك تبقى سرا فريدا حيث تلمس لمعات عنها، فان كل إنسان إذن إله أو آلهة و إن كل عمل للإهانة أو الاستهزاء أو الحرمان أو النيل من الكرامة يجب أن يقابل بالاحتجاج، إذ لا يمكن أن نكون إنسانا إلا عن طريق المحبّة و بمجرد الدفاع عن المكانة السماوية للانسان نجد السبيل لإنهاء عزلة الناس بعضهم عن بعض و التي أورثها الخوف و الخلافات التافهة و تشوش العقول الغبية التي تحتشد كما تحتشد الأشباح و العفاريت ليلا.

إن مسئولية الرحمة قد تحملها أكثر الناس حساسية في كل جيل.في وطننا مما قد سببت الراحة في كل عصر و قرن، إذ أن الرحمة بجوهرها عبارة عن الحب و قد حاولت إنقاذ هذا الحب ... حب الحياة في كل شكل ...من الكراهة التي موت للحب. و بهذا المعنى يشغل الحب مكانـــة الإله و يتحـــدى الظلـــم و الجناية و الخدع و الكذب و قتل الروح و الجسد بكافة ضروبه و أشكاله و هكذا يغدو غضبا مقدسا و إن احتجاجاتي و تعبيراتي تنطلق من هذا الغضب المقدس.

و لما كان الحب يمثل جوهر العلاقات الإنسانية باعتبارها الاحتياج الأول للإنسانيـــة رجلا و إمرأة حيث يعتمد عليها التنـــاسل و تأتي منهـــا الأســـرة و الفئة الاجتماعية و أيضا الدولة لابد لنا أن نرى كيف أن الرموز و العلاقات و المحرمات القديمة قد بقيت و قبلت أثناء تطور الحياة كعوامل موجهة خالدة باسم التقاليد، ذلك لحد أن الكلمات و التماثيل التحذيرية التي كان لها أن تقدس و تحتفظ بالعلاقات الإنسانية قد أسيء استعمالها و إن الحياة غدت فداء باسم الديانة. و لهذا السبب صرخ الشاعر اقبال من أعماق انحطاطنا الخلق في السنوات الأولى للقرن الجاري فقال:

أقول لك قول الصدق أيها الناسك
إن أوثان معبدك قد باتت قديمة بالية

و لذا فانني في رواياتي التي تسعى لإنعاش العلاقات الإنسانية بكافة ما لها من تعقيدات و مضاعفات و قد اضطررت لأكون واقعيا ، فقد حاولت أن أجرب حقانية الحياة وأصدق إليها آملا بأن يكون كل يوم يوما جديدا للسعادة مع شمس جديدة و قمر جديد و مع شعب جديد يرث الأشياء الطيبة للماضي و في الوقت ذاته يتطلع للمستقبل. و ربما كان هذا يعني التيه في المتاهات، و لكن المرء يستطيع أن يميز وجهه و وجوه غيره ليس عن طريق العبودية للتماثيل الجامدة و إنما عن طريق التجربة المباشرة للرجل و المرأة و عن طريق دين معتمد على الحب.

و لم أقصد أن يكون أشخاص رواياتى صيغا منقحة للرموز الخرافية القديمة للملاحم و أعتقد أن الإنسان يتغير في كون متغير و لو بدرجة غير ملحوظة، و لذا فان الشخصيات الأسطورية مثل سيتا و ساوترى و راما ليست من نوع خالد كى يمكن تكرارها في تجسيد جديد. فأشخاص رواياتى عناصر إنسانية من عصر تاريخى مختلف ليس بعالم غير متغير للتقاليد، و هى تكافح في هذه الحياة على الأرض هنا و هناك و بين الفينة و الفينه و لو أن كفاحها ينتهي بالخيبة أو أنها تتملس طريقها في الظلام ثم تظهر هنا و هناك من خلال تأملاتي الجديدة و تكشف عن محيط الكون الذي مازال غامضا و كان في الماضي يحدد بالخوف ولكنه يكتشف اليوم بالمغامرات في السماء و الأرض.

و أوهامي الجديدة أيضا تطمح لبعض الحقائق في دين البشر، و كل حادث يؤدى إلى إدراك جديد لاستمرار الزمان و المكان، و الكاتب و الفنان يبحثان دائما عن أساطير جديدة للفرار من الحقائق الجامدة القديمة، و لكن التغيرات في الأسلوب في الفن و الأدب تكون نتيجة لأزمة الإبداع عندما ينبذ الرجال والنساء الرموز القديمة الميتة بخلق أساطير جديدة في بحثهم عن الحرية للنمو و تجديد الشخصية المنهكة. فالتجديد عمل خالد و إلا فان الناس سيبقون موتى في الحياة. و النهضة مشعرة لكافة العواطف البشرية في الحرية لكى تنمو و تصل إلى الوعى الأعلى.

و فضلا عن الاحتجاج باسلوب الاستعارة على المأزق الإنساني في وقت فشل فيه الآلهة يوجد عندى إظهار قوي للأمل الذى يتغلب على اليأس القائل بأن الدولة المنليثيه قد تنهار يوما ما نتيجة تعطلها الميكانيكي.

و أعتقد أن الحرب هى تضحية نهائية يقدمها رجال ذو قوة و يواجه الموت فيها كل من المنتصر و المهزوم و هى حكم للمصير الإنساني.

إن تجريد الإنسان من الصفات الإنسانية يصل إلى مرحلة التمجيد في الإخضاع المسلم للناس و إن القسوة و البربرية الممارسة من قبل قوة مطلقة

و التي جعلها الأمراء السابقون على اختلاف انواعهم امرا مقدسا قد لا تكون مقبولة لدى من كانوا عبيدا فيما سبق و يمرون الآن بمرحلة لليقظة و إن التضحية بالآدمية قد لا تستمر للأبد.

إني اعترف بأن قليلا من الناس ارتفعوا إلى مرتبة الإله في عصرنا الذي هو عصر العبور و الاجتياز، و الإنسانية بصفة عامة تواجه العنف المؤسسي للدولة العصرية التي تمارس السلطة المطلقة حتى عندما تعترف بحق الشعوب للمشاركة، و في هذا الوضع يخفق كل مصلـــح إذ أن الدولة تأبى أن تتـلاشـي و تضمحـــل و هكذا تعود السلطـوية الممارســة من قبل المصـريين و الروميين و الصينيين و الاقطاعيين الهنود و تكون السيطرة للنعرة الفاشية مثل البطريريكية القديمة و هي *الاعتقاد و الامتثال والقتال* و الدكتاتورون الجدد يقيمون تماثيل العدو و يعلنون حرب لازر ضد أعدائهم و يطلب التضحية الدموية لجماهير ضد جماهير أخرى من قبل القياصرة الجدد و إن الحرب فقط تعطى الفاتح البربري قلب الإله سواء كان ذلك على حساب نفوس الجماهير بالجملة.

إن إخفاق المثاليين الجدد هو أنهم يتميزون بكياسة مفرطة تمنعهم من رفع صوت الاحتجاج و هم لا يرغبون في تضمين الرواية السياسية قضايا الإنسان التي تشمل العزلة السياسية و الاجتماعية و النفسية.

و مما لا يشك فيه أحد أن الفنون الإبداعية تعكس الحياة في مرآة و لكن مرآة مقعرة أيضا تعتبر مرآة و إن أحدا لا يتحدث دائما مع وجهه في المرآة، فالمرآة في مكان رجال آخرين و إن أحب نارسيس لنفسه يجعله يشعر بأنه إله و لا يعترف بكون غيره من الناس أقارب له فهو وحده هو ذاته و عظمته بمعنى أنه قد أصبح إلاها قديرا و لذا إنه لم يعد إنسانا.

إن الروايات عن الإنسان تتطلب أن يكون الروائي و غيـره من الرجـال و النساء و الأطفـال في دوامة حيث توجد نزوات متعـارضة و ميول متنازعة و شكوك و هواجس متضاربة بما يجعل الحياة نهرا يتدفق حينا و يمسك في دوامة في حين آخر ثم يفيض في شكل موجات نحو البحر. و كل إنسان باعتباره فردا من الأفراد يأتي بثقافته و رغباته الداخلية و المكبوته لكي يعبر عن نفسه عن طريق إشارات و أحاديث و مواقف منقطعة، و إن وهمه الشخصي يتولد من الحقائق و الأوهام و إن رواية تتضمن عناصر غير محددة و غير نهائية و إن النزوات المتعارضة تعكس الارتباك. و إذا قام الروائي بتحرير شخصيات الرواية و هي تتولى مسئولية مصيرها فالرواية قد تطلق مشاعرهم و أحاسيسهم الداخلية و تزيل القيـود المفروضـة مـن قبل الديـن أو الدولة و تكشف ما تواجهه هده الشخصيات من مأزق و ورطة من شأنها أن تزيل ألم الوعي و مذهب بها إلى السمو الذي يتحقق في حالة الانجذاب الصوفي.

و القارى إذاً يقول أحيانا كثيرة عند قراءة رواية حقيقية: " *اوه* " أنا أيضا أشعر مثل شخصية *أبديت* أو *ناناشا* أو هوري لروايات دوستوفيسكي أو تولستاى أو بريم *تشاند*.

إن الفراغ الذي تتسم به التصريحات التقليدية قد أعطت المكان فعلا لشعور الإنسانية في الروايات الهامة لعصرنا، ذلك عن طريق تحرير حب الحياة ضد الموت، فالرواية الإنسانية تتحدث حديثا حيا و كثيرا ما في حالة جنون عاطفي و من أعماق الروح لأجل التعبير عن نفسها، و هكذا فان الرواية الجديدة تطرد الشواذ و مظاهر الفزع من الجحيم الموجودة على الأرض و التي صنعها الناس بعضهم للبعض. و كان سارتري على صواب حينما تحدث بشكل رمزي *إن الجحيم لغيرنا من الناس*

الحقيقة إن الرواية تريد استمرارية العالم و مطالبة بأن تعبر عن نفسها بتراكيب عير بسيطة ومنظورات غىر واضحة و مں نزوات غير جلية لمن يريدون كسر أغلال العبودية المفروضة من قبل الماضي، وهى مستوحاة من ميـول قوية لحريـات كثيرة يعيقهـا عفاريت القـوة و هى معارضـة للإهانة و الإساءة و الخداع والكذب و الرياء و العار و الاغتيال و كافة الجرائم اا ي تقدمها العناصر الظالمة للعالم.

خلاصة القول إن رواية الاحتجاج تمثل مصدرا لتجديد النفس الإنساني.

تعريب. د/ زيبر احمد الفاروقي

الشروح العربية
لصحيح البخاري
في الهند

بقلم: د / عبدالباري
استاذ جامعة عليجره الإسلامية

إذا استعرضنا المؤلفات العربية للعلماء الهنود في نشر العلوم الإسلامية إفهامها في الهند ، وجدنا ثروة خطيرة من أوائل العهد الإسلامي. هناك إضافات قيّمة في علوم الحديث و خاصّة في تاليف الشروح. و لكن الحقيقة التي لا تنكر أن علم الحديث نال رواجا و قبولا متأخرا بالنسبة للعلوم الدراسية الإسلامية الأخرى. كانت مواد المنطق و الفلسفة، و علم الكلام و أصول الفقه شائعة في الهند. و لكن علم الحديث لم يكن شائعاً قبل عهد المغول إلاّ مجموعات من الحديث التي كانت توجد آنذاك. أما المؤلفات في هذا الفن فقد كانت مفقودة بالنسبة للعلوم الإسلامية الأخرى.

عصر الازدهار لهذا الفن في الهند هو أواخر القرن التاسع و أوائل القرن العاشر بعد الهجرة النبوية. هذا هو العصر الذي نشّط فيه محمّد بن عبدالرحمن السخاوي و الشيخ ابن حجر المكّي خاصة شغل التدريس في علم الحديث. ارتوى علماء الهند من مناهل هؤلاء الأئمة المحدثين ثم رجعوا إلى الهند و اشتغلوا بالتدريس و التاليف فيه.

عم فيضان تاثيرات علماء الحديث مناطق غجرات في بداية الأمر ثم انتقل إلى شمالي الهند و ازدهر فيه بيد السّيد رفيع الدين الصفوي الشيرازي المتوفى ٩٩٧هـ تلميذ الحافظ السخاوي ثم تلميذه أبوالفتح التانيسري. يعتقد أن أبا الفتح التانيسري هو أول هندي لقب *بالمحدّث*. (١)

أما صحيح البخاري فيراه العلامة ابن خلدون أرفع مكانة من بين كتب الحديث الأخرى لذلك يستصعب شرحه لتحقيق أهدافه و مراميه. سمعت من أكثر اساتذتنا و شيوخنا يقولون أن تاليف شرح البخاري فريضة على الأمة

لم تؤدّ حتى الآن. و إن كانت شروحه قد كثرت و لكن نكات الفقه التي توجد في تراجم أبواب البخاري و الذخر العلمية و دقائق الحديث و التاريخ في تكرار الحديث الواحد و تعليقه و موقوفه و موصوله لم يستوعبها أحد (٢).

قد اعترف العلماء عامةً بالحقيقة التي أشار إليها ابن خلدون فيقال إن فقه البخاري في تراجم أبواب أحاديثه - بعد تأليف المقدمة لإبن خلدون أى بعد سنة ٧٨٩ هـ ألف العلامة ابن حجر العسقلاني و العلامة بدرالدين العيني شروحهما و طار صيتهما في الآفاق فقال صاحب كشف *الظنون* سدد دين الأمة بتأليف *فتوح البخاري* بعد هذين الشرحين المؤقرين (٣) و لكن الحق أنه لا يمكن لأحد أن يقول بالقطع متى سُوِّىَ دين الأمة.

عدد شروح البخاري باللغة العربية كثير في العالم. أشهرها فتح *الباري* لإبن حجر العسقلاني الشافعي المتوفي ٨٥٢ هـ و عمدة *القاري* لبدرالدين ابن أحمد العيني الحنفي المتوفى ٨٥٥ هـ الذان طبقت العالم شهرتهما و دام ذكرهما فى العالم و مّهد خاصة سبيل الاستفادة منهما في الهند.

إذا تدبّروا من حيث العربية في الهند تروا أن السيد عبدالأول بن علا الحسينى كان في طليعة الشارحين النبلاء الذين انتهلوا من مدرسة الفكر المكية للحديث. ألف شرحه الشهير باسم فيض *الباري* في شرح صحيح البخاري ، و من قبل كان هناك شرحان للبخاري لا يمتان إلى مدرسة الفكر المذكورة بصلة و هما شرح صحيح البخاري للعلاّمة الصاغاني المتوفى ١٢٢٥م و توضيح شرح صحيح البخاري للعلامة أبوالحفص سراج الدين عمر بن اسحاق الغزنوي الدولت أبادي و بعده "فيض *الباري*" للسيّد عبدالأول الحسيني - و قد ألفت عدة شروح في الهند و هى ما يلى (٤) :

١- شرح صحيح *البخاري* للشيخ يعقوب بن حسن الصرفي الكشميري المتوفي ١٥٠١م.
٢- *غاية التوضيح لجامع الصحيح* للشيخ عثمان بن عيسى بن ابراهيم الصديقي السندي ثم برهان فوري المتوفى ١٦٠٠م.
٣- *الفيض الطاري* في شرح *البخاري* للسيد جعفر بن محمّد الغجراتي المتوفى ١٦١٤م.
٤- شرح *البخاري* للشيخ طاهر بن يوسف السندي
٥- *المنح الباري* بختم صحيح *البخاري* لمحي الدين عبدالقادر العيدروسي الأحمد أبادي المتوفى ١٠٣٧هـ
٦- *الجند الجاري* في شرح صحيح *البخاري* للشيخ يعقوب بن يوسف البنّاني اللاهوري المتوفى ١٦٨٧م
٧- فيض *الباري* شرح صحيح *البخاري* لخواجه اعظم سيف الدين

السرهندي المتوفى ١٧٠٢م.

٨- *حاشية على البخاري* لأبي الحسن بن عبد الهادي السندي، المتوفى ١٧٢٥م.

٩- *شرح تراجم أبواب البخاري* للشاه ولي الله الدهلوي المتوفى ١١٧٦هـ

١٠- *نور القاري شرح صحيح البخاري* لنور الدين أحمد الفجراتي المتوفى ١٧٤٩م.

١١- *ضوء الدراري شرح البخاري* لغلام علي آزاد البلجرامي المتوفى ١٧٨٥م.

و لا يعذب عن البال أن الشيء الذي رقى تأليف الشروح في الهند هو في الحقيقة طول حلقة الدرس لفن الحديث. أولا نجد ذكر حلقات الحديث الدراسية بانتظام في الهند من دروس الحديث لملاً مخدوم الملك و الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي في شمال الهنـد و العالـم الشهيـر العلامـة طاهر البتني في جنوبي الهند في عهد الملك المغولي. و الحق أن هذه الحلقات لعبت دورا حاسما في نشر من الحديث و الجامع الصحيح للبخاري كان من الكتب الممتازة و المهمة التي ألحقت في المقررات الدراسية. نعلم كون صحيح البخاري داخلا فيها أول مرة من حلقة دروس مولانا محمّد اللاهوري المفتي بمدينة لاهور، معاصر ملاً علي القاري المتوفى ١٠١١هـ (٥)

رغم الجهود البليغة و الحماسة التي كانت تبذل في ازدهار و رقى علم الحديث و دراسة في الهند يكفي لتقدير أهمية الحديث و رواجه أنذاك أن عالما شهيرا مولعا بفن الحديث الشيخ روح الأمين خان البلجرامي أحد محشي الحديث بعد قرن و نصف لوفاة الشيخ المحدث الدهلوي، لم يقدر على الحصول إلاّ على نسخة واحدة بعد بحث كامـــل استغـرق سنتين في دلهي و ضواحيـه. و كذلك نعلم وجود نسخة واحدة لصحيح البخاري في المكتبة الملكية للملك ابراهيم عادل شاه سنة ١٠٠٨م (٦) و هذا يدل على أن هذه الكتب المهمة لم تكن توجد عند العلماء و العامة بل كانت بضعة محفوظة في بعض المكاتب الملكية.

و الحق أن بابا جديداً انفتح لرقى كتابة الشرح و نواحي جديدة انكشفت للاطلاع على فهم الحديث في الهند بعد شرح تراجم ابواب البخـاري للشـاه ولي اللّه الدهلوي ، انتخب بعض القدماء أربع مائة ترجمة لأبواب البخاري استصعبت معناً ، ناقش الإمام الدهلوي بالاستفاضة أكثر من أربع مائة باب ، و لاشك أن مجهودات الشاه ولي اللّه مهّدت السبيل في استنباط المسائل الفقهية و استخراج نكاتها ، و بالإضافة إلى ذلك نشطت علاقته المرموقة بالحديث و جهوده الجبارة في نشر حركة رواج الحديث و لا بأس بأن نسميها بـ حركة *وليّ اللّه الدهلوي*، و بهذا الصدد ازدهرت أعمال و جهود تصنيفية قام بها الشاه عبدالعزيز الدهلوي و الآخرون من أسـرة الشـاه ولي اللّه الدهلوي.

و إذا استعرضنا كتابة الشروح للبخاري في فن الحديث بالهند من القرن

التاسع عشر و بالأخص من أواسطها حتى الآن علمنا أن جميع المجهودات في هذا المجال تتصل بالشاه عبد العزيز و تلامذته . و راعى شرّاح الحديث في هذه الأسرة أمرين:

١- شرح و تفهيم المسائل الفقهية و نكاتها
٢- ترويق الأقدار المعنوية بتزكية النفس.

تتفرّع سلسلتان من الشاه عبد العزيز في مجال الحديث. يتعلق أحدهما بالشاه محمّد اسحاق الدهلوي و الآخر بالشاه عبدالغني المجددي تشكّلاً بمدرستي فكر إحداهما تتعلق بالمدرسة الحنفية و الأخرى بمدرسة أهل الحديث، أما الشارحون الذين ينتمون إلى الشاه عبدالغني المجددي فهم جميعا يتصلون بجامعة ديوبند الحنفية ، أول شارح من هذه الجامعة هو مولانا رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى ١٩٠٥م و من تلامذته مولانا محمّد يحيى الكاندهلوي و نجله مولانا محمّد زكريا الكاندهلوي في جانب ، و العلامة السيّد أنور شاه الكشميري و من تلامذته مولانا إدريس الكاندهلوي و السيد فخرالدين أحمد في جانب آخر. و كذلك يعدّ مولانا عبدالعزيز الحنفي الذي هو من تلامذة الشيخ محمود حسن الديوبندي ، التلميذ الثالث للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي من شراح الحديث في القرن العشرين.

و في سلسلة الشاه اسحاق الدهلوي في مجال الحديث يمثل تلميذه مولانا أحمد علي سهارنفوري مدرسة الفكر الحنفي في جانب و تلميذه الثاني مولانا نذير حسين المحدّث المعروف بميان صاحب الدهلوي و تلميذه الأمير صديق حسن خان مدرسة أهل الحديث في جانب آخر و هم من أبرز شرّاح الحديث في الهند.

و إذا تفحّصنا الشروح الهندية في الحديث من القرن التاسع عشر حتى الآن وجدنا هما ذات جهتين

أولاها: مجموعات كتابية في شكل الملاحظات مشتملة على توضيحات المحدثين و نكاتهم خلال تدريسهم الحديث.

ثانيتها: الشروح المستقلة بنفسها.

و بالجملة شروح صحيح البخاري التي نجدها ألفت باللغة العربية في الهند نذكرها فيما يلي:

١ـ لامع الدراري على جامع البخاري :

هذا الكتاب يشتمل على إفادات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى ١٣٢٣هـ كان الشيخ الكنكوهي مولعاً بتدريس الحديث، حينما رجع إلى موطنه بعد أداء فريضة الحج مرة ثالثة بدأ يدرس للصحاح الستة خاصة ، و قيّد مولانا محمّد يحيى بن اسماعيل المتوفى ١٢٧٨هـ تلميذ الشيخ الكنكوهي

المباحث الضرورية و الأفكار النقدية خلال التدريس. نشر نجلـه المؤقـر مولانا محمّد زكريا الكاندهـلوي تلك المباحث كلها في ثلاثة أجـزاء و سماها بـ *لامع الدراري* ، ذكر فيها أحوال حيـاة الإمام البخـاري فـي الفصـل الأول و بيّن النكات المهمّة لشرح الحديث ستة و ستين فصلا تقريبا، و طبع هذا الشرح في مطبع الجمعيـة بدلهـي فـي ١٣٧٩هـ ثم فـي ١٣٨٢هـ و ١٣٨٩هـ تبدأ سلسلة *التقارير* في ضمن شروح *الحديث الهندية* بخطبة درس الشيخ الكنكوهي بالإضافة إلى الشيخ محمّد يحيى العلماء الذين جمعوا إفادات الشيخ الكنكوهي في صورة المسودات هم حسب مايلي:

١- مولانا ماجد علي رئيس هيئة التدريس بجامعة كلكتا.
٢- مولانا رضي الحسن الكاندهلوي الذي طبعت مسوداته باسم تقرير *الكنكوهي*.
٣- مولانا محمّد حسن شاه البيشاوري *المهاجر المكّي الذيّ* استنجد من مسودات الشيخ محمّد زكريا في *لامع الدراري*.

و أيضا جمع مولوي كفيل أحمد الكيرانوي أستاذ دارالعلوم بديوبند إفادات الشيخ حسين أحمد المدني التي تتعلق بالجامـع الصحيـح للبخـاري و كذلك جمع بعض تلامذة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري إفاداته في صورة مسودة. و هى توجد الآن في مكتبة مظاهر العلوم.

٢ ـ الأبواب و التراجم للبخاري :

نشر بهذا الإسم تاليف الشيخ محمّد زكريا من ديوبند.

٣ ـ تشكيل أسانيد البخاري :

جمع مولانا فاروق أحمد الحنفي السهارنفوري جميع أسانيد الجامع الصحيح في هذا التاليف على طريق الجداول بطريق سهل، و كان والده مولانا صديق أحمد من تلامذة الشيخ أحمد الكنكوهي النجباء. و تولىّ مولانا السهانفوري منصب شيخ الحديث في الجامعة العباسية ببهاول فور، الباكستان. و توفي سنة أربع و أربعين و ثلاث مائة و ألف بعد الهجرة النبوية. و كان قد رتب أسانيد البخاري وفقاً لتوجيهات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي و الشيخ قاسم النانوتوي و الشيخ خليل أحمد و مولانا أشرف على التهانوي و الشيخ انور شاه الكشميري و سلاسة أسلوبه و غزارته تدل على ذوقه الأدبي.

٤ ـ فيض الباري على صحيح البخاري :

جمع مولانا بدرعالم الميرتي تلميذ الشيخ أنورشاه الكشميري المتوفى ١٣٥٢هـ خطباته المدرسية المتعلقة بالبخاري باللغة العربية الفصحى و الكتاب يحتوي على أربعة أجزاء ـ و في بداية الكتاب قيّد مولانا يوسف البنوري و مولانا بدرعالم مقدّمة قيمة و بسيطة تشتمل على نحو تسع صفحات.

الجزءالأول . يشتمل على ٤١٢ صفحة و طبع أيضا من مطبع الحجازي بالقاهرة.

الجزءالثاني : يشتمل على ٤٩٥ صفحة و طبع أيضا من مطبع الحجازي بالقاهرة.

الجزءالثالث يشتمل على ٤٧٨ صفحة و طبع من مطبع دارالمأمون بالقاهرة.

الجزءالرابع يشتمل على ٥٤٤ صفحة و طبع أيضا من مطبع دارالمأمون بالقاهرة

و قد نشرت ترجمة لشرح البخاري للعلامة الكشميري باللغة الأردية باسم *أنوارالباري* في ثلثة عشر جزءا. و الحق أن هذه الأجزاء الأربع لهذا الشرح تشهد على نبوغ العلامة و بصيرته العلمية ، لأنه أوضح بعضا من المسائل الدقيقة التي سكت عنها أقلام الفضلاء كالعلامة ابن حجر العسقلاني و العلامة العيني

٥ ـ القول الصحيح فيما سبق بنضد أبواب الصحيح :

جمع مولانا السيد فخرالدين أحمد تلميذ العلامة أنورشاه إفادات درس البخاري له و تحقيقات مولانا محمود حسن في كتاب. تولّى منصب شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند و الجامعة القاسمية بمرادآباد

٦ ـ التعليقات على البخاري :

كتب مولانا نذير حسين المعروف بمياں صاحب المحدث الدهلوي حواشي كثيرة على نسخة قديمة له للبخاري ، و الأسف أن هذه النسخة قد فقدت و لكن مولانا أحمد على الحنفي السهارنفوري المتوفى ١٢٩٧هـ نشر الصحيح للبخاري مع تعليقاته و لاحظ فيه صحة الطبع و كان أعد تعليقاته في ضوء مولانا نذير حسين و استفاد أيضا بحواشيه (٧)

٧ ـ عون الباري لحلّ أدلة البخاري :

ألف مولانا صديق حسن خان بهذا الإسم شرحا للتجريد الصحيح لأحاديث جامع الصحيح للعلامة زين العابدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الزبيدي المتوفى ٨٩١ هـ(٨)، و بيّن العلامة سبب تأليف شرحه قبول *التجريد* للعلامة الزبيدي ، و قد ذكر العلامة النواب صديق حسن خان أن الشيخ شرقاوي و الشيخ نمزي ألفا أيضا شروحهما لنفس الكتاب. فرغ الشيخ من تأليف *عون الباري* في ١٢٩٧هـ و طبع على حاشية *نيل الأوطار* للشوكاني في ثمانية أجزاء و فيه بالإضافة إلى الشرح تمهيد و تقديم يشتمل على ست و ثلاثين صفحة للحاشية.

في هذا الكتاب بالإضافة إلى مباحث شتى بحث قيم في أهمية الصحيح للبخاري من بين كتب الصحاح الستة ، طبع أولا ببولاق في ١٢٩٧هـ و طبع أيضا من المطبع الشاهجهاني ببوفال من ١٢٩٩هـ إلى ١٣٠٦هـ

٨ ـ الحطة بذكر الصحاح الستة :

هذا كتاب آخر للنواب صديق حسن خان في فن الحديث ، يشتمل على ثماني و أربعين و مائة صفحة و هذا الكتاب كمقدمة للصحاح الستة على طراز مقدمة تحفة الأحوذي و هو يحتوي على مقدمة و خمسة أبواب. و من أهمية البابين الرابع و الخامس أن المؤلف استعرض فيها تسعة كتب أخرى سوى البخاري و بحث في أحوال الأئمة و جهودهم و فضلا على ذلك يوجد فيهما بحث جيّد على موضوع علم الحديث في الهند، و طبع مرّتين ، أخراهما بلاهور. (٩)

٩ ـ التعليقات على صحيح البخاري :

كتب هذا الشرح مولانا أمجد علي لطف اللّه أنصاري السهارنفوري المتوفى ١٢٩٧هـ تلميذ مولانا محمد اسحاق الدهلوي. رتب نسخة صحيحة لصحيح البخاري على أساس نسخة مولانا نذير حسين الدهلوي القديمة و نشرها مع تعليقاته بعناية كاملة و فرغ منه في ١٣٠٥هـ و استفاد مولانا السهارنفوري في هذا الشرح من الحواشي المفيدة الموجودة على نسخة قديمة لصحيح البخاري إلى حد كبير كتب مولانا أحمد على أيضا تقديما جيدا للحواشي، و ذكر فيها مباحث مفيدة عن صحيح البخاري بالإضافة إلى مبادي فن الحديث ، قال مولانا عبدالسّلام إن أكثر الأجزاء من هذه المقدمة ماخوذة من مقدمة فتح الباري للشاه ولي اللّه الدهلوي و رغم ذلك لايمكن أن تنكر أهمية

هذا الكتاب (١٠) طبعت هذه التعليقات مع متن الصحيح للبخاري باسم مقدمة صحيح *البخاري* من المطبع الرشيدية بدلهي.

١٠ـ تحفة القاري بحلّ مشكلات البخاري :

أتمّ هذا الشرح المولانا إدريس الكاندهلوي تلميذ العلامة أنور شاه الكشميري في ١٣٦٧هـ هذا الكتاب نشر من باكستان أيضا و قد طبع شرح أخر لمولانا إدريس الكاندهلوي باسم " *التعليق الصحيح على مشكواه المصابيح*" في أربعة أجزاء و تمتع بسمعة عالمية بهذا الكتاب (١١)

١١ـ نبراس الساري في أطراف البخاري :

هذا الكتاب لمولانا أبي سعيد محمّد عبدالعزيز الحنفي المتوفى ١٣٥٩هـ و ينتمى أبوسعيد بالشيخ محمودحسن و الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ذكر فيه الشيخ بصدد كل حديث جميع الأماكن التي بيّن البخاري فيها، هذا كتاب مهمّ و مفيد من حيث جمع طرق الحديث (١٢)، طبع من المطبعة الكريمية بلاهور في ١٣٧٥هـ

تعريب: توقير عالم الفلاحي

المراجع :

١- *علم الحديث في الهند* السيد سليمان الندوي، مقالات سليمان، الجزء الثاني ، ص ١١ اعظم جراه١٩٦٨م

٢- *سيرة البخاري* مولانا عبدالسلام ، الجزء الثاني، ص ٢٢-٢١ ، ٣٥-٣٤

٣- *مقالات سليمان الندوي* الجزء الثاني ، ص ١٢ اعظم جراه ١٩٦٨م

٤- INDIA'S CONTRIBUTION TO HADITH LITERATURE THE CONTRIBUTION OF INDIA-PAKISTAN TO ARA3IC LITERATURE, DR Z AHMED, P. 293, LAHORE, 1968

٥- مقالات*سليمان* الجزء الثاني، ص ٢٢

٦- مقالات *شيرواني* مولانا عبدالرحمن خان الشيرواني، ص ٢٥٩ ، ٢٧٩ عليجره ١٩٤١م

٧- مقدمة *لامع الدراري* مولانا محمّد زكريا الكاندهلوي ، ص ١٤٩

٨- نزهة *الخواطر* مولانا عبدالحي، الجزء الثاني، ص ١٤٤ حيدراباد ١٩١٠م

٩- نفس المصدر ، نفس الصفحة ، نفس البلد ، نفس السنة

١٠- *سيرة البخاري* مولانا عبدالسلام ، الجزء الثاني، ص ٧١

١١- مقدمة *لامع الدراري* مولانا محمّد زكريا الكاندهلوي ، ص ١٤٩

١٢- نفس المصدر، نفس الصفحة

الهند و الدول النامية

بقلم : البروفيسور رشيدالدين خان
مركز دراسات العالم الثالث
الجامعة الملية الإسلامية ـ نيو دلهي

إن الهند، و هي دولة كبيرة مترامية الأطراف تتمتع بأهمية بالغة من الناحية السياسية و الجغرافية، منهمكة في هذه الأيام في إنجاز مشروع عالمي عظيم يتصل بإحداث تغير اجتماعي و تنمية إقتصادية من أجل تشكيل مجتمع جديد على أساس المساواة و السياسة الخارجية المؤثرة، لكي يتحقق من خلاله هدف تطوير البلاد و بنائها من جديد ـ و ليس هناك من شك في أن السياسة الخارجية جزء هامشي و جانبي للسياسة و الأهداف القومية يتطلب التفكير و الإهتمام، بينما تكون الدولة في أمسّ الحاجة إلى تركيز جلّ اهتمامها و تفكيرها على ثلاثة مجالات من التنمية و الدفاع و الإستقرار، و لذلك، فإن السياسة الخارجية لا تحظى عامة باهتمام بالغ، و لكن من حسن حظّ الهند أن سياستها الخارجية أيضا ظلّت تحظى بالإهتمام الإقليمي و الدولي منذ أن نالت الإستقلال. و هذا إنجاز عظيم لحركة قومية، فقد أحدثت روح الحرية العالمية صحوة حقيقية شاملة و أصبحت سياسة الهند جُزءا هاماً للجهاد العالمي ضدّ النظرية الإستعمارية و عدم المساواة و الفقر السائد في جميع أنحاء العالم، و كانت النتيجة أن بدأت نظرية المساواة في الحقوق و فرص العمل تتقوّى ضدّ إستغلال العالم.

الجهاد ضدّ النظام الإستعماري هو العمل الجليل الوحيد الّذي ظلّ يُشغل الهند طوال الفترة الطويلة الممتدة منذ ما قبل الإستقلال إلى الآن، حيث أنها قضت على الإمبراطورية العظمى لبريطانيا و زعزعت أركان النظام الإستعماري الأروبي و أصبحت جمهورية الهند حاملة اللواء لبناء عالم جديد على أساس المساواة و السيادة المستقلة، عرفها التاريخ كرائد حركة شعبية جليلة معارضة للنظام الإستعماري. و هذه الحركة الشعبية التي كانت الهند قد بدأتها في أوائل هذا القرن نمت و ازدهرت بصورة ملموسة تحت رعاية نظام جمهوري محكم.

إن جميع الزعماء البارزين لحركة الإستقلال فى الهند كانوا من اشد المعارضين للنظام الإستعمارى، و على سبيل المثال، فإن مهاتما غاندى و جواهر لال نهرو، و هما على رأس قائمة رواد حركة الإستقلال الهندية، كانا و استمرا يحاربان ضده طوال الحياة و كان الbandيت جواهر لال نهرو هو الذى رسم السياسة القومية للبلاد فيما يتعلق بالشئون الدولية و أثر بذلك على التاريخ و عرف كواضع نظام جديد فى العالم و بصفة خاصة فى الهند و آسيا و الحق أنه ليس مؤسسا للهند الحديثة فحسب بل هو رجل أحدث نهضة و صحوة فى آسيا و نفخ روح الجهاد و الكراهية فى جميع أنحاء العالم ضد الإستعمار.

إنه ليس من الممكن صرف النظر عن الدور الجليل الأساسى الذى لعبته الهند فى تدعيم حركة عدم الانحياز و إرساء دعائمها و إعطاء اتجاه خاص لها. و فيما يتصل بالسياسة الخارجية بصفة خاصة، فإن لجواهر لال كان دوراً بارزاً قام به كرائد و وارث و زعيم متوالياً فى ٥٥ ـ ١٩٤٧م و ٦١ ـ ١٩٥٥م و ٦٤ـ ١٩٦١م، بهدف دفع حركة عدم الإنحياز إلى الأمام و جعل الهند تتبنى موقف دولة مستقلة كبيرة نامية. لقد اتخذ نهرو السياسة الجمهورية النشيطة و التنمية الصناعية أساساً لتحقيق هدف بناء عالم حديث متحرر من النظام الإستعمارى و قائم على العدل و المساواة من أجل مستقبل مشترك و أفضل

و هذه هى الخلفية وراء المساعى الحيثية التى تبدلها الهند من أجل تحقيق مصالح الدول النامية و اولوياتها المشروعة و الدور الهام الجليل الذى تلعبه فى هذا الصدد إن الهند تسعى جاهدةً و بصورة متواصلة لخلق جو يمكن فيه بناء عالم جديد تكون المساواة دعامته الأساسية، و يتم إعداء صيغة للتعاون فيما بين دول الجنوب. إن الدول النامية هى ثلثا العالم، و يطلق عليها إسم العالم الثالث، لأنها تختلف فى بيئتها الإجتماعية و حالتها الإقتصادية من الدول و الجمهوريات المستقلة المتقدمة صناعياً من العالم الأول، و لأن لدى الدول النامية نظاماً سياسياً شاملاً مختلفاً أشد الإختلاف من النظام السياسى و لأن للدول النامية قضايا و طموحات عن التنمية القومية تختلف مما للدول المتقدمة من قضايا و طموحات.

العالم الثالث يضمّ الدّول المتحرّرة من النظام الإستعمارى و التى يبلغ عددها إلى ١٢٠ دولة و يقع معظمها فى آسيا و أفريقيا و بعضها فى أمريكا اللاتينية. و قد بدأت هذه الدول تنال إستقلالها الوطنى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. و معظم هذه الدول الحديثة الإستقلال قليلة السكان و صغيرة الحجم، و معدل دخل الفرد فيها ضئيل جداً كمعدل التقدّم الإجتماعى و الإقتصادى. و أما المساحة فإن حوالى ١٢ دولة من بين هذه الدول الحديثة الإستقلال من النظام الإستعمارى تتراوح مساحتها ما بين ١٠١ و ١٠،٠٠٠ مربع كيلو متر و حوالى ٢٥ دولة تتراوح مساحتها بين ١٠،٠٠٠ و ١٠٠،٠٠٠ مربع كيلو متر، و مساحة ٥٣ دولة من بين هذه الدول هى ما بين ١٠٠،٠٠٠ و ١،٠٠٠،٠٠٠ مربع كيلو متر كما أن هناك عشرين دولة فقط تتراوح مساحتها

ما بين ١٠٠٠,٠٠٠ إلى ١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مربع كيلو متر. و أما عدد السكان، فإن هناك ٣٢ دولة من دول العالم النامى يبلغ معدل عدد سكان كل دولة منها حوالى مائتين ألف، و معدل عدد السكان لثلاثين دولة من بين هذه الدول يبلغ مليونًا أو أقلّ منـــه، بينما يتــراوح عــــدد سكان ٣٢ دولة منها بين مليـون و خمسة ملايين نسمة ـ كما أن هناك ٦٤ دولة فى العالم النامى يتجاوز عدد سكانها عشرة ملايين ـ و هناك ٢١ دولة تعتبر كثيرة السكان، يقع أربع منها فى آسيا و هى الهند و بنغلاديش و الباكستان و سرى لانكا، بالإضافة إلى أن ماليزيـــا و إندونيسيا فى آسيا الشرقيـــة ـ الجنوبيـــة و نيجيـريا و تنزانيـــا و كينيا و يوغاندا و غانا فى أفريقيا أيضا من الدول الكثيرة السكان.

و بالنسبة لدخل الفرد السنوى فى الدول النامية، فإنه ضئيل جدًا فى ٧٧ دولة من هذه الدول و لا يتجاوز مائة دولار فى ٦ منها، بينها يتراوح هذا الدخل فى ٧١ دولة ما بين ١٠١ و ١٠٠٠ دولار. و هناك ٢٨ دولة يتراوح فيها دخل الفرد سنويا ما بين ١٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ دولار. و هناك ثلاث دول فقط يتجاوز دخل الفرد فيها عشرة آلاف دولار سنويا. و هنـاك ١١ دولة تعدّ من الدول النامية الكثيـــرة السكان، تضمّ ٦ مـــن أفقـر الدول و ٣ من الدول الفقيرة و إثنين ليست لديهما غير الآمال و الطموحات.

إن التنمية الإقتصادية و الإجتماعية فى هذه الدول النامية المتحرّرة من ربقة الإستعمار لها درجات مختلفة. حيث أن ٣٨ دولة منها تجاوزت مرحلة الحياة القبائلية و تعيش الآن فى المرحلة الأولى للنموّ الصناعى، و تمرّ ٣١ دولة منها بمرحلة ما قبل الرأسمالية بينما توجد ٣٤ دولة من بين هذه الدول النامية الحديثة الاستقلال فى مراحل مختلفة للرأسمالية. كما أن هناك دولاً لهـــا إقتصـــاد مختـــلط ... و هنـــاك ٢٠ دولة فـــى العـــالم النامـــى تنتهج النظام و النمط الإجتماعى للحياة و تتقدم إلى الأمام صوب النمو الصناعى بصورة مستمرّة كما أن هناك ٧ دول من الدول النامية تمرّ بمرحلة التنمية التى تسبق التنمية الصناعية

و قد أنشئت منظمات و جمعيات عالمية عديدة من أمثال منظمة دول حركة عدم الإنحياز و (O.A.U) و جامعة الدول العربية و جمعية (UNCTAD) تمهيدا للسبل للدول الحديثة الإستقلال و تمكينا لها من إحراز التطوّر الاقتصادى وفق حاجاتها و الحصول على المساعدات المالية من المؤسسات المالية و التجارية مثل صندوق النقد الدولى و البنك الدولى، حتى يمكن إنقاذ هذه الدول النامية من سيطرة الدول المتقدمة الرأسمالية كما أن الهدف من وراء إنشاء مثل هذه المنظمات و المؤسسات كان أيضا تحقيق الوحدة و التضامن فيما بين هذه الدول فى دورات الأمم المتحدة و جلساتها. و منذ أواسط الستينات، فإن التنمية العالمية قد أصابها نوع من الركود و الجمود، لامتلاك أمريكا ناصية الأمور فى السياسة العالمية بفضل استراتيجيتها الخاصة الدولية و عدم النظر فى المصالح الهامة إلا بمنظورها الذاتى المنفرد.

إن الهدف الأساسى الذى تسعى إلى تحقيقه هيئة الأمم المتحدة حاليًا هو

تطوير التقدم الإجتماعى و الإقتصادى للدول الأعضاء اقليميا و تدعيم المحاولات المبذولة للحفاظ على كيانها و أمنها بالإضافة إلى تجنيب العالم خطر الحرب و كفّ الدول من ان يحمل بعضها السلاح ضد الآخر.

و منذ مدة غير قليل، فإن المؤسسات المختلفة التابعة لهيئه الامم المتحدة ظلّت تفكّر فى جدية تامّة فى موضوع نزع السّلاح. و قد أحرزت المحاوَلات المبذولة فى هذا المجال تقدّما ملموساً و بصفة خاصة فى سبيل تدمير الأسلحة النووية و القضاء عليها. هذا عن الجهود المبذولة فى هذا الصدد تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة و رعايتها، أما المحاولات التى تجرى خارج نطاقها، فهى أن القوتين العظميين: الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتى، لا تزالان تجريان الحوار و النقاش فيما بينهما منذ سنوات غير قليلة من أجل وضع حدٍّ و نهاية لإنتشار الأسلحة النووية و حول القضايا الهامة الأخرى، و كان الهدف هو خلق القوة الإرادية السياسية لدى القوتين العظميين حتى يمكن التخطيط المناسب المطلوب من أجل إعطاء فاعلية أكثر لعزم نزع السلاح.

إن الديمقراطية اليوم نظرية ذات إتجاه عالمى تقوم على عنصرين هامّين. عنصر المؤسسة العالمية المعروفة بهيئة الأمم المتحدة و عنصر المستوى القومى الخاص. و مسئولية القيام بالمحاولات على المستوى القومى تقع على عاتق الشعب و الحكومة و الدولة و أكبر تحدٍّ تواجهه دولة مستقلة هو ما يتصل بحقوق الإنسان و النظام السياسى و الإدارة المؤثرة المنسّقة و حرية الصحافة و قد اعترف جميع المفكرين بأن الطريق الوحيد البعيد المدى لحلّ مشكلات الإنسان هو القيام بتشكيل سياسة جمهورية أما النظام الشخصى للحكومة، فإن الأمر يختلف فيه أشدّ الاختلاف، حيث أن الحاكم يضطهد الشعب و يهدر حقوق الإنسان لتحقيق مآربه الشخصية و للبقاء باستمرار على منصة الحكم. و لذلك، فلكى تحدث هناك تغييرات جذرية تجاه حقوق الإنسان الأولية، يجب تدعيم القيم الأساسية للسياسة و الاجتماع و الاقتصاد

لكن الواقع الذى نشهده فى عالمنا اليوم مؤسف جدا و مرير - فهناك ٥٦ دولة فى العالم النامى تحكمها حكومات إما هى دكتاتورية عسكرية و إما خاضعة للجيش - و ٥ دول من بين الدول السبع الواقعة فى العالم النامى و التى هى من بين تلك الدول العشر التى تعتبر أكثر سكاناً فى العالم، تحكمها حكومات عسكرية. و القضيتان الأساسيتان اللتان يواجههما العالم اليوم هما سباق التسلّح و التقدّم - و قضية التقدم و التنمية الثانية لها ارتباط مباشر بقضية سباق التسلّح الأولى و كلاهما فى حاجة إلى الإستعراض و الدراسة فى ضوء العلاقات الإقتصادية العالمية - و ليس هناك من شك فى أن صياغة الإقتصاد صياغة عسكرية هى السبب الأكبر لما يوجد فى الإقتصاد العالمى و العلاقات الإقتصادية فيما بين الدول النامية من عدم التوازن

لقد ظلّتْ مؤسسة (TRANS NATIONAL CORPORATION) مسيطرةً على الإقتصاد العالمى فى النصف الثانى للقرن العشرين، بفضل سيطرتها على جوانب هامّة من أمثال الإستثمار و التكنولوجيا و التجارة و ما يسمى

باقتصاد السوق، و لا شك في أن هذا اتجاه جديد للانسان بالنسبة لتاريخ علم الاقتصاد. كما أنه لم يعد هناك نوع من الشك الآن في أن مؤسسة (T. N. C) قد تم تأسيسها من أجل التطور الاقتصادى و الأمن الإقليمى لدول العالم النامى بعد أن نالت هذه الدول الاستقلال الاقتصادى و السياسى، فى أعقاب تخلّصها من قبضـــة النظـــام الاستعمـــارى الّذى ظلّ يحكمها لحوالى قرن تقريباً . إنه لا بدّ من اعتبار (T. N. C) كمؤسسة عالمية جديدة برزت تستولى على سياشـــة و اقتصاد العالم بفضل نفوذها المستمر المتواصل يوماً فيوماً. إنها بحكم تحكمها المتزايد فى تكنولوجيا الإنتاج و موارد الاستثمار و التسويق من الوسائل الثلاث للاقتصاد العالمى تستمر أن تسيطر عليه.

إن مؤسسة (T. N. C) لها سيطرة على دوائر الإقتصاد الوسيعة فى عديد من دول آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية. و قد كان أعلن فى المكسيك عام ١٩٧٣م أن الاحصائيات تقول بأن المؤسسة فى أمريكا تسيطر على ٪ ٢٧ للصادرات بالإضافة إلى السيطرة على ٪ ١٧ للإنتاج الصناعى. كما أنها تسيطر فى البرازيل على ٪ ٤٧ من الصادرات الصناعية و ٪ ١١ من الإنتاج الصناعى. أما فى نيجيريا، فإن الشركات الأجنبية تسيطر على ٪ ٦٥ من مجموع الاستثمار الصناعى. إنها ظلّت تسيطر على ٪ ٤٠ من مجموع الإنتاج الصناعى فى الدول النامية كما أنها تسيطر الآن على ٪ ٥٠ إلى ٪ ٩٥ من التجارة الخارجية فيها.

يُقدّر أن مؤسسة (T. N. C) كانت تقوم بالإشراف على أكثر من ١١ ألفًا من مشروعات فى السبعينات فى جميع أنحاء العالم و كان قد بلغ مجموع إنتاجها فى ١٩٧٦م إلى حوالى ٨٣ مليون دولار، كما أنه بلغ مجموع مبيعات المؤسسات العشر الكبرى التابعة لـ (T. N. C) و ما حصلت عليها من المنافع حوالى ٩ ٥٦٨ بليون دولار و ٩٩ . ٢٢ بليون دولار على الترتيب.

إن مجموع سكان العالم يبلغ اليوم حوالى خمسة بلايين نسمة و يتوقع أن يبلغ فى أواخر هذا القرن إلى ٥ . ٦ بلايين. و نحو ٪ ٧٥ من مجموع سُكان العالم يعيشون فى العالم النامى و إلى أن يتم العشرون سوف يُشكّل العالم النامى ٪ ٩٠ من مجموع سكان العالم. و حكومات الدول النامية قلقة جدا على هذا النمو المتزايد فى السكان، لانها هى التى تقع عليها مسئولية قضاء الحاجات الأساسية للشعب و توفير التسهيلات اللازمة للإنسان.

إن بليونين من الناس يعيشون حياة الفقر اليوم و دخل الفرد لهم يقل حتى من ٥٠٠ دولار سنويًا و حوالى ٨٠٠ مليون من هؤلاء الناس يعيشون حالة دون الفقر، فهم لا يستطيعون الحصول على الأغذية المقويّة و يساقون تدريجياً إلى الموت و الهلاك. ثم أن الدول النامية تتولّد فيها الأمراض و تنتشر بسُرعة مُدهشة لا لسبب إلاّ أنها تفقد المياه النظيفة للشرب بالإضافة إلى متطلبات أخرى هامّة للصحة و النظافة. و أكثر من ٤٥٠ مليون شخص يقعون فريسة للمجاعة و يموت منهم ٤٠ مليونا كل سنة جوعا. أما الأطفال، فإن الإحصائيات تقول أنه يموت منهم نحو مليونين طفلا فى بطون أمهاتهم قبل أن يولدوا

ويروا النور، بسبب عدم توفر وسائل العلاج و فقدان متطلبات الصحة من الغذاء و غيره. و بالنسبة للأمّية، فإن هناك حوالى ٨٠٠ مليون شخص أميون بجانب ١٢٠ مليون من الأطفال الّذين لا يذهبون إلى المدارس للدراسة. و لذلك، فإن معدل الأميين فــى إزدياد مستمرّ كلّ سنــة و بصورة مقلقة جدًا. أما العالم النامى، فتقول الاحصائيات أن معدل الأميين فيــه هــو / ٤٨ بالنسبة لمجموع السكان و ٢٣ دولــة مــن بين جميع الدول فيــه فقيرة و يتجاوز فيها معدل الأميين ٧٠٪.

و أخطر قضية يُواجهها العالم النامى اليوم هى البطالة، و هى السبب الرئيسى لكون الدول الناميــة مثقلــة بديــون الــدول الغربيــة و البنــوك و المؤسسات الاقتصادية الدولية. و كان قد بلغ مجموع هذه الديون فى ١٩٨٤م إلى ٧٦٨ بليون دولار، و هو يساوى ميزانية أمريكا السنوية تقريبًا و فى عام ١٩٨٠م، كانت هذه الدول النامية مديونة بـ ٤٦٥ مليون دولار من قبل الدول الغربية - و كانت تدفع فى السبعينات للدول الغربية نحو / ٢١ سنويا كفائدة المال لها - و حسب تقدير لمؤسسة (UNCTAD) قامت به فى ١٩٧٩م، فإن الدول النامية كانت تدفع للدول الغربية كتسديد الفوائد المالية لها ما يُساوى رُبع مجموع صادراتها . و فى ١٩٨٢م، دفعت الدول النامية تسديدًا للفوائد المالية هذه نحو ١٢٠ مليون دولار - ورادت البنوك الأمريكية حوالى ٥ ١٢ فى فائدة المال فى مايو عام ١٩٨٤م و هكذا، فإن الدول النامية اصبح من الواجب عليها أن تؤدّى تسديدا للديون حوالى أربعة بلايين دولار بعد أن زاد صندوق النقد الدولى أيضا فى معدل فائدة المال له. و فى بيان صدر من صندوق النقد الدولى جاء أنه كانت له ديون على نحو ٣٢ دولة فى ١٩٨١م بينما لم تكن له ديون فى ١٩٧٥م إلاّ على ١٥ دولة فقط و فى ١٩٨٢م طلبت إليه نحو ٢٢ دولة التفكير من جديد فى طريقة تسديد الديون فاستجاب مسؤلو صندوق النقد الدولى لهذا الطلب وزادوا فى معدل فائدة المال.

إنه ليس من الصعب إقامة العلاقات الاقتصادية من جديد على أساس التضامن و التعاون مع الاستمرار فى القيام بحركة نزع السلاح. فالأزمة الإقتصادية الراهنــة فى العالــم لها إرتباط مباشــر بالعلاقات الإقتصاديــة و المساعى المبذولة من أجل نزع السلاح، و لذلك، فإنه ليس من المحال كما قلنا، إقامة علاقات اقتصادية جديدة بجانب تنشيط عملية نزع السلاح - و هذا يتطلّب ارتفاع روح الاعتماد على النفس بصورة جماعية فيما بين الدول النامية التى يجب أن تكف عن محاولة الحصول على السلاح و تقوم بتصفية جميع القواعد العسكرية الخارجية فى حدودها و تنشيط العلاقات الاقتصادية فيما بينها و ترويجها بهدف بناء عالم جديد للأمن و الرفاهية.

تعريب : خالد القاسمى

الأفـــق المتوســــع

بقلم: غلام رباني تابان

إن التعلق بالقيم المشتركة أو تطوير نزعة معتمدة على القيم ، كما يعرف بصفة عامة ، يدل ضمناً على أن الناس المعنيين يحملون و يغذون نفس المشاعر تائيدا لتلك القيم. و هذا ما يربط فيما بينهم. و عندما يشعرون أن هذه القيم المحترمة لديهم أصبحت عرضة للتهديد ، فان هذا يصبح مسألة عامة . و هذا ما كان على وجه التحديد حافزاً بالنسبة لكتاب معظم البلدان الآسيوية للتجمع فى نيو دلهى للمشاركة فيما يسمى بمؤتمر الكتاب الآسيويين الأول فى ١٩٥٦م . مرحبا بالمندوبين لاحظ السيد ر-ن-اغروال (R.N. Aggarwal) رئيس لجنة الاستقبال بصفة مناسبة .

" إننا عقدنا مؤتمرات آسيوية ذات طابع سياسى فى هذه المدينة فيما سبق و لكن هذه أول مرة قد تجمع فيها الكتاب البارزون من البلدان الآسيويـــة و هم يمثلون عدة لغات ، على منصة مشتركة للهدف النبيل لتطوير الصداقة على المستويات الشخصية و القومية و الدولية ، و تعلق أهمية كبيرة على مداولاتكم فى هذا الوقت الذى يمر فيه العالم بأزمة . "

و أضاف قائلاً :

" إن الحرب تمثل عدوا أكبر للفن و الثقافة. إنها تدمر الكنوز الثقافية و الفنية للقرون.

و اختتم خطابه بملاحظة تفاؤلية :

"إننى على ثقة كاملة بأن حصيلة مداولاتكم سوف تمهد السبيل للتفاهم المتبادل و الحب المتفانى للحرية و شعور السماحة بين شعوب العالم."

و تمت المناقشة حول مسائل المصلحة المتبادلة للكتاب ، و وجّه المؤتمر دعوة للتوحد دفاعاً عن الحرية التى كانت و لا تزال عرضة للهجمات المتواصلة من قوى الظلام لرد الفعل العالمى . إن الحرية مازالتِ مصطلحاً ساء استعماله للغاية مازال الاستعمار للأمس و الاستعمار الجديد لليوم يقيم سياساته القمعية المعادية للشعوب على فكرة مشوهة للحرية كأن هذه الكلمة تعنى مجرد فرصة للعمل حسبما يشاء المرء أو مجرد فرصة للاختيار من بين بديلات معنية. و هو يحاول تشويش أذهان عامة الناس و يحجب الحقيقة القائلة بأن الحرية لا يمكن تحقيقها بدون مشاركة واسعة لعامة الناس فى الشئون الإنسانية و هى تفترض ضرورة توسيع المجال للقرارات الإنسانية فى صنع التاريخ حيث يقرر الناس مستقبلهم داخل المنظور التاريخى الذى لا يمكن تحديده بصفة تحكمية و لكن له حدودا واسعه جدا.

إن هذا المؤتمر كان تجربة مشجعة للغاية نجحت فى إنشاء نوع من اتفاق دولى ودى بين الكتاب الممثلين لعدة بلدان أسيوية. و فى هذه البيئة المغمورة بغزارة المشاعر الودية و الحارة شُعِر بأن نطاق مثل هذه اللقاءات يمكن توسيعه بدعوة الكتاب من البلدان الافريقِية أيضاً . و قد قبلت الدعوة التى وجهها الكتاب السوفيتي و اتُخذ قرار رسمى لانعقاد المؤتمر التالى فى تاشقند فى عام ١٩٥٨م.

و جاء فى هذا الإطار أن فريقاً من الكتاب الممثلين لعدة لغات هندية ركبوا طائرة داكوتا الضعيفة التابعة للخطوط الجوية "آريانا" مسافرين إلى كابول فى طريقهم لتاشقند. كان ذلك صباحاً لطيفاً غير عادى للأسبوع الأول من شهر اكتوبر فى ١٩٥٨م عندما باشرنا الرحلة. و بعد فترة للطيران لم يحدث فيها حادث هبطت الطائرة بمطار كابول بعد الظهر، و بعد ساعة تقريباً سافرنا بطائرة "ايروفلوت" إلى تاشقند و عندما وصلنا هناك بعد غروب الشمس أقيم لنا استقبال حار من قبل الكتاب الأوزبيكي و الأصدقاء الآخرين.

و قد تمت ترتيبات السكن للوفد الهندى فى قاعة واسعة مريحة على بعد بضعة أميال من المدينة. و يجتمع الناس الناطقون بكافة اللغات الرئيسية الهندية تحت سقف واحد مما حوله فعلاً إلى برج صغير لبابل . فى الحقيقة إنها كانت تجربة ممتعة أو نادرة بدون شك. مثّل سجادظهير و راجندر سينغ بيدى و الكاتب غلام ربانى تابان اللغة الأردية. و جاء كاتبان بارزان للغـــة الأرديـــة و هما حفيظ جالندهرى و فيض أحمد فيض من باكستان. و سكنا فى فندق تاشقند الحديث العهد بالبناء و لكننا مثل طيور نفس الريش كنا نعيش معاً فى غالب الأحيان.

عُقد المؤتمر الذى شارك فيه الكتاب من عدة بلدان آسيوية أيضا بناء على القرار الذى اتخذته اللجنة الإعدادية الدولية ، فى البناء الرائع لمسرح نافوى. و قد يسميها البعض بالرومانطيقية المتميزة بالحنين للوطن و لكن الذكريات

الحلوة لذلك اليوم لتجديد الروابط الودية و جعل أصدقاء جدد مازالت تنتاب ذهني. و كان مئات من الرجال و النساء و الأطفال قد تجمعوا أمام مسرح نافوى لاستقبال ضيوفهم الذين جاءوا من البلدان النائية . و كانت الشابات الجميلات على نضد الاستقبال على استعداد غير عادى لتقديم المساعدة. و قاعة المؤتمر التى كانت مزينة بما يدل على حسن الذوق و السليقة كانت تمثل طيفا واسعا للكتاب اللابسين أزياءهم القومية و الناطقين بلغاتهم الخاصة. و فى كل مكان كان المرء يشعر برغبة واضحة و شديدة للصداقة و الوداد بما يجاوز كل حدود و حواجز.

و بالجملة كان هناك ممثلون عن ٤١ دولة أسيوية و إفريقية. و بالإضافة إلى عدة أصدقاء أخرين اتذكر مقابلتى مع كل من ناظم حكمت ، و زلفيا خانم ، و مرزا تورسون زادى ، و مير شاكر ، و كارا سيتالى ، و ايه ـ سوفرونوف ، و رسول غامزاتوف ، و غفور غلام ، و طبعاً مريم سالفانيك ، و الأخيرة رغم عدم ادعائها بكونها كاتبة جعلت نفسها موضع إعجاب لدى الناطقين باللغة الأردية بفضل براعتها الخاصة فى اللغة الأردية. و صديق آخر ترك اثراً عميقاً فى نفسى هو ببى حان. إنه ينطق اللغة الأردية بطلاقة و كان رفيقا مخلصا طيلة إقامتنا فى تاشقند.

رحب كاتب اوزبيكى شهير، شراف راشيدوف بالمندوبين بصفته رئيسا للجنة الاستقبال و قال :

> "*إن علامة زمننا هى أن الشعوب فى آسيا و إفريقيا قد دخلت إلى ما يمثل ربيع تنميتها. و بعد عاصفة الربيع تملأ الأرض برطوبة حيوية حيث تتفجر براعم جديدة للنباتات الخضراء على سطح الأرض و تمتد نحو السماء الصافية و نحو الشمس التى تبزغ من الغيوم المنتشرة. و كل شىء يتيقظ على الحياة ، ينمو و يزدهر. و مثل عاصفة الربيع تبدد حركة التحرير القومية للشعوب الشرقية. غيوم الإمبريالية فوق الآفاق اللا نهائية لآسيا و إفريقيا. و إن كفاحهما النبيل و العادل يكتسح قذارة العبودية الإمبريالية و الاضطهاد عن وجه الأرض و يعطى الحيوية لكل شىء جديد و شاب و قوى و مبتهج.*"

و بعد ختام خطابه قدم زعماء عدة وفود تقارير حول النشاطات الثقافية فى بلدانهم أو لغاتهم الخاصة. و نوقشت عدة مسائل أدبية فى الجلسات التالية و اتخذت قرارات تنظيمية هامةً. و يأتى فى مقدمتها ما يخص إقامة مكتب دائم لحركة الكتاب الأسيويين و الإفريقيين.

و لو أن مداولات المؤتمر أخذت معظم أوقاتنا ، دبرنا توفير بعض الوقت للتحول حول المدينة بين جلستين و كذلك بعد انتهاء المؤتمر. و على غرار دلهى

و نيو دلهى قد قسمت عاصمة اوزبيكستان أيضا إلى خطاعين بارزين أو على الأقل كانت هكذا فى عام ١٩٥٨م. و منذ بضع سنوات تدمرت المدينة القديمة بفعل هزة أرضية و قوية كانت اجتاحت هذه المنطقة. و كنت لم ازر تاشقند بعد هذه الكارثة و لكن التقارير تدل على أن تاشقند القديمة الزاخرة بالمناظر التى جعلتها تشابه من عدة جوانب مدينة دلهى القديمة ، قد دمرت على نطاق واسع. و هذان الشطران يمثلان عهدين تاشقند الجديدة بمبانيهـا الحديثـة و الحدائق و الفنادق و المكاتب الحكومية و المرافق العامة و الأزياء و مستوى الحياة على الطراز الأوربى ، تبدو كأنها مدينة حديثة أخرى. و لكن تاشقند القديمة كانت تعكس لمحة للأزمنة القديمة من ناحية الثقافة و الهندسة المعمارية حيث كان الناس مع العمائم الكبيرة و الأزياء الفضفاضة و النساء يحجبن وجوههن بالغطاء تحت العيون ، و المطاعم على جانبى الطريق تعرف باختصاصها فى إعداد شيشليك و نان (الخبز) و الناس يتربعون على المقاعد الخشبية ملتفين بالرداء السميك يتجرعون الشاى فى المقاهى - و من الصعب أن أقول عن كيفية مشاعر الناس الذين جاءوا من الأقطار الأخرى للعالم ، و لكن بالنسبة للهنود مثلنا كان ذلك سيناريو مألوفاً يذكرنا باستمرار العلاقات القديمة بين الشعبين التى تعود إلى قرون العصر الألفى الأول قبل المسيح

وصل النساك البوذيون مع رسالة "رسول السلام العظيم" و نشروها هناك. و دخلت الهند القبائل من الآسيا الوسطى جماعات و أفواجا و أغنت ثقافتنا . و لم يكن بابر، مؤسس الدولة المغولية وحده ينتمى إلى تلك المنطقة و إنما كان شاعران عظيمان و هما امير خسرو و ميرزا غالب أيضاً من ذريات المهاجرين من الآسيا الوسطى. إننا نشاطر كثيرا من الأشياء. لاشـك أن بـلاؤ (الأرز المفلفل) اللذيذ للآسيا الوسطى يختلف لحدما عن البلاؤ الهندى و لكن توجد بينهما مماثلة ليست فى الإسم فقط و إنما فى العناصر أيضا.

و كما قال الدكتور تارا تشاند ، الباحث الهندى البارز

> " *فان الأدب يصور حيـاة المجتمع و يسجـل أشواقهـا و طموحاتها و شكوكهـا و إنــه ، لذلك ، سجـل قيم للتغييرات التى يمر بها المجتمع.* "

و مع ذلك توجد عهود فى تاريخ الأدب عهود يكون المنظور فيها متصلبا و الكتاب غير حافلين تجاه المظاهر العديدة للحياة و لكننا لا نعيش عهدا كهذا ، فالحساسية الحديثة لا يمكنها أن تتجنب مواجهة الحقائق الصارخة للحياة فى إطار القيم المعنية. بالنسبة لدعاة الأدب الحر من القيم أو الكتاب الغير الملتزمين اذ انهم يفضلون هذه التسمية لأنفسهم فهم يحاولون أن يجعلوا الكتاب فى كافة أنحاء العالم فى حالة للارتباك و التشوش ، و إصرارهم على شكل أسلوبى فى الأدب يمثل شاهدا تاريخيا على رغبتهم فى الإبقاء على

الوضع الراهن. و الأمر الذى يجب أن نتذكر أن هؤلاء يتمتعون بموارد و دعم القوى الكبيرة مهماتكن ضئيلة و يثيرون إصداء فاترة لدى الكتاب الذين يتأثرون بدعاياتهم، و إن هذا الأمر بالذات قد زاد فى أهمية منظمة الكتاب الإفرو ـ آسيوية التى لها رصيد ممتازلترويج وعى جديد بين كتاب هاتين القارتين العظيمتين و أيضا فى الأنحاء الأخرى الكثيرة للعالم. و إن نجـاح أو فشل حركة أدبية فى صياغة دينامية العصر يجب أن يثمن على ضوء هذا الوعى.

و فى كل مكان يسعى الرجل العصرى الذى يملك عقلا مدركا ليعرف أين يقف و أين يذهب و مــاذا بإمكانـــه أن يفعـــل بخصـــوص الحاضر كتاريخ و بخصوص المستقبل كمسئولية. و نتوقع من الكتاب أن يردوا على هذه الأسئلة. و لكن كما قال عالم اجتماعى بارز

" إننا فى نهاية ما يسمى بالعصر الحديث ، و كما كانت العصور القديمة متبوعة بقرون عديدة للتفوق الشرقى الذى يدعوه الغرب العصور المظلمة فان العصر الحديث يتبعه الآن عصر مابعد الحداثة ، و بامكاننا على الأغلب أن ندعوه العهد الرابع."

و على الكتاب أن يصوغوا أجوبة تكون ذات صلة مع الجو المتغير، و يعنى هذا بدون شك انهم لابد أن يكونوا على معرفة جيدة بوضع الأمور التى يعيشونها و لاشك أن العديد من الكتاب على استعداد طبيعى لمعالجة المشاكل بطريقة سليمة.

و لكن فى هذا السياق لايمكن أن نغالى فى تاكيد الدور الهام للمنظمة التى توفر منتدى لتبادل الآراء ، و البيان الذى أصدره المؤتمر الإفريقى الأسيوى الرابع المعقود فى دلهى يكشف النقاب عن الخطوط الرئيسية لهذا المبدأ الأساسى ، إننا نحن كتاب الدول الإفريقية ـ الأسيوية الذين جاءوا إلى دلهي لحضور المؤتمر الرابع نلاحظ بقناعة أن هذا المنتدى سوف لايزال معلما هاماً فى طريق أدبنا و سيعمل فريداً على توحيد المفكرين الإبداعيين الذين يخدمون القضية السامية لتحرير الشعوب للتقدم الثقافى و الاجتماعى.

و أوضح الباحث الهنغارى المعروف غيولا غارمانوس بصفة لائقة :

" إن القوة الدافعة فى المجتمع البشرى هى روح الوقاية الذاتية التى أثناء تكييف نفسها فى بيئة طبيعية تركز فى البداية على مجرد عملية البقاء ، ثم تخلق بيئة ذهنيـة ، أخلاقية ملائمة لحاجاتها الخاصة من عدة قوى عطوفـة و قاسيـة للزمـن. و يجب على المرء أن يحارب ضد القوى الجغرافية المعادية و غير الودية للطبيعة ، عليه كذلك أن يخوض حربا مستمرة ضد القوى الاجتماعيـة لعصره كل ما يبدو راسخة و جامـدة من معتقدات و نظريات."

و فى هذا الصدد قد اكتسبت حركة الكتاب الإفريميين الأسيويين أهميه خاصة للعالم النامى الذى مازال يبحث عن هوية له و قد نالت معظم البلدان الأسيوية و الإفريقية حريتها بعد قرون لعبودية الإستعمار و مازالت تكافح من أجل الكرامة و المساواة القوميتين تعمل القوى الإمبريالية و الاستعمار الجديد على تخليق ظاهرة الضعف و الانقسام فيها و الجانب الأكثر تعاسة هو أن بعض الكتاب يسمحون لأنفسهم بأن يكونوا عرضة للاستغلال من قبل هده القوى ، و هم يتغاضون عن أن الأدب هو فى الحقيقة خلق بيئة تعزز فيها القيم . و الكتاب مسئولون تجاه المجتمع لجعل الحياة أكثر حرية و عدالة و جمالا ، الأمر الذى يتطلب كفاحا متواصلاً ضد الجور الاجتماعى و العجز الاقتصادى . و أكد الزعيم الوطنى العظيم و أول رئيس الوزراء للهند الحرة جواهرلال نهرو هذه النقطة بأسلوبه الفريد حيث قال .

" *إن البحث عن الحرية و محاولة تحسين حظ البشرية ليس بشىء جديد. ففى الهند قد اتخذ هذا البحث شكلا روحيا منذ عصور عديدة خلت للوصول إلى الحقيقة المطلقة. و قد ركز المصلحون الهنود القدماء على الجانب الماورائى للوجود و لكن عندما ازدادت الحياة الحديثة أكثر تعقيدا أصبح من المستحيل التغاضى عن الجانب المادى للحياة البشرية لو أنه كان ممكنا فى الماضى العريق المجهول. النجاة الحقيقية يمكن أو لا يمكن تحقيقها عن طريق الديانة وحدها ، و لكن كيف يمكن للفقير الجائع و البائس المظلوم الذى لا يكاد أن يبقى على روحه و يتركز وجوده الكامل على معدته الخالـية ، أن يفكر فى الديانـــة و الأبدية*

و كما أن كل مجتمع يتكون من عدة مجموعات كذلك فان جمعية الكتاب هذه ليست منظمة متكاملة للأشخاص ذوى وجهات نظر متجانسة و قد قبل فيها ممثلون عن البلدان ذات نظم اجتماعية و سياسية مختلفة و مع ذلك فان أعضاءها يدعمون القيم المعنية التى تجتمعهم على منصة مشتركة كما وُضع فى مشروع قرار تم تبنيه فى المؤتمر الرابع.

إننا نلاحظ أنه رغم هذه الخلافات داخل "العالم الثالث" المزعوم تشاطر هذه البلدان كثيرا من الأشياء ، حيث أنها لا تزال تواجه الإمبريالية كعدو رئيسى لحركات التحرير القومية ، و هو العدو الذى ينبغى علينا أن نهزمه فى كفاح طويل و صعب أمامنا."

و هذا تكمن الجودة و ينبغى تطويرها و تعزيزها على أساس مبادىء التلاحـــم و الوحـــدة. و فيما يتعلق بالمنظور و الواجبـــات و كذلك التشكيل و العمل لأى منظمة للكتاب فيجب أن تكون مختلفة تماما عن نقابة العمـــال ، و لها إمكانياتها و عوائقها الخاصـــة. و لكن الكتـــاب لايمكن أن يظلـوا جامدين و غير فعالين فى وجه التحديات الموجهة إلى القيم التى يقدرونها و يتمسكون

بها. و لاحظ أحد الزعماء الوطنيين الهنود العظام بدر الدين طيب جي في سياق آخر :

"*إنني اعتقد أنه بنمو الحياة السياسية تنشأ تطلعات جديدة لدى الشعوب و الأفراد على السواء و تلك التطلعات تحتاج منظمة من أجل التعبير عنها.*"

و إنها قد وفرت سبب الوجود لهذه الحركة التي قطعت مسافة طويلة من تاشقند إلى القاهرة و بيروت و نيو دلهي و المآتا و انغولا و بالتالي طريق العودة إلى تاشقند في فترة قصيرة لا تجاوز ٢٥ عاما. و إنها اكتسبت المصداقية و قد شارك الكتاب و الباحثون البارزون في مباحثاتها و مداولاتها، الأمر الذي يعتبر شرطا ضروريا الاعتراف ، و لعل أكثر الأمور قيمة لعالمنا هذا هو ما يسمى بانفجار وعي جديد. و مهما يكن من مقاييس فان هذه المنظمة قد ساهمت مساهمة قيمة تجاه هذه الظاهرة الجدية التي تجد تعبيرا شعريا في الأبيات التالية للشاعر الفلسطيني الثوري "دباغ" .

" ايها المرء الذي لا يعرف روحي و ما فيها من غرام و حب
للحياة التي تخنقها بهموم و أحزان شديدة
إن حبي ليس إلاّ تحرير شعوب الأرض
من حكم الحشود و رجال المكاتب
و أرجو أن يكون في جهدها و خز لكل روح
لا أحد يستطيع أن ينال هدفه بدون حرية."

و عبر السنوات تم تشكيل اللجان القومية لمنظمة الكتاب الافرو ـ اسيويين في عدد من البلدان و الآن تعمل بصفة فعالة لتطوير شعور للتضامن بين الكتاب و الإدراك القوي للكتابة المعاصرة ، و مما لا ينكره أحد العلاقة بين الأدب و المجتمع المعقدة ، و رغم هذا كما قال أرثرميلر .

" *لا يمكن إنتاج أدب جيد إذا تردد الكاتب في التفتيش و التحقيق في كل شيء و إذا اعتبر أي عرف أو عادة أو تقليد ظاهرة أبدية و ثابتة و محتومة.*"

و بفضل المباحثات و المداولات و تبادل الآراء الصريح بين الكتاب في معرض بحثهم عن الصدق و الجمال هناك تحول حاسم في هذا الاتجاه ملموس في المجهودات الإبداعية ليومنا هذا ، و هو مؤشر إلى تحقيق مثل كما تصور به رابندرا ناث تاغور ، أحد الشعراء البارزين الهنود منذ بضعة عقود حيث قال :

" *سيأتي يوم ، يقوم فيه الإنسان الذي لا يمكن قهره بإعادة رسم طريقه إلى الانتصار رغم كل ما يوجد هناك من عوائق و حواجز لاسترداد تراثه البشري المفقود.*"

تعريب : فرحانة طيب صديقي

الناقد الهندي
آشاريا راما شندرا شوكلا

بقلم: بي. إن. براساد،
جامعة رانتشي (ولاية بيهار)

يشتهر راما شندرا شوكلا بلقب *آشاريا* (Acharya) و هى كلمة هندية تساوي البروفسور بالإنجليزية كما تطلق هذه الكلمة على من يعمل في توسيع دائرة المعرفة. فقد كان شوكلا اشاريا بمعنى الكلمة حيث أنه كان أول ناقد في الأدب الهندي أدرك بضرورة استنباط معايير نقدية جديدة لتقييم أعمال إبداعية جديدة و هذا لم يكن في الإمكان إلاّ بالتوصل إلى التركيب المثمر للنظريات الأدبية - النقدية العربية و الأسلوب الشعري السنسكرتي و النظريات الجمالية.

ولد راما شندرا شوكلا في ١٨٨٤م و توفي في ١٩٤٠م إنه كان كاتبا مبدعا و شاعرا قديرا، قرض أبياتا تمتاز بالامتزاج الرائع للفظ و الفكرة. إلاّ أن النقد الأدبي كان محورا مركزيا لنشاطاته و من أهم مؤلفاته *تاريخ الأدب الهندي*، و Rasa Mimansa (تحليل نظرية راسا) ، و Chintamani (جوهرة التأمل الذاتي) و الكتاب الأخير يحتوي مقالات عن أحوال سيكولوجية مختلفة و ملابساتها الأدبية. كما يتضمن مقالات نقدية مسهبة عن نظريات التعبير لكروس.

لم يقبل راما شندرا شوكلا النظريات الشعرية غير المتفقة مع قواعد النقد النزيهية التي قدمها بهاراتا، و مماتا، و كونتاكا، و فامانا، و أننداڤاردهانا،و أبهى ناڤا جوبتا وغيرهم. إنه كان يحرص دائما على نقد أعمالهم في السياق الأدبي الحديث. كما جعل واضعي النظريات الأدبية الهندية القديمة مواطنين للعالم الأدبي - النقدي الغني الذي يقطنها المفكرون و الفنانون الغرب مثل سقراط، و افلاطون، و ارسطو، و شكسبير، و الإسكندرجوب، و وردزورث، و كولدرج، و شيلي، و كيتس، و كروس، و فرايود، و روبرت بروك،

و ريشاردس، و ايميلي ديكنسون، و التصوريين و روبرت جريوز، و لاورا ريدنج، و شاشيفرل سيتويل. فهذه المجموعة الرائعة من الأسماء المذكورة أنفا تدل علي أن شوكلا رأى أن النقد الأدبي الهندي في حاجـة إلى قاعدة ديناميـة و نظرية غنية نابضة بالحياة. فكان من رأيه أن النظريات الشعرية الهندية القديمة ينبغى أن تستخدم لشرح الشعر و الدراما الحديث كما يجب أن تعتبر جزءا للتقليد الحي. كما كان يرى بأن المفكرين العرب و الأدباء هم أجزاء للتقليد العالمى. فعليهم أن يساهموا في فهمنا للأدب

يعتقد شوكلا بأن هناك فرقا بين الشعر و الشعر العظيم. فالشعر العظيم يخلق شعورا مفعما بعناصر الحرية و السعادة. و يجعل القارئ أن ينسى الحقائق المرة و يولد، عن طريق الكلمات، حالة من السعادة التامة و يستلهم شوكلا من الدين جزءا من المصطلحات التي تصف التجربة الشعرية. فيقول إن الشعر العظيم يجب أن يخلق يوجا الجساسية، (Bhava Yoga). و هذا يساوي في الخطورة ليوجا العمل. (Karma Yoga) و يوجا المعرفة (Janana Yoga) إلاّ أنه يؤمن بأن الشعر العظيم لا يميل إلى تعبيرات خارقة. و إنما يعبر عن التجارب التي يمكن أن تستخلص المتانة بنفاذ البصيرة و الوضوح. و يرى أن الشاعر العظيم يتخلى عن أنانيته عندما يشرع في الإبداع الشعري و يدمجها بالروح العالمية. وتستخدم اللغة الشعرية الكلمات التي تستخدمها عامة الناس و لكنها تنظمها بنهج خاص حتى تصبح أكثر تأثيرا و رنينا. إن الكلمات المرتبة بنهج خاص و المكتوبة بأسلوب خاص ينتقل بالقارئ إلى عالم الحريـة و السعـادة. و يفترض الشعر العظيم مقدما بأن له مستمع فانه لا يؤلف في برج عاجى. إن التجربة و التعبير يتحدان في رقص صوتي للكلمات. فقد كان شوكلا معاديا كبيرا لنظرية الفن للفن. و كان تلسي داس، كاتب الملحمة الهندية الشهيرة راما شريترا مانسا، شخصيته المثالية. فقد ضرب شعر تلسي داس الأوتار الرنانة لأرواح أشخاص لا حصر لهم و حمل الناس على أن يرتبطوا بالحقائق المرة و هو يحظي بمركز معنوى متين. فيغرس الشاعر العظيم فضائل موضوعية و غير متأثرة بشعور ذاتي. و هو يدرك بحساسيته العالم الظاهر. إن الشاعر لا يكترث بالمجهول، و لا يرغب في البحث عن خيوط السر. فان التجارب غير المدركة بالحواس يجذب انتباه الفلسفي و العالـم بعلـم الكـلام و لكنها تخرج عن نطاق الأغراض الشاعرية. و يعتقد شوكلا بأن الترصيعات الشعرية (Alankaras) ، و التعبيرات غير المباشرة (Vakrokli) و التقاليد الأسلوبية (Riti) و الغموض (.Dhawan) لازمة للشعر. و لكنها يجب أن لا تكون هى نفسها موضع الانتباه. إنه ينتقد على كروس نظرا لاعتقاده بأنه حلل الجانب التعبيرى للعملية الشعرية في حين أن الشاعر العظيم نتيجة للربط الفريد بين التعبير و التجربة.

يعتقد شوكلا بأن هناك أنواعا من الشعر، منها الشعر الذى فيه دقة

للتجربة و لكنه يسمح لنفسه أن يسبح بجدّة التعبير الحر. إن الشعر الذي فيه فقدان للتجربة و رغبة في استخدام الكلمات الملتهبة فينساه القراء بعد ما تبلى الجدة فيه. يتحدث شوكلا عـن كومنجس (Cummings) في هذا الصـدد و يوفر ترجمة و نقدا عمليا لقصيدة غروب الشمس (Sunset) فيقول ان كومنجس يكسر تكوين الجمل العادي. و يستغل الصفـة الصوتيـة للكلمـات و يخل بالترتيب القواعدي للكلمات. فيبهر كل ذلك بصر القاريء و لكنه يشوه التجربة الشعرية إلى أن القاريء لا يجد أى مغزى لها. فهو يسمي كومنجس بأنه متلاعب بالكلمات و يرى أن الشعر مثل هذا النوع يفشل في تغيير أو في إغناء حساسية الملتقي الإيجابي للشعر، فيضفي شوكلا منزلة أقل شأنا على كومنجس في عالم الشعر.

كان شوكلا أحد أوائل النقاد في الهندية في البحث عن تفاصيل الصفات المميزة للغة الشعرية. إن كتابه Rasa Mimamsa الذى يحتوي على مقالات كتبت في أوائل العشرينات، فيها مقالات عن لغة شعرية ففي ذلك الوقت لم تكن الدراسات عن أساليب النصوص الشعرية متوفرة حتى بالإنجليزية. يشير شوكلا إلى *النقد العملي* (Practical Criticism) لصاحبه أئي ايه. ريتشارد في كتابه حول نظرية راسا. و لكن الإشارة تتعلق بالناحية الاجتماعية للنظرية. فهو يقتبس العبارة الآتية من *النقد العملي*.

> *" ليست هناك فجوة كبيرة بين الشعر و الحياة كما يراها شخص مفرط في الإطلاع على الأدب أحيانا و لا فجوة هناك بين حياتنا العاطفية اليومية و مادة الشعر إن التعبير اللفظى لهذه الحياة ، على روعته ، مضطر لاستخدام تقنية الشعر ... فاذا لم نكن نعيش في الانسجام مع شعر جيد، علينا أن نعيش في التوافق مع الشعر الرديء ؟ "*

يجد شوكلا تصديقا لمعتقداته هو بكلمات أئى ايه. ريتشارد. يقول شوكلا: إن اللغة التي يستخدمها الشعراء تختلف عن اللغة التي يستخدمها الناس لأغراض عامة. كما تختلف عن اللغة التي يستخدمها الفلاسفة و العلماء و غيرهم من الناس الراغبين في تبادل الأفكار. و يقول إن الشاعر لا يستخدم في الشعر الكلمات من الدرجة الاجتماعية الغامضة التي يمكن أن تنطبق على أنواع كبيرة من الأوضاع. فالشاعر يستعمل الكلمات الفريدة التي تمتاز بقوتها التعبيرية الهائلة و لا يرتاح إلى الكلمات التي لها معان أدبية فقط بل عليه أن يستعمل الكلمات ذات طابع مفعم بالحياة و التي تقدم صورة سمعية بصرية حادة و لا ينبغي استعمال كلمات محددة أو الكلمات التقنية و العلمية في الشعر لأنها تجعل البنية الشعرية غامضة و ينتقد شوكلا بشدة أولئك المتشاعرين بالسنسكريتية و الهندية الذين يستعملون كلمات تقنية مستعملة

في الطب و الدين و المنطق لأغراض سعرية و كذلك المتشاعرين المتشعوذين الذين يتلاعبون بالألفاظ و الكلمات فلا يمكن أن يبلغ شعرهم إلى مستوى شعر حقيقي.(٣)

هكذا تستغل اللغة الشعرية الغموض و لكن ينبغي أن يعزز استعماله قصد الشاعر دائما. كما ينبغي أن يوجه اهتمــام بالغ إلــى ترتيب الكلمات و تركيبها جيدا (٤) إن الموسيقي يروق التخيل السمعي فعلى الشاعر أن يوّجه انتباهه إلى هذه الناحيــة من الإبــداع الشعــري أيضا. إن الإيقاع الصوتــي و *الجناس الاستهلالى* و *السجع الداخلي*، و *خلق انماط إيقاعية* تزيد القوة التعبيرية للغة شعرية. كما ينبغي أن تضع لغة الشعر مناسبات شعرية أيضا في الحساب.

بدأت هذه الأفكار عن اللغة الشعرية تظهر في ١٩٢٢. و عدّل شوكلا موقفه أساسيا في الثلاثينات. و يقول في معرض حديثه عن النظريات الشعرية لكورس إنّ مهمة الشاعر هى البحث عن "*الفذ*". و *التراكيب الجديدة* قد تؤدي إلى الوضع الشعري الشاذ. فعلى هذا ، يجب على الشاعر أن يكون دائما وفيا للغة العامة. إن أحد الأسباب لهذا أنه تأثر بالتيار المتزايد للرومانتيكية في الشعر الهندي، و الحركة الشعرية التي كانت مفتوحة بالإبهام. و قد تبنى أعلام هذه الحركة الشعرية مثل براساد، و بانت، و نيرالا هذه الصور الغامضة برباطة جأش. و قد كان مثل هذا الشعر مختلفا بطريقة أساسية من شعر تلسي داس. إن راما شندرا شوكلا يعتبــر ملحمــة راماشريتبرا مانس لتلسي داس نظما مثاليا و نموذجا رائعا للشعر العظيم.

بدأت الشاعرة مهاديفي فيرما تكتشف في أنماط شعرية تجاربا شفقية تسود عليها الدين. و قد تعرض شوكلا لانتقاد شديد لعدم حساسيته بالحركة الشعرية الجديدة و قيل إنه صورة هندية للدكتور جونسون و يحــاول صدّ تيار الرومانتيكة و الشعر من النوع الميتافيزيقي. إن هذه التهم غير صحيحة بل انقذ شوكلا النقد الهندي من التخطيط غير الموضوعي و أضفي عليه صفة الموضوعية. و كذلك رفض ترديد النظريات الشعرية لناقدى الأدب السنسكرتي كالبيفاء و فحص علاقتها بالعصر الحديث. كما درس نظريات شعرية لمفكري الغرب بجرأة. فكانت مساعيه مذهلة حقا و لا يضارعه أحد من النقاد الذين برزوا على الأفق الأدبي الهندي بعده.

غير أنهم أضافوا أبعادا جديدة للوعي بالنقد الأدبي الهندي. فكان هزاري براساد ديفيدي، الذي كان مديرالمعهد " *هندي بها فن*". و *شانتى نكيتن*، على صلة وثيقة مع رابندرانات طاغور فكشف عن نقاب بعض الحقائق عن المدارج التكوينية للشعر الهندي. و كان عمله ذا طابع أدبي أثري و كان قد ترجم رابندرانات طاغور أشعار " كبير" و كشيتى موهان سين. كما درس باحث آخر الشعر الهنــدي فــي شانتي نكيتن بدقــة و أدرك بالأهميــة الإجتماعيــة

و الأدبية في العصور الوسطى . فاثر كل ذلك في ديفيدي أثرا عميقا و منحته إدراكا بمجرى الكلام الجديد. و من هنا كان ناقدا أديبا قد تعزز اتصاله مع فناني اللغات الهندية الأخرى. و كذلك حاول الدكتـــور ناجيندرا تقويم نظريـــة راسا الإبداعية و نظريات فرويد Freud النفسية التحليلية. غير أن محاولته لم تكن ناجحة جدا في انتاج نظرية مترابطة منطقيا. على أي حال قدم في نقده بعض الدراسات المتسمة بالتبصر و حادة الملاحظة بشأن كتّاب المسرحيــة بالهنديــة. و إذ أنه كان معلما للغة الإنجليزية لمدة عشر سنين بكلية دلهي، و كان على وعي بالنظــريات الأدبيـــة الفرويديـــة ـ الأمريكيـــة مثل الرمـــزية (Symbolism) و التصورية (Imagism) فطبق تلك المبادئ في دراساته على الفنانين بالهندية و قارن بعض النقاد أعمال الفنانين بالأدب الهندي بما كتبه بهارتي، و مارماد، و هـــاري نرايا أبتيـــه، و ك . م. منشـي، و شارات شنـــدرا، و طاغـــور ، و بنكم شندر و بذلوا محاولاتهم لإعطاء النقد الأدبي الهندي بعدا هنديا عاما إلاّ أنهم فشلوا في تطوير معايير مطلقة للحكم. على أي حال يمكن أن يقال إن الأدب الهندي انتقائي أكثر مما هو اشتقاقي و قد تجنب أكثر النقاد الكبار عن ترديد النظريات الأدبية الأوروبية كالببغاء.

بذل النقاد قدرا كبيرا من الطاقة النقدية بالاشتراك مع الحركة التقدمية في الأدب الهندي في أواخر الثلاثينات و كانت هذه الحركة الأدبية جزءا من الحركة السياسية بقيادة الحزب الشيوعي و أدت هذه الحركة الشعب إلى أن يدرك بالماركسية و نظريتها في الأدب في السياق الاجتماعي فكان معظم النقد الأدبي الذي كتب خلال هذه المرحلة اشتقاقية الطابع. و كثيرا ما ذكرت في هـــذا الصدد أسمـــاء جوركـــي، (Gorky) و بوبلو نيرودا (Publo Neruda) ، و هوارد فاست (Howard Fast) ، و ريتشارد رانت (Richard Wright) ، و لويس أراجون (Luis Aragon) و كريستوفر كودويل (Christopher Caudwell) بدون تمييز و بقصد مجادلة عنيفة و قد فشل النقاد الماركسيون في الأدب الهندي خلال أواخر الثلاثينات و أوائل الأربعينات في تطوير مبادئ مستقلة للحكم الأدبي. و اكتفوا بمعظم الأوقات بخط الحزب. إلا أن الحركة قربت الكتابة الفنية الأدبية في اللغات الهندية بعضها ببعض و ولدت أنواعا من الوعـــي القومـــي. و قد أصدر بريمشاند مجلة هندية بإسم " *هانس*" (الاوز) بهدف بلورة القومية الأدبية الهندية و قدنشرت هذه المجلة التراجم لأعمال أدبية من كل اللغات الهندية تقريبا خلال هذه المرحلة، و بدت في معظم هذه الأعمال ميولا يسارية. على أي حال اتخذ النقد الأدبي خلال هذه الفترة طابعا قوميا. فكتبت مقالات نقدية خلال الستينات و السبعينات عن فالاتهول (Vallathol) و تاكاشي شيفاشنكار بيلاني (Tikashi Shivashankar Pillai) و محمد بشير (Mohammad Basheer) و سوبهاش موكهوبا بادهيايا (Subhash Mukhupadhyaya) و غيرهـم. و قد اتسمت المقالات النقدية خلال هذه الفترة بقدر كبير من الحماسة

الهجومية العنيفة. و ذلك بسبب انشقاق في الحركة الشيوعية العالمية. إلاّ ان الكتاب مثل رام بيلاس شارما، و شيفــا سينغ شوهــان كانوا اكثر اتزانا في هذه الفتــرة و انتجوا بعض التطبيقات الرائعة للنظريات اليسارية الغامضة.

و يمكن أن يقال إن النقد الأدبي الأصيل بالهندية في هذه الفترة قد وضع المؤلفين مع أعمالهم الهامة في الحساب. و حاول النقاد الأدباء الارتفاع فوق احجافات ضيقة و هم نجحوا في معظم الأحيان إلا أن هناك ميدانا لم يتلق اهتمام النقاد بالهندية، و هو ميدان الأدب الإنجليـزي الهنـــدي، فقد بقـي مولك راج آنند، و راجا راؤ، و ر.ك. نريان، و أنيتا ديسائي، و أرون جوشــــي، و نيسيم إزيكيل، و جيانت مهابترا في الدوائر الهندية كانه لم يكن لهم وجود. و يفترض بانهم كتبوا للجماهير الأجانب. و يعتقد بأنه كانت لهم روابط ضعيفة بالواقع الهندى. فقد ألقى المؤلف الحالى نظرة فاحصة على الوضع الأدبي الهندي ـ الإنجليزى في سلسلة من ثلاث مقالات نشرت بمجلة " *أجكل* " الصادرة في دلهي في عام ١٩٥٧ ، و لكن منذ ذلك الوقت لم تظهر مقالة في أية ناحية من نواحى الأدب الهندي ـ الإنجليزي في أية مجلة. على أي حال نشرت مقالات حول الكتاب الأدباء باللغات الهندية الأخرى في مجلات متفرقة مثل مقالات ڤيجايا تيندولكار، و جريش كرناد، و أخيلان، و أننتا مورتي، و بادل سركار وشنكار و بيمال في فترات متنوعة. فيمكن أن يقال إن النقد الأدبي الهندي قد اكتسبت في هذه الفترة طابعا هنديا على العموم.

إلاّ أن بعض الاتجاهات المزعجة قد ظهرت في العقد الماضى. منها انقراض المجلات الأدبية، فقد توقفت مجلة "*كلبنا*" الصادرة في حيدرآباد بعد أن لعبت دورا مثمرا في تشجيع النقد و النشاط النقدي، و الثاني الازدهار المتزايد للرسائل العلمية المقدمة إلى الجامعات الهندية لنيل شهادات الدكتوراة التي أصبحت رمزا للشرف في حياتنا العلمية الأدكاديمية مما أدى إلى احتشاد كتاب الرسائل في صفوف النقاد الأدباء الأصليين. و الاتجاه الثالث هو النزعة التجارية في المجال الأدبي باستعمال تعبيرات انيقة بهدف كسب الربح.

إن الورقة التي وزعت في بداية ندوة نظمها ناراسيمها قدتضمنت عددا من الأسئلة العجيبة. منها كيف نباشر في تصحيح النقائص؟ أنا لا أعتقد أن أى فرد واحد يستطيع أن يصحح نظام الأشياء كلها و انما مجموعة من الأدباء يمكن أن تلعب دوراً هاماً فى هذا الصدد.

الملاحظات و المراجع :

١- راما شندرا شوكلا، راساميانسا، كاشي نكري، إدارة النشر، ناراسي ص ٢٦٧ لم يذكر راما شندرا العنوان الأصلي لقصيدة كومنج إن غروب الشمس (Sunset) ترجمة انجليزية لترجمة شوكلا الهندية للعنوان

٢- اقتبس شوكلا من كلام ريتشارد في راسا يمانسا ص ٢٢٢

٣- أشـــار شـوكلا إلـى القصيــدة الهندية بريم فوجداري أي محاكمـــة الحب و استعمل فيها كلمات قضائية للتعبير عن أوضاع الحب

٤- يوازن شوكلا بين جملتين سنسكرتين،

الأولى Shusko Vrikshajh Tisthati Agre.

و الأخرى Nirasa Tarurus Vilasati Purutah

لهما معنى واحد و لكن الجملة الثانية أكثر ترتيبا من ناحية الكلمات

تعريب: د/ شميم الحسن أمانة اللّه

التنبؤ و الاحتجاج
في شعر لغة تلغو الحديث

بقلم: سي سوبا راو

يوجد دائما عنصر الاحتجاج في التنبؤ، مع أن التنبؤ قد لا يكون في الاحتجاج. فهل يكون من المناسب القول بأن الاحتجاج البالغ إلى مستوى الشعر المجعول بالاحتجاج يصبح تنبؤا ؟ قد كان أمام شاعر تلغو الحديث في الثلاثينات كل الفرص ليكون الأول في الإنحراف عن بحور العروض التقليدية، و يستخدم استراتيجيات جديدة للوزن الشعرى إن أروع شيء حول قوة الوزن الشعرى للشرى شرى هو وجود التنبؤ في السطور الابتدائية لـ مهابراستانام (Maha parasthanam) و كذلك القطعة الاختتامية "جكناتونى راتها شارال" أما الستارة الخلفية هى الكون و الروعة و الغموض الكونى.

فابتداء من الأمل بمستقبل سعادة الشرى شرى، و الطموح إلى المدينة الفاضلة، و بصيرة التنبؤ بالهجوم على المؤسسات و الهجوم على النظم و إحتجاج شعراء ديجامبارا، هناك طريق طويل. حيث أن انضغاط القصيدة الغنائية، و الاقتصاد في الكلمات و الصور، و الغموض في الكلمات المتشابهة و الصفات الصوتية و مغزى النبوة للشرى شرى و الجيل التالى من الشعراء يظهر أنه يعتمد على الأبيات المفهرسة غير المنتظمة في احتجاجاتهم المتواصلة على النظام. فيتجسد الجيلان في شعرهما المبنى على الكفاح الأوديبى الفريد المتورط في البحث عن الكلمة الصحيحة و التصرف في الصوت.

إن القطعة الشعرية للشرى شرى بعنوان "*كويتا أوكويتا*" يعنى الشعر أيها الشعر، المنهجية لجديرة بمقارنتها بالقصائد الرومانتيكية العظيمة. فيعلن الشاعر فيها قصده لتبنى مهنة الشعر. إنه ابتهال للاستغراق في التأمل، فيراعى بهذا التقليد في كل من الشرق و الغرب من قبل الشعراء و الرومانتيكيين و الكلاسيكيين معا. إنه ينهمك في وقت واحد في اختبار التحديد الذاتى، و أخيرا يؤدى إلى اكتشاف هوية الشاعر و عمومية الشعر.

أما الشرى شرى فيظهر أن بحثه عن سوادهارما (Swadharma) قد دفعه إلى اكتشـاف كالادهارمـا (Kaladharma) و روح العصـر و إن استجابتـه *لكالا دهارما* يؤدى *إلى اكتشاف سوادهارما* في شاعريّته. و إن الاكتشاف قيم إلى حد أبعد بالنسبة للأفكار الشعريـة في شعـر تلغـو. لذلك مواجهـة الشرى شرى مع الأفكار الشعرية الغربية و أيدولوجيتها قد عملت كعامل مساعد في تكثيف بحثه عن صوت موثوق به. إنه احتضن روح العصر مثل أى واحد آخر في مكان ناء من مدراس في الثلاثينات.

مشرباً بالأفكار الغربية هل هـو أقبل علـى نبذ العبـارات الجوهـرية و الجمل المنمّقة و مال إلى المنظوم العادى؟ كلا إنه حـارب في حـدود نفسه و قاوم الأفكار المبذولة و لم يكن أحد اخر إلا الشرى شرى الذى قدم نصيحته للنهوض بالشاعر في الأربعينات لو أردت أن تكتب تلغو جيدا، فخير لك أن تقرأ الإنجليزية كيف يستطيع أحد أن يصرف النظر عن أنوكارانا (Anukarna) و هذا بدون شك تفاعل إبداعى إن لغة تلغو غنية بهذا التلاقى الحساسة. فقد قيل لنا هذا جيلا بعد جيل و لكنه هو فقط استطاع أن يعيّرذلك فقد أحدث الشرى شرى ثورة لغوية أولا و كان في الطليعة فارتفعت لغته إلى ذروة الشعر الخالص. إنه كان يعرف أهمية صفاء لهجة القبائل و كان يعرف أيضا التقليد في نصوصه الذى يرجع إلى ثلاثة آلاف سنة كنظام متزامن في ذهنـه. و في هذا يكمن إنجازه و اكتشافه لمهنته الشعرية

و الآن نحن نأتى إلى الثورة فى المضمون في شعر تلغو الحديث التى أحدثها الشرى شرى

إن ارتباطه بالرجل العادى، المقهور و المظلوم، بلدى تماما. فانه يكرس ارتباطاته الشعرية كلها مع الرجل العادى، المسـافر الضال، و المرأة الشحـاذة و غيرهما و فيه يتضافر أسلوب الفهم و أسلوب التعبير لانتاج شعر من مستوى عال. و يقدم نظمه عن المرأة الشحاذة على كلمات بسيطة و لعز حقيقى. و هو يستطيع أن يحرّك الساكن و الحزين و يحدث موسيقى الإنسانية ببيان صريح يقول

إمرأة شحاذة عجوزة

بجانب الطريق
تحت الشجرة
جلست إمرأة عجوزة

تئنّ لا تقدر على التحرك أو تدفع الذبابة المنهالة عليها العيون الزجاجية مجردة من النور، الجلد المنكمش جثة الجيفة أحسن من هذا. قالب ميّت من الحجر جلست الإمرأة العجوزة. هناك سؤال لو ماتت هذه الإمرأة العجوزة فمـن يكون مسئـولا ؟ إسـئل الريح الهوجاء ليس لى هـذا الذنب. و يتدحرج مع أوراق النبات. الفطرة الحيوانية أنانية. و الفطـرة الإنسانيـة لا تكترث. الطبيعة البشرية سلبية تماما. هل أنا حارس أخى ؟ صرخ القابيل

في الكتاب المقدس. الصدى لم يمت حتى الآن. إنّ نغمة الشرسرى تعبير عظيم عن الواقع وصامتة و لكنها مليئة بالأسرار و مثيرة و تشتمل على التهكم الكوني و النقد اللاذع. إنها تشاركك في الحقيقة. و تدل على أنك تواطئ مع كل ما تلاحظ بحزن هادف.

هناك مزيد من الأسئلة. هل سلوك ابيكشا (Abiksha) شرّ؟ هل كلنا يعاني من ذلك؟ هل الأوبيكشا مرض يتعلق بالبرجوازية؟ هل هو عديم الرحمة ناقص الشعور؟.

إن الدعوة إلى مهابراستانام دعوه للتغلب على الأوبيكشا. و الانقسام بين العلم و العمل والمعرفة و الفعل.

هذا ينتقل و يتحرك
ذاك يتغير و يتبـدل
ذلك يوقظ و ينتقل إلى الأمام

هذه هي شاعرية الشرى شرى التى تستحق قلب المستمع. إن فكرة الشرى شرى المهيبة رومانتيكية. إنه يوفر توكيدا للغناء على الجبلة الإنسانية. و إن كل سطر له يخبر عن *ماروبرابانشام* و يتشابه وزنه الشعرى تماما مع ما هو في *بهاجاجوفندام*. و يبدو أن الناس يجهلون ثورة الكلمة التى يحرزها الشرى شرى في الدعوة الهادفة في *ماروبرابانشام*. فالاحتجاج في أيدى الشرى شرى يصبح شعرا. و الشعر يصل إلى دائرة التنبؤ.

كان الشرى شرى يجسّد روح عصر الثلاثينات. فلو رأيناه كأول مولود بين شعراء التلغو المحدثين، عثرنا فيه آثار شيلى التى يستوعبها تماما بنجـاح. و سونبرن (Swinburne) في جانب، و بوند (Pond) و اليوت (Eliot) في جانب آخر و يظهر ديجامبراس (Digambaras) الستينات كنظراء محليين للشعراء المألوفين و الشبان الغاضبين في الغرب. و أقل ما يقال إنهم كشعراء يقلدون *الحركات الغربية*؛ إن الاهتمام مرة أخرى محلية تماما. إنهم لم يستمروا في الحركة إلا لمدة خمس أو ست سنين. و ليس من المتوقع من أحد أن يكتب لمدة طويلة حول سِفر الرؤيا. و النهاية المؤسفة في كل ذلك أنهم كتبوا شعرهم في النهاية متوترين. و لكنه يكون من غير العدل عدم الاعتراف بمقدرتهم في بصيرتهم الوحيدة و القوة المتزايدة في البند الشعرى و المختص بالمعلومات لعامة الناس و البشرية جمعاء.

إن بناء نظم ديجامبارا بسيطة جدا. فانه بيان مباشر في أحيان كثيرة لعدم ارتياح الشاعر مع الخطة الحزينة للأشياء. إن اللهجة مصـرة و متكـررة و تتلاعب الألفاظ حول موضوع الفساد. إن أغلبية من الأشعار تتضمن فهرسا من الاحتجاجات. إن في الغرب الشعراء مثل ألين جنسبرغ (Allen Ginsberg) قد اكتشف من جديد تقليد وهـائت مانسيق (Whitmanesque) في أشعارهم. و خاصة في تراكم التفاصيل بدون تنظيم متماسك لتعزيز النقطة الواحدة،

ففي القصيدة بعنوان *"العواء"* يقول جنسبرغ:

إنني أرى أحسن عقول جيلي تتحزب.

بالجنون و الجوع و نوبات عصبية و عرى الجسم و على ما يبدو بالتوالي و غير المتناهي للأشياء المتلاحقة التي تخربت بها العقول. و مما لاشك فيه أن هناك الكثير من القوى في الأفكار الذهنية المستخدمة في القائمة، و بنفس الطريقة لا تبالي ديجامبـارا بترتيب القصائد فـي شكل البداية و الوسط و النهاية بطريقة متماسكة. و بعد إتمام القصيدة يستغرب الواحد لماذا توقف الشاعر؟ فكان باستطاعته، أن يستمر بدون انتهاك شعورنا بخطورة القصيدة. و رغم أن القصيدة قد كتبها ستة من الشعراء ، فيمكن أن تعتبر قصيدة واحدة بدون الإخلال الكثير بنصيب الأفراد في القصيدة . يريد كل من الشعراء أن يظلوا مجهولين لا بمجرد استعارة أسماء قلمية، و إنما بالكتابة بأسلوب يجعل من الصعب للقارئ معرفة صوت خاص أو التمييز بين الأصوات فهناك صوت واحد و إنه في معظم الأحوال صرخة متذمرة و صيحة فظيعة في هيكل القصيدة. هذا الميل يهدف إلى إخفاء الهوية و عدم ذكر الإسم. و هذا يقتضي الضرورة لتحديد الهوية مع كل الرجال و كل الآدميين المتنفّسين في صراعهم مع الحياة بدون تأخير. فهم بأسمائهم المستعارة القلمية و بأسلوبهم الخاص، يريدون منا أن نعرف أصواتهم كأصواتنا، و كصوت كل واحد. هكذا تتفق الأسماء مثل ناجنامونى (Nagnamuni) و مها سوابنا (Maha Swapna) و جواموكهى (Jawa Mukhi) بطريقة مثالية مع مغزى أشعاره. و الأسماء نفسها استعارات تتحكم في أشعارهم.

تعريب: د/ شميم الحسن أمانة الله

استجابة غوجراتية تجريبية

بقلم: رامنلال جوشي
أحمد آباد

هل يوجد جو نقدي في آدابنا؟ إنني إجابة على هذا السؤال بطريقة وافية ، اتجه بالطبع إلى أدب أعرفه عن قريب . أي الأدب الغجراتي . و أحب أن أضيف هنا بدون أي تأخير أن جوابي على هذا السؤال سيكون ذا طابع تجريبي و في نطاق محدود. فقوامه شخصية عن الوضع الذي يتوفر فيه كتابات إبداعية و نقدية في غجرات اليوم .

إن النقد الأدبي كنشاط يتطلب إرتباطا بالقوة الإبداعية باللغة بطريقة واعية و فحص افتراضاتها و إحداث أعراف على امتداد قرن أو ما يزيد بالغجراتية . فقد نشأ النقد في منتصف القرن الماضي كانتاج ثانوي لما يسمى بعصر النهضة الهندية . و يستلهم في الغالب بالثقافة الغربية و قد تحقق ذلك بسبب إنشاء الجامعات في البلاد. و تشترك في هذا الوضع آداب اللغات المحلية الأخرى أيضا . إنني أعترف بأن النقد الأدبي في غجرات و بخاصة في بداية مرحلته التكوينية كان بدون شك مشتقة . إن النقطة الرئيسية التي أريد أن أشير إليها هنا ، في هذه الورقة هو أن النقد الغجراتي اليوم في حالة الإزدهار. و ذلك مع ما يوجد فيه من سمات منذ زمن الاستعمار بصورة ملموسة . و لعله يكون من الحق القول بأن النقد سابق على الحركة الإبداعية في الكتابات الغجراتية دون شك ، و أنا أصر على ذلك .

فبدلا من المحاولة لعرض مسح تاريخي لنمو النقد الأدبي في غجرات ، أفضل أن أركز إهتمامي على الوضع النقدي في الوقت الراهن . فقد حدث خلال العقد الماضي ، السبعينات ، أن الحركة النقدية قد نالت نشاطا في غجرات . و أحد العوامل التي ربما ساهم في هذه النهضة هو بروز عدد من الشبان من ذوي المواهب الذين هم بمثابة ركيزة في أقسام اللغة الغجراتية في الكليات و الجامعات و هؤلاء الشبان لهم وعي كاف بآخر التطورات بالنظريات النقدية الغربية الحديثة . و عامة كان ميلهم نحو المظهر الخارجي للأدب و في المقام

الأول نحو الفكرة الشكلية الفرنساوية المتمثلة فى أفكار فاليـرى و مالارميـه و الآخرين . و كانت لهم نفوذ كبير على عقول النقاد الشبان و إن المؤيد لهذه الفكرة الشكلية بالغجراتية هو سوريش جوشى . فإنه أكد بصحة الأفكار الأدبية و نوّه (و بالأحرى نوّه أكثر من اللازم) بالناحيـة الشكليـة للعمل الأدبى ، بدلا من النقــد العملى للنص. و شنّ حملة لإزالة الغموض فى المصطلحات النقدية فإنه ناقد صورى من الطـراز الأول قام بإعـادة فحص الآراء الثابتـة و تقييمها . إن سريش جوشى مسئول خصوصا عن خلق مناخ يستطيع فيه النقاد الشبان البحث عن أساليب جديــدة فــى مجالات عمليـة و نظريـة للنقد الأدبى . و بناء على ذلك يوجد لدينا نقــاد مثل ســومان شــاه و شندر كانت توبى والا ، و رادى شيام شارما ، و الآخرون الذين حاولوا استيراد بعض أحداث الشكليات و حتى ما بعد الشكليات باللغة الغجراتيـة .

و قد نشر سومان شاه بحثا فى الشكلية كما حاول شندركانت توبى والا تحليل بعض القصائد الغجراتية و القصص القصيرة علـى طـرارات أحـدث و خاصة يحاول شندر كانت توبى والا تطبيق أنماط لسانية حديثة فى تحليل القصــائد الغجراتيــة . و من الممكن ذكر إسم رادى شيام شارما كشخصية ذات موهبة نقدية أخرى منتمية إلى نفس المجموعة . إن هؤلاء النقاد على أى حال ينتمون إلى معسكر الرواد. و يمكن أن يقال أن محاولتهم مجرد تجريبية. لذا يكون تقييم مساهمتهــم قبل الأوان. كما يمكن ذكر مجموعة أخرى من المواهب النقدية و هم سيتانشو ياس شنــدرا ، و يشــوانت تريڤيــدى و ديجش مهتـا و بربودهـ باريخ و عديدون أخرون الذين لم يكونوا ذوي آراء عصرية بطريقة مفرطة فى وجهات نظرهم إلاّ أنهم كانوا على وعى تام بجميع النظريات الهندية و الغربية النقدية فقد تدرب سيتانشو على وجه خاص و تخصص فى جماليات كانتيان فى جانب ، و فى النظرية الجمالية لجكنات فى جانب آخـر و لهؤلاء الناقدين وجهات نظرنقدية أكثر ثباتا و هى توفر اســاسـا متينـا لتشكيـل رأى نقدى و إصدار حكم عليه. فكان نهجهم فى الغالب مبنيا على النظام و المقارنة . و من السمات البارزة للوضع النقدى فى غجرات فى الوقت الحاضر هى سيادة الفرع النظرى و التفكيرى المائل نحو الجماليات . و إن مظهرا كبيرا فى هذا الصدد هو شخصية الدكتور هارى فالاب بهيانى الذى هو نفسه لغوى و غرس رغبة مخلصة بلهجة براكريت و آداب العصور الوسطى. إنه يفضل أن يكون لديه أساليب شعرية سنسكرتية تقليدية ممتدة إلى الكتابات الإبداعية الغجراتية الحديثة. و قد صرح الدكتور بهيانى فى خطاب ألقاه بمناسبة تسلمه جائزة الايكاديمية الأدبية لعام ١٩٨١ . " أود أن أذكر . إننى توصلت إلى نظريـة الأدب و النقد الأدبى عن طريق فيلولوجيا و علم اللغات. إن التناولات النقدية الراهنة للأدب ظلت تجنح على نحو كبير إلى علم اللغــات و الخطب الحماسيـة و التركيبيــة للعمل الأدبــى. و لهــذه التناولات

و التركيزات الناشئة على النص الأدبى، و فى بعض الأحوال على إستجابة القراء ، قد وجدت تشابها هاما فى النظرية الهندية فى الأدب و النقد. و يمكن أن تعتبر وجهات النظر العديدة لـ آر . جاكسون و جيه كولير و أر . شوليس و إم ريفاتيزى الميالين إلى الشكلية و الذين تبنوا الأساليب الفنية و الهيكلية و الاعراضيـــات و التأويـــلات لمـا قالـــه قبـــل ذلك بهامـــاه ، فامانـــا و آرنندافاردهانا، و كونتاكا ، و وابهى نافا جوبتا ، و جكناث و الآخرون . إن معالجة الجماليات للهياكل الشفهية و التقاليد الهندية تبدو فى أحـوال عديدة متسمـة بالتبصـر و التغلغـل و التحليـل النقـدى و الصوتى و مبنية على شمولية و نظام أشمل".

إن بيان الدكتور بهاياني يجيب من ناحية على سؤال و هو إلى أى حد يمكن أن يساعدنا الشعر السنسكرتي في تشكيل أرائنا فى آداب اللغات المحلية اليوم . فمن الواضح أن رغم تفاؤل الدكتور بهايانى أنا متأكد بأن له نظراء فى اللغات المحلية الأخرى و أنا خائف من انه يجب منح الشعر السنسكرتى قدرا كبيرا من التهوئة قبل تطبيق مبادئها الرئيسية على الكتابة الإبداعية الحديثة فى اللغات المحلية. ففى الغجراتية على سبيـل المثـال برزت مواهب إبداعيـة و كانت كتاباتها تجريبية الطابع للغاية . و بإستطاعتى أن أذكر أسماء لابهشنكار و سيتانشو الذين اتخذوا لهم الرمزيـة و الأسـاليب السرياليـة . و استغرب إلى متى تطبق الأشعـار التقليديـة لأبهى نافا جوبتا أو جكناتـا أو كونتا على الكتابة الإبداعية اليوم . إننى لن أترك كل المحاولات فى هذا الإتجاه . فكل ما أريد أن أعترف بأن لى تحفظات خاصة بشأن هذه النقطة .

و هنا أود أن أضيف أن أحسن أمثلة للنقد الأدبى التى تكتب اليوم هـى لأوما شنكار جوشى ، و سوندرام ، و فيشنو براسـاد تريفيـدى و نيرانجان بهكات. إن ناقدينـا فـى هذا التقليـد هـم جايانت باتهانك ، و أوشناس ، و ياشوانت شوكلا ، و سى . إن . باتيل ، و رامنلال جوشى ، و بهولا بهائى باتيـل ، راكهو ويرشنـدارى ، و شنـدركانت شيت ، و جايانت كوتهـارى ، و سوريش دالال ، و هاريندرا داقيه ، و براموود كومار باتيل وغيرهم.

و فى ميدان علم اللغة يجدر ذكر أسماء هارى فالاب بهايانى . و شانتى بهائى أشاريا وديا شانكار جوشى ، و يوكندرا فياس. أما فى ميدان تحقيق النصوص من أدب العصور الوسطى و المعارف المتعلقة بها فتوجد أبحاث قيمة عند ك . ك . شاستـرى ، و بهوجـى لال سانديسـارا، و ك . ب . فيـاس و بهو بندرا تريفيدى ، و رامنلال سى . شاه ، و دهيرو باريخ .

و قد ظلت دوريات مثل "*السنسكرتى*" و "*الجرانت*"و "*بودهى براكاش*" و "*فورليز سا بها تريما سيك*" متورطة بنشاط كبير فى النقد الأدبى .

و قد بدأ رامنلال جوشى إلى جانب كتابته فى النقد تحقيق " *سلسلة الأدباء الغجراتيين* " و أصدر فى هذا الصدد ثلاثين رسائل حتى الآن.

و هكذا تناولنا فى غضون القرن، مناهج نقدية عديدة مثـل إجتماعيـة و فلسفية و جمالية و موضوعية و هدفية و عمليه و تحليلية

و من أبرز سمات الوضع النقدى فى الوقت الحاضر فى الغجراتية هو نقص الإتصال بين النواحى النقدية و الإبداعيـة عند كتاب الأدب الغجراتى. و النقاد الذين لهم شأن عقا هم خبـراء فى وضع نظريات عـلى مستوى أعـلى و لكن إما بتحيز أو بمجرد معرفة نوعية . و هؤلاء النقاد يرفضون بطريقة ما التعليق على المقدار الكبير من الإنتاج فى المجال الإبداعى بالغجراتية و هم يفضلون الإستمرار فى الحديث عن كفكا أو كموس أو سارتيرى و هم لا يعتنون بالكتابة الإبداعية التى ينتجها عدد صخم من الكتاب . فهؤلاء الكتّاب إما مجرد كتّاب شعبيون أو مهنيون . و هم يقولون إنه لا يكاد يوجد عمل أدبى فى الكتابة الإبداعية الغجراتية ليكون موضع تحليل لخبير ذى كفاءة .

إن هذا وضع شاذ. و أنا أتساءل هل له نظير فى أية لغة من اللغات المحلية؟ هذا هو نوع من النقد بين النقاد الغجراتيين . و إن ترياقا ممكنا لذلك هو وجود الموقف الماركسى و لكن قلما يوجد ناقد ذو منزلة رفيعة بالغجراتية وجه عنايته للنظر بالأدب من وجهة نظر ماركسى أو حتى من ناحية نقطة سيكولوجية غير أنه مما يذكر أن طريقة من هذا النوع كان سائدا فى الثلاثينات و لكن بسبب ما تعثرت هذه الحركة الإنتقادية خلال الأعوام التالية . و ربما كان للإيدولوجية الغاندية السائدة أثر على هذا الوضع. فكان غاندى شخصية أدبية كبيرة و كاتبا بالغجراتية ، و مما لا شك فيه أن أثره الهائل قد لعب دورا خاصا بأسلوب خاص فى هذه الظاهرة .

و هذا مما يأخذنا إلى الوراء إلى مسألة كون الكتابة الإنتقادية الغجراتية متصفة بطابع غجراتى . فطالما نجد أن النقاد الشبان مثل الكتاب الشبان بالغجراتية مفتونون بسحر الأساليب النقدية الغربية . إن هذا لا يعنى عدم إلتفاتنا تماما إلى ما ينتجه النقاد من عباقرة الغرب و لكن كل ما أريد أن أوكد عليه هو أننا بالغجراتية ينبغى أن نكون مستقلين فى طريقتنا النقدية . و إن ناقدا غجراتيا من درجة متوسطة يشعر بشىء من الحرج إذا لم يجد نفسه فى وضع ينقل فيه قول ناقد أجنبى بعد كل ثلاثة سطور عند كتابته . فهذا الإعتماد لا بد ان يزول. لأنه يدل على أننا لم نبلغ بعد إلى مرحلة النضج المطلوبة . و أحيانا فى حالة غياب مثل هذه النظرة يبدو إنجاز من طراز أحسن من ناقدينا باعثا على السخرية و الناقد من الدرجة المتوسطة بين الناقدين الغجراتيين لا يستطيع أن يحرر نفسه من تبعية الثقافة الغربية التى ورثها على إمتداد التاريخ و يظل يقلدها بمقتضى عادته فقط

إن الوضع فى غجرات يظهر انه لا يختلف عما هو بالنسبة للغات الإقليمية الأخرى . فهناك نفس الحاجة للتخلص من بقايا الأوضاع الإستعمارية السابقة و التحرك نحو الأمام لإحراز شعور جديد بالهوية. من أجل شىء

متواز أحسن ، حتى يظهر الناقد الهندى بصفة ممتازة خارج الهند أمام دول الكومنولث التى لها ماض متماثل و التى هى منهمكة الآن فى بحث متماثل عن الهوية. و هكذا سوف يقدّر الكاتب فى نيجيريا أو فى كينيا بسهولة بالصعاب التى واجهها النقاد و الكتّاب الفجراتيون فى هذه الأيام .

كما هناك ميزة طريفة للوضع الأدبى باللغة الفجراتية فى الوقت الحاضر. و قد أشار إليه نيسيم إيزيكيل الشاعر الناقد المعروف فى سلسلة من محاضرات ألقاها بجامعة غجرات منذ أيام ، و هى أن الفجراتيين استقروا فى أعداد ضخمة فى أجزاء عديدة من العالم اليوم. و هؤلاء الناس المتكلمون بالفجراتية سواء أ كانوا فى إنجلترا أو فى أمريكا أو إفريقيا يعيشون كمهاجرين . على هذا هم يجدون أنفسهم كأنهم ممزقون بين إكتشافات مختلفة و هناك علامات فعلا تدل على أن هؤلاء الفجراتيين فى الخارج يتطلعون للتعبير عن أنفسهم فى عبارات إبداعية. فلديهم تجربة جديدة للتعبير عنهـا. و لعلها تساعدهم فى ملء الفجوة المتواجدة حتى الآن . و هذه الكتابة سوف تستحوذ العقدة و غزارة المادة التى غابت عن التقدميين من النقاد بالفجراتية اليوم . و لعلها تساعد فى تعبير المناخ النقدى لصالح كتابة محلية إلى حد ملحوظ .

و لا بدّ من الإعتراف بأن المرحلة الراهنة فى الكتابة الفجراتية ، بما فيها الكتابة النقدية أيضا ، يبدو كأنها راكدة إلى حدّما . لذلك هناك عدد من النقاد الذين يحاولون بجرأة مجاراة الشعور اللازم المستوجب من أجل مراعاة أصول النقد بدقة و إنتظام . على أى حال من اللازم أن تكون هذه المبادىء من تراثنـا و ليست مستعارة من مكان آخر. إلاّ أن هذا أمر صعب فان عددا من العوامل الأدبية متورطة فيها فبالتالى سيحكم عليها توترات من عدد العوامل المضادة . و لكن لا يسع لأحد إلاّ أن يأمل بأن مثل هذه التوترات سوف تؤدى إلىٰ خلق مناخ نقدى صحيح. إنه بدون شك تحدٍّ بالنسبة للمواهب النقديـة الجديـدة و يسرنى أن أقول إن مثل هذه المواهب ليست مفقودة بالفجراتية اليوم .

تعريب: د/ شميم الحسن أمانة اللّه

التعليم و حق العمل
قصة أربعة عقود من التعليم

بقلم : ك.ك. كوللر
المستشار فى قسم التعليم
بوزارة تنمية الموارد البشرية
حكومة الهند

إن التعليم قبيل إستقلال الهند عام ١٩٤٧م كان فى حال يرثى لها، و رغما من البركات المزعومة للحكم البريطانى على الهند، تيقظنا إلى الحرية على مستوى أدنى من التعليم إن النسبة المئوية لمعرفة القراءة و الكتابة عام ١٩٤٧م كان ١٤/ فقط، ر مصاريف التعليم بأجمعها كانت ٥٧٠ مليون روبية هندية ، أما اليوم فنسبة معرفة القراءة و الكتابة قد ارتقت إلى ٢٣ ، ٣٦ فى المائة ، و بلغت مصاريف التعليم إلى نحو ١٠٠٠ مليون، و لو أضيفت إليها المصاريف غير المرسومة بها فجملة تكاليف التعليم تكون مسبوقة بالدفاع فقط. إن أكثر من ٩٤ فى المائة من قرى البلاد و أمكنة الإقامة فيها ، لها مدارس واقعة داخل مسافة كيلومتر واحد من بيت الطفل . إنه عام ١٩٤٧م كانت هناك ١٧ جامعة فقط مقابل ١٤٥ جامعة اليوم . و قد زاد عدد الكليات الطبّية و الكليات الزراعية و معاهد التعليم العالى عدة أضعاف. و هناك فى الوقت الراهن ٢٤ جامعة زراعية و ١٠٠ كلية زراعية ، و ١٠٠ كلية طبية ، و جامعة طبية بولاية آندهرا براديش ، و جامعة آيورڤيدية أخرى فى ولاية غجرات. لم يكن هناك شيء من التعليم المهنى و التقنى فى الهند تحت السيطرة البريطانية ، و لا مراكز تعليم الكبار، و لا مراكز التعليم غير الرسمى، و لا مدرسة مفتوحة ، و لا جامعة مفتوحة ، و لا كليات تتمتع بالحكم الذاتى. و مدد الطاقة البشرية المدرّبة على المستوى العالى كان محدودا للغاية. و اللا مساواة التعليمى كان يبدو هائلا بين الرجال و النساء ، و الحضريين و الفقراء ، و بين منطقة و أخرى ، و بين القبائل و الطبقات المتخلفة (المدرجة فى القوائم الحكومية) و الطبقات الأخرى. إن سياسة الحكومة البريطانية كانت هى أن تخرج موظفين من المستوى المتوسط و المتدلى لتدعم نظامها

و تبقى على حكمها. و فيما يخص التسجيل ، إن طفلا واحدا من ثلاثة أطفال من فئة العمر ١١- ٦ ، و طفلا من أحد عشر طفلا من فئة العمر ١٤- ١١ ، و طفلا من كل عشرين طفلا من فئة العمر ١٧- ١٤ ، كان يسجل إسمه فى المدارس الإبتدائية و المتوسطة و الثانوية عى الترتيب. و خلف الإنجليز وراءهم ١٧٢٦٦١ مدرسة إبتدائية و ١٢٨٤٣ مدرسة متوسطة و ٥٢٤٧ مدرســة ثانويــة و ٦٣٦ كلية. إنهم لم يكونوا أولو التعليم أفضلية و لا أولوية

المنظور السياسى :

إن القيادة الوطنية قد كانت لمست حتى قبل استقلال البلاد ، أنه دون إحداث تغيير أساسى فى نظام التعليم ، لن يتحقق حلم البلاد للاشتراكيــة و الديمقراطية. و كانت النتيجة أن الدستور الهندى أولى التعليم أولية كبرى، و تصور من خلال مادة ٤٥ أن جميع الأطفال البالغين إلى ١٤ عاما ، سيتلقون التعليم المجانى الإجبارى. و انطلاقا منه تلقى تعميم التعليم الإبتدائي أولوية كبرى فى خطط خمسة أعوام (Five Years Plans) المتعاقبة ، و تضمن كل من برنامـــج أدنـــى الإحتياجات (Minimum Needs Programme) و برنامـــج ٢٠ نقطـــة (20-Point Programme) ، تعميم التعليم الإبتدائى كبرنامج ذا أولوية كبرى.

و شهدت الأعوام المتتالية لجنات كثيرة ، و خاصة من بينها لجنة التعليم الجامعى (٤٩ – ١٩٤٨م) تحت رئاسة السيد د/ ايس رادهاكرشنان و لجنة تعليم المدارس الثانوية تحت رئاسة السيد د/ لكشمان سوامى موداليار على كل ، إن لجنة كوتارى للتعليم (٦٤- ١٩٦٦م) كانت مـــن أهم هـــذه اللجـــان ، و التى صارت فيما بعد أساس السياسة القومية للتعليم فى عام ١٩٦٨م.

قـــد كانـــت النصفـــة و المســـاواة من أبـــرز ميـــزات سياســـة عام ١٩٦٨، و الإزدياد كان هائلا كما و عددا ، و النفقات التعليمية قد بلغت إلى ٧ ، ٣ فى المائة من الدخل القومى ، و مع أن السياسة كانت أوصت بازدياد تدريجى فى الإستثمار فى مجال التعليم للتوصل إلـــى ٦٪ مـــن مجموع الدخـــل القومـــى. و عام ١٩٤٧م كان ذلك أقل من نصف واحد فى المائة من الدخل القومى للهند غير المنقسمة ، أى إنها كانت تشتمل على المناطق التى تتكون منها الآن دولة باكستان و بنغلاديش ، دون المناطق التى كان الأمراء و النواب يملكون أعنة حكمها أنذاك. و رغما من هذه النفقات الهائلة إنا حققنا إنجازا يسيرا فى مجال التعليم و ظلت الأهداف غير متحققة.

ازدياد المؤسسات و التسجيل :

خلال العقود الأربعة الماضية ، قد ازداد عدد المؤسسات التعليمية فى الهند من ٢٣٠٠٠٠٠ إلى ٦٩٠٠٠٠٠ مؤسسة و إن عددا كبيرا من هذه المؤسسات (٥٠٤،٠٠٠) الذى يشكل ٧٣ فى المائة من مجموع المؤسسات التعليمية ، مدارس ابتدائية و عبر فترة ٧٣-١٩٥٠م ، سجلت هذه المدارس زيادة ضعفين منها ، مودية إلى نسبة النمو المركب لـ ٢،٨ فى المائة كل عام. إنه هناك فى الوقت الراهن ٤٤٤ كلية متعددة الفنون فى البلاد ، و ١٠٠ منها خاصة للبنات ، و حول ١٥٠٠ مؤسسة تقنية هندية تدرب الطلبة فى صناعات شتى.

إن توسعة النظام الضخم ، علـى كل ، لم يـود إلى الجـودة و الإتسـاق و العمومية ، و لا إلى تعميم التعليم الإبتدائى و الإخفاق الذى منيت به مجهودات تعميم التعليم الإبتدائـى أدت إليها تضخم مشكلة أميـة الكبـار. و التفاوت و اللا توازن بين الفقراء و الأثرياء ، و الرجال و النساء ، و سكان الحضر و البادية، لم يزل يوجد. و النظام إنما احتفى بـ ٣٠ فى المائة من الناس و ترك ٧٠./ منهم و شأنهم

إنه كان فى قيد الإمكان أن يحدث تغيير شامل فى النظام التعليمى تحت الزعامة الفعالة لجواهر لال نهـرو و مولانا أبـى الكلام آزاد و الدكتور رادها كرشنان ، و لكن ظللنا قانعين بوضعه الراهن ، و بدلا منه إنما اتخذنا اجراءات تدريجية خاصة و أيضا لو كنا اتخذنا ترتيبات مناسبة للتعليم فى الخطط الثانية و الثالثة ، لكان الوضع يومنا هذا مختلفا و لم نكن نواجه الوضع كما هو يوجد الآن و بالجملة إن قصة التعليم فى الهند بعد الاستقلال إنما هى قصة فرص و مناسبات أصعناها

المسح الخامس :

قد كشف المسح التعليمى الخامس لعموم الهند ، أنه بتاريخ ٣٠ من سبتمبر عام ١٩٨٦م، إن ٢٦ ٨٦ فى المائة من المدارس الإبتدائية واقعة فى المناطق الريفية ، و يوجد فى البلاد ٥٢٠١٧٦ (٥٤،١٥ فى المائة) مكان إقامة يقطن فيه ثلاث مائة شخص فزائدا ، و توجد فى ٨٦.٩٨ فى المائة منها تسهيلات المستوى الابتدائى فى مكان الإقامة أو على مسافة مسير كيلومتر واحد. أما الإبتدائية العالية فـ ٣٩ ٨٥ فى المائة فقط من المواطنين الريفيين يتمتعون بتسهيلاتها فى مكان الإقامة أو على مسافة مسير ثلاثة كيلو مترات.

إن معدل التسجيل من الصف الأول إلى الصف الخامس بالمناطق الريفية ٧٧ ،٠٦ فى المائة ، بينما معدل تسجيل البنات فى نفس الفئة أى من الصف الأول حتى الصف الخامس بالمناطق الريفيـة ١٦ ٤١ فى المئـة فقط ، و معدل

التسجيل من الصف السادس حتى الثامن بالمناطق الريفية ٤٢ . ٦٥ فى المائة ، و معدل البنات الريفيات ٤٥ . ٣٥ فى المائة.

إن نسبة معلمى المستوى الإبتدائى على المستوى القومى ٪ ٤٤ و هى تتراوح بين ٪ ١٥فى سيكيم (Sikkim) و ٪ ٦١ فى ولاية غجرات ، و نسبة معلمى المستوى الإبتدائى العالى و الثانوية و الثانوية العالية / ٢٩ و /٢١ و / ١٥على الترتيب. و ٥٠ ١٣ فى المائة من المدارس الابتدائية لا مبنى لها و يعنى ذلك أنها تدار فى الأكواخ المسقوفة بالقش و ما إليها أو فى الخيام أو فى العراء ، و بقية ٧ ٧٢ فى المائة من المدارس الإبتدائية تمتلك مبان مبلطة تماما أو جزئيا ، و كذلك ٧٦ ٨٧ فى المائة من المدارس الإبتدائية العالية تمتلك مبان مبلطة جزئيا أو تماما ، و ١٣ . ٨ فى المائة من المدارس تملك مبان غير مبلطة. و علاوة على ذلك ٦٩ ٧ فى للمائة و ٣٧,٧٩ فى المائة و ٢٥,٤٩ فى المائة من المدارس الإبتدائية لا تملك أية غرفة للتدريس أو تمتلك غرفة واحدة أو غرفتين للتدريس على التوالى.

و تحت مشروع عملية السبورة (Scheme of Operation Black Board) الذى غطى ٢٥٣٠٠٠ مدرسة ابتدائية ، ستوفر لكل منها غرفتان مبلطتان ملائمة لكافة المواسم ، و المراحيض ، إضافة إلى التسهيلات الصغرى الأخرى، مثل تجهيزات الأساتذة ، و الكتب الدراسية ، و أدوات اللعب و الدمى ، و تجهيزات اللعب ، و الكتب للمكتبة ، و السبورة ، و الطباشير و المنفضة و ماء الشرب و ما إلى ذلك. و قد تم توظيف ٧٣٢١٨ استاذا إضافيا ، و معظمهن معلمات ، و مع ذلك إن هدف تعميم التعليم الابتدائى ليس سهل الوصول فى أى مكان.

نظام التعليم القومى :

إن سياسة التعليم الجديدة لعام ١٩٨٦م ، قد قدمت تصور نظام تعليمى قومى، أزيل فيه اللا توازن و التفاوت بأجمعه فى جميع قطاعات التعليم. و يتأسس النظام القومى على إطار قومى للمنهج الدراسى يشتمل على مواد جوهرية مشتركة بالإضافة إلى المكونات الأخرى ذات المرونة. إن المواد المشتركة تتضمن تاريخ حركة تحرير الهند و واجباتنا الدستورية و تراثنا الوطنى.

التعليم غير الرسمى :

تحقيقا لهدف تعميم التعليم الإبتدائى بغية إنجاز الأهداف الدستورية ، يتم تطوير برنامج التعليم غير الرسمى (Non-Formal Education) لأطفال ذوى فئة العمر الابتدائى كنظام بديل مدعّم للثقافة المدرسية الرسمية. إنه تم إدخال

مشروع التعليم غير الرسمى ، خلال الخطة السادسة لخمسة أعوام (Sixth Five Year Plan) كمشروع يتمتع بالمساعدة المركزية ، فى الولايات المتخلفة تعليميا مثل أسام و آندهرابراديش و اترابراديش و راجستهان و جامو و كشمير و البنغال الغربية و بيهار و مدهيابراديش و أوريسا ، ثم تم تنظيمه و توسعته مرة أخرى فى عام ١٩٨٧م، لتغطى إضافة إلى أولئك ، أروناتشل براديش (ARUNACHAL PRADESH)، و أحياء الفقراء فى المدن، و الصحارى الجبلية ، و المناطق القبلية ، و مشروعات الأطفال العمال فى جميع الولايات الأخرى و تحت هذا المشروع المهذب تتلقى الحكومات الإقليمية مساعدات مالية بمعدل ٥٠ . ٥٠ فى المائة و ١٠ . ٩٠ فى المائة لإدارة المراكز العامة للتعليم غير الرسمى، و مراكز التعليم غير الرسمى للبنات على الترتيب و تمنح المساعدات المركرية للوكالات التطوعية بمعدل مائة فى المائة؟

إن الخصائص اللازمة للمشروع المهذب، هى المرونة التنظيمية و ملائمة مناهج الدراسة و التنوع فى فعاليات التعليم لربطها بمتطلبات المتعلمين، و الإدارة المحكمة اللا تركيزية و هذا البرنامج يساهم الآن حدود مشتركة مع مركز محلى لتنمية المجتمع، و يتصمن نحو مائة مركز للتعليم غير الرسمى

و تتخذ إجراءات إيجابية لتوريط وكالات تطوعية و معاهد الحكم الجماهيرى لحد الإمكان فى البرنامج و تم تهديب مشروع مساعدة الوكالات المتطوعية فى شهر يناير لعام ١٩٨٧م ، حتى تتبسط إجراءات الموافقة و توزيع المنح و تتيسر المرونة المطلوبة

إن تكاليف الخطة السابعة الإجمالية للمشروع تبلغ إلى ٥ ٢٧ مليون و نمط مساعدة الولايات و المنظمات التطوعة ، هو ٥٠/. للمراكز العامة ، و ٩٠/. لمراكز البنات، و مائة فى المائة للمنظمات المتطوعة

و تحت مشروع التعليم غير الرسمى، إنه يعمل هناك فى الوقت الراهن ٢٤١.٥٩ مركزا (منها ٦٤٧٩٢ مركزا للبنات على وجه الحصر و القصر) مع تسجيل ٦٠٢٦.٠٠٠ فى عشر ولايات متخلفة أعنى آندهرابراديش و أسام و بيهار و أوريسا و راجستهان و جامو كشمير و البنغال العربية و اترابراديش و مدهيابراديش و أروناتشل براديش

تعليم الشباب و الكبار :

إن الشباب يشكلون قرابة ثلث عدد سكان البلاد كله ، و تكاثر الشباب الريفيين فى العدد ميزة بارزة لهم ، إذ أنهم يشكلون ثلثى عدد الشباب المدنيين. و المهم على حد سواء أن عدد سكان المدن و الأرياف يكشف عن انحراف بعيد المدى عن الشكل العام لتوزيع عدد السكان إن سكان الريف يزيدون

ضعفين عن سكان المدن فى مجموع عدد السكان من جميع فئات العمر. و المهم أيضا أنه أكثر من نصف عدد الشبـــاب، الذكور منهم و الإناث و المدنيون منهم و الريفيون بأجمعهم ، لم يجتازوا حتى مستوى التعليم الإبتدائى. و قد كشف . الإحصاء الرسمى لعام ١٩٨١م أنه نحو ٣٧ فى المائة من الشباب الذكور فى فئة العمر ٣٤-١٥ أميون ، و الأمية بين الشابات الإناث فى فئة العمر هذه ، حول ٦٥ فى المائة. و يبلغ عدد المثقفين الباحثين عن العمل طبقا للأرقام المتواجدة لعام ١٩٨٥م ، يبلغ إلى ......٧٥. و إلى ذلك نحو ....١٧ طالب يتخرجون من الجامعات الهندية كل عام.

و نحو ٣٧ فى المائة من الشباب فى فئة العمر ٣٤ - ٢٥ ، ينشغلون فى مجال الزراعة كالفلاحين و العمال، و القائمين على رعاية الدواجن و الأحـراش و صيد الأسماك و الحيوانات و عدد السكان اليافعين بما فيه الكفاية إذ انهم يبلغون إلى ٦. ٢٨ فى المائة فى فئة العمر ١٥ حتى ١٩ ٣٣ فى المئة فى فئة العمر ٢٠ حتى ٢٤.

و منذ عام ١٩٦٠م تلقت قضية الكبار أهمية خاصة ، و لم تزل الحكومة الهندية تخصص اعتمادات مالية تحت برامج تعليم الفلاحين و المعرفة التوظيفية بالمناطق الريفية (RELP) و فى عام ١٩٧٨م أعلن البرنامج القومى لتعليم الكبار ، و فى عام ١٩٨٢م أضيف محو الأمّية كمادة رقم ١٦ فى برنامج ٢٠ نقطة الحديث.

تضمنت الخطة السادسة تعليم الكبار كجـزء برنامج أدنـى المتطلبـات، و السياسة التعليمية الجديدة لعام ١٩٨٦م أعلنت ١٩٩٥م كعام محو أمّية الكبار بتمامه فى البلاد. إن بعثة السياسة الوطنية (National Policy Mission) (لعام ١٩٨٧م) وجهت توجيها جديدا و ألقت الضوء على البرنامج الخاص للكبار، لإحراز معرفة القراءة و الكتابة و القدرة الرياضيـة و المؤهـلات الحسابيـة و القابلية للتشغيل، إنجازا للهدف الأساسى لإحداث تغيير نوعيّ فى أوضاع حياتهم و عملهم. و البعثة تستهدف نقل المعرفة التوظيفية إلى ٨٠ مليون أمّى فى فئة العمر ٣٥ - ١٥ ، و ٣٠ مليون حتى عام ١٩٩٠م ، و ٥٠ مليون آخر حتى عام ١٩٩٥م. و تحت هذا المشروع يعمل هناك حوالى ٢٨٤٠٠٠ مركز فى عرض البلاد و طولها ، مع تسجيل نحو ....٨٤ مليون متعلم بالغ (.......٣٥ منهم ذكور و ....٤٩ إناث) ، و وزعت ست مائة ألف عدة تحصيل المعرفة بين الطلبة المتطوعين ، و تم توريط الوكالات التطوعيـة علـى أوسع نطـاق و وهبت منح حكومية لأكثر من ٣٠٠ وكالة تطوعية لإدارة ٢٣٠٠٠ مركز ، و يتم تمويل ٥١٣ مشروعا تحت مشاريع المعرفة التوظيفية بالأرياف ، و تمت الموافقة على ١٠٠٠٠ مركز لتعليم الجماهير لتوفير برامج ما بعـد معرفة القـراءة و الكتابة ، و أصدرت التعليمات أنه ٥٠ فى المائة على الأقل من مراكـز تعليم الكبـار، لتفتح للإناث المتعلمـات على وجه الحصر و القصر. إن N.L.M.

يتأسس على تحليل شامل لجوانب القوة و الضعف التى نتجت عن تقارير تقييم برامج تعليم الكبار الغابرة بأسرها و فى غضون ١٩٨٧م و ١٩٨٥م قامت سبع مؤسسات شهيرة مثل MIDS مدراس، و IIM أحمدآباد و مؤسسة تاتا للعلوم الإجتماعية (Tata Institute of Social Sciences) بومبائى ، بتقييم هذا البرنامج فى وقت واحد. و رغما من ذلك كله ، إن الحقيقة التى سوف نواجهها هى أنه قد زاد عدد الأميين تدريجيا مع تحسن النسبة المئوية و لمعرفة القراءة و الكتابة ، فقد زاد - مثلا - عدد الأميين فى فئة العمر ٣٥ - ١٥ من ٩٠ مليون شخص فى عام ١٩٥١م إلى ١١٠ مليون شخص فى عام ١٩٨١م. و بناء على التحليل الإتجاهى، من المحتمل أن يزداد عدد الأميين فى فئة العمر ذاتها إلى ١١٦ مليون شخص حتى عام ١٩٩١م ثم يتحدر إلى ١١٠ مليون شخص حتى عام ٢٠٠١م.

التعليم للبنات :

إنّ التعليم مجانى للبنات فى طول الهند و عرضها حتى الصف السابع من سنة ١٩٨٥م ، و فى بعض الولايات الأخرى حتى فى المرحلة ما بعد التخرج و الهندسة و الكليات الطبية ، و مع ذلك إن معدل تسجيل البنات لا يتجاوز ٤٠.٣ فى المائة على مستوى الإبتدائية، و ٢ ، ٣٦ فى المائة على مستوى المتوسطة ، و ١ ٣٢ فى المائة على مستوى الثانوية و الثانوية العليا ، و ٣٠ فى المائة على المستوى الجامعى و مع تواجد البواعث، إن نسبة انسحاب البنات من التعليم أكثر بالنسبة إلى الأولاد ، و يبلغ ذلك إلى ٧٠.٠٤ فى المائة على المستوى القومى مقابل ٤٢ . ٦٤ فى المائة للأولاد من الصف الأول حتى الصف الثامن (عام ٨٦ - ١٩٨٥م) ، و ١٥ ٦٩ فى المائة لبنات الطبقات المتخلفة ، و ١٩ . ٨٠ فى المائة لبنات القبائل المتخلفة لعام ٨٧ - ١٩٨٦م.

و خلال عام ١٩٨٩م بذلت مجهودات جبارة شاملة لتحسين مساهمة البنات فى مجال التعليم ، و قدمت الحكومة الهندية تحت مشروع عملية السبورة مساعدات من عام ٨٨ - ١٩٨٧م لخلق ٧٨٤٣٠ وظيفة لمعلمى المدارس الإبتدائية ، التى تشغل خاصة بالمعلمات.

التعليم التقنى :

يملك هذا النظام صلاحية القبول السنوى لـ ٣٠٠٠٠ طالب على مستوى الشهادة و ٦٠٠٠٠ طالب على مستوى الدبلوم و ٦٠٠٠ طالب على مستوى ما بعد التخرج فى مجال الهندسة و التكنولوجية التين تغطيان نطاقا واسعا من الدراسات التقنية و الهندسية بما فيها تسهيلات البحث و التحقيق.

و المؤسسات التقنية الخمسة تتعهد بتخريج طلبة مرحلة التخرج و ما بعد التخرج الأكفاء فى الهندسة ، و تطوير التقنية الفطرية. إن الدفعة فى مجال التعليم التقنى فى الأعوام المقبلة ، ستتوجه إلى تأهيل النظام لكى يلعب دورها المنشود مع الملائمة الكبرى و الموضوعية ، و قد اتخذت فعلا عدة خطوات تمهيدية لإصلاح التعليم التقنى ، و هى تشكل التحديث و إزالة التقادم و ترقية التعامل بين المصانع و المؤسسات و ربط التعليم التقنى بقطاعـــات التنميــة و إنشاء كليات اجتماعية عديدة الفنون للأقليات.

و خلال العقود الماضية الأربعة ، قد تضخمت تسهيلات التعليم التقنى تضخما هائلا فى البلاد. إنه وقت الاستقلال عام ١٩٤٧م ، كانت هناك ٣٨ مؤسسة تقنية على مستوى الشهادة الأول ، و ٥٣ مؤسسة على مستوى الدبلوم، مــع صلاحيــة القبول السنوى لـ ٢٩٤٠ و ٣٦٧٠ طالب على الترتيب ، و نحو ست من المؤسسات فقط كانت تقدم تسهيلات محدودة لنشاطات المرحلة ما بّعد التخرج فى مجالات الهندسة و التقنية. و اليوم نملك ١٨٤ مؤسسة تقنية معترفة بها على مستوى الشهادة الأول ، و أكثر من ٤٤٤ كلية متعددة الفنون على مستوى الدبلوم ، مع صلاحيات القبول السنوى لـ ٣٧٠٠٠ و ٦٥٠٠٠ طالب علـى الترتيب ، و نحـو ١٤٠ مؤسسة تقدم تسهيلات البحث و الدراسات لمرحلة ما بعد التخرج فى مجال الهندسة و التقنية مع صلاحية القبول السنوى لأكثر من ٩٤٠٠ طالب.

المصادر :

إن الجماعة العاملة فى مجال مصـادر التعليم (متضمنا الفن و الحضـارة و شئون الشباب و الألعاب) لـ خطة خمسة أعوام الخامسة (VIII Five year Plan)، و التى أنشأتها لجنة التخطيط ، قد قدرت أنه سيحتاج إلى ٤٥٠ مليون روبية خلال خمسة أعوام مقبلة. إن التعليم الإبتدائى الذى يشكل جزءا ذا ألوية فى برنامج الإنعاش التعليمى، يشكّل ٣٤ فى المائة من مجموع نفقات الخطة السابقة على التعليم ، مع أنها كانت ٥٥ فى المائة فى الخطة الأولى. و من المحتمل أن تزيد فى الخطة الثامنة. و فى ذات الوقت إن تعبئة المصادر الداخلية ستتلقى أولوية. و ليعاد النظر فى كيان رسوم الجامعات. إن الرسوم الجامعية لمرحلة التخرج و ما بعد التخرج، منخفضة فى العالم بأسره.

إن بيان الجبهة الوطنية الرسمى الإنتخابى لمجلس الشعب (لعام ١٩٨٩م) يتصور التعليم كأدنى متطلبات الناس، و يرتأى التعليم كـ "توظيف مال" على الناس ، مرتبطا بحقهم للعمل المربح المنتج و القضـاء علـى العـوز و الفقـر. و البيان يسلط الضوء على نقل التعليم فى اللغة الأم، و يؤكد على إصلاح الإنحرافات فى النظام التعليمى، و يتعهد بنفس المستوى و النوع التعليمى

لكافة الناس. و فيما يخص الجامعات و الدراسات العليا ، يشدد البيان على إيجاد روح جديدة في حروم جامعاتنا ، و أخرى يؤكد عليها البيان هي إزالة الرسوم الباهظة ، و القضاء على التحريفات في النظام التعليمي و يتحدث البيان أيضا عن الحماية الشاملة للتطوير التعليمي للأقليات بأسرها ، الدينية منها و العرقية. و يذكر البيان خاصة الحجوزات و الفرص التعليمية للطبقات المتخلفة تعليميا و اجتماعيا، و يعني هذا أن مدى توفير هذه الفرص سيتخطى متطلبات القبائل و الطبقات المتخلفة ، و أخيرا يؤكد البيان على استخدام اللغات المحلية في التعليم على جميع المستويات ، و يذكر أيضا تنفيذ توصيات "لجنة غجرال" (Gujral Committee) لترقية و تطوير اللغة الأردية و توسيع الملحق الثامن للدستور الهندي استجابة لمتطلبات الجماعات اللغوية الأخرى على الخصوص، و بالجملة يحلم البيان لهند واعية بمنأى من العوز و الفقر و الأمية و الإستغلال عن طريق مساهمة ملايين من المواطنين للإنعاش الوطني.

و وفقا لذلك ، شكلت الحكومة الهندية بتاريخ ٧ من مايو ١٩٩٠م ، لجنة ذات اختصاصات كبيرة تتألف من سبعة عشر شخصا لاستعراض السياسة القومية حول التعليم لعام ١٩٨٦م ، تحت رئاسة اتشارية راما مورتي (Acharya Ramamurti) أحد أتباع غاندي المشهورين.

و نطاق صلاحية لجنة الإستعراض كما يلي :

ا- استعراض السياسة القومية حول التعليم لعام ١٩٨٦م و تنفيذها.
ب - و تقديم توصيات فيما يتعلق إعادة النظر في السياسة .
ج - تقديم توصية العمل اللازم لتنفيذ السياسة المهذبة في إطار زمن

و قد نوشد من اللجنة أن تقدم تقريرها بأسرع ما يمكن، و أن لا تتأخر من شهر نوفمبر بأية صورة أي ستة شهور منذ قيامها.

و المسودة التي سميت بـ "معالجة الخطة الخمسية الثانية" (٩٠-١٩٩٥م) يؤكد على توفير التعليم التقني و المهني و إصلاح شامل للنظام التعليمي عن طريق توريط المواطنين و المؤسسات الكبرى كلها. إن الدفعة المركزية للخطة الثامنة ستكون خلق وظائف و حق كل مواطن للعمل

تعريب · ولي أختر الندوي